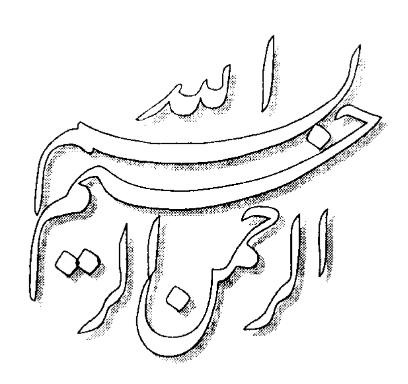
الخطب الإلهامية

فوزي محمد أبو زيد

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار الإيمان والحياة



الكتاب	الخطب الإلهامية
المؤلف	الأستاذ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الثانية	١٢ أكتوبر ٢٠٠٩م الموافق ٢٣ شوال ١٤٣٠هـ
الطبعة الأولى	صدر المجلد في ستة أجزاء منفصلة خلال عام ٢٠٠٠م الموافق للتواريخ من عام ١٤٢١هـ
عدد الصفحات	٥١٢ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٧٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ، ٢٥٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة - ١١٤ش ١٠٥- المعادى- القاهرة- جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠٠٩/١٦٩٤٧
الترقيم الدولى	ISBN: ٩٧٧-١٧-٧٥٤٥-٦

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، سيدنا محمد وآله وصحبه.

بعد أن قدمنا الطبعة الأولى من كتابنا " الخطب الإلهامية" (المناسبات) فى ست كتب متتالية تشتمل على المناسبات الدينية طوال العام كما سيأتى تفصيله لاحقا بهذه المقدمة؛ تهافت القراء على هذه الكتب وبخاصة المشتغلون بالدعوة والوعظ على مستوى الجمهورية حتى نفدت الطبعة فى وقت قصير، وطالبنا الكثير من القراء ودور النشر بإعادة طباعتها.

فاستخرنا الله تعالى فى ذلك وآثرنا أن تطبع الأجزاء الستة فى مجلد واحد حتى تكون أيسر للقارىء وأسهل للباحث والداعى فى الوصل إلى مايريد، وقد ضبطنا فى هذه الطبعة الآيات برسم المصحف العثمانى، وشَكَّلْنَا الأحاديث النبوية الشريفة، كما حذفنا الأدعية فى الخطبة الثانية وتركناها لما تجود به قريحة الخطيب بحسب المناسبة وتوجه قلبه إلى الله، وارتأينا أن نطبع الكتاب طبعة ميسَّرة ليعم به النفع ويزيد به الفضل.

القارىء الكريم، كتابنا هذا الذى بين يديك مكون من تمهيد وستة أبواب، وقد تناولنا فى التمهيد أمرين أساسين يلزم معرفتهما جيداً، أولهما هو "منهج الداعى الحكيم و أوصافه" وهى إضافة لم تكن بالطبعة الأولى، والأمر الثانى هو أحكام الجمعة من يوم وخطبة وصلاة، وأما الأبواب فقد رتبناها وفق التسلسل الزمنى للمناسبات خلال العام فكانت كما يلى:

الباب الأول :"الهجرة ويوم عاشوراء" : وقد تناولنا فيه أحداث الهجرة من مكة إلى المدينة بكل تفصيلاتها، وأفضنا في بيان الآيات القرآنية التي أشارت إليها بحسب ما فتح الله ﷻ واستلهمنا منها العبر التي تنفع المؤمن في حياته فرداً وجماعة، حيثما كان، وأخذنا من مجتمع المهاجرين والأنصار الأسس والقيم والمثل التي تصلح المجتمعات وبينا كيفية تحقيق ذلك في مجتمعاتنا المعاصرة، كما لم نغفل يوم عاشوراء وألحنا إلى الكيفية الصحيحة للاحتفاء به.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن أحداث الهجرة تمت في شهر ربيع الأول فقد خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً يوم الإثنين الأول من شهر ربيع الأول ودخل المدينة المنورة يوم الإثنين التالي فكانت فترة الهجرة أسبوعاً، أما السر في جعلها في بداية العام الهجري فيرجع ذلك إلى عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حيث جاءته بعض رسائل من القاده والولاه مختومة بعبارة كُتب في رجب مثلاً؛ فقال ﷺ: أيُّ رجب؟ هذا العام أم السابق؟ ثم جمع ﷺ أصحابه

واستشارهم فى إتخاذ تأريخ للمسلمين، وكان العرب يؤرخون من قبل بالأحداث العظيمة كحادثة الفيل، فاقترح البعض أن يؤرخ بميلاد النبي أو وفاته، واستحسن سيدنا عمر ﷺ أن يبدأ التأريخ الإسلامى بهجرة النبي لأنها البداية الحقيقية للدولة الإسلامية، ولما كانت السنة الهجرية تبدأ بشهر المحرم جعله أول العام الهجري الأول وكان ذلك بداية التقويم الإسلامي العربي القمري والذي تنبني عليه الشهور العربية والأحكام الشرعية، ومن ثم جرى الإحتفال بذكرى الهجرة أول العام فى شهر المحرم، وإن كانت الهجرة ذاتها تمت فى شهر ربيع الأول.

أما الباب الثانى ففى خطب المولد النبوى الشريف : فقد انتقينا من الخطب الكثيرة جداً التي سجَّلها الأحباب ثُلة مباركة كنماذج لمعالجة مشاكل الأفراد والمجتمعات على ضوء هذه الذكرى العطرة،وآثرنا منها ما تحتوى على ما يُوحي به جلال المناسبة من توجيهات توقظ الأمة من غفلتها، وتثير عزائم نهضتها، وتجعلها تتجه لنبيها تستلهم منه الرُشْد، وتستمد الهداية لما فيه خيرها وفلاحها في الدنيا ويوم لقاء الله.

والباب الثالث يشتمل على مجموعة مباركة من الخطب التي فتح الله بها علينا في المناسبة الكريمة لذكرى الإسراء والمعراج، وقد سجلناها بحسب إلقائها وذكرنا الأماكن والمساجد التي ألقيناها بها، وقد بدأناها بخطبتين عن شهر رجب المبارك وفضله لأنه من الأشهر الحرم، ثم أتبعناها بعدد من الخطب ذات المعانى الجديدة فى تناول الموضوع المبارك والتى يشعر معها القارىء الكريم بحلاوة الذكرى المباركة وبأنها معين لاينضب من الإلهامات والأنوار والخيرات والبركات على الأمة بأسرها.

أما الباب الرابع :فقد خصصناه لشهر شعبان المبارك، فبيَّنا فيه خصائص الشهر، وما خصه بها الحبيب ﷺ من التوجهات والعبادات والنوافل، وقسمنا الباب ثلاثة فصول: الأول للخطب، والثاني ذكرنا فيه فضائل ليلة النصف من شعبان وسردنا الأدلة اليقينية على الإحتفال بها، كما أوردنا بعض الأدلة فى ثبوت معجزة شق القمر لحاجة الخطباء والدعاة لذلك، وأما الفصل الثالث فقد أوضحنا فيه الكيفية الصحيحة لإحياء ليلة النصف، وإغتنام فضلها والتعرض لنفحاتها وذلك من بيان وأحوال أئمة السلف الصالح والعلماء العاملين.

أما الباب الخامس فكان لشهر رمضان وليلة القدر وعيد الفطر... وقد تناولنا فيه حكم الصيام الصحية والاجتماعية والشرعية والخلقية وغيرها وتحدثنا فيه عن سنن الصيام وآدابه ومستحباته، وألمحنا إلى غزوة بدر والاعتكاف وليلة القدر، وذكرنا زكاة الفطر وحكمتها ووضعنا نماذج لخطب عيد الفطر المبارك وذلك كله بأسلوب سلس يلائم العصر.

والباب السادس والأخير فهو عن الحج وخطب عيد الأضحى، وقد ركزنا فيه على

ثواب الحج ودرجات الحجاج ومنزلتهم عند الله، وفضائل البيت الحرام وآياته الظاهرة والباطنة، وألمحنا إلى قدر الرحمة الواسعة التي يُنزلها الله ﷻ على عباده في هذه الأماكن المباركة، والأزمنة الفاضلة، وخاصة في يوم عرفة، وذكرنا فيه قصة الخليل إبراهيم، والذبيح إسماعيل، واستخلصنا العبر ومُوطن القدوة التي يأخذها كل مسلم منها.

وذكرنا أيضاً فضائل الأعمال التي يجب أن يتحلى بها المؤمن في أيام عشر ذي الحجة، وفضل صيام يوم عرفة، وبينا السنن التي ينبغي على المسلم مراعاتها في أيام التشريق كالأضحية، والتكبير وغيرها وذلك بأسلوب سلس ممتع للعامة والخاصة.

وأحب أن أنوه فى ختام هذه المقدمة إلى أننا عرضنا في هذا الكتاب ما رأيناه أقرب إلى الصواب وإن رأى البعض أننا ربما نستدل أحياناً ببعض الأحاديث الضعيفة سنداً؛ فذلك ما إتفق عليه أئمة الأصول في قاعدقم المشهورة من أنه يُعْمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وقد تأسّينا في ذلك بقول إمامنا الشافعي ﷺ: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وأن يجزى خير الجزاء كل من ساهم أو شارك فيه من البدء للختام حتى وصل للقارىء الكريم بهذه الصورة الطيبة، كما أسأله سبحانه أن يسامحنا فى كل قصور أو تقصير خالطه، وعذرنا فى ذلك كما قال الأولون أن الله تعالى أبى أن يكون كتابٌ صحيحاً إلا كتابه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجمعة ٢٨ أغسطس ٢٠٠٩، الموافق ٦ رمضان ١٤٣٠ هـ

فوزي محمد أبوزيد
: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، وأهلَّه للعيان، وتوَّجه بتاج الخلافة عن الرحمن. والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على خير من بعثه الله لهداية خلقه وحفظه ظاهراً وباطناً من أهواء النفس ومن شرار خلقه سيدنا محمد فقيه الفقهاء، وحكيم الحكماء، وإمام الرسل والأنبياء وآله البررة الأنقياء، وأصحابه الهداة الأتقياء وكل من تبعهم على هذا الهدي المبارك إلى يوم العرض والجزاء وعلينا معهم أجمعين آمين يا ربَّ العالمين.

وبعد ... فقد خاطبني شيخي وقدوتي مولانا الشيخ محمد علي سلامة ذات مرة قائلاً في إحدى اللقاءات الطيبة مع حضرته: يا بني اكتب بعض الخطب الخاصة بالمناسبات الدينية في كتاب ويطبع لينتفع بها إخوانك، ولما كنت في هذا الوقت في حال محو تام مع حضرته، وأشعر دائماً بعجزي وقصوري في نفسي؛ فقد رأيت في ذلك الحين أن هذا مقام لا يصلح له مثلي، فاعتذرت عن ذلك باعتذار رقيق ونسيت ذلك الأمر، ولكن في السنوات الأخيرة ألحّ عليَّ كثير من الإخوان الصادقين الذين يتعرضون للدعوة ويعتلون المنابر في تنجيز ذلك، وزاد هذا الأمر إلزاماً ما أنجزه بعض الأخوة والأخوات الأفاضل من تصنيف هذه الخطب ثم نسخها كتابة، بعد أن بذلوا الجهد الكبير في جمع الشرائط التي سجلها الإخوان في السياحات الروحانية في الموضوعات المتنوعة، وبقى لنا أن نراجعها ونخرجها ونطبعها ، فاستخرنا الله تعالى في ذلك منذ عام أو يزيد وكان هذا هو أوان الإذن في ذلك من الله عز شأنه فما فيها من صواب فهو من الله ﷻ فبه سبحانه وحده التوفيق وعليه جلَّ شأنه مدد المعونة والتحقيق.

ولما كان كمّ الخطب كثيراً جداً، والواحدة تقع في صفحات كثيرة على غير المعتاد في الكتب المؤلّفة في هذا الفن، فكان يصعب علينا أن نجمع المناسبات المختلفة خلال العام في كتاب واحد لأنه سيكون كبير الحجم، فقد استخرنا الله تعالى أن نجعل لكل مناسبة دينية كالمولد النبوي، والإسراء والمعراج، والصوم وشهر رمضان، والحج، والهجرة النبوية وغيرها جزءاً خاصاً بها ننتقي بعض الخطب مما سجله الإخوان في هذا الشأن ونراجعها لتكون كنموذج يحتذيه الخطيب في معالجة مثل هذه الموضوعات على أن تصدر هذه الأجزاء تباعاً.

ولما كان الهدى الذي احتذينا فيه حذو شيخنا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ في خطبنا أن نأخذ آية مما يقرأه القارئ لكتاب الله تعالى قبل الصلاة تناسب الوقت والحاضرين ونشرحها بما يفتح به الله ﷻ على قدر ما تتحمله وتستوعبه مدارك السامعين دون إعداد سابق للخطبة أو حتى تحديد لموضوعها فقد سمينا هذا الكتاب (الخطب الإلهامية) فهي كلها

بحمد الله تعالى من كنز قوله سبحانه: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)، وقد كان هدى شيخنا ﷺ في خطبة الجمعة:

- أن يلقيها بلغة سهلة وواضحة لتصل مباشرة إلى أذهان الحاضرين، وكان يحرص ﷺ ألا تكون الخطبة طويلة مملة أو قصيرة مخلّة؛ وكان من غرائب هذا أنّي كنت أتابعه ﷺ في خطبة ممسكاً بساعتي فكان لا يزيد على ١٧ دقيقة إلا نادراً، ومع ذلك نخرج وقد استوعبنا الموضوع من جميع نواحيه، وكان يقول لنا دائماً في ذلك لأن نتركهم راغبين خيرٌ من أن يتركونا زاهدين!، المهم يا بني أن يقوم الناس من المسجد وقد عرفوا موضوعاً محدداً من أمور دينهم واستوعبوه ليعملوا به، وامتداداً لهذا النهج كان ﷺ يتحرَّى دائماً أن تكون موضوعاته على المنبر أو في دروس المساجد فى موضوع واحد لا يخرج عنه الخطيب حتى لا يشتّت السامعين، وأن تكون من الموضوعات العامة التي يحتاجها كل مسلم، ويبتعد عن ذكر الأمور الخلافية أو الإشارة إليها، وعما يثير الفتن والمشاكل بين الناس.
- وكان ﷺ يحرص على التبشير في كل خطبه ودروسه ولا يميل إلى التّشديد والتعسير، ويفتح للناس أبواب رحمة الله الواسعة ويمزج ذلك بتخويف لا يقنطهم من رحمته تعالى.
- وكان شديد الأدب في الحديث عن العلماء جميعاً فلا يجرِّح أحداً من المعاصرين حتى ولو أخطأ بل يلتمس له العذر ويبرر له موقفه، ومع ذلك يقرر الصواب بطريقة حكيمة، أما السابقين فيترضى عنهم أجمعين، كان يعيب على من يحفظ الخطب أو يستظهرها ثم يلقيها ويقول نحن لا نحب لأحد من إخواننا أن يحفظ الخطب ثم يكررها بالنص، ولكن يفهم المحتوى ثم يعبِّر عنه بأسلوبه.

فنعم المربي ﷺ كان لنا، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة، إنه نعم المجيب، والله تعالى أسأل أن يبارك في كل من ساهم في هذا العمل بتسجيله أو جمعه أو نسخه أو طبعه أو نشره وأن يمدهم بمدد توفيقه، ويلحظهم بعين عنايته، وأن يجعلهم في الدنيا من أهل ولايته وفي الآخرة من أهل سعادته، وأدعو الله ﷻ أن ينفع به من قرأه أو سمعه وأن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. فوزى محمد أبوزيد

الثلاثاء ١٢ صفر ١٤٢١ هجرية، ١٦ من مايو ٢٠٠٠م، الجميزة، غربية.

تمهيد

أولاً: منهج الداعي الحكيم

إن الداعي إلى الله ﷻ على حكمة من أمره وبصيرة من ربه، هو الذي يجمِّله الله بلسان البيان، وأخلاق القرآن، ورحمة النبي العدنان وعلوم أهــل الأذواق والعرفــان، وفي هــؤلاء الدعاة الحكماء يقول أبو العزائم ﷺ :

{ لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر، فما بالك بالمؤمن المطيع ! }

ويقول الإمام أحمد ابن عطاء الله السكندري ﷺ في حكمه:

{ تسبق أنوارهم أقوالهم، فتجذب القلوب، وتؤهّلها للسماع المطلوب.}، ويقول أيضاً: **{ حالُ رجلٍ في ألف رجل؛ خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجلٍ واحد }**، ويضيف أيضاً ﷺ مبيناً سبب إقبال الخلق عليهم:

{ كُلُّ كلام يَبْرز وعليه كسوةٌ من نور القلب الذي خرج منه }

وفي هذا أيضاً يقول الإمام أبو العــزائم ﷺ: **{ إذا كان الكلام عن النور حدثَ لسامعيه السرور }**، والمنهج الذي يبنى عليه هذا الداعي الحكيم دعوته من بعد تحصيل العلوم الأساسية اللازمة له من علوم الشريعة، وعلوم القرآن الكريم ، وعلــوم الحــديث النبــوى والسيرة النبوية ولغة العرب؛ يبنيها على أمور:

أولاً: ... أن يجعل الإخلاص لله رائده في كل قول أو حركة أو سكنة؛ فيطلب العلــم أولاً ليعمل به في نفسه؛ رغبة فيما عند الله ﷻ، ويَجعل نَصب عينيه قوله ﷺ :

{ مَنْ غَدَا يُرِيدُ الْعِلْمَ يَتَعَلَّمُهُ لِلَّهِ، فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، وَفَرَشَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ أَكْنَافَهَا، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ مَلاَئِكَةُ السَّموَاتِ، وَحِيتَانُ الْبَحْرِ، وَلِلْعَالِمِ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْعَابِدِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَصْغَرِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ، وَمَوْتُ الْعَالِمِ مُصِيبَةٌ لاَ تُجْبَرُ وَثُلْمَةٌ لاَ تُسَدُّ وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ، مَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ } [1].

وليحذر مما حذَّر منه الرسول ﷺ فى قولــه : **{ لا تَتَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ**

[1] عن أبي الدرداء ﷺ رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي وهذا لفظه

وَلِتُهَادُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ }[٢]

ثانياً: .. أن يبدأ الداعى الحكيم البصير بنفسه أولاً ثم بأهله[٣] ثانياً، ثم الأقرب فالأقرب، عملاً بقوله ﷺ: { **إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ؛ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ** }[٤]، وأن يجعل الداعية الحكيم ديدنه دائماً وأبداً ، قول الإمام علىّ ﷺ ، وقيل قول أبى الأسود الدؤلى تلميذه، ونسب بعضهم لإبن السماك[٥] وفى ذلك لطيفة وردت أن ابن السماك وعظ يوماً فأعجبه وعظه، ولما رجع إلى منزله ونام، سمع قائلاً يقول هذه الأبيات، فانتبه! وأقسم على نفسه أن لا يعظ شهراً، وهى:

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ	هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى	كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا	أَبَداً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا	فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَى	بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ	عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ثالثاً: أن يقصد بتعليمه الخلق وجه الله تعالى عملاً بقوله ﷺ لسيدنا أبى ذر ﷺ :

{ **يَا أَبَا ذَرٍّ لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ** }[٦] وقوله ﷺ: { **أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً، ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ** }[٧]

رابعاً: ... ألاَّ يطلب الدنيا بعلمه!، وذلك عملاً و حذراً مما ورد من حديثه ﷺ أنه قال فى الحديث الشريف منبها ومحذراً: { **مَنْ طَلَبَ عِلْماً مِمَّا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ** }[٨]

ومما روى عنه ﷺ أيضاً قوله :

---

٢ رواه ابن ماجة من حديث جابر بإسناد صحيح
٣ ولنا فى ذلك فصل كامل فى هذا الكتاب، الفصل الثانى: دعوة الرجل لأهله وذويه.
٤ رواه الطبراني عن حكيم بن حزام، ورواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ.
٥ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، شرح شذور الذهب فى أخبار من ذهب، المستطرف في كل فن مستظرف
٦ عن أبي ذر ﷺ رواه ابن ماجه بإسناد حسن
٧ رواه ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٨ عن أبي هريرة رضي الله رواه أبو داود وابن ماجة بإسناد جيد

{ أَوْحَى اللَّهُ عَزّ وَجَلّ إِلَى بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ: قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ وَيَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ العَمَلِ وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ يَلْبَسُون لِلنّاسِ مُسُوكَ الكِباشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّئَابِ. أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ إِيّايَ يُخَادِعُونَ وَبِي يَسْتَهْزِئُونَ لأُتِيحَنّ لَهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الحَلِيمَ حَيْرَانَ }٩.

فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا !وخستها! وكدورتها!! وزوالها!، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ولذلك قال الحسن رحمه الله: { **عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة** } ، وقال يحي بن معاذ ﷺ أيضاً: { إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا }، وقال عمر ﷺ: { **إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب** }١٠، وقال مالك بن دينار ﷺ: { **قرأت في بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه** }.١١

وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى: { **إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي. يا داود لا تسأل عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي. يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. يا داود من رد إلي هارباً كتبته عندي جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً** }١٢

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ: { **عُلَمَاءُ هذِهِ الأُمّةِ رَجُلاَنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ عِلْماً فَبَذَلَهُ لِلنّاسِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَناً فَذلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ، وَدَوَابُّ الْبَرِّ، وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السّمَاءِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللّهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَشَرَى بِهِ ثَمَناً فَذلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هذَا الّذِي آتَاهُ اللّهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللّهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَناً، وَكَذلِكَ حَتّى يَفْرُغَ الْحِسَابُ** }١٣

---

٩ رواه ابن عبد البر، عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٠ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى
١١ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى
١٢ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى، الجهبذ: العالم الكبير.
١٣ أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف، الترغيب والترهيب

وأشد من هذا ما روي في الأثر: { **أن رجلاً كان يخدم موسى ﷺ، فجعل يقول: حدَّثني موسى صفي الله، حدَّثني موسى نجيّ الله، حدَّثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله، ففقده موسى عليه السلام، فجعل يسأل عنه ولا يحسّ له خبراً، حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلاناً؟ قال: نعم، هو هذا الخنزير، فقال موسى: يا ربَّ أسألك أن تردَّه إلى حاله حتى أسأله بما أصابه هذا؟ .. فأوحى الله ﷻ إليه: لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه!، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به؟ لأنه كان يطلب الدنيا بالدين !**} ١٤

خامساً: ... أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة، المرغّب في الطاعات ..، مجتنباً للعلوم التي يقلّ نفعها.. أو التي يكثر فيه الجدال! والقيل والقال ...!!. وخير مثال لذلك ما روى عن حاتم الأصمَّ تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما، أن شقيق البلخي قال له: منذ كم صحبتني؟ .. قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة.، قال: فما تعلمت منّي في هذه المدّة؟، قال: ثماني مسائل.، قال شقيق له: إنّا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل!، قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها، وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثانية؟ ... فقال: نظرت في قول الله ﷻ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ (النازعات) فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى، أما الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله ﷻ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦ النحل) فكلما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً.

والرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب

---

١٤ إحياء علوم الدين، وفي تاريخ دمشق عن عثمان بن عبدالله ، وفيه "وفي يده خزراً في عنقه حبل" والخزز الأرنب الذكر.

والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣ الحجرات) فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً، أما الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٣٢ الزخرف) فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه، فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، فرجعت إلى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٦فاطر) فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه، لأن الله شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره، أما السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذلّ فيها نفسه، ويدخل فيما لا يحلّ له، ثم نظرت إلى قوله تعالى ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٦٠العنكبوت) فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها، فاشتغلت بما لله تعالى علي، وتركت ما لي عنده، والثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق: هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) فتوكلت على الله ﷻ فهو حسبي.

عندها قال شقيق ؓ : يا حاتم وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة (إنتهى) .

سادساً: ... أن يحدِّث بالأحاديث الصحيحة، ويروي القصص القرآنية والنبوية الثابتة ويحذر من ذكر الروايات الإسرائيلية في قصص الأنبياء والتي امتلأ بها الكثير من الكتب، وخاصة كتاب قصص الأنبياء المسمى "بالعرائس للثعالبي"، ولذا عليه أن ينتقي من قصص السلف الصالح ما يقبله العقل ويوافق النقل، ويركز في سرده للقصص على ذكر العظة والعبرة منها عملاً بقوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف).

سابعاً: .... أن يتبحر في علم الشريعة، ويلم بالفتاوي التي يحتاجها العصر، على أن يأخذها من العلماء أهل الخشية الذين بلغوا رتبة الاجتهاد في التشريع، وشهد لهم علماء

العصر بذلك، ومن أبرز الكتب التي يرجع إليها في عصرنا في المسائل الفقية العصرية كتاب "فتاوي فقهية عصرية" للشيخ جاد الحق وقد طبع مجمع البحوث الإسلامية منه خمسة مجلدات، وكتاب "الفتاوي العصرية" للدكتور يوسف القرضاوي و"الفتاوي للشيخ الشعراوي"، و"الفتاوى" لفضيلة مفتى الديار المصرية الدكتور على جمعة، ومما يعين على الإحاطة بذلك أيضاً الاطلاع على الأسئلة الفقهية والشرعية والردود عليها ومن أبرز الكتب في هذا المجال كتاب "أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام" للشيخ عطية صقر.

على أن يراعي في ذلك ألا يكون مسارعاً إلى الفتيا إذا سُئل، بل يكون متوقفاً ومتحرزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عن ما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى، وإن سئل عن ما يشك فيه قال: لا أدري، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال إلى غيره إن كان في غيره غنْية. هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم.

وفي الخبر: { **العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنَّة قائمة، ولا أدري** }[15]، وقال الشعبي ﷺ: { **لا أدري نصف العلم** }

ثامناً: ... أن يراعي في تفسير الآيات الكونية ربطها بالنظريات العلمية الحديثة التي ثبتت مصداقيتها علمياً وتجريبياً على ألا يلوى الآيات القرآنية أو يتعسَّف في معانيها لتحقيق ذلك، ويطالع في سبيل ذلك كتب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ككتب جمال الدين الفندي والدكتور منصور حسب النبي والدكتور كارم غنيم وغيره ويمكن الاقتصار على كتاب تفسير الآيات الكونية للدكتور عبد الله شحاته، ولا ننسى بالطبع أن ننوه بقيمة مواقع الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة الموجودة على الإنترنت والتى أنشأها ثلة من العلماء المسلمين المتخصصين والثرية بالمادة العلمية القيمة والقائمة على المبادى للعلمية الصحيحة.

وننبه أيضا إلى وجوب ملاحظة الداعى عند مطالعته لكتب التفسير التراثية أن يتوقف عند تفسير السابقين للظواهر الكونية وأسبابها كالزلازل والمطر والرياح وغيرها فما وافق النظريات العصرية الثابتة قبله وتحدَّث به، وما كان غير ملائم للعصر أعرض عنها ولم يشر إليها، وذلك لأن السابقين اجتهدوا في تفسير تلك الظواهر بحسب ما وصل إليه العلم في

---

١٥ أخرجه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.

عصرهم فهذه طاقتهم، وعلينا أن نكمل مسيرتهم فنلغي أو نعدِّل آراءهم بحسب ما وصل إليه العلم اليقيني في عصرنا الحديث.

كما يجب علينا أيضاً أن نتحرز من الأخذ بالفروض والملاحظات قبل كمال تحقيقها؛ لأنها تعدّ أثناء ذلك مجرد افتراضات وليست قوانيناً ولا نظريات، وألا تكون رغبة الداعى الحكيم فى الحديث عن إعجاز القرآن أو السنة العلمى دافعا للخوض فيما لم يثبت باليقين العلمى، وأن يتعود النقل فى ذلك عن المصادر الموثوقة وأن يفهم ويعى جيداً ما يتناوله باحديثه وإلا فلا.

تاسعاً: ... عليه أن يُضْفي على العبادات والأحكام الشرعية عند ترغيب الناس في القيام بها الحكم الطبية والعلمية التي تصاحب أداءها، لماذا؟ ... لأن ذلك يشدَّ الناس شدّاً شديداً للقيام بها، فيذكر مثلاً مع الصلاة الأمراض النفسية والجسدية التي يعالجها الانتظام في أداء الصلاة، وكذلك مع الصيام يوضح الحكم الطبية والنفسية والاجتماعية للصيام وهكذا، وقد ألمحنا إلى هذا المنهج في كتابنا "مائدة المسلم بين الدين والعلم".

عاشراً: .. أن يركز في حديثه عن النبي ﷺ على شمائله وأخلاقه وصفاته، ويستطيع تحصيل ذلك من كتاب "الشمائل المحمدية للترمذي" و"أخلاق النبي للأصفهاني" و"المواهب اللدنية للقسطلاني"، وأجمع كتاب في هذا الباب "سبيل الهدى والرشاد في هدى خير العباد" للحافظ الشامي وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولنا في ذلك أيضاً كتب عدة وهى (حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق)، (الرحمة المهداة) ، (الكمالات المحمدية) ، و (إشراقات الإسراء) جزءان، وكتاب (واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ).

حادى عشر : .. وإذا كانت الدعوة فى أوساط النساء تقوم بها إمرأة داعية حكيمة..متفقهة وملتزمة ، فيلزمها إضافة لكل ماتقدم من منهج الدعاة الحكماء:

ألا تقصر في حق زوجها ولا بيتها ولا أولادها بحجة أنها مشغولة بتبليغ الدعوة، وأن تكون على دراية كاملة بفقه النساء وما يخصهنَّ من الكتاب والسنة مع معرفة الحكم الشرعي المناسب لمقتضيات مستجدات العصر، وأن ترتكز في طريقتها في الدعوة إلى الله على التبشير لا التنفير، كما أمر البشير النذير ، وعليه هذه الأيام أن تلم بالإجابات الشافية على الشبهات التى يثيرها أعداء الأسلام فى شأن علاقة الإسلام بالمرأة والميراث وغيرها.

أوصاف الداعي الحكيم

للداعي الحكيم أوصاف وعلامات كثيرة يُعرف بها، أشار إلى بعضها الإمام الغزالي رضي الله عنه في إحياء علوم الدين فقال: (**وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله ﷻ "الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد"، فأما الخشية فمن قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾** (٢٨ فاطر)، **وأما الخشوع فمن قوله: ﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ ﴾** (١٩٩ آل عمران)، **وأما التواضع فمن قوله: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾** (٨٨ الحجر)، **وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾** (١٥٩ آل عمران)، **وأما الزهد فمن قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾** (٨٠القصص)).

ويمكن إجمال أوصاف الداعي الحكيم فيما يلي:

أولاً: ... التواضع لله تعالى في كل حال، وخصوصاً عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة ... فالتواضع أكمل علامة للعلماء، لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله تعالى، وقد حصر الله تعالى خشيته في العلماء، لأن شأن العالم العارف لنفسه بنفسه الممتلئ من معرفة ربه، المتحلي بواردات قدسه ألا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً، بل يرى نفسه أقل من كل شئ، وهذا هو النظر التام، كما قيل:

إذا زاد علم المرء زاد تواضعاً ... وإذا زاد جهل المرء زاد ترفُّعاً
وفي الغصن من حمل الثمار مثاله ... فإن يعزُّ عن حمل الثمار تمنّعاً

ثانياً: ... الحلم والأناة:

لأنهما خصلتان يحبهما الله تعالى، وإذا تجرد منهما العالم هلك، لأنه يتصف بالحماقة والعجلة، فالعجلة توقعه في الخطأ، والحماقة تنفر منه الخلق والحق، فيكون ضاراً وقد يُبتلى إذا لم يتصف بالحلم والأناة بالإعجاب برأيه، والتعصب له، فيجادل من خالفه، ويؤيّد رأيه بالحجج ولو كان باطلاً.

ثالثاً: من أكمل صفات العلماء أن يُعلّموا كل فريق من الناس ما لابد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها، كما قيل:{ **لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تعلموها غير**

أهلها فتظلموها } ، ومن علّم الحكمة لغير أهلها فتح على نفسه باباً من الشر، وعلى المسلمين باباً من الفتنة، فالعالم الرباني يُعلّم الناس على قدر عقولهم ويداريهم كما قال ﷺ: { **كلّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون!، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله؟** }[١٦].

رابعاً: ... السكينة والرحمة:

فإن السكينة دليل على التمكين، وبرهان على الرسوخ في العلم والرحمة من أخص صفات العلماء بحكم الوراثة عن رسول الله ﷺ، وأجمل صفاته صلوات الله وسلامه عليه ما أثبتها الله تعالى له بقوله: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨ التوبة)، وقدّم الله عز شأنه الرحمة في الإيتاء على العلم للعالم الرباني فقال ﷺ: ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف).

خامساً: ... من أجلّ علامة العلماء الربانيين:

العمل بالعلم في السر والجهر؛ خشية من الله تعالى، والأخذ بالعزائم، ولو كان في ذلك ما تكرهه نفوسهم، أو تتألم منه أبدانهم إرضاء لله تعالى ولا يأخذون بالرخص من غير أسبابها، وذلك لكمال اقتدائهم برسول الله ﷺ فقد كان فيما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه يأخذ نفسه بالأشد ويأمر غيره بالأيسر ولذلك كان كُمَّل أصحابه رضوان الله عليهم يقتدون بفعاله قبل أقواله، لأن الإقتداء بأفعاله عزيمة.

سادساً: ... التحفظ من أن يرى رأياً فيحكم به من غير أن يتثبت من أنه حكم الله تعالى، وحكم رسوله ﷺ ، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير أو شبيه من أعمال السلف رضوان الله عليهم.

سابعاً:... الاجتهاد في سدّ باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضر ولا ينفع، الأمر الذي سبَّب فرقة المسلمين، ووقوع العداوة والشحناء بينهم، وجعل غير المسلمين يظنّون أن الدين الإسلامي مؤسس على تعصب لأشياء لا حقائق لها..

ومثال ذلك فتح باب التفاضل بين الصحابة والعلماء، أو في الآراء والمذاهب والاعتقادات، وكذلك فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله عنه، وسكت عنه رسوله رحمة

---

١٦ رواه البخاري موقوفاً على علي ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي النعيم.

بالمسلمين، فلم يحرّمها، فيقوم هؤلاء الذين تحصَّلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهـــرة، وينصبّوا بكليتهم على فتح أبواب الشُّبَه، وشغل المسلمين بما يضر ولا ينفع ..!! ناهيك عـــن الفظاظة في الأخلاق والغلظة في الطباع، والسخف في القول عند الأمر بالمعروف أو النـــهي عن المنكر!، متذرعين بحجة أن هذا من الدين وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة الـــشرعية التي أمر الله بها.. ويجهلون أنهم بذلك وقعوا في كبائر لا تحصى؛ منها مخالفة رسول الله ﷺ في أخلاقه، ومخالفة سنته في الدعوة ، وتنفير عباد الله، ووقوعهم في بغض الدين وبغـــض أهلـــه، وظنوا أنهم أحسنوا! وربما كان الذي يدعون إليه من الأمور المرغّب فيها خـــلاف الأولى، أو كان الذي ينهون عنه أيضاً خلاف الأولى.. وذلك في مثل نهيهم عن الاجتماع علـــى ذكـــر الله، أو قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة، وما شابه ذلك.

ثامناً: ... أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال، وعما يفسدها ويشوش القلب، ويهيج الوسواس، ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل:

عرفت الشَّرَّ لا للشَّرِّ لكن لتوقّيه .. .. ومن لا يعرف الشَّرَّ من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة، وأعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلـــب واللـــسان، وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلـــك مما يغلب مسيس الحاجة إليه، وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة،

ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء علـــيهم الـــصلاة والسلام وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم، وكان أكثر كلامه في خـــواطر القلـــب، وفساد الأعمال ووساوس النفس، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس.

{ وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ .. قال: من حذيفة بن اليمان }.

وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال:{ خصَّني به رسول الله ﷺ: كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه}، وقال مرة: { فعلمت أن من لا يعرف الشَّر لا يعرف الخير } ، وفي لفظ آخر:

{ كان يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا؟ يسألونه عن فضائل الأعمال، وكنت أقول يا رسول الله ما يُفسد كذا وكذا؟ فلما رآني أسأله عن آفات

الأعمال خصَّني بهذا العلم }١٧.

وكان حذيفة ﷺ أيضاً قد خُص بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه، ودقائق الفتن، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة ﷺ يسألونه عن الفتن العامة والخاصة. وكان عمر ﷺ إذا دعى إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى وإلا ترك. وكان يسمى صاحب السر.

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى، فيهتمون بمعرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة.

تاسعاً: .. أن يكون اعتماده في علومه بعد تحصيل ما يلزم كما أشرنا آنفاً على حكمته وبصيرته وإدراكه بصفاء قلبه، لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره..وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول لأتباعه مادحاً أهل علوم الإلهام رضى الله عنهم أجمعين:**{ حدثونا بما فتح الله عليكم، لا بما نقلتموه عن غيركم }.**

فإذا قلَّد صاحب الشرع ﷺ فيما أمر به وقاله، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره، فإن رسول الله ﷺ ما فعله إلا لسرّ فيه، ولا يكون عالماً إلا إذا كان شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإن اكتفى بحفظ ما يُقال كان وعاءاً للعلم، ولا يكون عالماً.

عاشراً: ... أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمورا، وإن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنَّه إطباق الخلق على ما أحدث بعض الصحابة ﷺ، وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر همهم، فقد كان ذلك في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة، ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أُخذ الدين.

ولذلك قال الإمام علي ﷺ لَمَّا قيل له: خالفت فلاناً!، قال كرم الله وجهه :

{ خيرنا أتبعنا لهذا الدين }.

---

١٧ أخرجه البخاري ومسلم

وما أجمل حديث التستري ﷺ عن العلماء العاملين والأولياء المحققين ومكانتهم حيث يقول : { **قال الله لآدم:**

يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، وخاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم إن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي، أعزهم بعزي، وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي، فبهم أمطر السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء.

هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة.

صحّت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإنّي إليهم أشد شوقاً.

يا آدم من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى، ثم طوبى لهم وحسن مآب. يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان عليَّ غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم عليَّ } [١٨]

وقال أيضاً: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:

{ **يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، فكان داود يقول في مزاميره: وَاهًا لهم! يا ليتني عاينتهم!!، يا ليت خدّي موطأ نعلهم!** } ...

قال سهل بن عبد الله ذلك ثم اصفرَّ لونه وجعل يقول:

{ **جعل الله نبيه وخليفته خادماً لمن طلبه لو عقلت – وما أظنُّك تعقل – قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنمت قربهم ومجالستهم، وبرَّهم وخدمتهم وتعاهدهم** } ١٩

---

١٨ حلية الأولياء، عن سهل بن عبدالله
١٩ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١٠ ص ١٩٣، ١٩٤.

وصية [٢٠]

أخي الداعي، يا من وهبه الله تعالى: العلم والحكمة، وجمال الأخلاق وأعانه على صرف الأوقات في عمل القربات والطاعات.

أخي: أعلم – حفظني الله وإياك من حب الدنيا والرغبة فيما فيها – أن تلك الإقامة التي أنت مقيم فيها: هي وظيفة العلماء الربانيين، والأمناء الروحانيين ورثة رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – وأبدال الصديقين والشهداء؛ فمن أقامه الله تعالى مقام رسله؛ جعل له علامات، هي الحجج المؤيدة لصدق إقامته، والبراهين التي في قوة تصديق الله أنه سبحانه قد منَّ عليه بميراث الرسل عليهم الصلاة والسلام وتلك العلامات هي:

الحرص على عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يُغضب الله بسببهم، والرأفة والرحمة بالمؤمنين، ولين الجانب، والخلق العظيم، والصبر على جفوة مَنْ يَدْعوهم، ودعوة الخلق كلٌّ على قدر عقله، ومداراة الناس، والغضب في الله، والإحسان إلى المسئ، وصلة القاطع وتأليف النافر، وترك الجدل مرة واحدة إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ويكون بالتي هي أحسن، والتباعد بالكلية عن تنفير الخلق، أو عن نية السوء، أو قصد الشر، أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام في غيبة الناس أو في مواجهتهم، والتباعد عن سماع الشر في حق الناس، والزهد فيما في أيديهم، وبذل ما في اليد لهم تألّفاً لهم، والمسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات، ومنافستهم في ذلك حتى يقلّدوا الداعي.

والشفقة عليهم، والاجتهاد في دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم في مهماتهم؛ مشاركة عملية بالمال والنفس، وذكر محاسنهم، وستر عيوبهم في غيبتهم، والاجتهاد في تنبيههم لترك المعاصي التي يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التي تركها بعضهم بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، ويبين حسن الفضيلة وجميل مآلها، فهذه الأخلاق هي التي يجب أن يكون عليها المتصف بصفات الداعي إلى الله، أو النائب عنه لأنها من أخص صفات رسول الله ﷺ ، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك أو أهلك، فمن أقامه الله بدلاً عن الصديقين والشهداء، ونائباً عن العلماء الربانيين، ثم غلبته نفسه

---

[٢٠] هذه الوصية نقلناها بتصرف من كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين للإمام أبي العزائم ﷺ لشمولها وأهميتها.

فغضب أو شتم آخر أو سبَّه، أو كرهه بقلبه، أو ظن في أخيه سوءاً!، أو قطع أخاً له لغرض من أغراض الدنيا!، أو لعلة من علل الحظوظ!، أو تهاون بواجب!، أو ترك المنافسة في عمل الخيرات!، ونافس في عمل الشرور، من كان هكذا فكأنه يريد أن لا يقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل العظيم يمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعاني، ونعوذ بالله من حال عبد يتفضل الله عليه فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله.

أيها العالم الرباني: ... بم صرت عالماً؟ قال معي: ﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ (٤٠ النمل). **نعم!** فعليك أن تشكر ربك جل جلاله: بمجاهدة نفسك، حتى تتصف بصفات أهل الفضل، أحذر أن تمنح الفضل بالفضل، وتنسى المتفضِّل وفضله، فيسلب – والعياذ بالله – الفضل بالعدل، واستعذ بالله – أيها الداعي – من السلب بعد العطاء.

توددّ إلى الأباعد، وأحسن إلى الأقارب، وغض بصرك عن عيوب إخوانك المؤمنين، واستر زلَلَهم، واعف عن مسيئهم، واصفح عن ظالمهم، واشكر الله الذي جعلك من أهل الفضل علماً وخُلقاً وحالاًوعملاً.

وتحقق أن أجمل نعمة ينعم الله بها على عبده، ويدوم بها الفضل العظيم، ويبقى في ذريته بعده: هي أن ينعم الله عليك بجميل الأخلاق، وأن يملكك نفسك فلا تخرج بك عن طاعة الله، ولا توقعك في معاصي الله.. وبذلك يحبك الله، وملائكة الله، ورسل الله، ويحبك الناس أجمعون، إلا من كرهك لأنك على الحق! وهو على الباطل في الاعتقاد والرأي والعمل، فلا يكرهك أحد من الخلق لحماقة لأنك حليم، ولا يكرهك لعمل سوء لأنك رحيم، ولا يكرهك لجفاء وقوة لأنك رءوف، ولا يكرهك لبخل لأنك كريم، ولا يكرهك لنفور منك لأنك صفوح عفو، ولا يكرهك لطمع منك لما في أيديهم لأن الله أغناك عن شرار خلقه، وجعل غناك في قلبك، ولا يكرهك لترك واجب لمسارعتك لعمل الواجب والمندوب، ولا يكرهك لسوء أدب لخشيتك من الله.

وتحقق أن بغض الناس خصوصاً الأقارب، وبالأخص الوالدين والأولاد دليل على أنك من أهل الكبائر القلبية أو البدنية!، فبادر بسرعة وتب إلى الله وجاهد نفسك متخلقاً بأخلاق العلماء الربانيين، والعارفين الروحانيين، ليدوم لك الفضل العظيم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، وتدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١١ الرعد)، أسأل الله تعالى الحفظ والسلامة، والنعم والإحسان، والفضل العظيم، والمعونة على الشكر إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثانياً: أحكام الجمعة

١- فضل يوم الجمعة

ورد أن يوم الجمعة خير أيام الأسبوع. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **{ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة. فيه خُلِق آدم ﷺ، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة}** [٢١].

وعن أبي لُبَانة البدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **{سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه خمس خِلال: خلق الله ﷻ فيه آدم ﷺ، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا آتاه الله تعالى إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض، ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا هن يُشفقن من يوم الجمعة }**[٢٢]

٢- آداب الجمعة

للجمعة آداب كثيرة منهاالغسل والتجمل والسواك والتطيب، فيستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلاً أو إمرأة، أو كان كبيراً أو صغيراً، مقيماً أو مسافراً، أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة: فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك.

وقد جاء في ذلك عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: **{ على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه، وإن كان له طيب مسَّ منه }**[٢٣]، وعن ابن سلام ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: **{ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته}**[٢٤] وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **{ لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يروح إلى المسجد ولا يفرِّق بين اثنين ثم يصلي ما كُتب له ثم يُنصت للإمام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأخرى }**[٢٥]

---

٢١ رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وصححه
٢٢ رواه أحمد وابن ماجة قال العراقي: إسناده حسن
٢٣ رواه أحمد والشيخان.
٢٤ رواه أبو داود وابن ماجة.
٢٥ (رواه أحمد والبخاري).

وكان أبو هريرة يقول: { **وثلاثة أيام زيادة، إنَّ الله يجعل الحسنة بعشرة أمثالها** }. وغفران الذنوب خاص بالصغائر لما رواه ابن ماجة عن أبي هريرة { **ما لم يغش الكبائر** }، وعن أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: {**حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة**}، وعن الطبراني في الأوسط والكبير بسند رجاله ثقاة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في جمعة من الجمع: { **يا معشر المسلمين هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك** }.

استحباب كثرة الصلاة والسلام على الرسول ﷺ ليلة الجمعة ويومها:

فعن أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {**من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ} قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرِمْتَ؟ فقال: {إن الله ﷻ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}**[٢٦]، قال ابن القيم: يستحب كثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلته لقوله: {**أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة**} ورسول الله ﷺ سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنها نالته على يده.. فجمع الله لأمته بين خيري الدنيا والآخرة فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة. فإنه فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة. وهو عيد لهم في الدنيا، ويوم يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده، وأداء القليل من حقه ﷺ أن يكثروا من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته.

استحباب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلته

فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: { **من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له نور ما بين الجمعتين** }[٢٧]. وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: { **ومن قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضئ له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين** }[٢٨]

---

٢٦ رواه الخمسة إلا الترمذي

٢٧ رواه النسائي والبيهقي والحاكم

٢٨ رواه ابن مردويه بسند لا بأس به.

ومن آداب يوم الجمعة أيضاً الدعاء فيه

ينبغي الاجتهاد في الدعاء عند آخر ساعة من يوم الجمعة فعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: قلت – ورسول الله ﷺ جالس – إنا لنجد في كتاب الله تعالى في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله ﷻ فيها شيئاً إلا قضي له حاجته. قال عبد الله: فأشار إليَّ رسول الله ﷺ، أو بعض ساعة. فقلت: صدقت، أو بعض ساعة. قلت أيّ ساعة هي؟ قال "آخر ساعة من ساعات النهار" قلت إنها ليست ساعة صلاة. قال: "بلى، إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة" (رواه ابن ماجة). وعن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: {**إن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله ﷻ فيها خيرا إلا أعطاه إياه، وهي بعد العصر**}[29]. وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: {**يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أتاه إياه، والتمسوها آخر ساعة بعد العصر**}[30].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ﷺ: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذكروا الساعة التي في يوم الجمعة، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة[31]. وقال أحمد ابن حنبل: أكثر الأحاديث في الساعة التي يُرجى فيها إجابة الدعاء أنها بعد العصر ويرجى بعد زوال الشمس. وأما حديث مسلم وأبي داود عن أبي موسى ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول في ساعة الجمعة: {**هي ما بين أن يجلس الإمام) يعني على المنبر (إلى أن تقضى الصلاة**} فقد أُعلَّ بالاضطراب والانقطاع.

والتبكير إلى الجمعة

يندب التبكير إلى صلاة الجمعة لغير الإمام. قال علقمة: خرجت مع عبد الله ابن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال: رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {**إن الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم إلى الجمعات الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، وما رابع أربعة من الله ببعيد**}[32] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة**

---

٢٩ رواه أحمد. قال العراقي: صحيح
٣٠ رواه النسائي وأبو داود والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وحسّن الحافظ إسناده في الفتح
٣١ رواه سعيد في سننه وصححه الحافظ في الفتح
٣٢ رواه ابن ماجة والمنذري

فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر}[٣٣]

وذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أن هذه الساعات هي ساعات النهار فندبوا إلى الرواح من أول النهار وذهب مالك إلى إنها أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده، وقال قوم هي أجزاء ساعة قبل الزوال وقال ابن رشد: وهو الأظهر لوجوب السعي بعد الزوال.

كراهية تخطي الرقاب

حكى الترمذي عن أهل العلم أنهم كرهوا تخطي الرقاب يوم الجمعة وشدَّدوا في ذلك، فعن عبد الله بن يُسر ﷺ قال: جاء رجل يتخطر رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال له رسول الله ﷺ: **{اجلس فقد آذيت وآنيت}**[٣٤]

ويستثنى من ذلك الإمام أو مَنْ كان بين يديه فرجة لا يصل إليها إلا بالتخطي ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذي قام منه لضرورة بشرط أن يتجنب أذى الناس. فعن عقبة بن الحارث ﷺ قال: صليت وراء رسول الله ﷺ بالمدينة العصر ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال: **{ذكرت شيئاً من تِبْر كان عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته}**[٣٥]

مشروعية التَّنفُّل قبلها

يُسن التَّنفُّل قبل الجمعة ما لم يخرج الإمام فكيف عنه بعد خروجه إلا تحية المسجد فإنها تُصلى أثناء الخطبة مع تخفيفها إلا إذا دخل في أواخر الخطبة بحيث ضاق عنها الوقت فإنها لا تصلى، فعن ابن عمر ﷺ أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ويحدِّث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. [رواه أبو داود]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **{ من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى الجمعة فصلى ما قُدِّر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام }**[٣٦]

وعن جابر ﷺ قال: دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فقال له ﷺ:

---

٣٣ رواه الجماعة إلا ابن ماجة
٣٤ رواه أبو داود والنسائي وأحمد وصححه ابن خزيمة وغيره
٣٥ رواه البخاري والنسائي
٣٦ رواه مسلم

{ صليت؟ قال: لا. قال: فصلِّ ركعتين } [رواه الجماعة]. وفي رواية: **{ إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما }**[٣٧]. وفي رواية: **{ إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين }** [متفق عليه].

تحوّل من غلبه النعاس عن مكانه

يُندَب لمن بالمسجد أن يتحول عن مكانه إلى مكان آخر إذا غلبه النعاس: لأن الحركة قد تذهب بالنعاس وتكون باعثاً على اليقظة، ويستوي في ذلك يوم الجمعة وغيره. فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **{ إذا نعس أحدكم وهو في المسجد فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره }**[٣٨]

٣- صلاة الجمعة

حكمها ودليل مشروعيتها

صلاة الجمعة فرض عين، على من توفرت فيه شروط الوجوب، الآتي ذكرها، وهي بدل عن الظهر، ودليل فرضيتها: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٩ الجمعة).

وما رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطبنا النبي ﷺ فقال: **{ إن الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة؛ من تركها من غير عذر مع إمام عادل أو جائر؛ فلا جمع الله شمله ولا بورك له في أمره، ألا ولا صلاة له ولا حج له، ألا ولا برّ له ولا صدقة له }**.

وفى صحيح مسلم، وفي مسند أحمد عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة: **{ لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرّق على رجال يتخلفون عن يوم الجمعة بيوتهم }**، وعن ابن عمر وابن عباس أنه ﷺ قال وهو على أعواد منبره: **{ لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعة أو ليختمن الله على قلوبهم }**[٣٩]

وهذه الأحاديث تفيد فرضية الجمعة على كل من استكمل شرائطها. وتحذر المسلم من التخلف عنها تحذيراً شديداً.

---

٣٧ رواه أحمد ومسلم وأبو داود

٣٨ رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والترمذي وقال حديث حسن صحيح

٣٩ أخرجه أحمد والنسائي

متى فرضت وأين فرضت؟

وقد فرضت صلاة الجمعة على الأصح، في ربيع الأول، السنة الأولى من الهجرة في المدينة المنورة، وأول جمعة صلاها النبي ﷺ، كانت في مسجد بني سالم بن عوف، وفي السادس عشر من الشهر المذكور، وقيل أنها فرضت بمكة. ولكن لم يتمكن النبي ﷺ من الجمع إليها في مكة. فأرسل إلى مصعب بن عمير وهو أول رسول يرسله النبي ﷺ إلى المدينة ليعلم المسلمين أمور دينهم فأمره أن يجمع الناس يوم الجمعة ويصلي بهم ركعتين تقرباً إلى الله تعالى، ويدل على هذا قول ابن مسعود الأنصاري ﷺ: { **أول من قدم من المهاجرين إلى المدينة مصعب بن عمير. وهو أول من جمع بها يوم الجمعة جمعهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ فصلى بهم. وهم اثنا عشر رجلاً** } [40]

وقيل صليت الجمعة بالمدينة قبل الهجرة على سبيل الجواز وفرضت بها بعد الهجرة، وهذا هو الظاهر لأن سورة الجمعة مدنية ولقول بن سيرين: **جمع أهل المدينة قبل مقدم النبي ﷺ للمدينة وقبل أن تنزل سورة الجمعة. أي قبل أن تفرض صلاة الجمعة.**

حكمة مشروعيتها

ولقد شرع الله تعالى صلاة الجمعة لكي يجتمع المسلمون من أهل القرية أو المدينة في صعيد واحد فيتعارفون ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى، وتتمكن في قلوبهم أواصر المودة والرحمة، وليستمعوا إلى شئ من النصح والإرشاد يلقيه على مسامعهم إمامهم ومعلمهم فتقوى به عزائمهم على فعل الخير، وتعلو هممهم إلى فعل ما أمروا به، وتصفوا نفوسهم من أكدارها وتطهر قلوبهم من كوامن الحقد، والحسد، والغل، والضغينة، وغير ذلك.

من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب؟

تجب الجمعة على المسلم، العاقل، البالغ، الذكر، الحر، المقيم، القادر على الإتيان إلى المكان الذي تُقام في الجمعة، غير المعذور.، ولا تجب الجمعة على الكافر بناء على إنه غير مخاطب بفروع الشريعة. إذ الواجب عليه أولاً الإسلام فإن أسلم وجبت عليه جميع الفرائض. وقيل تجب عليه الجمعة، وسائر الصلوات، وجميع الفرائض، فهو مُطالب بأصول الشريعة وفروعها، ولا تجب الجمعة ولا سائر الفرائض على مجنون لقوله ﷺ: { **رفع القلم عن ثلاث:**

---

٤٠ أخرجه الطبراني

المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ }[٤١]

ولا تجب الجمعة على الصبي ولكنه لو أتاها تصح منه، لا تجب على المرأة ولكن لو أدقا مع الجماعة صحت منها، وسدّت مسدّ الظهر، ولا تجب على العبد[٤٢]، ولكن لو أداها، صحت منه، ونابت عن الظهر.

ولا تجب صلاة الجمعة على المسافر سفراً قصيراً عند الحنفية والحنابلة، إلا إذا نوى الإقامة. ومسافة القصر، تُقدر بنحو تسعة وثمانين كيلو متراً. ويرى الشافعية والمالكية أن المسافر لا تجب عليه صلاة الجمعة حتى ولو كان سفره قصيراً، إذا ابتعد عن البلد بنحو فرسخ، والفرسخ ثلاثة أميال. وقد قال عبد الله بن قدامة: (أما المسافر، فأكثر أهل العلم أن لا جمعة عليه، وحكى الزهري والنخعي إنها تجب عليه لأن الجماعة تجب عليه، فالجمعة أولى).

ولا تجب الجمعة على العاجز عن الإتيان إلى المكان الذي تقام فيه؛ بأن كان مريضاً، أو مقعداً، أو أعمى لا يجد من يقوده، ولا يهتدي بنفسه إلى محل الجامع. ويلحق بالعاجز من كان له عذر يمنعه من الحضور إليها، بأن كان ممرضاً يحتاج إليه المريض، ولو تركه يزداد مرضه، أو يتأخر شفاؤه، أو كان طبيباً يجري عملية جراحية – مثلاً – أو كان محبوساً لا يستطيع الخروج من حبسه؛ ونحو ذلك من الأعذار الضرورية، والدين يسر، والطاعة على قدر الطاقة، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٧٨الحج). وقال عز شأنه ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (١٨٥البقرة).

مكان الجمعة

قال المالكية والشافعية: لا تصح الجمعة إلا في المسجد الجامع، وقال الحنفية والحنابلة، وجمهور من الفقهاء – على اختلاف مذاهبهم -- تصح في أي مكان يجتمع فيه المسلمون. لما روى أن عمر بن الخطاب كتب لأهل البحرين: **{أن جمعوا حيثما كنتم }**[٤٣].

آذان الجمعة

يسأل كثير من الناس، هل للجمعة أكثر من آذان؟ ونرى بعض المساجد في مصر يؤذن فيها للجمعة آذان واحد، وبعض المساجد يؤذن لها آذانان، فأي السبيلين أحق أن يتبع؟.

---

٤١ أخرجه أحمد

٤٢ والعبد هو إنسان، أسره المسلمون في معركة حربية، وقعت بين المسلمين وغير المسلمين لإعلاء كلمة الله، فهذا الأسير وأبناؤه، وأبناء أبنائه يكونون رقيقاً، لمالكهم الحق في بيعهم، والانتفاع بهم، ولا أظن أن هناك رقيقاً الآن، يصح تملكهم، لانقطاع الحروب الإسلامية منذ زمن بعيد.

٤٣ رواه أبو شيبة

وللجواب على ذلك أقول: كلا الأمرين حسن؛ ولا داعي للنزاع، فمن أذَّن للجمعة أذاناً واحداً فهو على ما كان عليه رسول الله ﷺ. ومن أذن لها أذانين، فهو على ما كان عليه عثمان بن عفان ﷺ، ومن جاء بعده. وعثمان هو الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعمل بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وقال ﷺ: {**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ عضُّوا عليها بالنواجذ**}[44]

عن أبي يزيد ﷺ قال: { **النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان، وكثر الناس، زاد النداء الثالث على الزوراء، ولم يكن للنبي ﷺ مؤذّن غير واحد**}[45]. وفي رواية أخرى للبخاري وغيره: { **فلما كانت خلافة عثمان، وكثروا أمر عثمان يوم الجمعة بالآذان الثالث وأذّن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك**}. أي أخذ الناس بسنة عثمان فجعلوا للجمعة أذانين.

العدد الذي تنعقد به الجمعة

أجمعت الأمة على أن الجماعة شرط في صحة الجمعة، ولكنهم اختلفوا في العدد الذي تنعقد به على أربعة عشر قولاً: فقال فقهاء الظاهر: تنعقد الجمعة بإثنين فأكثر لأنها صلاة كسائر الصلوات؛ ولم يرد ما يخصصها بعدد معين، وقد رجح الشوكاني هذا الرأي وقال في كتابه [نيل الأوطار] بعد أن سرد أقوال الفقهاء وقد بلغت خمسة عشر قولاً قال: (**وأعلم أنه لا مستند لاشتراط ثمانين، أو ثلاثين، أو عشرين، أو تسعة، أو سبعة كما أنه لا مستند لصحتها من الواحد المنفرد. وأما من قال: إنها تصح بإثنين، فاستدل بأن العدد واجب بالحديث والإجماع. ورأى أنه يثبت دليل على اشتراط عدد مخصوص. وقد صحت الجماعة في سائر الصلوات باثنين. ولا فرق بينها وبين الجماعة. ولم يأت نص من رسول الله ﷺ بأن الجمعة لا تنعقد إلا بكذا. وهذا القول هو الراجح عندي**).

وقال الحنيفة في المشهور عنهم تنعقد الجمعة بثلاثة غير الإمام، باعتبار أن أقل العدد ثلاثة غيرالإمام الذي يخطب ويعظ، وقد رجح السيوطي هذا الرأي في كتابه (الحاوي للفتاوي) بعد أن سرد أقوال الفقهاء وفند أدلتهم. وقال: هذا ما أدَّاني إليه اجتهادي.

وللمالكية في هذه المسألة قولان مشهوران: قول بأنها تنعقد بإثنى عشر رجلاً غير الإمام باقين من أول الخطبة إلى نهاية الصلاة. مستدلين بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد

---

٤٤ رواه البخاري
٤٥ أخرجه البخاري وغيره، والزّوراء مكان مرتفع بسوق المدينة

الله أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة، فجاءت عيرٌ من الشام فانفتل الناس إليها، حتى لم يبق إلا إثنا عشر رجلاً فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾، والقول الثاني بأن العدد غير مقدر شرعاً، بل تنعقد الجمعة بأي عدد تتكون به قرية لكن لا تنعقد بالثلاثة، ولا بالأربعة لأنه عدد لا تتكون به قرية ورجح هذا القول الأخير الحافظ بن حجر في (فتح الباري).

وقالت الشافعية: تنعقد الجمعة بأربعين رجلاً غير الإمام، أخذاً بمذهب عمر بن عبد العزيز ﷺ، قال الشافعي في الأمّ: "أخبرنا الثقة عن سليمان بن موسى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل المياة (حيث الماء) فيما بين الشام إلى مكة: جَمِّعوا إذا بلغتم أربعين رجلاً".

وجوب السعي إلى الجمعة

اتفق جمهور الفقهاء على وجوب السعي إلى الجمعة، عند الآذان الأول، لقوله الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩الجمعة). والمراد بالسعي، الذهاب إليها مشياً وسطاً، بين الإسراع والإبطاء. والمراد بذكر الله هنا الصلاة. لقوله سبحانه وتعالى ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٤٥العنكبوت)، ولقوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤طه)، وقال جماعة من المفسرين: المراد بذكر الله هنا: الخطبة لاشتمالها على حمد الله والثناء عليه والتذكير بآياته.

حرمة البيع عند سماع الآذان

وتفيد الآية أيضاً حرمة البيع والشراء عند سماع الآذان. وقد اختلف الفقهاء في فسخ البيع إذا وقع مع الآذان الأول أو بعده. فقال جماعة: يفسخ ولا ينعقد، وقال جماعة: لا يفسخ، بل يمضي، ويصح، والكل متفق على حرمته.

٤- خطبة الجمعة

حكمها

يرى أكثر الفقهاء أن خطبة الجمعة واجبة؛ وهي شرط في صحة الجمعة، واستدلوا بقوله الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.(٩الجمعة)، فالسعي إلى الخطبة واجب ولا يكون السعي واجباً إلا لشئ واجب، والخطبة واجبة. وهذا بناء على أن المراد بذكر الله في الآية الخطبة لاشتمالها على حمد الله، والثناء

عليه، والتذكير بآياته، كما قدمنا.

واستدلوا – أيضاً – بفعله ﷺ، فقد كان يفعلها، ويداوم على فعلها، ولم يثبت أنه تركها، إلى أن لقى الله ﷻ، وقد قال ﷺ : **{صلوا كما رأيتموني أصلي }**، وقد نقل الشيخ منصور بن إدريس وغيره عن عمر وعائشة ﵄ أنهما قالا: **{ قصرت الصلاة من أجل الخطبتين، فهما بدل ركعتين. فالإخلال بإحداهما إخلال بإحدى الركعتين }**.

أركان خطبة الجمعة

قال الشافعية والحنابلة: أركانها: الحمد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ والوصية بالتقوى في كل من الخطبتين، وقراءة آية من القرآن في إحداهما، وكذا الدعاء للمؤمنين والمؤمنات في آخر الخطبة الثانية. وقال المالكية، وكثير من الحنفية: ركنها الذكر الطويل، المشتمل على تحذير، وتبشير، المسمى بالخطبة عُرْفاً وأقله قدر التشهد أو ثلاث آيات.

شروط خطبة الجمعة

يشترط عند المالكية والشافعية، والحنابلة في المشهور عنهم، أن تكون الخطبة خطبتين، ليستريح بينهما الخطيب استراحة خفيفة؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، قال ابن عمر ﵄: **{كان النبي ﷺ يخطب خطبتين، كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن؛ ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب }**[٤٦].

وقال الحنفية: الخطبة الأولى شرط في صحة الجمعة؛ والخطبة الثانية سنة ووافقهم في هذا أحمد بن حنبل، في رواية عنه.

ويشترط عند الجمهور أن تكون الخطبتان من قيام، إلا لعذر لحديث ابن عمر المتقدم. ولم يثبت أن النبي ﷺ خطب جالساً ولا الخلفاء الراشدون من بعده. وقد روى ان أول من خطب جالساً هو معاوية بن أبي سفيان، لما أمتلأ جسمه وثقل لحمه.

ويشترط لها الطهارة؛ وقيل: لا يشترط في صحتها الطهارة فلو خطب وهو محدث صحت خطبته، مع الكراهة. والأصح إنها شرط في صحة الخطبة لأن الخطبة شرط في صحة الصلاة، فهي كالجزء منها. والله أعلم، ويشترط أيضاً الجلوس بين الخطبتين عند الشافعية والمالكية، وجمهور من الفقهاء، لحديث ابن عمر المتقدم.

---

٤٦ أخرجه أبو داود وغيره بألفاظ متقاربة

سنن الخطبة

وللخطبة سنن كثيرة، نذكر بعضها فيما يلي:

يُسن للخطيب أن يُلْقي السلام على من بجوار المنبر، قبل أن يصعد عليه، إذا كان قد خرج عليهم من حجرته، أو كان قادماً من خارج المسجد، أما إذا كان جالساً بينهم، فلا يُسنّ له إلقاء السلام عليهم، فيما أعلم.

ويُسنّ للخطيب أن يسلم على الناس، بعد صعود المنبر ويلتفت إليهم بوجهه، فقد كان النبي ﷺ يفعله. فعن ابن عمر ﷺ فيما أخرجه البيهقي قال:

{ كان رسول الله ﷺ إذا دنا من منبره يوم الجمعة، سلّم على من عنده من الجلوس، فإذا صعد المنبر، استقبل الناس بوجهه، ثم سلّم قبل أن يجلس }.

ويُسن أن تكون الخطبة على مكان مرتفع حتى يراه الناس. وقد كان للنبي ﷺ منبر من ثلاث درجات، كما يُسن للخطيب أن يرفع صوته بالخطبة، لإسماع الحاضرين، وإظهار الشهامة، وتفخيم أمر الخطبة، والإتيان فيها بجزيل الكلام، مع مراعاة مقتضى حال الحاضرين، وما يحتاجون إليه من المواعظ والإرشادات.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ: **{ كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومسّاكم }**. أي كأنه ينذر الناس باقتراب العدو منهم فهو يصل إليهم في الصباح أو في المساء. وهذا كناية عن التخويف الذي يملأ القلوب. عند سماع خطبته عليه الصلاة والسلام.

ويُسن للخطيب أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، فلا يحدثهم حديثاً لا يفهمونه ولا يكون في كلامه متشدْقاً، ولا متقرعاً، فإن ذلك يفسد الخطبة، ويضيع حكمتها، ويجعل السامعين ينصرفون عنه ويملّون حديثه.

وقد كان علي كرم الله وجهه يقول فيما أخرجه البخاري: **{ حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟ }**، كما يُسن تقصير الخطبة، تقصيراً معتدلاً، حتى لا يملّها الناس. لقول جابر بن سمرة ﷺ: **{ كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هي كلمات يسيرات }** [٤٧]

---

٤٧ أخرجه أبو داود

الكلام أثناء الخطبة

اتفق جمهور الفقهاء على أن الكلام أثناء الخطبة حرام، حتى ولو كان أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر. عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { **من تكلم يوم الجمعة، والإمام يخطب، فهو كالحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول أنصت، لا جمعة له** }[٤٨].

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال:

{ **يحضر الجمعة ثلاثة نفر: فرجل حضرها يلغو، فهو حظّه منها، ورجل حضرها يدعو فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكوت، ولم يتخطّ رقبة مسلم، ولم يؤذ أحداً، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾** (١٦٩الأنعام)}[٤٩].

وقد رخص بعض الفقهاء في رد السلام، وتشميت العاطس، فقالوا: لو ألقى رجل على رجل السلام، والخطيب يخطب، فردَّ عليه، فلا بأس في ذلك، وكذلك لو عطس أحد الحاضرين فقال الحمد لله فقال له من بجواره يرحمك الله، فلا بأس في ذلك أيضاً.

هذا والأولى على من دخل المسجد، والخطيب يخطب، أو كان الناس في مجلس علم، ألا يلقي السلام عليهم، ويجلس حيث انتهى به المجلس.

كيفية صلاة الجمعة

إذا فرغ الخطيب من الخطبة. وأقيمت الصلاة، صلى ركعتين يقرأ فيهما جهراً بفاتحة وسورة في كل ركعة.

ويُستحب أن يقرأ في الركعة الأولى سورة الجمعة وفى الركعة الثانية سورة المنافقين، أو يقرأ فى الركعة الأولى سبح اسم بك الأعلى. وفي الركعة الثانية هل آتاك حديث الغاشية، وذلك لما رواه الشيخان عن عن أبي هريرة ﷺ : { **أنه قرأ في الجمعة بسورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون، قال عبيد الله: فقلت لهم: قد قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب ﷺ يقرأ بهما في الجمعة! فقال إن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهما** }.

ولما رواه سمرة بن جندب فيما أخرجه الشافعي وأبو داود وأحمد أن النبى ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية.

٤٨ رواه أحمد وابن أبي شيبة
٤٩ رواه أحمد وأبو داود

هل يجوز أن يكون الإمام غير الخطيب؟

أجاز الحنابلة والشافعية في المشهور عنهم أن يكون الإمام الذي يصلي بالناس الجمعة غير الخطيب، وقال المالكية: لا يجوز أن يكون الإمام غير الخطيب، إلا إذا حدث له عذر كحدث أو رعاف، فإنه يجوز أن يستخلف غيره، بشرط أن يستغرق ذلك حدثه وقتاً يسع ركعتين، وإلا وجب عليهم انتظاره.

ما تدرك به الجمعة

تدرك الجمعة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وجمهور من فقهاء الحنفية بإدراك ركعة مع الإمام، فإن أدرك المأموم الإمام وهو راكع، نوى الجمعة، وركع معه، وأتى بركعة أخرى، بعد سلام الإمام، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البيهقي عن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: { من **أدرك من الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى، فإن أدركهم جلوساً صلَّى أربعاً** }.

لا ظهر بعد الجمعة ولا قبلها

كثير من الناس يصلون الظهر، بعد الجمعة ويعتقدون أن الشافعي ﷺ أفتى بذلك، ويتعللون بأن الجمعة لمن سبق، إذا تعددت المساجد، وهم لا يعرفون من السابق، ومن المسبوق. لذا فهم يزعمون إنهم يصلون الظهر إحتياطاً، وهذا خلاف ما عليه جمهور الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وما نسبوه إلى الشافعي غير صحيح.

قال النووي وهو إمام من أئمة الشافعية من لزمته الجمعة لا يجوز أن يصلي الظهر قبل فوات الجمعة، بلا خلاف، لأنه مخاطب بالجمعة فإن صلى الظهر قبل فوات الجمعة، فقولان مشهوران: الصحيح بطلانها ويلزمه إعادتها، لأن الغرض هو الجمعة. انتهى.

أقول: وصلاتهم الظهر بعد الجمعة، تجعل الصلوات المفروضة في اليوم ستة، وهو مخالف لإجماع الأمة، وهي بدعة، ينبغي على الفقهاء المعاصرين أن يحاربوها.

ولم أجد فيما قرأت من كتب الفقه أحداً نصَّ على جواز صلاة الظهر، بعد الجمعة، ولا قبلها، والله أعلم.

الباب الأول

الهجرة ويوم عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

(٣٠ الأنفال)

الخطبة الأولى[٥٠]

مع مطلع العام الهجري

الحمد لله .... الفتاح العليم هو الأول بلا بداية و الآخر بلا نهاية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أول قبل كل أول وآخر بعد كل آخر هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله نور الله الساطع وبرهانه القاطع وحجته الظاهرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لكل فضل والباب لكل خير وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي ... فإن لكل مؤمن هجرة في مناسبة الهجرة وهجرة المؤمن في هذه المناسبة الكريمة هي في قوله ﷺ **{المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمؤمن من آمن جاره بوائقه [يعني شروره وآثامه] والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه}** [٥١].

فالمؤمن في نهاية عام وبداية عام جديد لابد له من وقفة مع نفسه يقلّب صفحات العام الماضي أمام عينيه فما وجد فيها من عمل حسن شكر الله ﷻ عليه وسأله أن يزيده منه وما وجد فيه من عمل فيه إثم أو زور أو غفلة أو جهالة سواء كان عن قصد أو عن غير قصد تاب إلى الله ﷻ منه وسأله أن يسعه بواسع مغفرته وشامل رحمته ﷻ .

ولذلك كان دأب السلف الصالح ﷺ أن يجعلوا اليوم الأخير من العام كله للتوبة والاستغفار مما مضى من الذنوب والآثام فلا تكل ألسنتهم من الاستغفار وتقف أفئدتهم وقلوبهم على باب التواب الغفار تسأله بقلوب منكسرة وأبدان خاشعة غفران ما مضى والعفو عما سلف ويضرعون إليه أن يوفقهم فيما بقى من الأوقات والأيام والأنفاس وكانوا يحرصون أن تكون نهاية العام خير وبدايته خير فتطوى صحف العام الماضي بالأعمال الصالحة فيجعلون الليلة الختامية للعام مع الله في كتاب الله أو في عبادة واردة في كتاب الله أو مأثورة عن سيدنا رسول الله أو على الأقل يغلقون ألسنتهم في هذه الليلة عن الخنا والفجور وقول الزور واللغو فضلاً عن الغيبة والنميمة وما شابه ذلك لقوله ﷺ: **{إِنَّمَا الأَعْمَالُ**

---

٥٠ كانت هذه الخطبة في مسجد الإمام علي بن أبي طالب بمدينة الإسماعيلية يوم الجمعة ٥ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٥/١م.
٥١ متفق عليه.

يخَوَاتِيمِهَا}[٥٢] فإذا ختم العام بخير لعل الله يأتي على ما فيه من ذنوب وسيئات فيمحوها بل ربما يبدلها كما قال عز شأنه بحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ (٧٠الفرقان).

وقد قال ﷺ حديثاً عظيماً وأصلاً كريماً وعملاً سهلاً يسيراً على كل مؤمن فقال ﷺ : **{ إذا قال العبد المؤمن لا إله إلا الله ذهبت إلى صحيفته فمحت كل سيئة تقابلها حتى تجد حسنة تقف بجوارها }**[٥٣] يعنى ما بينها وبين العمل الصالح المسجل في صحيفتك تمحوه أي أن لا إله إلا الله تمحو ما قبلها من الخطايا ويفتتحون هذا العام بالصيام لقوله ﷺ: **{أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ}**[٥٤].

ولا شك أن العمل الذي بدايته الصيام عمل ناجح وصالح على الدوام لما ورد فى الأثر **{ إذا أحب الله عبداً وفقه لأفضل الأعمال في أفضل الأوقات }** وكان بعضهم يفتتح في هذا اليوم القرآن الكريم ولا يتركه حتى يأتي على نهايته، ومن كان يعلم من نفسه العجز كان يقرأ في صبيحة ذلك اليوم بسم الله الرحمن الرحيم مائة وأربع عشرة مرة يعني بعدد سور القرآن الكريم، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص لأنه ورد في الحديث الشريف أنها ثلث القرآن، وكان كثير منهم يصلي في هذه الليلة أو هذا اليوم صلاة التسابيح لوصية رسول الله ﷺ لعمه العباس في شأنها حيث قال له ﷺ : **{ يَا عَبَّاسُ يَاعَمَّاهُ أَلاَ أُعْطِيكَ؟ أَلاَ أَمْنَحُكَ؟ أَلاَ أَحْبُوكَ؟ أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إذا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ الله لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثم وصفها له وقال له في نهايتها: إن اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيهَا في كُلِّ يَوْمٍ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً }**[٥٥] فكانوا يبدأون العام بهذه الصلاة طلباً لمغفرة الله ورجاءاً فيما عند الله ﷻ.

أما الهجرة التي يهاجرونها فإن كل مؤمن في هذا العام الجديد يراجع نفسه ويطابق أوصاف نفسه على ما ورد عن الحبيب المختار ﷺ من ناحية الأخلاق والعبادات والعادات والمعاملات فإن وجد في نفسه خلقاً لا يتطابق مع الشمائل المحمدية هجره وكان في ذلك هجرته وانتقل إلى الأفضل والأعظم بمعنى إذا وجد في نفسه شيئاً من الكبر ومن صفات الحبيب ﷺ التواضع هجر الكبر وسارع إلى التخلق بالتواضع لله ﷻ ويحثه على ذلك قوله

٥٢ رواه ابن حبان في صحيحه والبخاري والطبراني في الكبير، والدار قطني في السنن عن سهل ابن سعد.
٥٣ رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس.
٥٤ رواه أحمد وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة.
٥٥ رواه ابن ماجة في سننه والبيهقي في سننه، السيوطي في الكبير، وأبو داود في سننه والحاكم والترمذي عن ابن عباس.

ﷺ: { لاَ يَدْخُلُ الْجَنّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إنّ الرّجُلَ يُحِبّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنّ الله جَمِيلٌ يُحِبّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقّ وَغَمْطُ النّاسِ}[٥٦] [يعني عدم الاعتراف بالحق مع التلبس بالباطل يعني يرى الإنسان نفسه مخطئاً ولا يعترف بخطئه ويصر أنه على صواب] لأن الاعتراف بالحق فضيلة وهذا مرض قد شاع وانتشر في عصرنا وزماننا.. فإن المرء يعرف ويتيقن أنه على خطأ ولكنه يكابر ويجادل ويرفض الاعتراف بذلك وليس هذا من شرع الله ولا من دين الله في قليل أو كثير بل هو كما نعى على أهله الله ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (٢٠٦البقرة) ، لأن المؤمن يعترف بخطئه ولو كان مع طفل صغير فضلاً عن امرأة أو صبي أو أخ أو مسلم مهما كان شأنه فإن الاعتراف بالخطأ يمحو الضغينة في قلوب الآخرين ويستل الحقد من قلوب الآخرين لأن اعتراف الإنسان يكون بمثابة غسيل لقلوب الآخرين ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)، وكذا إن كان يجد في نفسه غلظة بدلها بالشفقة والرحمة وجعل قدوته قول الله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)، وإن وجد في نفسه شحاً عالجه بالكرم المحمدي وإن وجد في نفسه عجلة عالج ذلك بالحلم النبوي وهكذا ينظر في أخلاقه: ويقيسها بشمائل وصفات وأخلاق رسول الله ﷺ ويتلو في ذلك بعمله لا بلسانه قول الله ﷻ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) ، وقس على ذلك بقية الشمائل والأخلاق.

ثم ينتقل إلى عباداته فإن وجد في عباداته تكاسلاً أو تراخياً أو قلة إخبات وخشوع وخضوع رجع إلى نفسه ليصلح من شأنه فإن وجد نفسه يصلي الصبح بعد شروق الشمس فليبكي بدل الدمع دماً وإذا وجد أن نفسه لا تتأسف على ذلك ولا تحزن على ذلك فإن الذي يستيقظ من نومه بعد الشمس ولا يجد في قلبه لوماً ولا توبيخاً ولا تعنيفاً لنفسه فقد سقط من عين الله ﷻ لأن من عظمة الله جعله يعظم فرائضه ومن سقط من عين الله ﷻ جعله يتكاسل ويتراخى عن فرائضه وقد وصف بذلك المنافقين فقال ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٢النساء)، وقال ﷺ: { بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ، لاَ يَسْتَطِيعُونَهُمَا }[٥٧]، وقال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: (أتى علينا وقت في زمن رسول الله ﷺ كان لا يتخلف عن صلاة الجماعة في وقتها إلا منافق ظاهر النفاق) فيتخلص من أمثال هذه العادات وأيضاً إذا وجد نفسه يجلس يتحدث أو

٥٦ رواه مسلم والسيوطي في الفتح الكبير عن ابن مسعود.
٥٧ رواه الطبراني في الكبير عن قتادة، والأوسط عن عائشة.

يجلس وليس له عمل ويستمع إلى الآذان ولا يجد من نفسه عزيمة ولا حركة لتلبية الآذان في وقته فليعلم علم اليقين أنه في هذا الوقت ممن باءوا بالخزلان من الرحمن ﷻ لأن الله لا يحضر أمام حضرته في الصف الأول في الوقت الأول إلا من يحبه ﷻ، وفى الأثر كما أسلفنا: { **إذا أحب الله عبداً سخره لأفضل الأعمال في أفضل الأوقات** } وقد قال له سيدنا جابر ﷺ لرسول الله ﷺ: { **أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا** }[٥٨] .

ثم بعد ذلك يكون للمسلم وقفة مع عاداته فإن كانت عاداته توافق شرع الله حمد الله عليها وذلك كعاداته في أكله وفي شربه وفي زيه وفي نومه وفى مشيه وفي حديثه وفي جلوسه مع الآخرين فإن كان من الذين ﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧الفرقان)، فرح وبشر نفسه لأنه من عباد الرحمن. أما إذا كان مقتراً على نفسه، وأهله مع السعة أو مبذراً فإن هذه علامة أن الله لا يحبه لقوله ﷻ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١الأنعام) ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (٢٧الإسراء).

فمثلاً إن كان يشرب دخاناً فالله ﷻ أمرنا أن نشكره على النعم ومن أجل النعم نعمة المال وهل يليق بمؤمن أعطاه الله المال أن يشكره بحرق هذا المال؟ هذا مع أنه يحرق مع المال صدره ورئتيه وأعضاء جسمه لا يحرق المال فقط بل يضر نفسه ويضيق على أهل بيته فليهجر هذه العادة الذميمة مع مطلع العام الهجري الجديد ليكون من المهاجرين ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ ما جزاؤهم؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (٨الحشر).. إذا كان يجالس بعض الغافلين الذين يخوضون بالباطل في أعراض الآخرين ولا يتورعون عن الغيبة والنميمة فليمتثل لقول ملك الملوك ﷻ ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)، يهجر هذه المجالس ويجالس الذين أمر الله المؤمنين أن يجالسوهم في قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

وكذلك إذا كان له عادات في مشيه وفي نومه وفي حديثه لا تطابق ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله فليهجرها ليكون مهاجراً وكذلك في معاملاته.. فالرجل الصالح في زماننا هو الذي يتعامل مع الخلق على سنة سيد الخلق ﷺ فلو كانت الكذبة الواحدة ستدر عليه ملايين الدولارات يرفضها ويأباها لأن فيها مخالفة لله ومخالفة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ ويكفي أن الكاذب يدخل في قول الله ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٦١آل عمران)

---

٥٨ رواه مسلم عن ابن مسعود، والخطيب عن أنس والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود.

، فلا يدخل في لهو ولا في مزاح ولا في جد لا مع صبيان ولا مع أهله ولا مع إخوانه لأن المؤمن الصادق في كل أقواله وأعماله فيتحرى في تعامله مع إخوانه أن يكون من المؤمنين وهذا يقتضي أن يتبرأ من الغش لقول سيد الأولين والآخرين: **{مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا}**[59] فلا يغش الأمة أو أي فرد من الأمة في نصيحة أو في قول أو في عمل أو في بيع أو في شراء أو ما شابه ذلك فلو طالبه إنسان بنصيحة وقال خلاف ما يعرف ويعلم إن ذلك خلاف الحقيقة فهو غش يحاسب عليه يوم الدين وما أكثر الغشاشين في زماننا بهذه الطريقة.

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، قال ﷺ: **{التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}**[60]، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، المنعم بجلائل النعم على من آمن بالله ورضى بما قسم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خزائن رزقه لا تنفد وكنوز جوده لا تنتهي. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نور الأتقياء، وسراج الأولياء وشمس البهاء يوم اللقاء، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة المهداة، والنعمة المسداة لجميع خلق الله وعلى آله وأصحابه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله.. إذن عرفنا من هو المهاجر؟

المهاجر هو الذي يهجر من نفسه خلقاً ذميماً أو عادة سيئة أو معاملة غير طيبة وقد قال الإمام أبو يزيد البسطامي ﷺ (ليست الكرامة أن تطير في الهواء لأن أي طائر يفعل ذلك، ولا أن تمشي على الماء لأن الأسماك تستطيع ذلك، ولا أن تقطع ما بين المشرق والمغرب في لحظة لأن إبليس يفعل ذلك ولكن الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن).

وهذه هي العظة الكبرى من الهجرة فإن النبي ﷺ استطاع أن يغير أخلاق العرب من الفسق والفجور والظلم والكبرياء واللهو والمجون والفخر بالآباء والأجداد والأحساب والأنساب إلى فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى.

قال ﷺ: **{المهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه}**،.

<< ثم الدعاء >>.

---

٥٩ رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في سننه وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.

٦٠ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الخطبة الثانية[61]

كفاية الله لرسوله ﷺ أمر الكافرين

الحمد لله ربِّ العالمين، يتولى بنصره عباده المؤمنين، وأولياءه الصادقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم التنزيل ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (١٢٦آل عمران) ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الذي كان الحق شعاره والإخلاص دثاره والاعتماد على الله فخاره.

اللهم صلّ وسلم وبارك على باب لطفك الخفي، وسر كرمك الرباني سيدنا محمد التقي النقي الصفي الوفي وآله وصحبه أصحاب المقام العلي وعلينا معهم بجودك وكرمك يا علي يا واسع يا ولي.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. كان فيما استمعنا إليه قبل الصلاة وعد كريم من العزيز الحكيم وعد فيه بالنصر عباده المؤمنين وحزبه المفلحين فقال ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ (٥١غافر)، وقد أكد الوعد بإنَّا وزاد تأكيده بلام التوكيد ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ وليس الرسل وحدهم ولكنه شملنا معهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي نحن ننصر الرسل والمؤمنين الذين معهم، في أي مكان يا رب؟ قال في الحياتين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، في الدنيا وفي الآخرة أظن بعد هذا الوعد ماذا يريد الإنسان بعد ذلك؟ عندما يكون الوعد صريحاً من الله بأن الله يتعهد ويؤكد وليس بأداة واحدة من أدوات التوكيد ولكن بأكثر من أداة بأنه سينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ماذا يريد المؤمن بعد ذلك من الله؟

هذا الوعد ظهر بأجلى مظهره في هجرة سيدنا رسول الله ﷺ فالكفر كله تحدى رسول الله ووقفوا جميعاً ضده حتى كان ﷺ يتجشم الصعاب من أجل أن يبلغ دعوة الله، فقد كان العرب يأتون للحج من أول شهر شوال يعني عقب عيد الفطر وكان لهم ثلاثة أسواق سوق عند مكة وهو عكاظ، وسوق عند منى وهو ذي المجنة وسوق قريب من عرفات وهو ذي المجاز فيخرجون من هذا السوق إلى هذا السوق إلى هذا السوق، ويذهب رسول الله لتبليغ دعوة الله فيأتي الوليد بن المغيرة عليه لعنة الله وكان قائد الفريق الذي يتزعم القضاء على دعوة رسول الله، وأبو لهب قائد فرقة المطاردة التي تطارد رسول الله، فيحضر الوليد بن

[61] كانت هذه الخطبة بمسجد قرية ميانة مركز مغاغة محافظة المنيا الجمعة ١٠ من المحرم ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٨/٨/٢٢م.

المغيرة ليرى القبائل التي تصل إلى مكة أو إلى هذه الأسواق، وكانت تأتي من اثنى عشر طريقاً فكان يقسم أعوانه إلى اثنى عشر فريق وكل فريق له أربعة يقفون بالتناوب اثنان يسلموا اثنين بحيث يقفون على الطريق طوال الوقت يصفون الرسول ﷺ لهؤلاء القوم ويصفونه بأنه ساحر أو مجنون ويقولون لهم نحن قومه وأعرف الناس به فلا تسمعوا لكلامه ويحذرونهم تحذيراً شديداً من رسول الله ﷺ.

أما الفرقة الثانية بقيادة عمه أبي لهب وكان اسمه عبد العزى فقد كان يسير خلفه على الدوام وكلما يجلس الرسول مع جماعة ويكلمهم يقول أبو لهب لا تسمعوا لكلامه هذا ابن أخي وأنا أعرف به فلا تصدقوه فيقولون له إذا كان عمك يقول فيك هذا الكلام.. عندما تتبعك عائلتك وعمك نتبعك نحن هذا في الأسواق.

أما في داخل مكة فكانت فرق الاستهزاء برسول الله جماعة يصفرون عليه عندما يمشي وجماعة يصفقون ويطبلون عندما يرونه ماشياً وجماعة عندما يرونه يمشون أمامه وخلفه ويتهكمون ويستهزءون ويتغامزون عليه !! كل هذه ألوان لمعاكسة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يؤيده الله ﷻ { وقد استهزأ أحدهم بالنبى عليه السلام فى بعض الاوقات حيث سار خلفه عليه السلام فجعل يخلج انفه وفمه يسخر به فاطلع ﷺ عليه فقال له «كن كذلك» فكان كذلك الى ان مات لعنه الله واستهزأ به عليه السلام عتبة بن ابى معيط ببصق فى وجهه فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا ومر عليه السلام بجماعة من كفار اهل مكة فجعلوا يغمزون فى قفاه ويقولون هذا يزعم انه نبى وكان معه عليه السلام جبريل فغمز جبريل باصبعه فى اجسادهم فصاروا جروحا وانتنت فلم يستطع احد ان يدنو منهم حتى ماتوا }[٦٢] أى أن الله تعالى انتقم منهم جميعاً، لكننا نرى كيف تحمل رسول الله ﷺ كل ذلك وكان هناك من يجعله ساجداً ويضع عليه أحشاء الحيوانات ويضعون في طريقه الشوك.

أنواعاً وأنواعاً من العذاب لا تتحملها الجبال الراسيات تحملها رسول الله ﷺ وكذلك تحملها صحابة رسول الله ﷺ مع أن رسول الله كان عمه يدافع عنه ولكن كان هناك أناس غرباء لا يجدون من يدافع عنهم والأعجب من ذلك أنهم قاطعوه وعائلته ثلاث سنوات ومن معه من المسلمين لا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجوا منهم، مقاطعة كاملة حتى أنهم لم يجدوا ما يأكلوه فهناك من يأكل ورق الشجر أو أعشاب الأرض أو لا يجد مع شدة الجوع، ومع ذلك صبروا حتى رنَّت شهادة التوحيد في آفاق العالم العلوي والسفلي

[٦٢] تفسير حقي، وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى، وقد ورد القصص ذاتها فى كتب السنة متفرقة، برصاً أى أصابه مرض البرص.

ودوت في أرجاء الكون كله ونصره الله وأعز دينه ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده.

هذا كله أيها المسلمون يتجلى في قصة الهجرة، بعدما نصر الله رسوله وأيده وأكرمه واتفق مع الأنصار أن يهاجر إلى مدينتهم فقال لأصحابه (لقد جعل الله لكم مكاناً) فأذن لهم بالهجرة إلى المدينة فذهبوا إلى المدينة فلم يبق في مكة من المسلمين المعروفين غير سيدنا رسول الله وسيدنا أبو بكر وسيدنا علي وبعض المستخفين بالإسلام وهاجر الجميع، فقال الكفار هذه فرصة لا تفوتنا لأنه لو خرج من بيننا وذهب إلى المدينة سوف يجند هناك جيشاً ويحاربنا ولن نقدر عليه، فقاموا بعمل اجتماع عاجل في دار الندوة بحضور إبليس اللعين لإعداد خطة حكيمة للقضاء على الرسول ﷺ بدون إثارة قبيلة بني هاشم فقال أبو البحتري بن هشام: الرأي أن نحبسه في غرفة ونمنع عنه الطعام والشراب إلى أن يموت. فقال: إبليس إن هذا ليس برأي لأنكم تعرفون مدى حبهم له ولو وضعتموه في سجن ومن خلفه سبعون سجناً سوف يصلون إليه ويخرجوه وينتصرون عليكم، وكانت هناك آراء كثيرة ورفضت فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة واحداً ويقفون جميعاً على باب الرسول ويحيطون بالمنزل وعندما يخرج لصلاة الفجر يضربونه ضربة رجل واحد بحيث تختلط به جميع السيوف فيشترك في قتله الجميع فلا تستطيع بنو هاشم محاربة الجميع فيرضون بالدية. فقال لهم إبليس: هذا الرأي الصواب الذي ليس بعده رأي ووافق الجميع على هذه الخطة وهذا الاقتراح ووكلوا أبا جهل في تنفيذ هذا الأمر والقيام به واتفقوا على أن يكون هذا الأمر سرياً للغاية وينفذونه فوراً حتى تكون الخطة عاجلة، وقال بعض المؤرخين بأن الاجتماع كان في الصباح وتنفيذها في المساء في نفس اليوم وقيل أن أبا جهل قال لهم لا أحد يخرج من هذا الاجتماع ومن هذا المكان إلا أن يأتي لكم الخبر بأننا قتلنا محمداً لأنه لو خرج واحد منكم ربما يذيع الخبر وهذا الذي نزل فيه قول الله ﷻ في الحال ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ يعني يحبسوك ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الثلاث خطط ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (٣٠الأنفال)، وهنا وقفة أن مكر الله ليس كمكرنا.. فمكر الله يعني تدبير الله ومعناها تقدير الله ومعناها تصريف الله لأن مكرنا الكيد والحيل والدهاء لكن مكر الله التدبير والتقدير والتصريف منه لعباده.

واختار أبو جهل سبعين رجلاً بسيوفهم حول بيت سيدنا رسول الله والسبعين كثيرين وغير معقول أن السبعين يشتركون في القتل واختار من السبعين خمسة يقفون على الباب ويضربونه جميعاً مع بعضهم وفي نفس الوقت يقف على جميع فتحات مكة قوات من أجل إذا خرج تمسك به القوات يعني حصار شديد في جميع أنحاء مكة فانظر كيف ينصر الله رسله ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ مع أنهم يعسكرون حول البيت ومتيقظين وليسوا نائمين وأبو جهل يقول لهم أن محمداً يقول أن من يتبعه سوف يملك ملك كسرى وملك قيصر ويوم القيامة يكون له

جنان يعني حدائق مثل حدائق الأردن والذي لم يتبعه سيقتل قتل عاد وإرم ويوم القيامة يدخل جهنم فيخرج عليهم رسول الله ويقول لهم {نعم أنا أقول هذا وأنت منهم} وهذا الكلام في وجه أبي جهل وأخذ حفنة من تراب ووضعها على رءوس الجميع. كيف يكون ذلك؟!! ما هو السلاح الذي كان معه؟ ﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ ﴾ إلى ﴿ فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝ ﴾(١: ٩يس) ، ماذا حدث في هذا الوقت؟ أنزل الله ﷺ سلاح الضباب الكثيف على أعينهم فأصبحوا لا يرون من أمامهم وليس ذلك فقط ولكن الله جعل على آذانهم غشاوة لا يسمعون حديثه أو مشيه أو رؤيته وأيضاً أفقدهم الله الإحساس بالتراب الذي وضع على رءوسهم وكأن هذا التراب من جهنم فكل من جاء على رأسه تراب قتل في غزوة بدر أو في غزوة أحد وهذه إرادة الله ويقول في ذلك ﷺ: { إذا أَرَادَ الله قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حاجَة }٦٣

ولذلك فالرسول في غزوة بدر جاء قبل المعركة ومشى وقال هنا يموت أبو جهل وهنا يموت أبي بن خلف وهنا يموت فلان حدد في كل مكان من يموت فيه منهم والمكان الذي حدده الرسول هو الذي مات فيه كل منهم وكان هذا قبل المعركة وكأنه أحضر التراب من هذه الأماكن التي ماتوا فيها وكل واحد وضع على رأسه التراب كان أجله في هذه الغزوة، ويخرج رسول الله من مكة ولا يحس به أحد كيف يخرج مع وجود كل هذه القوات وهذه الجنود؟ حدث عندهم ذعر وجنون كيف يخرج من بيننا ولم نره ونحن فرسان العرب ونحن قادة العرب كيف يكون ذلك؟!!

وعلى الفور أرسلوا فوجاً إلى كل طريق وأجَّروا أدلاء يعرفون الأثر من أجل أن يعرفوا أين ذهب وإلى أين توجه.. ومن أجل أن يصلوا إلى مكانه ولكن الله يتحداهم لا بالملائكة ولا بقوات ولا بالدبابات ولا بالطائرات ولا بالصواريخ ولكن التحدي كان بأضعف المخلوقات، سوف أنصر حبيبي بأضعف الأشياء من أجل أن تعلموا بأنكم ليس لكم وزن عند الله وهذه إرادة الله يذل الجبابرة بأضعف المخلوقات مثل النمروذ لما طغى وتجبر وقال إني إله ووضع سيدنا إبراهيم في النار أرسل له بعوضة دخلت في أنفه واستقرت في رأسه ولم يسترح إلا بضرب النعال على رأسه لمدة أربعين يوماً إلى أن مات هذا الملك. الذي عمل إله مات ببعوضة وهذه قدرة الله من أجل أن يذل الجبابرة وكذلك زعماء مكة أذلهم الله بهذه الطريقة فهذا الوليد ابن المغيرة من كبار قريش ذهب ليشتري سهاماً من أجل الحرب فتعلق في ثوبه سيف فاستكبر أن يبعده عن ثوبه فوخذه السيف في قدمه فمات، وكذلك البختري بن هشام

٦٣ رواه أحمد والترمذي عن مطر بن عكامس، عن أبي عزة

جالس بجوار شجرة ومعه عبد من عبيده فنزل سيدنا جبريل وظل يضرب رأسه في الشجرة فيقول للعبد ادفع عني فيقول له إني لا أرى شيئاً وظل يضرب رأسه في الشجرة إلى أن مات وكذلك العاصي بن وائل السهمي كان من الذين يستهزءون برسول الله وأثناء سيره مع أولاده قال لقد لدغت من قدمي فلم يجدوا شيئاً وبعد خمس دقائق مات وكلهم بهذه الطريقة أذلهم الله ﷺ وهذا سر قوله سبحانه ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (٩٥الحجر).

قال ﷺ يقول الله تعالى: { مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }[٦٤].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين ذو البأس الشديد على كفار عنيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شديد المحال قوي الفعال. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله كريم الخصال عظيم العطايا والنوال.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صفوة الأنبياء وأسوة الألباء ومعقد آمال الخلق يوم العرض والجزاء وآله النجباء وصحابته البررة الأتقياء وكل من اهتدى بهديه إلى يوم البعث والجزاء.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. كان من عناية الله بأنبيائه ورسله والصالحين من عباده أن يعز حبيبه وصفيه ﷺ ويخذي الكفار بأضعف المخلوقات فيرسل له نباتاً وعنكبوتاً وزوجاً من الحمام في الغار ، والغار عبارة عن حجر من الجبل له باب فيخرج النبات في وسط هذا الباب نبات كبير مشهور في الصحراء اسمه (أم غيلان) يخرج منه فروع كثيرة مثل القطن ولذلك يستخدمونه في صناعة المراتب والألحفة وغيرها، وغطى الباب كله وبقى جزء صغير وفي الحال نزل العنكبوت ونسج عليه الخيوط، وفي الحال جاءت الحمامتان على العش وتحتهما البيض، والأغرب من ذلك أرادوا أن يعرفوا إلى أين وصل الرسول؟ وقال لهم الأدلاء الذين معهم إلى هنا انقطع الأثر ولا نعرف إلى أين اتجهوا !!!

وطبعاً المشي على الرمل يتعب والمشي على الصخر يتعب أيضاً فعندما يمشي رسول الله على الرمل يتماسك حتى لا يتعب الرسول ولا يترك أثراً في الأرض، والحجر عندما يمشي عليه الرسول يلين حتى لا يتعبه ويؤثر في الحجر، فوجدوا أن الأثر انقطع في وسط الطريق،

---

٦٤ رواه البخاري في صحيحه والسيوطي في الكبير والبيهقي في سننه وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.

والأعجب من ذلك أن بين هذا الجبل وبين مكة حوالي سبعة كيلو مترات ولكن الرسول قطعهم في لحظات كيف ذلك؟ لأن الأرض تطوى لرسول الله. يقول سيدنا أبو هريرة: { **مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تطْوَى لَهُ إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ** }٦٥ ويذهب الكفار إلى الغار ويقفون على بابه في حيرة لماذا؟ والجواب هو ما أخبر به رسول الله ﷺ في معنى حديثه الشريف أن العنكبوت جند من جنود الله، وفي ذلك يقول الإمام البوصيري ﷺ :

فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما	وَهُمْ يقولونَ ما بالغارِ مِنْ أَرِمِ
ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّو العَنْكَبُوتَ على	خيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولَمْ تَحُمِ
وِقَايَةُ اللهِ أغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ	مِنَ الدُّرُوعِ وعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ
ما سامَني الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ به	إلاّ وَنِلْتُ جِواراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

فحماه الله من الأعداء بأضعف المخلوقات ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٥١غافر) ، ..... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة[٦٦]

لماذا هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة؟

الحمد لله ربِّ العالمين، أعز عباده المؤمنين، فاختار لهم القرآن كتاباً، ومحمداً ﷺ نبياً ورسولاً، والإسلام ديناً، .. سبحانه .. سبحانه لا يهدي إلى طريقه إلا من أحب، ولا يبعد عن حزبه وأحبابه إلا من أبغض وطرد، فقد قال لحبيبه ﷺ ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾(٦٣الأنفال).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينصر من اتبع هداه ويؤيد دينه وشرعه على من عاداه، فنصر حبيبه وقوى دعوته وحزبه حتى جعلها عامة على هذه البسيطة ...

وسيأتي اليوم أيها المسلمون الذي يظهر هذا الدين على الدين كله حتى لا يبقى على ظهر الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

---
٦٥ رواه الترمذي
٦٦ كانت هذه الخطبة بمسجد قرية سرابيوم محافظة الإسماعيلية يوم الجمعة ١٩٩٤/٦/١٠م الموافق ٢ من محرم ١٤١٥هـ.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، جمعنا الله ﷻ به بعد فرقة وعلمنا بـه بعد جهالة، وهدانا به بعد ضلالة، وأعزنا به بعد ذلة، وجعلنا بسببه وبنوره خير أمة أخرجت للناس ..... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين، وعلى صحابته المباركين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بخير إلى يوم القرار آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. سؤال دائماً يراودنا، لماذا هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة؟ ولماذا أمر أصحابه من قبل بالهجرة مرتين إلى بلاد الحبشة؟ إن الإجابة التي نحفظها جميعاً فراراً من أذى الكفار ومن شدة بطش الكافرين والجاحدين فراراً بدين الله وبنور الله وبالإيمان بالله ﷻ قد يكون هذا ينطبق على الهجرة الأولى إلى بلاد الحبشة، لكن الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة كان لها غاية أخرى وحكمة ثانية كبرى ومن أجلها تدبَّر وتروَّى سيدنا رسول الله ﷺ قبل أن يختار الله ﷻ له هذا المكان، لماذا هاجر إلى المدينة؟

إنه كان يبحث عن مكان يقيم بين أهله وذويه مدينة فاضلة على العقيدة الحقة والأخلاق الصادقة والمعاملات الحسنة والعبادات الخالصة لله ﷻ ويريد أن تكون هذه المدينة نموذجاً تحتذيه كل المدن والقرى الأرضية إذا أرادوا إصلاح أحوالهم، وإذا أرادوا انتعاش تجارتهم وأموالهم، وإذا أرادوا صلاح أخلاقهم وتهذيب نفوسهم، وإذا أرادوا في الآخرة السعادة عند ربهم ﷻ، ولذا نقول لإخواننا أنه لا سعادة لمجتمعنا أو لأي قرية أو مدينة في بلادنا أو غير بلادنا، إلا إذا طبقت من جديد الأسس والسجايا والقيم والأخلاق التي أرساها رسول الله ﷺ في دار هجرته ﷺ، وقد عبر عن هذا الحال جعفر بن أبي طالب ؓ وأرضاه عندما طلبه النجاشي ملك الحبشة استجابة للشكوى التي تقدم بها عمرو بن العاص بالنيابة عن قريش، لقد أرسلوه بالهداية إلى النجاشي، وطلبوا منه أن يكلمه ليقبض عليهم ويردهم إلى السجون والتعذيب في مكة كما كانوا من قبل، ولكن النجاشي كما وصفه الصادق الأمين ﷺ { **لا يظلم عنده أحدٌ، وأرضه أرض صدق** } فلم يرضَ بالحجة بدون الأخرى.

فإن الدين القويم يحتم على كل مؤمن ألا يحكم على قضية من أول وهلة، ومن أول شاكي بل لابد أن يسمع إلى المشكو لأنه ربما يكون مظلوماً ومعه الحق، وقد قيل لسليمان عليه السلام عندما جاءته امرأة باكية وتدعي لها حقاً على ضرتها فقال من حوله: إنا نرى الحق لهذه، قال: ولمَ؟ قالوا: لأنها تبكي. قال: ومن أدراكم بالثانية ربما تكون قد فقأت لها عيناً أو كسرت لها عضواً منعها من سرعة المجيء.

، فلا يجب على مسلم في قضية كبيرة أو صغيرة أن يحكم إلا بعد أن يستمع إلى الإثنين، الشاكي والمشكو حتى يتبين له وجه الحق، وإذا كانوا يكذبون على سيد الخلق حتى قال ﷺ: {إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ} يستطيع أن ينمق الكلام ويزخرف الكلام حتى يروق في عين السامعين،

ثم قال محذراً { فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً، فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ }[٦٧].

فطلب النجاشي جعفر ومن معه وقال لهم: اختاروا رجلاً يتحدث عنكم، فأشاروا إلى جعفر، فقال: ما شأنكم؟ فقال ﷺ وأرضاه: (كنا قوماً في جاهلية، نعبد الأوثان، ونقطع الأرحام، ونشرب الخمر، ونفعل الفحشاء، ونكذب في الحديث حتى بعث الله ﷻ إلينا رسولاً منا نعرف نسبه ونعرف صدقه دعانا إلى الإيمان بالله وإلى صدق الحديث وإلى صلة الأرحام وإلى حسن الجوار وإلى الوفاء بالعهد) وأخذ يعدد له فضائل الإسلام التي جاء من أجلها نبي الإسلام ﷺ ما أردت أن أذكره في هذا الصدد: أن نبيكم الكريم جاء بهذه الأخلاق الكريمة والقيم العظيمة فوجد العرب في مكة لا يريدون أن يغيروا طباعهم، ولا أن يهذبوا أخلاقهم، ولا أن يعدلوا أحوالهم فيصرون على شرب الخمور، ويصرون على الزنا والفجور ويصرون على قطع الأرحام، ويصرون على إيذاء الأيتام، ويصرون على الجفاء بين الأنام ويصرون على هذه الخبائث، وهو يريد أن يصنع مجتمعاً للأنام فيه القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة فكان ذلك سر هجرته ﷺ إلى المدينة.

هاجر إلى المدينة عندما وجد في أهلها شوقاً إلى هذه الخصال، ورغبة في هذه الأخلاق، وحمية في نصرة هذه الشمائل والصفات، فهاجر إليهم فنشرها فيما بينهم فأصلح هذا المجتمع وهذا سر إصلاح أي مجتمع وله أسس ثلاثة ذكرها الله في قرآنه وجعلها دستوراً إلى أن ينتهي الزمان وأن ينتهي المكان ويرث الله الأرض ومن عليها دستور الإصلاح لأي مجتمع على البسيطة، ما هو يا رب؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر). هذه القيم وهذه المبادئ وتحتها آلاف المبادئ الإيمانية، وآلاف القيم الإسلامية لكن هذه هي مجمل الآداب الإيمانية والإسلامية التي عليها صلاح الحال، وصلاح الأفراد، وصلاح العباد، وصلاح البلاد، وصلح كل واد وناد، فإن صلاح الكل بنشر المحبة، وديننا أيها الأحبة هو دين المحبة، فليس للبغضاء طريق في الإسلام وليست للكراهية طريق بين المؤمنين، وإنما أسس هذا الدين على الحب لله والحب لرسول الله ﷺ والحب لكل من آمن بالله ﷻ، وحتى لو كان هذا الذي آمن بالله، أخطأ في حق نفسه أو أساء في حق ربه، أو ارتكب محرماً، فإني لا أكرهه في ذاته لأن هذا ينافي دين الله ولكني أكره هذا الخلق الذي اتصف به، وهذا العمل الذي قام به فإذا تركه فهو أخي وحبيبي في الله ورسوله، وقد قيل لأبي الدرداء ﷺ وأرضاه،

---

٦٧ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام مالك في الموطأ.

إن أخاك فلان وقع في إثم عظيم، فهل تبغضه؟ قال: لا، وإنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي، ثم قال لهم ناصحاً: أرأيتم لو أن أخاً لكم وقع في بئر، ماذا كنتم فاعلين؟ قالوا: نأخذ بيده. قال: كذلك أخاكم إذا وقع في ذنب تأخذوا بيديه لتنقذوه من إبليس وجنوده، إلى حزب الله وإلى دين الله، وإلى أنصار الله ﷻ وقد قال في ذلك رسولكم الكريم ﷺ: أوثق عرى الإيمان لم يقل الصلاة، ولم يقل الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج مع أهميتهم البالغة عند الله ﷻ، ولكنه قال: **{أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ في الله ﷻ}**[٦٨]، إن الحب لله وفي الله أيها المسلمون هو المرهم الذي يداوي العاصي من المؤمنين، وهو الشفاء الذي يشفي به الله صدور الموحدين وهو الترياق الذي به يدخل كل مؤمن إلى رضوان رب العالمين.

من الذين يدخلون جنتك يا رب؟ ومن الذين ينالون رضوانك يوم القيامة يا رب؟ استمع إليه وهو يحدد صفاهم ويبين سماهم فيقول ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)، الذي انتزع الغل والحقد والحسد والبغضاء والكراهية من قلوبهم لعباد الله المؤمنين هو يكره اليهود ويبغض الجاحدين، ويحقد على الكافرين لكن لا يجب على مؤمن أن يتصف بهذه الصفات بالنسبة للمؤمنين وإلا كان عمله كله – حتى لو ملأ البر والبحر عبادة – حابطاً هالكاً يوم لقاء رب العالمين ﷻ، فالإسلام هو الحب يا جماعة المؤمنين لأن الله عندما مدح الأنصار لم يمدحهم بالصلاة ولا بالزكاة ولا حتى بالشجاعة في ميدان القتال في سبيل الله وإنما أول صفة مدحهم بها وعليها الله ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٩ الحشر)، الحب، ولذا أكد عليها النبي الكريم فقال: **{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَسْكُتْ }**[٦٩] تلك آداب الإسلام وتلك تعاليم نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فإن أبا بكر الصديق ﷺ وأرضاه، عندما بيَّن الله فضله وبيَّن النبي منزلته ومكانته عند الله، أخذ يتحدث أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم عن سرِّ حصوله على هذه المنزلة، وسرِّ علوه إلى هذه المكانة فبعضهم قال لقيامه الليل، وبعضهم قال لإكثاره من صيام النهار، وبعضهم قال لإكثاره من تلاوة القرآن، وبعضهم قال لتبتله بين يدي الواحد القهار، فخرج عليهم النبي المختار وهم على ذلك فقال: **{ ما فضلكم أبا بكر بكثير الصلاة، ولا بكثير الصيام، ولكن بشئ وقر في صدره }**[٧٠] وما هو؟ هو الحب لله، والحب لرسول الله، والحب

٦٨ رواه أحمد والبيهقي عن البراء بن عامر والطيالسي، الطبراني في الكبير عن ابن عباس.
٦٩ رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
٧٠ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان أبو يعلى في مسنده، أحمد في مسنده والداري في سننه عن أنس.

لعباد الله المؤمنين، حتى أنه عند انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى، وقد اختاره لإمامة الصلاة، وقال لامرأة جاءت إليه في قضية ثم رجعت وقالت: إذا رجعت ولم أجدك فإلى من اتجه؟ قال: إلى أبي بكر، وأشار إليه إشارات صريحة لكنه لشدة الحب في قلبه كان يتدافع الإمامة، ويقدم عمر، ويقول عمر أولى مني، ثم يقدم أبا عبيدة ويقول أبا عبيدة أحق بهذا الأمر مني ويريد أن يعطيها لإخوانه حتى يظلوا أحباء فيما بينهم أوفياء لبعضهم لا تنفك المحبة عن صدورهم لأنه يعلم أن المحبة هي أساس الصفاء في مجتمع المؤمنين وهي أساس النقاء في علاقات المؤمنين، وهي أساس قبول الأعمال عند رب العالمين ﷻ، قال ﷺ: { ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ }[٧١].

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا للمعاني الإيمانية وخلقنا بالأخلاق الربانية، وجعلنا من عباده الصالحين، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين والإيمان إلا لمن أحب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أسس هذا الدين على المحبة الصادقة لله، وعلى الحب الخالص لعباد الله، فكان ديناً قيماً، قال في حقه الله ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (١٠٣آل عمران) ..... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد سر هذه الأخوة الإيمانية، وأجمعنا عليه في الحياة الروحانية، والدار الأخروية، واجعلنا من المنتفعين بهذه الأوامر القرآنية في كل أنفاسنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني في الله ورسوله.. إن المرض الأول الذي استشرى في مجتمعنا، وعكر علينا صفو حياتنا ليس الغلاء، وليس قلة الرواتب، وليس كثرة المشاغل والمصالح إنما المرض الأول هو الأثرة والأنانية التي جعلت كل منا يحب نفسه وفقط. أما أوصاف المؤمنين فهي ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ (٩الحشر). أصبح كل واحد منا يحب الخير لنفسه فقط، وإذا زاد قليلاً فلنفسه وولده، وبعد ذلك لا يتجاوز قيد أنملة لكن المؤمنين يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ...

---

٧١ رواه البخاري ومسلم عن أنس

اسمعوا معي إلى هذا الدواء النبوي، الذي يحل كل هذه المشاكل في لمسة حنان محمدية، ولمسة لطف رحمانية ربانية يقول فيه خير البرية { **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** }[٧٢] لو طبقنا هذا الدواء، لزالت جميع الأسقام والأدواء فأنا لا أحب أن يغتابني رجل، فلماذا أغتاب غيري؟ وأنا لا أفرح أن يسبني ابن أخي، فلماذا أسمح لابني أن يسب أخي؟ وأنا لا أرضى لزوجة جاري أن تجاهرزوجتي بالسب والشتم فلماذا أرضى لزوجتي أن تجاهر جارها بالسب والشتم؟ وقد أنهرها ظاهراً أمام الناس، وأشجعها بعد ذلك باطناً في الخلوة بعد اختفاء الناس !!! ، أنا لا أرضى أن ينقل جاري حد الأرض ويأتي به علي! فكيف أنقل الحد في أرض جاري؟ أنا لا أرضى أن تنزل بهيمة جاري وتقضي على زرعي، فلماذا أرضى أن تنزل بهيمتي وتقضي على زرع جاري؟ ... وغيرها وغيرها !!!

فالمؤمن يحب لجاره ما يحب لنفسه، ويرضى لجاره ما يرضاه لنفسه، وقد جعل الإسلام الجيران ثلاثة: جاراً له حقوق ثلاثة وهو الجار المؤمن القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، والجار البعيد المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار اليهودي والنصراني فله حق الجوار، وحق الجوار في شأنه كبير والذي يطالب بالحقوق ملك الملوك ﷻ ، فهذا نبيكم ﷺ كان جاره يهودياً وهو ﷺ القائد والحاكم، ويستطيع بإشارة أن يجعله يترك داره، ويهجرها إلى مكان آخر لكنه لا يروِّع أحد – فالمسلمون لا يغصبون أرض أحد، فعندما أخذ عمرو بن العاص أرض يهودية وضمها إلى مسجده الذي تعلمون، واشتكت إلى عمر بن الخطاب أمر أن يرد الأرض إلى صاحبتها لأنه لا يجوز للمسلم أن يتعبد على أرض مغصوبة من أهلها – فتركه ﷺ في جواره ولكنه زاد في إيذائه، فكان يجمع العذرات ويضعها على بابه قبل كل صباح فيخرج رسول الله ويزيلها بتؤدة وأناة، ويطهر المكان ويغسل الباب من الأذى ولا يقول شيئاً، فخرج يوماً ولم يجد أثراً، فسأل عن اليهودي فقيل: أنه مريض فقال: وجبت زيارته لأنه جارٌ، فذهب إليه وزاره، وقال: لقد عودتنا على عادة فلما لم نرها سألنا عنك، فقالوا: مريض فقلنا: حق علينا زيارتك، فكانت النتيجة أنه أسلم لله ﷻ، عندما وجد هذه الشمائل المحمدية والأخلاق الربانية في النبي ﷺ، فدين الإسلام يا إخواني يجعل المؤمن غير كامل الإيمان إلا إذا كان يحب الخير لإخوانه المؤمنين أكثر من نفسه. أما بقية الصفات التي تحدث عنها الله، فلها وقت آخر ولكن أقرءوها وتدبروها وعوها واعملوا بها واحفظوها في قلوبكم ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٩الحشر)، << ثم الدعاء >>.

---

٧٢ رواه أحمد عن أنس بن مالك

الخطبة الرابعة[٧٣]

إلا تنصروه فقد نصره الله

الحمد لله ربِّ العالمين ينصر رسله والصالحين من عباده في كل وقت وحين يمدّهم بمدده ويذود عنهم بجنده، ويفتح بهم ولهم الفتح المبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له النصير لمن نصر شرعه والمعز لمن أعزّ دينه وأمره، والقاهر فوق كل شئ قهره، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الحبيب المقرب الذي كان مولاه له من كل شئ أقرب فنصره وآواه وأعزه وحماه وجعله خير خلق الله في الدنيا ويوم لقاء الله، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي كلأته بعنايتك ونظرته بعين رعايتك وحفظته بحفظك وصيانتك، وارزقنا مرافقته في جنتك آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله ... الحمد لله أرى في وجوه الحاضرين العلم والفقه وذلك ينبئ عن أننا جميعاً والحمد لله يحبنا الله ﷻ فعلامة حب الله لأي عبد من عباد الله بينها رسول ﷺ في حديثه الذي يقول فيه { إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ } ولم يكتف بذلك لأن العلم لابد له من العمل فأكمل ﷺ وقال { إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ }[٧٤] يعني وفقه في العمل الذي تعلمه، فالحمد لله أرى وجوهاً نيرة اهتدت إلى رضوان الله وتفقهت في دين الله فهنيئاً لكم جميعاً بفضل الله ورضوان الله ﷻ.

وحادثة الهجرة السعيدة أيها المسلمون الكرام تزيد إيمان المؤمن إيماناً. وتفاصيل الحادثة الحمد لله كلنا يعلمها لكن اكتفي اليوم منها بما أبشر به نفس وإخواني بعناية الله وكفالة الله وتأييد الله لكل عبد تمسك بهدى الله ﷻ يكفينا جميعاً قول الله ﷻ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤٠التوبة)، ولم يقل في الآية فقد ينصره الله وإلا كان النصر معلقاً وحادثاً لكن جاء بما يفيد أن النصر من الله مقدر له ﷺ قبل خلق الخلق لأن القرآن كلام الله القديم فقد نصره الله قبل خلق الخلق، ونصر الله واضح في آيات القرآن فإن الله ﷻ كما أخبر القرآن عندما خلق الحبيب ﷺ روحاً نورانية قبل خلق جسمه وخلق أرواح الأنبياء والمرسلين جميعهم وأخذ عليهم العهد والميثاق أجمعين أن يؤمنوا به وينصروه ويؤازروه ويبلغوا أممهم بصفاته ونعوته ويطلبوا ممن طال به الزمن إلى عصر رسالته أن يؤمنوا به ﷺ ويتبعوه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ

---

٧٣ كانت هذه الخطبة بمسجد عبد المنعم رياض بمدينة بنها ١٤ من المحرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٤/٣٠م.

٧٤ رواه البزار عن ابن مسعود، البيهقي في شعب الإيمان عن أنس.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وهذا قبل الرسالة ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ ﴾ (٨١آل عمران)، والرسالة لا تكون إلا بعد ظهور الجسم في الحياة الدنيا لأنها تكليف من الله لإبلاغ دعوة الله إلى الخلق. ماذا أخذ على النبيين من الميثاق؟ ﴿ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (٨١آل عمران)، يؤمنوا به وينصروه فأخذ الله العهد على الأنبياء أجمعين أن ينصروا رسول الله ﷺ، كيف ينصروه ﷺ ولم يكونوا في زمانه وتنتهي آجالهم قبل مجئ أوانه؟

ينصروه بإظهار صفاته ونعوته وعلاماته لأممهم وأتباعهم ويأمروهم أن يتبعوه إذا حضروه وقد كان ذلك والأمر يطول إذا تتبعنا السيرة العطرة لكن يكفي ما جاء على لسان نبي الله موسى وما جاء على لسان نبي الله عيسى ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾ (٦الصف)، ولم يبشروا به وبنعوته فقط بل حتى أوصاف أصحابه كانت مذكورة في التوراة والإنجيل ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)، مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل مذكورين بصفاقم حتى أن التاريخ يروي أن عمر بن الخطاب ﷺ لما توجه للصلح مع البطارقة واستلام مفاتيح بيت المقدس ذهب وخادمه ولم يكن لهم إلا مركب واحد فكانوا يتناوبون ركوبه عمر يركب والخادم يمشي ثم يركب الخادم ويمشي عمر خلفه. فلما اقتربوا من القوم كانت نوبة الخادم في الركوب فقال يا أمير المؤمنين إني تنازلت لك عن نوبتي هذه لأن القوم على استعداد للقاءك وكيف يلقون أمير المؤمنين ماشياً والخادم يركب فأصر عمر على ذلك فلما دخلوا عليهم سألوا أين عمر؟ فقالوا: الذي يمشي فقالوا: هكذا نجد عندنا صفته في الإنجيل إنه يدخل بيت المقدس ماشياً وخادمه راكب بجواره، فأوصاف أصحابه كذلك ذكرها الله في التوراة وذكرها الله في الإنجيل وذكرها الله في الزابور وذكرها الله في كل الكتب السابقة وأنتم تذكرون جميعاً أنه ﷺ قال: **{أَنا دَعْوَةُ أَبي إِبْراهيمَ}**[75] ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ (١٢٩البقرة)، هذه دعوة سيدنا إبراهيم وكان ﷺ.

فنصر الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه كان من قبل القبل فقد أيده وأمر الرسل الكرام بإبلاغ صفاته ونعوته لأممهم، وهيأ الكون كله وأمره أن يكون رهن إشارته، لكن العبرة التي نحتاج إليها في هذه الظروف الحالكة في حياتنا اليوم أن نعلم علم اليقين ولا نشك في ذلك طرفة عين ولا أقل أن أي رجل منا أقبل بصدق على الله وتمسك في سلوكه وهديه وحياته بشرع الله فلم ينافق ولم يمارِ ولم يبتغِ بعمله إلا وجه الله فإن الله ﷻ يجعل له قسطاً من نصر الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ فيؤيده وينصره في أي موقع وفي أي زمان وفي أي مكان لأن هذه سنة الله التي لا تتبدل ولاتتغير على مر الزمان ولا بتبديل المكان!!.

---

٧٥ رواه ابن سعد عن الضحاك مرسلاً في كتاب جامع الأحاديث والمراسيل.

ونأخذ مثالاً واحداً كي لا نطيل عليكم ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) ... فاسمعوا أيها الحضور الكرام ... سيدنا موسى ﷺ عندما خاف قومه بعد خروجهم من مصر من اللحاق بهم فقالوا له: النجدة فقال لهم: لا تخافوا ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢الشعراء) ، أنا معي ربي لا تخافوا .... ولكن سيدنا رسول الله ﷺ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ أي معنا جميعاً ولم يقل إن الله معي، ومعنا هذه هي بشرى لكل مؤمن إلى يوم القيامة، ولذلك أيده الله في كتاب الله فقال ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ (٤٠الحج). فالذي ينصر الله ينصره الله،وهل هل الله يحارب لننصره؟ لا!، ولكن يعني من ينصر شريعته ويقيمها في نفسه وفي بيته وفي عمله وفي أهله وفيمن حوله ... فنصر الله يعني إحياء شريعة الله والعمل بها بين خلق الله.

وماذا كانت النتيجة ؟ بماذا أيده الله ﷺ؟ ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤٠التوبة) ... أولاً أنزل عليه السكينة، وكيف نأتي بها؟ لا تأتي إلا بتوفيق الله لمن أحبه الله واجتباه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح)، وكما أنزل عليه السكينة أنزل علينا السكينة، والسكينة يعني الطمأنينة بوعد الله والثقة في قدرة الله ورعاية الله وكلاءة الله وصيانة الله وحفظ الله لمن تمسك بشرع الله ابتغاء وجه الله ﷻ. فكما أنزل الله عليه السكينة أيضاً فتح المجال لجميع المؤمنين وأعلمنا علم اليقين أن السكينة لا تأتي إلا من عنده وهو الذي ينزلها بنفسه حتى أنه لا ينزلها عن طريق ملك ولا عن طريق أي كائن أو مخلوق بل هو ينزلها ولم يقل ينزل (بالمضارع) بل قال أنزل السكينة في قلوب المؤمنين. فيحبب إليهم الإيمان ويشرح صدروهم للعمل بأركان الدين والاهتداء بتعاليم القرآن والتأسي بسنة النبي العدنان ﷺ ...

ثم ماذا؟ ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤٠التوبة). أيده بالملائكة، وأيده بالأرض وقال له: الأرض طوع أمرك مرها بما شئت فيقول لها: خذيه فتمسك بفرس الفارس الذى خرج ليلحق به وتغوص به! فيقول لها اتركيه فتتخلى عن الفرس!! فكانت طوع أمره ﷺ وليس مرة واحدة ولكن ثلاث مرات، وأيده بالحمام، وأيده بكائن بسيط وحشرة صغيرة وهي العنكبوت وأيده بالأنصار، وأيده بالمهاجرين، بل وأيده بأناس قبله جهزوا له المكان الذي سيسكنه ﷺ فالهجرة إلى المدينة كان يعلمها من قبل من ساعة ما نزل عليه الوحي وأخذته زوجته السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقال له: ليتني أكون فيها جزعاً (يعني شاباً فتياً) عندما يخرجك قومك. فقال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم ما أُرسل رسول بما أرسلت به إلا أخرجه قومه.

حتى المكان الذي هاجر إليه ﷺ كان يعلمه منْ سبقه من الأنبياء والمرسلين ولذلك

يروي القرآن أن اليهود تركوا بلاد الشام وجاءوا إلى المدينة مترقبين ظهور النبي الذي قرُب زمانه وعندهم صفاته وكانوا يرجون أن يكون منهم وقد ذكـر الله ذلـك ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ (٨٩البقرة)، فقد كانوا عندما تحدث بينهم حرب وبين أي قبيلة يقولون كما قالت السيرة العطرة: (اللهم بحق النبي الذي ستبعثه في آخر الزمان انصرنا عليهم) فينصرهم الله ﷻ، وهذا معنى الآية ﴿ كَانُواْ يَسْتَفْتِحُونَ بِهِۦ ﴾ أي يطلبون به النصر فينصرهم الله ﷻ. هل كانوا يعرفونـه؟ القـرآن يقول ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة)، وهل هناك أحد لا يعرف أولاده.

الذي أريد أن أصل له بنفسي وإخواني أننا جميعاً لنا نصيب في هذا الأمر إذا استمسكنا بهدى الله ولم تغرينا مغريات الحياة!! ما الذي جعل الله ينصر رسول الله هذا النصر العظـيم؟ أنه تمسك بهدى الله رغم ما عرضوا عليه في هذه الحياة.. فقد عرضوا عليه المال وقـالوا: إذا كنت تريد مالاً جمعنا لك مالاً حتى تصير أغنانا، وإن كنت تريد الملك جعلناك ملكاً علينـا، وإن كنت مريضاً طلبنا لك الشفاء والدواء والأطباء. قال: لا أريد ملكاً ولا مالاً ولا أي شئ في الدنيا ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٢٩هود) .... أريد أن تهتدوا إلى الله ولا أريد منكم شيئاً، ولذلك قال فى الأثر: **{كن مع الله يكن الله معك}.**

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين مذلل الصعاب وميسر الجواب وملـهم الـصواب لمـن آمـن بالكتاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر التواب العلي الوهاب يرزق مـن يشاء من بحبوحة فضله ومواهب كرمه من غير حساب، وأشهد أن سيدنا محمـداً عبـد الله ورسوله خير من نطق بالكتاب، وظللته السحاب، وشملته عناية هذا الجناب.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا معه حسن المآب، وخير المتـاب في الدنيا ويوم الحساب آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. إن الدرس العملي الذي نأخذه جميعاً مـن هجـرة رسول الله وما أكثر دروسها أن المرء منا لا يتوقف عند أي أمر أمره به الله مهمـا لاقـى في سبيل ذلك من صعاب فالذي أعز أصحاب رسول الله ﷺ شدة عقيدتهم فكان الرجل منهم لا يبيح لنفسه أن يخرج عن المثل والمبادئ الإيمانية قيد أنملة خوفاً من الله ﷻ مهما تعرض له من صعاب. لكن في عصرنا الآفة التي انتشرت في مجتمعنا أن الناس قد اجتهدوا من عند أنفسهم اجتهاداً خاطئاً في تبرير الزيغ والبعد عن المثل والمبادئ الإيمانية فيبيح لنفسه الكذب بحجة أنه

مضطر، ويبيح لنفسه أخذ ما يريد من المال العام بحجة أن مال الحكومة ملك للجميع وكل واحد له فيه نصيب، ويبرر لنفسه التزويغ من العمل بحجة أن أجره لا يكفي، وهذا الوقت على قدر فلوسهم مثلما نسمع منهم!!، ويبيح لنفسه أن يخدع في تجارته أو يغش في بيعه وكيله !! وبلسانه وإلا لن يستطيع أن يعيش أو يكسب في زعمه ... هذه يا إخواننا الحاجات التي سولّتها لنا النفس وعززها الشطان، وهذا الذي جعل الله يبتلينا ليذكرنا وليس للانتقام منا لأنه لا ينتقم من المؤمنين، ولكن يذكرنا المرة تلو المرة بالمرض أو الفقر أو الغلاء ! فكل هذه ابتلاءات كي نرجع إلى الله.

لكن والله الذى لا إله إلا هو لو تمسكنا بهدى الله لفتح الله ﷻ لنا الخيرات في الأرض وأنزلها من السماء وكنا كأهل الجنة تأتينا أرزاقنا في أيدينا دون عناء أو تعب ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) .. لم يقل فتحنا عليهم خيرات لأن الخيرات ممكن تكون كثيرة ولكنها لا تكفي لأنها ليس فيها بركة لكن لو رزقنا القليل وبارك الله فيه لأغنى عن الكثير والكثير.

فنحن يا إخواني نشتكي في زماننا من كثرة الأمراض ومع كثرة المستشفيات لم تعد تستطيع أن تقوم بمهمة العلاج، والأمراض الموجودة في الأجسام كلها لا تساوي مرضاً واحداً من أمراض الأخلاق التي حذّر منها الكريم الخلاق والتي تنخر في مجتمعنا نخر السوس كالشّقاق والنفاق والحسد والبغضاء والكراهية والأحقاد وغيرها من الأمراض التي نعاني منها من الضغوط النفسية والتوترات العصبية ... كل هذا يسبب وجود الأمراض الجسدية والأمراض الجسدية لو لم يوجد خلفها التوترات العصبية سوف تشفى بإذن الله لكن الذي يزيد المرض هو التوترات والضغوط والمشاغل وكل هذا جاء من الحسد لهذا والكره لهذا حتى أن كل مؤمن بينه وبين إخوانه المؤمنين حروباً لا عدّ لها حروب مع الأولاد وحروب مع زملائه في العمل .. !! والحروب مع الأقارب لماذا يا إخواني؟! .... أين الذين قال الله ﷻ فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر). الذين ملأوا المحاكم من أجل سهم في البيت أو سهمين في الغيط والأخ وأولاده وزوجته حرب على أخوهم! والثاني كذلك! وهذا يستعد وهذا يستبد!!

ألم يسمعوا عن القول الذين أخذوا الغرباء عنهم في النسب! لكنهم معهم وقريبين منهم في الدين .. ويقول له تعالَ .. أقسم بيتى نصفين وتختر أحدهما والمال نصفين واختر ما يعجبك وانظر إلى زوجتى الاثنتين أيهما تعجبك فأطلقها وبعد انتهاء العدة تتزوجها أنت على سنة الله ورسوله ... هؤلاء الجماعة ماذا قال الله لهم في الوسام الذي أعطاه لهم؟ ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩ الحشر) ..

ليس ذلك فقط بل عندما جاءت الفتوحات وجاءت الخيرات جمعهم النبي ﷺ وقال لهم تعالَوْ معشر الأنصار وتعالَوْ معشر المهاجرين. فقال للأنصار: ما رأيكم جاءت إلينا خيرات كثيرة أقسمها بينكم أنتم والمهاجرون ويظلون معكم؟ أم أعطيها للمهاجرين ويتركوا لكم البيوت والأموال التي معهم؟ قالوا: لا، أعطيها لهم كلها ولا نأخذ شيئاً خرجنا منه لله ﷻ { لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءُ الرَّاجِعُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يرجع فِي قَيْئِهِ }76 ... اعطِ لهم الكل ونحن والحمد لله يكفينا رضاء الله ﷻ علينا. أين هؤلاء يا إخواني؟

هؤلاء هم أجدادنا وهم آباؤنا وهم قدوتنا وهم أسوتنا وهم الذين قال الله فيهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (٩٠الأنعام)، فنحن جميعاً نحتاج نصر الله وتأييد الله ولطف الله وتوفيق الله وهذا هو السبيل البين والطريق القويم له

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[77]

الهجرة والثبات على المبدأ

الحمد لله ربِّ العالمين، يعزُّ من أطاعه واتبع رسوله ولو كان عبداً حبشياً، ويُذلُّ من خالف أمره واتبع هواه ولو كان شريفاً قرشياً ... سبحانه.. سبحانه يقول في حديثه القدسي:

{ من ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ومن أراد رضاي أردت ما يريد ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا إلي فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين لم يتوبوا إلي فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.}[78].

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك الدائم والتصرف المطلق والإرادة النافذة لا راد لقضاءه ولا معقب لأمره في أرضه وسماءه لأنه بيده الملك وبيده الخير وبيده القوة والعزة والمنعة وبيده الأمر وهو على كل شئ قدير..، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الذي ملأ قلبه بحب الله وجعل حياته كلها لدعوة الله وأخلاقه في كل أحواله على

٧٦ رواه أحمد عن ابن عباس
٧٧ خطبة بمسجد سيدي سعد الدين الجباوي بقرية البندرة – مركز السنطة – غربية، الجمعة ٢ محرم ١٤٢١هـ، ٧/٤/٢٠٠٠م.
٧٨ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لإبن القيم الجوزيه

منهج كتاب الله ولم يمل طرفة عين أو أقل إلى مباهج هذه الحياة شغلاً بخالقه ومولاه فعصمه الله من الناس وطهره من الوسواس والأدناس والأرجاس وأعلى شأنه ورفع ذكره في الدنيا ويوم لقاء رب الناس.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود والذكر الكثير الممدود وآله وأصحابه الركع السجود وكل من تابع هديه وصار على دربه فحشر في زمرة أصحابه يوم الورود وعلينا معهم أجمعين يا ربَّ العالمين.

أما بعد ... فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. ونحن في مطلع عام هجري جديد نقف وقفة قصيرة مع هجرة النبي الأمين ﷺ نستلهم منها العبرة في حياتنا والمثل الصادق في أخلاقنا والمثال المتفرد في علاقتنا مع خالقنا وإلهنا عملاً بقول الله عز شأنه ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف)، نسمع اليوم وكل يوم من ييئس الناس من حياتهم الإيمانية ويدعوهم إلى التكاسل والتواني في تنفيذ الشريعة الربانية ويتعلل ويقول: قلَّ المخلصون وندر المساعدون ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بمفرده بتنفيذ أوامر الله والعمل بشرع مولاه ولمثل هؤلاء كانت عظتنا اليوم في حادثة الهجرة النبوية الشريفة.

الرسول ﷺ وصحبه الكرام ضربوا لنا المثل الأعلى في التمسك بالحق والسير على منهج الصدق ولم يلفته أحد عن دعوة الله فقد عرضوا عليه المال فأباه وعرضوا عليه الملك فلم يرضاه وجاءوا له بكل وسيلة من وسائل الرفعة في الحياة فقال قولته المشهورة لعمه: **{ والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه }** صمّم على تنفيذ أمر الله ولم يعبأ بكل ما جهزه له أعداء الله اعتماداً على مولاه وتحصناً بحصون كتاب الله واعتزازاً بشرع الله فصدق فيه قول الله عزَّ شأنه ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق)، وحسبه أي كافيه.

ولذا كفاه الله كل هم وفرج عنه كل غم وأعلا شأنه على مدى دروب هذه الحياة وجعله أعلى الخلق شأناً ومقاماً يوم نلقى الله تبارك وتعالى، فكان تأييد الله ﷻ وإعزاز الله له ونصر الله له مثلاً لنا أجمعين أن من يتمسك بشرع الله ويستمسك بهدي كتاب الله ويتحصن بسنة رسول الله ولا يبالي بمن يعارضه ولا يهتم بمن يناوؤه فإن الله يؤيده ويعضده ويساعده وينصره كما فعل بحبيبه ﷺ فقد اجتمع حول بيته أربعون رجلاً معهم السيوف المدججة متأهبين لخروجه ليترلوا عليه بضربة واحدة فخرج من بينهم وهم يقولون لبعضهم: إن محمداً يزعم أنه ستفتح له جنان الأردن يعني (بساتين) وخزائن فارس وأن من يتبعه سيتمتع بتلك الجنان ويأخذ نصيبه من هذه الخزائن فخرج عليهم وقال: نعم أنا أقول هذا، وأخذ حفنة من

التراب ومرّ بها على جميعهم ووضعها على رؤوسهم ولم ينظروه ولم يروه ولم يسمعوه لأن الله ﷻ أخذ بأسماعهم وأبصارهم عن رؤيته وسماعه ﷺ وكان السلاح الفعال في هذا المجال ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٩يس).

وجاء المرور بقيادة أبي جهل فقال لهم: ماذا تنتظرون؟ قالوا: خروج محمد! قال خيّبكم الله لقد خرج وترككم !وما ترك رجلاً منكم إلا ووضع التراب على رأسه! ثم ذهب إلى الغار فكانت عناية الواحد القهار بأن أمر النبات أن يخرج في الحال .. نبتة على باب الغار تسده وأمر كتيبة من العنكبوت تنسج على هذه الشجرة على باب الغار وأمر يمامتين وحشيتين أن تصنعا عشاً على رأس هذه الشجرة وتبيضا فيه حتى لا يعلم الأعداء ما فيه لأن الله تعهد بذلك فقال ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤٠التوبة)، ومن ينصره الله لا يستطيع أحد أن يصل إليه بأذى لأنه في وقاية الله وكفالة الله وعناية الله ﷻ.

وحماه الله في الطريق عندما لحق به سراقة وقال له ربه: الأرض طوع أمرك فمرها بما شئت. فعندما إقترب منه وقال أبو بكر ﷺ يا رسول الله إنا لمدركون لا محالة قال: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) ، ثم قال: يا أرض خذيه فانشقت الأرض وابتلعت الفرس وأمسكت بنصفه الأسفل مع قدمي سراقة الفارس، فاستغاث به وقال يا رسول الله: ادعو الله لي أن ينقذني ولا أعود. فقال يا أرض اتركيه. فتركته فلما أراد ثانية أن يأخذه؛ قال: يا أرض خذيه؛ فأخذته؛ فكانت الأرض طوع أمره تأخذه عندما يأمرها بالأخذ وتتركه عندما يطلب منها الترك، لأنه كان يتحرك بأمر الله فجعل له الله ﷻ الأكوان والأملاك والأرض ومن عليها كلها مسخرة في خدمته، وسمع بعض العرب بالجائزة التي أعدها أهل مكة لمن يعثر عليه وهي مائة جمل فخرجت قبيلة أسلم وكان عددها سبعين رجلاً يرأسهم بريدة بن الحصيب الأسلمي معهم السلاح من سيوف ورماح ليقبضوا عليه فيفوزوا بالجائزة.

فلما اقترب منهم ﷺ قال له بريدة: من الرجل؟ قال: أنا محمد رسول الله! ولم ينكر نفسه ولم يعمِّ شخصيته! فما كان من أمر الله إلا أن قذف الإيمان في قلب بريدة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك عبد الله ورسوله، فأسلم ومن معه من قومه وقال: يا رسول الله لا تدخل المدينة هكذا وحدك!! وقسم السبعين إلى فريقين وصفهما صفين صف على اليمين وصف على اليسار يحملون سيوفهم ورماحهم في عرض عسكري وتشريف رباني إلهي!! ثم فك عمامته وجاء برمحه وربط فيه هذه العمامة فكانت راية بيضاء حملها في مقدم الصفوف وقال: يا رسول الله أمشي أنا في المقدمة بهذه الراية وهؤلاء عن يمينك وهؤلاء عن يسارك وتمشي أنت في المؤخرة !!

وبينما هم يتحدثون إذا بعبد الرحمن بن عوف يأتي من بلاد الشام ، وكان في تجارة فقال: يا رسول الله أتدخل المدينة هكذا؟ لا والله لقد اشتريت ثوبين من أثواب الملوك ولا يليقان إلا بمثلك فخذهما وألبسهما لتدخل المدينة دخول الفاتحين !! فلبس أثواب الملوك ودخل في هذا الجيش المحشود ... ليتم الله عليه نعمته ... ويؤيده الله بنصرته لأن الله وعده أن ينصره نصراً عزيزاً ﷺ.

ثم دخل المدينة وكان الأنصار قد أعدوا لهذا اليوم عدته منهم من جهَّز طعاماً لحبيب الله، ومنهم من جهَّز شراباً طيباً لرسول الله، ومنهم من جهز تمراً ومنهم من جهز حلوى، ومنهم من جهَّز فاكهة وكلهم يريد أن يمسك بناقته، فقال ﷺ: { **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَة** }[٧٩] فكانت إذا مرت ببيت يهودي تمر مسرعة ولا تقف، وإذا مرت ببيت أنصاري تقف بأمر الله، حتى يقدم تحيته لرسول الله ومن معه بأمر الله ﷻ، فلما كان الموضع الذي اختاره الله لبناء مسجده وموضع إقامته أناخت بأمر الله فجاء أبو أيوب الأنصاري ﷺ وحمل الرحل إلى بيته وتنافس الأنصار في ضيافة رسول الله ﷺ فقال ﷺ: { **المرء مع رحله** } ودخل إلى دار أبي أيوب فلما استقر قال: يا أبا أيوب أين الكتاب الذي تركه تبَّع؟!! فأسرع إلى إحضاره ما هذا الكتاب وما قصته؟

غزا تبَّع ملك اليمن المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها بثلاثمائة سنة ولما همَّ بدخولها خرج إليه أحبار اليهود وقالوا: اعلم بأنك لن تتمكن من دخولها لأنها مهاجر نبي يبعثه الله في آخر الزمان فاستشار من معه من العلماء وكانوا أربعمائة عالم هم أجداد الأنصار من الأوس والخزرج، فأقروا بذلك فأعطاهم مالاً وزوجهم وبنى لكل عالم منهم بيتاً، وملَّكه له وبنى لكبيرهم بيتاً من دورين، وسلمه لهـ وسلمه رسالة وقال إذا هاجر نبي آخر الزمان إلى هذا المكان فهذا بيته بنيته له وهذه رسالة سلمها إليه وكتب في هذه الرسالة[٨٠] قائلاً:

شهدت على أحمد أنه	رسولاً من الله باري النسم
فلو مُدّ عمري إلى عمره	لصرت نصيراً له وابن عم
وجالدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كل هم
فمنا قبائل يؤونه	إذا حل فى الحل بعد الحرم

وروى أحمد عن بن سعد: { **لاَ تَسُبُّوا تُبَّعاً فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ** }، وفى النهاية : { **فأنه أوَّلُ من كسَا الكعْبة** }، وفى المستدرك عن عائشة: {**ألم تروا أنَّ الله ذمَّ قومَه ولم يذمّه** }..

٧٩ رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن الزبير.
٨٠ وردت فى تفسير القرطبى، وخلاصة السير الجامعة لنشوان الحميرى، واللمع اللؤلؤية فى شرح العشر بينات النبوية للفارابى.

فانظر إلى من تمسك بهدى الله واستمسك بدين الله كيف أعزه مولاه وبنى له بيتاً قبل هجرته بثلاثمائة عام أو يزيد، وهيأ له من يصحبه من الرجال بالسيوف ومن يكسوه بثياب الملوك ومن يحميه من أعين الكافرين وقال في ذلك ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤٠التوبة)، وهكذا أمر كل مسلم وأمر كل مؤمن يتمسك بهدى الله ولا يغير شرع الله بأهوائه أو بأهواء من حوله ولا يغير مبدأ أقره الله عليه ولا ديناً أنشأه الله عليه لابد أن يعزه مولاه وينصره الله لقول الله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون). قال ﷺ: { لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ } [٨١].

وقال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ } [٨٢]

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي اختار لنا الإسلام ديناً والقرآن كتاباً وسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الرءوف الرحيم. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد لسان الكمال والصدق النبي الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين وعلينا معهم أجمعين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. إن نصر الله لن يتخلف عن عباده المؤمنين لأنه قال في قرآنه ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ (٤٠الحج)، وقال في كتابه ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ (٢١المجادلة)، وقال لنا أجمعين ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧محمد)، فليس نصر الله في الحرب فقط كما يظن البعض ولكن نصر الله هو التمسك بالأخلاق والفضائل والآداب والمثل والقيم التي أتى بها الله في أحلك ظلمات الحياة فمن تمسك بقيمة الإيمان ولم يتخلى عنها مع شدة دواعي الزمان نصره الله ﷻ في كل مكان، فالدين أساسه هذه القيم الإيمانية فمن زعم أن الله تخلى عنه مع إنه يحافظ على الصلوات في وقتها ويتلو القرآن ويذكر الله ويحج بيت الله نسأله ونقول له سل نفسك هل أنت أمين في الكلام مع الخلق؟ فإذا تكلم أحد أمامك بكلمة لا تنقلها إلى غيرك؟ فتلك الكلمة أمانة هل أنت أمين على المجالس فإذا جلست مجلساً و{المجالس بالأمانات} [٨٣] كما قال ﷺ لا تنقل

---

٨١ متفق عليه.

٨٢ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

٨٣ رواه البزار عن أبي سعيد والبيهقي وأبي داود عن أبي هريرة.

أسرار هذه المجالس فتحدث فتناً بين الجالسين وغيرهم.

هل أنت أمين على معاشرتك لزوجتك فلا تبيح ولا تتحدث عما يحدث بينك وبينها؟ لقد قال الحبيب ﷺ: { **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا وتَنْشُرُ سِره** }[٨٤] فيصبح وقد نزل عليه ستر الله فيقول فعلت مع زوجتي كذا وفعلت معي كذا وهذا ليس من أخلاق المؤمنين.

لقد قال ﷺ: : { **أَلاَ عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ اهْلِهِ يُغْلِقُ بَاباً ثُمَّ يُرْخِيَ سِتْراً ثُمَّ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، أَلاَ عَسَى إِحْدَاكُنَّ أَنْ تُغْلِقَ بَابَهَا وَتُرْخِيَ سِتْرَهَا، فَإذَا قَضَتْ حَاجَتَهَا حَدَّثَتْ صَوَاحِبَهَا؟» فَقَالَتْ امرأة سَفْعَاء الخَدَّين: والله يا رسول الله إنهنَّ ليفعلن، وإنهم ليفعلون، قال: «فَلاَ تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَرَكَهَا** }٨٥

لأنه يكشف ستر الله الذي ستره عليه.

فلنكن أمناء في كيلنا، أمناء في موازيننا، أمناء في مواعيدنا لا نخلف ميعاداً ولا توقيتاً. هل نحن أمناء في كل حركاتنا وسكناتنا؟ إذا كان المرء كذلك أميناً في كلمته، أميناً في بيعه، أميناً في شرائه، أميناً في وعده، أميناً في مجالسه فليستبشر وليعلم أن الله معه يؤيده وينصره ويعضده لأنه تمسك بهدى الله وكان على خلق رسول الله ﷺ << ثم الدعاء >>.

الخطبة السادسة[٨٦]

نصرة الله تعالى لرسوله ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، ناصر المستضعفين، ومعز عباده المؤمنين وجاعلهم فوق الذين كفروا إلى يوم الدين ... سبحانه.. سبحانه من آمن به واتبع هداه نصره على من عاداه، وأسعده في الدنيا ورفع ذكره يوم لقاء الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويغني من يشاء، ويفقر من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء لأنه بيده الخير كله وبيده الملك

٨٤ صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى
٨٥ رواه البزار وأبي داوود عن أبي سعيد الخدرى
٨٦ كانت هذه الخطبة بمسجد عيد بمدينة زفتى محافظة الغربية يوم الجمعة ١٩٩٦/٥/٢٤م الموافق ٧ محرم ١٤١٧هـ.

وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أعزه الله ﷻ ونصره على القوم الكافرين وجعله يخرج من بينهم رغم كثرة جندهم وكثـرة عتـادهم وهـم لا يشعرون، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والناصـر الحـق بـالحق والدامغ لجيوش الأباطيل، والفالج بالحجة والبرهان، والمقيم بأمر الله ﷻ للشريعة والأركـان والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم الجمع على الرحمن وعلى آله وصحبه وسلم آمـين يـا ربَّ العالمين ... أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون..

ونحن في أيام هجرة رسول الله ﷺ يقف العبد المؤمن لينظـر فـضل الله، وإنعـام الله، وإكرام الله لسيدنا رسول الله ﷺ على من عاداه وتلك سنة لا تتخلف فيمن بعده من المؤمنين والمؤمنات إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها فنحن نأخذ من الهجرة عظة وعبرة وهي أن من توكل على الله كفاه، ومن استعان بالله ﷻ أعانه وقواه، ومن انتصر بالله ﷻ نصره علـى من عاداه ولو كانوا جميعاً وهو بمفرده ولو كان معهم كل أنواع المعدات والأسلحة ولـيس معه إلا الثقة بربه والاتكال على صنعه ﷻ وهو ﷻ ولي المؤمنين.

فاسمعوا معي يا إخواني إلى قول الله ﷻ معبراً عن هذه الحقيقة يقـول سـبحانه ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤٠التوبة) ، أي إذا كنتم تركتموه وخذلتموه وتخليتم عنه لكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً فمن اعتز بالله لو تجمع له أو حوله كل أركان الوجود علواً وسفلاً فلن يستطيعوا أن يضروه بشئ لأن الله يحفظه وينصره ويعينه ويكفيه ﷻ والنصر كما قال الله ﷻ ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (١٢٦آل عمران). فالنصر ليس بالقوة ولا بالسلاح ولا بالرجال وإنما بالله ﷻ لأنه خير الناصرين ﷻ .

كان رسول الله ﷺ وأنتم تعلمون ذلك أكثر مني، قبل الهجرة بزمن قصير ذهـب إلى بيت المقدس في بلاد الشام، وصعد بعدما اجتمع بالأنبياء والمرسلين إلى السموات سماء تلـو سماء، وبين السماء والأرض كما قال ﷺ مسيرة خمسمائة عام، وعرض كـل سمـاء مـسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام!!! قطع كل هذه المسافات واختـرق السموات السبع والعرش والكرسي ودخل الجنة وشاهد ما أعده الله فيها للمـؤمنين، ورأى النار وما جهز الله فيها للكافرين والعصاة والمـذنبين، ثم أذن الله ﷻ لـه فـشاهد جمالـه السرمدي، وسمع كلامه القدسي وجاء حوار طويل بينه وبين رب العالمين يقول فيه الله ﷻ في كلامه الكريم ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (٩ - ١٠النجم)، وبعد ذلك رجع وفراشه الذي كان ينام عليه لم يبرد بعد ما زال ساخناً ودافئاً كل هذه المـسافات

قطعها في أقل من لمح البصر فكان الوضع الطبيعي لنا جميعاً والذي يستدعي العجب منا أجمعين لماذا لم ينتقل ﷺ من مكة إلى المدينة في طرفة عين كما فعل في هذه الرحلة؟ ... لماذا لم يضع رجله من بيته في مكة إلى مستقره في المدينة ليرتاح من عناء السفر ومن مطاردة الكافرين ومن السير في وعثاء الحر بين الصخور والرمال والجبال؟

من أجل يكون لنا فيه الأسوة والقدوة ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) .

لأنه لو قطعها في خطوة واحدة لكان كل واحد فينا عندما تحصل له شدة أو مأزق أو أزمة يقول لست كرسول الله في طرفة عين كان هناك أصبح هنا ولكن جعله الله أسوة لنا أجمعين في الأخذ بالأسباب من أجل أن نعرف ونتأكد ونتيقن أن الذي يكون اعتماده على الله لابد أن يثق كل الثقة في تأييد الله وفي نصر الله مهما كان عدد أعدائه وعدهم لأنه منتصر بالله ﷺ.. هذه هي الحكمة يا إخواني في سيره فقد تجمع الكفار وقالوا لم يعد لنا مع هذا الرجل إلا أمراً واحداً نقتله ونستريح منه وكيف نقتله وعائلته كبيرة؟

فقالوا: نأخذ من كل قبيلة شاباً فتياً قوياً وأن يذهبوا ويتجمعوا حول منزله فإذا خرج نزلوا عليه بسيوفهم جميعاً فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع أهله أن يطالبون بثأره وإذا أفلت من هذه الجماعة فإن لمكة إثنى عشر طريقاً للخارج منها أو للداخل إليها فجعلوا على كل طريق فريق مستعد جاهز بالعتاد والسلاح حتى إذا خرج من بينهم ولم تلحقه سيوف المحاصرين تأخذه سيوف المتربصين على أي طريق سيخرج منه لأنه لابد أن يخرج من هذه الطرق فليس لمكة غير الإثنى عشر طريقاً هذه. ماذا صنع له الله؟ وهو عبداً لله ومتوكل على مولاه ﷺ خرج من بينهم وهم يتكلمون ويقولون لبعضهم: إن محمداً زعم أن الله سينصره وأنه سيكون له جبال وحدائق وجناين مثل التي توجد في بلاد الشام وفي بلاد العراق فخرج عليهم وقال: نعم أنا أقول هذا. أخذ الله أسماعهم فلم يسمعوه يسمعون بعضهم ولكنهم لا يسمعونه عناية من الله لحبيبه ومصطفاه يسمعون كلامهم مع بعضهم لكن لا يسمعون كلام النبي الذي قاله لهم يرون بعضهم ولكنهم لا يروا حبيب الله ومصطفاه وزاد على ذلك فأخذ حفنة من التراب بيده ومر عليهم جميعاً ووضع على رأس كل رجل منهم حفنة من التراب.

ما السلاح الذي كان معه؟ السلاح الذي كان معه سلاح لا يوجد في أمريكا ولا في روسيا ولا في ألمانيا ولا في اليابان وإنما يوجد في مصانع القرآن ما المصنع الذي أنتج هذا السلاح؟ ﴿ يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١ - ٤يس)، جلس يقرأ هذا السلاح حتى وصل إلى قول الله ﷻ ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٩يس)،

أي سلاح بالدنيا في هذا الوقت؟ وفي أي دولة من دول العالم يستطيع أن يجعل الواحد يقف في وسط أعدائه ولا يرونه؟ لا يوجد إلا سلاح ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ وأين يوجد؟ يوجد في كتاب الله ﷻ وفي كلام الله ﷻ ومع المؤمنين والمؤمنات أجمعين إلى يوم الدين.

كل واحد يستطيع أن يستخدمه في وقت الشدة وفي وقت الأزمة وفي وقت النكبة ويصلح الله ﷻ به شأنه وينصره به على أعدائه. فخرج ﷺ من طرق مكة وأيضاً لم يره المتربصون إلى أن وصل إلى الغار وحماه الله ﷻ في الغار كما قال في قرآنه ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤٠التوبة)، جنود لا يصدق أحداً أبداً أنها أصبحت في ميدان القتال.

حمامة وعنكبوت وشجرة قصيرة ضعيفة من شجيرات الصحراء هي التي حمت سيد الأنبياء ﷺ من مكر وكيد الأعداء. من أجل ماذا يا إخواني من أجل أن نعلم علم اليقين أن الله ﷻ إذا أراد نصر عبد اعتمد عليه نصره ولو بأضعف مخلوقاته ولو بأقل كائناته ليس فرضاً أن ينصره بالملائكة وما أكثرهم عند الله ﷻ أو ينصره بالرياح وما أشدها وأعتاها إذا أرسلها الله ولا أن ينصره بالماء يتفجر من الأرض أو يتزل من السماء. جنود يقول فيها الرب المعبود ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣١المدثر) .

فالذي يعتمد على الله لا يحدد السلاح الذي ينصره الله به لأن الله ينصر من يشاء بلا جند أو عتاد وهو ﷻ إذا أراد نصره بأضعف الأشياء وتلك سنة الله ﷻ مع الأنبياء والمرسلين والصالحين والمؤمنين في كل وقت وحين. فالعنكبوت حيوان ضعيف وربنا نفسه قال في شأنه ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١العنكبوت)، لكن هذا الحيوان الضعيف والحشرة الصغيرة التي ليس لها أجنحة نصرت نبي الله داود ونصرت نبي الله محمد ﷺ أجمعين.

فداود عليه السلام لما انتصر على جالوت وأخذ يجري وراءه ليقتله دخل واختبأ في الغار فأرسل الله ﷻ عليه عنكبوتاً نسج على باب الغار فلما جاء جالوت ومن معه وقال بعضهم لقد اختبأ في هذا الغار قال جالوت كيف دخله ولم يقطع نسج العنكبوت ونسج العنكبوت يغطي الباب كله؟ ولا يعلم أن الله ﷻ كما يقول في شأن الماكرين والمنافقين والمشركين ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٣٠الأنفال) ، ويمكرون يعني (يدبرون) هم يفكرون ويدبرون وربنا يدبر ومن تدبيره أكبر؟ تدبير الله ﷻ أكبر. هو نفس العنكبوت الذي نسج على باب الغار بعد أن دخله النبي المختار ﷺ ولذلك يقول ﷺ {**العنكبوت جند من جنود الله ﷻ**} من أجل أن يعلم المؤمن علم اليقين أن الله ينصر عبده المؤمن بأضعف شئ وبأقل شئ ما دام قد اتجه إلى حماه واعتمد على نصر الله وطلب التدخل السريع من فرق

الإنقاذ الإلهية التي جعلها الله ﷻ نصرة لعباده المؤمنين والمؤمنات أشياء كثيرة لا أريد أن أطيل عليكم بذكرها حتى لا يطول المقام. وقد نتعرض لبعضها بعد الصلاة خوفاً من الإطالة.

قال ﷺ **{لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ}**[٨٧]، وقال ﷺ: **{المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ والمؤمن من آمن جاره بوائقه والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللهُ عنه}**[٨٨]. أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين ولي المؤمنين ومعز المتقين وراد كيد الأعداء في نحورهم أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للخلق أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. في هذا الشهر الكريم وفي يوم العاشر منه وهو يوم عاشوراء كان أيضاً فيه نصر السماء ملازماً للأنبياء بأضعف الأشياء. فهذا فرعون يخرج بجنده وكان عددهم كما تخبر بعض الروايات قد يزيد عن المليون جندي مع عتادهم ومع أسلحتهم وموسى ليس معه إلا قومه، وهم مستضعفون ليس معهم أسلحة كافية ولا عدة كافية لكن نصره الله في هذا الموقف. كيف نصره الله؟ عندما وصل إلى اليم – إلى البحر الأحمر – وسار ومن معه وقد رأوا فرعون مقبلاً بجنده قالوا ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٦١الشعراء)، الأعداء خلفنا قال لهم: لا تخافوا ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢الشعراء) ، الذي معه الله لا يخاف ولو تجمعت حوله كل الأعداء، وكل المعدات وكل المقذوفات الجهنميات. إلا أن عناية الله ووقاية الله تغني عن كل هذه الأشياء. ما السلاح الذي نصره به الله؟

قال له الله: اضرب بعصاك البحر فضرب البحر بعصاه فظهر فيها اثنا عشر طريقاً لأنهم كانوا اثنا عشر قبيلة كل قبيلة تمشي في طريق والبحر قاعه من أسفل به ماء وطين كيف يمشون على الطين؟ لكن الله بقدرته وعظمته جعل الطين جافاً ويابساً ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ (٧٧طـه)، يبساً يعني (ناشفاً) يمشون عليه وهم مطمئنون وبين كل طريق وطريق جمد الله الماء وجعله جداراً من الماء حاجزاً بينهم فقالوا: يا موسى نريد أن نراهم ونكلمهم.

---

[٨٧] متفق عليه.
[٨٨] متفق عليه.

فأوحى الله إليه أن يضرب الماء فضرب الماء فصارت في جدران الماء نوافذ يرون منها بعضهم ويكلمون منها إخوانهم وهم سائرون في البحر حتى عبروا إلى الجهة الأخرى، وكان آخر رجل من قوم موسى يخرج مع آخر رجل من قوم فرعون يترل إلى الماء فضرب البحر بعصاه مرة أخرى فعاد البحر كما كان، وبذا أخرجهم الله أجمعين عناية من الله ...

ولما هاجر سيدنا رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم العاشر من شهر الله المحرم فسألهم وهو أعلم لماذا تصومون هذا اليوم؟ فقالوا: هذا اليوم الذي نجا الله فيه موسى ونصره على فرعون وقومه فقال ﷺ: { نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُم }[٨٩] وصامه وأمر بصيامه وقال في شأنه ﷺ: { صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيةَ }[٩٠] ولما قال اليهود: ما وجد محمد شيئاً مما نعمله إلا عمله خالف هو وأصحابه عملهم وقال ﷺ: { لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ والعاشر }[٩١] فصوموا هذه الأيام يغفر الله لكم ذنوب سنة بعمل يسير يسره الله ﷻ علينا.

ندعو الله في هذا اليوم فإن الدعاء فيه مستجاب. فقد استجاب الله فيه لموسى ونصره على فرعون وقومه واستجاب الله فيه لآدم فتلقى فيه من ربه كلمات تاب بها إلى الله فتاب الله عليه، << ثم الدعاء >>.

الخطبة السابعة[٩٢]

صور من هجرة الصادقين

الحمد لله ربِّ العالمين يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير،

سبحانه سبحانه! لو أراد أن يحيا الناس جميعاً في الدنيا في نعيم الجنة لكان ذلك لهم ولكنه ﷻ ابتلى الخلق ليختبرهم فيثيب من أثابه عن عملٍ صالح قدمه ويعاقب من عاقبه بسوء في آخرته لذنب في الدنيا عمله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمره بين الكاف والنون ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

---

[٨٩] عن ابن عباس، سنن أبي داوود وكثير غيرها

[٩٠] رواه البيهقي في سننه عن أبي قتادة.

[٩١] رواه البيهقي في سننه وابن أبي الجعد في سننه عن ابن عباس.

[٩٢] كانت هذه الخطبة بمسجد الحاج إبراهيم الطنطاوي بمدنية بنها يوم الجمعة ٧ من محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٤/٢٣م.

أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس) ، وحكمه بعيد عن الأهواء والظنون وإرادته نافذة على جميع من في الكون لا راد لفعله ولا معقب لقضائه ولا انتهاء لملكه بل ملكه دائم سرمدي إلى أن يرث بعزته وجلالته الأرض ومَنْ عليها، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ربّاه الله على عينه وأمره بتبليغ شريعته ووعد من أطاعه بالعز في الدنيا والخلود في دار جنته وتوعد من عصاه بالهوان في الدنيا وبدخول دار شقوته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والناصر الحق بالحق والداعي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. إن الله ﷻ وهو القادر ولا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء كان قادراً على أن يعز نبيه في بلدته مكة ويهلك الكافرين ويمنع المؤمنين ويجعلهم وهم بين ظهرانيهم أعزة لا سلطان عليهم إلا لربِّ العالمين، وقد خير في ذلك رسول الله ﷺ فعندما وجدهم لا يؤمنون به إلا القليل وذهب إلى الطائف ليدعو أهلها من ثقيف إلى الإسلام فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به فرجع من عندهم إلى مكة ونزل عليه الأمين جبريل عليه السلام وهو في الطريق بعد أن رفع شكواه إلى الله وأنزل حاله بمولاه ومعه ملك وقال: يا محمد هذا ملك الجبال وقد جعله الله ﷻ طوع أمرك. فقال له ملك الجبال: {**يا محمد إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**} (والأخشبين الجبلين المحيطان بمكة) يعني لا يبقى فيها أحد ولكنه ﷺ قال: {**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**}[٩٣] واشتد إيذاء أهل مكة لأصحابه وذهب نفر منهم يشكو من شدة ما يجد من الايذاء لكنه ﷺ أمرهم بالصبر الجميل، وقال لهم: {**اصبروا حتى يجعل الله ﷻ لكم فرجاً ومخرجاً**} ومضى حين من الزمن فأمرهم أن يخرجوا وقال: { **إنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ وهُمَا الحَرَّتَانِ فَهاجَرَ مَنْ هاجَرَ قِبَلَ المدِينَةِ ورَجَعَ عامَّةُ مَنْ كانَ هاجَرَ بأرْضِ الحَبَشَةِ إلى المَدِينَةِ**}٩٤

فمنهم من هاجر متخفياً ومنهم من أعلن بهجرته كعمر بن الخطاب وقد طاف بالقوم وهم حول الكعبة وقال منذراً ومتوعداً { **من أراد أن تثكله أمه أو تتيم أولاده أو تترمل زوجته فليتبعني خلف هذا الوادي** } وخرج نهاراً جهاراً ولم يتعرض له أحد، ومنهم من ترك كل ما يملك كصهيب رضي الله عنه وخرج بنفسه وعندما لحق به أهل مكة أخذ كنانته وأخرج

---

٩٣ رواه ابن حبان في صحيحه والبخاري ومسلم في صحيحيهما والسيوطي في الكبير والنسائي في سننه عن عائشة.
٩٤ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في سننه وأحمد في مسنده عن عائشة.

سهامه وقال: يا معشر قريش تعلمون أني من أحكمكم رمياً ووالله لو اقتربتم مني لأصوبن إليكم سهامي حتى إذا انتهت كنانتي (يعني محفظة السهام) أمسكت بسيفي فجالدتكم ولكن أدلكم على خير من ذلك. أدلكم على مالي فتأخذوه وتتركوني أهاجر إلى الله ﷻ فرضوا بذلك فنزل في الحال تلغراف من ملك الملوك إلى الحبيب ﷺ يقول فيه الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٢٠٧البقرة)، فقال ﷺ وهو في مكانه: { رَبِحَ الْبَيْعُ أَبا يَحْيى } لصهيب { رَبِحَ الْبَيْعُ أَبا يَحْيى } [٩٥].

لماذا أمرهم الله بالخروج مرتين إلى الحبشة ومرة إلى المدينة وقد قال في قرآنه ﷻ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢١المجادلة)، تلك هي الضريبة واسمها شبيه بها عندما يقابلون الأعداء لماذا لا يغلب الله الأعداء - وهو القادر - بدون حرب؟ وقد قال لحبيبه وأتباع حبيبه ﷺ منبهاً ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١٧ الأنفال) ، لأن هذه هي حكمة الإيمان فقد أعلنوا الإيمان ونحن جميعاً والحمد لله أعلنا الإيمان وكل من يعلن الإيمان لابد له من امتحان واختبار يجريه عليه الديان ليعلم صدق إيمانه فيكتبه من الصادقين إذا وفى بما عاهد الله عليه أو يرى رقة إيمانه إذا لم يتحمل ما اختبرته به خبرة رب العالمين فيعطيه ثوابه على قدر إيمانه وفي ذلك يقول الله ﷻ في الأمر الجامع لجميع الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وعامة المسلمين والمؤمنين من السابقين واللاحقين يقول الله ﷻ ﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لماذا؟ ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۞ ﴾ (١ - ٣العنكبوت) .

إذاً لابد لأهل الإيمان من الاختبار والامتحان على حسب زمانهم وعلى حسب قدراتهم واستعداداتهم وعلى حسب ما في قلوبهم من نوايا وطوايا وصدق ويقين في عقيدتهم لله ﷻ وكلما زاد الإيمان كلما زاد الامتحان ليزيد الرقي عند حضرة الرحمن ﷻ ولذلك قال الحبيب ﷺ: { يُبْتلى المرء على قدر إيمانه } وبين درجات الابتلاء فقال ﷺ: **{ عن مُصْعَبِ بنِ سعد عن أبيه، قالَ : يا رسولَ اللهِ، مَنْ أشدُّ الناسِ بَلاءً؟ قالَ: الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ فالأَمثلُ، يُبْتَلَى العبدُ على حَسَبِ دينِه، فما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعبدِ حتى يَدَعَهُ يَمْشي على الأَرْضِ وما عليهِ خَطيئةٌ}** [٩٦]

فلو كان البلاء يقصد به العقاب أو الجزاء حاشا لله ﷻ،لحفظ منه كمّل عباده وهم

---
٩٥ رواه الحاكم والطبراني عن صهيب وقال الشيخان هذا حديث صحيح الإسناد.
٩٦ صحيح ابن حبان

الأنبياء والصالحون والصديقون وما شابههم وما ماثلهم لكن الله ﷻ وهو الحق والكل عنده سواء ولا يكرم الخلق بقدر عطائهم من الدنيا لأنه هو الذي أعطاها لهم، وهو الذي أعطى هذا وحرم هذا، وهو الذي رفع هذا وخفض هذا، وهو الذي أعز هذا وأذل هذا، وهو ﷻ هو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يخفض ويرفع.

ولأن هذه الأشياء تساوى فيها بل زاد فيها الكافرون على المؤمنين! فلم يجعلها هي معدن الابتلاء وإنما الابتلاء على قدر الإيمان وجعل ابتلاء أصحاب النبي ﷺ في امتحان صلابة الإيمان في نفوسهم فتعرضوا للكافرين تارة بالاستهزاء وتارة بالتعذيب! وتارة بالطرد! وتارة بالضرب! وتارة بأخذ أموالهم! وتارة بأخذ أرواحهم وإزهاق نفوسهم! ينظر الله ﷻ إلى قلوبهم عند تعرضهم لهذا البلاء فمنهم من هو أشد صلابة في دين الله من كل جبال الدنيا وصخورها ولا تأخذه في الله ﷻ هوادة كأبي عبيدة بن الجراح الذي التقى في غزوة بدر مع أبيه وجهاً لوجه وكلما ابتعد من أمام وجه أبيه براً به وهو كافر أسرع أبوه ليلحق به! فخاف أن يقتله مسلم فيكون في صدره شئ نحو هذا المسلم، فأراد أن يثبت لله أنه لا يخشى إلا الله ولا تأخذه رأفة في دين الله ﷻ فقتل أباه بسيفه.

ومنهم مصعب بن عمير وكانت أمه من أثرياء مكة وعندما آمن بالإسلام حرمته من كل مالها ومقتنياتها وتركته يتكفف إخوانه المؤمنين لقلة ذات يده، وأرسلت رسلها يطلبون منه أن يرجع إلى دينها وترد له الأموال التي عندها، لكنه قال لهم قولوا لها: هيهات هيهات لقد عرف القلب حب الله واستنشق عبير كتاب الله فلم يعد يجد لذة إلا في مناجاة مولاه ﷻ، ويجيب على أخيه أبي اليسر في موقعة بدر وهو أسير في يد رجل من المسلمين فيستنجد به أخوه، فليتفت إليه ثم يقول لأخيه المسلم: أشدد يدا أسيرك فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير، فقال: أهذه وصايتك بأخيك!؟ قال: لست أخي وإنما هذا هو أخي والإسلام فرق بيننا ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤المائدة) ، فنجحوا في الامتحان جميعاً وقال لهم الله مع حبيبه في قرآنه ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)، فهم معه في الدنيا ومعه في الاخرة ومعه عند لقاء الله وبشرهم بالجنة ووعدهم بمقعد صدق وهنأهم بما لهم عند الله من مقام كريم وأجر عظيم لأنهم نجحوا في هذا الابتلاء. فنصرهم الله وأعزهم الله وفتح لهم البلدان وصاروا أمراء وقادة جيوش وفاتحين وجاءتهم خزائن الدنيا كلها تحت أرجلهم فكان الإمتحان الأعظم فلم يلتفتوا عن الله طرفة عين ولم تشغلهم الدنيا عن الله ولاعن طاعته وعبادته ولم يتخلوا بسبب طغيان المادة عن الأخلاق الإسلامية من الصدق والأمانة والكرم والشجاعة وغيرها من أخلاق الإيمان.

وقد ورد أنه لما فتحت خزائن كسرى أمر قائد الجيش جنده أن يحضروا ما وجدوه

فأحضروا كل ما التقطوه من ألوان النعيم ومن أصناف الأموال حتى من كان يجد ولو إبرة يأتي بها إلى القائد، وجاء رجل منهم ومعه صندوق كبير مليء بالجوهرات التي كان يتحلى بها نساء كسرى وهي مجوهرات لم يروا جميعاً مثلها في حياتهم فليس في بيتهم ولو قليل من مثلها فقال له القائد ما اسمك؟ قال: ولم؟ قال: لنرسل لعمر بن الخطاب نخبره عن شأنك. قال: عجباً لك!! لو كنت أتيت بهذا من أجلك أو من أجل ابن الخطاب ما أتيت به وكنت أخرته عندي وأخذته لي! ولكن جئت به من أجل خشية الله ﷻ ! وحملت هذه الكنوز جمال كان أولها في المدينة المنورة وآخرها في بلاد فارس وكانت أكواماً كثيرة في مسجد الحبيب ﷺ وتجمع المسلمون في المدينة المنورة ومن حولها ليشاهدوا غنائم المؤمنين من كنوز كسرى وعجبوا وقال عمر رضي الله عنه قال: { **إنّ أقْوَامَاً أدُوا هَذَا لَذَوُو أَمَانَةٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرّعِيّةُ** }[٩٧]

هذا رجل منهم وهو سلمان الفارسي يأتيه صك بتعيينه أميناً على المدائن وبينما هو يمر ويتفقد أحوال رعيته إذا برجل مسافر لا يلحظ عليه إلا مرة وأنه أمير المدينة ومعه أثقال يريد من يحملها فأشار إليه وقال تعال احمل متاعي فحمله على كتفه وبينما هو يمشي خلفه إذا رجل يقول له: السلام عليك أيها الأمير. فتعجب الرجل وقال: أنت أمير المدائن؟ قال: نعم. قال: وتحمل لي أثقالي! قال: وماذا في ذلك؟ ذهبت وأنا سلمان ورجعت وأنا سلمان.

فلم تفتنهم الدنيا وزينتها وزخرفها عن الرحمن طرفة عين ولا أقل فكانوا بذلك وعلى ذلك من الذين يعنيهم الله بقوله ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء) .

ونحن كذلك أعلنا الإيمان فابتلانا الله ﷻ ليختبرنا بصدق الإيمان. ابتلانا الله بفتن الدنيا وزينتها وزخرفها وطغيان الأموال وابتلى بعضنا ببعض الأمراض وابتلى بعضنا ببعض المناصب وابتلى بعضنا ببعض زواره وابتلى بعضنا بأمور في بيته أو في عمله أو في نفسه أو في إخوانه لأن الله قال وهو أصدق القائلين ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ نمتحنكم جميعاً في أي أمر من هؤلاء ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١٥٥البقرة).

قال ﷺ يقول الله تعالى { **إني والجن والإنس في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل إلي تلقيته**

---

٩٧ عن مخلد بن قيس العجلي عن أبيه، جامع المسانيد والمراسيل

من بعيد ومن أعرض عني ناديته من قريب ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ومن أراد رضاي أردت ما يريد ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا إلي فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين لم يتوبوا إلي فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.}[98]..
أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا للإيمان، وملأ قلوبنا بالإسلام، ونسأله ﷻ أن يثبتنا على الحق، وعلى طريقه المستقيم ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أتم الله به علينا النعمة، وأسدل به علينا المنة، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد حبيبك ومصطفاك واجعلنا أجمعين تحت لواء شفاعته يوم الدين واحشرنا في زمرته في جنة النعيم يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. من فضل الله ﷻ علينا أنه جعل التوبة أقرب إلينا من أنفاسنا التي تتردد في أجسامنا فمهما فعل المرء وارتكب من الخطايا إذا رجع في أي نفس وقال يا ربَّ تبت إليك يقول في الحال وأنا قبلت لأنه ﷻ كما قال في قرآنه: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢البقرة)، بل قالَ الله تَبَارَكَ وتعَالَى: **{يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً}**[99] وقد جعل الله ﷻ من فضله أياماً خصّصها للمغفرة ومن هذه الأيام يوم عاشوراء يوم العاشر من شهر الله المحرم فقد قال فيه رسول الله ﷺ: **{صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاء يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيةَ}**[100]

إذا اهتم فيه الإنسان بالطاعات وصامه لله وقضى يومه في التوبة والإنابة لحضرة الله ﷻ ولذلك فالحبيب ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يصوم هذا اليوم

---

٩٨ رواه البيهقي والحاكم عن معاذ والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداءباختلافات ونقصان أوزيادة ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لإبن القيم الجوزية
٩٩ سنن الترمذي عن أنس بن مالك
١٠٠ رواه البيهقي في سننه عن أبي قتادة ورواه مسلم في صحيحه عن يحي بن يحيي.

ويقول { صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاء يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ } عمل سهل يسير وأجر كبير. ولما وجد اليهود يصومون هذا اليوم لأنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم واليوم الذي نجا الله فيه موسى ومن معه من فرعون وملأه فنادى وقال لأصحابه: خالفوا اليهود، وقال كما أخبر حبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ : { لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ والعاشر }[١٠١] فعليكم بصيام التاسع والعاشر، واضرعوا فيه إلى الله وسلوا الله فيه مطلوبكم بصدق وقولوا جميعاً: تبنا إلى الله ورجعنا إلى الله وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً وبرئنا من شرور أنفسنا وسيئات أقوالنا وقبائح أعمالنا وكل شئ يخالف دين الإسلام والله على ما نقول وكيل والله على ما نقول شهيد .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثامنة[١٠٢]

المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

الحمد لله ربِّ العالمين، ولي المتقين ومعز المؤمنين أحمده ﷺ لأنه المتولى لجميع منن الخلق أجمعين، سبحانه.. سبحانه! واهب الفضل ... وصاحب الجود والكرم .... ، يهب النعم لكل البشر، ولو كانوا مشركين وجاحدين !!! ، ويعفو عمن يشاء وإن طال عمرهم في عمل المعاصي والفحشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله تولاه الله عزوجل بعنايته، وأدبه برحمته، وجعله نعمة لجميع بريته، وجعله يوم القيامة باب سعادته، فالناجي من مشى على هديه وقام بشريعته، والهالك من خالف أمره وحاد عن سنته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مبدأ الخير، وأسّ البر للخلائق أجمعين وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن على أبواب عام هجري جديد، يتساءل كثير من الناس سؤالاً قد يكون معاداً ولكننا نلمح فيه معنى فريداً وجديداً !!

أما السؤال فهو لماذا هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة؟

---

١٠١ رواه البيهقي في سننه وابن أبي الجعد في سننه عن ابن عباس.
١٠٢ كانت هذه الخطبة بمسجد النور بحدائق المعادي محافظة القاهرة يوم الجمعة ١٩٩٥/٥/٢٦م الموافق ٢٧ من ذي الحجة ١٤١٥هـ.

والمعتاد في دنيا الناس كما نرى الآن أن يهاجر الإنسان بحثاً عن المال إذا كان لا يحصله في موطنه إلا بمشقة بالغة، أو يهاجر بحثاً عن منصب كريم إذا كانت نفسه تتوق إلى أن يكون رجلاً عظيماً ولا يجد دواء لتلك العظمة في بلدته وموطنه، أو يهاجر للعلاج إذا كان بــه داء أعى الأطباء في بلدته فيهاجر بحثاً عن طبيب ماهر في بلد آخر ليعالجه من الداء الذي يــشكو منه، وهذه الأشياء كلها قد عرضها الكافرون على رسول الله ﷺ ...

فقد اجتمعوا فيما بينهم بعد أن أعياهم أمره، ولم يستطيعوا أن يوقفوا زحفه المقــدس على القلوب ليسوقها إلى حضرة علام الغيوب ﷻ، فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا رجــلاً منــهم يعرض عليه كل ما تتوق إليه النفس البشرية من أهواء أو شهوات أو ملذات، فقد ذهب إليه { عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَكَانَ سَيداً حَلِيماً، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ . وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ .: يَا مَعْشَر قُرَيْشٍ أَلاَ أَقُومُ إِلَىٰ هَـٰذَا فَأُكَلمَهُ، فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُوراً لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ بَعْضَهَا، فَنُعْطِيَهُ أَيُّهَا شَاءَ، وَيَكُفَّ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضيَ اللَّهُ عنهُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رسولِ اللَّهِ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلىٰ، فَقُمْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فكَلمْهُ، فقَامَ عُتْبَةُ حَتّىٰ جَلَسَ إِلىٰ رسولِ اللَّهِ فقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السَّعَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ: فَرّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلاَمَهُمْ، وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ، وكَفَّرْتَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِني أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُوراً تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا بَعْضَهَا، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّىٰ تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ شَرَفاً شَرّفْنَاكَ عَلَيْنَا حَتّىٰ لاَ نَقْطَعَ أَمْراً دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكاً مَلّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيكَ رَئِيٌّ، تَرَاهُ وَلاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُدّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطّبِيبَ وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتّىٰ نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنّهُ رُبّمَا غَلَبَ التّابِعُ عَلىٰ الرّجُلِ حَتّىٰ يُدَاوىٰ مِنْهُ، أَوْ لَعَلّ هَـٰذَا الّذِي تَأْتِي بِهِ شِعْرٌ جَاشَ بِهِ صَدْرُكَ، حَتّىٰ إِذَا فَرَغَ عَنْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ رسولُ اللَّهِ: أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ : فَاسْمَعْ مِني، قَالَ: أَفْعَلُ ، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١-٣غافر)، فَمَضَىٰ رسولُ اللَّهِ فَقرَأَهَا عَلَيْهِ، فَلَمّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهُ، وَأَلْقىٰ يَدَيهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِداً عَلَيْهَا يَسْمَعُ مِنْهُ، حَتّىٰ انْتَهىٰ رسولُ اللَّهِ لِلسّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا ثُمّ قَالَ: قَدْ

سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ، فَأَنْتَ وَذَاكَ } ١٠٣

إذاً لماذا هاجر الرسول الكريم ﷺ ؟ إن هذا السر ندركه إذا عرفنا سر بعثته، لماذا بُعثت ياحبيب الله؟ أجاب عن ذلك فقال ﷺ: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ }[١٠٤] فهو صاحب مبادئ ومثل وقيم وفضائل يريد أن يدعو الناس إليها وأن يمشي الناس على هديها، وفي الحقيقة لا صلاح لأحوالنا، ولا صلاح لأحوال مجتمعنا، ولا صلاح لأحوال البشرية كلها إلا إذا انتشرت هذه القيم الإيمانية التي من أجلها بُعث المصطفى ﷺ.

وإلا فبالله عليكم هذا رجل يحاربه أعداءه بشتى الوسائل يعذبون أصحابه ويطردونهم ويستولون على دورهم وعلى أموالهم، ويخرجونهم فقراء، ثم بعد ذلك كل من عندهم منهم وديعة ثمينة يخشى عليها من السرقة فليس لديهم بيوت يحفظونها فيها، وليس فيهم رجل مأمون يأتمنونه عليها إلا المأمون الذي أمنته السماء على وحي السماء ﷺ، فيجعلون عنده أعز ما يملكون وأثمن ما يملكون ودائع عنده ثم تأتي الهجرة، ويستطيع أن يهاجر ويأخذ هذه الأشياء كلها معه، وهي حقوق إخوانه من الفقراء والمساكين الذين أخذهم الكفار عنوة، واستولوا على أموالهم بقوة العتاد والسلاح !!!!

ولكنه ﷺ يعلمنا المثل الأعلى، أن الإيمان يعني المثل والمبادئ فقد قال ﷺ في هذه المبادئ { لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَه }[١٠٥] فالذي ليس عنده أمانة في نقد الكلمة أو في حفظ الودائع أو في المحافظة على الأسرار هذا يكون إيمانه فيه نقص عند الواحد القهار ﷻ، فيترك ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ينام في فراشه، وربما يعدو عليه القوم فيضربونه بسيوفهم، ولكنه مع ذلك تركه حتى يرد الودائع إلى أهلها بعد هجرة النبي ﷺ، ويرد الأمانات إلى أهلها كلها، لأنهم كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ﷺ ...

فهكذا كان نبيكم ﷺ يعرض عن زينة الدنيا في سبيل مبدئه ويزهد في المناصب والأموال في سبيل القيم التي يدعو إليها، ويؤثر أن يهاجر ويرد الأموال إلى أهلها، ليلقن البشرية كلها أن هذا دينٌ أنزله رب العالمين وارتضى من أصحابه وطلب منهم أن يراعوا حق الله، وأن ينفذوا أخلاق الله ولو مع الكافرين والجاحدين من أعداء الله ﷻ فليس معنى أنهم كافرون أن يبيح لنا أموالهم أو أن يطلق الإسلام أيدينا في أعناقهم أو يترك لنا التعرض لأعراضهم، لأن المؤمن دائماً وأبداً هو حارس المثل الإلهية، والخليفة عن الله ﷻ في إعلاء

---

١٠٣ جامع المسانيد والمراسيل عن محمد بن كعب القرظي
١٠٤ رواه صاحب مسند الشهاب عن أبي هريرة والإمام مالك في الموطأ والطبراني من حديث جابر.
١٠٥ ابن خزيمة وابن أبي شيبة عن أنس

القيم الإيمانية والمبادئ الإسلامية التي دعا إليها الله في قرآنه والنبي ﷺ في سنته ...

وقد وعى أصحابه ﵃ هذا الدرس، فعندما ضاقت عليهم هذه البلدة، وفيها حرم الله، لكنهم لا يستطيعون أن يعبدون الله ﷻ فيها بحرية، هاجروا وتركوا أموالهم ودورهم وأولادهم حتى لا يفتنون عن دين الله ﷻ فهم كما قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ (٥٤المائدة)

فهذا صهيب يخرج وقد كان من أغنى أغنياء مكة في التجارة، ويلحقه الكافرون فينثر كنانته بما فيها من سهام ويقول لهم: (يا أهل مكة تعلمون إني من أرماكم ووالله الذي نفسي بيده لن يصل إلى واحد منكم إلا ورميته بسهم من سهامي فإذا فنيت سهامي سأمسك بسيفي ولن تصلوا إلا على أشلائي أو لا أدلكم على خير من هذا، قالوا: وماذا؟ قال: أدلكم على مالي فتذهبوا إليه وتأخذوه وتتركوني أهاجر إلى رسول الله ﷺ. فدلهم على ماله وذهب بدينه ومبادئه ومثله، وإذا بالحق ﷻ يرسل برقية عاجلة إلى سيد الخلق ﷺ يقول له فيها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (٢٠٧البقرة).

وعندما وصل قال له النبي ﷺ: {أبشر يَا أَبا يَحْيى رَبِحَ البَيْعُ .. رَبِحَ البَيْعُ}[١٠٦] أي بيع؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ (١١١التوبة)

هكذا صاروا على هذا الحال، فهذا رجل منهم يأتي بعد غزوة أحد قائداً لتجارة كبيرة لقريش، آتية من بلاد الشام، ويشرح الله ﷻ صدره للإيمان فلا يصبر حتى يؤدي التجارة إلى أهلها، ثم رجع إلى المدينة ليعلن إيمانه لكنه ذهب مباشرة إلى المدينة وأعلن إيمانه بين يدي رسول الله ﷺ، فقد فرح به ﷺ فرحاً كبيراً، لأنه كان زوج ابنته ولكن الإسلام قد فرق بينهما، فوسوس إليه أحد المنافقين المنشغلين بالدنيا عن الدين، والذين يريدون أن يسخروا الدين في سبيل الحصول على عرض الدنيا، ولو كان في ذلك مخالفة لأوامر رب العالمين ﷻ فقال له: يا هذا ما دمت قد آمنت فإن الكفار كما تعلم قد أخذوا أموال إخوانك المؤمنين فلا ترجع إليهم واغنم هذا المال فإنه مال الكافرين !!!

فما كان من الرجل الذي شرح الله صدره للإسلام إلا أن صاح في وجهه قائلاً: (أهذه نصيحتك لأخيك فوالله ما كنت لأبدأ عهدي بالإسلام بالخيانة) فإن الإسلام دين الأمانة، ثم ذهب إلى مكة ورد الأمانات إلى أهلها وقال يا معشر قريش، ماذا تعلمون عني؟ قالوا: خيراً قال: هل بقى لكم شئ عندي، قالوا: لا وجزاك الله خيراً، قال: فإني أشهدكم أني رضيت بالله

[١٠٦] رواه الحاكم والطبراني عن صهيب وقال الشيخان هذا حديث صحيح الإسناد.

رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.[١٠٧]

أيها الأخوة المؤمنون.. ما أحوجنا في هذه الأيام إلى هذه الهجرة، أي هجرة؟ هي التي يقول فيها ﷺ: { **المهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه** }[١٠٨] ما أحوجنا في هذه الأيام إلى هجرة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإلى أن نهجر الغش ولو كان فيه المكسب الكبير وأن نترك الرشوة ولو كان في ذلك علو شأننا وارتفاع منصبنا لأن هذه مكاسب حرمها الله ويعاقب عليها العقاب الشديد ...

لن ينصلح حالنا أيها الأخوة المؤمنون إلا إذا هجرنا المثل والمبادئ التي نشرها بيننا أهل الغرب من الخبث والدهاء، والخداع والمكر والغش والكذب تحت أسماء ومسميات يعتقدون ويقولون أنها حضارة !! ويشيرون إلى من يتمسك بالأمانة أنه رجل جامد لا يصلح لهذا الزمان !!، والرجل الذي يتمسك بالأمانة في التجارة ولا يغش يعاتبونه!! بل يعيرونه بأنه إنسان لا يريد أن يعيش! بل يريد أن يكون فقيراً بين الناس، نريد أن نقول كما قال القائل:

ليت الذى بيني وبينك عامـر	وبيني وبين العالمين خـراب
إذا صح منك الود فالكل هيّن	وكل الذي فوق التراب تراب

قال ﷺ: {**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمؤمن من آمن جاره بوائقه، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه**}[١٠٩] ..

أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا وجعلنا مسلمين ..

ونسأله ﷻ أن يثبتنا على الهدى واليقين، ويحفظنا من الفتن التي تنتشر في هذا الزمان، إلى أن نلقاه على الإيمان والإسلام أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تولى من آمن به واتقاه، وتعهده بالنصرة والرعاية ما دام في هذه الحياة، ووعده بأن يكون في

---

١٠٧ وهناك رواية ثانية أورها صاحب المستدرك على الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من كتب السنة (باختصار): { أن رسول الله بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، وقال لهم: إنَ هذا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مالاً فإنْ تُحْسنوا تَرُدّوا عَلَيْهِ الّذي لَهُ فإنّا نُحِبُّ ذلِكَ وَإنْ أَبَيْتُمْ ذلِكَ فَهُوَ فَيْءُ الله الّذي أفاءَهُ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ، قالوا: بل نرده عليه قال: فردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة فادى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيا كريماً قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم، فلما أداها الله عزّ وجل إليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله }

١٠٨ رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو.

١٠٩ متفق عليه.

جواره يوم لقاء الله، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وحبيبه من خلقه وخليلـه ... أدى الأمانة وبلغ الرسالة ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ..

كثرت الفتن في هذا الزمان يتعرض لها المؤمن في طريقه، ويتعرض لها في عمله ويتعرض لها في بيته، ويتعرض لها في وظيفته وفي مجتمعه، والمؤمن الذي سيفوز ويجوز يوم لقاء الله، هـو الذي يقول فيه الله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣الأحزاب)

المؤمن الذي يصدق مع عباد الله، فقد عاهدنا الله على جملة الأوامر التي أتى بها رسول الله ﷺ، وعلى مكارم الأخلاق التي تحلى بها رسول الله فالمؤمن مهما عرضت عليـه أمـوال الدنيا !! أو مناصب الدنيا ..!! أو أهواء وشهوات الدنيا ..!! لا يتغير مبدأه وتجعله يتخلـى عن قيمه ومثله بقى شئ أن شياطين المنافقين يوسوسون له ويقولون له، إذا تمسكت فستكون هذه المصلحة بالرشوة من غيرك .. ، فإذا لم تقبل الرشوة أنت فسيقبلها غيرك على نفسه.

قال ﷺ منبها ومحذرا لمثل هذا الحال : { **كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله لا يؤتى الإسلام من قبلك** }[١١٠]

وورد فى الأثر : فإن تهاون إخوانك فاشدد أنت لئلا يؤتى الإسلام من قبلك .

يقولون له : إن هذا سيعرضك إلى كذا وكذا، ويقولون : لن تستطيع أن تعيش إلا إذا غششت !! أو خدعت !! أو نصبت !! أو كذا أو كذا مما نسمعه بين كثير من بلهاء الناس، لكن رب الناس يقـول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ هذا في الدنيا ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

لابد لأفراد مجتمعنا من الوحدة وهذه الوحدة يدفعها الإيمان الصادق لله ﷻ فإن كـل منا يقول لماذا أنا فقط الذي أقف أمام التيار؟ ولماذا أنا فقط الذي أمتنع عن رشوة المـسئولين هنا وهناك؟ ولم أكون أنا مفردي المتمسك بالأمانة هنا وهناك؟

وهذا الذي ضيَّع مجتمعنا يا إخواني المؤمنين، وطوبى لعبد في هذا الزمان، يتمسك بقـيم الإيمان ويمشي على مكارم الأخلاق التي جاء بها النبي العدنان، وهذا كما قال ﷺ: { **اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ**

١١٠ السنة لمحمد بن ناصر المروزي عن يزيد بن مرثد

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ }[111]

فمن اعتز بالله أيها الناس فلن يستطيع أحد من العبيد أن يذله لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ومن تمسك بهدى الله فلن يستطيع النصابون أو المحتالون أن يضايقوه لأن الله قال في قرآنه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢ - ٣الطلاق).

نريد أن يهجر المؤمنون في كلامهم الكذب والسب والغيبة والنميمة ... ونريد أن نسمع منهم الصدق والمروءة والأمانة، وهذه الأخلاق التي جاء بها رسول الكريم الخلاق إذا قمنا بهذه الهجرة كنا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

{ نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره }[112]

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة التاسعة[113]

الهجرة وعلاجها لمشاكل المجتمع

الحمد لله ربِّ العالمين يعز عباده المؤمنين في كل وقت وحين باتباعهم لأوامر وسنة سيد الأولين والآخرين فمن أعز القرآن أعزه الله ومن تمسك بالسنة نصره الله ومن ابتغى الهدى في غيرهما أضله الله وأعماه.

سبحانه سبحانه! هو العزيز الذي لا يزل أبداً وهو الحكيم الذي لا يسهو أبداً وهو الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢٥٥البقرة)، وهو العلي العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جمع الخير كله للأولين وللآخرين وللإنس وللجن وللملائكة وللشباب وللشيوخ وللنساء وللرجال وللعرب وللعجم بين دفتي هذا الكتاب الذي قال فيه وهو العلي الوهاب ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف)، فسبحان من جعل في هذا الكتاب كل أسباب السعادة في الدنيا ويوم الحساب وسبحان من نمق في ألفاظ هذا الكتاب، ما فيه خير الدنيا والآخرة لجميع الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومناهجهم وبلدانهم وهو ﷻ العلي العزيز.

---

١١١ رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى في مسنده عن ابن عباس.

١١٢ مصنف ابن أبي شيبة، عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء فقالوا له: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذا الحال، قال عمر ﷺ { الحديث }.

١١٣ كانت هذه الخطبة بمسجد الإيمان بمدينة كفر الشيخ يوم الجمعة الموافق ١٩٩٣/٦/١٨م الموافق ٢٨ من ذي الحجة ١٤١٣هـ.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله اختاره الله ﷻ لرسالته وعلمه علوماً علوية من علوم حضرته وجعله هو المعلم الأول لكافة بشريته فعلمهم ما فيه نفعهم وحذرهم مما فيه ضرّهم ونبههم إلى ما فيه برهم وقال لهم في شأنه إلههم ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر).

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي قام بالذكر والصلاة وكان عمله خير شراب لمن استضاء به من الأصحاب وقد كان ردّه خير بيان لكل قلب يسمع عن الحنان المنان وكانت توجيهاته هي التوجيهات السديدة للقلوب الرشيدة، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وخيار صحبه وكل من تمسّك بهديه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا إخواني جماعة المؤمنين.. يا من أغناكم الله بهذا الدين ووضع لكم وبين أيديكم كنوز الغنى التي بها لا تحتاجون للأولين ولا للآخرين فما من شئ يصيبكم في أنفسكم أو في مجتمعكم أو في بيوتكم أو في أزواجكم أو في أولادكم أو في أرزاقكم أو شئ من أحوالكم إلا وتجدون الشفاء التام فيه جاهزاً إما في كتاب الله وإما في سنة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وإني لأعجب كيف يتيه عبد عن علاج نفسه؟ أو كيف يتعب في علاج زوجه؟ أو كيف ييأس من إصلاح ولده؟ أو كيف يبحث عن سبيل لإصلاح مجتمعه؟ وبين يديه كتاب الله يقلبه وبين يديه سنة سيدناومولانا رسول الله ﷺ يستوضحها وهو القائل ﷺ: { أَيُّها النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ الله وسنتي }[114]
إذن من ضل ومن ذل ومن هوى ومن بعد ومن تعب فإنما هو لأنه لم يتمسك بما أمره به ﷺ ونحن في العام الهجري المنصرم ونستعد لاستقبال العام الهجري الجديد.

هل من جديد يصلح حالنا؟ أو هل من جديد يغير شأننا؟! هل من جديد يحول أحوالنا إلى أحوال ترضي ربنا ﷻ؟! ... تعالوا جميعاً نفتح كنز الهجرة ونأخذ منه العبرة فإن هجرة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فيها العبرة لمن اعتبر وفيها الحل لكل مشكلات البشر !! فمثلاً وهو مثالٌ واحدٌ نسوقه كي لا نشق عليكم ....

ما نعاني منه الآن من مشكلات اقتصادية ونفسية واجتماعية استشرت حتى وصلت إلينا جميعاً فلم ينجو منها أحد لأننا نحتاج إلى بعضنا في أمور الحياة فمنا من يشكو من ماله، ومنا من يشكو من رفيق في العمل، ومنا من يشكو من التجار، ومنا من يشكو من الزراع، ومنا من يشكو من المرءوسين، ومنا من يشكو من الحكام والمديرين، ومنا من يشكو من

---

١١٤ رواه الإمام مالك في الموطأ عن أنس، وررواه الترمذي والطبراني في الفتح الكبير عن زيد بن أرقم.

أحوال المجتمع بالمرة.. نشكو من ماذا؟ أصبحنا وكل واحد منا مشغولٌ بنفسه لا يفعل إلا عن نفسه ولا يريد أن يجلب الخير إلا لنفسه ولا يريد أن يدفع المكروه إلا عن نفسه ونسى جاره ونسى أخاه بل ربما أحياناً ينسى أباه وأمه حتى يضطرهما أن يرفعا ضده شكاوي في المحاكم لأنه لا يهتم بأمرهما ولا يحس بمشاعرهما ولا يشاركهما في مشاكلهما.

فالتاجر لا يهتم إلا بالكسب السريع سواء احتكر على المسلمين أو رفع السعر وغالى فيه على المؤمنين أو غشهم في بيعه أو في وزنه أو سلعته وصنفها ونوعها أو في الجودة لا يهتم بذلك لأن همه كله هو المكسب السريع ولا شأن له بذلك، والموظف يريد أن يتسلق على أكتاف رفاقه وإخوانه تارة بالكيد لهم وأخرى بالتجسس على أحوالهم وثانية بالقيل والقال لرؤسائه ومديريه ليغير قلوبهم على إخوانهم ليأخذ مكانهم الذي جُعل لهم ولا يهتم إلا بنفسه!

وهكذا يا إخواني هل لهذا الشأن من علاج فيما نحن فيه من أحكام وقوانين؟ لا والله. فلو سنت الدولة ألف قانون وقانون فإنهم يتعلمون كيف يتهربون منها؟ وكيف يجدون المخرج فيها؟ لأن الغالب عليهم هو حب الذات والأثرة والأنانية التي أمتلأت بها النفوس وأصبحت تعيش وكأنها في يوم القيامة والكل يقول نفسي نفسي لا أريد غيرها ما العلاج؟

لا يوجد علاج إلا إذا نظرنا إلى كنز الهجرة ونظرنا إلى ما فيه من علاج هؤلاء القوم تركوا دورهم وأموالهم وأهليهم وزراعاتهم وتجاراتهم وهاجروا ولا يجدون حتى الكفاف بل لا يجد الواحد منهم ما يستر عورته أو ما يلبسه في قدمه وذهبوا إلى الأنصار بالمدينة فأفاء الله عليهم الخير ووجدوا عندهم الحدائق الغناء وعندهم التجارة وعندهم الزراعة ماذا فعلوا؟ وماذا صنعوا؟ إن هذا ما يخبرنا عنه الله وهو العلاج الأوحد لمجتمعنا يا أحباب الله ورسوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر).

هذا هو العلاج. العلاج أننا نصلح القلوب فنطهرها من الذنوب ومن الأثرة ومن الأنانية ومن حب الذات ومن الغل والحقد ومن الحرص على الدنيا الفانية ونملأها إيماناً بالله ونملأها ثقة في وعد الله حتى تكون بما في يد الله أوثق منها بما في يد أنفسها ونملأها يقيناً أن ما قدر لها يكون وأن الرزق لا يسوقه حرص الحريص ولا يناله طالب إلا بما كتب له الواحد ﷻ ولن ينال بسعيه وحرصه وكده وطلبه ما يناله غيره إلا ما قدره وكتبه له ربه ﷻ. نملأها يقيناً بأن الآخرة خير وأبقى فيؤثرون الآخرة على الحياة الدنيا ويقبلوا على أعمال الآخرة وأحوال الآخرة وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويفرح إذا رأى الخير عند إخوانه ويسر إذا رأى السرور والطرب عند جيرانه ويحزن لحزن إخوانه ويتألم لآلام جيرانه.

قال ﷺ: { لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذي يَبيتُ شَبْعاناً وَجَارُهُ جائِعٌ إِلى جَنْبِهِ وهو لا يشعر به }١١٥ أي لا يؤمن إيماناً صحيحاً عند الله ينال به الدرجة العالية من الله إلا إذا كان يحس بإخوانه ويشعر بآلام جيرانه ويشارك أقاربه وخلانه هذا هو الذي صنعه لكم ومعكم الله على يد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فأصبح الرجل منهم يسارع فيما يرضي الله حتى كان الرجل المهاجر عندما يترل المدينة المنورة يحضر أهلها ويتنافسون ويتصارعون وكل يريد أن يأخذه إلى بيته ليحظى بالفضل والرضوان من الله ﷻ ومن شدة تهافتهم وصراعهم كان لا يذهب الرجل المهاجر إلى أحدهم إلا إذا أجروا القرعة والمساهمة فيما بينهم فمن وقعت عليه القرعة فهو الذي يفوز بهذا الغنم الأكبر وهذا الفوز الأعظم وهذا الأخ الذي يأخذه ويواسيه ويطعمه ويجالسه ويقيمه في بيته لأنه يعلم أن هذا هو الفضل الأعظم عند الله ﷻ ...

وهذا عكس ما نراه الآن – فيرى بعضنا أنه إذا أخذ شخصاً ضيفاً إلى بيته يراه غرماً!! يراه سيغرمه كوب شاي وسيغرمه بضع أرغفة وسيغرمه مبلغاً من النقود، يراها غرامة وهم كانوا يرونها غنيمة لأنهم يرجون الفضل من الله ﷻ حتى أنه بلغ الأمر من أحدهم – لأنهم يتعاملون مع ربهم ﷻ – أن أخذ أخاه وكان هذا الرجل المهاجر هو عبد الرحمن بن عوف والرجل الأنصاري هو سعد بن الربيع ﷺ فأحضر ماله وقسمه نصفين وقال له: اختر أيهما شئت وقسم بيته قسمين، وقال له: اختر أيهما شئت ثم قال له: هل تزوجت؟ قال: لا. قال: إن لي زوجتين فانظر إليهما فأيهما أعجبتك أطلقها فإذا انقضت عدتها تزوجتها حلالاً !!

هم ﷺ تربوا على مائدة القرآن وكانوا كما وصفهم الحنان المنان ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة)، هذا بالإيثار وهذا بالعفة فزهدوا في الدنيا فسخرت لهم الدنيا وكانت لهم الدنيا. فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في زوجك، وبارك الله لك في بيتك وبارك الله لك في مالك ولكن دلني على السوق. بماذا كافأه الله على هذه العفّة؟ كان كما قال ﷺ وأرضاه: لو تاجرت في تراب لحوله الله إلى ذهب، وعندما مات وقد هاجر لا يملك قليلاً ولا كثيراً ووزعوا الذهب الذي خلفه على زوجاته من كثرة هذا الذهب أخذوا يضربونه بالفئوس ليوزعوه على زوجاته وبنيه لماذا؟ لأنه فتح بالعفة كنز فضل الله وكنز أخلاق الله وكنز خير الله ﷻ له ولزوجه وولده فهؤلاء تعاملوا بالإيثار وهؤلاء تعاملوا بالعفة والكل تربى على مائدة القرآن وتأسى بالنبي العدنان فلم يكن لهم في مجتمعهم مشكلة ولم يكن لهم في مجتمعهم معضلة ولم ينتابهم في جميع

---

١١٥ رواه الطبراني والبزار عن أنس بن مالك.

أمورهم أي شئ يعكر صفوهم أو يشغلهم عن ربهم أو عن عبادة الله أو عن طاعة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ لأنهم شغلوا أنفسهم بكتاب الله وبهدى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

فعلاج أمراضنا في هؤلاء الثلاث:

أولاً .. الحب ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٩الحشر) : إذا أحببنا بعضنا ويكفينا في هذا حديث واحد لو طبقناه على أنفسنا وفي مجتمعنا ما وجدت مشكلة بيننا وهو قوله ﷺ: { لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[116] فكما لا أحب أن يوشي أخي عليّ وشاية، فلا أوشي على أخي، وكما لا أحب أن يستأثر أخي عليّ فلا استأثر على أخي، وكما لا أحب أن يسبّني أخي فلا أسبّ أخي، وكما لا أحب أن تتطاول علي زوجة جاري فلا أسمح لزوجتي أن تتطاول على جاري، وكما لا أحب أن يؤذيني ابن أخي أو جاري أو قريبي فلا أسمح لابني أن يؤذي أخي أو جاري أو قريبي، وكل شئ لا أرضاه لنفسي لا أرضاه لغيري إذا فعلنا ذلك لم يكن هناك مشكلة ولا يصير بيننا مشكلة ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا ﴾ (٩الحشر)

العلاج الثاني: إذا وثقت أن المعطي هو الله ويعطي بحكمة لا يعلمها إلا الله فلماذا تحزن إذا لم يعطي لك ولداً كفلان ولماذا أغتم إذا حلى زوجة هذا ولم يحل زوجتي؟ ولماذا أحمل الهم فوق رأسي إذا جاء لزميلي في العمل ترقية ولم أنالها، وقيل شعراً لأحدهم[117]:

أَلا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا	أَتَدْري عَلَى مَنْ أَسَأْت الأَدَبْ
أَسَأْت عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ	لأَنَّك لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبْ
فَجَازَاك رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي	وَسَدَّ عَلَيْك وُجُوهَ الطَّلَبْ

الحسود يعترض على المعطي ﷻ لأنه هو الذي قسم الأرزاق وهو الذي قسم الأخلاق وهو الذي قسم العطاء وهو الذي أيضاً قسم البلايا والعناء ولو نظرت على التحقيق لوجدت أن الكل سواء فكما أن هذا عنده عطاء فلابد أنه عنده جانب من البلاء وإن كنت لا أراه ولا أشعر به ولكن اعلم يقيناً أن الله ﷻ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصلت).

فإذا رأيت على أخي نعمة أو رأيته في منة فيجب عليّ أن أفرح وأن أشكر الله وأن أحمد الله وأن أدعو الله أن يزيده نعماً على نعمه وخيراً وبراً على خيره وبره وفضلاً على فضله ولا تطلب من الله ﷻ أن يمحق هذا الفضل أو أن يذهب هذا البر لأن هذا ليس من

---

١١٦ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان وأبو يعلى في مسنده وأحمد في مسنده والدارمي في سننه عن أنس.

١١٧ : غذاء الألباب شرح منظومة الأداب لمحمد بن أحمد السفاريني

خصال المؤمنين وإنما من خصال الجاحدين والمنافقين والعياذ بالله ﷻ ...

فالمؤمن لا يحمل في قلبه ضغينة لأحد ولا حقداً على احد ولا حسداً لأحد بل يتمنى الخير والبر لجميع عباد الله حتى أنه يتمنى الهداية للكافرين ويتمنى العناية للجاحدين ويتمنى أن يوفق الله المشركين ليهتدوا لهذا الدين ويحب الخير حتى للكافرين. يحب لهم أن يؤمنوا بالله وأن يهتدوا بهدى الله فما بالك بإخوانه المؤمنين إنه يحب لهم الخير في الدنيا والسعادة في يوم الدين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر)، يفضل إخوانه على نفسه لأنه يعلم أن الدنيا فانية وأن النعم الحقيقية هي النعم الباقية في جوار الله ﷻ ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف).

النعم الفانية تحتمل البلاء وتحتمل العطاء فهي فتنة ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١٥التغابن)، حتى المال والولد فتنة ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل)، فإذا وفق لشكر الله على نعمة الولد فقد فاز وجاز، وإذا وفق لشكر الله على نعمة الزوجة فقد فاز وجاز ..

ولكنه إذا نسى الله ولم يشكره على نعمه وعطاياه فقد جحد ورسب في الاختبار الذي أجراه له الله ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ لماذا؟ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي يختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (١- ٢الملك) .

لكن النعم الخالصة التي ليس فيها احتمال وإنما هي محض عطاء أن يوفقك للعبادات، وأن يفتح لك باب القبول على الطاعات والقربات، وأن يلهم لسانك ذكره وشكره وحُسن عبادته، وأن يحبب إليك تلاوة القرآن، وأن يحبب إليك متابعة النبي العدنان، وأن يحبب إليك فعل الخير في كل وقت وآن، وأن يذكرك بالدار الآخرة لتستعد لها، وأن يذكرك بالموت لتتأهب له ... هذه هي النعم الحقيقية التي يفرح بها المؤمنون وليس فيها ابتلاء وليس فيها فتن وليس فيها اختبار وإنما هي كما ورد فى الأثر:

{ إذا أكرم الله عبدا ألهمه ذكره، وألزمه بابه وآنسه به، يصرف إليه بالبر والفوائد، ويمده من عند نفسه بالزوائد، ويصرف عنه أشغال الدنيا والبلايا فيصير من خالص عباد الله وأحبابه فطوبى له حيا وميتا، لو علم المغترون بالدنيا ما فاتهم من حظ المقربين وتلذذ الذاكرين، وسرور المحبين لماتوا كمدا } [١١٨]

إذا أحب الله عبداً يلهمه بذكره وشكره وحسن عبادته ﷻ، فإذا استطعنا أن نحيي في نفوسنا هذه المعاني الحب لعباد الله وأن نحمي نفوسنا من البغضاء والشحناء والحقد والحسد

١١٨ الزهد الكبير للبيهقي رواية عن ذى النون رضي الله عنه.

لجميع عباد الله وأن نملأ قلوبنا بالرغبة في العمل الدائم الذي ينفعنا بعد هذه الحياة من الإيثار ومن المعونة ومن المساعدة ومن المواصلة ومن البر ومن كظم الغيظ ومن العفو عن الناس ومن الإحسان إلى المظلومين، ومن مساعدة المنكوبين ومن التفريج عن المكروبين، إذا أحببنا هذه الأعمال وقمنا بها فلن يكون في مجتمعنا مشكلة أبداً يا إخواني جماعة المؤمنين!

ورد عن أصحاب نبيكم الكريم أن رجلاً ذبح شاة وتصدق برأسها على رجل من الفقراء فجلس مع زوجته فنظر في أمر نفسه وأمر إخوانه ثم قال: يا أم فلان إن أخي فلان أحوج إليها مني وذهب وأعطاها له فجلس الثاني مع زوجته ونظر في أمر إخوانه المؤمنين وقال يا أم فلان إن أخي فلان أحوج إلى هذه الرأس مني وذهب وأعطاها إليه فطافت الرأس على سبعة دور ثم رجعت إلى الأول مرة ثانية .. لتثبت سلامة صدورهم ورقة شعورهم وإحساسهم واستحقاقهم للوسام الذي نسبهم به ربهم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (٩الحشر).

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بتلك الآداب وأن يخلقنا بتلك الأخلاق. قال ﷺ: { **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** }[١١٩]، وقال ﷺ: { **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه** }[١٢٠] أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونتوب إليه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له السميع البصير اللطيف الخبير وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أنفسنا وعلى أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي جماعة المؤمنين.. اعلموا علم اليقين أن آخر هذه الأمة لن يسعد إلا بما سعد به أولها وأولها لم ينالوا السعادة بالعمارات الشاهقة والأرصدة الزائدة والمصانع الشامخة وإنما نالوا السعادة بما في نفوسهم من حب وشوق وزهد وورع ونقى وغنى بالله وعفاف عما حرمه الله ﷻ ولن ينصلح حال مجتمعنا إلا إذا عدنا لهذه الأخلاق النورانية

---

١١٩ رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمر.
١٢٠ رواه ابن حبان والطبراني في الكبير والحاكم عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

ولهذه الخصال الإلهية التي أوصانا بها الله ﷻ في كتابه وبينها لنا الرسول الكريم ﷺ في هديه وفي سنته ﷺ. فإن المجتمع الذي أسسوه أسس على هذه الأخلاق فكان الرجل منهم لو عرضت عليه كنوز الدنيا لأتلفته عن خلق تخلق به لله وهداه إلى التمسك به سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

انظروا إلى هؤلاء القوم وقد خرجوا من المدينة حفاة عراة لا يملكون قليلاً ولا كثيراً وفتح الله لهم كنوز كسرى وكنوز قيصر وكانت شيئاً يدهش العيون لم تفكر فيه عقولهم ولم يرواد خيالهم مما فيه من مجوهرات ومما فيه من ذهب وفضة وما فيه من عسجد واستبرق وما فيه من أصناف المباهج والرياش التي لم تخطر ببال واحد منهم قط في حياته كلها، ولكنهم عندما فتحت لهم الكنوز لم تشغل بالهم وما سلبت عقولهم ولم تغير طباعهم وأخلاقهم وهذا هو المهم فقد قال لهم القائد من وجد شيئاً فليؤده لنا، فكانوا يحضرون كل شئ حتى أن الرجل الذي وجد إبرة وليست بذات شأن كان يأتي ويسلمها إليه لا يدس شيئاً في ثيابه ولا يخفي شيئاً في متاعه لأنه يراقب الله ويحرص على هذا الخلق الكريم الذي خلقه به الله والذي وصاه به سيدنا ومولانا رسول الله وهو الأمانة.

الأمانة في كل شئ فحملت الكنوز على جمال كان أولها في المدينة المنورة وآخرها في بلاد فارس كما يقول الرواة في الأثر، وعندما وضعت أمام عمر بن الخطاب لم تطرف عينه ولم تشغل باله ولم يجد صراعاً لاكتسابها أو للحصول عليها وإنما جلسوا متعجبين ولسان حالهم يقول كما قال القائد عندما رآها ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝﴾ (٢٥: ٢٨الدخان).

علمواأن هؤلاء ضاعت منهم النعم لأنهم لم يشكروا واهب النعم ﷻ فرجعوا إلى الله شاكرين حتى لا يشغلهم بالنعم عنه لأنهم يريدون أن يكونوا مع المنعم ﷻ في جميع أحوالهم وفي جميع أوقاتهم فقال عمر بن الخطاب عندما رأى هذه الكنوز الفارهة: (إن قوماً أدوا هذا لأمناء) فقال علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه: (عففت فعفت رعيتك يا أمير المؤمنين).

هذا الذي نحتاجه نحتاج إلى بناء الأمانة في أولادنا وفي أنفسنا وفي أزواجنا نحتاج إلى بناء الإخلاص في قلوبنا وفي قلوب عمالنا ليكون خالصاً لله ﷻ لأنهم لا يرجون سواه ولا يراقبون إلا إياه .... نحتاج لبناء الصدق في قلوب أهل مجتمعنا حتى نطمئن في بيعنا وفي شرائنا لأننا صرنا لا نثق في بعضنا حتى ضاعت الثقة في الأمين لأن الثقة أصبحت مفقودة بانتشار الكذب بين جماعة المسلمين. حتى أنه لو جاء رجل منهم وقد قرأ عن دين الله ويريد أن يرى العباد الذين يتبعون هذا الدين فيرى أحوال المسلمين هل يعتقد أن هؤلاء اتباع سيد الأولين

والآخرين؟ هل يعرفهم بأوصافهم ؟؟؟؟

إنه ينظر إلى وصفهم في القرآن أنهم لا يكذبون ويرى، أمام عينيه كل تعاملاتهم مبنية على الكذب!! يقرأ أنهم لا يخونون ويرى أن كل همهم الخيانة وليست للأمانة عندهم صيانة!! يقرأ عن أمانتهم ويقرأ عن شهامتهم ويقرأ عن كرم ضيافتهم وينظر إلى الموجودين فيرى مسلمين بغير إسلام !!! يرى مسلمين بالاسم وبشهادة الميلاد ... وبالبطاقات !! لكن أخلاقهم أخلاق الكافرين أو أخلاقهم أخلاق المنافقين أو أخلاقهم أخلاق غير المسلمين!!

فأخوك فى الدين هو كما قال سيد الأولين والاخرين: { **من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته** }[121] ، وكما ورد فى الأثر الشهير : **الدين المعاملة ... الدين المعاملة ... الدين المعاملة ...** << ثم الدعاء >>.

الخطبة العاشرة[122]

دروس الهجرة

الحمد لله الذي أعز حبيبه ومصطفاه ولحظه بعين عنايته وسخر له جميع الأكوان لأنه يؤدي رسالته وجعله فاتحاً خاتماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم العلي العليم المنزه في ملكه وملكوته عن الحادث والقديم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله قلبه بباب مولاه مقيم وفؤاده متعلق بشهود وجهه ونوره العظيم.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله علم الهداية الربانية وسر هذه الجمعية التي نحن فيها الآن فهو الذي ألف الله به بين القلوب، وأزال الإحن والأضغان بين النفوس وبين به الطريق المستقيم الموصل إلى رياض الفردوس صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من انتمى إليه وسار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله.. إن أحداث الهجرة في ذاتها والحمد لله معظمنا بل أغلبنا يعلمها ويحفظها جيداً لكن الله ﷻ أمرنا أن نستلهم العبر ونأخذ المثل والقدوة من سير الأنبياء والمرسلين وذلك حين يقول عز شأنه ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

---

١٢١ مسند الشهاب ، عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

١٢٢ كانت هذه الخطبة بمسجد كلية العلوم – جامعة بنها يوم الجمعة ٩ محرم ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٤/١٤م.

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف).

وسنأخذ بقدر الوقت وبقدر ما تسمح به الفرصة ثلة صغيرة من الدروس التي ينبغي على شبابنا وفتياتنا أن يتعلموها ويتعلمنها من هجرة النبي ﷺ.

أولاً وقبل كل شيء قبل الهجرة بوقت قصير أخذ الله رسوله ﷺ بصحبة الأمين جبريل من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ثم صعد به سماءاً تلو سماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ولنعلم مدى عظمة هذه الرحلة فقد قال ﷺ: { **كِثَفُ الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الأَرْضِ الْعُلْيَا وَالسَّمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ بَيْنَ كُلِ سَمَاءٍ وَالسَّمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَكِثَفُ السَّمَاءِ سِتُّمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ كُلُّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ بَيْنَ كُلِ سَمَاءٍ مِثْلُ ذٰلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُم مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلى الْعَرْشِ مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ كُلِّهِ**}١٢٣

فكم من الأعوام يقطعها المسافر في هذه السماوات والأقطار وبعد سدرة المنتهى زار الجنة ونزل إلى النار ثم بعد ذلك ذهب إلى قاب قوسين أو أدنى ورجع وفراشه الذي ينام عليه لم يبرد بعد يعني في أقل من لمح البصر.

الذي فعل معه ذلك ألم يكن في استطاعته جل شأنه أن يأخذه من مكة إلى المدينة في طرفة عين؟ كان ذلك سهلاً ويسيراً والله على كل شئ قدير. لكن الله ﷻ لو فعل ذلك معه كانت هذه ستكون حجة نتعلق بها جميعاً فنقول: هذا نبي الله ورسول الله ولا طاقة لنا بما فعل ولا نستطيع أن نصنع كما صنع فضرب الله ﷻ المثل والقدوة لنا أجمعين رجالاً ونساء شيوخاً وشباباً بأنبياء الله ورسله فمثلاً نبي الله موسى عليه السلام كيف دفع مهره ليتزوج امرأة مؤمنة كان صداقه أن يشتغل برعي الأغنام في الصحراء لمدة عشر سنوات حتى لا يظن شبابنا أن الطريق مفروش بالورود ولكن يسعوا ويجدوا ويجتهدوا ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥فصلت)، فجعل الله ﷻ هجرة المصطفى ﷺ عن طريق الأسباب التي هيأها الله للعالمين أجمعين لأن الأسباب مهيئة للكل والكل يستطيع أن يستخدمها أو ينتفع بها لأنها صنع الله الذي سخره لجميع الخلق.

لم يكن رسول الله ﷺ يخاف ... فهو الذي لا يخاف إلا من الله، لكنه خطط التخطيط السليم ليعلم كل مؤمن أن أي عمل ينوي فعله لابد له من خطة .. !!!

سواءاً كان ذلك في استذكار دروس أو كان ينوي زواجاً.. أو كان ينوي بناء بيت ..

---

١٢٣ رواه البزار عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أو كان ينوي تحقيق اختراع .. أو كان ينوي إحداث اكتشاف!! أي أمر لابد أن يبنيه المرء على خطة والخطة لابد أن تكون محكمة ومدبرة تدبيراً جيداً ولا بأس أن يجعل في خطته نصيباً لأهل الخبرة حتى ولو كانوا غير مسلمين مادام هذا هو التخطيط المكين !!

إن الرسول ﷺ لما وضع الخطة الدقيقة بأن يتوارى عن القوم هو وصاحبه في الغار لمدة ثلاثة أيام كيف يعرف أخبار القوم؟ تستطيع أن تقول أنت عن طريق الوحي لأن الله ينزله عليه لكنه يريد أن يجند الشباب ويعلمهم المنهج السديد الذي يرضي الله ﷻ فجند فتى وفتاة وهيأهما وعلمهما.. الفتى يجلس طوال النهار بجوار نادي القوم قرب الكعبة يتسمع الأخبار، والفتاة تصنع الطعام وثالثاً يمشي خلفهما إذا مشيا في الذهاب أو في الرجوع ومعه غنمه ليعفي على آثار القدمين. فلا يكتشف أقدامهما الكفار وقد كانوا يجيدون ذلك !!!

فكان في كل ليلة يأتيه الفتى بالأخبار التي يتسمعها من قريش وتأتيه الفتاة بالطعام، وبعد الثلاثة أيام كان قد جهز الراحلتين ولما لم يكن في وسط المسلمين خبيراً بالطريق استدعى خبيراً كافراً هو عبد الله بن أريقط حتى أن أئمة السيرة الأعلام قالوا: لم يصل إلينا خبر هل أسلم بعد ذلك أم لا؟ لكنه تخيره أميناً حتى لا يكشف سره لأعدائه فجاء الخبير الذي يستطيع أن يجتاز بهم طريقاً غير معروف بعد الثلاثة أيام !!! ، والحمد لله هو هذا الطريق المعروف الآن الذي يسافر عليه الحجيج والمعتمرون من مكة إلى المدينة وهو طريق الهجرة ولم ينس ﷺ وهو في هذا العمل كله يرجو تحصين الله وحفظ الله وعناية الله أن يتمسك بأهداب الفضيلة التي جاء بها لنا من عند الله فالكافرون من أهل مكة أخرجوا المسلمين من بينهم بدون شيء من أموالهم !! أو متعلقاتهم !! فقد استولوا على بيوتهم !! واستولوا على أموالهم !! وأستولوا على كل أشياء يتملكونها !!

والعجب أن هؤلاء القوم مع كفرهم إلا إنهم كانوا يقرون للداعي إلى الله ﷺ بالصدق والأمانة فلو نطق بكلمة قيل لهم، قال محمد كذا. قالوا: إن كان قال فقد صدق لأنهم ما جربوا عليه كذباً فكانوا يحفظون عنده أماناتهم التي يخشون عليها لعدم وجود البنوك في هذا الزمن، ولما جاءه الأمر من الله بالهجرة لقن فتيان المسلمين درس عملياً عظيماً في الأمانة فجاء بابن عمه علياً بن أبي طالب وكان سنه لا يزيد عن ثلاثة عشرة عاماً وأمره أن يبيت في مكانه مع أن أربعين رجلاً مُدججين بالسيوف يحيطون بالمنزل وينتهزون فرصة للدخول عليه في أي ساعة من الليل ويقضون عليه. عرضه للموت في سبيل أن يتمسك بالأمانة وأن يكون مثلاً فذاً في خُلق الأمانة، وأمره أن يمكث ثلاثة أيام بعده حتى يؤدي لكل رجل أو امرأة أمانته أو أمانتها. استوعب هؤلاء القوم هذا الدرس فتربوا على فضيلة الأمانة فكانت هي الصفة الأولى في نشر الإسلام في كافة ربوع العالم ...

وأسوق لكم مثلا آخر ، يروى أن رجلاً كان في عداد الكافرين اسمه العاص بن الربيع، وكان تزوج ابنة النبي ﷺ زينب وبعد الهجرة بعامين كان آتياً على رأس تجارة لقريش من بلاد الشام وشرح الله صدره للإسلام على مقربة من المدينة ولكن سرية فذهب إليه بعض المنافقين. وقالوا: ما دمت قد أسلمت أنت تعلم أن هؤلاء القوم قد أخذوا أموال إخواننا ودورهم فلا عليك أن لا تذهب إلأى مكة مرة ثانية ووزع هذه الأموال على من أخذ ماله عنوة من المسلمين لكن الرجل قال له بصرامة وشدة: ما كنت لأبدأ عهدي في الإسلام بالخيانة وواصل مسيرته حتى وصل إلى مكة ودعا أشراف أهلها وقال: يا أهل مكة هل بقى لأحدكم شئ عندي؟ قالوا: لا وجزاك الله خيراً. قال: أشهدكم إني آمنت بدين محمد ﷺ.

فالدرس الأول الذي نستوعبه من الهجرة النبوية وما أحوج شبابنا جميعاً إليه الآن بل إننا للأسف نستمع هنا وهناك أن هذا هو الخلق القويم لدى الأمم المتمدينة وهو أولاً وقبل كل شئ خلق نبي الإسلام وخلق الإسلام في كل زمان ومكان هو التخطيط.

التخطيط السليم بالأسباب التي في استطاعتنا وما دام الإنسان يخطط على حسب استطاعته فإن الله ﷻ يعينه بقدرته كما أعان حبيبه ومصطفاه في رحلة الهجرة. على أن أخطط على حسب وسعي وطاقتي وإمكاني وجهدي واستخدم كل ما هو متاح لي من طريق حلال وبعد ذلك يقول لي رب العزة ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢- ٣الطلاق)، لكن أكف عن التخطيط وامتنع عن المذاكرة وأقول ما قدره الله يكون، وما اختاره لي سيتحقق.

هذا ليس توكلاً على الله لكنه تواكلاً وسلبية حاربها الله، ونهى عنها رسول الله ﷺ.

الدرس الثاني: أن المؤمن لابد ألا يفرق بين العادات والأخلاق والمعاملات في ظلال الإسلام فإن كل ما أصاب مجتمعنا من تدهور في الأخلاق ومن سوء المعاملات في الأسواق ولدى التجار ومن انتشار النفاق وصفاته وأمراضه سبب ذلك كله هو ضعف اليقين وعدم الاستمساك بكلية هذا الدين !!!!!

يظن الإنسان أنه أدى ما عليه لله إذا حافظ على الفرائض في وقتها وصام شهر مضان وتلا القرآن أو تمسك بالأشياء والسنن الظاهرة ربى لحيته وجعل له عدبة طويلة واستخدام السواك كل هذا خير لكن لابد مع ذلك كله من مكارم الأخلاق ومن حسن المعاملات الإسلامية. وإلا خبروني لو أن تاجراً يغش في وزنه أو في كيله أو في سعره أو في بضاعته

ويؤدي العمرة في شهر رمضان كل عام ويحج بيت الله الحرام كل عام هل ينفع حجه وعمرته؟ كلا. لقوله ﷺ: {لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَه}[١٢٤] وفى الأثر المشهور: {الدين المعاملة.} فلا يقبل الله من يصلي في الليل ولو ألف ركعة ثم في الصباح لا يتورع عن الكذب ولو في مباح لأن ديننا لا يعرف كذبة بيضاء وأخرى حمراء أو سوداء فقد قال ﷺ: {إني لأَمْزَحُ وَلاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقّاً}[١٢٥] حتى المزاح لا يكون إلا في الحق وبالحق...

عن عبد الله بن عامر قال: {جاءَ رسولُ الله بَيْتَنا وأنَا صَبِيٌّ صغيرٌ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ فقالتْ لِي أُمِّي: يا عبدَ الله تعالَ أُعْطِيكَ، فقالَ رسولُ الله: مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيه، قالتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تمراً، قالَ: أَمَا إنَّكِ لو لَمْ تَفْعِلِي لَكُتِبَتْ عليكِ كِذْبةً}١٢٦

إن من يستاك بالسواك يفعل فعلاً طيباً لكن الأطيب منه من يطهر فمه عن الغيبة والنميمة والسب والشتم والقذف واللعن وهذه الأقوال الخبيثة التي تخرج من فيه، لكن الذي يستاك ثم يسب أو يشتم أو يلعن أو يغضب فإنه لم يدرِ الحكمة النبوية من استخدام السواك عند رسول الله ﷺ ...

ديننا أيها المسلمون الكرام لا يفرق بين ثلاثة أمور: العبادات، والأخلاق، والمعاملات. فمن قال أنا على خلق طيب؟ والمهم طهارة القلب وتكاسل عن الصلاة نقول له هذا لا ينفع إذا كان خلقك طيباً وقلبك طاهراً فلماذا تتباطئ عن نداء الله؟ ولماذا لا تؤدي الصلاة لتفوز بحق الله ﷻ، ولا تندم على ذلك يوم القيامة؟ ومن حافظ على الصلاة وارتكب ما لا يحله الله في أخلاقه ومعاملاته مع عباد الله نقول له قال ﷺ: {مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إلاَّ بُعْداً}[١٢٧].

فالذي يستبيح الرشوة بحجة أنه يحتاج وأن دخله لا يكفيه نقول له: هذه حجة واهية والذي يستبيح استغلال الناس بحجة أنه ينفق هذه الأموال على الدعوة الإسلامية أو طباعة الكتب الدينية أو نشر الشرائط الإسلامية نقول له قال الحبيب ﷺ: {إنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً}[١٢٨] والرسول ﷺ كان هو المثل الأعلى في الأمانة في بعثته وفي هجرته ﷺ.

قد يقول له البعض: كيف تصل إلى منصب مرموق بدون التزلف والتقرب لكبار المسئولين كان هذا هو الدرس الرابع فإن الرسول ﷺ لما تمسك بهذه الفضائل حماه الله بأشياء

---

١٢٤ رواه البيهقي في سننه وابن حبان في صحيحه عن أنس ورواه الطبراني في الكبير وصاحب مسند الشامين عن أبي أمامة.
١٢٥ رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر والخطيب عن أنس.
١٢٦ سنن البيهقى الكبرى .
١٢٧ رواه السيوطي في الفتح الكبير عن ابن عباس.
١٢٨ رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والدارمي في سننه والترمذي والسيوطي في الفتح الكبير عن أبي هريرة.

قد لا نعيرها بالاً ... حماه في الغار بشجرة نبتت فوراً على باب الغار فسدته وأمر العنكبوت الضعيف ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١العنكبوت)، أن تنسج على هذه الشجرة بيتاً لها ... وكلف حمامتين أو يمامتين وحشيتين غير مستأنستين أن تصنعا عشاً في الحال ... وتبيضا فيه فستره عن الكفار بأشياء لا تخطر على البال ..!!

وعندما لحق به فارس منهم والتفت سيدنا أبو بكر وقال: يا رسول الله أدركنا الطلب فقال: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة)، سخر الله له الأرض ونزل الأمين جبريل وقال: يا محمد الله ﷻ يقرئك السلام ويقول لك الأرض طوع أمرك فمرها بما شئت!!! فالتفت ﷺ إلى الفارس وفرسه وقال: يا أرض خذيه فانشقت الأرض وأمسكت بالفرس وبقدميه أكثر من مرة والأرض تتلقى الأمر منه ﷺ لأن الله أعزه وأمر الكل أن يكون طوع أمره لأنه تمسك بدين الله وبأخلاق الله ولم يتنازل قدر أنملة ولم يتزحزح عن مبدأه طرفة عين ولا أقل ثم زاد الله في إكرامه وزاد الله في إعزازه لأن من يتمسك بهدى الله يعزه الله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون)، فدخل المدينة مُعززاً مُكرماً ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠الحج).

لنعلم علم اليقين أن الذي يتمسك بهدى الله مهما واجهته الفتن ومهما تعرض للمحن ومهما أحاطت به الظروف لابد أن يؤيده الله ويعزه الله وينصره الله فتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله ﷻ تبديلاً، قال ﷺ: {لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ}.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين والمبعوث رحمة للعالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد بحر الصدق واليقين والنور الأتم الأكمل للأولين والآخرين.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. لماذا خرج رسول الله ﷺ في الليل؟ ولماذا اختبأ ولم يتوجه مباشرة إلى المدينة ويأخذها في لحظة؟ أو في لمح البصر؟ ...لماذا.؟

من أجل أن يعطي الفرصة للضعفاء ... وهذه هي السنة التي علمها الله للهداة المهديين والعلماء العاملين في كل زمان ومكان وهي:

{ أقدر القوم بأضعفهم فإن فيهم الكبير والسقيم والبعيد وذا الحاجة } [١٢٩] وليس في التقدير عند المشى فقط أو الحركة فقط ...بل يتجاوز ذلك! بل الذي يصلي قال له: **{ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ }** [١٣٠].هذه هي السنة أن نأخذ الناس باليسر .

فكان ﷺ يأخذ نفسه بالعزيمة والقوة، ويأمر غيره باليسر السمعوا له إذ يخاطب سيدنا أبا هريرة قائلاً: **{ يا أبا هريرة إذا كنت إماما فقس الناس بأضعفهم} وفي لفظ { فاقتد بأضعفهم }**١٣١ ... وعلّم أصحابه على هذه الطريقة الإلهية وعلى هذه الهداية الربانية حتى يكونوا صورة من رحمة رسول الله ﷺ للخلق أجمعين ..

وخذوا مثالاً آخرا فى أمر أذق ... كيف يتعامل أحدنا مع زوجته ؟ قد كان ﷺ عندما يريد أن يخلد للنوم عند السيدة عائشة ... ينام على سريرها ويتغطيا بغطاء واحد .. ثم يقول لها:**{ " يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي }**[١٣٢].. وفى رواية :**{ أتأذنى لى ياعائشة أن أتعبد لربى الليلة؟ !}** ... يستأذنها !! لا ينهرها ولا يقول لها سوف أقوم الليل فلماذا تنامي؟ سوف تذهبن إلى جهنم !! تعال معي أويضرها !! وإنما يأخذ نفسه بالأشد ... ويتركها على راحتها!! لأنها أدت فرض الله .. أما السنن فالأمر فيها على السعة ... فمن قدم فيها فإنما يقدم لنفسه ومن أخر فربما لعذر لا أعلمه أنا ... وتلك هى السنة.

وليس كل إنسان يستطيع أن يتحدث بعذره فإن الإمام مالك بن أنس ﷺ وأرضاه إمام دار الهجرة كان يخرج ليصلي الجُمع والجماعات وكان يشيع الجنازات ويعزي المصابين وبعد فترة ترك الجماعة وكان يصلي في منزله ولا يخرج إلا للجمعة وترك تشييع الجنازات وطبعاً أشيع من المريدين القيل والقال ولما اقترب خروج روحه وبجواره أعز تلامذيه قال لهم: لو لا أن هذه الساعة هي التي أقابل فيها الله ﷻ ما حدثتكم عن عذري وكان تلاميذه عندما يسألونه قبل ذلك يقول لهم: (ليس كل عذر يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه) والمؤمن كما ورد فى الأثر: **{ المؤمن عذري }** يعني يلتمس العذر لإخوانه المسلمين قالوا له: ما الذي منعك؟ قال: أنا مصاب بسلس البول منذ كذا وكذا سنة وإذا حضرت إلى المسجد فإن الناس لا يتركوني أتخلف عن الإمامة، والإمامة لا تجب في حقي ...

ماذا يفعل ﷺ؟ إذا قال عندي سلس البول ! لا يصدقونه! سيقولون إنه تواضع ..

---

١٢٩ رواه الشافعي في مسنده وكذا الترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم
١٣٠ أخرجه أحمد والشيخان والترمذي عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة.
١٣١ المقاصد الحسنة للسخاوي، عن أبي هريرة ﷺ.
١٣٢ صحيح بن حبان عن عطاء

أو إنه متكبر لكنه أباح بهذا العذر عند خروج روحه لإخوانه حتى تنشرح صدورهم ويعلمون أن الأئمة الهداة لا يتحركون ولا يعملون عملاً صغيراً أو كبيراً إلا على نور من الله ﷻ.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الحادية عشرة[١٣٣]

الهجرة معاني وأسرار

الحمد لله الذي هدانا بفضله إلى طاعته ووفقنا جميعاً للوقوف بين يديه ومواجهة أنوار عظمته ونسأله ﷻ أن يكشف لنا في الصلاة أنوار حضرته ويجعلنا جميعاً من الذين يتمتعون بنور طلعته حتى لا نغيب عن الله طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر.. آمين يا ربَّ العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله رسول الصدق واليقين، والصلاة والسلام على سر الوجود وكوكب السعود وروح الحياة لكل موجود ونور القرب من حضرة الودود سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله كوكب هدايتنا وكنز سعادتنا ونور بدايتنا وحامل لواء السعادة في نهايتنا عليه وعلى آله وأصحابه والقائمين بدعوته الصلاة والسلام إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. الآيات التي استمعنا إليها قبل الصلاة ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ آيات من سورة التوبة التي تتحدث عن هجرة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. لما سمعتها انشغل بالي بأمر هذه الهجرة العظيمة والنعمة الكريمة التي أكرم بها الله حبيبه ومصطفاه وأكرم الله بها المهاجرين والأنصار المعاصرين لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ونحن لم نحضرها رغماً عنا لأننا لم نكن ولدنا ولا خلقنا في ذلك الزمان وفي هذا العصر والمكان ولكن ما ذنبنا؟

نحن نريد أن نهاجر ونريد أن نحصل ونحصل على ثواب المهاجرة وعلى ثواب المناصرة ماذا نفعل؟ ترى باب الهجرة قفل أم لا زال مفتوحاً؟

فوجدت يا إخواني بفضل الله أن باب الهجرة مفتوح لكل عبد من عباد الله يؤمن بالله ويتبع سيدنا ومولانا رسول الله سواء كان العبد متعلماً أو جاهلاً، موظفاً أو فلاحاً، رجلاً أو امرأة.. فالكل مطالب ليس بهجرة واحدة وإنما بهجرات كثيرة لكن ليست كما حصرها

---

[١٣٣] كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة العدوة محافظة المنيا يوم الجمعة ١٩٩٣/٧/٩م الموافق ٢٠ محرم ١٤١٤هـ.

البعض أن تكون من مكان لمكان.. لا.. النبي قال هجرة المكان انتهت { **لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ** }[١٣٤] يعني هجرة معنوية وهجرة روحانية وهجرة بالمعاني الإيمانية ولـيس بالحركات والجوارح الجسمانية مثل ما بعض الناس فسروها وأولوها وخالفوا بذلك كـلام رسول الله وهذه الهجرة من أين؟ وإلى أين؟.

كل واحد فينا مطالب أن يهاجر من النواهي التي نهى عنها الله إلى الأوامر التي أمر بها الله. هذه هجرة لابد منها وبصيغة أخرى نحن مطالبون أن نهاجر من المعاصي وأماكن المعاصي وكل ما يقرب من المعاصي إلى الطاعات وأماكن الطاعات وكل ما يقرب إلى الله من أعمـال صالحات. كل مؤمن مطالب بهذه الهجرة سواء كان جاهلاً أو عالماً رجلاً أو امـرأة أو شـاباً فالكل مطالب أن يهاجر من المعاصي إلى الطاعات. ومن الأماكن التي بها المعاصي إلى الأماكن التي بها الطاعات وهذا ما وضحه الرسول وبين طريقه وسبيله وقال فيه { **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه** }[١٣٥] هذا هـو المهـاجر وكلنا نريد أن نحصل على هذا اللقب ونسمى عند الله مهاجرين. فالمهاجر عند الله في زماننـا هذا من هجر (أي ترك) ما نهى الله عنه.

قلنا أن الهجرة للمؤمنين والمؤمنات قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليهـا، لكنـها هجرة معنوية بعد أن كانت في عصر سيدنا رسول الله ﷺ هجرة مكانية من مكة إلى المدينـة وأنواعها كثيرة لكن أصولها ثلاث:

هجرة بأمر الله من المعاصي والمخالفات إلى الطاعات.

وهجرة بفضل الله من الدنيا إلى الآخرة.

وهجرة بتوفيق الله من الدنيا والآخرة إلى وجه الله ﷻ.

فالهجرة الأولى هي ترك المعاصي خوفاً من عذاب الجحـيم، والهجـرة الثانيـة فعـل الطاعات طمعاً في ثواب الله ﷻ في جنات النعيم، والهجرة الثالثة هي التقرب إلى الله بالتخلق بأخلاق الله رغبة في مزيد فضل الله وجميل عطاياه ﷻ لعباده المؤمنين الموحدين فالذي لا يزال جالساً في المعاصي وهو في المعاصي لا يكون في الدنيا في حالة تلبسه بالمعاصي بل يكـون في الجحيم لأن العمل الذي هو فيه باب مفتوح إلى الجحيم.

قال تعـالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ (٥ - ٦التكـاثر)،

---

١٣٤ متفق عليه والحديث برواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها وقد رواه احمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس ﷺ.

١٣٥ متفق عليه من حيدث ابن عمر ﷺ.

كيف تراها؟ أنت عندما تعلم علم اليقين أن هذه المعاصي هي الطريق والباب للجحيم ... تكون نفس المعصية هي النار والجحيم ولأجل ذلك قال ﷺ: { لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ }[١٣٦] وهو في هذا العمل يكون عاصيا ويكون من أهل الجحيم والعياذ بالله فهو إذا في هذا العمل يكون متلبّساً ومجرماً.

وعليه فصريح أمر الله له أنه عندما يخرج من هنا وينهي مدته وهو داخل من جمرك الدنيا إلى الدار الآخرة، أول ما يصل إلى الدار الآخرة يقبضون عليه ويقولون له: تعال. فيقول إلى أين؟ إلى دار المجرمين ... هذا مثل الذي فعل شيئاً ... وظن أنه هرب لكن أين يهرب من الله؟

إذا الهجرة من المعاصي هي الهجرة الأولى التي يقول رسول الله في صاحبها: { المهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه }[١٣٧] فقد هاجر إلى الآخرة لأنه ترك الدنيا وترك المعاصي والهجرة الثانية من الدنيا إلى الآخرة، فالدنيا هي الأعمال الدنيئة التي لا تليق بالمؤمن. سميت الدنيا من الدنو والدناءة فكل عمل دنئ لا يليق بالمؤمن عمله يهاجر منه إلى الطاعات فيصير إلى الآخرة ومن أهل الآخرة؟ هم الملائكة. وما أعمال الملائكة؟!.

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم) فالذي يراهم يجد منهم الذي يسبح الله والذي يقف يذكر الله والذي يقف يقدس الله والذي يتلو كتاب الله والذي يستغفر الله ليس لأنفسهم لكن لنا.﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (٧غافر)، يا سبحان الله ربنا وظفهم يستغفرون لنا فكأنهم موظفون عندنا ومن هم؟ حملة العرش وليس الملائكة العاديين وحملة العرش الرسول يقول في الواحد منهم { أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ الله تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ }[١٣٨]

ومع ذلك فالله سخرهم لكي يستغفروا لي ولك لكي تظهر مكانتك أنت عند الله وتعلم أنها ليست مكانة هينة أو عادية وإنما هي مكانة عظيمة جداً جداً. فلأجل أني مهاجر إلى الآخرة مثله. فأترك الأعمال الدنيئة التي ذكرناها كاللعب واللهو وأكون ليس لي بها شأن، فأما غيري الذي يلعب إذا كان يلعب على نقود يكون من أهل الجحيم لأن هذا هو القمار وإذا كان يلعب على غير نقود فهو من أهل الغفلة ومن أهل الذنوب ومن أهل الدنيا لأن

---

[١٣٦] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه.
[١٣٧] متفق عليه من حديث ابن عمر ﷺ.
[١٣٨] رواه الطبراني عن أنس وأبو داود والضياء عن جابر.

هذا يقول فيه رسول الله ﷺ: {اللاَّعِبُ بالنَّرْدِ كَوَاضِعِ يَدِهِ في لحْمِ الخِنْزِيرِ، وَالنَّاظِرُ إلَيْها [الكوتشينة، الطاولة، الدومينو] كَواضِعِ يَده في دَم الخِنْزير}[١٣٩].. ودم الخنزير طاهر أم نجس؟! إنه أنجس النجاسة فالذي يلعب ويقول: الكلب راح، الكلب جاء، أو شيش بيش!! كل هذا كغامس يده في دم خنزير، لأن هذا في اللعب.. والمؤمن ليس لديه وقت لهذا الكلام، ليس لديه وقت للعب ولا للزينة ولا للتفاخر والتكاثر .. إذا أين يكون المؤمن؟.

نجده مع كتاب الله، أو نجده يذكر الله، أو نجده ينصح عبداً من عباد الله، أو يزور مريضاً طلباً لمرضاة الله، أو يشيع جنازة ابتغاء وجه الله....

هذا هو عمل المؤمن يتقلب في الطاعات ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (٢١٩الشعراء)، أي أنه يتقلب مع الساجدين دائماً وبهذا يكون في عمل الآخرة ومثل هذا من أهل الآخرة.

الهجرة الثالثة وهي لرجل ثانٍ قال ماذا أفعل بالآخرة؟ سوف أذهب إلى هناك والذي حرمت منه هنا أجده هناك. لكن أنا يعجبني شئ ثانٍ فليست تعجبني الجنة والذي فيها. أنا يعجبني الأخلاق العظيمة الكريمة التي يعاملنا بها الله. انظر كيف نعصي ونغفل ونجهل وهو حليم علينا وتاركنا؟ وما يفتأ يرزقنا وينعم علينا ويستر علينا فيقول أنا أريد أن أكون حليماً مثل الحليم ﷻ. الواحد يبعد عنه سنين ويلطخ نفسه بالمعاصي والطين ويرجع يقول له: أنا تبت.. فيقول ﷻ وأنا قبلت! ما هذا العفو العظيم؟

أنا أريد أن أكون عفواً مثل عفوه ﷻ لا أركب رأسي ويقولون لي فلان جاء يعتذر إليك وأقول له يدفع خمسة عشر أو عشرين ألف، يا أخي إن رسول الله قال: {مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصلاً [معتذراً] فَلْيَقْبَلْ ذلِكَ مِنْهُ مُحِقّاً أَوْ مُبْطِلاً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ}[١٤٠]، يقول أنا ليس لي شأن بهذا الكلام !!! يا أخي ما دام جاء إليك ويقول لك أنا أعتذر لك، ألا ترى أن الذي خلقه ورباه وكلأه بنعماه ويعصاه وهو يراه!! لكن أنت لم تره أو تسمعه وإنما أحد أبلغك أنه قال في حقك كذا. لكن هو سامعه ويراه وعندما يقول له تبت، يقول له وأنا قبلت ...

ولما ينشط العبد ويصطلح مع مولاه يفرح به الله وهو الغنى عنه فرحا يقول فيه الحبيب / يقول الله للملائكة اعملوا له فرح عندكم {للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ قَدْ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ فِي أَرْضٍ مُهْلِكَةٍ، يَخَافُ أَنْ يَقْتُلَهُ الْجُوعُ}[١٤١] وهل ربنا يحتاج من العبد شيئاً؟

---

١٣٩ رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي موسى رضي الله عنه.
١٤٠ أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٤١ سنن النسائى الكبرى عن أبى هريرة، وورد فى روايات عديدة باختلاف ألفاظ.

هل ينفعه العبد أو يقدم له شيئاً؟ ... لكن هو يعلمنا نحن أن نقول: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (١٢٨النساء) حتى لو لم أكن أنا فى ظاهر الأمر ... أو فى تقديرى الشخصى الدنيوى ورؤيتى القاصرة والمحدودة محتاجٌ إلى من جاء ليصالحنى .. أو لو كنت غنياً عنه فيجب عليَّ أن أفرح بالصلح عندما يأتي أحد يصالحني ... عليَّ أن أفرح ...

أقول له تعالَ يا أخى .... قال لنا ﷺ: { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كالْجَمَلِ الأَنِفِ. حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ** [طفل يشد لجام الجمل فيمشي وراءه مع أن الجمل لو هاج لا يقف أمامه سبعة رجال، لكنه سبحانه وتعالى حليم] **وإن استنيخ على صخرة أناخ** }١٤٢ لا يطلب شيئاً ليناً ينيخ عليه ... والمؤمن نفس النظام .. إذا قيل له اصطلح فإنه يقول على بركة الله .... لا يطلب شروطاً أو غيرها ويريد أن يقيم الدنيا أو يقعدها !! ليقبل أن يصطلح مع أخيه !!!، فالشروط ليست مع المؤمنين ... وهو يريد أن يتخلق بخلق العفو ... أو خلق الجود ... يبحث عن الأشياء التي فيه فيجد أن الله جبله عليها .. كيف ذلك؟.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٧٢الأحزاب) ، في أصل خلقته كان ظالماً وجاهلاً ماذا يفعل؟ يغير الظلم ويغير الجهل. كان ظلوماً جهولاً. إذا لم يحافظ على الأمانة كما طلب الله ﷻ وكما أراد الله ﷻ. وحملها الإنسان أي حملها باختياره ولم يقل حملناها وإنما هو الذي حملها وهو الذي طلب، وما دام طلب حملها فإذا لم يقدر أن يقوم بها ....يصير جاهلاً..

ما الأمانة؟ ... أعظم أمانة أنت وأنا حملناها هى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أخذناها رغماً عنَّا أم باختيارنا؟ باختيارنا. أنا قلتها. إذاً لابد أن أقوم بحقها، قال رسول الله ﷺ: { **مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله مُخْلِصاً دَخَلَ الجنَّة، قِيلَ: وَمَا إِخْلاَصُها؟ قال: أَنْ تَحْجزَهُ عَنْ مَحَارِمِ الله** }١٤٣ .. ما معنى هذا ؟

أي أن يحرم ما حرمه الله ويعمل بما أمره الله به ﷻ فأنت عندما اخترت لا إله إلا الله، واخترت الإسلام، لم يعد لك عذر في أن تترك خردلة من تعاليم الإسلام ولم يعد لك عذر في أن تقع في أي بند من بنود المحرمات التي حرمها الإسلام، بعد نطق هذه الكلمة لست حراً ولذا هذه قائمة بالمحرمات، وهذه قائمة ثانية بالمستحبات وهذه قائمة ثالثة بالفرائض التي إن لم تفعلها نسجنك، أنت اخترت لا إله إلا الله محمد رسول الله انتهى الأمر.

---

١٤٢ أخرجه البيهقي والقضاعي والعسكري عن ابن عمر ﷺ.
١٤٣ رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم.

فالإنسان من أي صفات يا ربَّ خلقته، يقول ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ (٥٤الكهف)، أي يحب أن يجادل دائماً وماذا يفعل يا رب؟ مع المؤمنين لا جدال ومع الآخرين يكون بالحسنى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (٤٦العنكبوت)، لا بالشدة ولا بالسيف وإنما بالتي هي أحسن ... الحجة بالحجة.

افرض مع الشدة قال لا إله إلا الله، هل يريد الله هذا الإيمان؟ لا إنه قال ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (٢٥٦البقرة)، إن لم يدخل عن اقتناع فالله لا يريده والاقتناع يكون الحجة بالحجة. أما المؤمنون فقد قال رسول الله ﷺ **{ أَنَا الزَّعِيمُ بِبَيْتٍ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلاَهَا، وَبِبَيْتٍ فِي أَسْفَلِهَا لِمَنْ تَرَكَ الْجِدَالَ وَهُوَ مُحِقٌّ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ لاَعِبٌ، وَحَسُنَ خُلُقُهُ لِلنَّاسِ }**١٤٤ إذاً لماذا نهى الله عن الجدال؟

قال ﷺ **{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ }**١٤٥ فالجدل دليل على غضب الله ﷻ ولذا فالمؤمنون لا يتجادلون أبداً وإنما يتناقشون ويتناظرون والمناظرة التي يقول فيها سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه: **{ ما ناظرت أحداً وأحببت أن يخطئ بل أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يظهر الحق على لساني أو لسانه }**١٤٦

تريد أن تصل للحق لكن المجادل يريد أن يكون هو الذي غلب بالباطل أو الحق. وهذا الأمر لا ينفع لأننا سوف نخرج أعداء لذلك نهى الله عن الجدال، وطلب أن يتخلص المؤمن من الجدال ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾ (١٠٠الإسراء)، قتوراً يعني بخيلاً وربنا اسمه الكريم. إذاً يهاجر فوراً من البخيل إلى الكريم.

إذاً الهجرة الثالثة كيف يهاجر العبد فيها؟ يترك أخلاقه ويتخلق بأخلاق الله.

قال ﷺ: **{ إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه }**١٤٧ فهذا يحبه وهو غير الذي يكافئه على الطاعات والصالحات فيعطي لهم مكافئة وهي قصور وحور في الجنة، لكن الذي يحبه له وضع آخر إذا من الذي يحبه؟ الذي يتخلق بأخلاقه. وما المراد بأخلاقه؟، قال ﷺ: **{ إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مائةً غَيرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الْجَنَّةَ }**١٤٨

فأنت إذا هاجرت الهجرة العالية الكبيرة فالله تعالى يبدل صفاتك بصفات من عنده

---

١٤٤ (طب) عن ابن عبَّاس رضي اللهُ عنهما
١٤٥ أخرجه الترمذي وابن ماجة عن حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
١٤٦ فيض القدير للمناوى
١٤٧ رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه.
١٤٨ رواه البخاري مسلم والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة.

وأخلاقك بأخلاق من لدنه ... والذي يصير على هذه الشاكلة.. ماذا له من مكافأة عند الله؟

لهم مكافأة يقول فيها الله: { أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[149] للجماعة المؤمنين الذين يأخذون المكافأة على عملهم الصالح لكن الجماعة المقربون لهم عند ربهم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة)، فهؤلاء لا يجالسون إلا ملك الملوك وهناك فرق كبير بين الذي يجلس مع جارية أو خدم أو حشم أو فى النعيم الذى أنت تريده ... وبين الذي هو جالس مع الملك نفسه.

فرق كبير بين الذي يترل ضيفاً على رئيس الجمهورية فيقول أنزلوه قصر الطاهرة وانظروا ماذا يريد من طعام وشراب، لكن أنا ليس عندي وقت لكي أقابله فهل يتلذذ هذا بأكل أو شرب؟ ... لكن الثاني يقول أنا أقابله الساعة كذا، أو الثالث يقول أنا لا أستغنى عنه اجعلوه معي ليلاً ونهاراً ..... فالذي يدخل الجنة ويتمتع بالحور والقصور والولدان لكنه لا يحظى ولا يتمكن من رؤية الحنَّان المنَّان .... يبقى في عذاب كأنه عذاب أهل النار!!!!، عذاب اسمه عذاب الحجاب !! وعذاب الصدود !! وعذاب الإعراض. ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (٧٧آل عمران)، فهو نوع من أنواع العذاب المعنوي إذا فالذي لا ينظر الله إليه في نوع من أنواع العذاب.

فلذلك الجماعة المؤمنون مثلما يقول النبي ﷺ يأتون لهم بالحور والمتع فيقولون لا نريد هذا ماذا تريدون؟ والذي يكلمهم الله من عليائه مع تتزهه عن المكان والزمان والحيطة والإمكان فيقولون تركناها أحوج ما نكون إليها في الدنيا، أي كنا نريد الطعام والشراب في الدنيا ولماذا كنا نصوم ولماذا كنا نزهد؟ فيقول لهم وماذا تريدون؟

يقولون وعزتك وجلالك لا نريد إلا وجهك ... أنت متعتنا !وأنت مسرتنا ! وأنت هناؤنا وأنت حبورنا ... لأن هؤلاء الجماعة الذي هاجروا من أخلاقهم إلى أخلاق الله ﷻ فكانوا متصفين بصفات الله على قدرهم وليس بصفات الله على قدر كمالات الله وعلى قدر جمال الله ولكن على قدرهم وعلى قدر اتساع ما عوفم وعلى قدر معرفتهم بأخلاق الله ﷻ. فلذلك عندما ننظر المقام العالي الذي مدح الله ﷻ به النبي ﷺ نجده قال له مخاطبا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم)، أي أنت على خلق الله ﷻ ... ...

لأن العظيم هو الله وأنت على خلقه ....

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٤٩ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ فيما حكاه عن ربه ﷻ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الكبير المتعال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صاحب النعم والعطايا والفضل والنوال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله نور الله الدال على الله الذي كان إذا مشى لا يرى له ظل ولا خيال، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد شريف الخصال، ندى النوال وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. إن المؤمنين في هجرتهم إلى الله ﷻ على ثلاثة منازل:

إما واحد يجاهد نفسه لكي لا يقع في الذنوب والعيوب، وهذا يجاهد ليهاجر من المعاصي إلى الطاعات وهذا يوم القيامة من أهل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام)، أي ليس لهم شأن بجهنم ولا طريقها ولا عملها. والمؤمن الثاني نفسه لا تحدثه بالمعاصي، لكن تحدثه بالغفلة أو باللهو أو باللعب أو بالراحة.

فيقول لها أنا لا أضيع وقت لأن الدنيا عمرها قصير وكل نفس يحاسبني عليه العلي الكبير أنا أريد أن تكون أوقاتي كلها في الطاعات والقربات.

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف)، هذا يوم القيامة مثل ما يقول الله ﷻ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (٢٢الشورى).

لهم ما يشاءون عند ربهم في الآخرة الجماعة المقربين يريدون أن يكونوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتقول لهم نفوسهم نريد أن نأخذ لنا مقعداً من مقاعد الصدق أو نجلس على كرسي من الذهب أو نجلس على منبر من نور أو نجلس على كرسي المجد، المهم نكون في المكان الذي يقول فيه النبي العدنان { **أهل الكثيب في جنة عدن يتراءون ربهم كما تتراءون القمر في ليلة التمام** }[١٥٠].

فالجماعة الذين يجلسون على الكثيب يرونه والذين يجلسون على الأرض أيضاً يرون والذي على كرسي ينظر لكن كل واحد على حسب منزلته وهؤلاء هم المعنيون بقوله ﷻ ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)، فالذين أمر الله نبيه أن يصبر نفسه معهم يقول فيهم: هؤلاء الذين معك هناك !!! هم أصحابك هنا عندنا ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق)، لهم الذي يريدونه وزيادة وما الزيادة؟

---

١٥٠ رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة.

قال: الزيادة! اجعلوها عندي لأنكم لا تعرفونها ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦يونس)، ولمن الزيادة؟ للذي على مثل أخلاقه!!

حتى نحن في البشر أنت تجالس من؟ الذي مثلك مع الفارق الكبير بين تشبه العبد بصفات العلي الكبير وبين ظهور هذه الصفات في العلي العظيم عز شأنه لكن كونك أنك تتشبه بصفاته، فهذه تستوجب محبة الله ورضاه عنك لأنك تحاول أن تكون على نهج صفات الله ﷻ وأخلاقه ﷻ.

ها هو موقف المؤمنين الصادقين والمقتصدين والمقصرين وكلهم كما قال الله ورثة لكتاب الله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ... وهم أنتم جماعة المؤمنين: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٢فاطر).

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية عشرة[151]

يوم عاشوراء

الحمد لله ربِّ العالمين السميع القريب، المجيب المنيب، سبحانه سبحانه من دعاه لباه، ومن سأله أعطاه، ومن توكل عليه كفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجيب الدعاء ويحقق الرجاء لكل عبد استغاث به في الضراء أو سأله في السراء، ولا يحرم عبداً من العطاء إلا إذا كان من أهل الشقاء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله إمام أهل الاجتباء، وسيد الأصفياء أمين الله على خزائن الفضل والعطاء والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم العرض والجزاء.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مهبط وحي السماء وربان سفينة الصالحين والأولياء والممد بمدد النور والهداية كل الأحياء وآله النجباء وصحابته البررة الأتقياء، وكل من سار على هديه من أهل الشريعة الغراء. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. إخواني وأحبابي..

{ اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ

١٥١ كانت هذه الخطبة بمسجد الغفران بمدينة بور سعيد يوم الجمعة ٧ من المحرم ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٨/١/١٩م.

رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }١٥٢

ومن هذه الأيام العظيمة .. أيام النفحات ... يوم عاشوراء فهو يوم التوبة .. ويوم النجاة ... ويوم إجابة الدعاء لأنبياء الله ورسل الله وأحباب الله ﷺ ...

فسيدنا نوح عليه السلام عندما عصاه قومه وكذبوه ومكث تسعمائة وخمسون عاماً يدعوهم إلى عبادة الله فلم يستجيبوا له وكانت علامة الطوفان التي أعطاها الله له بأن أمره أولاً أن يحمل في السفينة زوجين من أصناف الوحوش والطيور وغيرها ذكر وأنثى وكان معه الذين آمنوا به، وكانوا تقريباً ثلاث عشرة نفراً هم كل الذي آمن به من البداية للنهاية لمدة تسعمائة وخمسون عاماً. متى يدخلون ويركبون في السفينة؟ ... عندما ترى النار وهي تخرج من الفرن ثم تنطفئ ويخرج مكانها ماء .. تعرف بأن هذا هو الوقت المحدد للطوفان من أجل أن تتحرك السفينة !!!

وكان قد صنع عليه السلام السفينة ولا يوجد بحر ولا ماء وكانوا يسخرون منه في ذلك ويقولون لماذا تصنع السفينة ولا يوجد عندنا بحراً أو ماء؟!

وبعد انتهاءه من السفينة وركوب الحيوانات، وكانت السفينة ثلاثة أدوار الدور الأرضي للحيوانات المتوحشة، والدور الثاني للحيوانات المستأنسة، والدور الثالث كان فيه الإنس الذين آمنوا به والطيور ...

وكانت امرأة تجلس أمام الفرن لإعداد الطعام فوجدت أن النار انطفأت وخرج الماء من الفرن فتعجبت وقالت ما هذا؟ فعلم سيدنا نوح أن أمر الطوفان قد قرب ... فركب هو ومن معه وانفجرت الأرض عيوناً من أسفل ومياه من السماء وبدأ الطوفان وجلس في السفينة هو ومن معه لمدة ستة أشهر ... حتى جف الماء من الأرض ... وتوقف نزوله من السماء ووقفت السفينة ... واليوم الذي وقفت فيه السفينة ... ونجى الله فيه سيدنا نوح ومن معه هو يوم عاشوراء.

وأيضاً سيدنا موسى عليه السلام عندما أرسل إلى قوم فرعون في مصر ودعاه إلى العدالة بأن يعدل بين بني إسرائيل والمصريين ورفض .. وفي النهاية أمره الله أن يخرج من مصر فخرج وخلفه بني إسرائيل في ستمائة ألف ... وكان جيش فرعون في هذا الوقت حوالي مليون جندى لأنه كان من الجيوش الكبيرة في هذا العصر... وساروا خلفهم إلى أن وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر مقابل خليج السويس ... وهناك لحق بهم فرعون بجيشه فأمر الله موسى

١٥٢ ابن أبي الدنيا عن أنس

ﷺ أن يضرب البحر فانشق اثنى عشر طريقاً ، وكان الستمائة ألف اثنى عشرة قبيلة من أولاد سيدنا يعقوب الاثنى عشر، ومشت كل قبيلة في طريق إلى أن نجوا وكان هذا اليوم يوم عاشوراء الذي نجا الله ﷻ فيه سيدنا موسى ومن معه ... إذن فهذا يوم التوبة .. ويوم النجاة .. ويوم استجابة الدعاء ...

ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم فسألهم: لماذا تصومون هذا اليوم؟ فقالوا: هذا يوم نجا الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وقومه فقال ﷺ: { **نحن أولى بموسى منكم** }[153] وصامه وأمر أصحابه بصيامه.

ولذلك فصيام هذا اليوم سنة مؤكدة لأن الذي فعلها هو رسول الله ﷺ. ولما كان في آخر حياته وجد أن اليهود يصومون هذا اليوم والمسلمون يصومونه فقال: لابد أن نخالفهم فقال لأصحابه { **صُومُوا التَّاسِعَ والعَاشِرَ وخَالِفُوا اليَهُودَ** }[154] وقال: { **لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ والعاشرَ** }[155] وتوفي ﷺ فلم يصم إلا يوم العاشر فقط ...

فمن السنة أن نصوم يوم عاشوراء لأن هذه سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ واليوم نفسه هو يوم العاشر من محرم ولمخالفة اليهود يكون الصيام يوم التاسع ويوم العاشر ...

وعلى المسلم أن يكون له صيام ثلاثة أيام من كل شهر لقول رسول الله: { **صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ** }[156].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين له وحده تقدير الأمور وتدبير الدهور وتصريف المقادير إليه المرجع والمآب وإليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقضي الأمور بحكمته ويسيرها بإرادته لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه وإليه ترجعون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الصراط السوي والحق الجلي والمنهل الروي والوجه البهي.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد سر افتتاح إرادتك وباب وحي شريعتك ومفتاح دار سعادتك وآله آل حكمتك وأصحابه حراس شريعتك وأتباعه العاملين بطاعتك،

---

١٥٣ أخرجه البخاري في كتاب الصوم عن ابن عباس.
١٥٤ رواه أحمد والبيهقي في سننه عن ابن عباس.
١٥٥ رواه البيهقي في سننه وابن أبي الجعد عن ابن عباس.
١٥٦ (حم هق) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ

وكل من انشغل بذكرك وحسن عبادتك. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد..فيا إخواني ويا أحبابي..

أيضاً هذا اليوم كان له واقعة في الإسلام كلنا نعرفها وهي مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه .. وقد روت كتب السنة: **{كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا فِي بَيْتِي. فَجَاءَ حُسَيْنٌ يَدْرُجُ. قَالَتْ: فَقَعَدْتُ عَلَى الْبَابِ فَامْسَكْتُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَدْخُلَ فَيُوقِظَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ غَفَلْتُ فِي شَيْءٍ فَدَبَّ فَدَخَلَ فَقَعَدَعَلَى بَطْنِهِ. قَالَتْ: فَسَمِعْتُ نَحِيبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَجِئْتُ. فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، وَاللَّهِ مَاعَلِمْتُ بِهِ. فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ عَلَى بَطْنِي قَاعِدٌ. فَقَالَ لِي: اتُحِبّهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قال: إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ. الا أُرِيكَ التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قال: فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَاتَانِي بِهَذِهِ التُّرْبَةِ. قَالَتْ: فَإِذَا فِي يَدِهِ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقْتُلُكَ بَعْدِي". وفى رواية فكنا نقول أنها من كربلاء } ١٥٧**

وبعدما قتل سيدنا علي بايع أهل العراق سيدنا الحسن فمكث ستة أشهر، ولكنه كان يميل للسلام ومن أجل أن تتحقق فيه دعوة سيدنا رسول الله **{ إِنَّ ابْنِي هذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ }**[١٥٨] فبعد ستة أشهر من خلافته أرسل لمعاوية وقال له: نريد الصلح وانصلح مع معاوية وتنازل له عن الحكم بشرط أن يتسلم الحكم من معاوية بعد وفاته.

ولكن معاوية لم يفِ بهذا الشرط فأرسل لزوجة سيدنا الحسن وأغراها بأنه سوف يزوجها ليزيد ابنه إذا وضعت السم للحسن فوضعت له السم وعندما ذهبت إليه لتنال الجائزة. قال لها: إذا كنت لم تؤتمني على ابن رسول الله فكيف تؤتمني على يزيد؟!!

وبعدما مات الحسن بايع لابنه يزيد فلم يوافق سيدنا الحسين على ذلك، وأرسل له أهل العراق وقالوا له: هنا ستون ألف سيف ينتظرونك من أجل أن تحضر وتتولى الخلافة فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ﷺ وأرضاه من أجل أن يتأكد من هذه الأخبار وعندما وصل قابله عشرون ألف وذهب بهم لصلاة المغرب، فعلم جنود يزيد بذلك فذهبوا إلى هناك وبعد انتهائه من صلاته وسلم لم يجد خلفه رجل واحد خوفاً من جنود يزيد .. لأن كل الذي

١٥٧ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عن أم سَلَمَةَ ، المسند الجامع ورواه أحمد في مسنده إلى أنس وورد بغيرها من كتب الحديث، وقد وردت زيادة فى فى مرآة الجنان وعبرة اليقظان وغيرها من مصادر من كتب التاريخ أن السيدة أم سلمة وضعتها التربة في قارورة فلما قرب وقت قتل الحسين نظرت في القارورة فإذا الطين قد استحال دماً، وورد في تاريخ دمشق أن رسول الله ﷺ شم التربة وقال: "ريح كرب وبلاء". قالت: وقال لي ﷺ "يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل" قال: فجعلتها في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم .

١٥٨ رواه البخارى وأحمد عن أبى بكرة

يراهم يجري مسرعاً فأمسكوا بمسلم بن عقيل وقتلوه ولم يرسل لابن عمه بما رآه في هذه الواقعة مع أنه قد أرسل له في بداية مقابلة العشرون ألفاً وقال له هذا الكلام صحيح وتعالَ إلينا ولم يخبره بما حدث بعد ذلك لأنهم قتلوه ومن أجل أن ينفذ قضاء الله وقدر الله..

وقد حاول سيدنا عبد الله بن عباس أن ينصح سيدنا الحسين بأن لا يذهب فرفض وأصر على الذهاب، وقابله الشاعر الفرزدق في طريقه وكان يحب آل البيت، فقال له: تركت أهل العراق قلوبهم معك وسيوفهم عليك، وسوف يحاربونك ...

فمشى سيدنا الحسين حتى وصل إلى كربلاء وقابله هناك عبد الله بن زياد والي يزيد على العراق، وكان مع سيدنا الحسين في هذا الوقت أولاده وأولاد أخيه الحسن ونساؤهم، أولاده أربعة عشر ولد، وأولاد ابن أخيه ،والنساء كل هذا العدد كان حوالي تسعون رجلاً وامرأة وطفل، فعرض على عبد الله بن زياد أن يتركوه على واحدة من ثلاث: إما يتركوه لمقابلة يزيد بنفسه، وإما أن يرجع مرة اخرى إلى المدينة، وإما أن يذهب إلى حدود بلاد الإسلام ويجاهد مع الجيش الإسلامي هناك ....

ومع ذلك تعنت ابن زياد ولم يقبل أي شرط من هذه الشروط وقال له: لا، لابد أن نقتلك ونأخذ رأسك لنرسلها إلى يزيد !! مع أن يزيد عندما علم بعد ذلك قال: لو عرض علي أحد هذه الشروط لقبلتها، لأنه يقول: إما أن تتركني أعود مرة أخرى إلى المدينة التي خرجت منها، وإما أن توصلني إلى يزيد نفسه وهو ابن عمي ونتفاهم مع بعضنا، وإما أن توصلني للحدود وأحارب مع جيش الإسلام في بلاد الروم إلى أن يأتي قدري فلم يقبل أي شرط من الشروط ...

وكانت المعركة بالطبع غير متكافئة بالمرة ... فجيش عبد الله بن زياد مكون من اثنى عشر ألفاً يحارب تسعون فرداً منهم النساء والأطفال يعني لم يكن سوى ثلاثون رجلاً فماذا يفعلون مع هذا الجيش، وبدأت المعركة واستمرت يومين مع هذا الفارق ...

والأمر العجيب أنه كان عندما يأتي وقت الصلاة يتوقفون عن القتال ويتوضؤن ويصلي سيدنا الحسين ويأتي خلفه جيش العراق للصلاة خلفه!! وبعد الصلاة يحاربونه بسيوفهم كيف يكون ذلك!!؟ لكنهم كما وصفهم سيدنا علي (يا أهل العراق يا أهل النفاق).

وفي اليوم الثالث وكان يوم عاشوراء وأصبح الحسين صائماً ورأى في منامه سيدنا رسول الله ﷺ في هذا اليوم وقال له: { **ستفطرعندنا اليوم** } فعرف أنه سوف يموت في هذا اليوم ، فتقدم أمامه أولاده وحاربوا أمامه إلى أن قتلوا جميعاً أمامه فيما عدا الطفل علي زين

العابدين وكان مريضاً فاحتملته السيدة زينب أخت سيدنا الحسين ﷺ وأرضاهم أجمعين والموجودة الآن في القاهرة.

وفي النهاية عطش سيدنا الحسين ... فتوجه لشرب الماء فضربه الرجل الذي كتب عليه الشقاء بسهم في فمه فنزل الدم ... ولم يشرب ... وتكاثروا عليه جميعاً وقتلوه وكان هذا في يوم عاشوراء ...

وروى الزُّهْرِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمْ يُقْلَبْ حَجَرٌ إلا وُجِدَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ[١٥٩]، وذلك يوم مقتل الحسين بكاءاً على سيدنا الحسين، وقيل وسمعوا إلى شعر ولم يروا من الذي يتكلم:

أترجو أمة قتلت حسيناً   شفاعة جده يوم الحساب

والتفت هؤلاء بعد ذلك لقتل علي زين العابدين لأنهم كانوا يريدون القضاء على آل البيت فاحتضنته السيدة زينب وقالت لهم: اقتلوني قبل أن تقتلوه وحمته من القتل.

وقد راجت الخرافات من الذين قتلوه بأنه يجب في هذا اليوم على كل واحد منهم أن ينزل دماً من جسمه!! أو من رأسه !!من أجل أن يكفر عن الذنب الذي فعل مع الحسين!! وإلى الآن يفعل ذلك أهل العراق !! .... ولذلك ذهب اثنان من أهل العراق إلى سيدنا عبد الله بن عباس يسألونه عن دم البرغوث إذا قتل في الحرم لأنه لا يصح أن يقتل أي شيء في الحرم، فقال لهما: من أي البلاد أنتما؟ فقالا من العراق، فقال: تسألون عن دم البرغوث وأين دم الحسين؟ .... فكل هذه خرافات ليست من الإسلام.

وكذلك يعملون له يوم حزن هناك أى يوم عاشوراء... وهو ليس بيوم حزن، وإنما هو يوم فرح لأنه يوم تاب الله فيه على سيدنا آدم، ويوم نجى فيه سيدنا نوح، ويوم نجى الله فيه سيدنا موسى عليه السلام وكثير من الأنبياء نجاهم الله في هذا اليوم فلا يصح أن نعمله يوم حزن، ولذلك نصوم في هذا اليوم شكراً لله على أن نجى الأنبياء وتاب على الأنبياء، ونرجو من الله أن يتوب علينا كما تاب عليهم.

فعلينا بإذن الله بصيام يوم التاسع ويوم العاشر لقوله ﷺ: { صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيةَ }[١٦٠]   كما علينا التوجه إلى الله ﷻ بالإلحاح في الدعاء. ...

<< ثم الدعاء >>.

---

١٥٩ سير أعلام النبلاء ، ودلائل النبوة للبيهقي وتهذيب الكمال وغيرها.
١٦٠ رواه البيهقي في السنن عن أبي قتادة.

الباب الثاني

المولد النبوي الشريف

الخطبة الأولى: الثبات على المبدأ.

الخطبة الثانية: الرسول وعلاج مشاكل العصر

الخطبة الثالثة: نعيم الإيمان وجحيم العصيان.

الخطبة الرابعة: نعمة الهداية والإيمان.

الخطبة الخامسة: صلاح العالم بالإسلام.

الخطبة السادسة: نبي الذوق الرفيع والجمال.

الخطبة السابعة: التأسي بشمائله ﷺ.

الخطبة الثامنة: القرآن الكريم سرّ إصلاح المجتمعات.

الخطبة التاسعة: الرسول وحقوق الإنسان.

الخطبة العاشرة: الرسول وإصلاح الأفراد والمجتمعات.

الخطبة الحادية عشرة: تكريم الإنسان في الإسلام.

الخطبة الثانية عشرة: الرسول والأخلاق الفاضلة.

الخطبة الثالثة عشرة: محمد ﷺ المثل الأعلى.

الخطبة الرابعة عشرة: الموازين الإلهية لإصلاح البشرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب، آية ٢١)

الباب الثاني

المولد النبوى الشريف

الخطبة الأولى [1]

الثبات على المبدأ

الحمد لله ربِّ العالمين، اختار الحمد لذاته شكراً للنعم التي أسداها لعباده المؤمنين فقد غمرهم بنعمه، وأحاطهم بآلائه الظاهرة والباطنة، ولما عرف عجزهم عن شكره، أنزل شكراً على حسب استعدادهم في كتابه، وارتضاه منهم لنفسه، وأمرهم أن يكرروه فيقولوا الحمد لله ربِّ العالمين، فيقول ﷻ ردًّا عليهم: { حَمِدَنِي عَبْدِي }[2].

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا معبود في الكون سواه، ولا متولِّي للنعم الظاهرة والباطنة عداه، بيده الخير كله، وبيده الأمر كله، وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، أرسله الله ﷻ رحمة للعالمين، وبعثه هداية للخلق أجمعين، وأمرنا أن نقتفي أثره في كل وقت وحين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد في الأولين وصلِّي وسلِّم وبارك على سيدنا محمد في الآخرين، وصلِّي وسلِّم وبارك على سيدنا محمد في الدنيا ويوم الدين ...

أما بعد ... فيا إخواني ويا أحبابي .. ونحن نحتفل بذكرى ميلاد سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ، فهيَّا بنا نشرب من رحيق آية من كتاب الله، ما به نفعنا في الدنيا، ورفعتنا يوم لقاء الله. فكتاب الله الذي أنزله إلينا فيه الهُدى والنور، وفيه الشفاء لما في الصدور، وفيه الخير والسعادة لنا وللناس أجمعين. نأخذ منه قبساً من آية واحدة قال الله فيها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢١الأحزاب).

إن مجال الأسوة واسع جداً، فالأسوةتعني القدوة وتعني التشبه برسول الله ﷺ ولما كان هذا المجال كبير جداً فإننا نكتفي بذكر مثال واحد من حياته ﷺ ، كان عليه مدار أمره كله، وبه ارتفع شأن هذا الدين، وبه تجاوزت دعوته الخافقين، وبه أوصل الله هذا النور لجميع عوالم الله ﷻ ... ما هذا المبدأ؟

يتضح لنا هذا المبدأ عندما نعلم أن كفار قريش كانوا في ناديهم بجوار الكعبة يتحدثون

---

١ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة – يوم الجمعة الموافق ١٢ من ربيع الأول ١٤١٢ هجرية، ١٩٩١/٨/٢٠.

٢ رواه مسلم عن أبي هريرة من حديث " قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ......"

في شأنه ﷺ، وقد احتاروا في أمره وشلّ تفكيرهم عندما أخذوا يخوضون في أمثل طريقة للقضاء عليه وإنهاء دعوته، وقد رأوا أن ذلك الأذى لم يُجْدِهم نفعاً، بل كلما زادوا المسلمين أذىً ازداد يقينهم، فاجتمعوا للشورى فيما بينهم ....

{ فقال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيداً مطاعاً في قومه: يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأُكلِّمه وأعرضُ عليه أموراً علّه يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكفّ عنّا؟ فقالوا: إفعل، فذهب إلى رسول الله وهو يصلي في المسجد، وقال: يابن أخي إنك منّا حيث قد علمتَ من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقْتَ به جماعتهم، وسفَّهتَ أحلامهم، وعِبتَ آلهتهم ودينهم، وكفَّرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها...

فقال عليه الصلاة والسلام: قلِ يا أبا الوليد أسمع. فقال: يا ابن أخي إن كنتَ تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ تُريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطعَ أمراً دونك، وإن كنتَ تُريد مُلكاً ملكناكَ علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِياً من الجن لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «فقد فرغتَ يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: فاسمع مني، فقرأ عليه ﷺ من أول سورة فصلت: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ }، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى ﷺ إلى قوله تعالى: { فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ } فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عن ذلك، فقال له: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك!!..

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: أحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحْر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به...

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم }[٣]

ولكن القوم لم ييأسوا، فذهبوا إلى عمه أبي طالب، وعرضوا عليه هذه الأمور، وطلبوا منه أن يَحُمل ابن أخيه على واحدة منها، فلما كلَّمه عمه، كـان جوابـه ﷺ: { **يَا عَمِّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ** } ٤.

فما جاء به رسولكم الكريم من عند الله من الهدي والنور، لا يبغى به مُلْكاً، ولا يسأل به مالاً، ولا يطلب به جاهاً عند الناس، ولا شيئاً من دنيا الناس وإنما يبغى به رضـاء الله ﷻ وعلى مثل هذا الأمر من الثَّبات على المبدأ ربَّى رسول الله ﷺ أصحابه فهذا زوج ابنته العاص بن الربيع يرجع من بلاد الشام يقود قافلة كبيرة للمشركين، فهداه الله للإسـلام وهـو في الطريق، فدخل المدينة وقد تمكن الإيمان من شغاف قلبه، فأشار عليه بعض ضعفاء النفـوس، بأنك ما دمت قد آمنت فقد حلَّت لك أموال القافلة وبضاعتها غنيمة، فأخذته الحمِّية الإيمانية وصاح قائلاً: يا قوم ! ما كنت أبدأ عهدي مع الله ورسوله بالخيانة.

وذهب إلى مكة، وجمع أهلها وقال: يا أهل مكة، ماذا تعرفون عنِّي؟ن فقالوا: لا نعلـم عنك إلا خيراً، فقال: هذه بضاعتكم، وهذه أموالكم، وسلَّم كل واحد منهم أماناته، ثم قال: هل بقى لأحد منكم شيئاً؟ فقالوا: لا وجزاك الله خيراًن قال: أُشْهدكم يا أهل مكـة إنـي آمنت بالله ربَّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

فالثبات على المبدأ أساس الإيمان، والإيمان يا إخواني ليس العبادات من صلاة وصـيام وزكاة وحج فقط، وإنما الإيمان جملة الأخلاق التي جاء بها الله ﷻ في كتابه، وجملة المعاملات التي علَّمها النبي ﷺ لأصحابه، وجملة الآداب التي ملئوا بها الأرض علماً ونوراً بعد أن كانت تزخر ظلماً وجوراً.

هذا هو الإيمان الذي علَّمه رسولكم الكريم لأصحابه رضي الله عنهم، ولـذا عنـدما فُتحت لهم البلدان، عُرضت عليهم الدنيا، ووقعت في أيديهم الأموال، وطلبتهم المناصب فلم يلتفتوا إلى شئ من ذلك كله، طلباً لمرضاة الله عزَّوجلَّ، وكذلك عند تعرضَّهم للفتن والـبلاء لا يرضون لغير الله بدلاً، فهذا رجل أمر رسولكم الكريم أصحابه أن يخاصموه، فلا يكلِّموه، ولا يلقوا السلام عليه، ولا يردُّوا ﷺ ، بل وأمر زوجته ألا تخدمه... لماذا؟ لأنه تخلَّف عـن

---

٣ نور اليقين لمحمد الخضرى، والسيرة الحلبية وغيرها كثير مشتهر بزيادة أو نقصان.
٤ سير أعلام النبلاء للذهبى ، والسيرة الحلبية وكثير غيرها

معركة حربية مع رسول الله ﷺ، تخلَّف عن غزوة تبوك. وهو كعب بن مالك الشاعر.

بينما هو ذات يوماً يمشي في السوق، وحاله ورفاقه وصفه الله ﷻ حيث قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ (١١٨التوبة).، إذا برجل رومي يسأل عنه ويقول: أين كعب بن مالك الشاعر؟ فدلّوه عليه، قال: ماذا تريد؟ قال: معي رسالة لك من ملك الروم وسلَّمها له، ففضَّ الرسالة وقرأها فإذا بها: (من هِرقل قَيصر الرُّوم إلى كعب بن مالك الشاعر .... بلغنا أن صاحبك قَلاَك "أي أبغضك" فاسرع إلينا نُهَيِّئ لك العيش السعيد والحياة الرغيدة) فما كان منه إلى أن مزَّق الكتاب وقال: وهذا أيضاً من جملة المصائب التي أتت عليِّن فلم يفرح بما عرضه عليه ملك الروم من العيش الرغيد في الدنيا، لأنه يُوقن بقول الله ﷻ:﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (١٧الأعلى) .... لم تفتنهم الدنيا بزخرفها، ولم تغرّهم بشهواتها، ولم تغيِّر أخلاقهم بأطماعها، وإنما يتمسكون بشرع الله، ويتبعون سنة رسول الله ﷺ طلباً لمرضاة الله تعالى.

فعندما حاصر عمرو بن العاص بجيشه حِصْن بابليون بمصر، وطلب منه المُقوْقس زعيم القبط بمصر أن يُرْسِل إليه رجلاً من عنده ليفاوُضه، فأرسل إليه عُبادة بن الصامت – رجل من فقراء الصحابة لا يملك من الدنيا وحُطامها إلا أثْمالاً بالية يلبسها على جسده، ولكنه يملك نفساً غنِّية بالله، وقلباً مملوءاً بحب رسول الله ﷺ – فلما رآه المقوقس خاطبه قائلاً: أراكم ما خرجتم إلا لأنَّ أرضكم أرض قحط، ليس بها زرع ولا ماء، وقد جئتم إلينا تطلبون القُوت والطعام والرخاء والمال، فإن شئتم جعلنا لكلِّ رجل منكم مائة دينار في كل عام، ولكل أمير جماعة ألف دينار في كل عام، ولقائدكم مثل ما يأخذ الجميع في كل عام، وترجعوا عن غزونا، فماذا قال عُبادة بن الصامت ﷺ؟، قال له: (غرَّك مالك، لو كنَّا نبغي المال ما جئنا هاهنا، ولو كنَّا نطلب بجهادنا الدُّنيا ما رفعنا سيوفنا، ولا عرَّضنا أنفسنا للقَتْل، ولكن خرجنا لنُنْقذ النَّاس من ظُلمات الجاهلية لعبادة الله ﷻ، فاختر لنفسك ومن معك واحدة من ثلاث: إما الإسلام، وإما الجِزْية، وإما السَّيف.

وهذا ما قال شِبْهه أيضاً رَبْعي بن عامر عندما دخل على رُسْتم قائد الفرس، وبمثل هذا كان ردَّ كلَّ قائد من قادة رسول الله ﷺ على الملك الذي أرْسل إليه لم تحجبهم الدنيا وزخرفها عن المبدأ الذي تربُّوا عليه، بل تأسُّوْا فيه برسولهم ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه، وقد كان الشعار الذي أمرهم ﷺ به: { عِشْ حَمِيداً ومَتْ شَهِيداً } [٥].

---

٥ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، ومسند البزار من حديث سالم ابن عمر

فما نتيجة هذا الشعار ؟ ... أن تحيا في الآخرة سعيداً!

عش حميداً بالسير على مبادئ الإسلام، ولا تلفتك الشهوات والزخارف ولا المطالب عن أخلاق الإيمان، ولا تغتر بالدنيا وزخارفها، ومت شهيداً مجاهداً على دين الله ﷻ تحيا سعيداً يوم لقاء الله ﷻ .

هذا المبدأ الإسلامي الخالد، نحن في أمس الحاجة إليه في حياتنا الآن، فما أكثر من يحيا منا على الإيمان ويتربى على مائدة القرآن، وينشأ في أحضان أبوين مؤمنين طاهرين، وبمجرد أن يعرض عليه عرض رخيص من عروض الدنيا، تجده يتحول عن طريق الله ﷻ، يتحول عن الإيمان من أجل بضع ملايين رخيصة، يبيع دينه بعرض قليل من الدنيا بل ربما لا يحصل عليه، وربما يكون السجن في انتظاره بعد الحصول عليه، فلا يتهنى به في دنياه، ويعذب عليه أشد العذاب يوم لقاء الله ﷻ.

قد تغريه فاتنة حسناء، فيغير جلده الإيماني، ويتحول إلى خنزير سفاد من أجل هذه السلعة الرخيصة، من أجل امرأة فاسقة، والنساء المؤمنات كثيرات، وفيهن خير كثير ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (٢٢١البقرة).

نحن في حاجة ماسة إلى التأسي بهذا المبدأ يا إخواني، لأن الدنيا قد تبرجت وتزخرفت وتزينت، وأمواج الكافرين تأتي لنا في كل طرفة عين بما يخلعنا عن ديننا لو عملناه، وما يغير علينا إيماننا لو اتبعناه، وبما يسلخ إيماننا من قلوبنا ويتركنا في خواء من دين الله وشريعة الله لو طبقناه، كل ذلك طمعاً في عيش قد يكون قليل، وربما يكون وراءه أو فيه عذاب كبير !!

فقد يتحصل المرء على المال من طريق حرام وينفقه عند الأطباء، ولا يتم له الشفاء، وقد يحصل على المال الحرام، ولا يُمْهله العمر ليتوب، فيأتيه الموت بغتة، فيحمله كله على عنقه يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

قال ﷺ: { من تمسَّك بسُنَّتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد }[٦].

وقال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له }[٧].

أدعو الله وأنتم موقنون الإجابة.

---

٦ أخرجه الطبراني عن أبي هريرة ﷺ والبيهقي عن ابن عباس ﷺ واللفظ له.
٧ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً يُوافي نعمه ويُكافئ مزيده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُحقَّ الحق ويُعين أهله عليه، ويُثيبهم بخير ما لديه وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، وصفيِّه من خلقه وخليله، اختاره الله لرسالته وأمره بتبليغ شريعته، ووعد من أطاعه واتَّبعه بدخول جنَّته، وتوعَّد من عصاه وخالف هديه بالخلود في دار شِقوته ...

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم واعطنا الخير وادفع عنَّا الشرَّ، ونجّنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين...

أما بعد... فيا إخواني وأحبابي في الله ورسوله اعلموا علم اليقين أننا عما قليل من الدنيا راحلون، وإلى الآخرة مسافرون، ويوم القيامة بين يدي الحق واقفون، وعليه معرضون، وفي هذا الوقت المعلوم، عند انتهاء الأجل المحتوم، يُغْلق ملفِّ الأعمال، فلا يستطيع أي إمرئ أن يزيد فيه حسنه، ولا أن يُنقص منه سيِّئه ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤الأعراف).

واعلموا يا إخواني أن كل امرئ منَّا لا ينال إلا ما قدَّره له الله، فعندما يبلغ الجنين في بطن أمه أربعة أشهر قمرية، يأمر الله ﷻ مَلكاً ينزل فيكتب بأمر ربه عمره ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وعلى هذا فأمر الرزق قد فُرغ منه وقد قال رسول الله ﷺ: { **ولا سرق سارق الا حُسِبَ من رزقه** }[8] **وورد في الأثر: { ولو صبر لأخذه من حلال }** ..... وقِسْ على ذلك: ما أخذ الغاشَّ إلا من رزقه أو نقص من رزقه، وما أخذ المُخادع إلا من رزقه.. وهكذا وإليكم المثال على ذلك:

خرج عمر بن الخطاب ﷺ لزيارة أحد إخوانه المسلمين لمرضه وعندما وصل إلى الشارع الذي يسكن فيه، وجد سائلاً يسألُ الناس، فطلب منه أن يُمْسك بزمام بَغْلته حتى ينتهي من عيادة المريض، ونَوَى في نفسه أن يُعْطيَه ديناراً نظير هذا العمل، ولكن السائل عندما اختلى بالبغلة سوَّلت له نفسه، فأخذ السِّرْج الذي كان عليها وأسرع به إلى السوق وباعه ..... فلما خرج عمر وجد البغلة وقد جردت من سرجها، ولم يجد السائل، فأسرع إلى السوق فوجد السرج مع أحد الباعة فقال له: اشتريته الآن؟ قال: نعم، قال: بكم اشتريته؟

---

[8] مسند الحارث والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني عن كعب ﷺ

قال: بدينار، فقال عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ حيث قـال: { **ولا سرق سارق الا حُسِبَ من رزقه** }.

فالرزق مقسوم، وقد قدره الرَزَّاق ﷻ، فإذا تعفَّفت عنه في الحرام ساقه الله ﷻ إليك في الحلال، وكذلك إذا تعرَّضت لك فاتنة فتعفَّفت عنها فإن الله ﷻ يعوِّضك بخـير منـها في الحلال، وهذا ما حدث لسيدنا يوسف عليه السلام عندما تعرَّضت له زُليخة وتعفف عنها خوفاً من الله ﷻ، ردَّ الله لها شبابها بعد أن تجعَّد وجهها، وتقوَّس ظهرها، وأبيضَّ شعرها عندما تـولَّى يوسف المُلْك وجاءه جبريل وأخبره أن الله ﷻ يأمره أن يتزوج بها بعد أن ردَّ لها شبابها، لأنه ما زهد عبد في شهوة في الحرام إلا أعطاه الله مثلها في الحلال.

ليت شبابنا يستوعب هذا الدرس، وينتبه لهذه الوصية، ويجعلها نبراساً لـه في حياتـه وهادياً له في سلوكياته .... فإنه لا يتورع شاب عن شئ في الحرام: امرأة، أو مال، أو شقَّة، أو عمارة أو أي شئ من فتن الدنيا، رغبة فيما عند الله، وخوفاً من الله، إلا وأعطاه الله مثلـه أو خيرا منه في الحلال، ففى الحديث الشريف : { **مَا تَرَكَ عَبْدٌ لله أَمْرَاً لاَ يَتْرُكُهُ إلاَّ لله إلاَّ عَوَّضَهُ الله مِنْهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ** }[9].

يا أمة الإسلام عليكم بهدي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، واقرأوا هـذه الآية وكرروها لتروا ما فيها من جمـال رسـول الله ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.(٢١الأحزاب)

<< ثم الدعاء >>.

توضيح و بيان :

كان خلفاء بنو أمية يختمون الخطبة الثانية بعد الدعاء بسبّ الإمام علـي وآل البيـت الأطهار بحجة المطالبة بدم سيدنا عثمان وأنهم سبب إهدار دمه وإضاعة ثـأره، فلمـا تـولى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أبطل ذلك وجعل مكانـه هـذه الآيـة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾(النحل)

فاستن الخطباء بعده بهذه السنة إلى يومنا هذا.

---

[9] أخرجه ابنُ عساكر من حديث ابن عمر مرفوعاً

الخطبة الثانية ١٠

الرسول ﷺ وعلاج مشاكل العصر

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق الخلق وهو أعلم بما يسترهم، وبما يسعدهم في أخـــراهم، سبحانه سبحانه، ما أنزل داء إلا وجعل له دواء، وقد علَّم ذلك كله لخاتم الأنبياء ﷺ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الضَّر والنفع وبيده الخير وهو علـــى كل شئ قدير .... وأشهد أن سيِّدنا محمد عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، أنـــار الله ﷻ بصره وبصيرته، وكشف جميع الأشياء بسريرته، فرأى بنور الله أدواء هـــذه الحيـــاة، وطلب من الله أن يُنَزِّل له الشفاء من كل داء، فأنزل عليـــه الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء)

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على الطبيب الأعظم للأمراض النفسية، والأوجاع الجسمانية، وللأدواء العقلية، وجميع مشاكل الإنسانية، سيدنا محمد واهدنا به يا الله لحـــلِّ مـــشكلاتنا، وكشف معضلاتنا، إنك ربُّ الخير على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير.

أما بعد.. أيها الأخوة جماعة المؤمنين، ونحن نحتفل بذكرى ميلاد سيدنا رســـول الله ﷺ فإننا نحتفل على الحقيقة بالتَّشخيص السليم، والمنهج القويم، والدواء الكريم الذي أنزله الله في القرآن الكريم، منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ونقـــول لأنفـــسنا وإخواننـــا، والبشرية كلها، لو قرأتم في الصيدلية المحمدية ستجدون حُلولاً إسلامية للإنسانية والبـــشرية كلها، بطريقة مُبسَّطة ودقيقة وحكيمة، لا يتبرَّم منها أحد، بل هي بَلْسم شافٍ لكل فرد مـــن أفراد الوجود، لأنها من كلام خالق الوجود ﷻ.

والله يا إخواني إن ما نراه الآن، ﷺ وما نسمع عنه في هذه الأيام، من أمراض تتعلـــق بالأجسام، أو مشكلات تتعلق بالمجتمعات أو الأفراد سواء اقتصادية أو سياسية أو اجتماعيـــة فإننا نجد رسولكم الكريم ﷺ فحصها ودرسها وأجرى التجارب الإلهية عليها وأخـــرج لهـــا الدواء الشافي الذي لا دواء سواه.

ونحن هنا نبحث عنها في الشرق والغرب، ونجهد لها العقول، ونجهِّز لهـــا المخترعـــات والمعامل ونجري عليها التجارب، ولا نصل إلى نتيجة حاسمة، لأنَّ النتيجة وصـــل لهـــا ســـيِّد

---

١٠ كانت هذه الخطبة في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين- جيزة يوم الجمعة الموافق ١٣ من ربيع الأول ١٤١٣ هجرية، ١٩٩٢/٩/١١م وتدور حول معاني قول الله ﷻ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الأنبياء من قبل، ونحن إما لا نعلمها، أو نعلمها ونشك فيها، أو نعلمها ونتغاضى عنها مع أنها في الحقيقة هي الشفاء المحقّق من الله ﷻ، وإليكم بعض الأمثلة على ذلك:

في بداية هذا القرن، وبالتحديد بعد الحرب العالمية الأولى، أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تقضي على شرب الخمر بين ربوعها، فأصدرت القرارات الحاسمة، وجعلت الغرامة كبيرة لمن يُضبْط يتعاطى الخمر، أو يحملها، أو يبيعها، وأنفقت ملايين الدولارات على الحملات الدَّعائية التي تهدف إلى إقناع المواطنين بالإقلاع عن الخمر، واستمرت هذه الحملة أربع سنوات أُنفق فيها ما يزيد على العشرين مليون دولار بقيمة عملة ذلك الوقت وهي أضعاف أضعاف العملة الآن !! وحُكم بالسجن فيها على ما يزيد عن المائة ألف، وأُعْدم فيها ما يزيد على الأربعة آلاف فرد، وفي النهاية وجدوا أن كل ذلك لا يفيد، ولم يستطيعوا أن يَمْنعوا الخمر، ورجع الناس إلى ما كانوا عليه من مألوفاتهم وعاداتهم.

ولكن هذا النبي الكريم وُجد في أمة جاهلية، لا تدري حكمة ترك الخمر الصحِّية، وأضرارها الجسمانية التي عَمِلت فيها واجتهدت فيها الدَّعاية الأمريكية، فأنزل الله ﷻ عليه الدواء بلطف ولين حتى يُروِّض هؤلاء على طاعة الله ﷻ.

فعندما رآهم يصلون وهم مخمرون ولا يعرفون ما يقولون أنزل الله ﷻ قوله ﷺ: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾(٤٣النساء) فنهاهم عن شربها قبل الصلاة بوقت كاف، حتى يستطيعوا أن يُؤدُّوا الصلاة كما ينبغي لله ﷻ.

ثم تحرَّكت الصدور بعد ذلك فذهبوا إلى رسول الله، وقالوا شيئ يحرِّمه الله ﷻ في الصلاة، أفيه نفع أم إثم؟ فأجاب رب العالمين: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢١٩البقرة).

فيها منافع عاجلة للتجار والصُّنَّاع، وفيها آثام كبيرة للشاربين، والإثم بلا شك أكبر من المنافع، لأن المنتفعين يستطيعون أن يُبدلوا تجارتهم وصناعتهم وعملهم بعمل نافع للبشرية.

وأخيراً قالوا يا رسول الله: نريد بياناً شافياً في الخمر، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩٠المائدة). فلما قرأها رسول الله ﷺ عليهم أسرعوا لِكَسْر زُجاجات الخمر المنتشرة في بيوتهم، حتى غرقت شوارع المدينة من كثرة ما أُريق فيها من خمر.

وقد تم ذلك بدون منشورات ولا دعايات ولا إعلانات، ولا وسائل دعاية مسموعة أو مرئية وكذلك لم يتم في تنفيذه أحكاماً قاسية بالسجن أو القتل أو غيره، وإنما كان ذلك بالدواء الذي جاء به الله على يد سيِّد الأنبياء ﷺ و بحكمته البالغة التي يقول فيها رب العزة

تبـــارك وتعـــالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران).

وإذا تدبرنا مَلِيًّاً نجد كل ما يدُور في عصرنا من مشكلات في بلادنا أو في مجتمعنا أو في بيوتنا أو في نفوسنا، أو في العالم أجمع كان منتشراً وبصورة أشرّ وأضرّ قبل ظهوره صـــلوات الله وسلامه عليه.

فقد كان القوي يأكل الضعيف ويفتخر بذلك، وكانت المرأة قطعة أثـــاث مهملـــة في المنزل، ويرثها الابن الأكبر بعدوفاة أبيه، بل كان الرجلُ هو الذي يسعى بزوجتـــه إلى الزنـــا فيختار رجلاً يُعْجبه شكله ولونه، ويقول له: يا فلان سأرسل لك زوجتي لتُضاجعها، فنحصل على سُلالة ممتازة منك، ويتباهى بذلك !!!!

كان الظُلْمُ دَيْدَنهم، والغشّ طبعهم، والسفاهة خُلقهم، وفساد الأخلاق دَأْبهـــم، هـــذا الظلم كان كثيراً ومنتشراً في كل بقاع الأرض، حتى كان الرجل يدفن ابنته وهي حيّة، خوفاً من السُّبَّة والعار.

كيف قضى على كل هذه الأمراض رسول الله صلى الله وسلامه عليـــه؟ ... وكيـــف طهرَّ البشرية كلِّها منها؟ فلم يطهر منها أهل مكة وأهل المدينة وأهل الجزيرة العربية فقط، بل طهر منها مجتمعات كان لها الصَّوْلة والصَّوْلجان في العالم وقتئذ، مجتمع الفرس والـــروم ومـــا أدراك ما الفرس والروم؟

كان القرار العالمي يصدر عنهم أو بمعرفتهم في ذلك الوقت، ولكن حكمة المـــصطفى والأشْفية التي أنزلها الله ﷻ عليه، عالجت كل هذه الأمور، وقضت على كل هذه المشكلات، فقد جعلت الإنسان يمشي وحيداً من حضر موت أو صنعاء إلى بلاد الـــشام، لا يجـــد مـــن يعترضه في طريقه فيسرقه أو يسلبه أو يُروْعه، بل المرأة كانت تمشي بمفردها كما قـــال ﷺ: **{يا عدي بن حاتم سيبلغ بك الأمر أن ترى الظغينة (المرأة) تمشي من صنعاء إلى بلاد الشام لا تخاف إلا الله}**[11] فلا تخاف من رجل يغتصبها أو يعاكسها أو يخادعها مع أنها تمشي في صحراء جرداء ليس فيها قانون ولا شرطة ولا مخابرات ...

ولكن شريعة الله التي طبقها رسول الله ﷺ كفلت الحماية لجميع عبـــاد الله مـــسلمين وغير مسلمين، حتى كان التاجر وهو واقف في متجره، إذا سمع الآذان ترك ماله وتجارته على حالته، وكل ما هنالك أن يضع ستارة تشير إلى أنه غير موجود، ويذهب ليؤدي الـــصلاة ثم

[11] أخرجه مسند الحميدي عن عدي بن حاتم بلفظ: (كيف بك إذا أقبلت الظغينة من أقصى اليمن إلى قصور الحيرة لا تخاف إلا الله)

يرجع ليجد كل شئ في مكانه، مع أنه لم تكن هناك خزن حديدية يحفظ ماله ونفائسه فيها، ولم تكن ظهرت أجزة الإنذار، لكن الجميع أنذره المنذر الأكبر ﷺ من غضب الله، ومقت الله، وحساب الله، فراقبوا الله ﷻ في السر والعلانية، وأصبحوا غير محتاجين لرقيب عليهم بعد مراقبة الله ﷻ، ولسان حالهم يقول:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

كان الرجل منهم لا يذهب إلى أخيه ليطالبه بحقه، بل إن أخاه كان هو الذي يذهب إليه بنفسه ليعطيه ماله ويستسمحه في التأخير، وقد روى أن رجلاً منهم ذهب إلى أخ له في الله يطلب منه قرضاً، ويرده له عند الميسرة، فبكى الرجل بكاءاً شديداً.

فسأله الطالب: ما الذي يبكيك؟ إذا كان المطلوب غير متوافر معك الآن فلا يهم. فقال الرجل: ليس لهذا السبب أبكي، ولكن الذي أبكاني أني انتظرت حتى أتيت لتطلب مني، ولم أشعر بحاجتك، وهذا معناه أن إيماني به خلل، لأني لم أشعر بأخي المؤمن وقد قال رسول الله ﷺ: { **لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الّذي يَبيتُ شَبْعاناً وَجَارُهُ جائِعٌ إلى جَنْبِهِ** }١٢. فكل المشكلات الإنسانية أوجد لها المصطفى ﷺ الأدوية القرآنية، والتي ليس لها مثيل في دنيا الناس !!

فإن من يدعون الرفق بالحيوان، ويؤلفون جمعيات الرفق بالحيوان، وتبلغ عنايتهم البالغة بالحيوانات أن يجعلوا لها مصحات ومستشفيات خاصة بها، بل يفتحون كوافيرات لتصفيف شعر الكلاب والحيوانات، ويصنعون من أجلها أصناف الجاتوهات والحلويات، وفي نفس الوقت يعتدون على بني الإنسان، ويأكلون حقوق البشر، ويدعون أنهم رسل الإنسانية، وأنهم حملة المبادئ الإنسانية في الحياة العصرية.

لقد تناسى الذين ينادون بحقوق الإنسان أن أول وثيقة لحقوق الإنسان هي خطبة الوداع للنبي ﷺ يوم أن وقف يودع المسلمين على جبل عرفات، فوضح لهم ما لهم وما عليهم وبين لهم كل ما يحتاجه الإنسان من أخيه الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الذين يطالبون المعتدين الغادرين من الأوربيين وغيرهم بتطبيق الوثيقة الدولية لحقوق الأسرى، يعلمون علم اليقين أنهم لم يستطيعوا تطبيقها كما طبقتها الجيوش الإسلامية فهذه وصية أبو بكر ﷺ لجيش أسامة حين وداعه لهم يقول فيها: { **يَا أَيُّها النَّاسُ قِفُوا**

---

١٢ رواه البيهقى عن ابن عباس والمستدرك للحاكم عن عائشة.

أُوصِيكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِي: لاَ تَخُونُوا، وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدُرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلاَ شَيْخاً كَبِيراً، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ تَعْقِرُوا نَخْلاً، وَلاَ تَحْرِقُوهُ، وَلاَ تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلاَ تَذْبَحُوا شَاةً وَلاَ بَقَرَةً وَلاَ بَعِيراً إِلاَّ لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ }١٣.

وهكذا يا إخواني جماعة المسلمين أتى نبيكم الكريم ﷺ بكل شئ يهمكم في أنفسكم وأسركم ومجتمعكم ودولكم بل وفي العالم أجمع.

قال رسول الله ﷺ: { **تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ** } [١٤]، وقال ﷺ: { **التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**}١٥ .... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية: فوائد الصلاة الصحية والنفسية

الحمد لله ربِّ العالمين على كثير نعمائه، والشكر لله على واسع خيره وعطائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا راد لقضائه، ولا دافع لبلائه، ولا منازع لربوبيته في أرضه وسمائه، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، فضل الله على العالمين، وسر الله في الخافقين، ونور الله ﷻ في الثقلين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تفقهنا بها شريعته، وتوفقنا بها لاقتداء طريق أحبته وتجعلنا بها جميعاً من أهل محبته.... آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد ... إخواني وأحبابي، إننا حتى لو نظرنا إلى الأدواء الجسمانية التي انتشرت بيننا في حياتنا الدنيوية، فإنه ﷺ وضع لكل مسلم البرنامج الشامل الذي لو اتبعه لا يحتاج إلى طبيب، ولذا عندما أهدى إليه المقوقس حاكم مصر طبيباً، رد الطبيب رداً حسناً وقال: { **إرجع إلى قومك فنحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع** } [١٦]، وفى الأثر: { **فمن أين يأتينا المرض** }.

أيكون في بلاد الإسلام مصحات نفسانية، ومصحات للأمراض العصبية، والإسلام جعل العبادات النفسية، والمصحات العصبية في الصلاة الإسلامية التي نصليها لله ﷻ .

---

١٣ جامع الأحاديث والمراسيل عن الحسن.
١٤ متفق عليه
١٥ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
١٦ السيرة الحلبية ، وسيدنا محمد للشيخ رشيد رضا

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾(١٩- ٢٢المعارج).

فالمصلون لا يصابون بالهلع ولا الجزع، ولا التوتر، ولا اضطراب الأعصاب، لأن الله ﷻ اقتضت حكمته وإرادته أن يجعل هذه التسبيحات، وهذه الأذكار التي نرددها جميعاً شفاءاً من الأمراض النفسية والعصبية.

فإن الله ﷻ ربط مملكة الإنسان بشبكة كبيرة من الخطوط شبه السلكية واللاسلكية، وجعل مركزها في دائرة المخ، فكل ذرة من ذرات الإنسان تتصل اتصالاً مباشراً بدائرة مخ الإنسان، وهذا الاتصال يتم عن طريق نبضات عصبية يرسلها المخ إلى الأعضاء، فتلتقطها الأعضاء حسب الشفرة الإلهية التي علمها له رب البرية ﷻ، ولكل عضو من اعضاء الإنسان شفرته الخاصة. فإذا توتر الإنسان وارتجف اهتزت أعضاؤه، وارتعدت بوادره، فصدرت منها شحنات حرارية للمخ تعلمه بالنبأ، فيرسل شحنات عصبية للأجهزة المختصة لتقوم بدورها في دفع ما يتعرض له الجسم، فإن كان ميكروباً، أو حرارة، أو برودة، أو خوفاً، أو هلعاً أو غيره، يقوم المخ – وهو جهاز القيادة لأعصاب الجسم – بتوجيه كل في اختصاصه عبر جهاز خاص وأنبوب خاص في رقبة الإنسان (قناة الهيباثالاميس) فإذا توتر الإنسان توتراً شديداً، صدرت التيارات المخية بقوة شديدة، لا تتحملها الأعضاء، ولابد من تفريغ هذه الشحنة، فتفرغها تارة بالبنكرياس، فيصاب الإنسان بالسكر، وتارة في المعدة فيصاب الإنسان بأمراض المعدة، وآونة في الكلى فيصاب بمرض في الكلى وهكذا.

كيف يمتص الجسم هذه الشحنات الحرارية، والنبضات العصبية ولا يتعرض لأذى؟

من أراد ذلك فعليه أن يوسع هذا التجويف الموجود في رقبته، وقد اكتشف العلماء المعاصرون بأنه لا يوسعه إلا الكلمات التي نرددها في الصلاة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتلاوة كتاب الله وتكرار التسبيح والتهليل لله، فهذه التسبيحات هي التي تجعل الجسم يتحمل الصدمات العصبية، فلا يصاب بهذه الأمراض النفسية والعصبية.

فسبحان الله العظيم الذي جعل للمسلم تحصيناً من هذه الأمراض إذا وقف بين يدي الله كما كان يقف سيدنا رسول الله ﷺ، فتكون الصلاة جلسات كهربائية، وجلسات نفسية، توسع في جسم الإنسان شراينه وأولادته وطاقات تحمله فيتحمل الصعوبات ولا يتأثر بالشدائد والملمات، بل يكون عند نزولها كالجبال الراسيات قال الله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٤٥البقرة). استعينوا على أمور الحياة، وعلى ملمات الحياة وعلى نكبات الدنيا بالصبر والصلاة.

فهذه الأدوية هي التي اختارها لكم الله ﷻ، وهذا هو الحكيم الأعظم ﷺ يروون عنه أنه كان { إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى }[١٧] (أهمه أو أفزعه) لجأ إلى الصلاة. فيخرج من الصلاة وقد فرج الله عنه، وقضى عنه ما أهمه، وكشف عنه ما أغمه، ليعلمنا ﷺ إن هذا هو الدواء الحقيقي، أما المهدئات والمسكنات والبراشيم التي نتعاطها فلها أضرارها، وأخطارها. لكن شفاء الله ودواء القرآن ليس له ضرر ولا انتكاسة وليس له أعراض جانبية، ولا آثار سلبية لأنه من رب البرية الذي خلق فسوى وقدر فهدى، فارجعوا إلى صيدلية رسول الله ﷺ وأنتم في هذه الأيام المباركة، تجدون فيها ما يسركم، وتجدون فيها ما يكشف الضر عنكم، وتجدون فيها أسباب السعادة في الدنيا والآخرة،

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة[١٨]

نعيم الإيمان وجحيم العصيان

الحمد لله ربِّ العالمين، أنقذ البشرية من هاوية الحضيض والجهالة، بنوره المبين، وقرآنه العلي الكريم، أنزل عليهم نور الإسلام، وشمس الإيمان، فهداهم الله ﷻ بنور الإسلام من الضلالة إلى الهداية، ومن الجهالة إلى العلم ومن كل شئ يباعد عن الله إلى نور الطاعات والقربات والأعمال الصالحة التي يحبها الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله واحد أحد فرد صمد انفرد بالخير كله، وتوحد ﷻ بعطاء النعم، فما من نعمة في الدنيا أو الآخرة إلا وهو ﷻ واهبها وصاحبها ومقسِّمها على عباده، وقد قسَّم ﷻ النعم إلى قسمين: نعم ظاهرة، ونعم باطنة. نعم محسوسة وملموسة، ونعم لا تراها العيون، ولا تطَّلع عليها القلوب والأبصار، ولكن يحسّ بها العبد المؤمن بنور في قلبه أودعه فيه الواحد القهار.

أما النِّعم الظاهرة فهي نعم الأكل بما يشتمل عليها من ألوان المطعومات من خضروات وفواكه وحبوب وغيرها مما تنبته الأرض، وأصناف المشروبات، وأنواع الملبوسات والمساكن والمباني والأراضي والعقارات وكل ما تراه العين أو تسمعه الأذن أو تلمسه الحواس فهي نعم

١٧ سنن أبي داوود عن حذيفة.

١٨ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة – في الاحتفال بذكرى المولد النبوي يوم الجمعة الموافق ١٠ من ربيع الأول ١٤١٤ هجرية، ١٩٩٣/٨/٢٧م.

ظاهرة يتمتع بها جميع الناس. فالكافر يتمتع بها كالمؤمن، بل ربما يكون نصيبه فيها أكبر من المؤمن، وهذا ما نراه وما نلمسه، فلا يوجد فينا جماعة المؤمنين من يتمتع بظاهر الدنيا كما يتمتع بها أهل أوربا وأمريكا في المساكن والمفروشات والمأكولات والمشروبات لأن الله ﷻ عجَّل لهم ذلك في الدنيا وقال في ذلك: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ (٢٠الأحقاف).

أما النعم الباطنة، فنعمة الإيمان، ونعمة الإسلام، ونعمة الحب لله، ونعمة الخشوع بين يدي الله، ونعمة الرضا عن الله، ونعمة التسليم لقضاء الله وقدر الله، ونعمة تفويض الأمور كلها لله، ونعمة التوكل على الله، ونعمة الإيمان بالغيوب التي غابت عن حياة الناس كالإيمان بالجنة والنار، والإيمان بالملائكة الأطهار، والإيمان بيوم البعث والنشور، والإيمان بأحوال القبور من عذاب ونعيم، وسؤال للملكين، هذه النعم الباطنة خص الله ﷻ بها عباده المؤمنين، وأولياءه المسلمين، وحرَّمها ﷻ على الكافرين، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

وأشهد أن سيِّدنا محمد عبد الله ورسوله، اختاره الله ﷻ لرسالته، وأنزل على قلبه محكم آياته البينات، وعصمه عن الهوى والشُّبهات، وأمره بتبليغ شريعته في كل الجهات، ووعد من اتَّبعه بدخول جنته، وتوعَّد من عصاه بالخلود في نار جهنم اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد باب الرضا عن الله، وسر هداية القلوب إلى حضرة الله، والنور الذي أضاء الله به قلوبنا على كتاب الله، وخشعت به جوارحنا لعظمة الله، وجعلنا بها عباداً مهتدين، صلوات الله وسلامه على هذا النبي الأمين وكل من اتبعه بخير إلى يوم الدين.

أما بعد... فيا عباد الله جماعة المؤمنين، ونحن في أيام ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ماذا يجب علينا في شأن هذه الذكرى؟ ... أول واجب علينا أن نتدَّبر فضل الله علينا بالإيمان والهداية، فاي امرئ منَّا لو مَلَك الدنيا كلها من أولِّها إلى آخرها، وحرمه الله من نعمة الإيمان بالله، ماذا يكون موقفه يوم السَّفر من هذه الحياة؟ وكيف يكون حاله يوم يُقبْل على الله؟

إنَّ هذا يقول فيه وفي أمثاله الله: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾(١١-١٨المعارج). فلا ينفعه ما جنت يداه، ولا يشفع فيه شئ من مُتع الدنيا لينجِّيه من عذاب الله، لأنه لا ينفع بعد الكفر حتى الأعمال الخيرة التي فعلها في هذه الحياة، فمن كفر بالله، وظن أنه يفعل الخير: فيبني مستشفيات، أو يقدِّم معونات، أو يسوق عروضاً في الخيرات، فإن مثله مثل عبد الله بن جدعان الذي قالت فيه السيدة عائشة للرسول ﷺ:

{ إن عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام، ويواسي الضعفاء، وينصر الغرباء، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: هل نطق بالشهادتين؟ قالت: لا.فقال ﷺ: لو نطق بهما لنفعه ذلك }[١٩]

فالذي لم ينطق بالشهادتين لا ينفعه شئ قدَّمه في دنيا الناس، ولذلك فالذين يزعمــون أهم يقدمون الخير للناس في أي صورة من الصور ولكن الله لم يهدي قلوبهم للإيمان، ولم يفتح ألسنتهم بمفتاح الجنان وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا ينفعهم ذلك يوم لقاء الله.

أما المسلم الذي نطق بالشهادتين فقد نال مفتاح الجنة حتى ولو عصى الله، وأبعده حظَّه وهواه، فإنه يوم القيامة يَمْثُل في محكمة الله ويصدر عليه حكم من الله، يقضيه في جهنم كمــا أمر وحكم الله، ولكنه سيأتي وقت يخرج منها ويدخل الجنة بسر لا إله إلا الله محمد رســول الله، فلا يمكث في جهنم أبداً، لأن الذي يقضي عليه بأن يمكث في جهنم خالداً فيها أبداً هــم الكافرون وعن ذلك يقول الله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٢الحجر).

ويكون ذلك عندما يأذن الله ﷻ يوم القيامة للحبيب ﷺ بالشفاعة في من دخل جهنم من أمته فيقول الله له ﷺ: بعد أن يخرّ تحت العرش ساجداً، ويحمد الله تعالى بمحامد يلهمه الله تعالى بها في تلك الساعة: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تُشفَّع، فيقول ﷺ: يا ربَّ ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيأذن له فيخرجهم من النار حُطمه متفحِّمين، ويُلْقيهم في نهر الحياة، فيُنْبت الله لهم أجسادهم وأعضائهم، ثم يُدْخلهم جنَّته، ولكن بعد أن يكونوا قــضوا بعض ما عليهم في نار جهنم.

ثم يرجع ﷺ إلى العرش فيخرّ ساجداً لله ﷻ ويحمد الله تعالى بمحامد يُلهمه الله تعالى بها في تلك الساعة، فيقول الله تعالى – يا محمد، ارفع رأسك، وسَلْ تعطى، واشفع تُشفَّع، فيقول ﷺ: يا ربَّ ائذن لي فيمن في قلبه مِثقال حبَّة من شعيرة من الإيمــان، فيــأذن الله ﷻ لــه، فيُخرْجهم، ثم يطلب منه ﷻ الإذن في إخراج من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة فيأذن الله ﷻ فيخرجون[٢٠].

وعندما يخرج آخر الموحدين من النار ويدخلون الجنة، ويُؤْتي بالموت في صورة كَــبْش أمْلح فيُذْبح ين الجنَّة والنَّار، ويُنادي مُناد من قِبل الله ﷻ: يا أهل الجنة خُلود بلا موت، ويا أهل النَّار خُلود بلا موت، فيتحسَّر أهل النار حَسْرة لا يدري بها الأولــون ولا الآخــرون

---

١٩ خرَّجه أحمد في مسنده بلفظ: "لم يقل يوماً قط: اللهم اغفر لي يوم الدين".
٢٠ الحديث بتمامه رواه البخاري ومسلم في باب الشفاعة عن ابي هريرة رضي الله عنه.

ويقولون: يا ليتنا قُلناها ولو مرَّة واحدة، إذا لنجونا من عذاب الأبد في النار، ونلنا نعيم الواحد الأحد في الجنة.

فالمسلم الذي يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، تنفعه يوم لقاء الله، لأنه على الأقل لا يُخلد في نار الجحيم مع أهل الشقاوة من الكافرين والجاحدين والمشركين.

أما المؤمن المطيع الذي استقام على طاعة الله فإن الله ﷻ يرفعه في الدنيا والآخرة ببركة هذا الإيمان، وهذا ما بشَّر به الله ﷻ في قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

فالذي يعمل الأعمال الصالحة، يعينه الله أن يحيا في الدنيا حياة طيبة، لا يُقاسي عناء، ولا يَشْكو من غلاء، ولا يُصيبه ومَنْ معه وباء، ولا يتعرَّض لشقاء، وفي الآخرة يكون في جوار السُّعداء.

وهذا ما نحتفل به في يومنا هذا، نُراجع حالنا على حال نبينا ﷺ وأصحابه الكرام فنقول لأنفسنا: نحن مؤمنون، وأصحابه مؤمنون، ونبينا ونبيهم واحد، وإلهنا وإلههم واحد وكتابنا وكتابهم واحد، وقبلتنا وقبلتهم واحدة.

ماذا جرى لنا؟ وما الذي جعلنا كأننا نعيش في جحيم مُسْتعر من الأمراض، والغلاء وسوء الأخلاق، ومن الشقاق والنفاق، وكانوا كأنَّهم في جنَّة وهم في الأرض أعدَّها لهم الكريم الخلاَّق ﷻ.

ماذا حدث لنا وجعلنا لا ينطبق علينا قرآن ربنا ﷻ؟!

إن هذا ما نحتاج إليه في أيامنا هذه نراجع أنفسنا في أخلاقنا ومعاملاتنا، وإيماننا وسُلُوكنا على حال نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وحال مَنْ معه من صحابته الهادين المهديين لأن الله تعالى يقول لنا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

فنراجع حالنا على حالهم فنحن والحمد لله نصلي ونصوم ونحج ونزكي مثلهم، ولكن ليس حالنا كحالهم في الأمن والطمأنينة، وفي الصحة والعافية، لماذا؟

لأننا فرَّقنا بين تعاليم الإسلام، جعلنا الإسلام خاصاً بالصلاة والزكاة والحج، ونسينا التعامل بدين الله وقُلنا هذا غير هذا، يخرج الإنسان من الصلاة فيكذب على عباد الله ولا

يحاسب نفسه على أن الكذب خطيئة يحاسبه الله ﷻ عليها، ويغشّ عباد الله المسلمين، ولا يحاسب نفسه على الغش مع قول النبي ﷺ: { **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا** }[21] أي ليس من المسلمين وإن صلى وصام، لأنه خالف تعاليم المصطفى ﷺ.

كيف يُحافظ المرء منَّا على الصلاة، ولا عليه بعد ذلك أن يخدع أو يُرائي أو يُنافق، ولا مانع عنده أن يسبّ أو يسرق أو يلعن ويظنّ أنه لم يفعل شيئاً يُعاقب عليه، ولو عاتبته أنا وأمثالي يقول إني أؤدِّي لله حقه !!!: أؤدي الصلوات في أوقاتها، وأصوم شهر رمضان، وحججت بيت الله الحرام، فنقول له: اسمع ما حدث أيام رسول الله ﷺ. لقد قالوا له:

{ **يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةً تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ** }[22] ألم تسمعوا ذلك ؟ قال هى فى النار!!!!! فصلاتها لا تُغْني عنها شيئاً يوم لقاء الله،فقد ورد فى الأثر قولهم : **{الدين المعاملة}**.

فمنذ فقد المسلمون المعاملة التي أوصى بها الله، والتي بيَّنها رسول الله ﷺ وعرفوا في حياتهم الكذب والغيبة والنميمة والحقد والحسد والغشّ والزور أصبحت عبادتهم لا ترتفع فوق رءوسهم طَرْفة عين، يُصلُّون لله ولكنهم نسوا أنهم يقولون لله في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

فنطلب منه ﷻ أن يهدينا الصراط المستقيم، طريق الرسول الكريم ومَنْ معه من الصحابة الهادين المهديين، وهل الكذب من الطريق المستقيم؟! .. وهل قول الزور من الطريق المستقيم؟! وهل غشّ المؤمنين والمؤمنات من الطريق المستقيم؟! وهل هذه الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الطريق المستقيم؟!.

إن أفعالنا تُكذِّب اقوالنا، والله ﷻ ينظر إلى أفعالنا قبل أن ينظر إلى أقوالنا وقد قال ﷺ: { **لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِي وَلاَ بِالتَّحَلي، وَلكِنْ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وإن قوماً خدعتهم الأماني، وغرَّهم بالله الغَرُور، وقالوا نُحْسن الظنّ بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظنّ لأحسنوا العمل**[23]

ومثلهم هؤلاء الذين يقولون: نعمل ما شئنا في إرضاء شهوات نفوسنا، ثم نذهب بعد ذلك إلى بيت الله الحرام، ونحج فيغفر الله لنا كل ما جَنَت أيدينا... !!..ونقول لمثل هؤلاء: على رسلك، ألا تعلم أن المال الذي حصَّلته لو كان فيه قرشاً واحداً من مال حرام لا تُقْبل

---

٢١ رواه البزار عن عائشة.

٢٢ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة.

٢٣ }.خرّجه السيوطي في الجامع الصغير عن أنس

لك عبادة أربعين يوماً؟

وقد قال ﷺ: { **إنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُ أَرْبَعِينَ يَوْماً** }٢٤ فلا يُقْبل منه صيام ولا صلاة، ولا تلاوة للقرآن، ولا ذكر ولا دعاء فإذا نوى الحج وكان حجه نفقته من حرام وقال: لبَّيك اللهم لبيك، قالت له الملائكة: لا لبيك ولا سعديك، وحجَّك هذا مردود عليك.

وكذا إذا أجاع نفسه في رمضان، وأتعب نفسه بالعطش في أيامه، وفطر على لقمة حرام أو فيها شبهة، قلنا له: انضم إلى بقية الصفوف التي يقول فيها ﷺ: { **رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ** }٢٥ فلكل شئ أساس، وأساس ديننا المطعم الحلال.

ومنذ فَرَّط أهل هذا الدين في هذا الأساس، وأصبح الرجل منهم لا يُبالي أخذ المال من حلال أو من حرام، بالغشّ والخديعة أو عمل طيِّب وكَسْب مبرور، تفَّشت الأوجاع في أجسامنا، وغشيت الفتن مجتمعاتنا، وانتشرت الأوبئة في شبابنا، فرأينا منهم ما لم نسمع عنه من أحوال السابقين ولا اللاحقين، لأنهم غُذُّوا بالحرام، وتزيّوا بالحرام، ونُشِّئوا على الحرام.

فيا إخوة الإسلام في أيام ميلاد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام راجعوا أنفسكم واعلموا إننا مسافرون، وعمَّا قليل إلى الله راجعون، وبما يرجع بعضنا الآن وهو بين يدي الله، وربما يرجع إلى الله بعد الصلاة، وربما يرجع إلى الله وهو نائم قال رسول الله ﷺ: {**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**}، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية: فى حقيقة الاحتفال بميلاد الرسول

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا للإيمان، وتوَّج عباده المؤمنين بتاج العرفان، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نسأله عزَّ شأنه أن يثبِّتنا عليها يوم نلقاه، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الشفيع الأعظم لنا جميعاً يوم لقاء الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، واعطنا الخير، وادفع عنَّا الشَّرَّ ونجِّنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... أيها الأخوة المؤمنون، ونحن نحتفل بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ظنّ كثير منّا أن الاحتفال يكون بإضاءة الأنوار، وإحضار الحلوى للصغار والكبار فقط !!! ونقول لمن

---

٢٤ الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد عن أنس.
٢٥ رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وأخرجه أحمد والطبران والبيهقي عن ابن عمر.

يقف عند ذلك، ليس هذا هو حقيقة الاحتفال الذي ينبغي لسيدنا رسول الله ﷺ ...

بل حقيقة الاحتفال بذاته ﷺ أن نُفرِّغ أنفسنا بعض الوقت في هـذه الأيـام الكريمـة لنُطالع سيرته، ونُطالع أخلاقه الكريمة في معاملته لأزواجـه، ومعاملتـه لأولاده، ومعاملتـه لجيرانه، ومعاملته لأعدائه، ومعاملته للناس أجمعين، ونقيس حالنا بحاله صلوات الله وسـلامه عليه، ونحاول أن نكون له من المتَّـبعين، فـإنَّ الله ﷻ يقـول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٣١آل عمران).

ثم نراجع صحف أعمالنا، فما وجدنا فيها من خير حمدنا الله ﷻ، وما وجدنا فيها مـن شر تبنا إلى الله منه، وندمنا عليه ورجونا من الله ﷻ أن يغفره لنا قبل يوم القيامة، ثم نـصلح ذات بيننا، فإننا نسر الله ﷻ إذا أصلحنا فيما بيننا وبين ذوي أرحامنا وأقاربنا في أيام ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، إكراماً لله، وتعظيماً لشعائر الله، وبراً بمولانا رسول الله، ثم نوسع علـى عباد الله الفقراء والمساكين في هذه الأيام الطيبة، بما أفاض علينا، وبما يسر لنا مـن الأرزاق طمعاً في قوله ﷺ: { **اتقوا النَّار ولو بشقٍّ تمرة** }[٢٦]

ولا يجب على المسلم أن يسهر في ليلة الميلاد على غير طاعة الله ﷻ... فـإن أكـبر الكبائر أن تسهر في ليلة رسول الله ﷺ في كازينو ! أو ملهى ليلي! أو في فيديو يعرض شـيئاً يحرِّمه الله ورسوله ﷺ، أو أن تجلس في مجلس يدار فيه الخمر أو الحـشيش أو يتعـاطى فيـه الهروين، أو غيرها من مجالس المحرمات أو الغيبة والنميمة والمنكرات .

أقل إحياء لهذه الذكرى أن تمنع الشر منك عن نفسك، وعن الآخرين، فـتحيي هـذه الليلة في بيتك مع كتاب الله، أو مع سيرة رسول الله، أو في زيارة في الله، أو في صلة رحـم، أو عيادة مريض، أو عمل نافع لك وللمؤمنين وإياك ثم إياك أن تحييها في شئ بغيض لله ﷻ.

فقد ورد أن أبا لهب عدو الله قد رآه أخوه العباس في المنام بعد موته، فسأله عن حاله، فأجابه: كما ترى في العذاب الأليم، غير أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين، قال: ولم؟ قال: لأنه لما أخبرتني جاريتي ثويبة بخبر ميلاد محمد وقالت:

أبشر لقد ولد لأخيك عبد الله في هذه الليلة ولد وسمي محمد، فقلت لها: أنـت حـرة لوجه الله ﷻ وفرحت ...

فيخفف عنى العذاب كل ليلة اثنين إكراماً لفرحى بميلاد رسول الله ﷺ.

---

٢٦ رواه الشيخان عن عدي ابن حاتم، والحاكم عن ابن عباس وأحمد عن عائشة, سنن النسائي وسند ابن شهاب عن عائشة رضى الله عنها

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه   وتبت يداه في الجحيم مخلداً
أتى أنه في ليلة الاثنين دائماً   يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي عاش عمره   بأحمد مسروراً ومات موحداً

أي فما بالكم بالمؤمن الذي يسر في ليلة المولد برسول الله ﷺ، ويعبر عن سروره بعمل صالح يقربه إلى الله وينفعه يوم لقاء الله. << ثم الدعاء >>.

الخطبة الرابعة[27]

نعمة الهداية والإيمان

الحمد لله ربِّ العالمين، أتم علينا نعمته، وأكمل لنا كرامته، واختار لنا الإسلام ديناً، والقرآن كتاباً، ومحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصنا بجزيل نعمائه، وأفردنا بعظيم آلائه، فلا يوجد في أرضه أو سمائه، أناس تمتعوا بنعمائه كعباده المؤمنين فقد رزقهم ﷻ بأرزاق الدنيا الظاهرة، وخصهم عز شأنه بأرزاقه الباطنة وجعلهم في الدنيا فالحين، وفي الآخرة سعداء وفائزين، واشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، التي أنزلها لنا وعلينا الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة ننال بها رضاك، وتمنحنا بها غفرانك وعفوك في الدنيا والآخرة، نحن وإخواننا وأبناءنا، وذرياتنا والمسلمين أجمعين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي، ونحن في هذه الأيام الكريمة أيام ذكرى ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ. لماذا نحتفل بذكراه؟ وما الواجب علينا نحوه كما بين كتاب الله؟ سؤالان يسيران، لابد لنا من معرفتهما، ولا تغني معرفة فرد منا عن معرفة الآخرين، وسنتولى بفضل الله ﷻ الإجابة عليهما على قدر ما يفتح الله ﷻ علينا به.

لماذا نحتفل بذكرى ميلاده ﷺ؟

---

[27] خطبة جمعة الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ بمسجد النور ش ١٠٥ المعادي بالقاهرة، ٤ ربيع الأول ١٤١٥ هجرية، ١٢/٨/١٩٩٤م.

لو نظرنا لنعم الله ﷻ علينا نجدها تنقسم إلى قسمين: نعم ظاهرة، ونعم باطنة أما النعم الظاهرة فهي التي نشترك نحن فيها أو يشترك معنا فيها: الكافرون، والمشركون، والجاحدون، بل والحيوانات والطيور والأسماك وكل كائنات الله ﷻ الأرضية وهذه النعم بعضها فينا، وبعضها حولنا ..... فالنعم التي فينا كنعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان ونعمة العقل، ونعمة اليد ونعمة الرجل، ونعم الأعضاء التي خلقها الله ﷻ لنا جميعاً، ولا يستطيع واحد منا أن يستغني عن عضو منها، بل لو اشتكى عضو منها ألماً، لا يستطيع الإنسان النوم، ولا يجد الراحة، ويسارع إلى الأطباء والحكماء يلتمس عندهم الراحة والشفاء باستخدام الدواء الذي يكتبه له الأطباء.

وهذه النعم، نحن والكافرون والمشركون والجاحدون فيها سواء، بل ربما يكونوا فيها أعظم، ولهم فيها نصيب أكثر، لأن الله ﷻ خصهم بنعم الحياة الدنيا فهم أكثر منا صحة، وخير منا شكلاً وجمالاً ظاهراً وملامحاً.

فهذه النعم يستوي فيها الجميع، أما النعم التي حولنا كالمأكولات بأصنافها، والمشروبات بأنواعها، ونعمة الهواء، ونعمة الشمس، ونعمة الدفء، ونعمة الضياء، ونعمة القمر ونعمة النجوم، وكل النعم التي حولنا، والتي سخرها لنا الله ﷻ. وأيضاً قد يكون الكافر أكثر حظاً منا فيها. وهذا ما يظهر فيما نراه الآن فأمريكا وأوربا أكثر منا غنى بالخيرات الظاهرة، والنعم الظاهرة.

ولكن هذا كله أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: { **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً هُوَ أَبْغَضُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا بُغْضاً لَهَا** }٢٨ { **وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ** }٢٩

إذن فبم نتميز أنا وأنت يا أخي على هؤلاء الكافرين والجاحدين؟ ... نتميز عليهم بنعمة الإسلام، ونعمة الإيمان ونعمة الهداية ونعمة القرآن ونعمة الولاية للرحمن، لأنك خصك الله وجعلك من عباد الرحمن الذي أثنى عليهم ووصفهم في القرآن بأوضح وأجلى بيان.

هذه النعم هي النعم الباطنة وفيها يقول الله ﷻ: ... ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢٠لقمان)، والنعم الباطنة نعمة واحدة منها أغلى من الدنيا كلها بما فيها ومن فيها، فلو أنهم خيروك أن تجلس على عرش أمريكا ويكون العالم كله طوع أمرك، والبيت الأبيض

---

٢٨ الحاكم في تاريخه عن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.
٢٩ سنن ابن ماجه عن سهل بن سعد

بما فيه من نعم وخيرات رهن إشارتك، ولكن بشرط أن تموت على غير إيمان، هل ترضى بهذه النعمة؟ ..... بالطبع لا!! وألف لا !!!

ولهذا فنعمة الهداية التي تفضل بها عليك الله ﷻ ونعمة الإيمان هما أغلى نعمة يتفضل بها الله على أحبابه وعلى أهل ولايته وعلى أصفيائه، ولذا يذكرنا بها الله فيقول: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أهي الأكل والشرب والسكن واللبس؟ لا، لأن هذه يشترك فيها جميع الخلق، إذاً ما النعمة التي يذكرنا بها الله ﷻ؟

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(١٠٣آل عمران) فكأنه يقول ﷻ: اذكروا النعمة التي تقيكم من عذاب القبر، والنعمة التي توفقكم لحسن الخاتمة فتجعلكم تموتون مسلمين، والنعمة التي تبيض بها وجوهكم يوم الدين ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١٠٦آل عمران)والنعمة التي يثبت الله ﷻ بها موازينكم، والنعمة التي يعطيكم الله بها كتبكم بأيمانكم فتفرحوا وقت لقاء ربكم، والنعمة التي يثبتكم الله بها على الصراط يوم تزل الأقدام في نار جهنم، والنعمة التي تنجون بها من دار البوار، والنعمة التي تدخلون بها الجنة مع الأخيار، والنعمة التي تتمتعون بها بالنظر لوجه الله.

ما هذه النعمة يا إخواني؟ ... نعمة الإيمان ونعمة الإسلام ونعمة الهداية، وهي من الله ﷻ بالكلية فليس في استطاعة واحد منا أن يجلب الهداية لنفسه أو لغيره، حتى أنبياء الله ورسل الله لا يملكون الهداية لذويهم إلا بإذن من الله، ليعلمنا الله ﷻ قدر هذه النعمة.

فهذا نبي الله نوح عليه السلام يمكث تسعمائة وخمسين عاماً يدعو قومه إلى الله ﷻ ومن بينهم أقرب الناس إليه، وهو ولده الذي خرج من صلبه، ولكن الله ﷻ لم يشأ له الهداية، فلم ينفعه بيان أبيه، ولم ينفعه خروجه من صلبه، ولم ينفعه أنه تربى في بيت النبوة، فعلمنا الله أن الهداية بسابق عنايته وضرب لنا المثل بابن نوح حين ناداه وقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝ ﴾ الآيتين (٤٢ - ٤٣هود)

فلما غرق مع الكافرين قال نوح: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ وفي قراءة ﴿ إنَّهُ عَمِلَ غيرَ صالحٍ ﴾(٤٥-٤٦هود).

فلم يستطع نبي الله نوح أن يهدي ولده الذي من صلبه. يا عباد الله لنعلم قيمة هذه

الهداية، وقدر هذه العطية، ورفعة هذه المزية التي يتفضل بها علينا الله ﷻ بلا ثمن دفعناه ولا شئ قدمناه.

وماذا فعلنا حتى اختار الله لنا الإسلام ديناً؟ .. وماذا أنفقنا حتى اختار الله ﷻ لنا القرآن كتاباً؟ .. ومذا قدمنا حتى خصنا الله ﷻ بالإيمان والإسلام؟

لم نُقدِّم قليلاً ولا كثيراً، ولكنها عناية الله وفضل الله وتكريم الله الذي خصَّنا به نحن جماعة المؤمنين، ولكي نعلم هذه النعمة وقدرها ننظر للرجل الذي وهب حياته للدفاع عن نبيِّكم الكريم وهو عمَّه أبو طالب وأخذ على عاتقه طوال حياته أن يُدافع عنه ضد الكافرين وأن يحميه من المشركين، فأراد النبي أن يُكافأه فدعا الله له أن يهديه، فأجابه الله ﷻ ليبيِّن لنا ما تفضل به علينا فقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(٥٦القصص). فعلمنا أن الهداية من الله ﷻ.

فيا أخي المهتدي إلى دين الله، والعارف برسول الله، والمصدق بكتاب الله، لو عشت عمرك كله لا تجد لقمة عيش تسد جَوْعتك، ولا ثوب يستر عورتك، ولكن مِتَّ على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ماذا فاتك من خير الدنيا؟

ماذا ينقصك من نعيم الدنيا بعد أن مِتَّ على خير الكلام، وعلى هَدْي سيِّد الأنام، وعلى وسام السعادة يوم لقاء الملك العلام؟!

إن خير هديِّه، وخير نعمة أنعم بها علينا الله هي نعمة الإيمان، ولكننا لا ندري قيمتها، ولا نعرف حقيقتها، لأننا صرنا كبقية الخلق ننظر ونبحث عما يُشْبع بطوننا، وعما به نفتخر في شبابنا، وعن الرَّياش الذي نُؤسس به بيوتنا، وظنَّنا أن تلك هي النِّعم العظمى التي يتفضل بها الله على أحبابه حتى وصل الأمر بجهلائنا أنهم جعلوها مقياس رضا الله، فيقولون فلان ﷺ لأن الله رزقه سبعين ألف جنيه، أو رزقه سفرية إلى السعودية، أو رزقه كذا في الأرض أو في المال أو غيرها من عوالم الدنيا الدنيِّة، وظننا أن ذلك دليل على رضا الله، وهذا خطأ فلو كان المال ومُتع الدنيا دليل على رضا الله ما أعطى الكافرين ما نشاهده من هذه النعم، فقد أعطاهم ﷻ الدنيا لهوانها عليه.

أما الدليل على رضا الله فتجدوه في قول رسول الله ﷺ: { **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدين، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ** }[٣٠]. والدليل على رضا الله أن يفتح الله قلبك فتفتح كتاب الله، وتقرأه في الليل والنهار، ولا تملّ منه، بل تريد الاستكثار، لأنك تحسّ فيه برضا

٣٠ رواه الشيخان وأحمد عن معاوية والترمذي عن ابن عباس والبزّار عن ابن مسعود والبيهقي عن أنس.

الواحد القهار. والدليل على رضا الله ﷻ أن يفتح الله عليك باب العمل الصالح لأنه هو المتْجر الرابح الذي يجعلك تخرج من الدنيا فتجد سعْيك مشكوراً فيقول الله تعالى لك ولأمثالك ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ (٢٢الإنسان). فالله تعالى يقول هذا لمن سعى في العمل الصالح، أما من يسعى في الدنيا ويكدّ فيها فإنه لا ينال إلا ما كُتب له، ولا يأخذ منها إلا ما قدَّره الله ﷻ له، فإن كان ذلك على حساب دينه فقد خسر الدنيا والآخرة.

فالفتح الحقيقي والرضا الحقيقي من الله على العبد أن يُلْهمه الطاعة، وأن يُوفِّقه لعمل البر ولعمل الخير، فإن وفَّقه الله لذلك فهذا دليل على إنَّه دخل في قول الله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(٨البينة).

فهذا دليل الرضا من الله نسأل الله ﷻ حسن لقاءه، وأن يوفِّقنا لطاعته حتى يوم نلقاه، وأن يختم لنا جميعاً بالإيمان قال ﷺ: **{التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له}** .... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي وفَّقنا للهدى واختارنا من عباده المؤمنين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها في الدنيا وترفعه يوم الدين. وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد بحر الصدق واليقين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي هذه النعمة، نعمة الهداية ونعمة الإيمان، مَنْ سببها؟ ومَنْ الذي أوصلها إلينا؟ ومَنْ الذي بسببه جعلنا الله مسلمين ومؤمنين؟

إنه سيِّدنا رسول الله ﷺ.

فبسببه وصلتنا كلمات الله، وبه عرفنا الله، ومنه تعلَّمنا أحكام الله، وبفضله اهتدينا إلى طاعة الله، فهو الذي علَّمنا الطاعة، وهو الذي أمرنا بالخيرات، وهو الذي بين لنا المنكرات والمحظورات، وحذَّرنا منها بأبلغ بيان وأجْلى بُرْهان، حتى قال ﷺ: **{ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى المحجة الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِها. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلاَّ هَالِكٌ }** ٣١..

فنحن نحتفل في هذه الأيام بدين الإسلام، هذا الدين الذي خصَّنا الله به، وأكرمنا الله به، لا نحتفل برسول الله لشخصه ولا لذاته، ولكن للهداية التي وصلت معه إلينا من الله،

---

٣١ مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة عن العرباض بن سارية.

والرسالة التي بلَّغها لنا من الله فنحتفل في الحقيقة بهذه الرسالة وهذا الفضل، وقد أمرنا الله جميعاً أن نفرح بهذا الفضل العظيم وبهذا الدين القويم، وبهذا الخير العميم فقال لنا عز شأنه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس).

لابد أن نفرح بفضل الله علينا وبرحمة الله إلينا بهذا الدين القويم، فنفرح برسول الله ﷺ لأنه سبب هذه النعم، وقد قال في ذلك سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ : (أصبحنا وما بنا من نعمة ظاهرة أو باطنة في دين أو دنيا إلا ورسول الله ﷺ سببها وهو الذي أوصلها إلينا)، فالله ﷻ كان يستطيع أن يُلْهمنا بهذا الدين من غير واسطة، وأن يعلّمنا القرآن وحْيا من لدنه، لكنَّه عندما اختار سيِّد الأولين والآخرين ليُجْري على يديه هذا الفتح ويُقدِّر عليه هذا البِّر، كان ذلك لخصوصية فيه ومزيِّة يقول فيها الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء)، فالحمد لله الذي خصَّنا بالرحمة العُظْمى لجميع العالم. << ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[٣٢]

صلاح العالم بالإسلام

الحمد لله ربِّ العالمين أرسل لنا رسولاً كريماً على حضرته، عظيماً بين خليقته، وجعله نبراساً وقدوة للمهتدين، وأسوة كريمة لجميع عباد الله المؤمنين.

سبحانه سبحانه، اختاره وهداه وجعل الخير معه حيثما يتحرك فهو يسير على هداه وأمرنا ﷻ أن نقتفي هديه فقال لنا ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(٨٠النساء).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خفيات الصدور، ونوايا النفوس، ويعلم غيب كل شئ لأنه رب كل شئ ومليكه وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسواه غيث الإغاثة الإلهية للعوالم الأرضية والسماوية والذي به حمى الله أهل الأرض من الأوجاع والآلام والقحط والأمراض وغيرها من الأمور التي كان ينزل بها الهلاك على الأمم السابقة وقد قال الله ﷻ له ولنا: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع العالم، والذي أبعد الله به عن جميع الأنام عذاب الخسف والاستئصال والهلاك التام، ورحمنا به ﷺ رحمة سابغة في كل

٣٢ خطبة جمعة الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ بمسجد الأنور القدسية بالمهندسين، ١١ ربيع الأول ١٤١٥ هجرية، ١٩/٨/١٩٩٤م.

أمور حياتنا، فصلِّ اللهم وسلِّم وبارك عليه صلاة ترزقنا بها حُسْن طاعته وتجعلنا بها من خيار أتباعه في العمل بشريعته، وترْفعنا بها إلى درجة شفاعته يوم الدين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي في الله ﷻ وفي رسول الله ﷺ إذا كنا نحتفل في هذا اليوم الكريم بذكرى ميلاد نبيِّنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه، فإننا نحتفل بميلاد القيم الإلهية، والأخلاق الرَّبانية، والحُلُول القُرْآنية التي أزالت المشكلات والمعضلات من جميع أرجاء البشرية، فقد أرسْل ﷺ في وقت عمَّت فيه البلايا والنكبات، وانتشرت فيه الأوجاع، وعمَّت فيه المشْكلات، حتى بَيْن عرب البادية الذين لم يكن لهم دولة ولا سيادة ولا سلطان، ولا مال ولا جاه، وإنما كانت بينهم أيضاً مشكلات، المشكلة الواحدة منها لو ظهرت في عصر كعصرنا هذا لجنَّدت لها كثير من الأجهزة المحلية والعالمية والأُمَميِّة، ولبحثوا في القضاء عليها عشرات السنين ولم يصلوا إلى كيفية سليمة للقضاء عليها.

لو عددنا مشكلات البشرية الاجتماعية والقبلية والسياسية والأسرية والنفسية التي قضى عليها قضاءاً نهائياً سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ لعجبنا جميعاً.

ولذلك فإن الكاتب الإنجليزي الشهير برنارد شو عندما قرأ نبذة يسيرة من هذه الأمور العصبية وكيف قضى عليها رسول الله ﷺ - ونظر لمشكلات العالم حوله في أعقاب الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيِّتها ما يزيد على العشرين مليوناً، وراح فيها من المال ما يجعل العالم كله يعيش بها في رخاء يدوم مئات السنين، فلقد قالوا: إن ما أُنْفق على التوصل إلى تطوير وصنع القنبلتين اللَّتين أسقطتا على اليابان يكفي لأن يعيش العالم كلَّه في رخاء تام لمدة خمسين عاماً. فما بالكم بأطنان القنابل الذرِّية، والقنابل الهيدروجينية، وأنواع الطائرات الاستكشافية والقتالية، وأنواع الصواريخ العابرة للقارات والمضادة للصواريخ وحرب النجوم ، وغيرها من أنواع الأسلحة الفتَّاكة التي ظهرت في عصرنا ولم تظهر في زمانه ﷺ - قال: (لو بُعث محمد ﷺ لحلَّ كل مشاكل العالم بمقدار ما يشرب قدحاً من القهوة). لماذا؟

لأنه ﷺ حلها فيما سبق، ولم تكن العقول قد تنورَّت، ولا الشعوب قد تقدَّمت، ولا البلاد قد تحضَّرت، وذلك لأنهم أطاعوه وتابعوه فحلَّ لهم كل مشكلاتهم، ونحن في هذا اليوم العظيم يوم ذكرى نبينا صلوات الله وسلامه عليه، ننظر إلى حالنا وقد تفاقمت المشكلات فيما بيننا، وفي داخل أسرنا ومجتمعنا، وفي البلاد حولنا، حتى عجزت الهيئات الأممية، والوساطات الدولية، والقوى الحربية، عن حلِّ أبسط المشكلات الشعبية.

ماذا يفعل العالم ليحل مشاكله؟

اسمعوا وعوا إلى عبارة وآية من كتاب الله تعالى من كلمتين اثنتين فيهما حـا

مشكلات الحياة: حل جميع المشاكل ولو كانت صغيرة أو بسيطة لو كانت شنيعة أو كبيرة إنها قول الله عز شأنه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾(٥٤النور).

فإذا أطعناه ﷺ فيما جاءنا به من عند الله في نظم الحياة، فقد جاء لنا بتشريع كامل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة في أمور الفرد، أو أمور الجماعة، أو أمور الدول والشعوب، إلا وقد ذكرها، وقد بين الحل الأمثل لها والمتره عن الأهواء.

رأينا يا جماعة المسلمين مشكلات إخوانكم المسلمين في يوغسلافيا السابقة، وكيف عجزت الدول الكبرى مجتمعة عن حلها... لماذا؟

لاتباعهم لأهوائهم ولإرادهم أن ينفّذوا رغباهم، فلو أرادوا حلّها لحلُّوها، ولكن لكلّ وجهة هو مُولِّيها، وكُلّ يريد أن يتعصب لكتلته أو شيعته أو أهل مِلّته، أو وطن يمشي على هجه في سياسته، أو من يُسلّم له مقاليد عزته.

فسعوا بحسب أهوائهم ولذلك لم تُحلّ المشكلة، مع إنها مشكلة يسيرة، وعلى هذا المنوال كثير غيرها من المشكلات التي يضيق النطاق عن ذكرها.

أما كتاب الله الذي نزل به رسول الله ﷺ فهو مُبرًّأ عن الهوى ولا يحكم على وفق الطباع أو العادات، أو على حسب الأمزجة وهي مختلفات وإنما يحكم بالحق، لأنه من الحق ﷻ، فقد ورد أن رجلين اختارهما أهل الزوجين في مشكلة استعصت بينهما - وإذا استعصت مشكلة بين زوجين فإن الله ﷻ يأمر الحكام والقضاة أن يتخيرُّوا رجلاً من أهلها، ورجلاً من أهله، ويجلسا سوِّياً ليفضَّا هذا التراع على منهج الله وشرع الله، وليس على حسب الهوى الذي يستكنّ في صدورهم.

ولَّما اختار القوم الرجلين، أرسلهما عُمر ﷺ ليحلاَّ النِّزاع، فرجعا ولم يَحْسما الأمر، فسألهما عمر: ما وراءكم؟ ... قالا: لم يصطلحا ! .. فقال رضي الله عنه: إذا لم تُخَلِصا النِّية له ﷻ في مَسْعَاكما، قالوا: ولم؟ .. قال: لأن الله ﷻ يقول: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾(٣٥النساء)، ثم قال لهما: إجلسا أمامي وتُوبا إلى الله ﷻ، واعْزما على الإخلاص في مَسْعاكما ثم أرسلهما فرجعا في لمح البصر وقد حلاَّ الصراع، وأنهيا الأزمة بسلام، لأنهما أخلصا في مَسْعاهما، وتحرَّيا لقاء الله ﷻ.

وهكذا فعندما يُوجد خلاف بين زوجين أو بين أسرتين، أو ين فئتين متصارعتين، أو بين شخصين مختلفين، أو بين دولتين، أو أي فئة من الفئات يأمر الإسلام أهله إذا حُكِّما ألا يميلوا لهذا على حساب هذا، ولا يحكمون على هذا لغرض يتنافى مع ذلك لأن الله ﷻ ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ۝٥٧ ﴾(٥٧الأنعام).

فالإسلام يُحقّ الحق، ويُقيم القسط، ولذلك فالعَالَم يا إخواني لن تَنْتهي صراعاته، ولن تُحلّ مشكلاته، ولن تنتهي خلافاته، حتى لو جئنا مع هيئة الأمم بألف هيئة مثلها تُمثّلها جميع الأمم، إلا إذا سرنا وسارت الأمم على شرع الله، وعلى كتاب الله، وعلى المبادئ التي سنَّها رسول الله ﷺ، لأن الإسلام دين يُحارب الهوى ويأمر المسلم ان يقول الحق ولو كان على نفسه ... تلك تربية الإسلام، وتلك تربية الإيمان، وتلك تربية نبِّي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ولذا حدث كثير من الخلافات والنزاعات بين اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، بعضهم البعض، وكانوا يرفضون التحكيم لكبرائهم وأحبارهم لأنهم يعلمون أنهم يحْكمون بأهوائهم، ويقصدون إلى رسول الله ﷺ، مع إنهم يُعادونه ويُحاربونه ويكيدون له وهمّوا بقتله فأنزل الله ﷻ له قوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (٤٩المائدة) فلم تكن تنتهي مشكلات اليهود إلا على يد نبي الله وعجباً لهؤلاء القوم يذهبون إليه في معضلاتهم فيحكم بينهم، ويَرْضَوْن بحكمه ثم بعد ذلك يُكذّبونه ويُحاربونه حسداً من عِنْد أنفُسهم، وبَغْياً على الحق وهم يعلمونه، وقد قال الله ﷻ في شأنهم مع الحبيب صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة).

وقد كان العالم قبل النهضة الأوربية الحديثة، الذي يحفظ توازنه دولة الإسلام وقادة المسلمين، وخُلفاء الإسلام الذين كانوا يحكمون بالعدل بين الأنام حتى وصل الأمر أنه عندما همَّت برُوسيا (ألمانيا حالياً) أن تعتدي على فرنسا في عصر شارلمان بدون حق، أرسل إلى هارون الرشيد في بغداد، فتحرَّى وتبين له أن الحق مع شارلمان – لأن الإسلام لا يؤمن به ولا يتبعه ولا يخضع له إلا المؤمنون فهم يُحقّون الحق في الأرض، حيث أنّ الله استخلفهم في الأرض لنشر الحق، وإعلاء كلمة الحق والحكم بين الناس بالحق – فما كان منه بعد أن تبين الحق إلا أن أرسل إلى ملك ألمانيا في ذلك الزمن رسالة يقول له فيها (ارجع عن غيِّك، واترْك الأرض التي اخذتها، وإلا أرسلت لك جنوداً أولها عندك وآخرها عندي). فرجع عن الضلال والباطل، وأقرّ بالحق لقوة الحق ...

لماذا؟ لأن هؤلاء القوم هم الذين قال لهم وفيهم الله : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٦ص).

فهؤلاء القوم يا إخواني هم المسلمون الذين قال فيهم الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣البقرة).

فلن يَنْجو القوم الظالمون من ظلم بعضهم لبعض إلا إذا احتكموا لعدالة الإسلام،

وكذلك لَنْ ينْجو هذا الكون من جبروت الظالمين، وطغيان المفسدين، وسطوة الجبَّارين إلا إذا كانت الكلمة لرب العالمين، وكان القرآن له الهيْمنة، وله السِّيطرة على أحكام الحاكمين.

نسأل الله ﷻ أن يعزنا بالإيمان ويرفع شأننا بالقرآن، قال ﷺ: { **تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ** }[٣٣].

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين أمرنا بالهدى وجعله خيراً لنا في الدنيا ويوم الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزهت أسماؤه، وتعالت صفاته، وتنزه في كبريائه عن المعين وعن الوزير، وعن الضد والند لأنه ليس له شبيه وليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله هدانا الله به إلى النجدين، وبين لنا به طريق السعادتين، سعادة الدنيا، وسعادة الدار الآخرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا عباد الله جماعة المؤمنين إياكم أن تظنوا كما تروج بعض وسائل الإعلام أن سعادة الاتباع لنبي الإسلام قاصرة على الدار الآخرة فإنهم يروجون أن من يمشي على هدى رسول الله، ومن يتبع سنة رسول الله يعيش في ضيق في الحياة ويعيش في هم وغم في الحياة، وليس له سعادة إلا يوم لقاء الله. وكذبوا وافتروا على حضرة الله ﷻ لأن الله عز شأنه يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [هذا في الدنيا] ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [وهذا في الآخرة](٩٧النحل). كل ما في الأمر أننا ضيقنا مفهوم الحياة الطيبة، واعتقدنا أن الحياة الطيبة حياة الترف، وحياة المقتنيات، وحياة الأثاث، وحياة الرياش.

واعتقدنا أن الحياة الطيبة أن يكون الرجل عنده شقة واسعة وفيها جميع محتويات العصر وكل مقتنيات الحضارة، ومعه مال كثير، وعنده الثلاجات مملوءة باللحوم والأسماك والخيرات، وعنده رصيد من الدولارات، وهذا كل مفهوم السعادة في منطقنا.

لقد ضيقنا واسع رحمة الله، لأنه كم من كثير وكثير معه كل ما ذكرناه ولكنه لا يحس

---

[٣٣] متفق عليه.

براحة البال في أي نفس يتنفسه في هذه الحياة. فقد ينام على الفراش الحرير ويتقلب يميناً ويساراً ولا يذوق طعم النوم أمامه كل ما لذ وطاب، ولا يهنأ بطعام أو شراب، عنده حسناء ليس لها مثيل، ولكنها يحس منها بنفور كبير. لماذا هذا يا إخواني؟

عنده أولاد وبنات، ولكنهم يخادعوه ولا يصدقوه، أو يعصوه ولا يبروه .. وكل هذه الأشياء تسبب الهم والغم والنكد، مع إن عنده الخيرات والملذات والأموال الظاهرات.

إذا ما الحياة الطيبة التي يقصدها الله في قوله ﷻ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾

الحياة الطيبة هي التي يشعر المرء فيها براحة البال والسكينة والاطمئنان والهدوء النفسي وانشراح الصدور والشعور بالرضا عن الله ﷻ. تلك أجل النعم التي يريد الله أن يذكرها لنا في كلامه القديم. وقد قال ﷺ: { مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سِرْبِه مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيَا }٣٤ وفى رواية { بِحَذَافِيرِها }

تعب والله يا إخواني إخواننا من المسلمين الذي ظنوا السعادة في اتباع الكافرين، وفي البحث عن الأقوات والمقتنيات، والبحث في السهرات الحمراء، وفي المشروبات والمسكرات والملذات، وفي الفيديوهات وغيرها من هذه الوسائل ... ونسوا أن السعادة في الوسائل التي جلبها الإسلام لسعادة الأنام ..

فهيا بنا جميعاً نبحث عن السكينة والطمأنينة وننشد راحة البال وهناءة النفس ولن نجد ذلك إلا في كتاب الله وصيدلية رسول الله ﷺ.

فإن هذه المتاعب التي ذكرناها لو بحثنا في كل صيدليات العالم فلن نجد دواءاً يشفي منها، ما الذي يشفي من الهم والغم؟ وما الذي يعالج عدم راحة البال؟

وما الذي يشفي من القلق والضجر؟ ... ليست البراهين، ولا العيادات النفسية، ولا المصحات العصبية، بل الشفاء في قول الله ﷻ ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.(٥٧يونس)

شفاء الصدور في كلمات النور التي أنزلها الغفور وفي بيان النور الذي وضحه رسولكم الكريم ﷺ. << ثم الدعاء >>.

٣٤ رواه ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر ورواه أيضاً الخطيب وأبو نعيم وابن عساكر وابن النجار.

الخطبة السادسة[٣٥]

نبي الذوق الرفيع والجمال

الحمد لله ربِّ العالمين، أنزل إلينا الهُدى والهداية، والبرّ والتُّقى والإحسان على سيِّد ولد عدنان ﷺ، سبحانه سبحانه، اختار هذا النبي الكريم لنبوته، وجَمَّله بما يُحبه ويرضاه من خليقته، فكان صُورة للأخلاق الكريمة، وللعادات النبيلة، وللطبائع الجميلة في كل تصرفاته وأحواله صلوات الله وسلامه عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جميل يحب الجمال، ويحب مكارم الخصال، ويحب عزائم الأمور، ويكره الأعمال الدانية والأخلاق السَّافلة، لأنه ﷻ كما وصف نفسه في قرآنه سميع بصير ولطيف خبير، وأشهد أن سيِّدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيِّه من خلقه وخليله، إمام النبيين وقائد الغُرّ المحَجَّلين، وغوث الخلق أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد كوكب الأنوار ومعدن الأسرار وترْياق الأغيار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم القرار.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون في هذه الأيام نحتفي ونفرح بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، ولا نستطيع في هذا الوقت أن نُبيِّن الجوانب التي أضاء بها حياتنا ورفع بها شأن مجتمعاتنا، ورَقَّى بها كل أحوال البشرية جمعاء، ولكننا وإخواننا في البشرية أجمعين يحق لنا أن نتباهى ونفتخر في هذا الوقت بهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

لقد كان مَنْ قبله من أهل الديانات السماوية، أو المذاهب الإنسانية يُجْبرون اتباع الديانات على ترك العادات الاجتماعية الكريمة والاقبال على العبادات، والتشدُّد في مجال هذه المجاهدات، وكلما تشدَّد الإنسان في الجهاد في العبادة، وبَعُد عن مُتع الدنيا وطيباتها كانت له المنزلة العظيمة في هذه الديانات وهذه المسائل، حتى جاء النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فلم يجعل عبادتنا لله في صوامع، أو أماكن بعيدة عن المدينة ... ولم يدعُنا إلى الانسلاخ من الحياة البشرية ...، أو ترك الطيبات التي أوجدها الله لنا في دار الدنيا ...

بل نزَّل عليه لنا قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(٣٢الأعراف). فلم يُحرِّم علينا شيئاً إلا إذا كان فيه ضَرر مُحقَّق لنا وقد أثبتت

٣٥ كانت خطبة الجمعة في الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين، ١٥ ربيع الأول ١٤١٦ هجرية، ١٩٩٥/٨/١١م.

الأبحاث الحديثة والعلوم العصرية هذا الشأن يا إخواني جماعة المسلمين.

فإذا التفتنا إلى عبادته ﷺ نجدها – كما تحقَّق في زماننا – دعوة للرُّقي والسمو لأعضاء جسم الإنسان.

لقد أثبتت الأبحاث الطبِّية الحديثة أن الوضوء للإنسان، وما يتمّ من غسل الجوارح في اليوم خمس مرات بالماء، فيه وقاية من كثير من الأمراض أثبتها أحد الباحثين بجامعة الإسكندرية وحصل بها على درجة الماجستير فأثبت علمياً أن الوضوء يقي من أمراض البرد والزكام، ويقي الإنسان من الإصابة بالجذام، ويحفظه من سرطان الجلد وكثير من الأمراض يحمي الله ﷻ الإنسان منها إذا غسل أعضاء الوضوء بالماء خمس مرات في اليوم.

ثم هو ﷺ يأمرنا أن نجتمع يوم الجمعة من كل أسبوع على الأقل، ويأمر أن نُجهِّز أنفسنا عند الذّهاب لبيت الله، بأن نغتسل، ونَلْبس أحسن ما عندنا من الثياب، ونضع العطر والطيب حتى ندخل بيت الله متجمّلين، ولا نُؤْذي إخواننا من الإنس أو الملائكة بالروائح التي لا تُرْضي أذواقهم ومشامِّهم ويأمرنا أن نغسل الأسنان عند كل وضوء بالسواك، وأنتم تعلمون جميعاً أن معظم أمراض الجسم تأتي عن طريق الأسنان، فانظر إلى هذه الحكمة العظيمة التي جاء بها النَّبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان أول إنسان في الوجود جعل لنفسه حقيبة يحملها في السفر، ماذا كان فيها؟

استمعوا إلى وصف السيدة عائشة لما بها حيث قالت رضى عنها: { **كان رسول الله ﷺ لا يُفارق في سفره أربعة أشياء: سِوَاكه لغسل أسنانه، وطِيبه ليضعه على جسده، ومِرْآته ليُصْلح فيها هيئته وقارورة زيت ليضع منها على شعره** }٣٦ وفى معنى الحديث .. كان ﷺ عندما تأتيه الوفود يأمر بإدخالهم إلى غُرْفة الاستقبال، ثم ينظر في المرآة ليُصْلح شأنه فقالت له السيدة عائشة رضي الله عنها:{ **أنت تفعل هذا يا رسول الله. قال: نعم، إن الله ﷻ يُحبّ أن أخرج مُتزِّيناً لإخواني** }

ولما كَثُر الوفود، وأقبل عليه الملوك من كل بقاع الأرض، أمر بشراء حُلَّة ثمينة يلبسها في الجمعة وفي الأعياد وعند استقبال الملوك، وقد ورد أنه اشتراها بخمسة وعشرين جملاً، حتى تناسب هذا المقام، لأن ديننا دين الجمال، ودين النظافة، ودين الكمال في كل شئ لأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وأكمله لخلقه، وأمر الجميع أن يُؤْمنوا به ويتَّبعوه بعد نزوله عليه صلوات الله وسلامه عليه.

٣٦ رواه الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يأمر نساء المسلمين أن يكْنسْن بُيوهَن ويَقُمْن برشِّها بالماء، ويقول لهن: { **نظِّفن أفنية بيوتكن، ورُشُّوها بالماء، ولَا تجعلوها كبيوت اليهود** }[٣٧].

وأما خِصال الفطرة التي يُغيِّر بعضها رائحة الإنسان فقد أوصانا بالاعتداد بها.

وقال في ذلك سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: { **أَنَّهُ وَقَّتَ لَهُمْ في كُلِّ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً تَقْلِيمَ الأَظْفَارِ وَأَخْذِ الشَّارِبِ وَحَلْقَ الْعَانَةِ** }[٣٨].

وذلك حتى يكون الإنسان المؤمن في أكمل صورة، وأبهى منظر يحبه الله ﷻ من عباده. وهو بعد ذلك لم يُحرِّمْ علينا طعاماً إلا إذا كان فيه ضرر لنا، ولا شراب إلا إذا كان فيه سوء لنا، ولا فِرَاشاً إلا إذا كان فيه شئ لا يرضاه ديننا ووضع في ذلك قانوناً شاملاً خارقاً قال فيه ﷺ: { **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافُ وَلاَ مَخَيَلَةٌ** }[٣٩] وفي رواية أخرى: { **كُلْ واشْرب والبس ما أخطأتك خصلتان: السَّرف والمخيلة** }[٤٠]

يعني كُلْ ما شئت مما أباحه الله، وألْبس ما شئت ما لم يَنْه عنه الله، واجلس على ما شئت مَّا لم يمْنعه الله، على ألاَّ تقصد بذلك المُباهاة أو الخُيَلاء ولا يكون في عملك إسراف لأن الله ﷻ لا يُحب المسرفين، وإنما المبذِّرون عنده كما قال في شأنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾(٢٧الإسراء).

فالرجل المؤمن يلبس كل شئ إلا الذهب والحرير، لأن الله ﷻ أباحهما للنساء وحرَّمهما على الرجال، وكان ذلك لحكمة عالية ظهرت في زماننا وهي أن أرصدة الدول تُقاس بالذهب فلو لبسه الرجال واستخدمناه آنية في بيوتنا لنفد رصيد الأمم من هذا المعدن الثمين لكنه ﷺ وضع لكل حقيقة ما يُناسبها في دنيا الناس، فأباح لنا كل المشروبات إلا الخمر والحشيش وما يشاهما، لأنهما يُغيرَّان العقول، ويجعلان المرء يفعل أفعالاً لا تليق بإنسانيته وآدميته.

وأباح لنا في بيوتنا أن نفعل ما شئنا في غير إسراف ولا خُيلاء ولا رياء، على أننا مطالبون جميعاً بشئ واحد، أن نتحرَّى ألاَّ نُصيب في أمر من هذه الأمور شيئاً نهى عنه الدين، أو شيئاً حرَّمه سيِّد الأولين والآخرين، ثم بعد ذلك نشكر الله على تلك النِّعم ونحمده على تلك الخيرات، ونستزيده من هذا العطاء وهو كما قال سبحانه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

---

٣٧ رواه البزَّار في مسنده بلفظ: (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبَّهوا باليهود يجمعون الأكباء "القاذورات" في دورهم).

٣٨ سنن الترمذي.

٣٩ جامع المسانيد والملااسيل عن ابن عمرو، وورد فى كثير غيرها

٤٠ رواه أحمد والنسائي وابن ماجة

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٧إبراهيم). فلا يجب علينا أن نُلْقــي الطعــام في صــناديق القمامة والفقراء حولنا من إخواننا المسلمين في حاجة إليه.

ولا يجب علينا أن نترك الملابس حتي تأكلها العِتَّة في حجرات نومنا ونحرم منها إخواننا الذي يُعانون من بَرْد الشِّتاء في البلاد الباردة.

ولا نَبْتع المُقْتنيات الكثيرة في بيوتنا – حتى أنَّ بعضنا يخزن العتاد في غُرف خاصة لأنــه يجد سعة في شقته – بل نعطيها لشاب غير مقتدر على الزواج فنُعينه بها على ذلــك، فــإن الإنسان المسلم يأخذ الضروريات، ولا يستكثر من المباحات، لأن ذلك يكون عليــه نــدم وحسرات يوم يلقى الله ﷻ، قال ﷺ:{ لَيْسَ لابنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٍ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفِ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ }٤١، { ما فَوْقَ الإزَارِ، وَظِلِّ الْحَائِطِ، وَحَرِّ المَاءِ فَضْلٌ يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ يُسْأَلُ عَنْهُ } ٤٢

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن ســيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تَحُلّ بها العقــد وتُفرِّج بها الكُرب وتُزيل بها الضَّرر وتُهوِّن بها الأمور الصِّعاب صــلاة تُرْضــيك وتُرْضــيه وترضى بها عنَّا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين، فلم يحرِّم علينــا شيئاً تبتغه أنفسنا، أو تُريده أجسامنا، لأنه هو الدِّين القويم، الذي نَزَل به علينا النبي الحكــيم صلوات الله وسلامه عليه.

فقد أمر الرجل بأن يتزيَّن لزوجته، وأوصى الزوجة بأن تتزيَّن، لكن لزوجها، وبداخل بيتها، فلا تتزيَّن وهي خارجة من المنزل، ولا يُزِّينها رجل، ولا يَرَى زينتها إلا محرم حــرَّم الله عليه الزواج بها، أما غير ذلك فقد حرم الله عليه الاتصال بها أو الاختلاط بها.

تلك هي الشريعة السمحاء التي أنزلها الله لنا ﷻ على يد سيِّد الأنبياء ﷺ. والرجــل

---

٤١ سنن الترمذي عن عثمان بن عفان، جلف االخبز أى الخبز الغليظ أو بدون إدام.

٤٢ الترغيب والترهيب ، عن ابن عباس رضي الله عنه

يتزين لزوجته على ألا يصل في زينته إلى أن يضع سلسلة في عنقه، أو يضع سواراً في يده ليتشبه بالنساء للنهى المعروف عن ذلك لقوله ﷺ:{ **لَعَنُ اللَّهِ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**)٤٣.

فلا يجب عليه أن يضع من كرامته، وينزل إلى الأنوثة، ويضع على وجهه الأصباغ أو يلبس الذهب، لأن ذلك يُنافي الشَّريعة السمحاء التي نزل بها على سيد الأنبياء ﷺ، أما ما سوى ذلك فقد أباح الله له كل شئ ما لم يكن محرماً أو يمنعه عن أداء الفرائض في وقتها.

فلا مانع من النزهة، ولا مانع من اللعب في النوادي على ألا يكون هناك اختلاط بين النساء والرجال في اللعب، وعلى ألا يمنعه اللعب عن أداء الفرائض في وقتها.

فاللعب مُباح إذا لم يُصاحبه اختلاط النّساء بالرجال في اللعبة الواحدة بل للنساء مكان وللرجال مكان، وأيضاً ألا يمنع المرء من صلاة الفريضة عند وجوبهافلا ينزل الملعب قبل العصر ويخرج منه بعد المغرب، فتفوته صلاة العصر في وقتها فيكون في ذلك آثماً في حق نفسه ويكون كذلك آثماً عند ربه ﷻ، وكذلك يمنع الإسلام الرياضات العنيفة التي تُصيب اللاعبين بإصابات بالغة.

هذا هو دين الله الذي جاءنا به رسول الله ﷺ، فادرسوه واعقلوه ولا تسمعوه من أفواه المخرِّبين، أو من ألسنة المتشدِّدين، ولكن خُذوه من أفواه العلماء العاملين، أو من كُمَّل جهابذة العلماء الوارثين الذين اعترف بفضلهم السابقون واللاحقون حتى يرفع الله شأننا ويُعزّ أمرنا باتباع هذا الدين.

وأوصي إخواني جميعاً ألا يتعجل الواحد منا في إصدار رأي أو حكم على أي ركن من أركان الشريعة السمحاءفقد ظهر في زماننا هذا أناس يفتون بغير علم، ولا يدرون عما يفتون في شأنه قليلاً ولا كثيراً وقد قال في ذلك ﷺ: { **مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلائِكَةُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** }٤٤ فمسائل الدين والمسائل التى تحتاج للمتخصصين فقد قال فيها رب العالمين: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٧الأنبياء)...

لا نقول فيها بغير علم، ولا نتكلم فيها إلا بيقين العلم ... حتى يظل ديننا محفوظاً من لوك الألسنة، ومن خوض الخائضين. ....

<< ثم الدعاء >>.

---

٤٣ رواه البخاري وأحمد في المسند عن ابن عباس ﷺ.
٤٤ ابن عساكر عن علي رضي الله عنه

الخطبة السابعة[٤٥]

التأسِّي بشمائل النبى المصطفى ﷺ

الحمد لله خلق نور حبيبه ﷺ على غير مثال ونسج أخلاقه على غير منــوال، وجعلــه نوره ظاهراً من غير ظلال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القريب بغير مثال، والظاهر فوق كل مقال وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شريف الخصال، كريم الخلال، باهي الجمال.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أكرم الأنبياء والمرســلين، وأفــضل الخلــق أجمعين في الدنيا ويوم الدين وآله الغرّ الميامين وورثته الأبرار المبــاركين وصــحابته الهــادين المهديين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا ربَّ العالمين...

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي سمعنا معاً توجيهاً من الله ﷻ لنــا أجمعــين في قرآنــه الكريم، قال لنا فيــه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) جعل نموذجنا الذي نحتذيه في أفعالنا وفي ســلوكياتنا وفي أخلاقنا وفي جميع أحوالنا هو رسولنا ﷺ ولكي نعمل بهذه الآية، حتى نكون من أهل العنايــة، وجب علينا أن نعلم أحواله وأخلاقه وأفعاله وسلوكياته في كل أحيانه، مع زوجه، ومع أهله، ومع أولاده، ومع جيرانه، ومع أعدائه، ومع اليهود والنصارى المناوئين والمعارضين له.

فنعلم حاله في الصلاة، ونعلم هيئته في الزكاة، ونتعلم كيفية صيامه لمــولاه، وكــذلك كيف أدّى مناسك الحج ابتغاء وجه الله، ونعلم كذلك كيفية نومه وأكله وشــربه وجلوســه ووقوفه وكل شئ عنه صلوات الله وسلامه عليه.

فكل أحواله لازمة لنا جميعاً، وواجب علينا أن نتعلمهــا ثم نعلمهــا لأبنائنــا وبناتنــا وزوجاتنا حتى نكون جميعاً كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

والحمد لله، من عجيب صنع الله ﷻ، أنه لا يوجد رجل في الوجود من بدئه إلى نهايتــه ذكرت لنا كتب التاريخ والسِّير كل أحواله وهيئاته وأفعاله كما كان مع رســولكم الكــريم صلوات الله وسلامه عليه، فلم يترك الرواة والمؤرخون شيئاً في حياته إلا وذكروه، وفصَّلوه، وأسْهبوا في ذلك إسهاباً كبيراً فإن كانت المشاغل اجتاحتنا، والأوقات التي كثر فيها اللعــب

---

٤٥ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة في ذكرى الاحتفال بمولد الرسول ﷺ وذلك يوم الجمعة الموافق ١١ مــن ربيــع الأول ١٤١٧ هجرية، ١٩٩٦/٧/٢٦م وتدور حول قول الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [(٢١) سورة الأحزاب].

واللهو اغتالتنا، فإن ذلك لا يمنعنا من مطالعة سيرة نبينا ﷺ، وقد قال سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن حاله وحالة أصحاب رسول الله ﷺ (كُنَّا نُعلِّم أبنائنا سيرة رسول الله ﷺ ومغازيه [يعني غزواته] كما نُعلِّمهم السورة من القرآن).

حتى كان الولد منهم وهو طفل صغير من شدة تعلقه برسول الله ﷺ يستحضره في كل أوقاته وكأنه يراه، كما ذكر عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه وهو طفل صغير ذهب إلى منزل خالته أم المؤمنين جُوَيْرة بنت الحارث، فرأى في المنزل مرآة فنظر فيها فرأى في هذه المرآة وجه رسول الله ﷺ، فنادى على خالته وقال: يا خالتي إنِّي أرى في هذه المرآة وجه رسول الله ﷺ، فهل ترينه؟ وكانت هي لا تراه، ولكنه من شدة استحضاره لما يسمعه عن أحوال رسول الله ﷺ هُيِّئ له أنه أمامه ينظر إليه ويراه في كل حركاته وسكناته.

ونحن في هذا الوقت القصير لا نستطيع إتيان كل هذه الأحوال وكل هذه الأفعال لكننا نذكر نبذة مختصرة عن حاله في تعامله مع الآخرين، لعلّنا نتأسَّى به في حياتنا، ونمشي على دربه إماماً لنا فنُخفّف من غَلْواء هذه الحياة على أنفسنا، وعلى إخواننا أجمعين فقد كان ﷺ في تعامله مع إخوانه صُورة للأدب العالي قلّما يجُود بها الله ﷻ على أحد من الناس!!

فقد كان ﷺ يُحدِّث أصحابه، ومن شدّة حياءه لا يستطيع أن يثبت بصره في عين أحدهم أثناء الحديث، حتى قالوا في شأنه ﷺ {كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا}٤٦ يعنى البنت البكر في خلوتها[٤٧] .... وكان إذا تكلم يتكلم بترسّل وبصوت هادئ تقول فيه السيدة عائشة رضي الله عنها: { مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ }٤٨ ... يكاد يعدّه العادّ لهدوءه وترتيب كلماته واتّضاح مخارجه، حتى أنك إذا استمعت إليه لا يكاد يفوتك كلمة من كلماته !

وكان إذا تكلّم ينصت جُلساؤه، وإذا تكلّم أحد جلسائه أنصت حتى ينتهى حديثه وقد علّم أصحابه ذلك حتى لا يُقاطع بعضهم بعضاً، ولا ينصرف مَنْ في المجلس إلى الأحاديث الجانبية، فتصير غوغاء هذا يتحدث مع هذا، وذاك مع ذاك.

وكان إذا أراد أن يُفضي بسرّ إلى واحد منهم، انتظر حتى ينفض المجلس، ثم استدعاه وحدّثه فيما بينه وبينه، ويقول ﷺ لأصحابه مُعلّماً: { إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ

---

٤٦ [رواه مسلم وابن حبان وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري].
٤٧ رواه مسلم وابن حبان وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري
٤٨ [أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي]

صَاحِبِهِمَا. فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ }٤٩ فلو كنا ثلاثة نجلس مع بعضنا ..، وأخذ اثنان منا يتكلمان مع بعضهما فقط ولا يُسمعان الثالث ...، فإنه ربما يظن أنهم يتحدثون عنه، أو أنهم لا يجدون فيه ثقة ليُسمعونه حديثهم !!، فيحزن في نفسه.

وكان يقول لهم ﷺ في نهاية المجلس: { **الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ** }٥٠ يعني المجلس الذي جلستموه لا تكشفوا سرّه، ولا تخبروا بشأنه إلا إذا استأذنتم من الحاضرين والسامعين، حرصاً على العلاقات بين المؤمنين أجمعين.

وكان إذا جلس معهم يفوح عطره، فلا يشم منه الحاضرين إلا أطيب ريح، حتى كانت يده ﷺ إذا وضعها في يد أحد يُشم العطر في يده لمدة طويلة، وإذا وضعها على رأس غلام، وسار هذا الغلام في مكان، يقول من يشمّون رائحته إن النبي ﷺ مشى في هذا المكان من شدة نفاذ رائحته ﷺ ويقول للمؤمنين: { **مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ** }٥١ وليس للمسجد فقط، بل أي مجلس من مجالس المؤمنين إذا جلس فيه الرجل المؤمن، فلابد أن يغسل أسنانه بالسِّواك أو بمعجون الأسنان، ولا يأكل النباتات الخبيثة ذوات الروائح الكريهة، حتى لا يؤذي الحاضرين برائحة فمه تأسِّياً بسيّد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه.

وكان مجلسه ﷺ كما قيل فيه: {**مجلس علم ورحمة، لاتُؤبّن فيه الحرمات، ولا تُنْتهك فيه الأعراض**} يعني لاتذكر فيه الغيبة والنميمة، ولا الوقيعة، ولا السبّ والشّتم، ولا المؤامرات ولا المخادعات أو ماشاكل ذلك.

وكان ﷺ إذا وضع يده في يد إنسان لا يسحب يده حتى يكون الرجل هو الذي يسحب يده، وإذا نادى أصحابه يناديهم بأحب أسمائهم، ويكنِّيهم بأكبر أبنائهم، والذي حُرم من نعمة الولد كان يكنيه بأبي يحي تبشيراً له بأن الله قد يرزقه كما رزق سيدنا زكريا عليه السلام بعد أن بلغ ثمانين عاماً بغلامه يحي.

آداب كثيرة لا نستطيع أن نُحيط بها، ولكننا في أشدَّ الحاجة إليها في زماننا هذا.

ما أحوجنا إلى الكلمة الطيبة التي جعلها نبينا صدقة، وما أحوجنا إلى البسمة الطيبة التي قال فيها نبينا ﷺ: { **تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ** }٥٢.

---

٤٩ رواه الشيخان ومالك عن ابن عمر، والشيخان ومالك أيضاً والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود.
٥٠ رواه الديلمى والقضاعى والعسكرى عن علي ورواه أبو داود والعسكري أيضا عن جابر بن عبد الله.
٥١ رواه الشيخان عن ابن عمر.
٥٢ رواه الترمذي عن أبي ذر وأحمد والترمذي وابن حبان عن أبي الدرداء.

ما أحوجنا إلى أن ننبذ الجفوة والغلظة في معاملة إخواننا وقد سمعنا الله ﷻ يقول لنبينا ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)، حتى بلغ من معاملته الطيبة ﷺ هذه الشهادة التي شهدها خادمه أنس بن مالك الـــذي خدمه عشر سنين وقال في نهاية المدة: {خَدَمْتُ رَسُولَ الله عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفّ قَط، وَمَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْته؟ وَلاَ لِشَيءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟}٥٣.

ولما أشتد عليه زوجاته في المطالبة بحقوقهن، جمعهن وأمسك بالـــسواك وقـــال: { لَوْلاَ الْقِصَاصُ لأَوْجَعْتُكِ بِهٰذَا السِّوَاكِ }٥٤وهل يوجع السواك في ضربه؟ ومع ذلك فلم يثبـــت أنه ضرب واحدة منهن مرة واحدة في حياته كلها.

وعندما رأى جارية واقفة تبكي، أخذته الشفقة عليها فذهب نحوها وقال: ما يبكيـــك؟ فقالت: أرسلني أهلي بإناء فوقع من يدي فانكسر .. فأخاف منهم أن يضربوني !! فأخذها ﷺ وذهب معها إلي أهلها، وقال لهم: { لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَكُمْ عَلَى كَسْرِ إِنَائِكُمْ فَإِنَّ لَهَا آجَالاً كَآجَالِكُمْ }٥٥

آداب عالية، وأخلاق راقية، ليتنا في هذه الأيام نطالع سيرة المصطفى ﷺ فإني أعجـــب لمن يدرسّون علم الاتيكيت، كيف غاب عنهم هذه الأحوال في سلوك رسول الله؟

وهل يجدون مثله أو ما يشابهه أو ما يقاربه عند غيره؟ كلا!

إنه كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه وأرضاه في شأنه:

وأجمل منك لم تر قط عيني   وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مُبرّءاً من كل عيب   كأنك قد خُلقت كما تشاء

قال ﷺ: { أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ـ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ ـ إلاّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ }٥٦.، وقال ﷺ: { مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }٥٧.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة.

---

٥٣ رواه أحمد والشيخان والخرائطى عن أنس.
٥٤ خرّجه ابن سعد عن أم سلمة.
٥٥ أحمد عن كعب عن عجرة.
٥٦ رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبي سعيد الخدرى.
٥٧رواه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا للإسلام وجعلنا مسلمين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله أجمعين .. أوصيكم وأوصـي نفـسي بتقوى الله في السر والعلانية، وأنهاكم وأنهى نفسي عن مخالفته وعصيان أمره لقوله جلَّ شأنه:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ، ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (٤٦فصلت).

علينا يا إخواني في هذه الأيام أن نطالع الأخلاق المحمدية، والأوصاف النبوية.

كلنا والحمد لله قد حفظ سيرته وقد علم مسيرته لكننا جميعاً نحتاج إلى هيئته وإلى حلمه وإلى حنانه وإلى عطفه وإلى شفقته وحنانته، وإلى معاملاته ﷺ للآخرين حتى نحتذى حـذوه، ونكون خلفه ﷺ فيكرمنا الله ﷻ بما أكرمه به من العزة والتمكين، << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثامنة[58]

القرآن الكريم سرُّ إصلاح المجتمعات

الحمد لله ربِّ العالمين، قدَّر كل شئ فأحسن تقديره، ودبَّر كل أمر فأحـسن تـدبيره، سبحانه! لا يغيِّر إرادته، ولا يغالب قوته شئ في الأرض ولا في السماء إلا بإذنه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم خبايا النفوس، ومكنون الـضمائر، وما تضمره السرائر، وغيوب القلوب، لأنه ﷻ علام الغيوب، وأشهد أن سيدنا محمد عبـد الله ورسوله طب القلوب وعافيتها، ونور الأبصار وضياؤها، وحياة الأجسام وشفاؤها.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الحبيب المحبوب وسر قاب قوسين أو أدنى من حضرة علام الغيوب، الكاشف الأعظم لكل هول إذا ادلهمت الخطوب وآله وصحبه وسلم.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون. ونحن في أيام ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، نرجع

٥٨ خطبة جمعة ذكرى المولد النبوي الشريف ١٣ ربيع الأول ١٤١٨ هجرية، ١٩٩٧/٧/١٧م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالجيزة.

إلى صفحات التاريخ ألف وأربعمائة عام، وننظر إلى المجتمع الذي فتَّت أعضائه الأحقاد والأحساد، والنّزاعات والشقاق والخلافات، وسيطر على أهله الأثرة والأنانية وحب الذات. كيف تغيّر هذا المجتمع في لحظة واحدة إلى درجة أن الله مدح أهله فقال: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٩الحشر). كيف تغيَّروا مع أن بين الأمرين بون بعيد؟

كيف تحول الرجل شديد الأنانية والاعتزاز بنفسه، والحرص على ذاته إلى رجل يتنكر لنفسه، ويُظهر الخير على يدي إخوانه ويؤثرهم ويفضلهم في البر والمعروف على نفسه؟ بدواء بسيط! عالجهم به النبي الرءوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه، وما أحوج مجتمعنا في هذا العصر .... وقد عادت الكرَّة، فصارت الناس تُمزِّق روابط المحبة التي يجب أن تكون بينهم الأحقاد والنزاعات والتنافس في حطام الدنيا الفاني، وحب الرياسة والزعامات، والشقاق والخلافات ... هكذا صرت الناس ...

بل إن هذا التأثير وصل إلى مداه في أجسامهم، فتجد الناس قد كثرت أمراض أجسامهم، لما أصاب قلوبهم مما ذكرناه، وليس بسبب أوبئة أو ميكروبات أو جراثيم، وإنما مما تعانيه القلوب من بغضاء وكراهية، ومن حب الأثرة والأنانية، يكيدون لبعضهم، فإذا لم يُفلِح الكيد حزن، وإذا اشتد الحزن مرض. فيحسد أخاه على رزق أعطاه له الله، ويودّ أن تزول هذه النعمة عن أخيه، فإذا أبقاها الله اشتد وجده، وكثر حزنه، حتى يتغير طبعه، وتتوتر نفسه، ويُصاب بالهلع والجزع قلبه. كل هذا نراه في مجتمعنا أمراضاً بين الناس وبعضهم، وأمراضاً في أجساد الناس، بسبب تغير القلوب نحو إخوانهم وذوي رحمهم وأقاربهم ومعارفهم وأصدقائهم وزملائهم في الأعمال وفي التجارات.

ما العلاج؟ أيوجد في الصيدليات علاج لهذه الأمراض؟ أبداً! ... هل يوجد فيلسوف أو حكيم ظهر أو لم يظهر يستطيع أن يعالج هذه الأمراض؟ كلا وألف كلا.

لكن الذي عالج هذه الأمراض في طرفة عين هو الذي قال الله ﷻ في شأنه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران)، أي تهتدون إلى هذا الحل.

إذاً حلّ هذا الأمر في يد من؟ .... في يد شرع الله، وفي أحكام دين الله، وفي بنود كتاب الله الذي نزل به رسول الله ﷺ والذي قال في شأنه ﷺ: { **هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ وَهُوَ**

الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي مَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}٥٩. فكتاب الله ودين الله وشرع الله هو العلاج لهذه الأدواء.

نريد دواءاً واحداً من كتاب الله لننظر كيف عالج به رسول الله ﷺ صدور أصحابه؟

هذا الدواء اسمعوه وعوه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ – ما لهؤلاء؟ – ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤، ٥البقرة). إذن الهداية والفلاح بأمرين اثنين:

الإيمان اليقيني بما أنزل الله على رسوله ﷺ والإيمان اليقيني هوالإيمان الذي يصدِّق به القلب قبل العقل، فإذا صدَّق القلب لا يعترض على أمر قضاه الله، ولا يُنازع في حُكْم حَكم به كتاب الله، بل يسلِّم لأمر الله، وينفِّذ ما جاء في كتاب الله، لأنه يعلم علم اليقين أن ذلك فيه له في الدنيا النجاح، وفي الآخرة السعادة يوم لقاء الله ﷻ وعلى هذا كان أصحابه ﷺ ورضي الله عنهم فقد أيقنوا أن أمرهم كلهم في الدنيا ضرب الله له ﷻ مثلاً لأجسامهم وأبدانهم مَنْ منَّا يملك أو يستطيع أن يغير ملامح وجهه أو طوله أو وزنه؟! أو يغير مدارك العقل ليسموا بالذاكرة إلى مستوى غير ما أوجده عليها الله؟ ... أو يزيد في أعضائه عضواً عن الآخرين؟ أو يظهر بميزة في جسمه تخالف الناس أجمعين؟ .... بل مَنْ منَّا اختار لنفسه الزمان والمكان الذي أنشأ ووُجد فيه؟ ... ومَنْ منَّا اختار قبيلته التي جاء منها؟ ووالديه اللذان كانا سبباً في وجوده؟ ... وكذلك مَنْ منَّا يختار الساعة التي يخرج من الدنيا فيها؟ لا أحد! ... ومَنْ منَّا يستطيع أن يقدِّر لنفسه ماذا يحدث له في غده، ويحدث كما يريد؟!

إننا نتوقَّع ونتأمَّل ونتطلع ونرسم في عقولنا خططا لحياتنا ونتوقع في قلوبنا برنامج لعمرنا، لكن قلم السماء هو الذي يحدد مقادير الأشياء، والذي يعترض عليه يقول الله تعالى له في حديثه القدسي: **{ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلائِي، فَلْيَلْتَمِسْ رَبّاً سِوَايَ }**٦٠ ماذا يصنع؟ وماذا يفعل؟

وأيقن أصحاب رسول الله ﷺ في أمر الرزق بقول الرزاق ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٣٢الزخرف).

فعلموا أن هذا الأمر لله فلم الاختلاف مع عباد الله في أمر قضاه الله قبل خلق الخلق

---

٥٩ رواه الترمذي عن الإمام عليّ ﷺ وكرَّم الله وجهه
٦٠ رواه الطبراني عن أبي هند الداري، ورواه البيهقي عن أنس.

بألفي عام؟ ... لقد قال ﷺ : { **إن الله خلق الخلق وقدّر الأرزاق قبل خلق آدم بألفي عام** }٦١ فلم نتحاسب على أمر قدَّره الله؟ .. ولم نتنافس في شأن لم ينل المرء منا إلا ما قـدَّر الله لماضغيه أن يمضغاه؟

هذا هو الذي قاله الله في القرآن كذلك وكذلك سنة النبي العدنان ﷺ.

أمر الإنجاب هبة من الوهـاب ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾(٤٩ - ٥٠الشورى).

فلم أحسده على أن الله أعطاه أولاداً وأعطاني البنات؟ .. وماذا أفعل إذا اعترضـت على القضاء إلا عدم الحصول على الثواب والجزاء الذي أعده الله لمن رضى بـأمره وسـلم بقضائه ﷻ؟

أما الاعتراض على أمر الله لا يزيد القلب إلا حسداً وحقداً وبغضاء وإحنا على خلـق الله ويزيد الجسم توتراً وقلقاً وإضطراباً وأمراضاً أشار الله إليها فقال جـل في عـلاه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ (١٩ - ٢٢المعارج) ..... أنتم المحميون من هذه الأمراض لأنكم أخذتم التطعيم من كتـاب الله ....، والتحصين من سنة رسول الله ... ، فوقاكم الله ﷻ شر هذه الأمراض في أنفسكم وفى أهليكم وفى مجتمعكم وفي كل حياتكم ....

أما الأمر الثاني: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

قال ﷺ: { **تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي** }٦٢

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقدِّر الأشـياء بإرادتـه، ويخرجهـا إلى الوجود بحكمته، ومن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين، والإمام الأعظم الذي باتباعه صلاح الدنيا والسعادة في يوم الدين.

---

٦١ رواه مسلم عن عمر مرفوعاً ولفظه: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام".
٦٢ (ك) عن أبـي هريرة فى الفتح الكبير.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا اتباع شريعته، واملأ قلوبنا بمحبته واجعلنا تحت لواء شفاعته أجمعين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا إخواني بارك الله فيكم أجمعين ... علم أصحاب رسول الله بما علمه الله علم اليقين أن الدنيا ليست لحيّ وطناً، ولا تدوم لإنسان سكناً، وعلموا أنها ممر ومعبر إلى الدار الآخرة، فاتخذوها معبراً، ولم يشغلوا أنفسهم بزخارفها ومطارفها، بل رضوا بما قدَّره الله ﷻ لهم في هذه الحياة.

ما الذي أفسد معظم أفراد المجتمع؟

أن لهم تطلعات في عالم الدنيا: شقة صفتها كذا، سيارة ماركتها كذا، وظيفة هيئتها كذا، والذي لا يبلغ هذه الأشياء بما أتاه الله، يبحث عن الطرق الملتوية التي حرمها الله، ليحصل على ما تهواه نفسه، وإن كان في ذلك غضب الله ﷻ. قد يكون رزقه محدوداً، لكن فيه الكرم والجود إذا اتبع نهج النبي ﷺ.

فإذا أراد أن يزيده تراه يرتشي تارة، ويخدع تارة، ويغش مرة أخرى، ويضحك على إخوانه، ويخادع أهله وذوي رحمه وجيرانه على مال ربما ينتهي عمره قبل أن يصل إليه لأن الله استدعاه إليه، فيموت بحسرته، ولم يتنعم بشهوته، لأنه خالف أمر الله، وفعل ما نهاه عنه رسول الله ﷺ.

فإذا جمعه من الحرام جعل الله له أبواباً من الحرام ينفق فيها هذا المال، فقدَّر في مجتمعنا أنواع المسكرات والمخدَّرات لتأخذ الأموال الحرام التي جاءت عن طريق الشبهات، وفجَّر لنا في دنيانا المباني التي ينافس فيها علية القوم، فيبني أحدهم قصراً عظيماً على ساحل من السواحل لا يذهب إليه إلا مرَّة كل عام، وإذا طلبت منه شيئاً للفقراء والمساكين والأيتام، يأتي لك بألف حجة، لأن الله لا يوفقه لفعل الخيرات، وإنما كان كما ورد فى الأثر: { **شرُّ المال ما وُسِّد في التراب** } فهذا بنى لنفسه قصراً في الدنيا ونسى أنه مقبل على الآخرة:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه   وإن بناها بشر خاب بانيها

يجمع شبابنا الأموال بالكاد، وإن أراد أن يتزوج صرف عشرات الآلاف من الجنيهات على حفلات الزواج، وربما يريد أحد أقاربه أن يكرمه في نظره، فيعطيه تذكرة إلى إيطاليا أو فرنسا ليقضي فيها شهر الزواج الأول، فينفق المال فيما يغضب الله هلاَّ أنفقه في عمرة إلى بيت الله الحرام، ليكون أول ما يتقابل مع زوجته في بيت قال فيه الله:

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾(٩٧آل عمران)

هلاَّ فكر هو وزوجته أن يقضيا زيارة إلى النبي الكريم ليوثق روابط الزواج بينهم ليكون هذا المال فيما يرضي الله ويحبه الله!!

هلا صنع وليمة للفقراء والمساكين حتى يكون زواجاً مباركاً! ولم ينفقاه على الراقصات والمغنين وغيره إلى آخر ما تعلمون.

ألا تعلم يا أخي إنك تُسأل عن كل قرش يوم القيامة سؤالان: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ فلو أيقنا بأن هذه الدنيا إلى زوال، وأن إلى ربك المنتهى، وإننا سنحاسب على كل نَفَس قضيناه فيها، وكان هذا الأمر في قلوبنا لا نصلح حالنا، وكنا على خير ما يحبه الله، ويرضى عنه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة التاسعة[٦٣]

الرسول ﷺ وحقوق الإنسان

الحمد لله ربِّ العالمين، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، خلق السموات والأرض بإرادته، فكون فيهم ما يريد بحكمته، وجعل كل شئ فيهما وبينهما يتحرك بمشيئته سبحانه سبحانه! .... هو الواحد في فعاله، الكامل في خصاله، العالي في علو نعوته وجماله، الذي لا يشغله شأن عن شأن .... أوجد الوجود بفضله وعدله وحكمته، وأرسل حبيبه ومصطفاه رحمة عامة لجميع خليقته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل لكل شئ سبباً، فجعل الأكل سبباً للشبع، والماء سبباً لري الظمأ، والدواء سبباً للشفاء، والشمس سبباً للضوء، والحبيب ﷺ سبباً للهداية، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيِّه من خلقه وخليله، اختاره الله ﷻ على حين فترة من الرسل فأقام به الملَّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، وهدى به بعد ضلالة، وجمع به بعد فُرْقة، وأعز به بعد ذلة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد سبب هدايتنا، وسر عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة ينوِّر الله ﷻ بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره

---

٦٣ كانت هذه الخطبة في ذكرى المولد النبوي يوم الجمعة الموافق ١٦ من ربيع الأول ١٤١٩ هجرية ١٩٩٨/٧/١٠م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة.

في جنته، آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون، ونحن نحتفل بذكرى ميلاد رسولنا الكريم ﷺ ننظر ونتدبر في أمره الذي من أجله أنزله الله ﷻ علينا، فنجد إنه ﷺ فضلاً عن أنه باب الهداية، والسبب في العناية، وإذا آمنا به وصدقناه، واتبعناه، واتبعنا النور الذي أُنزل معه كنا يوم القيامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولكن الأمر الهام وهو الذي يجعل المرء في دهشة من أمر نبي الإسلام ﷺ، هو أنه جاء بنظام محكم سديد لصلاح البشرية في كل أطوارها ومراحلها.

صلاح الفرد في نفسه، وصلاح الأسرة في المترل، وصلاح البيئات والمجتمعات، إن كان في النواحي السياسية، أو في النواحي الاقتصادية، أو في النواحي التشريعية والقانونية، أو حتى في الأمور الترويحية، لم يدع صغيرة ولا كبيرة من أمر البشرية إلا وجاء فيها بالنظام المحكم السَّديد، والهدي القرآني الرشيد ....

وستكشف لنا الأيام صدق هذا الأمر الذي قلناه، فإن البشرية منذ بعثته ﷺ يفكر المفكرون، ويشرع المقنِّنون، ويضع النظم الفلاسفة والحكماء، والقائمون بالأمور، فيكتشفون عيوباً في النظم البشرية، وثغرات في القوانين الوضعية، فيرجعون إلى النظام السديد، والقانون الرشيد، فيجدون أنه لا يصلح لجميع العبيد إلا ما جاء به النبي الرشيد ﷺ.

ففي هذه الأيام تتشدَّق دول الغرب بحقوق الإنسان، ويجعلون من أنفسهم أنبياء يطالبون البشرية بحقوق الإنسان، ولكنهم يطبقوها بميزان له كفَّتان: من واصلهم أعانوه، ومن رفض نظامهم قاطعوه، وسلَّطوا عليه الحروب التي لا تحتملها دولته.

أما حقوق الإنسان التي جاء بها النبي العدنان ﷺ، وشرعها في خطبة الوداع، فما زالت هي النبراس المضئ لكل البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وهي التي قال في بعض بنودها ﷺ: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ. أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إلاَّ بِالتَّقْوَى إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** }٦٤.

وقد حرَّم فيها ﷺ الاعتداء على الأموال، والاعتداء على الأعراض، والاعتداء على الأجساد وقد قال في ذلك المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام مخاطباً الأمة كلها من بدئها إلى الختام :

---

٦٤ رواه أحمد في مسنده عن جابر في خطبة الوداع.

{كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: مَالُهُ، وَعِرْضُهُ، وَدَمُهُ}[٦٥] إلى بقية هذه الوثيقة التي نقلوها وطوروها بحسب لغة العصر وادّعوا أهم صانعوها، ولكن كذبهم ظهر في عدم فلاحهم في تطبيقها لأن الرسول ﷺ هو الذي جاء بها.

ولو نظرنا إلى المُثل والأمثلة لتطبيقها في عصره وعصور أصحابه الكرام، لعجزنا وعجز الوقت عن استيعاب بعضها فضلاً عنها كلها.

فجاء رسول الله ﷺ بالمناهج السدية لإصلاح جميع البشر ففي ميدان الاقتصاد جعل سعي التاجر رسالة إنسانية لنفع العباد والبلاد، فالتاجر يسعى لجلب تجارته ليس للربح فقط، وإنما ليجلب السعادة لمن حوله من أهل مجتمعه فيرضيهم فيرضى الله ﷻ عنهم، هدفه الأول هو هذه الرسالة ثم بعد ذلك يجعل لنفسه هامش ربح يبارك الله فيه وإن كان قليلاً فيجعله كثيراً، وكان لهذا لا يغش ولا يخون ولا يداري عيب بضاعته، بل لابد أن يُظْهر عيبها ويُعرِّفها للمشتري كما أمر الحبيب ﷺ.

هؤلاء التجار الصادقون في منهج النبي المختار بصدقهم وآمانتهم وهديهم في تجارقم وحسن تعاملاقم فتحوا بلاداً كإندونيسيا والفلبين والصين وكثير من دول إفريقيا ليس بالكلمة ولا بالعظة ولا بالمسجّلات، وإنما بالتعاملات التي ورثوها عن هذا الدين الحنيف الذي جاء به النبي الشريف صلوات الله وسلامه عليه.

أما في عصرنا فقد أصبح همَّ التاجر الربح المادي ولذلك نجد الجشع والسُّعار المادي يجعله لا يتورع في غشّ، ولا يتهاون في سبيل الحصول على المال بأي وسيلة من الوسائل الدنيوية ولا يلتزم بالأوامر الإلهية فبدَّل الله حالنا، وذهبت الثقة في التعامل من بيننا ولن ترجع إلا إذا رجعنا إلى هدى قرآننا وتعاليم نبينا ﷺ.

وهكذا يا إخواني الأمر في كل الأموروأنبه وأقول فى كل الأمور ...

فادرسوا مناهجه السديدة، وطرقه الرشيدة في كل أمر من الأمورتجدوها لا تعتمد فقط على الخبرة ولكنها تعتمد أيضاً على صلاحية القدرة، قدرة الله الذي صنع، والذي أبدع، والذي يعلم مالا نعلم عن مصالحنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة ....

فالخالق ﷻ الذي أوجد الإنسان ويعلم ما ينفع الإنسان في سلوكه مع زوجه وأهل بيته لتكون حياته سديدة رشيدة جاء بذلك في قرآنه، والله ﷻ الذي علم أن صلاح

---

٦٥ خرّجه أحمد في مسنده وابن شهاب في مسنده عن أبي هريرة.

المجتمعات يقتضي نوعاً ما من المعاملات، جاء بهذه المعاملات سواء في البيع أو في الشراء أو في التداول أو في التزاور، أو في الجلوس على الطرقات، أو في الاستدانة من الآخرين، أو في طلب المعونة من المحيطين وكل أمر قدَّره ودبَّره تدبيراً عظيماً ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾(٤٩الكهف).

فصلاح أمرنا بالرجوع إلى هدى حبيب الله ومصطفاه وأنتم ترون اليوم ماذا حدث للأنظمة الدنيوية؟ فهذا النظام الشيوعي قد سقط برمَّته لأنه من وضع بني الإنسان، وهذا النظام الرأسمالي يوشك أن ينحط ويسقط برمَّته لأنه ليس في تطبيقه سعادة ولا عدالة لبني الإنسان. إذن أين السعادة؟

في اتباع القرآن، وفي هدى النبي العدنان .... وقد عرف ﷺ الحال الذي نحن فيه الآن، ورأى الفتن المحيطة بنا ومن حولنا ودلَّنا على الروشتَّة الربانية التي فيها إصلاح حالنا فقال ﷺ: { **ألا إنها سَتَكُونُ فتن كَقِطعِ اللَّيْلِ المُظْلِم** } وهي ما نراه يبيع الأخ فيها أخاه ويدنِّس عرضه طمعاً في دراهم قليلة لا تنفعه في دنياه، ويخسر ضميره بسبب قروش قليلة قد لا يُعجِّل له العمر بصرفها، وإذا صرفها ينفقها فيما يُغضب الله ....

رأى ﷺ بنورانيته وبما أطلعه الله عليه .... رأى كل هذه الفتن فقال:

{ أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، قِيلَ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ، وَلاَ تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }٦٦.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

٦٦ رواه الترمذي عن علي ﷺ وكرم وجهه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد ... يُظهر دينه ويُعْلي شأن قرآنه ولو كره الكافرون.

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله وسوله الطبيب الأعظم لأدواء البشرية، والحكيم الأكبر لجميع العلل الاجتماعية، والذي صنع الله على يديه المراهم والأشفية التي تشفي جميع العلل الفردية والاجتماعية والدولية ...

اللهم صلّ وسلم وبارك على كتر الهوية ورمز الأسرار الربانية سيدنا محمد وآله أصحاب النفوس الزكية وأصحابه أولي العطية.

أما بعد... فيا إخواني المسلمين العجب أن الله جعل في بيوتنا جميعاً، وفي متناولنا جميعاً تعاليم السماء ووحي الأنبياء، وقوانين إصلاح جميع الأشياء لكنه يحتاج منا إلى العمل بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٤٠القمر) ... فنحن نحتاج لأن نتدبره، نحن جميعاً والحمد لله نقرأ القرآن، ولكننا نقرأه إما طلباً للأجر والثواب، وإما تنفيذاً لأمر الله ﷻ ولكننا مطالبون بأن نقرأه ونتدبره لنعمل به ...

فمن تدبر القرآن وأحكامه وعمل به في نفسه وفي بيته سيكون هذا البيت سعيداً بأمر الله، لأن الله قال وهو أصدق القائلين ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً – هذا في الدنيا أما في الآخرة – وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٩٧النحل)..

فمن ترك العمل بكتاب الله مع زوجه وولده، ومشى على حسب حظه أو حظهم، وهواه أو أهوائهم كان في حياته تعب وغم وشقاء ونكد لأن الله قال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه).

وذكره هو القرآن الكريم ...

وهكذا الأمر في أعمالنا وفي بيوتنا وفى مصانعنا وأشغالنا وفى شوارعنا وفي مجتمعاتنا وفى كل مكان نكون فيه ....

نحن جميعاً يا إخواني نحتاج .... ليس إلى وضع المصاحف في صالون المترل أو في السيارة أو على المكتب كواجهة، لكن نحتاج أن ننقل معانيه إلى صدورنا، ونترجمها في سلوكنا وأفعالنا، حتى يكون الرجل منا صورة لمعاني القرآن كما كان ﷺ قدوتنا قرآناً يمشي بين الناس أو يمشى على الأرض.كما قال فيه الواصفون .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة العاشرة[٦٧]

الرسول ﷺ وإصلاح الأفراد والمجتمعات

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ..... سبحانه سبحانه .... هو الكامل في أوصافه، والعظيم في نعوته وأسمائه، والجميل في صنعه وأفعاله، خرج من نور جماله ومن معدن كماله نبينا كميل الأعطاف، مملوءاً بالرحمة والشفقة على جميع الكائنات، وجعله داعياً بإذنه إلى صراطه المستقيم .... أيَّده بالمعجزات والكرامات، وأنطق لسانه بالآيات البينات، وجعل في يده مفتاح الهداية والسعادة لجميع البريات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إنفرد بالنعوت والأوصاف الكمالية، ويحب مِنْ خلقه الإقبال عليه في كل مراحلهم الدنيوية، يعطف على المدبرين، ويناديهم من قريب ويقبل على المقبلين ويرزقهم القلب المنيب، تبارك اسمه، وتعالى شأنه من إله أخبر عن ذاته، وأوصافه مع خلقه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، جامع الأمة وكاشف الكرب والغمة، ومصدر الإلهام لجميع الأولياء والصالحين والعلماء في الأمة، ﷺ وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين آمين يا ب العالمين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي، ونحن اليوم في ذكرى ميلاد رسولنا الكريم ﷺ يعجز اللسان عن حصر ما فضَّله الله به، أو بيان قبس مما جمَّله به مولاه، ولكن أريد أن أتناول نقطة واحدة في شأنه ﷺ معنا ومع الخلق أجمعين.

بم يتميز الرسول المجتبي، والنبي المصطفى ﷺ عن الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين والزعماء في كل زمان ومكان؟

هذا أمر يضيق الوقت عن تعداد ما فيه، ولكن ما أريد أن أنبه نفسي وإخواني إليه في هذا المجال، أنَّ هذا النبي ﷺ يكفيه من شريف الخصال، ومن عظيم الفعال، ومن مراتب الكمال، أنه هدى رجالاً إلى الأخلاق الكريمة، والقيم النبيلة، والصفات الجميلة، لا بقوة سيف، ولا بعصا، ولا بقهرمان أو بعشيرة أو صولجان أو سلطان، وإنما بنور الإيمان، وبالهداية المحضة للرحمن ﷻ، فقد جعل دَيْدَنه ومبدأه في الهداية إلى الله هي قول الله ﷻ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي

---

٦٧ خطبة جمعة ذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة ١١ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية، ١٩٩٩/٦/٢٥م.

ٱلدِّينِ ﴾ (٢٥٦البقرة). لم يُكره أحداً ولم يُرغم أحداً، لا والدة ولا ولد، لا ذكر ولا أنثى، لم يغصب أحداً على فعل من الأفعال سواء فيه مصلحة لنفسه أو منفعة لقومه، أو خصوصية لبني جنسه، وإنما دعا الناس جميعاً إلى الله بالحسنى والموعظة الحسنة، كيف غيَّر هذه الطباع؟ بل وجعل القلوب الجافية كما قال القائل: (لا زال رسول الله ﷺ بالعرب حتى جعل القلوب التي هي أشدَّ من الصخر ألين من الزُّبْد في طاعة الله والإقبال على الله ﷻ).

فقد جعل الرجل الذي يدفن ابنته وهي حية – وتنفض الرمل من لحيته أثناء حفره لها ومع ذلك لا تأخذه بها شفقة ولا رحمة ويدفنها حية – يبكي هذا الرجل بعد دخول نور الإيمان في قلبه ويقول: لو أن بغلة عثرت بطريق العراق لسُئل عمر يوم القيامة: لِمَ لَمْ تمَّهد لها الطريق؟ ... أي شفقة هذه ملئت قلبه، وأي عطف وحنان شحن نفسه؟ وبم تمَّ ذلك؟ وكيف حصل ذلك؟ هل عالجهم بمراهم طبية وأدوية حسِّية؟ أو عالجهم بطُرق نفسية أو بطرائق لعلاج الأمراض العصبية؟

لا هذا ولا ذاك، وإنما عالجهم بنور الإيمان بالله ﷻ، وبطرائق في القرآن وبيان شاف لها في سنة النبي العدنان، لا تدع حاله واحدة من أحوال البشر تستعصي على الشفاء بالقرآن وسنة النبي العدنان ﷺ، حتى أنه من قال عن أي رجل – مهما كان شأنه، ومهما بلغ من عصيانه لربه، وطاعته لشهوته ونفسه – ليس له إصلاح وليس له في طريق الفلاح والنجاح والهدى والصلاح نصيب، نقول له جميعاً:

أنت لست بمصيب، لأن الله تعالى قال غير ذلك في كتابه الكريم، وبيَّن ذلك سيدنا رسول الله ﷺ في حياته بأشفية قرآنية صالحة لجميع النفوس المتمردة والآبقة والعاصية والبعيدة عن الله، والمحتضنة للشيطان وحزبه. لأن الله ﷻ جعل للجميع طريقاً للإصلاح في دين الصلاح والنجاح الذي جاء به رسول الكريم الفتاح ﷺ ولو بحثنا بالطريقة العلمية، كيف عالج رسول الله ﷺ أمراض أفراد زمانه؟ من الشَّك والجحود والعصيان، والكفر والنكران، والقسوة والغلظة والفظاظة والكبر والعلو في الأرض بغير الحق، والغرور، والزهو بالنفس والأبناء والأموال والعصبية والأحساب والأنساب، وكل تلكم الأمراض لوجدنا كل حالة تحتاج إلى رسالة دكتوراة.

فإذا نظرنا بعد ذلك كيف عالج أمراض المجتمعات في عصره، وقد كان فيها السلطان للعظيم، والسيطرة للقوي وليس للضعيف فيها نصيب، ولا لصاحب الأخلاق الكريمة من خَلاق، كيف عالج أمراض هذه المجتمعات من الظلم والعصبية والرِّشوة والمحسوبية، وشرب الخمر، والربا، وأخلاق الجاهلية، والعادات الفاسدة الاجتماعية.

نجد كذلك كل خلق وعادة اجتماعية تحتاج إلى رسالة دكتوراة، وهو ﷺ لم يَدْرسها أو يُدرسَّها نظرياً، وإنما نفذها عمنياً في ساحة المجتمع، وفي مجتمع الأفراد، وليس مرة بل مرات كثيرة، حتي كان ﷺ رحمه مهداة ونعمة مسداه لجميع خلق الله، وقد صدق فيه قول الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء).

والأمثلة يضيق عنها الوقت، وإنما أطرح مواضيع وعليكم بدراستها في كتب السيرة المكرَّمة، فهي تفتح الأذهان إلى ما فعله النبي العدنان، مما عجز عنه جميع السابقين واللاحقين، من المصلحين والزعماء والاقتصاديين والسياسيين في أي أمر من أمور الدنيا أو أمور الدين. وقد وضع هذه التجارب أمام الجميع تجارب حيَّة يذكرها التاريخ بالفخر والخُيلاء وضعها لنا ولمن بعدنا لنعلم كيف نعالج إخواننا إذا ابتعدوا عن الله؟ وكيف نردَّ الشَاردين والهاربين من إخواننا المسلمين إلى حضرة الله؟ ونفتح لهم باب الأمل، ونقربهم إلى حضرة الله، لا نُوصد أمامهم الأبواب، ولا نغلق أمامهم الرِّتاج [الأقفال] والله ﷻ كما قال ﷺ: { **إِنَّ اللّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** } ٦٨.

ونتعلم أيضاً كيف نعالج أمراضنا في بيوتنا ومع إخواننا وجيراننا، ومع أهلينا وذوي رحمنا؟ وكيف نعالج أمراض مجتمعنا ووطننا؟

فما من شئ حدث أو سيحدث إلى يوم القيامة إلا وقد أجراه الله في زمانه وحضره في عصره وأوانه، ليضع لنا ولمن بعدنا المثال في كيفية علاج هذه الحالات، وكيفية تناول هذه الأمور وبقى ذلك كله في صفحات ساطعة مُسجَّلاً بالنور يحتاج منَّا أن نفتح هذه الصفحات ونُقلِّب في سيرته العطرة لنكتشف هذه التجارب الثريّة التي يعجز الكون كله عن الإتيان بواحدة منها.

ونذكر مثالاً واحداً كدليل على ذلك، فهذا رجل فعل ما لم يفعله أحد ومن شدَّة خزيه من أفعاله أرسل إلى النبي ﷺ يقول: يا نبي الله لم أترك ذنباً حرَّمه الله إلا وفعلته فقد زنيت وقتلت وشربت الخمر ولم أدع شيئاً حرَّمه الله إلا وفعلته فهل لي من توبة؟

هذا الرجل يسمى وَحْشي، وهو الذي قتل في غزوة أحد سيدنا حمزة عم النبي والذي حزن عليه ﷺ حزناً شديداً – فقال ﷺ: نعم لك توبة. فأرسل إلى رسول الله يقول: أريد آية صريحة فصيحة من كتاب الله تُعْلمني بقبول توبتي فنزل قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

٦٨ النسائي وابن حبَّان وأبو داود عن أبي موسى الأشعري

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٤٨النساء). فأرسل إليه ﷺ بالآية، فلما تُليت عليه قال: إن هذه الآية فيها شرط وهو تعليق التوبة على مشيئة الله تعالى: ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فإذا لم تقتضي مشيئة الله غفران ذنبي فيا ويلتي ماذا أفعل؟ أريد آية أصرح من هذه الآية. فنزل قول الله ﷻ: ﴿ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (٧٠الفرقان).

فقال: ومن يضمن لي أن أعيش حتى أعمل عملاً صالحاً، ربما يتداركني الموت بعد التوبة، ولا أوفق للعمل الصالح، أريد آية أرجى من هذه الآية، فنزل قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٥٣الزمر)، فلما تليت عليه تاب وأناب.

وإذا نظرنا في سيرة النبي الوهاب نجد عَرْضاً شاملاً لكل حالات المعاصي، وكيفية علاجها، والأخذ بناصية أصحابها، وترك لنا هذا الميراث، وجعل جميع المسلمين جامعين أو أمين أطباء رحماء بالنيابة عن سيد المرسلين، يقومون برسالة الهداية، وردّ الخلق إلى رب العالمين في كل زمان ومكان ....

وإياك أن تعتقد أن رسالة الهداية على العلماء فقط لأن ديننا أهله كلهم حكماء، وكلهم علماء، وكلهم فقهاء، وقد يهدي إنسان أمي رجلاً يعجز العلماء عن الأخذ بيده إلى طريق الله، لأنه دخل إليه من الطريق الذي نبَّه إليه رسول الله ﷺ، فليست كل الهداية عن طريق العلم والبيان، لكن من الناس من يهتدي إلى الله برفقة أخ صالح في طريق الله، ومنهم من يهتدي إلى الله بمعاملة تاجر صدوق مع الله، ومنهم من يرجع إلى الله برجل يصنع البر لوجه الله – وإن كان فقيراً يحتاج إلى ما يُقيم به أَوَدَه في هذه الحياة – فجعل الله لكل مسلم من الإسلام ميزة خصَّه بها يدعو بها الناس إلى الله، ويستجيب له نفر جعل الله ﷻ استجابتهم موقوفة على هذه الميزة التي وهبها له الله ﷻ.

وورد في الأثر: {**إذا تاب العبد المؤمن يقول الله تعالى بشرى يا ملائكتي فقد اصطلح عبدي معي، افتحوا أبواب السموات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته، فلنفس العبد التائب عندي يا ملائكتي أعز من السموات والأراضين ومن فيهن**}.

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وليّ النعم، ومفيض الجود والخير والكرم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا عدّ لآلائه، ولا حصر لنعمائه، فكل ما

في الوجود في أرضه وسمائه لا يساوي بعض ذرة من قطرة من نعمائه ﷻ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله والنَّبي المجتبى، والرسول المصطفى المرتضى الذي جعله الله مغناطيساً للقلوب، يجذبها بنور علام الغيوب، من أودية الجفا والمعصية والبعد والقطيعة، فلا يتركها إلا بعد أن تعرف حضرة علام الغيوب.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي المكرَّم وعلى آله وصحبه وسلم وارزقنا هديه وهداه ووفقنا للعمل بما يحبه ويرضاه واجمعنا عليه في يوم لقياك بين يديك يا الله.

أما بعد... إخواني وأحبابي إن أعظم حلاوة تقدمها لأهلك ولذوي رحمك، ولجيرانك ولرفقائك في العمل في هذا الوقت الكريم أن تُذيق قلوبهم حلاوة الإيمان.

فالحلاوة التي يتذوقَّها الفم واللسان سهلة وموجودة في كل الأركان، لكننا في عصرنا وفي هذه الأيام من زماننا في أمسَّ حاجة إلى حلاوة الإيمان، ولا يتذوقها إلا القلب السليم الذي اختاره الله وجعله محلاً لنوره ﷻ.

واعلموا علم اليقين أن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو كان من رأسه إلى أخمص قدميه يتمرَّغ في المعاصي إلا أن الله حينما اختار قلبه لنور الإيمان جعل فيه الذَّوْق الذي يتذوق به آيات القرآن، وحديث النبي العدنان، والذي يميل به إلى فعل الصالحات، واستباق الخيرات، وما انتابه مِنْ فَترات في عصره وأيامه يكون لمرض ألَّم به نتيجة البعد عن الله، والميل إلى معاصي الله، فإن الإنسان السَّوي الجسم يشعر بالمرارة والحلاوة وبالحموضة وباللَّسوعة، لكنه إذا أصيب بالحمى وهذا مرض عارض يمرض فيه الذوق، فتعطيه السكر فينبأك بأنه مُرّ لأن فمه في هذا الوقت مُرّ، وكذلك المؤمن عندما يكون في معمعة المعاصي وفي أودية الغفلة عن الله يكون مريضاً، لكنه مرض عارض، أثناء هذا المرض قد لا يحسّ بحلاوة القرآن، ولا يشعر بتذوق كلمات النبي العدنان، لكنه لا يدوم مرضه فإذا شفاه الله ولابد من ذلك فهنا يستطعم القرآن ويتذوق حديث النبي العدنان، ويشعر للطاعات بأنوار بينات.

وكم رأينا في مجتمعنا هذا من نماذج مازالت تعيش بيننا ونعرفها جميعاً من أناس كانوا في قمة المعاصي لا يتحجبن كنساء، ولا يعرفن المساجد كرجال فهداهم الله فصرن مؤمنات ومؤمنين يحجون بيت الله ويعتمرون إلى حرم الله، ويحافظون على الصلاة، ويدعون غيرهم إلى طاعة الله لنعلم أن سر الإيمان المعجز موجود في كل قلب آمن بالله ﷻ.

إياك أن تصف مؤمناً بأنه ليس له توبة أو ليس له رجوع، أو ليس له إنابة، أو ليس له عودة إلى الله، فإن الله لم يتفضل عليه بكلمة الإيمان إلا لاصطفاء خصَّه به الرحمن ... ولكن ربما تأخر عنه الزمان ..... لكن سينكشف عنه في وقت:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٢٢ق) ..... فعلينا أن نبحث في هذه الأيام عن إخواننا الضالين والشاردين والتائهين الذين ضحك عليهم الشيطان، وأخذهم زخارف الدنيا وزينتها إلى حين، فلا نحاول أن نردهم بل نرسل لهم بارقة الأمل، ونعرِّفهم ونُعْلمهم أن الله في انتظارهم، وأنه يشتاق إلى رجوعهم ويحنّ إلى توبتهم، وأنه سيقابلهم بكل مغفرة وبكل رحمة وبكل خير وبكل برٍّ وبكل تكرمه ....

قال ﷺ: { حَبِبُوا اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ يُحِبكُمُ اللَّهُ }٦٩ وورد فى الزهد لأحمد بن حنبل أن الله ﷻ أوحى إلى داود عليه السلام: { إنك إن استنقذت هالكا من هلكته سميتك جهبذا } [والجهبذ يعني العالم الكبير]. .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الحادية عشرة[٧٠]

تكريم الإنسان في الإسلام

الحمد لله ربِّ العالمين، أرسل لنا رسولاً صادق الوعد وأمين، وجعله رحمة لنا وللخلق أجمعين، سبحانه سبحانه! أحبنا فأكرمنا بسيد الأولين والآخرين، فأخرجنا به من الظلمات إلى النور، ومن الغواية والعماية والضلالة إلى العلم والهدى والنور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الحق، الذي أنزل خير كتاب أُنزل للخلق على سيد الخلق، ليحق به الحق، ويبطل به الباطل ولو كره المجرمون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، ومصطفاه من خلقه وخليله، اختاره الله تعالى على فَتْرة من الرسل فأقام به الملَّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، وجعله فاتحاً خاتماً.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع العالم، والأمين على وحي السماء، والذي نشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين أهل الأرض وأهل السماء. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من استجاب لدعوته ومشى على سنته، واستقام على شريعته، وكان يوم القيامة تحت لواء شفاعته، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون يا أحباب الله ﷻ ورسوله ﷺ، ونحن نحتفل اليوم

---

٦٩ عن أبي أمامه، رواه السيوطي في الجامع الصغير، وللحديث رويات أخرى قريبة.

٧٠ خطبة جمعة ذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين ١٣ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية، ٢٠٠٠/٦/١٦م.

بذكرى ميلاد سيد الأنبياء، نحتفل معه بميلاد الشريعة السمحاء التي أنزلها الله، فعالجت كل داء، ورفعت عن أهلها كل بلاء، عالجت كل داء في الأرض، ورفعت كل عناء وبلاء نازل من السماء، فكان أهلها في خير دائم لا ينقطع أبداً خير في نفوسهم وخير في بيوتهم، وخير في قُراهم وخير في مُدنهم، خير في دولهم ومجتمعاتهم، ما داموا بهذه الشريعة عاملين، وعلى نهج المصطفى ﷺ سائرين.

فنحن في الحقيقة نحتفي بميلاد خير تعاليم نزلت من السماء، لإقامة العدالة في الأرض، ولإصلاح النفوس، وإصلاح المجتمعات، وإصلاح البلاد والعباد، خير شريعة نزلت من السماء تنشر في الأرض السلام والمحبة والوئام والاجتماع، وتقضي على مرض التفرقة، وتقضي على داء الحسد وعلى وباء الحقد، وعلى مرض الأثرة ومرض الشُّح ومرض الأنانية، وتلك هي الأمراض التي تزلزل سعادة البشرية، وتجعل الأمم في حروب مستمرة، ونزاعات لا تنقطع، وتجعل الإنسان الوديع المسالم الذي اختاره الله خليفة عن حضرته يتحول إلى وحْش كاسر وعَلَى مَنْ؟ على أخيه الإنسان الوديع، على شيخ كبير فقد القوة، أو على امرأة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، أو على صبيّ صغير لم يَبْلغ الفِطام، يتحوّل الإنسان الذي لم يتربَّى على تعاليم الإسلام إلى ما ذكرناه، لأنه غاب عن شرع الله، فنفذ شريعة الغاب التي تفعلها الحيوانات، ولا ينبغي أن تكون بين بني الإنسان قط.

فالإنسان قد كرمه مولاه، وأعلن تكريمه في خير دين أنزله الله، وقال في هذا التكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (٧٠الإسراء)، في هذا التكريم جعل هذا الدين القويم الإنسان مُكرَّماً على كل أشكاله، ومختلف ألوانه، فلم يُفرِّق بين أبيض ولا أسود، ولا أصفر ولا أحمر، بل جعل الناس سواءاً لا تفاضُل بينهم إلا بتقوى القلوب والعمل الصالح. كرَّم هذا الإنسان فحرَّم على أى إنسان أن يمتد إليه أذى سواء بلسانه أو بيده أو بآلة أو بأي شئ يملكه أو يستطيعه، فجعل من يسبّ إنساناً فاسقاً خارجاً عن شرع الله، وقال في ذلك الحبيب ﷺ: { سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوق } – وجعل قتاله كفراً.. فقال : { وَقِتَالُهُ كُفْرٌ }٧١

وأي مؤمنين يصطرعان لهاهما معاً أن تمتد يدي أحدهما على الآخر، وقال لهما وفي شأنهما سيِّد المرسلين: { إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ }٧٢ .

---

٧١ رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن مسعود.
٧٢ متفق عليه من حديث أبي بكر.

وجعل المسلم الذي يميت مسلماً بأي وسيلة أو كيفية فمن يقتله بحقنة كمن يقتله بحبَّة، كمن يقتله بجَرْعة سمّ، كمن يقتله بخنجر، كمن يقتله بمسدس، جعل هؤلاء جميعاً في نار جهنم خالدين مخلدين فيها أبداً. وجعل هذا الذنب، وهذا الوزر في نظر رب العالمين، وعند أحكم الحاكمين، لا يماثله إثم ولا ذنب، ...

اسمعوا إلى مبلغ شناعته، وإلى درجة فظاعته حيث يقول فيه الحبيب ﷺ: { **لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ** }٧٣ فالله ﷻ يجعل دم المسلم أغلى عنده من السموات والأرض، لأنه ينطق بسرّ الله، ويُعلن توحيد الله، ويقول أفضل كلمة قالها قائل في هذه الحياة، هي مفتاح الجنة، وهي مفتاح الأمن يوم لقاء الله، وهي كلمة الإيمان والإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

بل حرَّم هذا الدين أن يُعذَّب المؤمن بأي كيفية، بل أن يُضرب المؤمن على أعضاءه التي كرمها ربُّ البرية، فنهى نبيكم الكريم أن يُضرب المؤمن على عينيه أو على أذنه أو على أنفه أو على رأسه أو على أي مكان في وجهه. وقال في ذلك :{ **مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَعْتِقَهُ** }٧٤ أي لا يُكفِّر عن هذا الذنب إلا أن يعتق هذا العبد ويجعله حُرًّا لوجه الله ﷻ، .... بل ونهى عن الضرب للإقرار بالذنب، ونهى عن التعذيب للإعتراف بالجناية، وقال في ذلك مبعوث العناية ورسول الهداية ﷺ: { **لاَ ضَرْبَ فَوْقَ عَشْرِ ضَرَبَاتٍ إِلاَّ فِي حُدُودِ اللَّهِ** }٧٥.

وقد يقول البعض: كيف تقول هذا والدين أمر الرجال بضرب النساء؟ فنقول له: يا هذا هل علمت الكيفية التي أمر الحبيب ﷺ أن تُضرْب بها النساء؟

لقد أمر بوعظهن أولاً، فإن لم يكن الإنسان يستطيع وعظها أحضر لها من يستطيع وعظها، ومن تتقبل كلامه كأبيها أو أخيها أو ناصحاً أو مُعلّماً، أو مُفْهماً، فإن لم تتقبل النصيحة أمره أن يهجرها في مضجعها، فينام معها ويُدير لها ظهره – ولا يترك الغرفة لأن هذا يجعلها لا تحسّ بالذنب ولا وقع ندم، وإنما ينام معها ويدير لها ظهره – فإن لم تحس بوقع هذا الذنب يضربها ضرباً قال فيه الأئمة الأعلام رضي الله عنهم: يُحْضر منديله، ويربطه عقدة، ويضربها به، فكأن المقصود ليس الضرب، لأنه ماذا يصنع المنديل عندما تضرب به؟

ولكن المقصود أن تحسَّ بأنه غير راض عنها، وغير راض عن أفعالها، وعن سلوكها،

---

٧٣ رواه البيهقي والأصبهاني وابن ماجة وأحمد عن ابن عمر.
٧٤ أحمد في مسنده عن ابن عمر.
٧٥ رواه مسلم في صحيحه عن أبي بردة الأنصاري بلفظ (لا يجلد أحدكم فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله).

واشترط الشرع الشريف أن يكون هذا الضرب غير مؤذٍ لها، ولا كاسر لعضو من أعضائها، وإلا خرج إلى حد التجريم وكان جريمة، وديننا يقيم لهذه الجريمة حكمها وليس لدينا وقت الآن لشرح تفصيلها.

أما ضرب الخدم فقد قال فيه رسول القدم ﷺ: { **إِخْوانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ فِتْنَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ ولْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ ولا يُكَلِّفْهُ ما يَغْلِبُهُ فإنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ** }٧٦، و عندما كان يهدد بالضرب يمسك بالسواك، ويقول ملوحاً ومحذراً ؛وليس ضارباً: { **لَوْلاَ الْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ بِهٰذَا السِّوَاكِ**}٧٧، وما الذي يوجعه الضرب بالسواك؟ ولكن هي الرحمة المهداة، والنعمة المسداة التي كرمت عباد الله المؤمنين أجمعين ...

فنهى ديننا عن ضرب الحريم كما يحدث من بعض الجاهلين وقال ﷺ لمن يفعل ذلك{ **عَلامَ يَجْلِدُ أَحَدُكُم امرأتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا في آخرِ اليَومِ** }٧٨ أي هل هذا يليق بعمل الأحرار؟.

فنهى عن الضرب على الرأس، والضرب على الوجه، والضرب في الأماكن الحسَّاسة، ولم يُبح الضرب للطفل الذي يتعلم إلاَّ على اليدين، أو على القدمين، وجعله آخر الدواء، وليس أوَّل الدواء، لأنك إذا استخدمت آخر الدواء ولم ينفع، فماذا تستخدم بعد ذلك؟ ولكنه استخدم التَّشجيع مع أبناء الصحابة، والحافز مع أبناء إخوانه، وكان يُشجِّعهم ويُثْني عليهم ويَحْضر سباقاتهم، ويُوزِّع الجوائز عليهم، ليُعْلمنا بشرعه الشريف، وخُلقه المنيف أن هذا دين تكريم الإنسان.

ولذلك فقد نهى عن صلْب أي إنسان، ولو كان مخالفاً لنا في الديانة، ونهى عن التمثيل بإنسان ولو قبضنا عليه في ميدان القتال، فقال للجنود: { **لاَ تَخُونُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلاَ شَيْخاً كَبِيراً، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ تَعْقِرُوا نَخْلاً، وَلاَ تَحْرِقُوهُ، وَلاَ تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلاَ تَذْبَحُوا شَاةً وَلاَ بَقَرةً وَلاَ بَعِيراً إلاَّ لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ** }٧٩ .

أي لا تقطعوا الآذان والأناف والأيدي والأرجل تشفّياً وانتقاماً من المحاربين– كما

---

٧٦ حم ق د ت هـــ) عن أبـي ذر
٧٧ خرّجه ابن سعد عن أم سلمة.
٧٨ صحيح ابن حبان عن عبد الله بن زمعة.
٧٩ رواه البيهقي في السنن الكبرى والسيوطي في الجامع الصغير عن أنس.

يفعل في زماننا هذا مَنْ يتشدَّقون بأنهم حُماة حقوق الإنسان، وأنهم هم الذين يضمنون حقوق الإنسان ... أين هؤلاء من تعاليم ديننا الحنيف ؟؟؟؟

أين هم من ديننا الحنيف الذي كرَّم الإنسان أعظم تكريم، بل جعل حق دين الله القويم ليس من حقِّ مؤمن أن يُكْرِه أحداً على اعتناقه لقول الله عزَّ شأنه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(٢٥٦البقرة). فأظْهر له محاسن الدين بالحُجَّة والبرهان فإن اقتنع فبها ونعمت، وإن لم يقتنع قال: قل لهم ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (٦الكافرون)، لا أظلمه، ولا أسبَّه، ولا أشتمه لأنه لم يؤمن بديني لأن ديني يحترم إنسانية الإنسان وبلغ من إنسانيته ﷺ إنه كان يقف إذا مرَّت به جنازة ليهودي، فيقولون: يا رسول الله: لِمَ تقف؟ إنه يهودي فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أليس إنساناً؟ فيقف تكريماً لبني الإنسان، لأن الله كرَّم كل بني الإنسان. وإن اختلفوا معه في الأديان، وذلك الذي جاء به في القرآن على لسان النبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه.

أما من يؤذي المسلم بيده أو بلسانه فقد أعلن النبي ﷺ للملأ أجمعين مدى جُرْمه، ومدى قُبْحه، لأنه يؤذي إخوانه بلسانه وبيده، ويكفي قوله ﷺ: { الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ }٨٠ فكأن الذي يؤذي المسلمين بلسانه بسبّ أو شتم أو تعريض أو توبيخ أو هجاء، بيده أو بشكاية أو إذاية أو نكاية أو مقالة، هؤلاء جميعاً إسلامهم فيه نقص ويحتاجون إلى التوبة النصوح، وإلى السماح ممن تعرضوا لإيذائه، حتى يتوب الله عليهم، ويجعلهم من عباده المسلمين وقد قال ﷺ مُعرِّفاً المسلم في نظره وفي نظر دينه وفي نظر الله ﷻ:{لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشَ وَلاَ الْبَذِيءَ}٨١ فهذه الكلمات محذوفة من قاموس ألفاظ المسلمين، غير مكتوبة في لوحات وسجلات الموحِّدين ...

المؤمن أيها المؤمنون والمؤمنات ... لا يسب حتى ولو كان حيواناً، ولا يُعيِّر إنساناً حتى ولو كان جباناً بجبنه، ولو كان به عيب يعيبه، لأن المؤمن لا ينتهك حُرْمَةْ إخوانه المسلمين، فقد كان سائراً ﷺ ورجلاً من إخوانه يركب بعيراً، فلعن بعيره، فما كان منه ﷺ إلا أن أمره ألا يمشي معهم على بعير ملعون!، قال الرجل: فماذا أفعل يا رسول الله؟ فأشار ﷺ أن يتركه يذهب حيث يشاء وقال:{ يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ }٨٢ فأمره تكفيراً لذنبه أن يتنازل عن ملكيته للبعير، ويتركه طليقاً في أرض الله ... لماذا؟

---

٨٠ البخاري والطبراني وأحمد عن عبد الله بن عمر ومسلم عن جابر.
٨١ رواه الترمذي والحاكم والدار قطنى عن ابن مسعود.
٨٢ رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين.

حتى يلقن أصحابه درساً ألا يسبوا أحداً ولا يلعنوا شيئاً، وقال ﷺ عن ربه لمن يسب الأيام، ويسب الدهر، ويسب الشهور والسنين، يقول الله تعالى: { **لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فأَنَا الدَّهْرُ، ألايَّامُ وَاللَّيَالِي لِي أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ** }٨٣ فجعل المسلم نطقه حكماً، وكلامه حلماً، وخلقه جمالاً ومعاملته كمالاً.

فالمؤمن لا يفكر بعقله في مؤامرة شنيعة، ولا في حيلة بارعة تؤذي الآخرين، وإنما يفكر في الخير، ويفعل الخير، ويحض على عمل البر.

هذا هو خلق الإسلام، وهذا هو دين الإسلام، الذي نحتفل بذكرى مبادئه في هذه الأيام فما أحرانا أن نقدم هذه المبادئ للأمم، ولا نقدمها بأقلامنا، ولا نقدمها بكتبنا، ولا نقدمها بإذاعاتنا، ولا نقدمها حتى على الانترنت، لأنهم يقيسون بسلوكنا، علينا أن نترجمها إلى سلوك عملي، سلوك محمدي، سلوك قرآني، نسعد به في أنفسنا، ونسعد به في مجتمعاتنا، ونقدم الخير به للعالم قال ﷺ: { **أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، أولها خَيْرٌ وآخِرُهَا خَيْرٌ وبَيْنِهُمَا كَدَرٌ** }٨٤.. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أكرمنا بالهدى والنور واليقين، وجعلنا من عباده المسلمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالخير في كل وقت وحين، وحضنا على البر في أنفسنا ومع أهلنا والآخرين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أول من أظهر الأخلاق الكريمة للعالمين، وأول من أظهر البشر والسرور للخلق أجمعين، وكان ﷺ رحمة مهداة للإنس والجن، والكائنات كلها بسر رحمة الله التي أنزلها الله عليه في كتابه المبين اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد... فيا عباد الله جماعة المؤمنين، نحن في حاجة إلى الأمم الحديثة نستورد منها مستجدات العصر من تكنولوجيا الاتصالات، وما استحدث في عالم السفر والمواصلات، وما ظهر في عالم الطب والمعلومات، ولكن اعلموا علم اليقين أن عندنا أغلى تكنولوجيا في الوجود يحتاج إليها العالم أجمع، ولا صلاح للعالم إلا بها.

لا صلاح له بتكنولوجيا صناعية، ولا بتنبؤات مستقبلية، ولا بغزوات فضائية، ولكن صلاح العالم بالأخلاق القرآنية، والقيم الإسلامية، والمبادئ النبوية، وهي التكنولوجيا الراقية

---

٨٣ رواه مسلم عن أبي هريرة.
٨٤ رواه ابن عساكر عن عمر بن عثمان.

التي لم يجدوها إلا عندكم جماعة المؤمنين، فتكنولوجيا الغرب والشرق تعلمهم الأثرة، وتعلمهم الأنانية، وتعلمهم التنافس والصراع، وتعلمهم العمل على إنشاء الصراعات والحروب ليروجوا أسلحتهم، ويبيعوا بضاعتهم ....

أما الأخلاق القرآنية، أخلاقكم الإسلامية من الحب والود والإيثار والإحسان، والرحمة واللين، والعفو والصفح والتسامح وما لا نهاية له من الأخلاق الكريمة هذه تكنولوجيا العالم كله يحتاج إليها، ولم يجدها إلا في كتركم القرآن الكريم، ولم يجدها إلا في معرضكم إذا تجملتم بها فأنتم معارض القيم الإلهية، وأنتم فترينات الأخلاق النبوية، وأنتم أسواق التعاملات السهلة السمحة الودية، والبشرية كلها تحتاج إلى من يترع الأحقاد، ويترع الشرور، ويزيل فتيل البارود الذي في الصدور، ولن يكون ذلك إلا في نور الله، وفي نور كتاب الله، وفي نور رسول الله ﷺ .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية عشرة[85]

الرسول ﷺ والأخلاق الفاضلة

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ على أن اختارنا لهذا الدين، وملأ قلوبنا بالحب والصدق واليقين، وجعلنا من أتباع سيد الأولين والآخرين، سبحانه سبحانه! يعطي بلا علَّة، ويمنع بلا سبب، ولا راد لفضله ولا مُعقّب لحكمه، لأنه ﷻ له الملك، وله الأمر، وله الحكم، وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق، وقدَّر الأقدار، وبيَّن التمايز والتفاوت بين الجميع في المقدار، وجعل الإنسان أعلى مخلوقاته، وأشرف كائناته، ففضَّله على جميع العالمين، وكرَّمه على جميع الكائنات. سر قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٧٠الإسراء)، اللهم لك الحمد على ما فضلتنا على كائناتك، ونسألك أن تُعلي قدرنا يوم لقائك، وتجعلنا من أهل السعادة يوم جزائك، وألاَّ تُشْمت بنا في الدنيا أعدائنا وأعدائك يا ربَّ العالمين ...... الهم آمين آمين ....

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيِّه من خلقه وخليله، اختاره الله ﷻ

---

٨٥ خطبة جمعة بمسجد الغفران ببور سعيد ٢ ربيع الأول ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣/٨/٢٠م في الاحتفال بذكرى الشيخ محمد علي سلامة ؓ.

لكرامته، وأنزل عليه رسالته، وكلَّفه بالتبليغ، وقام له ﷺ بالمعونة والتوفيق، فاهتدى به كل رفيق، وسار على دربه كل من هو من النار عتيق، وارتقى إلى أفقه الأعلى أهل القرب والتصديق.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله أهل الصدق اليقين وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وكل من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنته إلى يوم الدين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد...فيا إخواني ويا أحبابي ونحن في أيام شهر ربيع الأول، علينا جميعاً أن نقف لحظة مع أنفسنا نتدبر فيها بعض فضل الله علينا ببعثة رسول الله ﷺ.

لقد بُعث ﷺ والعوالم كلها في الأرض في غاية الهمجية كأهم وحوش ترعى في البرية، يأكل قويِّهم ضعيفهم، ولا يعترف كبيرهم بمدى ضعف صغيرهم فيرحمه يقتتلون على أتفه الأسباب، تقوم الحرب بين القبائل لمدة تزيد عن أربعين عاماً، من أجل أن فرساً من هذه القبيلة سبق فرساً لهذه القبيلة، ما هذه العقول؟!

تنشأ الحرب لأن هذه القبيلة تريد أن تسيطر وحدها على الماء، ولا تسقي عباد الله الظماء من الماء، مع ان الماء نازل من الله، وقد كفله لجميع عباد الله.

حتى الأمم التي تظاهرت بالمدنية في هذا الزمان، وهم الفرس والرومان، وكانتا أعظم دولتين في ذلك الوقت، مع ما أبدعوه من المدنيَّة والحضارة، فلم يكن هناك أي مبدأ للمساواة، ولا أي حد ولو أدنى للعدالة، ولا أي نصيب ولو قليل للفضائل التي بها يتميز الإنسان عن عالم الحيوان، بل إن عالم الحيوان لو بحثنا فيه نجد فيه فضائل يتعجب منها الإنسان اللبيب الفصيح، فهذه الكلاب مع خسَّتها ومع دنائتها لو مات كلب منها – مع أنها تأكل الجيف وتسارع وتتقاتل من أجل أكل لحوم الجيف – إلا أنها لا تأكل لحم كلب مثلها، احتراماً لجنسها، واحتراماً لحقوق بني جنسها، فإذا رأوْا كلباً ملقى في الطريق يشمونه ولا يأكلون منه، ويتركونه احتراماً لجنسيتهم.

وهذه الجمال لا تأتي ذكورها إناثها إلا إذا تغطَّت عن أعين الناظرين حياءاً من هذا الفعل – وكأن الله ﷻ أمرها بالستر حتى لا يراها المستهترون من الإنس الذين هبطوا عن درجة الحيوانية التي تراعيها الجمال عندما تهمّ ذكورها بإناثها – فضائل كثيرة وكثيرة لا نستطيع عدَّها في هذا الوقت القصير لهذه الحيوانات.

فما بالكم بعوالم الطيور، إن ابن آدم عندما قتل أخاه حمله على ظهره أياماً طويلة، وقد احتار في أمره، ماذا يفعل نحوه؟ حتى علَّمه الله على يد الطير فرأى غراباً قد مات، وهبط

غراباً آخر حنوناً عليه لأنه من بني جنسه، وحفر له حفرة وألقاه فيها وسوَّى عليه بالتراب، فقال كما أنبأنا الله: ﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ (٣١المائدة)، فكأن الذي لا يستر سوءة أخيه أذلَّ من الغراب، وأهبط من درجة الغراب، والذي يأكل لحم أخيه بالغيبة والنميمة أخسَّ من معدن الكلاب، ومن فصيلة الكلاب وهكذا الأمر يا جماعة المؤمنين.

بعث هذا النبي في وسط غابة من الحيوانات المتوحشة في صورة آدمية، بعضهم يعبدون الطاغوت وبعضهم يعبدون أشخاصاً نصبوهم ملوكاً أو رؤساء، وبعضهم يعبدون البقر وبعضهم يعبدون الحجر، وبعضهم يعبدون وثناً صنعوه من الشجر، وبعضهم يعبدون صنماً صنعوه مما تشتهي أنفسهم، فإذا جاعوا أكلوه، وصنعوا عند الميسرة صنماً آخر يعبدوه.

بعث هذا النبي الكريم فرد للإنسان كرامته، وعرف الإنسان على جميع حالته، وعرفه بالفضل العظيم الذي أولاه له المولى الكريم ﷻ . فعرف الإنسان أنه هو المقصود من الأكوان، لأن الله خلق كل شئ في الدنيا لبني الإنسان، فسخر الشمس لنا، وسخر البحار لنا، وسخر الطير والحيوانات لنا وسخر الأشجار والنباتات لنا، وسخر لنا ملائكة السماء، منهم من يحفظوننا، ومنهم من يجلبونا أرزاقنا، ومنهم من يهيئون في الجنة مكاننا، ومنهم من يستغفرون لنا، ومنهم من يدعون الله لرفع البلاء عنا، ومنهم ومنهم .... وكلهم مسخر للإنسان، والإنسان مُسخَّر للديان ﷻ.

فعلَّم الإنسان، وأنبأ الإنسان أنه خُلق لحضرة الواحد الديَّان، فلا يعبد سواه، ولا يخضع ولا يحني جبهته إلا لله، حتى دخل الرجل الفقير المسلم على قيصر ملك الروم، وأراد حاشيته أن يعلموه كيفية الدخول على الملك، فقالوا له: إذا دخلت عليه فاسجد بين يديه، ولا تقم من سجدتك حتى ينادي عليك ويقول لك قم، فقال: هذا ليس في ديننا، لأن الله ﷻ أعزَّنا حتى لا تسجد جباهنا لسواه، وبعد مداولات احتاروا ماذا يفعلون؟ فتفتقت عبقريتهم بأن أتوا بصانع ماهر على جناح السرعة، وأمروه بأن يصنع باباً صغيراً لا يدخل منه الداخل إلا بعد انحناء ظهره، كل ذلك خوفاً من مليكهم مع إنه عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً إلا بإذن الله ﷻ وأمره، لكن المسلم الذي أعزَّه الله بدين الله ألهمه الله في الحال ما به يظل عزيزاً بين الناس حتى ولو دخل على ملوك الأرض، ماذا يفعل؟

جلس على إليتيه ومَدَّ رجليه وفخذيه وجعل قدماه في وجه الملك حتى لا يسجد إلا للحي الذي لا يموت ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون)، هذه العزيمة الإيمانية

تعلموها على يد رسول الله ﷺ فتخلقوا بالعفَّة التي جعلت حياهم آمنة مطمئنة، لا يخافون وإن خاف الناس، ولا يرتاعون وإن ارتاع الناس، لأنهم يلقون حاجاهم وأشيائهم بين الناس، ويعتقدون أن الله ﷻ يتولى عنهم جميع شئونهم، ويحفظهم من أعدائهم، فكانوا ينامون ولا يغلّقون الأبواب إلا غلقاً خفيفاً اقتداء بسنة رسول الله ﷺ هذه العفة هي التي جعلت الرجل منهم يشتري من التاجر وهو مطمئن البال إلى أنه سيحصل على حقه بلا حَيْف أو جَوْر لأن التاجر لا يأخذ إلا الرزق الحلال.

هذه العفة هي التي جعلت الرجل منهم يطمئن على زوجته وبناته وهو على جَبَهات القتال يحارب في سبيل الله، لأن الجميع يراقب الله، ويعلم أنه مُطَّلع عليه في سرِّه ونجواه، فلا يوجد يا إخواني قانون في دنيا الناس يُطْمئن الناس على أعراضهم وعلى أموالهم، في بيعهم وشرائهم في كل أرجاء مجتمعاهم إلا قانون المراقبة لمن يقول للشئ كن فيكون.

هذه المراقبة، مَنْ الذي علمها لهم؟

هو رسولكم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، حتى بلغ الأمر أن جند رسول الله ﷺ عندما دخلوا المدائن فاتحين ورأوا كنوز كسرى وهي لا حدّ لها ولا عدّ لها ولم يكن شيئاً قريباً منها أو يضاهيها، لم تغرَّهم ببريقها، ولم تخضعهم بوهجها، ولذلك عندما قال لهم قائدهم:

ليؤدي كل واحد منكم أمانته، أسرعوا إليه، وكل واحد أحضر بين يديه ما عثر عليه حتى الذي وجد مِخْيطاً (إبرة) أحضره وتعفَّف عن أخذه وألقاه بين يدي القائد، فكانت كنوزاً عجيبة وغريبة حملوها على ظهر الإبل ما يقرب من أربعة آلاف كيلومتر فكان أولها في المدينة المنورة وآخرها في بلاد فارس. فعندما وُجدت في مسجد رسول الله نظر إليها أصحاب رسول الله – وهم الحفاة العراة الذين لا يحصلون على ضرورة الحياة إلا بمشقة بالغة، ولم يسمعوا عن السندس والاستبرق إلا من رسول الله في كتاب الله – تعجبوا من هذه العفة الإيمانية التي تخلَّق بها جند الله فقال سيدنا عمر ﷺ: { إنّ أَقْوَامَاً أَدُّوا هذَا لَذَوُو أَمَانَةٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ } ٨٦

هذه الأخلاق وهذه القيم هي التي بها يكون الإنسان إنساناً، والتي بها يمتاز عن عالم الحيوان!! أما ما قد يحدث في عصرنا أن يفتخر الإنسان بأنه قد ضحك على أخيه فغشّه أو خدعه، أو اختال زوجته أو افترس ابنته في غيبته فتلك الأخلاق تعفّ عنها الحيوانات لأنها لا تهبط إلى هذه الدرجة الدانية.

---

٨٦ جامع المسانيد والمراسيل عن مخلد بن قيس العَجلي عن أبيهِ

فالإنسان حقيقة لا يكون إنساناً إلا بصدقه وأمانته ومروءته وأخلاقه الكريمة التي أخذها من كتاب الله، واهتدى فيها بهدى رسول الله ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق** }٨٧ وقال ﷺ: { **إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ** }٨٨.، .... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، انفرد بالنعوت الحسان والصفات الكاملة، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله سيد رسل الله، وصفوة خلق الله، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم لقاء الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا حسن اتباعه في الدنيا واجعلنا من أهل شفاعته في الآخرة يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي اعلموا علم اليقين أننا جميعاً مسافرون للدار الآخرة، وقد كان الذي يجعل الناس في كل زمان ومكان ولا يزالون للآن يقعون في الذنوب والعصيان، والجحود والنكران للحنان المنان هو نسيانهم يوم الحساب، ونسيانهم يوم العرض على الله، فلما جاء الإسلام وجاء نبي الإسلام علَّم الناس أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة دار مقر، وأننا في دار عمل لا حساب فيها، ومقبلون على دار يحاسبنا الله فيها على النّقير والقطمير، والقليل والكثير، فكان ذلك الذي دعاهم إلى ترك الغي والقبيح، والاتصاف بكل خلق جميل ومليح، صفتان أصلح بهما النبي ﷺ الزمان والمكان، ولا صلاح لأي زمان ولا لأي مكان إلا بهاتين الصفتين: الأولى أن يعلم الإنسان أن هناك إله يطلع على حركاته وسكناته، ويعلم خفيَّات صدره، ويسمع تمتمة لسانه، ويرى كل غَدْرة ينظرها بعينه، ويسمع كل لقطة ينطقها بلسانه، ويُنصت إلى خلجات قلبه وإلى حركات سرِّه، ويرى كل أفعال جوارحه وسيحاسبه على ذلك كله يوم لقائه.

إذا اعتقد الإنسان هذه العقيدة وعلم أنه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٧المجادلة) ، لو اعتقد هذه العقيدة ما طاوعته نفسه ولا

---

٨٧ أحمد والخرائطي وأبو يعلى واللفظ له عن أبي هريرة.
٨٨ الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان وأحمد عن أبي هريرة.

أطاع نفسه في عصيان الله ﷻ حتى أن الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه وهو في حَوْمة الوغى، وفي ميدان القتال، نازله فارس من الكفار ومكثا يتصارعان حتى كُسر سيفيهما، فأخذا يتصارعان بأيديهما حتى تمكن منه الإمام علي فحمله بيده وألقاه على ظهره وبرك فوقه وأخرج خِنْجره ليقضي عليه، وإذا الرجل يتفل في وجهه، فما كان من الإمام علي إلا أن تركه وقام، فتعجب الرجل وقال له: لم تركتني بعد أن تمكنت منِّي؟ فقال له ﷺ: كنت أقاتلك لله ﷻ أرجو رضاه، وأبغي ثوابه، فلما تفلت في وجهي خفت أن اقتلك انتقاماً لنفسي فأحرم رضاء الله ﷻ. فقال الرجل: وهل تراقبون الله في تلك المواطن؟ فقال ﷺ: وفي أدقَّ منها.

فالإنسان الذي يراقب الله في أعداء الله، يراقب الله في الأرزاق، حتى أن بعضهم من شدة مراقبته لله كان ينبض عرق من يده عندما تمتد يده للحرام حتى سُمِّي بالمحاسبي، لأنه يحاسب نفسه إذا امتدت للحرام خوفاً من الملك العلام ﷻ .... هذه هي الدرجة العليا التي بها صلاح الزمان والمكان في أي زمان ومكان يا أيها الأخوة المؤمنون والدرجة الأدنى منها أن يعتقد الإنسان تمام الاعتقاد أنه سيموت، وبعد موته سيبعث ويحاسب على كل شئ.

فيا أخي المؤمن علّم نفسك، ودرّب نفسك، ووطّن نفسك، وعلّم زوجك وأولادك ومن تعولهم أن يراقبوا الله، وأن يعتقدوا فيما بعد الموت أن هناك حشر ونشر، وحساب يسير على المؤمنين، عسير على الجاحدين والكافرين، وأن هناك حياة أبدية لا نهاية لها، إما في نعيم مقيم، وإما في عذاب مهين، بهذين الخصلتين تنصلح أحوالنا، وينصلح مجتمعنا، لأن الله وحده، هو الذي بيده صلاح الحال وحده .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة عشرة[٨٩]

محمد ﷺ المثل الأعلى

الحمد لله ربِّ العالمين أكرم عباده المؤمنين بحسن اتباع سيد المرسلين.

وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، أرسل حبيبه ومصطفاه قدوة للعالم أجمع فيما يحبه ويرضاه، وهو ﷺ المثل الأعلى الذي خلقه الله، وشرع عليه كل ما يحبه ويرضاه من العبادات الخالصة والمعاملات الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والعقيدة الحقة ..... سبحانه

---

٨٩ خطبة بسرابيوم بالإسماعيلية ١٩٩٠م حول معنى قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٢١الأحزاب].

سبحانه! كان ولا شئ معه، كان ولا زمان ولا أفلاك ولا أكوان، بل ولا أثر لأي مخلوق من بني الإنسان، أو الأنس أو الجان، ثم أحب ﷻ أن يعرف بصفاته وأسمائه العلية، وأخلاقه الكريمة الربانية، فخلق الخلق ليعرفوه، وبحبيبه ﷺ عرفوه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه من خلقه، وخيرته من بريته .... اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم صلاة تنفعنا بها في دنيانا وفي آخرتنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الأخوة المؤمنون، استمعنا قبل الصلاة لآيات من كتاب ربنا من سورة الأحزاب، وهي سورة شاملة جامعة، جمع الله ﷻ فيها أخلاق المؤمنين، وصفات المتقين، كما جمع الله ﷻ فيها وظائف سيد المرسلين، وما كلفه الله به من أحكام هذا الدين.

جمع الله جل وعلا لنا هذه السورة الكبيرة في آية واحدة افتتح بها القارئ قراءته وهي قول الله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) ..... هذه الآية على صغرها تحتوي على ما في السورة كلها من علوم نافعة ومن أخلاق كريمة، ومن عقيدة حقة، ومن أسوة فاضلة، بل تحتوي على خلاصة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم على علوه وفضله، ما جاء لنا، وما أنزله علينا ربنا إلا ليعلمنا فيه كيف نقتدي برسول الله؟ وكيف نتشبه به؟ وحقيقة التأسي به.

بل إن أحاديث رسول الله ﷺ مع علو بيانها، ومع رفعة شأنها جاءت موضحة للطريقة الصحيحة لمتابعة رسول الله، لأن متابعته ﷺ سر النجاح لنا في دنيانا وفي أخرانا، وسر رضا الله جل وعلا عنا، فلن ننال رضا الله إلا بحسن متابعة رسول الله، ولن ننال ما نرجوه عند الله في الدين والدنيا والآخرة إلا إذا كنا قريبين من رسول الله في صفاته، قريبين منه في أخلاقه، قريبين منه في عبادته، متشبهين به في معاملاته، بل إن الأمر يوم القيامة يوزن بما كان يعمله رسول الله، فصلاة المؤمنين توزن بصلاة رسول الله، فكلما اشتد شبه الصلاة من أحدنا بصلاة رسول الله في ركوعها وسجودها وفي خشوعها كان قريباً من رسول الله في الجنة وكان بجواره في ظل العرش وكان من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وكلما تشبه الإنسان على قدر استطاعته برسول الله في حياته، كلما نال من الله إنعامه وفضله وكان مع رسول الله في درجة واحدة، عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: { جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً

وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ }٩٠.

ولذلك خاطبكم ربكم، وقال لكم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ قدوة سليمة وحكيمة وعظيمة ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ أي من كان يريد الله ورضاء الله، وفرج الله، وفضل الله، وكرم الله، وعطف الله، ومحبة الله، وود الله، فعليه بالتشبه برسول الله ﷺ، عليه أن يجعل نصب عينيه صورة رسول الله المعنوية أمامه يقتدي بفعاله، ويتشبه بخصاله ورسول الله ﷺ ليس هو الجسم الذي كان يعيش في دنيا الناس ولكنه الأوصاف التي سئلت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها فقيل لها يا أم المؤمنين ما كان خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما تقرأ القرآن! { كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن }٩١، فمجموعة الأخلاق الفاضلة لم تظهر في الوجود إلا على هذا الرءوف الرحيم الحريص على المؤمنين، والفرد الكامل في الأخلاق والشيم والجمالات لرب العالمين فلم يظهر التواضع على حقيقته ولا الرحمة بتمامها، ولا الكرم والزهد والورع والصدق والوفاء والمروءة والشهامة والشجاعة والخشوع والمسكنة بين يدي الله، والتواضع لله، والذل لله والانتصار لله، لم تظهر هذه الصفات بكمال هيئاتها وبحقيقة حالها إلا على هذا الرسول الكريم.

ولذلك عندما تحلى بالمثل الأعلى في الصفات الربانية والأخلاق القرآنية والمعاملات الطيبة النبوية أعطاه الله أعلى وسام في الوجود لم يحصل عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل قال الله تعالى فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (القلم). فهو صاحب الخلق العظيم، والمقام الكريم. فعلينا معشر المؤمنين كما خاطبنا رب العالمين أن نتأسى به في كل حركاته وسكناته منذ ساعة قيامنا من النوم إلى ساعة أن نضع جنبنا للنوم.

فإذا قمنا من النوم نقوم كما كان يقوم، ونقول كما كان يقول، فنقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النشور) ثم نفعل مثلما كان يفعل، فنتوضأ مثلما كان يتوضأ، وندخل الخلاء مثلما كان يدخل، ونخرج منه مثلما كان يخرج، ثم نصلي كما كان يصلي وهكذا فنأكل مثلما كان يأكل، ونشرب مثلما كان يشرب، ونلبس مثلما كان يلبس،

---

٩٠ صحيح البخاري.
٩١ رواه ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي والنسائي والحاكم.

ونمشي مثلما كان يمشي، ونجلس مثلما كان يجلس، بل نتكلم مثلما كان يتكلم، ونعامل الناس كما كان يعامل الخلق، ونمشي في دنيانا سعياً إلى المعاش كما كان هديه في السعي على المعاش ونتفكر في خلق الله كما كان يتفكر. فإذا كنا كذلك – وأظن هذا سهلاً علينا معشر المؤمنين – أعطانا الله البشارة، ووهبنا الفضل العظيم الذي أعده الله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.

قال ﷺ: { كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى! قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد أَبَى) }٩٢، وقال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }٩٣.

ادعوا الله يستجب لكم، واستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صفوة المقربين، ونبراس الصالحين، وأسوة المرسلين والرحمة العظمى للخلق أجمعين وآله الطيبين وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد... فيا إخواني في الله، ويا أحبابي في رسول الله ﷺ.

زين أعداء الله في عصرنا هذا لشبابنا ولنسائنا ولفتياتنا مخالفة سنة رسول الله بدعوة أن التحلي بمتابعة رسول الله تخلف ورجعية، وأغروهم أن يتشبهوا بهم في زيهم وتغيير أشكالهم وصبغ وجوههم، وتغيير هيئاتهم التي اختارها الله تعالى لهم وصورها لهم فأحسن صورهم وحضوهم أن يتخلوا عن طريقة رسول الله في المأكل والملبس والمشرب والمنكح، ويتشبهوا بالكفار المغرورين في طريقة تناول الطعام، وكيفية لبس الزي، ويقلدونهم في حياتهم وأخلاقهم وبيوتهم. وكان هذا من غفلتنا عن ديننا ونسياننا لسنة رسولنا، فانتبهوا أيها المسلمون، واحذروا هذه الفتن، وارجعوا مسرعين إلى سنة رسول الله ﷺ حتى يحقق لنا الله ما نرجوه ونصبوا إليه في هذه الحياة، فالحياة كما قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة) فالدنيا ساعة تمر على الإنسان ولا يعلم فيها نهايته، فربما تأتيه نهايته وهو يمشي في الطريق، أو وهو جالس وسط أولاده بل ربما يضع اللقمة في فيه ولا يمضغها وربما يرفع

٩٢ رواه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة.
٩٣ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الشربة إلى فمه فيقبضه ملك الموت ولا يذوقها، وربما يرفع رجله ولا يضعها، وربما ينـام ولا يقوم أبداً إلا بعد نفخة الفزع الأكبر.

حياتك يا أيها الإنسان في قبضة الرحمن فاغتنم هذه الساعات والأوقات وكن متـشبهاً برسول الله في أحواله، وأنت الإمام لأهل بيتك فخذهم معك في المسيرة، زوجتـك وأولادك فقد ألقى عليك رسول الله ﷺ المسئولية وقـال ﷺ: { كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } ٩٤، فكما أنك مسئول عن طعامهم، ومسئول عن شرابهم، ومسئول عن مسكنهم، ومسئول عن تعليمهم، ومسئول عن كل أحوالهم، فأنت أمام الله مسئول عن دينهم وقد قال لك الله في محكم الـذكر: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١٣٢طه).

فإذا ما كنت بين يدي الله فيسألك عن الدين، ماذا علمت منه لأولادك؟ وماذا حفظت منه لبناتك وبنيك؟ وماذا أقمت منه في بيتك؟ وماذا ورثته لأسرتك؟ فهذا دين الله الذي ورثه الله لنا في هذه الحياة وأمرنا أن نورثه للذرية حتى نكـون كمـا قـال الله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (٢١الطـور)، فنكون جميعاً في معية رسول الله، وفي دار رضوان الله أحياء عند ربهم يرزقون، ثم الدعاء.

الخطبة الرابعة عشرة[٩٥]

الموازين الإلهية لإصلاح البشرية

الحمد لله ربِّ العالمين .... أرسل رسوله وحبيبه ومصطفاه ﷺ بالهدى ودين الحـق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحق الحق ويبطـل الباطـل ولـو كـره المجرمون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بعثه الله ﷻ على فترة من الرسل فأقام به الملة العوجاء ونشر به الديانة السمحاء وأحيا به بعد جهالة وجمع بـه بعد فرقة وأعز به أهل الإيمان بعد ذلة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد طب القلوب ودوائهـا وعافيـة الأبـدان

---

٩٤ رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عمر.
٩٥ كانت هذه الخطبة بمسجد الإيمان بكفر الشيخ يوم الجمعة ٢ من ربيع الأول ١٤١٩ هجرية الموافق ١٩٩٨/٦/٢٦م.

وشفائها ونور الأبصار وضيائها وتجلي الأرواح وسرها وسعادة المؤمنين يوم الدين ونورهم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون. ونحن في بداية شهر ربيع الأول شهر ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ نقف لحظة نذكر فيها بعض فضل هذا الرجل العظيم علينا وعلى الإنسانية والبشرية جمعاء ونقول له يا سيدي يا رسول الله العالم كله الآن في أشد الشوق والانتظار لمثلك ومبادئك لينصلح حاله ويسود السلام بين ربوعه وتحيا المودة والمعاونة والتعاون في نفوس عارفيه فقد أتى ﷺ للبشرية جمعاء بما يحفظ توازنها ويجعل للإنسان الكرامة العليا في الدنيا تطبيقاً لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٧٠الإسراء) ...

إخواني الكرام .... لن يكون هناك تكريم للإنسان في بلادنا أو في أي أمة من أمم الأرض إلا إذا كان هناك تعاليم تصلح بني الإنسان من سيد ولد عدنان ﷺ. فقد جاء بالموازين الإلهية التي بها حياة المرء حياة كريمة في نفسه آمنة بين جيرانه وأهله سلاماً ومودة بينه وبين الناس أجمعين فقد جاء بحضارة تحتاج إليها البشرية في كل وقت وحين ولا غنى لها عنها لمن تجاوزوا الفضاء وإن ملكوا نواصي الأمور وإن زادت الاختراعات في كل يوم عن مليار اختراع لا يضبطها ولا يقننها ولا يجعلها فيها سعادة للإنسان وتكريم للإنسان إلا إذا ضبطت بموازين القرآن التي جاء بها النبي العدنان ﷺ فقد دارت تعاليمه السمحاء وشريعته الغراء على حفظ الإنسانية وتكريم الآدمية وجعلت أسسها حفظ عقل الإنسان لأن مترلته عالية عن سائر الحيوانات وحفظ نفسه حتى يظل سيداً في نفسه على العالمين وحفظ فرجه حتى لا تختلط الأنساب وتدوم الفروع والأصول بين الناس على ما أنزلها رب الناس ﷻ وحفظ الأديان وحفظ الأبدان ﷺ لم يضع حظراً على شئ تخرجه الأرض إلا إذا كان يتجاوز هذه الحدود فما أخرجته الأرض وفيه بغي على عقل الإنسان أو طغيان على صحة الأبدان أو فيه تفريط ومنازعة بين بني الإنسان حرمه النبي العدنان ﷺ ...

وكذلك كل ما نكتشفه من علوم ونخترعه من أدوات لا حرج فيها ما دامت تمشي على ضوابط الإسلام فلم يحرم الأسلحة الحربية بل نادى بتطويرها وقال الله ﷻ لنا في شأنها ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٦٠الأنفال). ولكن ما هي أخلاق من يمسك بهذه القوة هذا هو المهم لا يقتل امرأة ولا صبي ولا عجوز ولا عابد في صومعته ولا يعتدي على أهل بلد إلا إذا بدءوه بالاعتداء فإذا أعلنوا الحرب لم يباغتوهم ولم يخونوهم ولم يخادعوهم بل لا يبدءون الحرب عليهم إلا إذا أعلموهم ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ – لابد من الإعلان أولاً – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٥٨الأنفال) ، وهذا السلاح لا يرهب به أحداً بل الكل يعيش

في نعمة الواحد الأحد الفرد الصمد إذا كان الجند على هذه الأخلاق الإيمانية.

لم يحرم الإنسان من النكاح والمتع ولكن قنن الدوافع والغرائز ليحفظ عليه صحته وليجعل نسله قوياً وعلى خلق ودين وعفاف وتقى فقال لنا وهو الذي يعلم عاقبة أمرنا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣٢الإسراء).

أما الإنسان اليوم فيقدم مخترعات ولكن ليس لها ضوابط من الفضيلة ولا حدود من القيم فتفتح أبواب الرذيلة على مصراعيها بدون قيد إلا إذا بحثوا ودرسوا ووجدوا أن هذه الرذيلة يعقبها شر للبشرية .... فلا يحددون الاتصال الجنسي إلا إذا علموا إنه يعقب هذا الاتصال غير المقنن طاعون الإيدز الذي يهدم البشرية ....

لكن نبي الإنسانية جاءنا بالأمر الجازم الذي فيه نفعنا والذي فيه تكريمنا والذي فيه سلامنا وأمننا والذي نعيش فيه أجمعين أخوة متآلفين متحابين، هل تصدق البشرية أن نبي الإنسانية ﷺ يعلم أن أهل مكة وهم على الكفر أصابهم قحط ولم يكونوا يجدون الطعام فجهز إليهم مائة بعير محملة بالطعام ومعها صرة فيها خمسمائة دينار ليعينهم على الخروج من هذه الورطة ولا يشترط عليهم مقابل ذلك على الأقل أن يمتنعوا عن حربه أو ألا يعاونوا أعدائه لأنه يعطيهم لله كما أملى عليه الله وكما أمره الدين الذي أنزله الله، فقد ورد في الأثر: { من أحيا نفساً أحياه الله يوم القيامة ووقاه من عذاب جهنم } .

كلنا والحمد لله نستخدم أدوات ومخترعات العلم الحديث من تليفزيون ومن فيديو ومن ثلاجة ومن كمبيوتر ومن غيرها لكننا لن ننجو ولن ينصلح حالنا إلا إذا قيدنا استخدامها بالضوابط الإسلامية والتشريعات المحمدية وهي وحدها التي فيها سعادة الآدمية.

فلو ملك الإنسان فينا مال الوجود .. وصار له برج عال مشيد فيه كل ما لذ وطاب! أعلاه طائرة مستقلة له! وأسفله طابور من السيارات الفارهة المخصصة ! .. له هل يستغني عمن حوله من الناس؟ كلا وألف كلا. فإذا كان يحتاج إلى الناس فيحتاج معهم إلى الأمان وإلى الصدق وإلى المروءة وإلى عدم النفاق وإلى عدم الكذب وإلى عدم الغش وإلى عدم الخيانة وهي البضاعة التي جاءت لنا مع العصر الحديث ... !!!

فقد صدروا إلينا التكنولوجيا العصرية لكنها مشروطة بشروط لا تبقى من فيه بقية من آدمية لأنها تجعل الإنسان أقل منزلة من الحيوانات وإن الحيوان وسبحان الله وعظمت قدرة الله ﷻ لا يأتي أنثاه إلا مرة واحدة لكي يتم حملها فإذا حملت قام هو بحفظها وحفظه الله ﷻ من الشهوة حتى يتم وضعها بل إن بعض الحيوانات لا تأتي أنثاها إلا إذا غطيناها ,الكثيرون يعرفون ذلك ... مثلاً ..

الجمل إذا أردنا أن يأتي ناقته لا يتم له هذا الأمر إلا إذا كان في مكان بعيد لا يراه الحاضرون أو وضعنا غطاءاً عليهما حتى لا يراهما الناظرون والحضارة الحديثة تجعل هذه الأمور يستنكفها أي إنسان عنده ولو ذرة من دين ... فهي تبيح للإنسان أن يأتي الفاحشة في أي مكان ولأي إنسانة ... فلا ترعى القرابة، ولا ترعى أن هذه الأم أو هذه الأخت أو هذه البنت لأنها حضارة لا تقيم للفضائل والقيم أمراً قليلاً ولا كثيراً !!!!

فهل يرضى بذلك بنو الإنسان حتى ولو كانوا على غير الأديان؟! إن ديك الدجاج لا يرضى لغريب أن ينزل على دجاجته التي تصاحبه وعنده غيرةٌ ولا تنزع الغيرة إلا من الخنزير أو من أكل لحم الخنزير ... وأسوق لكم قصة فى ذلك ...

سألوا في هذا الأمر الإمام محمد عبده عندما كان في فرنسا، لم تحرمون أنم المسلمون الخنزير؟ فأجاب مستشهداً بالأسباب العلمية والطبية، قالوا: ولكننا الآن نربيه بطريقة عصرية تعالَ انظر إلى مزارعنا يشرف عليها الأطباء البيطريون وكلهم محصنين ولا يدخل عليهم غذاء ولا دواء إلا بعد إجراء الاختبارات بطرق عديدة، فقال: أئتوني بخنزيرة أنثى ومعها ثلاثة خنازير في حالة شهوة، فجئ بهم فنزا عليها أحدهم، وأخذ الثاني والثالث يعاونانه على هذا الأمر، ولم يحدث عندهم غيرة !! ولم يصبهما ما يصيب غيرهم من الحيوانات من حب الذات والأثرة!! وقال رحمة الله عليه: بهذا حرم الله لحم الخنزير، لأن من أكل شيئاً أثر في جسمه وهيئته وطباعه وخلقه ،وإذا كان الإسلام حرم على المسلم أن يأكل الدجاجة التي تأكل الروث إلا بعد حبسها لمدة ثلاثة أيام يطعمها فيها صاحب المنزل أو صاحبته بأيديهم حتى يطهر جوفها وتتنقى معدتها من هذه القاذورات حرصاً على صحة الإنسان، فلو أكل شاة مريضة يزيد المرض، وكذلك لو أكل الخنزير يفقد الغيرة على حريمه وأنثاه لأنه انطوى فيه هذا الطبع الذي جعله الله فيما حرمه على جماعة المسلمين.

الحضارة الحديثة لا تبالي بالقيم والفضائل تخترع الدواء الذي فيه الشفاء ولكنها تدعو إلى تعجيل إزهاق روح الإنسان الذي طال مرضه ليتخلص من آلامه كما يزعمون ويتخلص منه من حوله كما يريدون وليس عندهم أدنى شئ يحاسبهم على قتل هذه النفس التي يقول الحبيب ﷺ في حقها: { **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**}٩٦ .

تفتح أبواب الاتصالات وتجعلها للتصنت على الآخرين والإسلام يأمر المؤمنين فيقول ﷺ: { **لاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا** }٩٧ ينهى عن التحسس وينهى عن التجسس ليعيش الناس

٩٦ رواه ابن ماجه عن البراء بن عازب
٩٧ رواه مسلم عن أبي هريرة

في آمان واطمئنان لدين جاء به خير ولد عدنان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ..

حتى أنه ﷺ قال: { مَن اطَّلَعَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعَ فِي النَّارِ }٩٨ وقال: { مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَؤُوا عَيْنَهُ }٩٩. وليس عليكم في أمره شئ إن حاسبتموه حسابا عسيراً !! لأنه يطلع عليهم بغير إذنهم !!

فيحفظ العورات ويحفظ الأعمار ويحفظ العقول ويحفظ الأخلاق ويحفظ القيم فيجعل الرجل يسافر سنيناً وهو مطمئن على أولاده وأهله لأن جيرانه مسلمين ويمشون على شرع الله ﷻ وعلى تعاليم هذا الدين فلا ينظر أحدهم إلى زوجة جاره، ولا يفكر في الاعتداء على ابنة جاره إسمعوا إليه ﷺ إذ يقول : { سَبْعَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ، يُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ - ومنهم -الضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ } ١٠٠.

ولا ينظر أحدهم إلى شئ من الرزق أعطاه الله إلى جاره ولو كان لا يجد لقمة عيش لأن هذا دين أحيا الله به الفضائل وأمات الله ﷻ به الرذائل ولا غنى لنا في حياتنا إن شئنا السعادة إلا بأوامر الله وبقيم دين الله وبأخلاق رسول الله ﷺ ....

هذه الأخلاق وتلك القيم هى التي هدمها وقضى عليها الغرب بسعاره المادي وتكالبه على متاع هذه الحياة فأصبح ديدن المرء عندهم الحصول على المتعة بأي طريقة! وبأي كيفية من حلال أم من حرام! لا يهم، يريد الحصول على المال ليقضي به شهواته، ما الطريقة؟ لا يسأل نفسه عن الطريقة الشرعية والطريقة غير الشرعية لأن حبه للشئ أعماه وأصمه عن شرع الله وعن حديث رسول الله ﷺ فلقينا هذا العناء الآن في مجتمعنا وأصبحنا كلنا لا نثق في بعضنا لأن الغش انتشر بيننا سواء في التجارة أو في المباني أو في الطب أو في العلم أو في أي أمر من الأمور وكأن المسلم الذي يريد أن يصنع شيئاً في دنياه لابد أن يتعلم هذه الحرفة حتى يصير ضليعاً فيها، ويحرص الصانع عند قيامه بعملها حتى يتأكد إنه لم يغشها ...

أيها الحضور الكرام ألم يرحنا من ذلك كله دين الله بقول رسول الله عن أهل الله وعن أهل الإيمان بالله { مَنْ غَشَّ أُمَّتِي فَلَيْسَ مِنَّا }١٠١ ...

---

٩٨ رواه أبو داود عن ابن عباس.
٩٩ رواه مسلم والنسائي وأحمد عن أبي هريرة.
١٠٠ الحسن بن عرفة في جزئه ، جامع المسانيد والمراسيل عن أنس رضيَ اللَّهُ عنهُ
١٠١ رواه مسلم عن أبي هريرة.

يا حراس الفضيلة يا جماعة المؤمنين أنتم صناع أعظم حضارة تحتاج إليها الإنسانية فهي تحتاج منكم إلى الصدق في القول وإلى الصدق في المعاملة وإلى الإخلاص في الأداء وإلى التعامل ابتغاء وجه الله إلى أن يكون عمل البر طلباً لمرضاة الله وليس مشروطاً بشروط تضر صاحبه كما يصنع أعداء صناع هذه الحياة يأتي الإسلام لنا بما يجعل حياتنا أمناً وأمان يصور هذه الحقيقة بأجلى بيان نبينا فيقول فيها ﷺ للعالم كله:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ }١٠٢.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أنار قلوبنا بنور الإيمان وأحيا أجسامنا للعمل بشرائع القرآن ونسأله ﷻ أن يرزقنا اتباع النبي العدنان في كل أحوالنا وسكناتنا حتى نلقى الله ﷻ على الإيمان ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغير ولا يتغير ويحول ولا يتحول.

اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا الله ويا محول الأحوال حول حالنا وأحوال المسلمين أجمعين إلى أحسن حال يا الله.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله نبى الله ومصطفاه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... عباد الله جماعة المؤمنين إن أعداء الله وأعداء الدين ظلوا يقهروننا بالمخترعات والمكتشفات ويدعوننا إليها ويصفوننا بالتأخر والتخلف حتى جعلونا نفقد الثقة في أنفسنا والثقة في ديننا فنتخلى عن أخلاقنا التي بها قوام حياتنا لكي نرضي أعدائنا وأعداء الله ونتخلى عن قيمنا ومبادئنا التي بعثنا من أجلها وأحياناً الله طلباً لإحيائها وقال لنا في شأنها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (١١٠آل عمران). ولا زالوا بنا حتى كاد ينخفض صوت الأمر بالمعروف بل يجد من يعارضه فإذا وجدت رجلاً يغش وأردت أن تنصحه ربما يؤذيك وربما يضرك وتجد كل ما حوله يهاجمك

---

١٠٢ متفق عليه من حديث النعمان بن بشير.

وكأنك أنت الذي أتيت بالأمر المنكر، لأن الحياة تتطلب ذلك، ولأن الأرزاق لا تأتي وشماعات كثيرة يعلقونها بالباطل ليبيحوا لأنفسهم فعل الباطل.

يا عباد الله أنتم حراس الفضيلة في هذا الكون ....!!!

يكذب الناس أجمعون ولا يكذب المسلم لأن دينه دين الصدق ...

يخون الناس أجمعون ولا يخون المؤمن لأنه لا إيمان لمن لا أمانة له ....

يغش الناس أجمعون لكن المسلم لا يغش الآخرين ...

لا يحتاجون إلى جيرانهم لأنه عندهم من حاجات الدنيا ما يكفيهم ... لكن ديني يعلمني ويؤسسني على إني أحتاج إلى جاري ، وأحتاج إلى أبي وأحتاج إلى أمي، وأحتاج إلى ذوي رحمي، وأحتاج إلى إخواني المؤمنين.

إن لم أكن متحققا بحاجتى لهم فى الدنيا لأننى أرى أننى غنىٌ أو قوىٌ ... فأنا أحتاجهم للآخرة .... من الذى لن يحتاج لمن يصلى عليه عندما يموت ؟ أخبروني من ؟؟؟ ... أنا أحتاجهم ليصلوا علي يوم أموت و اسمعوا للصادق المصدوق ﷺ : { **مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ** }[١٠٣].

وأحتاج لهم يوم القيامة ... يوم العرض العظيم .... أنا أحتاج إلى شفاعتهم يوم الدين { **اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** }[١٠٤] والناجي منا يأخذ بيد أخيه ... ويا سعادة من يجد له أخاً يأخذ بيده ... ياسعادته وياهناه ....

ولكن أهل الغرب وأهل المادية ... قضوا على الروابط الأسرية لأنهم جعلوها معلقة بالروابط المادية وقضوا على العلاقات الاجتماعية لأنهم قصروها على الأشياء المادية لا يلقي السلام إلا لمن عنده له حاجة ولا يذهب لزيارة أحد إلا إذا كان عنده له مصلحة ....

لكن هذا ليس في ديننا فديننا يأمرنا بأن نصل أرحامنا ونبر أبائنا وأمهاتنا ونتضافر ونتعاون مع المؤمنين بني وطننا لأننا جميعاً في حاجة إلى بعضنا نتعاون لإخراج القيم الإسلامية إلى حيز التنفيذ في مجتمعنا ولا يستطيع واحد منا أن يقوم فيها بمفرده ونتعاون مع بعضنا عند الملمات وعند النوازل وعند الكوارث .....

يبحث أهل الشرور عندنا في كيفية لحل مشكلاتنا الاقتصادية ... يبحثون وقد حلها

١٠٣ صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عباس

١٠٤ رواه السيوطي في الجامع الصغير وابن النجار في تاريخه عن أنس.

الإسلام قبل ألف وأربعمائة عام هجرية في أمور يسيرة في الزكاة وفي الوقف الشرعي وفي الصدقات إذا تمت بالطريقة المرضية على أسس الشريعة الإسلامية عندنا حل لكل مشاكلنا على أن نقيم أو'مر الله ونحي شرع الله.

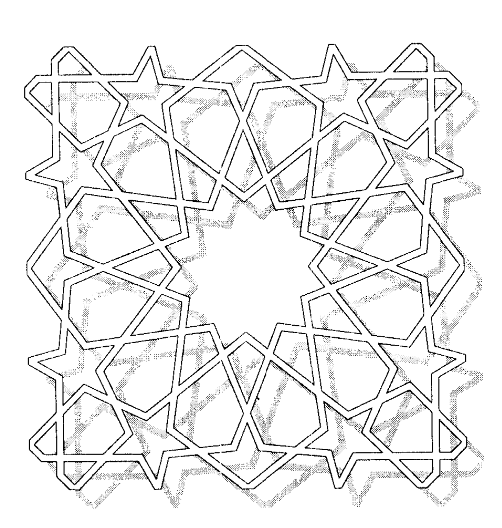
إن الله ﷻ جعل هذا الدين دين الحضارة الروحانية التي يحتاجها كل الوجود وكلهم في جفاف روحي يحتاجون إلى هذا الزاد، الحمد لله وفقنا الله لإحياء شعائر الإسلام فما أكثر المصلين وما أكثر الحجاج وما أكثر أهل البر ....

لكن اسمعوا عنه ﷺ إذ قيل له :

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةَ تُكْثِرُ مِنْ صَلاتِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِيَامِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ }١٠٥

فجعل الأساس الأول إحياء قيم الإنسان بالمودة وصلة الأرحام وبر الوالدين والتعاون بين المؤمنين، بمثل هذه الحضارة نسود العالم في الدنيا وتكون سعادتنا يوم الدين

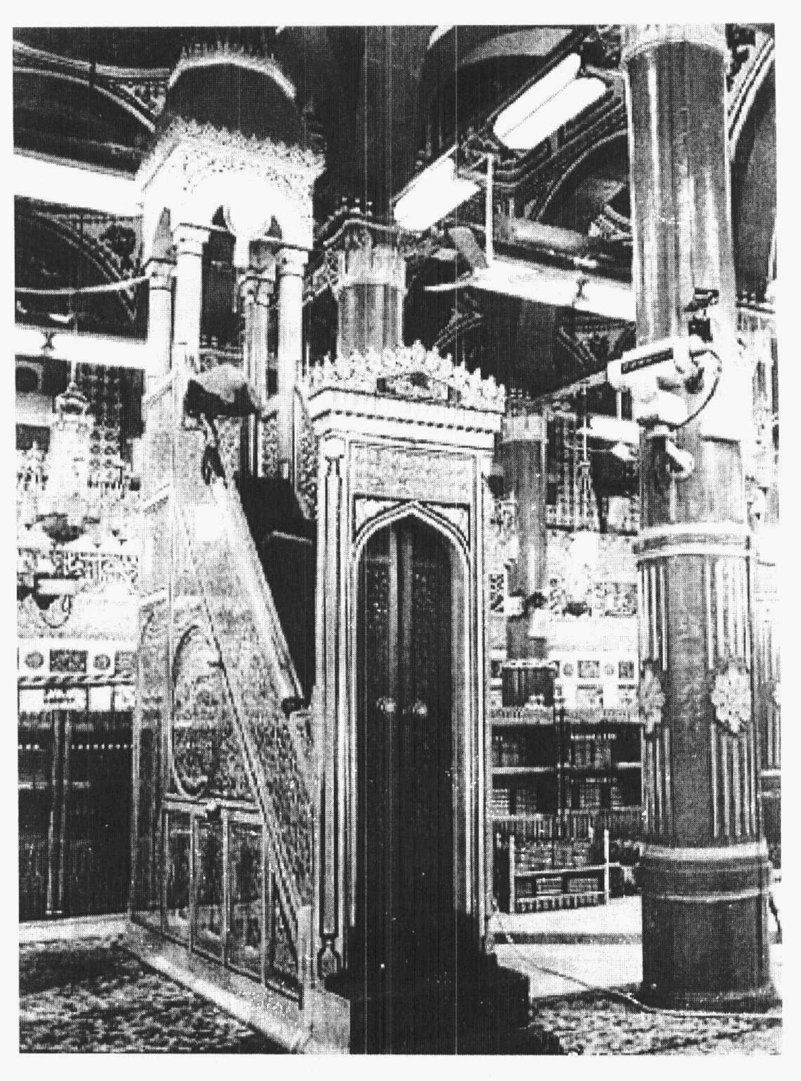
. << ثم الدعاء >>



١٠٥ رواه أحمد عن أبي هريرة

الباب الثالث

شهر رجب الأغرُّ والإسراء والمعراج



منبر المسجد النبوى بالمدينة المنورة

الخطبة الأولى[1]

أدب المؤمن في الأشهر الحرم

الحمد لله ربِّ العالمين ولي المؤمنين ومجيب السائلين. سبحانه سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي تنزَّه عن الوالدة والولد وعن الشريك والنظير والوزير والمشير ألقى الكلمات بقدرته وأوجدها بعظمته وسخرها بباهر حكمته وهو بعد ذلك لا يطلب من المرء إلا الشكر على نعمته ﷻ ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق السموات والأرض بقدرته وخلق الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه وأظهر فيه جماله العلي وبهائه السرمدي ليتعرف به ﷻ عليه وليهتدي بمصنوعاته في الأكوان إليه هذا الإله العلي القدير الذي خلق الخلائق والذي أبدع الكائنات والذي بيده الملك وبيده الملكوت هو الذي أسرى بحبيبه ومصطفاه ﷺ من الملك إلى الملكوت ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله اختاره الله لحضرته وخصه بنبوته ورفع قدره ومنزلته عنده حتى كان قاب قوسين أو أدنى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ﴾ (١٠، ١١النجم)، صلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم الذي وصفه مولاه ﷻ في القرآن الكريم بأنه ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

وبعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ....

ونحن في أول هذا الشهر الكريم شهر رجب نريد أن نتعرف على بعض المعاني التي أكرمنا الله ﷻ بها في هذه الأوقات فإن الله ﷻ هو الذي وقت المواقيت وحدد الأمكنة وبين الأزمنة، فضل بعض الأوقات على بعض، وخصَّ بعض الأمكنة بالفضل الذي لا يوجد في البعض. ففضل على الشهور شهر رمضان وبعده في الفضل رجب وشعبان وفضل على الأيام يوم عرفة وفضل على الليالي ليلة القدر وفضل على الأمم أمة الإسلام وفضل على الرسل رسولكم الكريم وكل ذلك يقول المولى فيه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤الجمعة).

لم اختص الله هذا الشهر بمزية دون ما سبقه من الشهور؟

---

[1] كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة فنارة محافظة الإسماعيلية يوم الجمعة الموافق ١٩٨٨/٣/٤م.

إن هذا الشهر كانت العرب حتى قبل الإسلام تخصه بالإحترام والتجلة والإكرام وكانوا يسمونه الشهر الحرام أي تحرم فيه المعاصي والذنوب والسيئات والآثام حتى كان الرجل العادي والجاهلي إذا قابل قاتل أخيه في شهر رجب يلفت وجهه إلى الجهة الأخرى ولا ينظر إليه بسوء احتراماً لحرمة هذا الشهر الكريم وإذا قابل من أساء إليه بقول أو فعل أو عمل تغاضى عنه أو تركه توقيراً وإحتراماً لهذا الشهر الكريم.

وجاء الأسلام وزادها توقيراً وتعظيماً وذلك في قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (٣٦التوبة)،فنهانا الله عن أن نظلم أنفسنا في هذه الأشهر الكريمة وهي الأشهر الحرم ومن ضمنها شهر رجب الأغر ..... وهنا سؤال ملح ...

وكيف يظلم الإنسان نفسه؟ إن ظلم الإنسان لنفسه عند الله وعند رسول الله وعند كتاب الله وعند العلماء بالله هو أن يتجاوز الإنسان حدود الله ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾(١الطلاق)، أي إن الإنسان الذي يتعدى أي يتجاوز الحدود التي أعدها الملك المعبود للمعاملات وللأخلاق وللعبادات وللكمالات الإلهية فقد عرض نفسه للظلم الكبير الذي لا ينفع فيه وزير ولا شفيع ولا نظير لأن الأمر يتعلق بالملك الكبير ﷻ .

فإن كان الإنسان يرخي لنفسه العنان لترتكب بعض الهفوات أو بعض الزلات فإنه في هذا الشهر الكريم يجب أن يقبض بلجام نفسه بقوة الشريعة الإلهية ويجعلها مسخرة لأحكام رب البرية فلا تنظر العين منها إلا لما أحلَّه الله وإذا أرادت أن تلتفت إلى الحرام تقول لها: { النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ أَبْدَلَهَا اللَّهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[٢] .... يا أيتها العين !!! أما سمعتي خالقك وهو يقول ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾(٣٠النور).

وإذا أرادت الأذن أن تستمع إلى ما حرَّم الله من غيبة ونميمة وسبٍّ وشتم وقول باطل قال لها يا أيتها الأذن: كوني كما قال الله ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (١٢الحاقة)، والأذن الواعية هي التي لا تقع في معصية و فى الأثر: { الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ }[٣].

فأنت إذا استمعت إلى المغتاب فأنت على إحدى ثلاث خصال: إذا وافقته كنت شريكه على هذا الإثم وعلى هذا العمل وهذه الجريمة الشنعاء التي جعلها ربُّ الأرض

---

٢ روى في الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود.
٣ ورد فى الإحياء للغزالى وفى مراقى العبودية.

والسماء أقبح من إسالة الدماء ... أستمعوا إليه سبحانه إذ يقــول : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٢الحجرات).

والثانية أنت إذا نهرته عن الغيبة وقمت عنه؛ عرضت نفــسك للــسوء وللوقــوع في عرضك ولارتكاب الإثم بسببك، والحل الثالث ولا غنى له هو قول الله تعــالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)، أنك توطن نفسك ألا تجلس في مجالس الغيبة ولا مجالس النميمة ولا في مجالس اللهو في هذه الأيام المباركة لأن الله حرَّم فيها هذه المعاصي، وهذه المعاصي وإن كانت بالطبع محرَّمة طول العام ولكنها هذه الأيام أشد حرمة وأشد تجريماً وأشد وزراً عند الرحيم الرحمن ﷻ ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٣٦التوبة) ...

أي إن الإنسان يمسك بزمام نفسه وتجعلها تسير كما يريد الله وتمشي خلف رسول الله فالمكان الذي كان يحبه أجلسها فيه والعمل الذي كان يحبه يجعلها تعمله، ومن أخبرني بحبــهم أجالسهم وأتقرب منهم ومن عرَّفني أنه يبغضهم أسارع إلى النفور عنهم ... ومن هنا نفهــم معنى الآية ... فمن أرخى العنان لنفسه فقد ظلم نفسه لأنها بوقوعها في الذنوب تــستوجب غضب علام الغيوب ... ونحن الضعفاء والمساكين أحوج ما نكون إلى نظرة رضــا مــن رب العالمين .... فإنه لو غضب على أحد طرفة عين كانت حياته كلها نكد .... وكــان قــبره شعْلة من اللهب .... وكانت قيامته حسرة وندامة .... يوم لا تنفع الندامة ولا الملامة وكان مصيره كما تعلمون !! وكما تعرفون !! .

والدنيا كما قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه. **(الدنيا ساعة فأجعلها طاعة)** كلنا مسافرون وكلنا جاهزون للقاء الله ولا نعلم الميعاد ولا نعلم وقت السفر فعلينا أن نجهز الزاد والزاد الذي ينفع للميعاد وليس الأرصدة التي في البنوك ولا العمــارات ولا الأراضــين ولا الأولاد ولا البنين إلا إذا كانوا صالحين موفقين، لا ينفع إلا ما قال الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (١٧٩البقرة)، عليك أن تجعل لنفسك رصيداً عند ربك ينفعك ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٨،٨٩الشعراء) ....

هذا الرصيد أيها الحضور الكرام ... ما أسهله وما أيسره فإن التسبيحة الواحدة تعدل الدنيا من أولها إلى آخرها عند الله ولذلك عندما مر سليمان ابن داود ومعه جنوده وقد حملته الريح ونظر إليه رجل فقير في الأرض وتعجب، الريح تحمل البساط وعليه نــصف مليــون جندي من الإنس والجن غير الحيوانات والطيور لأنها كلها كانت مسخرة لسليمان فنظر إلى هذا الملك العظيم وقال ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود. فحملت الريح تلك الكلمــة إلى سليمان فأمرها أن تهبط بالبساط ودعا الرجل وقال له ماذا قلت يا عبد الله؟ ... فأخذته رهبة فخفف عنه وقال لقد قلت: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود فقال سليمان ﷺ : والله يــا أخي لتسبيحة واحدة في صحيفة مؤمن خير وأعظم عند الله مما أوتي سليمان بن داود.

كلمة (سبحان الله) خير لك عند الله تجدها يوم القيامة في رصيدك خير لـك مـن أن تضع في هذا الرصيد الدنيا كلها من أولها إلى آخرها ولذلك ينبئ الرسـول الكـريم عـن الصفحة التي تثقل الميزان فيقول: { والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جِيءَ بالسَّمَاوَاتِ والأرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، ومَا بَيْنَهُنَّ، ومَا تَحْتَهُنَّ، فَوُضِعْنَ في كَفَةِ المِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله في الكَفَّةِ ألاخْرى لَرَجَحَتْ بِهِنَّ }[٤]

ولذلك عندما كان سيدنا موسى في حالة المناجاة في حضرة الله فقال كما ورد بالحديث الشريف : { يَا رَب عَلمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لاَ إِلهَ إلاَّ اللّهُ، قَالَ: يَا رَب، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هذَا، قَالَ : قُلْ لاَ إِلهَ إلاَّ اللّهُ، قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، يَا رَب إِنّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السّموَاتَ السّبْعَ وَعَامِرَهُنّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السّبْعَ فِي كِفّةٍ وَلاَ إِلهَ إِلاّ اللّهُ فِي كِفّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لاَ إِلهَ إِلاّ اللّهُ }[٥]. كلمة هينة لينة ما أسهلها على اللسان وما أحبها إلى الرحمن وما أثقلها في الميزان يوم لا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه.

فاتقوا الله عباد الله وامتنعوا عن المعاصي في هذه الأيام المباركة واستكثروا فيهـا مـن الطاعات وحركوا ألسنتكم بذكر خالق الأرض والسموات ماذا عليك لو قلـت وأنـت في الطريق تمشي لا إله إلا الله؟ ماذا عليك لو كررتها وأنت جالس في بيتك وأنـت جـالس في عملك وأنت راكب في مواصلتك؟ ماذا تكلفك وبماذا تتعبك؟

إنها دليل على توفيق الله للمؤمنين ففى الأثر المشهور قيل { **إذا أكرم الله عبدا ألهمه ذكره، وألزمه بابه وآنسه به** { حتى قال : { **لو علم المغترون بالدنيا ما فاتهم من حظ المقربين وتلذذ الذاكرين، وسرور المحبين لماتوا كمدا** [٦] }. ألهم لسانه ذكره ليكـون كلامه أرباح، وليكون كلامه فلاح ونجاح، وليكون كلامه رضا لحـضرة الكـريم الفتـاح، وليكون كلامه تكريماً له يوم القيامة، وإذا أبغض الله عبداً جعل لسانه بذيئاً ينطق بالألفـاظ البذيئة ولا يتحرك إلا كالسوط يجلد هذا بكلامه، ويؤلم هذا بصراخه وسبابه، ويؤذي هـذا بغيبته، ويفرق بين هذا وذاك بنميمته، إن هذا يكون على شاكلة إبليس لأنها أعمال إبلـيس، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الجوارح تخاطب اللسان كل صباح فتقول { **إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنّ الأَعْضَاءَ كُلّهَا تُكَفّرُ اللّسَانَ فَتَقُولُ: اتّقِ الله فِينَا فَإِنّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا** }[٧].

---

٤ رواه أحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عمر.
٥ أبو يعلى في مسنده وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في السنن وغيرها عن أبي سعيدٍ رضيَ اللّهُ عنهُ.
٦ الزهد الكبير للبيهقي رواية عن ذى النون ﷺ.
٧ سنن الترمذي وغيرها ، عن أبو سعيد الخدرى

كل صباح تجتمع أعضاءك وأنت لا تشعر وتحدث اللسان !!! لأن الإنسان لا يؤاخذ إلا بكلمات هذا اللسان وبأفعال هذه الجوارح وبنيّة القلب والجنان قال ﷺ: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْتِوَاءٍ لاَ دَارُ اسْتِوَاءٍ، وَمَنْزِلُ تَرَحٍ لاَ مَنْزِلُ فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَخَاءٍ، وَلَمْ يَحْزَنْ لِشِدَّةٍ، أَلاَ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَىٰ، وَالآخِرَةَ دَارَ عُقْبَىٰ، فَجَعَلَ بَلْوَىٰ الدُّنْيَا لِثَوَابِ الآخِرَةِ، وَثَوَابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَىٰ الدُّنْيَا عِوَضاً، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي، وَيَبْتَلِي لِيُجْزِي، فَاحْذَرُوا حَلاَوَةَ رَضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَاهْجُرُوا لَذِيذَ عَاجِلِهَا لِكَرِيهِ آجِلِهَا، وَلاَ تَسْعَوْا فِي عُمْرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَىٰ اللَّهُ خَرَابَهَا، وَلاَ تُوَاصِلُوهَا وَقَدْ أَرَادَ مِنْكُمْ اجْتِنَابَهَا، فَتَكُونُوا لِسَخَطِهِ مُتَعَرِّضِينَ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ }**[8] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون

أكرم الله المؤمنون في هذا الشهر فأخذ حبيبه ومصطفاه ﷺ في رحلته المباركة وأغدق عليه من نوره العام ومن صنوف الإكرام ما لم يعلمه إلا الملك العلام ﷻ .

في هذه الليلة ليعلمنا أن هذا الشهر هو شهر إكرام الله لعباده المؤمنين والذي قال في حقه سيد المرسلين **{رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي}**[9]

ومعنى شهر الله أي شهر العفو الإلهي ومغفرة الله وإحسان الله وإكرام الله لعباد الله لأن الله موصوف بهذه الصفات الكريمة وهو في كل ليلة من ليالينا يتنزل في الثلث الأخير وينادي علينا ويتعجب من لجوئنا لغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد فيقول:

{ ألا مُسْتَغْفِرٌ فأغْفِرَ لَهُ ألا مُسْتَرْزِقٌ فأرْزُقَهُ ألا مُبْتَلًى فأُعافِيَهُ ألا سائِلٌ فأُعْطِيَهُ ألا كَذا ألا كذا حَتَّى يَطلُعَ الفَجْرُ }[10]

<< ثم الدعاء >>.

---

٨ الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٩ أبو الفتح بن أبي الفوارس من أماليه عن الحسن مرسلاً في كتاب جامع الأحاديث والفتح الكبير.

١٠ عن جبير بن مطعم عن أبيه وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية[11]

رجب شهر التوبة

الحمد لله رب العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. سبحانه سبحانه يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار حتى تطلع الشمس من مغربها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوابين ويحب المتطهرين ويفتح أبواب رحمته وسعة مغفرته للمنيبين والمستغفرين والموقنين ولا يقنط من رحمته المبعدين ولا الضالين ولا الحائرين ولا التائبين بل يقول للخلق أجمعين: { يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ }[12]. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله رحمة الله المهداة لجميع خلق الله ونعمة الله المسداة لكل قلب اطمأن بالإيمان بالله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الوسيلة العظمى للمقربين والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعلى آله وصحبه أجمعين وكل من اتبعهم بخير إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا أيها المؤمنون: روى حديثٌ عن رسول الله ﷺ يقول فيه { رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي }[13]. ونحن الآن في شهر رجب فلم نسب الحبيب ﷺ هذا الشهر بالذات إلى الله مع أن الأشهر كلها والليالي والأيام جميعها والخلق والزمان والمكان بل والملائكة والإنس والجان كلها ملك للرحمن ﷻ؟ فلم نسب هذا الشهر بالذات إلى الله؟ لأنه شهر التوبة ... وهو الشهر الذي يخصه الله ﷻ بمزيد من المغفرة والرحمة لعباده المؤمنين ويفتح فيه أبواب التوبة وكنوز العفو ويسع الناس جميعاً باسمه الغفور الرحيم إذا أتوا حضرته مبادرين تائبين منيبين إلى الله ﷻ.

فهذا الشهر هو شهر التوبة فالمؤمن الكامل الإيمان الذي يسمع عن الله كلامه في القرآن وسمع الله ﷻ وهو يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٢٢٢البقرة)، يرعى سمعه هذا الخطاب فلم يقل الله ﷻ إن الله يحب التائبين لأنه لو قال إن الله يحب التائبين كانت التوبة لمرة واحدة في العمر فإذا تاب ثم رجع إلى المعاصي وتاب لم يقبل الله منه لكن الله

---

١١ كانت هذه الخطبة بمسجد السلام بمدينة ديرب نجم شرقية يوم الجمعة الموافق سبعة من رجب ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٧/١١/٧م.

١٢ عن أبي ذر وفي المستدرك للحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين.

١٣ أبو الفتح بن أبي الفوارس في آماليه عن الحسن مرسلا في كتاب جامع الأحاديث والفتح الكبير.

فتح الباب للأحباب وقال التوابين أى بصيغة المبالغة .. يعنى كثيرى التوبة المداومين على التوبة، كلما أذنبوا ذنباً علموا أن هناك رباً يغفر الذنوب فرجعوا إليه تائبين فيغفر لهم هذا الذنب فإذا ضاقت بهم نفوسهم وساقتهم جوارحهم بعد التوبة للذنوب رجعوا مرة أخرى إلى الله وتابوا وأنابوا فيمن عليهم بالتوبة ﷻ إلى ما شاء الله.

قال ﷺ قال الله ﷻ في حديثه القدسي { **لَوْلاَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْب** }١٤. يعنى لولا أن الذنب يأخذ المؤمن من الغرور والإعجاب بنفسه فالذنب له خاصية فريدة وميزة عجيبة فإن المرء عندما يكرمه الله ويحافظ على الطاعة قد يغتر بنفسه ويظن أنه أصبح له شيئاً عند الله وأصبح له عمل يرجو نظيره من الثواب والرحمة من عند الله فيأتى الذنب فيعرفه بنفسه وأنه خطاء مذنب وأنه لولا أن يتداركه الله بعنايته ويغفر له خطيئته لغطت ذنوبه على حسناته.

إن الذنوب يفعلها المرء عامداً أو يفعلها المرء جاهلاً فالذي يفعله المرء جاهلاً لا يحاسبه عليه الله لقوله ﷺ { **رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأُ، والسهو، وَالنسْيَانُ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ** }١٥، فلو فعل الذنب ساهياً أو جاهلاً فإن الله يتوب عليه من قريب لا يحتاج منه أن يندم على ما فعل إذا علم أنه أذنب ويقر في نفسه بالخطأ ويعترف بين يدي مولاه ﷻ بهذه الغلطة والجناية فيتوب الله ﷻ عليه ...

أما الذي فعل الذنب عامداً متعمداً يعني يفعله ويعلم عند فعله أنه يرتكب ذنباً فلابد له من توبة نصوح هذه التوبة حتى ولو كان قضى عمره كله في طاعة الله فإن عمله الصالح طول عمره لا يعادل هذا الذنب ولا يستوجب بحسناته هذه غفران الله وتوبة الله ﷻ، فإن إبليس عبد الله إثنين وسبعين ألف سنة حتى ورد فى الأثر: { **ما من موضع شبر في السموات السبع إلا ولإبليس فيه سجدة لله ﷻ** }، ثم عصى الله بذنب واحد مرة واحدة عندما أمره بالسجود لآدم فأبى ورفض السجود أبى واستكبر؛ ولهذا قال الله ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف)، من ذنب واحد تركه الله لأنه عمله متعمداً ويعلم أنه يرتكب الذنب ... وأن هذا إثم كبير لم تشفع له طاعاته الطويلة ولا عباداته الكثيرة لله ﷻ .

فالذنب الذي يحرص المؤمن على عدم الوقوع فيه؛ هو الذنب الذي يعلم مقدماً أنه مخطئ عند الوقوع فيه وأنه يقابل الله ﷻ بالعصيان فيه ! والخطأ الأكبر من ذلك إذا تباهى

---
١٤ جامع الأحاديث والمراسيل ورواه الشيخ عن كليب الجهنى.
١٥ عن ثوبان في الفتح الكبير، وابن ماجة وابن حبان والحاكم في الدرر المنتثرة.

بتلك المعصية ! وجاهر بها بين المؤمنين! يجاهر بالفواحش والمنكرات ويظن أنه بذلك له شرف بينهم وسيصير له مكانة من الفتوة أو ما شابهها مثلهم، وكل هذا يقول فيه ﷺ : { كُلُّ أُمَّتِي مُعَافىً إلاَّ المُجَاهِرُونَ }١٦. والمجاهر هو الذي يتباهى ويفتخر بالذنب ويقول للناس مثلاً إني ضحكت على فلان وأخذت منه في هذه البيعة ألفين جنيه، أو ضحكت على فلان وجعلته يكتب لى عقد على قطعة الأرض بمبلغ زهيد ومش عارف قيمتها، أو ضحكت على فلان وأخذت منه المكان الفلاني وأعطيته بدلاً منه آخر لا ينفع ولا يشفع !! ويعتقد أن ذلك من باب الشطارة والمهارة والفهلوة ... أو يقول .. أنا كتفت فلان زوج ابنتى بمبلغ مائة ألف جنيه ووقع ولم يأخذ باله كل هذه الأشياء وأمثالها التى باهى المرء بفعلها !! لا مغفرة لها إلا إذا تاب توبة نصوحاً وأخذ يضرع إلى الله فيها ويبكى بكاءاً شديداً من أجل محوها ويعاهد الله ﷻ على تركها وعدم العود ما عاش إلى مثلها ويطلب منه بذلة وخشوع وانكسار أن يمحوها على أن لا يعود إلى مثلها أبداً ... فإذا عرف الله صدقه وصحة عزمه وصفاء إرادته وصدق قوله تقبل الله توبته ومحا الله حوبته بل ربما يدخله في قوله ﷻ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴾ (٧٠الفرقان) ...

لكن المؤمنين جعلوا شهر رجب للتوبة لجميع المؤمنين من ماذا؟ من الأشياء التي نقع فيها ولا نفطن لها .. فإن الذي ذكرناه يحتاج إلى التوبة في الحال .. ولا يجوز للمرء أن يسوف ويؤخر لأنه لا يعلم عاقبته، أما التوبة في شهر رجب فمن الذنوب التي لا يفطن إليها المرء ولا يعتبرها ذنباً ونأخذ منها على سبيل المثال:

كل لحظة تمر عليك وأنت غافل فيها عن ذكر الله فالغفلة عن ذكر الله ذنب لا نعتبره ولا نحاسب أنفسنا عليه في هذه الحياة وهى تحتاج إلى توبة صحيحة ومن لم يتب منها يقول يوم القيامة كما أنبأ الله ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر)،

كل نفس مر عليك في لهو ولعب وفي جلوسك غافلاً متغافلاً في غير ذكر الله فهو ذنب يستحق من المرء أن يتوب إلى الله ﷻ منه، لا ندرى بهذا الذنب، على أننا لا نعلم عن الذنب إلا أنه تعدى ما حرم الله لكن نسينا أن الغفلة ذنب يقول فيه الله ﷻ ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ (٣٦الزخرف)،. الذى يغفل عن ذكر الله يجعل الله له شيطاناً قريناً ... يوسوس له ويخنس له ... فالغفلة عن الله وعن ذكر الله ذنب يستوجب التوبة منا جميعاً.

---

١٦ عن أبي قتادة الأنصاري رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

يا عباد الله الطاعة التي نحن فيها الآن كالصلاة تحتاج منا إلى خشوع قلب وحضور نفس من أولها إلى آخرها فإذا غفل الإنسان فيها ولابد أن ذلك يحدث كأن يتذكر البيت وما فيه أو الشارع وما به أو حوار حدث بينه وبين إنسان أو مشكلة بينه وبين الجيران فيجد نفسه وقد انتهى من الفاتحة أو التشهد لأنه انتهى من قرآنها ولا يدري ما دار وقد قال ﷺ : { إِنَّما يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاتِهِ ما عَقَلَ مِنْهَا } ١٥٣. فاللحظات التي يسهو فيها المرء عن الله تحتاج إلى توبة حتى يتقبلها الله ولذلك كان من سنة رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام أن يستغفروا الله ﷻ عقب كل صلاة. لم يستغفرون وقد خرجوا من الطاعة؟ من التقصير والغفلة والسهو الذي حدث لهم أثناء الصلاة.

مثال آخر: نحن والحمد لله أكرمنا الله بالصلاة لكن إذا سمعت الآذان وأنا في بيتي أو في عملي وقد انتهيت من أدائه وجالس على المكتب أتحدث مع رفاقي أو في الطريق أو في السوق علي أن أترك كل ما في يدي لألبي نداء الله في الوقت والحال ....

فإذا فعلت – كما يحدث من أغلبنا، أؤخر الظهر حتى يقترب العصر بدون عذر شرعي أو أؤخر المغرب إلى مقربة من العشاء بدون عذر شرعي والأعذار بينتها شريعة الواحد القهار وفصلها لنا المختار ﷺ ....

يا أيها المسلمون والمسلمات هذا الذى ذكرنا هو ذنب ولكننا لا نحاسب أنفسنا عليه وإن الله عاتب قوماً فيه فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٤، ٥الماعون)، الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، والذين يجملون الصلاة مع الصلاة، والذي يؤخر الصبح إلى أن تطلع الشمس ويصليه قضاء ولا يندم ولا يحس بأسى على ما فعل ولا على أنه فعل شيئاً قبيحاً في نظر الله مع أنه ذنب كبير سيعلم عاقبته يوم لقاء الله ﷻ ... لماذا؟

لأنه قال لنا أجمعين ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء)، الوقت الذي حدده الله لابد أن نقيم الصلاة فيه إلا إذا كان هناك مانع شرعي من مرض قاهر أو سفر أو حادث في الحال كحريق أو غريق أو ما شابهه ولابد من الإسراع في علاجه لكن ما دمت جالساً أتحدث ما عذري؟ لماذا لا لأتوقف وأقول له تعالَ نصلي ثم نرجع نكمل حديثنا؟ لماذا لا أقول للمسلم إذا زارني هيا بنا نؤدي الصلاة ثم نرجع نكمل ما كنا نخوض فيه؟ وأن الصلاة لا عذر للمرء في تأجيلها أو تأخيرها إلا إذا وافق العذر ما بينه رسوله ﷺ.

مثال آخر: نصوم في شهر رمضان عن الأكل والشرب والجماع ولكننا لا نصوم عن اللغو وقد لا نصوم عن النظرة المحرمة وقد لا نصوم عن الكذب وقد لا نصوم عن الغيبة والنميمة ونظن أن صومنا صحيحاً وقد قال ﷺ: { خَمْسُ خِصَالٍ يُفَطِّرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ،

وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ }١٧.

مثال آخر: أرسل الله إلينا خير كتاب وأمرنا بتلاوته ولم يشق علينا في قراءته بل قال لنا أجمعين ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٢٠المزمل)، وإذا كنا لا نتذكره إلا في رمضان فهذا ذنب في حق أنفسنا يحاسبنا عليه الديان ﷻ كيف لا نسوي على الأقل – وهذا لا يجوز – بين تلاوة القرآن وتصفحه وتصفح الصحف والمجلات التي فيها كذا وكذا من شرور هذه الحياة!! فمثل هذا ذنب لا يشعر به الإنسان !!!!

وهذه القائمة طويلة لا نستطيع عدها كلها وحسبنا ما أشرنا إليه من بعضها من الذنوب التي لا يفطن إليها المرء ويقع فيها ولا يحسبها ذنوباً، إن هذه كلها تحتاج منا في شهر رجب أن نتوب منها أجمعين إلى الله ﷻ فقولوا جميعاً: تبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا، وعزمنا على أن لا نعود إلى ذنب أبداً، تبنا إلى الله من كل ذنب صغير أو كبير، علمناه أو جهلناه، فيما مضى أو فيما بقى لنا من عمرنا، أو كما قال أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي فتح لنا الأبواب بفضله وهداه ونظرنا بعين عنايته وبره ورضاه وملأ قلوبنا بحبه وحب مجتباه وجعلنا أهلاً للمحل الأعز فأوقفنا بين يديه في بيته جل علاه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقبل على المقبلين ولا يغلق الباب أمام المعرضين بل يفتح لهم أبواب التوبة في كل وقت وحين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله إمام الهدى ونبي البر والتقى. اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد... فيا أخي المؤمن لا تغفل عن التوبة إلى الله في كل نفس فليس كل ذنب عملته عرفته فربما تكون هناك ذنوب عند علام الغيوب ولم تعلم بها ولم تحاسب نفسك على فعلها ولذا قال الله لنا أجمعين ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١النور)، كلكم تتوبون ....

وبين هذه الحقيقة النبي الأمين فقال ﷺ: { كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ } ولم يستثن، ماذا نفعل؟ بيَّن فقال: { وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }١٨ يعني الذي يديمون على التوبة فيشعر المرء في كل وقت وحين .. وهذه هي حقيقة التوبة، ليست التوبة أن تقول استغفر الله، فهذا

---

١٧ فى تخريج أحاديث الإحياء العراقي: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه.
١٨ عن أنس بن مالك في منتخب بن حميد ورواه الترمذي وابن ماجة والدرامي وفي مسند الإمام أحمد.

ذكر يعطيك الله نصيبك من الحسنات مقابل قولك، بل إن التوبة أن تشعر في داخلك بأنك قصرت وأنك أخطأت وأنك أجرمت وأنك خالفت الله ﷻ ... ومن منا بلغ مبلغ الكمال فلا يخالف ذي الجلال والإكرام في لحظة واحدة في هذه الحياة؟ في الحقيقة كلنا مقصرون لأننا لم نبلغ المقام العظيم ...!!!

من منا يصلي الصلاة من أولها إلى آخرها في حضور وخشوع مع مولاه؟ أين هذا يا عباد الله من منا يحفظ لسانه من الزلل فلا يقول كلمة نابية أو جائرة إلى هذا أو ذاك ولا يتركه يسكت لحظة عن ذكر المليك الخلاق؟ مَنْ منَّا يحفظ قلبه من الخواطر السيئة فلا يدخل فيه بغض ولا كرب ولا حقد ولا غش ولا غل لأحد من المسلمين أو الناس أجمعين؟

هذا شئ لا نستطيعه أجمعون فالعبد التائب إلى الله والذي يستشعر أو يشعر في كل وقت و حين – مهما فعل من الصالحات ومهما قدم من الخيرات – أنه مقصر في حق الله ﷻ وإذا كان الملائكة المطهرين الذي يقول فيهم الله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم)، ومنذ خلقهم وهم في طاعته لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يسهون ولا يغفلون، ومع ذلك يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك !!

وإذا كان الحبيب ﷺ بعد أن نال أعظم وسام في المغفرة من الله وقال فيه الله في محكم آياته:﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح)، ومع ذلك كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات :

{ إِذَا صَلَّى، قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ (تتورم) رِجْلاَهُ.... قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها : : يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَصْنَعُ هذا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟ }[19]

وحتى الذي حفظه الله وعصمه الله يشكر الله على عصمة الله ويشكر الله على حفظ الله فما أحوجنا جميعاً في هذا الشهر الكريم إلى مغفرة الله، استغفروا الله آناء الليل وأطراف النهار واستغفروه بقلوب منكسرة وأجسام خاشعة ورءوس خاضعة، حتى يتقبل الله ﷻ منا أجمعين ويصلح شأننا وينقلنا إلى أحسن حال.

<< ثم الدعاء >>.

---

١٩ عن قتادة عن أنس وفي رواية عن المغيرة بن شعبة حديث حسن ورواه الترمذي في الشمائل من حديث جابر وفي الباب عن عبد الله بن جحش، وأنس بن مالك وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم.

الخطبة الثالثة[٢٠]

حديث القرآن عن الإسراء

الحمد لله ربِّ العالمين، الأحدي الذات، الأبدي الصفات، الصمديّ في جلاله وعزته، من قبْل القبْل إلى ما بعد نهاية النهايات، سبحانه سبحانه، لا تحيط به الجهات، ولا تستطيع أن تعبر عن ذاته الكلمات، ولا العبارات، بل ولا تلحق بجلال عزته الإشارات، استوى على عرشه بما شاء، وكيف شاء، لأنه ﷻ في عزته منزه عن جميع الأشياء لا يحلّ في الأشياء ولا تحل فيه الأشياء بل إنه ﷻ كما قال عن نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قُرْبه من العرش كقربه من الفرش، فكما أنه ﷻ ما مسَّ الترابَ ولا حَسَّهُ ولا جَسَّهُ ولا لامَسَهُ، فهو ﷻ ما مسَّ العرش ولا حسَّهُ ولا جسَّهُ ولا لامسَهُ، وإنما العرش محمول قدرته ومعمول حكمته وهو محمول بقدرته ﷻ لأنه ﷻ تعالى عن الأشياء، كما تعالى عن الجهات، كما تعالى عن الأزمان ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله. هذبه الله وصفاه، وشق صدره وأخرج منه قلبه وطهره ونقاه، وملأه بالأنوار الربانية، والحكم الروحانية التي هيئه بها للإطلاع على العوالم الغيبية، حتى صار قاب قوسين أو أدنى في مقامات القرب من الله ﷻ .... اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب لواء الحمد وسر اللواء المعقود لجميع الرسل، للوفاء بالعهود، وباب الله ﷻ لكل عبد يريد أن يهتدي لطريق المعبود، ومفتاح باب الخلود لمن كتب الله ﷻ لهم السعود. اللهم صلّ وسلم وبارك عليه صلاة تمنحنا بها سكينة في نفوسنا، ومننا في قلوبنا، ونوراً في أرواحنا، وتجعلنا بها من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، آمين، آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الأخوة المؤمنون: أخذت أتأمل في العبارات الموجزة التي وصف الله بها ﷻ رحلة الإسراء والمعراج، والموافق يومها اليوم الذي نحن فيه، فاحترت وتعجبت لأن هذه البرقية القصيرة التي لا تزيد عن سطر ونصف، جمعت فأوعت، جمعت كل شئ يتعلق بهذه الرحلة، سواء عن صاحبها، أو ما دار من الخلاف بين المختلفين من بعده، هل كان بالروح أو بالجسم أو بهما معاً؟ وسواء فيما يتعلق بكيفية رؤيته لهذه الحقائق في هذه البرهة من الزمان، كل شئ يتعلق بهذه الرحلة المباركة ذكرته هذه الكلمات القصيرة ﴿ سُبْحَانَ

---

٢٠ كانت هذه الخطبة في مسجد الأنوار القدسية بالمهندسين جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/١/٣١م.

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١الإسراء).

فأول شُبهة يعترض عليها أصحاب العقول وردّدها المستشرقون فيما بيننا لأنهم يحكمون بعقولهم في الأشياء ولا يدرون أن العقل الذي يحكمون به لا يعلمون عنه إلى يومنا هذا قليلاً ولا كثيراً ... أين العقل؟ وكيف يعمل العقل؟ وكيف تُخزّن المعلومات في العقل؟ وكيف تُستحضر الصور من العقل؟ والمناظر والألفاظ المصاحبة لها من العقل؟ لا يعرفون حتى يومنا هذا لا قليلاً ولا كثيراً عن هذا الأمر. عرفوا المخ وهو الذي يُسيّر الجهاز العصبي في جسم الإنسان، لكن العقل بما فيه من ذاكرة، وما فيه من حافظة، وما فيه من قوة خيال، وما فيه من قوة تصور، وما فيه من إدراك، أين هو؟ لا يعلمون ولن يعلموا إلا إذا علّمهم الله ﷻ وكاشفهم ببعض ما فيه، فإذا كنا لا نعلم شيئاً قليلاً أو كثيراً عن العقل فكيف نحكّم العقل فيمن صنعه؟ وكيف نحكم بهذا العقل على من خلقه؟ وكيف نجعله حاكماً على من أوجده؟

إن هذا هو الضلال البعيد الذي وقع فيه الكافرون، وأرادوا أن يرددوه بيننا جماعة المؤمنين، ولكن الله ﷻ يحفظ عباده المؤمنين من الزيغ، لأنهم يقولون في كل وقت وحين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (٨آل عمران). فبدأ الله العبارة بكلمة سبحان الذي أسرى أي نزّهوا الذي أسرى عن الحركات وعن الحيطات وعن الجهات .... يعني إياكم أن يخطر ببالكم أن الله فوق سبع سموات وأن محمداً ﷺ وصل إلى مكان فيه الله !! تعالى الله عن هذا الأمر، وتتره عن هذا الوصف، فإن الله ﷻ موجود في كل الجهات ومحيط بكل الأزمنة والأمكنة، ورسول الله كان يراه وهو على بطحاء مكة، كما رآه في قاب قوسين أو أدنى !!! وإنما المطلوب في هذه الرحلة أن يصل الحبيب إلى مقام في القرب من الله، لم يصل إليه عبدٌ من عبيد الله، الذين اجتباهم الله واصطفاهم الله ﷻ، هذا هو المراد وليس معنى ذلك أن الله فوق فإنه فوق الفوقية وإنه تحت التحتية وإنه في أيمن اليمين، وإنه في أيسر اليسار، وإنه أمام كل أمام، وخلف كل خلف، بل إنه أقرب إلى كل إنسان من حبل وريد الإنسان.

فنسب الله ﷻ الإسراء إلى ذاته لنعلم أن الذي أسرى بعبده ومصطفاه، هو الله ﷻ، وما دام الله هو الذي أسرى فلا عجب، لأن قدرة الله صالحة لكل شئ وتصنع كل أمر بسر قوله سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (٨٢يس). انتهى العجب لأن الرحلة نسبت إلى الله ﷻ.

هل كان بالروح أو بالجسم؟ كلام أثار جدلاً كثيراً ردده الكافرون وصدروه إلى جماعة

المؤمنين، والله أجاب عنه بألطف عبارة وإشارة، فقد قال ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وكلمة عبد معناها جسم فيه روح وفيه عقل وفيه قلب، وفيه كل الحقائق التي فينا الآن، إما إذا خرجت الروح من الجسم نسميه نسمة وإذا كان الإنسان روح بلا جسم نسميها نسمة (نسمة يعني روح بلا جسم) ولذا وجد ﷺ في السماء الأولى آدم عليه السلام، وعن يمينه نسمة يعني أرواح لم تخلق بعد، وعن يساره نسمة يعني أرواح لم تظهر إلى الوجود بعد، فإذا نظر إلى من على يمينه ضحك، وإذا رأى من على يساره بكى. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه أرواح بني آدم ونسمهم فإذا نظر إلى أهل اليمين ضحك وفرح، وإذا نظر إلى أهل الشمال بكى وحزن، فالروح بمفردها نسميها نسمة، ولا تظهر بالعين المجردة ولا نستطيع أن نجالسها ولا أن نحادثها ولا أن نلامسها ولا أن نصنع معها كما نصنع مع بعضنا الآن فلما قال الله: ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ كان معنى ذلك أنه بالروح والجسد.

أخواني المسلمين والمسلمات ...هذا هو سر إعجاز هذه الرحلة وإلا فلو رأى إنسان في منامه فيما يرى النائم، أنه لفّ العوالم كلها وشاهد كل ما فيها من عجائب صنع الله ومن آيات قدرة الله هل نكذّبه؟ هل نعترض عليه؟ لا أحد يعترض عليه ولا يكذبه، لأنه رآه في المنام، أما اعتراض الكفار عندما أخبرهم أنه ذهب بروحه وجسده ورجع، ولذا قالوا له تغْدوا إلى بيت المقدس وترجع في أقل من لمح البصر ونحن نضرب أكباد الإبل إليه شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً !!!!

وهو ﷺ لم يخبرهم بالمعراج بعد وإنما أخبرهم بالإسراء فقط في البداية علهّم يصدقوه وعلهّم يسلّموا لكنهم لم يسلموا وهنا أظهر لهم بعض الآيات الحسية التي تدل على صدقه، لقد سألوه عن وصف البيت – وقد دخله ولكن لم يشاهده من الخارج – فرفعه الله ﷻ إليه على يد جبريل عليه السلام وأخذ يديره حتى يصف لهم الأبواب باباً باباً، والنوافذ نافذة نافذة، وهم مع ذلك أعماهم الله، فلم يصدقه إلا الصديق، ثم قال لهم إن إبلكم كانت في مكان كذا وقد شربت مما معهم من الماء وهل تشرب الروح الماء؟ إن الذي يشرب هو هذا الجسد، ولما رجعت هذه الإبل أخبروهم، قالوا: نعم، كان معنا ماءاً في جَرّة وعندما كشفناها وجدنا الماء الذي بها قد نفد ولم نجد حولها ماءاً يدل على أنه قد سُكب، فاحترنا من الذي شربه؟ وكان الذي شربه هو رسول الله ﷺ.

ثم هذا البراق الذي ركبه وهل الروح تركب؟ إن الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام كان يهبط من فوق سدرة المنتهى إلى الأرض ويصعد في أقل من لمح البصر لا يعترضه شئ ولا يمنعه شئ، وإنما الركوب يكون لهذا الجسم، فهو الذي يحتاج إلى يركبه، فدل الله ﷻ بهذه الكلمة الموجزة أن هذا العبد وهو ﷺ أخذه الله ﷻ بروحه وجسمه ليطلعه على ملأه الأعلى،

وعلى عوالمه الظاهرة والخفية حكمة من الله ﷻ لا تتجلى إلا للقلوب التقية النقية.

(الذي أسرى بعبده ليلاً) ولو لم يقل الله ﷻ كلمة ليلاً، لظن البعض أن الإسراء تحقق في أسبوع، أو في شهر، أو في أقرب من هذا أو أقل، لكن كلمة ليلاً تفيد أنه ذهب في هذه الليلة ورجع فيها، لأن تنكير هذه الكلمة يدل على أنه ليل واحد، فالليل الذي ذهب فيه هو الليل الذي رجع فيه، والأمر كله تم في بعض من هذه الليلة الواحدة بنص كلام الله ﷻ.

ماذا رأى؟ ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ الآيات التي في الملك، والآيات التي في بيت المقدس، والآيات التي في السموات، والآيات التي في العرش، والآيات التي في الكرسي، والآيات التي في الجنة، والآيات التي في النار، والآيات التي في كل العوالم، داخلة في قول الله ﷻ ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ وهنا تتعجب العقول كيف ذهب إلى بيت المقدس ثم صعد إلى السموات، سماءاً تلو سماء وما بين السماء والأرض بقدر سفر خمسمائة عام، وبين كل سماء والأخرى قدر سفر خمسمائة عام وعرض كل سماء قدر سفر خمسمائة عام !!، كيف ذهب إلى كل هذه الأماكن والجهات وما بينها، وشاهد كل ما في عوالم الجنات ورجع وفراشه الذي كان ينام عليه لم يبرد بعد، بل ظل دافئاً، كأنه لم يفارقه إلا لحظة قصيرة !!!! إن الإنسان منا لو استيقظ من ليلة وذهب إلى المرحاض، ليقضي حاجته وأطال بعض الوقت، يرجع فيجد مكانه في الفراش وقد برد لأنه لا يستمر دافئاً إلا للحظات قليلة !!!

وحتى لا نتعجل قال الله ﷻ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ يعني { **كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا** }[٢١]. فكان في هذا الوقت يبصر بنور الله ويسمع بنور سمع الله ويتكلم مع كل هذه الحقائق لأنه كلم جميع الأنبياء والمرسلين، وكل نبي له لغة كلغة قومه، وتكلّم مع جميع أصناف الملائكة، ولكل صنف منهم لغة مخصوصة، علمها لهم الله ﷻ، بل تكلم مع الحقائق العالية مع العرش ومع الكرسي، ومع الجنات، بلغاها كيف كان ذلك؟ إن الله ﷻ أعطاه نوراً من نوره في بصره، فجعله يبصر ببصر الله، وأعطاه نوراً من عنده في سمعه فصار يسمع كل هذه الأصوات في مختلف الجهات بسمع الله ﷻ، وأعطاه نوراً من عنده في لسانه، فصار يتكلم مع الجميع في وقت واحد، على اختلاف لغاهم ولهجاهم.

وهذا أمرٌ لا يعجب له المؤمن، لأن الله يقول في الحديث القدسي لنا معشر المؤمنين فضلاً عن الأنبياء والمرسلين: { **وما يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ**

---

٢١ رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن عثمان بن كرامة، عن أبي هريرة رواه الطبراني في الكبير.

كنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ}[٢٢]، فإذا كان هذا يتفضل به الله على عباد الله المؤمنين العاديين، فما بالكم بسيد الأولين والآخرين؟

هذه العبارة يا إخواني لفتت نظري فلو جمعت وسائل الإعلام في العالم كله بمختلف أجهزها وما معها من وسائل تكنولوجية وقوى عصرية على أن ترسل برقية تشرح فيها هذه الرحلة بمثل هذه الكلمات النورانية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لكنه صنع الله وأمر الله يحكي هذه القصة الغريبة العجيبة، ويرد على كل ما دار في أذهان المؤمنين وغيرهم بكلمات قصيرة، وألفاظ يسيرة، وهذا إعجاز القرآن الذي نزل به الحنّان المنّان على النبي العدنان ﷺ.

قال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }[٢٣].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً يليق بجمال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جملنا بجمال العبيد المقربين بحكمه العلية والمسلمين لأنواره وحكمه الربانية، وأرجو منه رضاه عنا ﷻ في الحياة الدنيوية وسعادته في الحياة الأخروية، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله اختاره الله لرسالته ورباه الله على عينيه وجعله نبياً خاتماً واختاره لنا وجعله إمامنا في الدنيا وشفيعنا في الدار الآخرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تذهب عنا بها الغفلات وتحي قلوبنا فيها بآيات الله البينات وتجعلنا بها نتعلق بكل حركاتنا وسكناتنا بنور الله النازل إلينا. آمين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد..فيا إخواني وأحبابي: إني أهيب بنفسي، وأهيب بكم أن تطالعوا قبساً من أسرار هذه القصة بتدبر وتفكر فإن فيها الشفاء لكثير من أمراضنا الاجتماعية، وفيها الدواء لكثير من مشاكلنا النفسية والعائلية، وفيها الحل الأمثل للقضاء على ما نحن فيه من نكد العيش، ومن هموم الأمراض ومن تعب الأولاد ومن سلوك الأفراد، كل هذه الأشياء دواؤها ذكره سيد الأنبياء ﷺ في هذه الرحلة المباركة.

---

٢٢ عن أبي هريرة في الفتح الكبير وصحيح البخاري.
٢٣ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

ودعونا نذكر مثالاً واحداً ولا نطيل عليكم، لو اتبعناه لسعدنا جميعاً في هـذه الحيـاة، فقد قال ﷺ: { رأيت جُحْراً صَغيراً يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَيُرِيدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ قلت: مَا هذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلاَ يَسْتَطِيعُ }٢٤. كل مشاكلنا سببها هذه الكلمة، فلو استطاع الإنسان المسلم أن يمسك لسانه إلا عما ينفعه .... فلا يخرج منـه القبـيح ولا يخرج منه السبّ ولا الشتم ولا اللعن ولا الغيبة ولا النميمة ولا الكذب ولا قول الزور ...، ماذا يكون حالنا في مجتمعنا؟

إن المحاكم والله ستُغلق أبوابها في ذلك الحين. لأن المشاكل كلها بدايتها كلمة. كلمـة يقولها إنسان تُحرك إنساناً آخر فيرد عليه بالمثل ثم يتطاول الأمر فتمتد الأيـدي ثم يتطـاول الأمر فتظهر الأسلحة ثم يكون القتل أو الجرح وتكون القـضية وتكـون النيابـة وتكـون المحاكمات، ما أغنانا عن هذا كله لو أمسكنا بألسنتنا حتى لا يحدث هذا بيننا، ربمـا يكـون أفراد الأسرة جالسين في هناءة بال وفي صفاء حال وواحد منهم يقول كلمة واحـدة تعكـر هذا الصفو بل تقلب البيت رأساً على عقب. كلمة من غير موضعها أو كلمة في غير محلـها لكن لو التزمنا بهذه الأوامر الإلهية وكنا كمـا قـال الله ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج). فالمؤمنون هداهم الله إلى القول الطيب فلا يقولـون إلا الكلام الحسن لأن المؤمن لا ينطق بالكلمة إلا قبل أن يفكر فيها ويتدبر فيها، فإذا كانت لـه وفي كفة حسناته أخرجها وإذا كانت ستصير عليه وفي كفة سيئاته منعها من الخروج قال ﷺ: { رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }٢٥.

وكم من كلمات رفعت أناساً إلى أعلى الدرجات إذا كانت هـذه الكلمـات لرفـع الروح المعنوية وللحث على هذه المنازل العلية. وكم من كلمات هزّت كيان بشر وجعلتـهم يتعرضون للجنون أو يتعرضون للصرع أو يتعرضون للأمراض النفسية من كلمة واحدة.

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتئم ما جرح اللسان

وَقْع الكلام أشد على الإنسان من وقع السهام، فلو أمسك المؤمنون بألسنتهم لطابت حياتهم ولسعدوا في معيشتهم، ولصاروا والخيرات تغمرهم من جميع النـواحي، لأن الله ﷻ جعل مجتمع المؤمنين مجتمع الكلمة الطيبة، مجتمع الكلمة الصالحة، أما الكلمة الخبيثة والكلمة السيئة فهي في مجتمع الكافرين، وفي مجتمع الجاحدين وفي مجتمع المنكرين لا تـصل عـدواها

٢٤ رواه البخاري.
٢٥ في الزهد عن خالد بن أبي عمران مرسلاً في الفتح الكبير وجامع الأحاديث.

للمؤمنين إلا إذا تهاونوا بأوامر هذا الدين المتين، وما داموا متمسكين بأوامر هذا الدين أسرهم ونساؤهم وأولادهم حتى يروا ما في هذه السيرة العطرة وما في هذه الحادثة الكريمة من عبر وعظات لعّلها تكون نجاة لنا من أهوال هذه الحياة الدنيا...

وقد سبقنا المستشرقون إلى هذا الأمر فقد أخذوا منها ونهلوا وأعدوا ووضعوا كتباً أبرزها وسائل الإعلام في العالم كله فبعضهم كتب كتاباً سماه (كيف تكتسب صديقاً) ووزّع هذا الكتاب ووزع منه في الطبعة الواحدة ما يزيد عن ٣ ملايين نسخة وبعد الاطلاع على ما فيه وجدنا أن كل ما فيه هو نسخة من أحاديث رسول الله ومن تفسير آيات الله أخذها الكاتب الأمريكي ونسبها إلى نفسه على أنه هو المبتكر لها والمؤلف لها وعلى أنه هو الذي يضع أصولاً جديدة للصداقات وتكوين الأصدقاء، وهكذا الأمر فكل أمورهم قد أخذوها من الإسلام غير أنهم غيرّوا المسمى ونسبوها لأنفسهم، فعلينا جماعة المسلمين أن نرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ ففيه الخير لنا في هذه الحياة والسعادة لنا عند لقاء الله، نرجو الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشدنا < ثم الدعاء >.

الخطبة الرابعة

الإسراء وعلاج مشكلات المجتمع[٢٦]

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق الإنسان وهو أعلم به من نفسه، يعلم سره وعلانيته، ويعلم ما تُخْفي الصدور، ويعلم ما يُصلح حاله وشأنه، ويحدّد أسباب فساد نفسه، ومجتمعه وبيته، ويضع لكل داء دواء، وهو ﷻ وحده الذي بيده رفع الداء، وتحقيق الشّفاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من توكل عليه كفاه، ومن رجع إليه في أمر من الأمور كفاه أمور دنياه وآخراه، سبحانه سبحانه، هو وحده الذي يشرح الصدور، وييسر الأمور، فسبحان اللطيف الخبير الذي أنزل لخلقه كل ما فيه نفعهم وشفاؤهم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أعطاه الله عيناً من عنده نظر بها إلى خلقه، فعلم الداء وتضرع إلى الله طالباً الدواء، فأخذه عنده ﷻ وعلمه الأدوية النافعة لجميع البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، طبّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفاءها، ونور الأبصار وضيائها، وسراج الأرواح وهديها، وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٢٦ خطبة الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة في ذكرى الإسراء والمعراج يوم الجمعة ٢٢ رجب ١٤١٣هـ – ١٩٩٣/١/١٥م.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. عندما نقرأ سورة المعراج نجد الله ﷻ يقسم لنا وما كنا في حاجة إلى القسم لأنه أصدق القائلين، وخير المتكلمين ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢النساء)، ولكنه لإذهاب الوساوس التي تدور في الصدور، والخواطر السيئة التي ترد على العقول في شأن هذه المعجزة الإلهية أقسم فقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ﴾(النجم) يعني كل كلمة تكلمها رسول الله ﷺ عن رحلته المباركة فإنما هي وحي من الله ﷻ، وإنما هي إلهام من الله ﷻ، وكل تعليمات جاء بها في تلك الرحلة، وكل أوامر تلقاها في تلك الرحلة، إنما هي غاية الصواب وحكمة العلي الوهاب، ما ضل صاحبكم فيما جاء به من عند ربه، وما تحرك بغواية نفس ولا بهواية طبع ولا بشئ يجول في خاطره وإنما كما قال الله ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (١٠٥الإسراء).

ثم كان الأمر كذلك، وهذه الرحلة جاءت للبشرية كلها منه صلوات الله وسلامه عليه، ومنذ زمانه إلى قيام الساعة، لحل معضلاتها، فقد كان من حوله من المسلمين الأولين يعانون من العداء، ومن ألم العتاب، ومن قرع الخطاب من الكفار والمشركين، وكانوا يذهبون إليه ويسألونه متى ينتهي عنهم هذا الأمر، فجاءهم بعد هذه الرحلة بالبشرى، وقال لهم: ابشروا فقد أُريتُ دار هجرتكم وهي أرض ذات نخل، ففرحوا واستبشروا وعلموا أن الله معهم ومحيط بهم، لأنه أراه المدينة وأراه نخلها وأراه دورها، وأراه كل شئ فيها، لكي يبشرهم ﷺ في المشكلة التي أرقت بالهم وشغلت نفوسهم، وهي متى يرتاحون ويعبدون الله وهم آمنون، ويطمئنون ولا يخافون، ونحن في عصرنا لكي نقصر عليكم المسافة: ما علاج مشكلات مجتمعنا؟ وما علاج مشكلات نفوسنا؟

لو دعونا كل فلاسفة الأرض واجتمعوا ما شاء الله لهم أن يجتمعوا وبحثوا في نفوس طبقات المجتمع، لم يستطيعوا أن يهتدوا إلى الحل الصحيح لأنهم لا يعرفون ما توسوس به الصدور، ولا يقرأون ما يجول في العقول، لكن الله وحده الذي يعلم سرائرنا، ويعلم خفيات ضمائرنا، هو الذي يملك الحل الوحيد لكل ما نحن فيه من متاعب وآلام، والله ﷻ لأنه خلقنا يعلم ما يدور في زماننا، كما يعلم ما يدور في الزمان الذي بعدنا، وكما يعلم ما كان في الزمان الذي قبلنا، لأن علمه بما سيكون، وبما هو كائن كعلمه بما هو كان جل وعلا، لأنه ينظر بعينه، وهو وحده السميع البصير ﷻ، ماذا علم لنبينا من أجواء ومشكلات مجتمعنا؟

إن كل ما نحن فيه من متاعب في الطرقات أو في الأعمال أو في البيوت أو في القرى أو في المدن أرجعها الله لنبيه إلى أربعة أشياء: الأولى: الكلمة، فقد رأى ثوراً عظيماً يخرج من جحر ضيق في صخرة ثم يحاول أن يرجع مرة أخرى فلا يستطيع، فقال ما هذا يا أخي يا

جبريل؟ قال: هذه الكلمة العظيمة يتفوه بها الرجل من أمتك ثم يندم عليها ويحاول أن يرجع فيها فلا يستطيع، الكلمة! وأكثر مشكلات مجتمعنا من الكلمة، فبها الوشاية من المرءوسين إلى الرؤساء، وبها النميمة والوقيعة بين الإخوة والأصدقاء، وبها تتغير النفوس، وتتغير القلوب، وتمتلئ بالحقد والضغينة على الأحباب، يكون الإنسان يضمر لأخيه غاية المحبة، فيأتي واش أو نمام ويبلغه عن أخيه كلمة سمعها أو لم يسمعها فيتغير في الحال، وينقلب الحب إلى بغضاء، وينقلب بعد ذلك إذا زاد إلى حقد وشحناء، حتى أنه ربما ينقلب إلى كراهية وعداء، فيفكر في كيفية تحطيمه والقضاء عليه، بعدما كان يفكر في تيسير السبيل له وتهيئته كل الأمور له للمحبة التي بينهما، لو نتبع يا إخواني هدى الإسلام وقوانين الإسلام في الكلام !!!

ويسأل سائل وهل للإسلام قوانين في الكلام؟ نعم لكننا لا نسأل عنها ولا نبحث عنها، اسمع معي إلى قوانين الإسلام في الكلام، أما القانون الأول مع الناس جميعاً مشركهم وكافرهم وجاحدهم كل الناس يقول لنا فيهم رب الناس ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ (٨٣البقرة)، كلموهم الحسن، وليس بالكلام القبيح، وليس بالكلام الكريه لأنه حق ولو كان عدوك فقد قيل فى الأثر: { **اتقوا غيظ القلوب ولو في البهائم** }. لا تجعل أحداً يغتاظ منك والغيظ في العادة يكون بسبب كلمة أو سلوك غير مرغوب فيه، فأمرنا الله أن نحسن الكلمة حتى مع غير المؤمنين، أما مع المؤمنين ﴿ **وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ** ﴾ (٢٤الحج). هذا هو الأمر الأول تخفف عنهم عند الضيق، ونرفع روحهم المعنوية من اليأس، ونزيل الهموم والغموم من صدورهم، ونرفع الحزن والأسى من قلوبهم ونعينهم على مشاكلهم، كل هذا من ماذا؟ من الكلمة. وهذه الكلمة الطيبة جعلها الله ﷻ من رياض الجنة وأعطانا رسول الله ﷺ مبشراً لأهميتها فقد قال ﷺ: { **إِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله** } الكلمة الطيبة الصالحة { **يرفعه الله بها في الجنة سبعين خريفاً** (يعني سبعين سنة) **وإِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً** } من فتنة أو وقيعة أو خديعة { **يَهْوَى بِهَا فِي جَهَنَّم سبعين خريفاً** (أي سبعين سنة) }٢٧

ولذا يا إخواني فكلكم تعرفون أنه عندما كان رسول الله بين أصحابه وانتقل إلى جوار ربه ومشى أصحابه على هديه لم يكن عندهم محكمة واحدة، ولا قاضٍ يفصل بينهم ولا محامٍ يدافع عن حقوقهم لأنهم ملكوا الكلمة، فملكوا ناصية الأمور فلم يحتاجوا إلى مرافعات ولا دفاعات ولا مخاصمات لأن كل تلك الأشياء تبدأ من الكلمة حتى أن مصائر الشعوب تتعلق بكلمة ربما يكون شعبٌ مغلوبٌ على أمره وضعيف و يتفوه رئيسه بكلمة تودي بحياة شعبه.

---

٢٧ عن أبي هريرة في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد.

فالكلمة يا إخواني هي المصدر الأول والسبب الأول في فساد المجتمع وإصلاحه، والمؤمن وصفه رسول الله ﷺ فقال في شأنه { **رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ** }٢٨. لا يتكلم إلا بحساب لأن الله يقول: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (١٨ق)، فهو يعلم أن كل كلمة ستسجل عليه إما في ميزان حسناته، وإما في صحف سيئاته، فلا يتفوه بكلمة قبل أن يزنها بالميزان الذي أنزله له الحنان المنان وهو العقل، فيعرض الكلمة على عقله، وعقله مستضيئ بشريعة ربه، فإذا وافقت شرع الله ووافقت عادة الناس المرعية التي يعرفها العقل أخرجها وتفوه بها، وإذا كانت مخالفة لشرع الله ولا تلائم العادات المتبعة في أعراض الناس، لم يتفوه بها، وأمسك لسانه حتى لا يكون على هذه الصورة القبيحة التي وصفها رسول الله ﷺ.

الأمر الثاني وسأذكره باختصار حتى لا أطيل عليكم وهو تحمل المسئوليات فقد رأى ﷺ رجلاً يحمل حملاً عظيماً من الحطب ولا يستطيع أن يحمله، ولا يستطيع أن يسير به، وهو مع ذلك يزيد عليه وهذا ما يحدث في زماننا يريد كل رجل أن يجمع عدة وظائف في قبضته لماذا؟ هل عددنا قليل؟! أو هل كوادرنا غير موجودة؟!

الأعداد كثيرة والكوادر كثيرة والشباب كثير في كل تخصص وديننا يؤمن بالتخصص الدقيق، والرسول ﷺ مع أنه كان يوحى إليه من ربه إلا أنه لم يجمع الأمور في قبضته بل وزع التركة على الأصحاب وقال: { **أَرْحَمُ أُمَّتِي أبو بكرٍ، وأشَدُّها في دِينِ الله عُمَرُ، وَأَصْدَقُها حَياءً عُثمانُ، وَأَعْلَمُها بالحلالِ وَالحَرَامِ معاذُ بْنُ جَبَلٍ، وأقرَؤها لكتاب الله أُبيٌّ، وأعْلَمُها بالفَرَائِضِ زَيْدُ بنُ ثابتٍ، ولِكُلِّ أمّةٍ أمينٌ، وأمينُ هَذِهِ الأمّةِ أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرّاحِ** }[٢٩] مع أن كل هؤلاء تعلموا منه لأنه المعلم الأول ﷺ بل إنه كان يستشيرهم ويقول لهم: { **أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً** }[٣٠].

فعلمهم ﷺ التخصص وحدد المسئوليات. فالرجل له مسئولية، والمرأة لها مسئولية، والخادم عليه مسئولية، وقال في مقدمة المسئوليات: { **كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** }٣١. ثم وضح مسئولية الرجل ومسئولية المرأة، ومسئولية الخادم حتى لا يوجد رجل في الإسلام يستبد بالأمور ويلغي شخصية الزوجة، هذا ليس في الإسلام، وأمر الرجل أن

---

٢٨ في الزهد عن خالد بن أبي عمران مرسلاً في الفتح الكبير وجامع الأحاديث.
٢٩ مسند الإمام أحمد، وسنن الترمذى وصحيح ابن حبان عن أنس ﷺ
٣٠ أخرجه ابن عدي والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس، وأوله (قال: لما نزلت ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ قال رسول الله ﷺ : { الحديث}.
٣١ عن ابن عمر في صحيح مسلم والبخاري ورواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس بن مالك وعن عائشة رضي الله عنها.

يدرب أبناءه من الطفولة فإذا بلغ الولد سن الرابعة عشر قال له (صاحبه) يعني اجعله لك أخاً وعلمه السلوك الحميد في المجتمع، كيف يكسب؟ وكيف يحصل على الأرزاق؟ وكيف يشارك في الأفراح؟ وكيف يواسي في الأحزان؟ وكيف يود الأقرباء؟ وكيف يحمل هموم الأخوة؟ حتى يخرج رجلاً بمعنى الكلمة، فالإسلام يؤمن بالتخصصات ولذا أمر المسلمين أن يحمل الواحد منهم ما يستطيع حمله، والذي لا يستطيع أن يقوم به إذا حمله يعتبر خان الأمة وخان نفسه وخان دين الله ﷻ، لأنه حمل نفسه ما لا يستطيع.

المبدأ الثالث يا إخواني هو التعامل، فقد رأى ﷺ أناساً { **قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يجيئون بالصخر من النار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتمى ظلما** }[٣٢] وهذه آفة المعاملة في مجتمعنا، إن الذي يغش في بيعه وشراءه يأكل أموال الناس بالباطل، والذى يخادع يأكل أموال الناس بالباطل، والذي يرائي يأكل أموال الناس بالباطل، والذي ينصب أو يحتال أو يغش هذا بالطبع تعلمون أنه يأكل أموال الناس بالباطل ... والله أيها المسلمون لو طبق المسلمون هذا المبدأ لكان ثروة كبيرة، لو حرص كل مسلم على اللقمة الحلال لنفسه ولذويه وأهله لانصلح حال مجتمعنا، فالعمل يكون بشرف بين التجار، ولا يكون جشع بين أصحاب رءوس الأموال، ولا نجد كذباً في مجتمعنا، ولا انعدام أمانة في محلاتنا، ولصار أولادنا أذكياء بالفطرة، مطيعين بالسليقة، بررة بآبائهم وأمهاتهم قائمون بما يرضي خالقهم وإلههم، يؤدّون الأعمال ويتقنوها لله، لأنهم يتعاملون مع ذات الله ﷻ.

السبب الرابع والأخير ويثور بسببه كثير من المشاكل، قال ﷺ: { **فإذا أنا بأخاوين عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينتهبون اللحوم المنتنة ويدعون اللحوم الطيبة فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الزناة يدعون الحلال ويتبعون الحرام** }[٣٣]، والمعنى طبعا لا يقصد به الرجال فحسب بل الرجال والنساء !! وهذه الظاهرة كما تعلمون جميعاً هي سرّ ما نعانيه الآن من خطف للإناث، وانتهاك للأعراض ومشاجرات تنتهي بالقتل أحياناً وتنتهي بالسجن أحياناً وأشياء وأشياء لا ترضي الله ﷻ ...!!!

كل هذا يمكننا أن نقضي عليه بآية واحدة من كلام الله. قال فيها الله ﷻ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾ (٣٢الإسراء)، لم يقل (لا تفعلوا الزنا) بل قال ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ﴾ لأن الإسلام وضع من الحدود والضوابط ما به تتم هذه العملية في مجتمع الإسلام كيف؟ ..

---

[٣٢] مسند الحارث عن أبي سعيد الخدرى

[٣٣] مسند الحارث عن أبي سعيد الخدرى ﷺ.

لا يجتمع رجل مع امرأة لا تحل له، ولا تسافر إمرأة إلا مع ذي محرم ولا تنام البنت مع أخيها بعد سن عشر سنين، بل لابد أن يكون هناك مكان للبنت ومكان للولد مع أنهما إخوان ويجعل الله ﷻ ضوابط كثيرة وكثيرة منها: لا تدخلوا البيوت حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها، ولا تدخلوا على المغيبات ، قالَ ﷺ: { **إِيَّاكُمْ والدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول الله أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قالَ: الْحَمْوُ المَوْتُ** }[٣٤] يعني الرجل القريب الذي يدخل على حماته .. أخت امرأته .. أو أم امرأته فهو الموت !! يعني حتى ولو كانت أخت زوجته لا يدخل عليها البيت إذا كانت بمفردها، يدخل ومعه زوجته، أو يدخل ومعه أولاده، أو يدخل عندما يكون معها أولادها الكبار العاقلين أو معها زوجها، وهكذا ...

فلو تتبعنا هذه الآثار وعرفناها ونفذناها لم تحدث الفاحشة في مجتمعنا أبداً، وإنما الذي يُزيّن هذه الفاحشة ما نجده في مجتمعنا من أفلام للعراة يعرضها الفيديو على فتياتنا وعلى شبابنا وصوراً عارية[٣٥] تباع في مجلاتنا ومجلات عارية تروج في مجتمعاتنا وغيرها من وسائل الاختلاط التي نراها من ضرورة العصر ومن أسباب مدنية العصر التى انتشرت ويحارب الغرب بكل طاقاته لفرضها على مجتمعات المسلمين تحت مسميات مختلفة فيصور الذي لا يوافق على هذا الاختلاط المرذول إنسان رجعي وإنسان متأخر بل ومن تشجيع الفتيات والفتيان على ممارسة الجنس قبل الزواج وتعليمهم كيفية التوقى من الحمل ...

ولكن الحقيقة أن من يجاريهم فى هذا ويوافق على الاختلاط المنهى عنه هو الذي يجني مغبتّه ويقع فيما حذره منه الله ﷻ، فإن هؤلاء القوم الكافرون لا أخلاق لهم والله ﷻ يعاملهم معاملة خاصة بهم، ويعاملنا معاملة خاصة، فعندما قال لهم: (لا تقربوا الزنا) وأباحوه رزقهم بالسيلان ورزقهم بالزهري فصنعوا العازل الواقى والوسائل العازلة للحمل وظنوا أنهم استطاعوا أن يتغلبوا على إرادة الله فأتاهم الله بالإيدز (مرض نقصان المناعة المكتسبة)[٣٦] حتى لا يستطيع الرجل أن يقرب حتى من زوجته إلا إذا عرضها على الطبيب وحصل على شهادة من الطبيب بأنها خالية من هذا الميكروب الخبيث، هذه الأمور أغنانا الله عنها ووقانا منها بإتباع شريعة الإسلام. وهكذا يا إخوان لو انتشرت بيننا الكلمة الصادقة الطيبة وانتشرت بيننا المعاملة الإسلامية الحلال وانتشر بيننا الرضا بما قدر ذو الجلال ولا يحمل الإنسان ما فوق طاقته وتتبعنا أوامر الله بالحفاظ على الأعراض لم يحدث في مجتمعنا مشكلة واحدة بل سيكون المجتمع الذي يقول فيه الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

---

٣٤ عنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، سنن الترمذي وصحيح مسلم وغيرها وفِي الْبَاب عنْ عُمَرَ وجَابر وعَمْرو بن الْعَاص

٣٥ وبالطبع ماشاع الآن مما يسمى الفيديو كليب ومما انتشر على الإنترنت من الفجر والعرى والفجور مما فاق الحد والخيال.

٣٦ والآن بدأ ظهور مرض "تآكل اللحم "وهو أفتك من الأيدز وهم محير للعلماء ولكنه لا يصيب إلا الشاذين جنسيا والله من ورائهم محيط.

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

قال ﷺ {التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}[٣٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، العليم الخبير، العلي القدير، الذي خلق كل شئ فقدره وأحسن تقديره، وصور كل صورة فأحسن تصويرها، ووضع لكل حقيقة ما به نفعها وسعادتها يوم لقاء ربها ﷻ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي تحدثنا عن المشاكل الاجتماعية فما وسائل العلاج للمشاكل الشخصية التي تجتاح البشرية والتي صورها علماء النفس بأنها عقد تجتاح بعض الناس ولا يجدون لها علاجاً؟

كل الأمراض النفسية وكل الأمراض العصبية منشأها من عدم التوازن في حياة هذا الإنسان، فإذا كان الإنسان متوازناً في حياته، متوازناً في سلوكه فإن الله ﷻ يحفظه من الأمراض النفسية والعصبية. كيف يحقق هذا التوازن؟ بأن يقيم علاقة بينه وبين الله ويكون ذلك في الصلاة التي أتى بها رسول الله ﷺ. نحن والحمد لله كلنا نؤدي الصلاة، لكننا نؤديها والمطلوب منا أن نقيم علاقة بيننا وبين الله يعني عندما يقف الإنسان بين يدي الله يناجيه يتكلم فيسمعه ربه، ويتكلم الله ﷻ فيسمعه ... { قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: { الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: { الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ }. قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي (وفي رواية: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }. قَالَ: هذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }. قَالَ: هذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٣٨] يعني مناجاة تدور بين الإنسان وبين الله ﷻ.

إن الإنسان الذي تعتريه مشكلات كثيرة في دنيا الناس يتعب ويكد ويكدح ليقابل

---

٣٧ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

٣٨ صحيح مسلم وكثير غيره عن أبي هريرة ﷺ

المسئول وبمجرد أن يحظى بمقابلة المسئول عن هذه المشكلة ويعرضها عليه حتى ولو لم يحلها وإنما يعطيه وعداً بحلها تذوب همومه وكربه وضيقه ويخرج منشرح الصدر، والله ﷻ يطلب منك أن لا تلجأ إلى سواه وأن تعرض عليه كل الأمور التي تلم بك في هذه الحياة وهو يحلها بطريقته الخاصة، لكن لا تشك ولا ترتاب لأنه يرزق من يشاء بغير حساب، لو أقام الإنسان منا علاقة بينه وبين مولاه.

حافظ على إقامة الصلاة، فحافظ على الخشوع والخضوع بين يدي الله في الصلاة إن مثل هذا لن تنتابه أمراضاً عصبية ولن يعكر صفوه مشكلة نفسية ولن تجد شيئاً يعكر باله بل يعيش هانئ النفس، مرتاح البال وماذا يبقى لعبد لا يحتاج إلى شئ إلا ويقول يا ربَّ فيجد الله ﷻ قد فرج كربه وقد قضى حاجته في الحال، مثل هذا كيف يعتريه الملل؟ مثل هذا كيف يصيبه هم أو نصب؟ كان ﷺ كما تروي عنه السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنه كان ﷺ {إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى}[39] وفزع إلى الصلاة فيرفع الله عنه الهم ويكشف الله عنه الكرب، وقال الله ﷻ لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٥٣البقرة)، استعينوا على أمور الدنيا وعلى المشاكل وعلى الأرزاق وعلى كل شئ بالله ﷻ.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[40]

جمال الدعاء في الإسراء

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ ونستعينه، نحمده على أن هدانا للإيمان وجعلنا مسلمين، ونستعين به ﷻ في كل أمر من أمورنا حتى نكون على نهج الرسول الأمين، ونستعين به ﷻ أن يوفقنا في حياتنا وسلوكنا حتى يختم لنا جميعاً بالإيمان ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو وحده الذي بيده مقاليد كل شئ، بيده الضر وبيده النفع، وبيده الخير، وبيده العفو والعافية، وبيده المنح والعطايا، وبيده كل أمر يتعلق بالكائنات لأنه ﷻ هو واهب الحياة لنا، وهو مدبّر أمورنا ومصرّف أقدارها وهو على كل شئ قدير.

---

٣٩ سنن أبي داوود عن حذيفة.

٤٠ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٥ من رجب ١٤١٤هـ – ١٩٩٤/١/٧م.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، اختاره الله ﷻ مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قوياً لأهل مودته، وأمرنا أن نتأسى به في هديه وسيره وسيرته وقال لنا فيه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب). اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة الحسنة للمقربين والقدوة الطيبة للصالحين وصاحب لواء الشفاعة الأعظم للخلائق أجمعين حتى النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي كيف نتأسى بسيدنا رسول الله في إسرائه ومعراجه؟ نحن جميعاً علمنا كيف نتأسى به في الملبس، وكيف نقتدي بهديه في المطعم، وكيف نكون كحاله في المشرب، وكيف ننفذ هيئته وسنته في المشي والكلام ومعاشرة الزوجات والأولاد والجيران والأقارب وغيرها من خصال البر والخير، لكن كيف نتأسى به في الإسراء والمعراج؟

فنحن جميعاً نعتقد أن هذا أمرٌ قد خصه به الله ولم يخص به أحدٌ سواه ولو مِنْ أنبياء الله ورسل الله عليهم السلام أجمعين. لكن يا إخواني الأمر سهل ويسير والله عزوجل يضرب لنا المثل جميعاً لحضرة البشير النذير ﷺ. فنحن نسير في ضروب هذه الحياة نتعرض للمشاكل ونتعرض للمصائب ونتعرض للمتاعب ونتعرض لفنون وألوان من تعب النفس أو من قلق القلب أو من عذاب الضمير أو غيرها من أنواع الآلام النفسية أو الاجتماعية أو الأسرية. ما العلاج الأمثل لهذه الآلام؟ وما المفتاح السحري الذي يقضي على كل هذه المواجع والمشاكل في لمح البصر أو في طرفة عين أو أقل؟

مهما تعرضنا لصنوف البلاء ولأنواع الإيذاء فلن نتعرض لما تعرض له سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، فمن مكث في قومه أو في بلدة عشرة سنين يدعوهم إلى الله ويأمرهم بتوحيد الله، وينهاهم عن عبادة الأصنام والأوثان، لا يطلب منهم مالاً ولا يطلب منهم جاهاً أو سلطاناً، ولا يطلب منهم مكانة أو منزلة على هذا الأمر، بل إنما يقول لهم كما قال الله عنه وعن جميع أنبياء الله ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٧٢يونس)، ومع ذلك كذّبوه ولم يكتفوا بذلك بل سبّوه وشتموه وعابوه وجرحوه وأهانوه ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يقّلبون العرب والملأ والقبائل عليه ويقبّحون صورته ويشنّعون على دعوته ويتهمونه بما لا يستطيع واحدٌ منّا أن يتحمل تهمة واحدة منها في حياته الدنيا !!

ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه وطردوه فذهب إلى الطائف يرجو خير أهلها، ويدعوهم إلى الله ﷻ، لكنهم قد أرسلوا قَبْله من يحرّضهم عليه، فقاموا بإيذائه حتى خرج من البلد وعند خروجه من البلد أمروا من عندهم من العبيد والصبيان أن يطاردونه ويسبّونه

ويشتمونه ويقذفونه بالحجارة حتى دَميت قدماه الشريفتان صلوات الله وسلامه عليه، كل هذا في سبيل تبليغ دعوة الله وتنفيذ أمر الله ﷻ ،فيترل عليه إلهام الله فى الحال بماذا يصنع؟

فرفع الأمر إلى الله لأنه يعلم أن تسيير دفة الأمور كلها بيد الله ﷻ. ولو شاء لهدى الناس جميعاً لكنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء لحكمة يعلمها ﷻ في علمه الأزلي ولن نعلمها جميعاً إلا يوم العرض والجزاء، فندرك حكمة ذلك فيمن يشاء ﷻ . فرفع الأمر إلى الله واستجار بالله وقال فيما أنبأنا عنه الرواة { **اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمُ الذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمواتُ وَالأَرْضُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ، أَوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ، وَلَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ** }٤١ ... مفتاح عظيم فتح به النبي الكريم أبواب الإجابة في السماوات ففتحت أبوابها وتحركت جنودها ووقفوا جميعاً على أهبة الاستعداد وقدموا طلبات إلى المنعم الجواد يستأذنونه في الترول لتنفيذ أمر هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. هذا المفتاح يا إخواني سلمه الله ﷻ لرسوله وألهمه به وسلمه ﷺ لنا، فلا يقع واحد منا في كرب ولا تصيبه نكبة ولا يلم به شدة فيتوجه بهذا الدعاء إلى الله إلا وتفتح له أبواب السماء في الحال وتترل له من عند الله جنود لا يعلمها إلا الواحد المتعال، تكون طوع أمره، ورهن إشارته لأنه تأسى برسول الله ﷺ.

فإنه ﷺ ما كاد ينتهي من الدعاء .. واسمعوا لقوله ﷺ : { **فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنّ اللّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلّمَ عَلَيّ. ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ! إِنّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ** (جبلين محيطين بمكة)، **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً** }.٤٢ وهكذا علّمنا وأدّبنا، علمنا ألا ندعو حتى على أعدائنا في وقت الشدة فضلاً عن أنفسنا وفضلاً عن أهلينا وفضلاً عن أموالنا وفضلاً عن أبنائنا فقال ﷺ: { **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ،**

---

٤١ عن عبد الله بن جعفر، رواه الطبراني في مجمع الزوائد.
٤٢ صحيح مسلم عن عائشة ﵂ .

وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً نِيلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيُسْتَجَابَ لَكُمْ } ٤٣.، وهنا وقفة جانبية : بعضنا – وهذا يحدث كثيراً – عندما يُصيبه همٌّ أو غم أو كرب يدعو بأن يتوفاه الله أو يدعو بأن يصيبه بالبلاء والأمراض أو يدعو بأن ينتقم منه الله وهذا أمرٌ منافٍ لسنة الإسلام يا إخواني .... يعني يقول الرجل: (ربنا يموّتني ويريحني منكم)، عندما يتعبه أولاده، أو يقول لزوجته: (ربنا يأخذني ويريحني من وشّك) !! مثل هذا الكلام نسمعه كثيراً وهي أيضاً تقول لأولادها عندما يغضبوها :(ربنا يريحني منكم)، يعني ربنا يموّتني، أو :(ربنا يعمل فيّ كذا وكذا علشان أبعد عنكم ولو حتى أروح السجن أو مستشفى الأمراض العقلية أو فى مصيبة!!!) .. أهذا يصحُّ يأيها المسلمون ؟ هذا أمرٌ لا يليق.!!!!

وكذا الدعاء على الأموال كأن يحاول الإنسان مثلاً أن يدير سيارته فلا تدور فيدعو عليها فيقول لها (ربنا يوقف حالك)، وهذا الكلام نسمعه كثيراً ألا تدري أنه إذا أوقف حالها فإنه يُوقف حالك أنت، وأنت الذي تتعب وتتعرض للمشاق، ما الأفضل؟ أن تقول لها ربنا يوقف حالك أم تقول لها ربنا يهديك أو ربنا يصلح شأنك؟ فالمؤمن يا إخواني لا يدعو على أحد أبداً بل يدعو بالهداية فيدعو لزوجته بدلاً من أن يدعو عليها، فلا يقول لها: ربنا يخلصني منك أو ربنا يريحني منك بل يقول لها: ربنا يصلح حالك، ربنا يهديك، ربنا يحسّن أخلاقك، ربنا يكرمك ويضع الإيمان والتقوى في قلبك. وبدل أن يدعو على أولاده يدعو الله لهم بالهداية، ويدعو الله ﷻ لهم بالإيمان، ويدعو الله ﷻ لهم بأن يقوموا بأوامر الله، ويتأسوا بسنة سيدنا رسول الله.

هذا هو مبدأ الإسلام يا إخواني، ولو عادى الإنسان منا إنساناً لا يدعو عليه قال ﷺ: { مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ } ٤٤، يعني أخذ حقه، فالذي دعا ولو كان مظلوماً يكون أخذ حقه يعني لا يجب عليه أن يرفع قضية على هذا الظالم يوم القيامة إن شاء الله، ولو رفع القضية فإن إدارة المحكمة الإلهية تسقط دعواه لأنه دعا على هذا الظالم بالويل والثبور والنكبات والأمراض وغيرها في هذه الحياة، فلا ترفع لك القضية ولو على ظالم إلا إذا كنت لم تنتصر عليه إلا بالله، وكنت كما قال نبي الله موسى ﷺ ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٤٤غافر).

ولذا لما كان ﷺ يدعو لقومه لم يدعو عليهم مع أنهم ظلموه على اليقين وآذوه وكلكم تعلمون وتتأكدون ولكن كان يقول لهم وعليهم:

---

٤٣ عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، صحيح مسلم – باب حديث جابر الطويل – وفي صحيح ابن حبان عن جابر بن عبد الله.
٤٤ عن عائشة رضي الله عنها في مسند أبي يعلي.

{ **اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** }٤٥، فبدلاً من أن أدعي على خصمي بأن يهلكه الله أو ينتقم منه الله، ادعوا الله أن يهديه ويعرفه الحق ويجعله يمتثل به، أدعو الله ﷻ أن يرده لطريق الهداية حتى يبصر الحلال، ويمشي فيه ويترك الحرام. أدعو الله أن يبصره بأمره حتى يكون على بصيرة من نفسه وعلى بصيرة من أمره وحتى لا يفعل معي أو مع غيري ما يغضب الله ﷻ.

لماذا ينهانا الله عن الدعوة على الظالمين؟ لأني ربما أظن أنه ظالم وهو في نظر الله مظلوم وأنا لست أدري، وربما يكون معه حجة لم أعرفها وله وجهة نظر يرضى عنها الله وإن كنت أنا لحظي أو لهواي أو لغرض في نفسي لا أرضى عنها!، فإذا أجاب الله دعوتي فقد ورد في الأثر { **القاتل بدعائه كالقاتل بسيفه** }، وقتله الله استجابة لدعائي! يُحاسبني على ذلك يوم القيامة ويسألني كيف ولماذا؟ يحاسبني على أنني قتلت فلاناً لأن دعوتي مستجابة وهل أحطت بكل شيء حتى أطلب من الله أن يقتله؟، والدعوة المستجابة تتحكم فيها الإجابة ويكون كأنه قتل نفس بريئة من غير حق ... ولذا فالواجب أن يُرجع الإنسان الأمر إلى الله ويفوضه إلى الله ويرفعه إليه، والله ﷻ لا يظلم أحداً من خلقه ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (٤٦فصلت).

إذاً علينا يا إخواني الدعاء لكن في الخير وفي البر وفي المعروف فإن رسولكم الكريم ﷺ قال: { **يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ** }٤٦، وفي الرواية الأخرى { **لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ** }٤٧. لا يجوز أن يدعو على مؤمن بأن يوقعه الله في مصيبة أو أن يجعله الله يقع في ذنب ويُقبض فيه أو يبتليه الله بنكبة ليس له منها مخرج، ويحم القضاء عليه بسببها لأن المسلم لا يدعو بإثم يعني بذنب ولا يدعو بقطيعة رحم يعني لا يدعو على ولد بأن ينسى أمه وأباه ليتفرغ لزوجه أو يدعو على رجل بأن يقاطع أخوته ويبعده الله عنهم ليحب زوجته وأولاده لأن الإسلام يدعو إلى البّر ويدعو ويدعو إلى الخير.

فالمسلم يدعو بالبر ويدعو بالخير ويستجيب الله ﷻ له الدعاء ما دام لا يتعجل في دعائه .. ولا يدعو بإثم أو قطيعة رحم ... ، وما زال يدعو الله ﷻ وهو موقن بالإجابة والذي يدعو الله كما يقول علماء النفس في هذه الحياة على الأقل يُفرغ الشحنة العصبية الموجودة في داخله ولا يكتمها في نفسه فتصيب أعضاءه بالأمراض النفسية.

فإن الإنسان لو أهمه أمر أو أقلقه أمر لا يرتاح نفسياً ولا عقلياً ولا جسمانياً إلا إذا

---

٤٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان.
٤٦ عن أبي هريرة وعن عبادة بن الصامت رواه الترمذي باختصار استعجال الدعاء، رواه الطبراني في الأوسط.
٤٧ عن أبي هريرة في صحيح ابن حبان.

أفضى به إلى إنسان آخر فإذا أفضى إلى الآخر استراح. وإذا ظل هذا الأمر في دخيلة نفسه يُتعبه وربما يُصاب بالضُرّ وربما يزيد عنده التوتر وربما يزيد القلق النفسي وربما يُصاب بمرض عصبي وربما يُصاب بمرض جسماني لأنه حبس هذه الشحنة من الغضب والتوتر والقلق في نفسه فلابد أن ينتهي إلى غيره وإذا تحدث بها إلى غيره ماذا يفعل الغير؟ .. لن يستطيع نفعه ولن يستطيع دفع الضرّ عنه، بل ربما يزيد البلاء بلاءاً، ربما ينقل الكلام إلى الأعداء فيزيد الطامة الكبرى من البلاء عليه وربما يبثه حديثاً ضاراً بينه وبين زوجه فيعلمها بطريق حسن أو غير حسن فيقلب العداء عليه جهاراً بعد أن كان مستتراً، وربما يبثه أمراً بينه وبين صديقه فيذهب إلى صديقه ويخبره، وقد أصبح الصديق الأمين المؤتمن على الأسرار في زماننا يا إخواني قليل وأقل من القليل !!!!!!

إذن كيف أُبيح بما في نفسي، وكيف أُذهب عصبيتي وتوتري؟ أبث أمري إلى الله ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٨٦يوسف). وهو ﷻ وحده الذي يجيرني، وهو وحده الذي يستطيع أن ينفعني أويمنع الضرّ عني، وهو وحده الذي يكتم السّر ولا يُبيحه حتى لأعضائي ولا يبيحه حتى لأصدقائي حتى يوم القيامة يحاسبنا جماعة المؤمنين بيننا وبينه قال ﷺ: { **يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ**[يعني في ستره] **ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ**: يا ربَّ **أَعْرِفُ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. قَالَ، ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، أَوْ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ** }٤٨. فالذي فعل ذنباً يؤرقه ولا يستطيع أن يخبر أحداً! به عليه أن يخبر به الله، وأن يبثَّ شكواه وألمه إلى الله ويرفع أمره إلى الله ويُقبل على الله تائباً، ويستغفر الله يجد الله تواباً رحيماً، ويجد الله غفوراً رحيماً ويجد الله معه في كل أموره لأنه قال ﷻ ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (٦٠غافر). أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ على نعمه علينا في كل وقت وحين، ونسأله ﷻ أن يزيدنا مِنْ برّه وكرمه وفضله أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وحبيبه. اللهم صلِّ على سيدنا محمداً وآله وصحبه وسلم، واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واْشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

---

٤٨ صحيح ابن حبان وسنن ابن ماجة عن صفوان بن محرز.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله، عندما يدعو الإنسان خاصة عند الكرب وربما لا يستطيع أن يتملك زمام نفسه .. فيدعو على ولده أو على أهله لينفّس عن نفسه وليخرج ما في نفسه من الصدمات العصبية والشحنات النفسانية !!!

ولكن الله ﷻ أعطى نبيكم الكريم الطريقة الإيمانية للدعاء والتي تجعل الإنسان يدعو الله كما ينبغي، ويدعو الله وهو ساكن النفس مطمئن البال والله ﷻ معه على سماعة التليفون يرد عليه ويجيب طلباته وينفذ رغباته لأنه ﷻ قريب من كل من يدعوه ويناجيه. فأعطاه الله ﷻ مفتاحاً خاصاً بكم جماعة المؤمنين لم يعطه للسابقين حتى الأنبياء والمرسلين!! وهو مفتاح الصلاة وأمره أن يجعلها هي سماعة النجدة أو تليفون الإغاثة الذي يغيث به المسلمين والمسلمات في كل كرب أومعضلة في أي مكان أو جهة من الجهات، سماعة وتليفون لا يحتاج إلى اشتراك شهري أو سنوي ولا يحتاج إلى جهاز مركب في منزل أو سيارة ولا يحتاج إلى مال تدفعه وإنما يحتاج فقط إلى إيمان صادق يدفعه إلى طاعة الله ﷻ ويرفعه إلى الله ﷻ .

فأمر نبيكم الكريم المؤمن أن يلتزم بهذا الأمر ولا يدعو الله إلا في الصلاة لماذا؟ لأنه إذا كان غاضباً وتوضأ هدَّأ الوضوء والماء من غضبه فيخرج بعد الوضوء وقد سكنت نفسه وقد ذهب توتره وقد رجع إليه عقله الراجح ثم يدخل في الصلاة، والصلاة بما فيها من كلمات أمرنا أن نرددها الله، وتسبيحات أمرنا بها رسول الله تدخل على النفس السكينة والطمأنينة فإذا وصل إلى السجود قال فيه سيد الوجود { **وَإِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ [يعني حقيقاً] أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ** } [٤٩]، فما دعا رجل الله في سجوده إلا واستجاب الله ﷻ له في الحال، لأنه إذا وصل إلى السجود بعد الخطوات التي ذكرناها يكون قد هدأت نفسه واستراح باله وتكلم بكلمات يعقلها لا يندم عليها واستحضر عظمة العظيم ﷻ في قلبه فيناجيه بما يحب أن يسمعه ﷻ.

فمن وقع في ذنب عظيم ما عليه إلا أن يصلي ركعتين أمام حضرة العظيم يقول فيهما النبي الكريم { **مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لمْ يُحَدِّث نفسه فيهما بشئ خرج مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** } [٥٠]، وهذه اسمها صلاة المغفرة، يفعل الإنسان الذنب ثم يركع بين يدي الرب ركعتين فيخرج منهما ليس عليه ذنب وربما ينطبق عليه قول الله: ﴿ **فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ** ﴾ (٧٠الفرقان)، يجعل مكان كل ذنب حسنة من فضله وجوده وكرمه ﷻ.

---

٤٩ سنن النسائي الصغرى عن عبدالله بن عباس

٥٠ عن عثمان بن عفان، رواه أبو يعلى.

ومن أهمه أمر من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة وليس عنده الشجاعة لاتخاذ القرار فيه من يشاور؟ هل يذهب إلى بيت خبرة؟ أو هل يذهب إلى مكتب لشئون الأسرة؟ أو هل يذهب إلى صديق يستشيره؟ ومن هو المشير الذي في درجة العلي الخبير ﷻ؟! يصلي ركعتين لله، ثم يدعو بدعاء الاستخارة الذي كان يقول فيه سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ وأرضاه: **{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَاسْتَعِينُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ** (ويحدِّده) [وهو السفر مثلاً أو الزواج من فلانة مثلاً أو إنشاء مشروع كذا مثلاً] **خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ** (ويحدِّده) **شَرٌّ لِي فِي دِينِي ومعاشي وعَاقِبَةِ أَمْرِي، أو قَال: عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عَنْهُ، واقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ ارْضِنِي بِهِ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم }٥١**.

ماذا يتم له في الأمر؟ يقول رسولكم الكريم: **{ مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ }٥٢**، لا يخيب في أي قرار يتخذه مادام قد استخار الله ورضى بما أشار عليه الله والمشورة تأتي إلهاماً في قلبه (يعني يوجهه الله إلى هذا الأمر) ويحببه في هذا الأمر.

أما من يذكرون الرؤية المنامية فهذا أمر لم يذكره نبينا في أحاديثه النبوية، وإنما الذي ذكره أن الإنسان ينشرح صدره إلى أمر فيتجه إليه، فإذا كان الله ﷻ يتنزل لنا بنفسه القدسية ويطلب منا أن نستشيره في كل أمورنا الدينية وفي كل أحوالنا النفسية والعائلية فكيف نحتار بعد ذلك يا جماعة المؤمنين ومعنا المشير الأعظم وهو رب العالمين ﷻ ...

وإذا عجز الإنسان عن أمر ولا يستطيع تحقيقه ماذا يفعل؟ ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٥٣البقرة). استعن على هذا الأمر بالصلاة، رسولكم الكريم كان أعداءه يحيطون بالثلة المباركة وهم قلة وعددهم ثلاث مائة وعدد الكافرين يزيد عن الألف ما السلاح الذي يقاتل به؟ هم يقاتلون بسيوفهم ورماحهم وسهامهم وهو يقاتل بالصلاة والدعاء فيها لله ﷻ وما استكمل ركعتين حتى قال لأبي بكر **{ أبشر يا أبا بكر هذا جبريل قد أتى على فرس على ثناياه** (يعني على أسنانه) **النقع }٥٣**، يعني الغبار معه ثلاثة آلاف من الملائكة مسلحين. جاءوا لنجدته وجاءوا لمعونته صلوات الله وسلامه.

---

٥١ عن جابر بن عبد الله، رواه الطبراني في الثلاثة وفي صحيح البخاري.
٥٢ عن أنس رواه الطبراني في الصغير والأوسط.
٥٣ عن عائشة، رواه أحمد في مجمع الزوائد ومسند الإمام أحمد.

فالأمر الذي يعجز المسلم عن تنفيذه يستعين عليه بالصلاة لله ﷻ، يعينه الله ويمده الله بمدد من عنده حتى الأمر الذي يعجز الطالب أو العامل عن حلّه أو فهمه يتأسى فيه بإمام العلماء الذي قال فيه سيد الأنبياء { **اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيْشاً فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلا طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً** }٥٤ وهو الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه كان إذا سأله سائل عن سؤال لا تحضره الإجابة فيه في الحال يقول: انتظر يا هذا، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين لله ثم يقول له بعد الصلاة إجابة سؤالك كذا وكذا فيقولون له كيف عرفت الإجابة ولم تطلع على مرجع ولم تنظر في كتاب؟ فيقول نبّأني العليم الخبير وأنا في الصلاة.

حتى الذي يحتار في عُمّاله كيف يعرف الأمين منهم من الخائن؟ وكيف يعرف الذي يُرضي ضميره من الذي يخون؟... عليه أن يتبع سياسة القائد الأعظم الحاكم العادل عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه لقد كان عندما يأتي ولاته وعماله في الأقاليم ليحاسبهم يقول لهم: انتظروا حتى استشير ربي ﷻ فيكم، فيصلي ركعتين لله ﷻ ثم يخرج بعد الصلاة ويقول لكل واحدٍ منهم أنت حسابك كذا!! وأنت لا تُولّى لنا على عمل وأنت أسكناك في مكانك فيقولون من أين لك هذا يا أمير المؤمنين؟ فيقول عرضت الأمر على ربي في الصلاة! فأنبأني بما ترونه وهو حُكم الله ﷻ!!

كيف يحتار المؤمن يا إخواني ومعه الصلاة. إن الصلاة هي التي توصلك لله ﷻ، وهي المفتاح الأعظم الذي سلمه لكم رسولكم الكريم ... . << ثم الدعاء >>.

الخطبة السادسة[٥٥]

بركة الوقت للأنبياء والصالحين

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل للخير أوقات وللطاعات آنات يفتح فيها أبوابه للتائبين، ويرفع أجره وثوابه للذاكرين، ويشرح فيها صدور عباده الموفقين. سبحانه سبحانه لطيف بعباده رحيم بخلقه، يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له أنزل هداه على حبيبه ومصطفاه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من أمور الحياة أو من أحوال العبد بين يدي مولاه. فكل شئ يحتاجه المرء منذ أن تفتح عينيه عند ولادته إلى أن

---

٥٤ ابن عساكر عن أبي هريرة

٥٥ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بحدائق المعادي بالقاهرة يوم الجمعة الموافق ٢ من رجب ١٤١٦هـ - ١٩٩٥/١١/٢٤م.

يختاره الله ﷻ لجواره. كل شئ يفعله أو يطلبه تجده في كتاب الله ﷻ لئلا يكون للناس على الله حجة، ويكون الأمر بعد ذلك محض فضل الله وسابقة الحسنى من الله ﷻ.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، حجة الله على العالمين في هديه وفي خلقه وفي سلوكه وفي مشيه وفي أكله وشربه وفي ملكه وفي فقره صلوات الله وسلامه عليه .... اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد الذي أجريت له وعليه جميع الأحوال وقلبته بين الشدة واليسر وبين الفقر والغنى وبين الخوف والعز ليكون في ذلك قدوة لمن وراءه ومن بعده إلى يوم الدين. وصلى اللهم وبارك عليه واجعلنا من خيار التابعين، وارزقنا المشي على هداه والمحافظة على سنته في كل وقت وحين نحن وإخواننا المسلمين أجمعين، أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون سمعنا قبل الصلاة آيات من سورة التوبة:

وهي بحمد الله ﷻ جاءت في أول يوم من شهر التوبة، شهر رجب المبارك الذي نسأل الله ﷻ أن يتوب علينا فيه أجمعين من كل ذنب صغير أو كبير، علمناه أو جهلناه، ونسأله ﷻ أن يجعل تلك السيئات في صحائفنا حسنات إنه على كل شئ قدير.

لقد كان نبيكم ﷺ يفتتح هذا اليوم وهو اليوم الأول من شهر رجب ومن يمن الطالع لنا وعلينا أنه يوم جمعة وأن هذه الساعة، ساعة الجمعة ساعة إجابة فكان يفتتحه بهذا الدعاء. فسندعو به وكرروه معي لعل الله ﷻ يستجيب لنا أجمعين (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) ثلاث مرات يا ربَّ العالمين. هذا الدعاء يدعو فيه سيد الأنبياء ﷺ بأن يبارك الله ﷻ لنا في شهر رجب. كيف تكون البركة؟ هل سيزيد الله ﷻ أيامه على الثلاثين أو هل سيطيل الله ﷻ يومه وليله عن الأربع والعشرين ساعة؟؟

كلا لكن البركة التي يقصدها ويعنيها سيدنا رسول الله ﷺ هي التي يواجه الله ﷻ بها عباده الصالحين فإن من إكرام الله للمتقين ومن منته وفضله على الصالحين أن يبارك لهم في الوقت والزمن بمعنى أن العمل الذي يحتاج في تنفيذه ليالي كثيرة يوفقه الله ﷻ في تنفيذه في لحظة يسيرة وقد ضرب الله ﷻ المثل على ذلك في هذا الشهر الكريم لنبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه. لقد أرسل إليه الأمين جبريل وهو نائم قال رَسُولَ اللهِ ﷺ : { فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي }[٥٦] فحشوه بالإيمان والحكمة ثم مر بيده عليه فرجع إلى حالته ولم يشعر بألم ولا وجع ولا

---

٥٦ رواه البخاري عن أبي ذر.

احتاج إلى خيط للجراحة ولا مشرط للفتح لأن هذا أمر من يقول للشئ كـن فيكـون، ثم أحضر له البراق وركبه وأمسك جبريل بلجامه وإسرافيل يمشي خلفه وملائكة الله عن يمينه وعن يساره حتى وصل إلى المدينة المنورة، وقال إنزل فصل – والصلاة كانت في هذا الوقت هي الدعاء لأنها لم تفرض إلا في تلك الليلة – فها هنا دار هجرتك ثم أخذه إلى قبر موسى وقال إنزل هنا فصل فهذا قبر أخيك موسى عليه السلام، ثم أخذه إلى مكان ميلاد عيسى في بيت لحم وقال إنزل فصل فهنا ميلاد عيسى.

ثم ذهب إلى بيت المقدس ووجد مائة ألف ويزيد عليهم أربعة وعشرين ألف هم مجموع الرسل والأنبياء في انتظاره، وتقدم وصلى بهم لله ثم جلسوا على المنصة وجلس كل واحد منهم في دوره يثني على الله بما وهبه الله في دنياه من التأييد في تبليغ رسالة الله عز وجل، فخطب إبراهيم خليل الرحمن، ثم خطب نوح عليه السلام ، ثم خطب موسى عليه السلام ، ثم خطب داود وبعده سليمان، وآخرهم عيسى عليهم السلام ثم قال الأمين جبريل:

الآن يتكلم عليكم مسك الختام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فألقى خطبة عظيمة كان في مقدمتها { **الحمدُ لله الّذي أَرْسَلني رَحْمةً للعالمينَ وكافةً للناسِ بَشيراً ونذيراً وأَنْزَلَ عَليَّ الفُرْقانَ فيهِ تِبْيانُ كلِّ شيءٍ وجَعَلَ أُمَّتي خَيْرَ أُمةٍ أُخْرجَتْ للنَّاسِ وَجَعَلَ أُمَّتي وَسَطاً وجَعلَ أُمتي هُمُ ألاوَّلونَ وهُمُ الآخِرونَ، وشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ورَفَعَ لِي ذِكْرِي وجَعَلَني فاتِحاً وخاتِماً** } ٥٧.خطاب طويل ثم قدم التحية الأمين جبريل.

ثم صعد إلى السماوات وبين السماء الأولى والأرض كما أنبأ ﷺ (مسيرة خمسمائة عام) وعرض كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام زارها جميعاً واجتمع بكبار ملائكتها وحادثها وحادثوه وحادثهم ثم زار الجنان، واطلع على النيران ووصل إلى عرش الرحمن وذهب إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ورجع بعد ذلك وفراشه الذي كان نائماً عليه لم يبرد بعد – مازال دافئاً – !!!!

كيف قطع تلك المسافات؟ وكيف جاز تلك الجهات؟ وكيف أجرى كل تلك المحادثات في جزء قليل من الليل؟ إن هذه بركة الوقت وبركة الزمن التي أعطاها الله عز وجل له، ولذلك يسمع بعضنا أن الإمام علي زين العابدين مثلاً كان يصلي كل ليلة ألف ركعة لله عز وجل، يطيل فيها السجود حتى لقب بالسجاد، كيف يكون ذلك إلا إذا بارك الله له في هذا الوقت وبارك الله له في هذا الزمان.

---

٥٧ عن أبي هريرة، رواه البزار ورجاله موثقون في مجمع الزوائد.

وسيدنا عثمان ابن عفان ورد عنه في الروايات العديدة .. أنه كان بعد صلاة المغرب يصلي ركعتين لله يقرأ فيهما القرآن كله من أوله إلى آخره !! وينتهي منهما قبل صلاة العشاء، هذا أمر لو قسناه بعقولنا لذهلت لأنه أمر فوق مدارك العقول، ولكن إذا قسناه بأرواحنا وبكتاب ربنا فلا عجب !!

فقد كان الأمين جبريل يترل على الحبيب ﷺ من فوق سدرة المنتهى إلى الأرض في أقل من لمح البصر لأن الله ﷻ اختصر له الزمن واختزل له الوقت وهذا أمر يجريه الله ﷻ لعباده المؤمنين ولأوليائه الصالحين. ومنهم هذا الرجل الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه فقد كان نائماً في المسجد النبوي الشريف على التراب – ولذا لقبه النبي ﷺ وقال له قم يا أبا تراب – فدخل النبي ﷺ وهو نائم فأراد بعض أصحابه أن يوقظوه ومشى بعضهم مسرعاً فأشار إليه النبي ﷺ وقال ما معناه: { **دعوه فإن علي وإن كان جسمه على الثرى [يعني على التراب] إلا إن قلبه بالملأ الأعلى** } الجسم لا يستطيع أن يتحرك هذه الحركة التي كان فيها سيد الأولين والآخرين لأن هذه خصوصية من الله ﷻ له لكن القلب إذا نام الجسد يجري الله ﷻ عليه من أنوار هذه الخصوصية فيطلع على السموات العلا وينظر إلى العرش ويدخل الجنان ويتجول فيها وفي ربوعها ويقوم من نومه وقد قطعت روحه ما لا يقطعه المرء في آلاف السنين، وهو قطع ذلك كله في لحظات يسيرة قد تكون ساعة أو بضع ساعة. كذلك إذا أكرم الله عبداً وأراد أن يعلمه كما علم الخضر ﵇ ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف)، يعلّمه كما علّم نبيكم الكريم.

فقد جاء الطست من عالم الملكوت مملوءاً بالإيمان والحكمة وبالله عليكم هل الإيمان تراه العين؟ وهل الحكمة تطلع عليها العين؟ أو توضع في طست؟ لكنها أمور معنوية ذكرها لنا النبي ﷺ ليعلمنا الإكرام الذي يكرم الله ﷻ به أمة الإسلام في كل وقت وفي كل زمان ومكان، فقد وضع في قلبه الإيمان والحكمة فعلم علم الأولين وعلم الآخرين وعلم علوم كل شئ يحتار فيها كبار العلماء المعاصرين للحكم العلمية والتقارير المحمدية التي أنبأ بها بدون أن ينظر في تليسكوب أو يطلع في مجهر أو يقرأه في كتاب أو يستغرق في مكتبة ولكنه من باب قول الله ﷻ :﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) ...

يعلمكم الله من عنده علوماً إلهية وعلوماً ربانية. إياك أن تقول إنها لا تمشي مع التكنولوجيا العلمية، لأنها جاءت من واهب الحياة، ومن ممد كل من في الكون بأسرار الكون وبأسرار الحياة، لأنه رب العالمين ﷻ.

فإذا أكرم الله العبد المطيع اختصر الله له الزمن، واختصر الله له الوقت، وطوى الله ﷻ

له المكان فيريد أن يقضي عدة مصالح في بلدة كبلدتنا وبين كل مصلحة والأخرى مسافات فيهيأ الله ﷻ له الأمر فيقضيها كلها في لحظات، فعندما يصل إلى المصلحة الأولى يجد الموظف الذي يحتاجه كأنه في انتظاره وليس هناك طابور أمامه، وذلك من بركة الله عليه ومن تيسير الله ﷻ عليه، يفتح له إشارات المرور ويهيأ له مكان يوقف فيه سيارته، يهيأ له الأسباب حتى يختصر له الزمان، لأنه اتقى الحنان المنان ﷻ.

وقد روت إحدى مذيعات التليفزيون المصرى وهي السيدة كاريمان حمزة إنها أعطت كتاباً من تأليف أبيها للشيخ عبد الحليم محمود رحمة الله عليه ليضع له مقدمة، وقدمته له عند المساء، وفي الصباح قدمه لها وقد كتب لها المقدمة، وعندما قرأتها علمت أنه اطلع على الكتاب كله من أوله إلى آخره ولم يترك فيه صفحة واحدة، لأنه كتب في المقدمة عن كل شئ فيه. كيف تم هذا؟ بارك الله له في الزمان، فجعل ما يقرأه في أسبوع يقرأه في ساعة !!! .. كيف يكون هذا الأمر؟ لا تدبر بعقلك ولا تشغل البال بفكرك ولكن اعتقد في الله، وثق في حسن صنع الله، وزد يقينك في كتاب الله، واعمل على تقوى الله تجد ما ذكرناه أمراً ميسراً لجميع عباد الله، قال ﷺ: { **التائبُ حبيبُ الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ** }[٥٨] ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد .... فيا أيها الأخوة المؤمنون هناك أيضاً فضل في الوقت ورد الأثر فيه: { **إذا أحبَّ الله عبداً سخَّره لأفضل الطاعات في أفضل الأوقات** } .....

وذلك يعني أني أنا وأنت نستطيع أن نقوم الليلة وكل ليلة بلا عناء ولا تعب إذا استحضرنا في قلوبنا وفي نياتنا عند صلاة العشاء في بيت الله، والفجر في بيت الله حديث رسول الله ﷺ { **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلِهِ، وَمَنْ صَلَّى الْصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْل كُلَّهُ** } ٥٩. فهذه بركة تفضل بها علينا الله، فلو صلينا العشاء في بيت الله في جماعة والفجر في بيت الله في جماعة ولم نتململ ولم نتباطأ ونتكاسل كتبنا

---

٥٨ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

٥٩ عن عثمان بن عفان في مسند الإمام أحمد وفي صحيح ابن حبان.

طائعين طوال الليل قائمين له بالتسبيح والذكر والصلاة والركوع والسجود، مع أننا في أعمال غير ذلك!! .... وإذا وفقك الله ﷻ إذا أصبحت وتلوت سورة الإخلاص ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله كما قال سيد البرية ﷺ { **مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ أَجْمَعَ** }[60]، وعلى مثل ذلك قس فهناك أحوال كثيرة وأعمال كثيرة هي يسيرة في العمل ولكنها تضاعف لك الزمن! فإذا قرأت الإخلاص ثلاثاً في الصباح، وثلاثاً في المساء، فأنت عند الله تقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره مرة بالنهار! ومرة بالليل! وإن كان ذلك في الأجر والثواب ولكنه لا يغني عن مطالعة الكتاب للعظة لبقية آياته وقصصه وحكمه.

هذه هي البركة التي دعا لنا بها النبي ﷺ في شهر رجب وفي شهر شعبان وفي شهر رمضان. فالتمسوا البركة في الطاعات لأن أمتكم كما تعلمون وكما قال النبي الكريم: { **أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً** }. فالأمم السابقة منهم نوح عليه السلام عاش ألفاً وثلاث مائة عام منهم تسعمائة وخمسون في الدعوة وعندما خرج من دنياه وهو على باب جمرك الآخرة سأله الملائكة الواقفون على بوابة البرزخ:{ **يَا نُوحُ يَا أَكْبَرَ الأَنْبِيَاءِ، وَيَا طَوِيلَ الْعُمُرِ، وَيَا مُجَابَ الدَّعْوَةِ، كَيْفَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ: مِثْلَ رَجُلٍ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ لَهُ بَابَانِ، فَدَخَلَ مِنْ وَاحِدٍ وَخَرَجَ مِنَ الآخَرِ** }[61] فما بالكم لو نظر إلى عصرنا وإلى زماننا والذي يقول فيه نبينا { **أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ** }[62] .... فالعمر قصير !! والمطلوب منك يوم القيامة كثير !! فالتمس البركة من العلي الكبير في الطاعات والصالحات ... ولا تشغلنك الحياة الدنيا .... ، فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة السابعة[63]

الصلاة علاج لأمراض العصر

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ ونشكره على أن اختار لنا الإسلام ديناً، والقرآن كتاباً، والصلوات فريضة، ومحمد ﷺ نبياً ورسولاً، سبحانه سبحانه، يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحبَّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تقدست أسماؤه وتعاظمت آلاؤه، وتنزه في توحيده عن النظير والوزير والمشير، إله حيٌّ قيوم

٦٠ عن أنس، رواه أبو يعلي والطبراني في الصغير والأوسط والبيهقي.
٦١ عن إبان عن أنس رضي اللهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
٦٢ عن أبي هريرة في سنن الترمذي وسنن ابن ماجة والإمام أحمد ورواه أبو يعلي.
٦٣ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية – جيزة – يوم الجمعة ٣٠ من رجب ١٤١٦هـ – ١٩٩٥/١٢/٢٢م.

واحد، ماجد، فرد، صمد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، دعاه الله ﷻ إلى حضرته، وخصه بصافي ودّه وكرامته، وأرسل لنا معه هدية عظيمة فيها الصحة في الدنيا والنجاة يوم لقاء الله، فطوبى لعبدٍ فقه خطاب الله ووعاه ... فاللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الأخوة المؤمنون ونحن نحتفي بذكرى الإسراء والمعراج، مازال معنا قبس من الإسراء والمعراج، نعيش على هديه ونقتبس من ضوئه في اليوم خمس مرات، حتى نلقى الله ﷻ، ونحن نعاهده على تمسكنا بما أمر به حبيبنا في ليلة الإسراء والمعراج، فقد كلفه الله ﷻ في تلك الليلة بفريضة الصلاة، ولم ينزل بها جبريل ولم يكتف الله ﷻ بفرضيتها في القرآن الكريم، بل استدعاه وحباه، وقرّبه، وأدناه ليعلمنا أن هذا أمر خاص ويحرص عليه الله، ومن ثم هناك من فوق سدرة المنتهى فرض عليه الصلاة..:قال ﷺ:

{ فَأَوْحَى الله إِلَيّ مَا أَوْحَى. فَفَرَضَ عَلَيّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى . فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبّكَ عَلَى أُمّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبّكَ. فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. فَإِنّ أُمّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ. فَإِنّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبّي فَقُلْتُ: يَا رَبّ خَفّفْ عَلَى أُمّتِي. فَحَطّ عَنّي خَمْساً. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطّ عَنّي خَمْساً. قَالَ: إِنّ أُمّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبّكَ فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. قَالَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتّى قَالَ: يَا مُحَمّدُ! إِنّهُنّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. لِكُلّ صَلاَةٍ عَشْرٌ. فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً. وَمَنْ هَمّ بِسَيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيّئَةً وَاحِدَةً قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبّكَ فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبّي حَتّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ }[٦٤]

رسولكم الكريم ﷺ لم يرض بصلاة واحدة في اليوم والليلة وجعلها خمس صلوات. لماذا؟ لأنه بنور الله الذي أعطاه له الله ﷻ عَلِم أن الصلاة هي علاج كل مشاكلنا في هذه الحياة وخاصة في هذا الزمن الذي نحن فيه، حيث اتجه الناس إلى المادة والدنيا وكادوا يعبدونها من دون الله ﷻ، فيصبح الرجل وكل همه ومنتهى علمه أن يحصّل المال بأي كيفية، من حرام

٦٤ صحيح مسلم وغيرها الكثير عن أنس رضي الله عنه

أو من حلال لا يهم، من غش أو من نهب وسرقة أو رشوة لا يهم، المهم أن يحصّل المال ليمتّع نفسه في زعمه وبنيه بما جدّ من المستحدثات!

ومع ذلك ومع كثرة المال، ومع وفرة الخيرات، كثر في عصرنا التوتر النفسي، والقلق العصبي، وأمراض العصر الضغط، والسكر، وأمراض القلب، وكلها ليست من ميكروبات ولا من جراثيم وإنما من توترات نفسية، وأحوال عصبية، يتعرض لها المرء نتيجة للضغوط التي تواجهه في حياته الكونية. ما علاجها؟ العلاج الناجح، والعلاج الشافي، وليس المُسّكن فكل ما نتناوله من الصيدليات، وكل ما يكتبه لنا الأطباء عن هذه الأمراض مسكنات لا تعالج المرض من جذوره ولا تقتلعه من ذات الشخص، ولكن العلاج الناجح الشافي الكافي هو في هذه الصلاة التي فرضها الله ﷻ.

واسمعوا معي إلى قول الله ﷻ : وهو يتحدث عن عصرنا في قرآنه الكريم وعن أمراض هذا العصر، فيعرضها عرضاً عظيماً لأنه هو الرب العظيم ﷻ فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾ (المعارج)، أمراض العصر، الهلع، خوف الفقر، وخوف الضيق، وخوف فقد المال، وخوف فقد المتع، وخوف فقد المشتهيات والملذات، يخاف ألا يطعمها ولا يتذوقها بأمر الطبيب وخوف الأمن كل ذلك اسمه الهلع ... إذا مسَّه ولم يقل أصابه، مسٌّ خفيف من الشر أو الضر، تجد الإنسان يصيبه الفزع ويصيبه الجزع وأحياناً يصيبه اليأس والقنوط ولا يقنط من رحمة ربه إلا القوم الضالون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون !!!

وإذا جاءه الخير ينفق بسخاء على نفسه وينفق ببزخ على أهل بيته، فإذا طلب منه مساعدة لفقير أو مسكين أو لبائس أو محتاج يمسك يده عن الإنفاق ويدعي الفقر والحاجة، كهذا الرجل الأمير الثري الذي تناقلت أخباره وكالات الأنباء والذى تبرع بمليار دولار لتشجير حديقة الحيوانات في لندن لكي ينال رضاء رئيس وزرائها، فلما ذهبوا إليه ليتبرع لأهل البوسنة أثناء الحرب، قال: سأدعو لهم الله ﷻ ورفض أن يعطيهم ديناراً واحداً !!!

هذا الأمر لا يعتري المصلين ولا يصيب المحافظين على الصلاة، وقد أثبت العلم الحديث بأحدث أجهزته وآلاته أنه لا يعالج القلق النفسي ولا التوتر العصبي إلا الوقوف بين يدي الله بالسكينة والوقار، فإن ذلك يتزل السكينة على القلب والطمأنينة على الأعضاء، فتستريح من هذا التوتر وهذا القلق، وقد روى سفير ألمانيا في المغرب سابقاً الذي أسلم وكان اسمه الفريد هوفمان فسمى نفسه مراد وكان يعمل رئيساً لجهاز الاستعلامات في حلف الأطلنطي قبل أن يعمل سفيراً لبلاده في المغرب، قال جاءتنا التعليمات بأن نجعل الطيارين يقومون

بحركات كحركات الصلاة للمسلمين في كل يوم مرة وقالوا إن ذلك يكسبهم السكينة النفسية والطمأنينة، فلا يملّون ولا يقلقون إذا طاروا إلى مسافات طويلة !!!

يا عجباً أهل الكفر يستخدمون حركات الصلاة لعلاج أمراض النفس، وأهل الصلاة يتكاسلون عنها بل وينقطعون أحياناً عنها، بل ولا يحافظون عليها، مع أنها هي العلاج النافع ولا علاج غيره لهذه الأمراض التي ذكرناها. هي تغنيك عن جلسات الطب النفسي، وتغنيك عن البراشيم المهدئة بكافة أنواعها مع أنكم تعلمون مدى شدة الأضرار اللاحقة لاستخدامها، وتغنيك عن المصحات النفسية وما أدراك ما تكاليف دخولها. كل ذلك يُغنيك عنه الله إذا حافظت على الصلاة في مواقيتها، وفي بيت الله ﷻ.

قد يقول البعض نحن نؤدي الصلاة ونحافظ عليها ولا نشعر بما نقول. أقول أنها فشت في عصرنا ظاهرة وهي الصلاة في داخل المنازل، فإن الصلاة فرضها الله لتؤدّى في بيوت الله، وسط عباد الله المؤمنين، لأن المرء إذا صلى بمفرده يحاسبه الله ﷻ على قدر حضوره في الصلاة فقد قال ﷺ: { **أَنَّ الرَّجُل لَيُصلِّي الصَّلاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا إِلا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا، أَوْ سُدْسُهَا ولا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها** }٦٥. فإذا كنت جالساً أمام التليفزيون أشاهد المباراة وفي وقت الراحة تقدمت بالمصلاة لأصلي العصر بين الشوطين كيف تكون هذه الصلاة؟ إنها روتين يؤديه المرء بين يدي الله لا يحقق سكينة ولا يحقق طمأنينة وخاصة إذا كان مَنْ حوله يتحدثون ويسمعهم جيداً وبعد انتهاء الصلاة يعلق على حديثهم ويحادثهم كما سمع لهم وهو في الصلاة. ليست هذه صلاة وإنما حركات تؤدى بين يدي الله ﷻ.

لكن الصلاة في بيت الله فيها السكينة وفيها الطمأنينة وفيها الصفاء وفيها الطهارة وفيها النقاء لأنه لا يشغلنا بشئ في بيت الله عن الله ﷻ، حتى أن الإسلام منع الزينة التي تشغل المؤمن عن الصلاة، إذا كان هناك بالمسجد زينة لو نظر إليها المصلي شغلته، يطالبنا الإسلام أن نُزيلها ونمحوها حتى لا يكون هناك شئ يشغله عن الصلة بالله ﷻ فإذا قال الله أكبر ورفع يديه جعل الدنيا خلف ظهره وأقبل بكله على ربه ﷻ يناجيه بكلامه ويتملّق إليه بإنعامه فيقبل عليه الله ﷻ بعطائه وفضله وإكرامه، هذا فضلاً عن أن الجماعة إذا وصلت أربعين رجلاً كما ورد فى الأثر { **لا تخلو من رجل صالح يتقبل الله ﷻ صلاته، ويقبل صلاة الجميع من أجله** }. الصلاة في جماعة صلاة مقبولة إن شاء الله لأن الجماعة لا تخلو من قلب طاهر يُقبل عليه الله فيقبل صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله ولذلك قال ﷺ:

٦٥ صحيح ابن حبان وسنن البيهقى الكبرى عن عبدالله بن عنمة .

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ }٦٦ لأهم منعوا أنفسهم من هذا الخير ومن هذا البر الذي أراده الله ﷻ لهم.

وعن البراءِ بنِ عازِبٍ: { أَنَّ ابنَ أُمِّ مكتومٍ . وكانَ ضريرَ البَصَرِ . أتى النبيَّ ﷺ فَشَكا إليهِ، وآلهُ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ في صَلاةِ العِشاءِ والفَجْرِ، وقال: إنَّ بيني وبينَكَ المَسِيلُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: هَلْ تَسْمَعُ الآذانَ؟ قالَ: نَعَمْ، مرةً أو مرتينِ، فلَمْ يرخِّصْ لَهُ في ذَلِك }٦٧

وعلى هذا لا يوجد في زماننا من له عذر يبيح له أن يصلي في بيته إلا المريض الذي منعه الطبيب من الحركة أو الإنسان الذي له عذر للخروج في صلاة الفجر. عذر قاهر يقرره الأطباء والشرع. أما المؤمن فلابد أن يتوضأ ويصلي فقد قال ﷺ ما معناه **{وما يدريك لعلني لا أبلغه}** ونحن يكون المرء في عمله وهناك مصلى في عمله ويؤجل الصلاة حتى يرجع إلى مترله. من الذي ضمن له الرجوع؟ ومن الذي يضمن له أن يصلي الظهر حاضراً؟

فإذا خرج متأخراً وتلهف على الطعام وأذّن العصر يصلي قضاءاً ولا يندم على ما فاته من أداء الفريضة في وقتها، وهذا يا إخواني عمل شنيع شنّع عليه أصحاب رسول الله ﷺ. لقد كان الرجل منهم الذي تفوته تكبيرة الإحرام مع الإمام يصاب بألم شديد في جسمه ووجع في كل أرجاء بدنه ويمرض ويعودونه لمدة ثلاثة أيام لما فاته من الخير في أداء تكبيرة الإحرام واللحوق بالجماعة من أولها، والذي كانت تفوته الجماعة الأولى كان يمرض أسبوعاً يعودونه ليخففون عنه، فما بالكم بالذين يصلون الفرض بعد انتهاء وقته؟ في شأهم قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ (الماعون)، أي الذين يتساهلون في أداء الصلاة في وقتها، هؤلاء لهم نصيب من الويل في الدنيا من الأمراض ومن الهموم ومن الغموم ومن المشاكل التي تحدث لهم ويعجزون عن حلها ولا رافع ولا دافع لهم إلا الله ﷻ.

فيحق لنا جماعة المسلمين أن نحيي هذه الليالي بأعياد متصلة، أعياد للصلاة فليلة الإسراء والمعراج هي عيد نزول الصلاة، هي عيد حدوث بركة الصلاة، هي عيد أكرمنا الله ﷻ فيه بالشفاء من كل أمراض العصر بالصلاة، فحافظوا عليها لقوله ﷺ: **{مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلاَةِ كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ}**٦٨.

---

٦٦ صحيح البخارى عن أبي هريرة
٦٧ رواه الطبراني في الأوسط
٦٨ رواه الطبراني عن أبي الدرداء وعن حنظلة في الكاتب في مسند الإمام أحمد.

وورد في الأثر: { **إذا رأيتم يهود الأمة فلا تسلموا عليهم!. قالوا: ومن هم يهود الأمة؟ قيل: المرجئة! الذين يمرون على المساجد ويستمعون إلى الآذان ولا يؤدّون الصلاة** }، وقال ﷺ: { **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** }[٦٩]، أو كما قال .... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين .... أما بعد..

فيا أيها الأخوة المؤمنون: إن الصلاة هي التحصين الواقي لأولادنا وبناتنا من ارتكاب المعاصي في هذه الحياة لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٤٥العنكبوت) ، ولذلك قيل: {**يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ فلاناً يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فإذا أَصْبَحَ، سَرَقَ، قال: سينهاهُ ما يقولُ -يقصد الصلاة-**}٧٠ فاحرص ما تحرصون عليه إذا أردتم الاطمئنان على أولادكم وبناتكم أن تراقبوهم في أداء الصلاة، وأن تجعلوا كل همّكم هو ملاحظتهم ومتابعتهم في أداء الصلاة ... لماذا؟

قد كان دعاء الأنبياء الكرام عليهم السلام الذي يضرعون فيه إلى الله كما قال سيدنا إبراهيم الخليل ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ (٤٠إبراهيم)، طلب من الله أن يوفقه لإقامة الصلاة هو وذريته لأنها هي الحفظ الإلهي فإن المرء إذا صلى لله يصيبه تحصين روحاني وقسط نوراني يتزل على قلبه لا تراه العيون ولا تصل إليه العقول ولا الظنون، إذا وقع في ورطة وأراد به قرناء السوء شراً يجد معه قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف)، فيهيأ الله ﷻ له بالإلهام الروحاني وبنوره الرباني، ما يدفعه عن هذه المعصية ..!!

فضلاً عن أن الصلاة هي حبل الصلة بينك وبين الله لقوله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (١٤طه)، فإذا حافظت على إقامتها لا تحتاج إلى شئ وتقف بين يدي مولاك إلا ويلبيك في الحال.

---

٦٩ رواه أحمد والترمذي عن عبدالله بن بريدة
٧٠ رواه أحمد والبيهقي

فهناك صلاة الحاجة لا يصليها فرد بصدق لله إلا ولبَّى الله حاجته، وهناك صلاة الاستخارة لا يحتار الإنسان في أمر من أمور الدنيا فيصليها إلا ويشرح الله صدره لما فيه خيره وبره. وهناك صلاة الفزع وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: { **كان إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ** (يعني أهمَّه أمرٌ) **فزع إلى الصلاة** }[71] فيفرج الله ﷻ عنه في الحال.

وقد كان سيدنا أبو الدرداء ﷺ وأرضاه يخرج من المدينة إلى الشام تاجراً بغير حارس أو رفيق، وبينما هو مسافر ذات مرة استأجر دابة يركبها حتى إذا قطع شوطاً في الطريق أخذه صاحب الدابة إلى وادٍ بين جبلين فوجد فيه رؤوساً كثيرة مقطعة، قال: هل رأيت هؤلاء؟ قال: نعم. قال: إن مصيرك كمصيرهم. قال: يا هذا خذ مالي ودعني.

قال: أما مالك فلابد منه وأما مصيرك فإلى الهلاك. قال: إذا لم يكن من ذلك بد فدعني أصلي ركعتين لله ﷻ، فانفرد يصلي لله، وهو في الصلاة واقف بين يدي الله سمع قائلاً يقول: دعه يا عدو الله، فواصل الصلاة وهو في ركوعه سمع الصوت ثانية يقول: دعه يا عدو الله، وهو في سجوده سمع الصوت ثالثة يقول: دعه يا عدو الله ...

وعندما أنهى الصلاة وجد رجلاً وبيده سيفاً يقطر دماً والرجل الذي معه قد قطعت عنقه فقال: من أنت؟ ومن أدراك بي؟ ومن الذي أرسلك إلي؟

فقال: أنا ملك من السماء الرابعة عندما استغثت بالله ﷻ وأنت في الصلاة قال الله ﷻ: من يغيث عبدي فلان في أرض كذا؟ فقلت أنا يا ربَّ ... فعندما كنت في السماء الرابعة هم بقتلك، فقلت: دعه يا عدو الله،... وعندما وصلت إلى السماء الأولى هم بقتلك ثانية! فقلت: دعه يا عدو الله ....، وأنا على باب هذا الوادي هم بقتلك ثالثة! فقلت: دعه يا عدو الله .....، ثم قتلته.

فالصلاة صلة بالله ومن كان الله معه ويتصل مباشرة به ويلبيه الله بكل حوائجه في دنياه وآخراه كيف يمد يده إلى غير الله؟

وكيف يصغِّر وجهه للوقوف على أبواب خلق الله؟ أو يذل نفسه لهم؟ وهو أغناه وأعزه عن جميع من سواه؟ فتمسكوا عباد الله بالصلاة وأوصوا بها بناتكم وأبنائكم وأزواجكم واجعلوها كل همكم يبارك الله لكم في كل أحوالكم .

. << ثم الدعاء >>.

---

٧١ عن حذيفة رواه أبو داود براوية إذا حزبه أمر صلى.

الخطبة الثامنة[72]

سر ابتلاء المؤمنين

الحمد لله ربِّ العالمين، ناصر المتقين، ومؤيد المؤمنين، ومتولي بكفايته وعنايته عباده الصالحين. سبحانه سبحانه مَنْ توكل عليه كفاه، ومن تقرب إليه جازاه، ومن أحسن فيما بينه وبين ربه كفاه الله شرّ حُساده ومن عاداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، القوي العزيز، الجبّار، القهّار، المنتقم من الكافرين والظالمين، الرؤوف، الرحيم، اللطيف بعباده المؤمنين. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، إمام الأخيار، وسيد الأبرار والأطهار، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم القرار ... اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة تحلّ بها العقد وتفرّج بها الكرب، وتزيل بها الضرر، وتهوّن بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين.

أما بعد..فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن في أيام الإسراء والمعراج سنتناول سوياً حكمة الإسراء والمعراج التي نحتاجها جميعاً الآن في حياتنا لنستعين بها على أداء أحكام ديننا، ونتعاون بها على أداء ما كلّفنا به ربنا حتى نخرج من الدنيا وقد نلنا رضا الله، وحُزْنا ما نبغيه من الجنة التي أعدها الله للصالحين من عباد الله.

إخواني وأحبابي إن الأمر الذي سنتحدث فيه هو الأسوة الحسنة التي قال لنا فيها الله ﷻ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) ... إن كثيراً من المسلمين الآن الذين يُظهرون شعائر الإسلام ويتمسكون بهدي المصطفى ﷺ في تعاملهم بين الأنام يتعرضون لبعض المشاق في أعمالهم ولبعض العَنَت في بيوتهم ومع جيرانهم والبعض منهم قد يُسيء الظن والعياذ بالله من الله ﷻ، ويقول بلسان حاله وإن لم ينطق بذلك بلسان قاله يا ربِّ أنا مؤمن بك ومُصدق بكتابك ومتبع لنبيك وأمشي على نهج قرآنك وأنفّذ تعاليم شريعتك فلماذا لا تضر الذي يضربني؟ ولماذا لا تكيد الذي يكيدني؟ ولماذا لا تتولى قهر من عاداني وحسدني؟

ولا يزال يقول حتى يقول لقد تخليت عني وتركتني، وهذا أمرٌ يحدث لكثير من الناس إذا تعرضوا لبعض المشاق في حياتهم أو لبعض المتاعب في تعاملاتهم في العمل، أو في البيت، أو

---

[72] كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٦ من رجب ١٤١٧هـ – ١٩٩٦/١٢/٦م.

مع الجيران أو مع الأهل والأقارب، أو مع التجار في الأسواق، وغيرهم والله ﷻ لم ينسنا طرفة عين ولا أقل، ولكنه ﷻ قال لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ ﴾ (العنكبوت).

الإيمان لابد له من امتحان حتى يثبت للرحمن صدق دعوى الإيمان، فيبدو للذي يتعرض للامتحان إما أن يصبر على أمر الله ويرضى بما قدّره مولاه، وإذا فعل ذلك جاءته النجدة والإغاثة من الله، وجاءه العون من ملائكة الله، وفرّج الله عنه كل كرب، وقهر أعداءه، ولكن بعد أن يرضى بما قدّره مولاه. أما الذي يتعجل الأمور ويريد أن تسير الأكوان على وفق هواه ويظن أنه ما دام يعبد الله فلابد أن يكون الخلق جميعاً طوع أمره ورهن إشارته، فهذا غافلٌ عن حكمة الله في امتحان أهل الإيمان بالله ﷻ.

هذا أكرم رجل خلقه الله على الله، وأحب حبيب إلى الله بين عباد الله، ناصبه أهله جميعاً العداء وحبسوه بين جبلين هو ومن آمن به ثلاث سنوات لا يطعمونهم ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، حتى وصل الأمر إلى الغاية القصوى من البؤس والضرّ له ﷺ ومَنْ معه، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يعذبون أصحابه بشتى أصناف العذاب ويتفنّون لهم في كل ما يخطر على بالهم من أنواع العقاب، وعندما ذهب إليه بعضهم ليشتكي، غضب رسول الله ﷺ وقال لهم: { **إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُؤْخَذُ الرجلُ فَيُحْفَرُ لَهُ الحُفْرَةَ فَيُوضَعُ المِنْشَارُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ باثنتين، ما يَصْرِفُهُ عن دِينِهِ، أَوْ يُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما بينَ عَصَبِهِ وَلَحْمِهِ ما يَصْرِفُهُ عنْ دِينِهِ** }[73] لا يغيره ذلك عن عقيدته في الله ولا يحوله عن الإيمان بالله ﷻ ..

ولم يزالون به ﷺ حتى اضطروه إلى الخروج من بينهم فذهب إلى الطائف، وظنَّ من ظنَّ أن الأمر سيتحول وأن عناية الله ﷻ ستلاحقه وسيجد من يستقبلونه بالعناق والأحضان معلنين الإيمان به ومصدقين بالقرآن، لكن الأمر كان بخلاف ذلك، فقد سلّطوا عليه صبيانهم وأغروا به عبيدهم يرمونه بالحجارة ويسبّونه بأفظع الألفاظ ولا يزالون به حتى خرج من بلدهم صلوات الله وسلامه عليه، ماذا فعل؟

تخلّى عنه الجميع، ولكن باب القريب السميع مفتوح وما دام باب الله مفتوحاً فلا ييأس المؤمن من رحمة الله ولا يقنط من فرج الله، لأن الله ﷻ لو نظر إلى عبده طرفة عين

---

٧٣ عن خباب أخرجاه في الصحيح من حديث إسماعيل.

برحمة وشفقة وحنان لبدّل عُسره إلى يسر، وكربه إلى فرج وزال عنه الضرّ والبأساء وجعله من عباده السعداء فتوجه ﷺ إلى الله بعد أن يأس من نُصرة عباد الله، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً. ماذا حدث؟ جاءه الفرج والنصر، وجاءه الرضا، وجاءه اليُسر من الله ﷻ.

فجاءه الأمين جبريل وفرّحه بفضل الله ﷻ العلي الكبير وأخذه إلى موضع مسجده الشريف وقال له: أبشر ها هنا دار هجرتك، فإن الله ﷻ سيحولك إلى هذا المكان وتجد فيه أنصاراً يعاونونك على نشر دين الرحمن ثم أخذه ليلتقي بإخوانه من الأنبياء والمرسلين ليتعرف منهم على ما لاقوه في دعوة الخلق إلى الله فوجد أنهم جميعاً قد لاقوا مثل ما لاقى، لم يجد أحدهم الطريق مفروشاً بالورود، ولم يجد أحدهم الناس على أحر من الجمرينتظرونه بعد تلقي الوحي، بل وجدوا العنت والضيق والشدة والكرب ولكنهم صبروا لأمر الله، ففرّج الله عنهم كل ضائقة في هذه الحياة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢٤السجدة).

فلنعلم جميعاً علم اليقين أن المخرج لنا أجمعين من كل ضائقة ومن كل شدة نتعرض لها في أجسامنا أو في حياتنا أو في آمالنا، إنما هو الصبر الجميل الذي أمر الله به ﷻ المؤمنين والمؤمنات ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (يوسف)، فمن صبر لأمر الله ولم يتحول ولم يتغير عن أحكام دين الله وعن تعاليم شرع الله فإن الله سينصره ولو بعد حين، فالموظف الأمين الذي يريد من حوله أن يستدرجوه ليخون الأمانة، أو ليقبل الرشوة، عليه أن يصبر لأمر الله، ولا يتحول عن دينه، ولا يغير مبدأه أبداً أسوة بما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام والأنبياء والمرسلون أجمعون ... فإذا صبر وصدق في صبره فرَّج الله كربه، وأزال الله عسره، ونصره الله ﷻ على أعدائه وقال في شأنهم وفي شأن أمثالهم مطمئناً قلوبهم وقلوبنا : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣٠الأنفال).

فمن تعذر عليه مثلاً أن يبني حياته وحياة أولاده بالطريق المستقيم وبالهدى المحمدي القويم، قد يغريه إخوانه التجار بغش البضاعة وغش الكيل والميزان وخداع المشترين بشتى الأساليب التي يخترعونها ويبتكرونها ليبتزون أموال الناس بها، لأنهم يريدون أن يعلون في الأرض بطرفة عين !! فهل يستجيب لهم .. لا! ولكنه إذا صبر لأمر الله ولم يغير طريقة التعامل التي هدانا إليها كتاب الله، فإن الله ﷻ سيعزّه بين القوم اللئام، ويجعل له العزة في الدنيا والثواب يوم لقاء الملك العلام، لأنه تمسك بأمر الله ولم يتحول عن الإيمان بالله ولم يغير المبادئ القويمة والأحكام الكريمة التي جاءته من عند الله ﷻ.

وكذا المدرس الحكيم الذي يُرضي الله في عمله ولا ينتظر درساً بعد عمله إلا لمن كان

محتاجاً إلى عِلْمه فإن الله ﷻ يُعزُّه بين المتكالبين على الدروس الخصوصية، وجعلوا حياتهم سعيراً فلا يبارك لهم في أولادهم، ويجعل حياتهم جحيماً مع كثرة الأموال التي في حوزتهم، ويبارك له في أولاده، ويجعلهم في الدنيا مصلحين وفي الآخرة سعداء وناجين، لأنه تمسك بهدى رسول الله ﷺ .

وهكذا الأمر يا إخواني في كل عمل وفي كل وظيفة. وقد قال ﷺ: { **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّـى يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاس** }٧٤، وهؤلاء عليهم الصبر في امتحان الإيمان على الجهاد بتعاليم القرآن والعمل بسنة النبي العدنان فلا يغيرون ولا يُبدّلون حتى يدخلون في قول الله ﷻ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب)، وهؤلاء وعدهم الله ووعده لا يتخلّف ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٥٥النور)، وما هي إلا لحظة صبر قصيرة يعقبها حياة عزة طويلة، إعزازاً بنصر الله لعباد الله المؤمنين قال ﷺ: {**مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ**}٧٥.

وقال ﷺ: وقال ﷺ: { **إني لَمُشْتَاقُ إلى إِخْوَاني، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَاني قَوْمٌ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُوني ، عمل الواحد منهم بسبعين منكم. قال: بسبعين منّا أو منهم يا رسول الله؟ قال: بل بسبعين منكم أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون** }٧٦. أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وليِّ المؤمنين، وكافي عباده المتقين بكفايته في الدنيا وسعادته يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُعزّ من أطاعه واتبع هداه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، العبد الأول الذي آمن بالله ولم يكن في الكون سواه، فصبر وصابر وجاهد في ذات الله، حتى ملأ الله به أركان الوجود هداية ونوراً وفقهاً وعلماً صلوات الله وسلامه عليه.

---

٧٤ عن أبي هريرة في مسند ابن حبان والإمام أحمد وعن ثوبان في سنن ابن ماجة.
٧٥ عن أبي هريرة في مشكاة المصابيح.
٧٦ عن أبي هريرة في صحيح ابن حبان وسنن النسائي ومسند أبي يعلى.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. اسمعوا إلى وصية الله لي ولكم تسعدوا وتفلحوا في حياتكم وتكونوا من السعداء بعد لقاء ربكم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران)، لا يغرنكم كثرة الهالكين، ولا يفسدنّ أمركم كثرة الجاحدين بنعمة رب العالمين، فإن الدنيا إلى زوال وما من يوم إلا نُودّع فيه أناساً إلى الله، ويخرج المرء منهم كما دخل الدنيا عارياً ليس معه إلا العمل الصالح الذي قدمه في هذه الحياة ومناد الله يقول له ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام)، فلا يرى معه شفيعاً ولا معيناً ولا مؤازراً ولا مساعداً إلا عمله الصالح. ليس معه عشيرة عنه يدافعون ولا محامون بأمره يتصرفون لأن الكل قد تخلى عنه بعد أن صار في رحاب الله ﷻ.

والمؤمن عندما يتذكر تلك الساعة يُحْسِن العمل ويصلح شأن نفسه، فعليك دائماً يا أخي المؤمن أن تتذكر أنك مسافر إلى الله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم)، وأن هذا السفر ربما يكون الآن فربما تضع لقمة في فيك لا تُكمل مضغها، وربما وأنت تسير في الطريق تقع ويحملونك إلى حيث لا أهل ولا رفيق وفي تلك الساعة ماذا أعددت؟ وماذا جهّزت للقاء الكريم ﷻ؟ لن تستطيع البطن أن تشكرك ها هنا على ما أطعمتها من فنون الأطعمة وألوان المشروبات ولن يُقدم لك الجسم الشكر على أنك أنعمت عليه بالنوم هنا، وبالسفر إلى هذه الجهات، وتلكم المصائف وغيرها وإنما لا ينفع الإنسان إلا ما يقدمه للرحمن ﷻ من طاعة وعبادة وحسن سلوك وصبر وإرادة لله ﷻ فاجعلوا الموت منكم على بال وتذكروا دائماً أنكم عن الدنيا قريباً راحلون وإلى الله ﷻ سائرون، وعن الأهل والجميع راحلون، ولن ينفعكم في هذا اليوم إلا ما أنتم له لله ﷻ عاملون. ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة التاسعة[٧٧]

الهدى الإسلامي في الإنفاق

الحمد لله ربِّ العالمين، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، له التصريف المطلق والحكم النافذ، والأمر القاطع في مُلكه وملكوته وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، إمام الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٧٧ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٨ من رجب ١٤١٨هـ – ١٩٩٧/١١/٢٨م.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والقائد الحق بالحق، والهادي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من دعا بدعوته إلى يوم الدين ... أما بعد.. فيا أيها الأخوة في الله والأحباب في رسول الله ﷺ ...

تدبرت لحظة في ما ورد في حادثة الإسراء والمعراج ونظرت إلى ما نحن فيه في مجتمعنا من علل وأمراض، فوجدت الحكيم الأعظم ﷺ قد وضع يده على الداء وشخص له الدواء الذي يمنح المجتمع كله العافية والرخاء إذا مشى على نهج حبيب الله ومصطفاه ﷺ. وقد أشار إلى ذلك ﷺ بإشارات حكيمة يعيها أولي الألباب ويفقهها الأحباب لأنها أمثال بسيطة وسهلة ليست غامضة على البُسطاء ولا معقدة لا يعقلها إلا الفلاسفة والحكماء ...

بل أمثال ضربها لنا يعيها كل مسلم عادي. من هذه الأمثال مثل واحد نأخذه على سبيل العظة والعبرة، ونطبق عليه أحوالنا ونقيس به أعمالنا وأفعالنا، ونتأسى بهديه في حياتنا لعل الله ﷻ ينفعنا جميعاً بديننا في حياتنا ومماتنا بإذن الله فقد ورد عنه ﷺ أنه : { **أَتَى عَلَى رَجُلٍ قدْ جَمَعَ حُزْمَةً عَظِيمَةً لاَ يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيهَا، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هذا؟ قَالَ: هذا رَجُلٌ مِنْ أُمّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النّاسِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا** } [٧٨] إن الله عزت قدرته وجلت حكمته جعل المبدأ العام لجميع الأنام للخاص والعام هو قوله عز شأنه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢٨٦البقرة)، لم يكلف أحداً في الوجود إلا على قدر طاقته وهو ﷻ أعلم بقواه وقدرته وحقيقته ويحمل الإنسان على قدر القوى التي وهبها له الرحمن، وإذا زاد في تكليفه، زاد في عطائه لأنه ﷻ حكم عدل لطيف خبير، جعل القاعدة الإلهية لجميع البشر ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت) ...

فخلقك في الدنيا وكلّفك ببنين وبنات على قدر ما تتحمل، إن كنت تتحمل البنين وهبهم لك، وأعانك على ذلك، وإن كنت تتحمل البنات وهبهم لك، وأعانك على ذلك، وإن كنت تتحمل البنين والبنات وهبهم جميعاً لك وأعانك على ذلك، وجعل لك من الأرزاق التي قدّرها قبل الخلق وفيها قال ﷺ: { **إن الله خلق الخلق وقدّر الأرزاق قبل خلق آدم بألفي عام** }[٧٩]، قدّر الأرزاق وانتهى منها على أن تسير فيها على أمر الله، وشرع الله الذي بينه في كتابه جل وعلا حيث قال في شأنكم ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧الفرقان).

والمنهج الوسط هو شرع الله، وكتاب الله، وسنة رسول الله فمن حاد عن الشرع لهواه

---

٧٨ الترغيب والترهيب رواه البزار عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة

٧٩ رواه مسلم عن عمر مرفوعا ولفظه: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام".

ضاقت به الأرزاق، ولم يتحمله ما قُدّر له من أقوات، ويريد أن ينفذ ما في هواه فيعجز رصيده من الرزق عن تنفيذ ما يريده لأنه مخالف لشرع الله فيحيد عن الطريق المستقيم، تارة يغش، وتارة يسرق، وتارة يكذب، وتارة ينصب، وتارة يتحايل، وتارة يزوغ، وتارة يروغ لأنه يريد ما لا يريده الله ﷻ له ولأولاده وبنيه، فقد قدّر الله ﷻ في الرزق، على سبيل المثال قوت الأجسام وبينه النبي ﷺ في خير الكلام وقال: { **يحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ** }[٨٠]..

فجعل الغذاء دواء لتسيير هذا الجسم بأمر خالق الأرض والسماء فإذا زاد عن الحد، تعبت أجهزة الهضم وزاد نصيب الإنسان في دمه من غذائه، فيتعب ويمرض ويطلب العلاج وقد يكون قد استدان ليأكل ما ليس الجسم في حاجة إليه، وقد يستدين أيضاً ليتعالج من مرض جلبه إسرافه عليه !!! ، فلو اختار طريق السماء ما احتاج أن يمد يده إلى الوسطاء.

ورد أن رجلاً ذهب إلى الحسن البصري واشتكى من الجوع، ثم جاء وراءه رجلٌ آخر يشكو من التخمة وسوء الهضم ويرجو دواء يهضم به طعامه! فقال ﷺ: لو كان ما زاد في بطن هذا، في بطن هذا ما اشتكى هذا ولا هذا. وأنتم تعلمون جميعاً أن الثلّة المباركة والتي يقول فيها الله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)، أرسل إليهم المقوقس عظيم مصر طبيباً فردّوه وقال ﷺ قولته المشهورة للطبيب : { **ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع** }[٨١] **يعني فمن أين يأتينا المرض؟**

كيف نأكل يا رب؟ ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف)، ولذا قال ﷺ: { **الإِقْتِصَادُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ** }[٨٢] ، وقال :{ **مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ** }[٨٣]

والذي يحتاجه جسم الإنسان الذي قدره له في الرزق الرحمن ﷻ، ما زاد يحتاج إلى النصب والاحتيال وإلى العلل والأسقام، والأدوية، والأمراض، فمن اتبع الشريعة السمحاء عافاه الله من سؤال الناس، وشفاه الله ﷻ من الرجس والألباس، وجعله في أحسن عافية حتى يلقى رب الناس ﷻ، ثم بعد ذلك يحتاج الإنسان إلى كم محدود من الملابس يكفيها ما قدره له الرزاق لكنه لا يرضى بذلك كل يوم يريد أن يشاهدالفترينات، ويأخذ منها أحدث الموضات، ويرمي ما خلفه، ويا ليته ينتفع به كما أمر الشرع الشريف، فقد ورد فى معنى الحديث الشريف أن رجلاً في زمانه ﷺ كان في الترع الأخير وسمعوه يهذي ويقول: ليته كان

---

٨٠ عن المقدام بن معد يكرب أخرجه ابن حبان وابن ماجة.
٨١ كان الطبيب من ضمن هدية المقوقس حاكم مصر إلى النبي ﷺ، فقبل ﷺ الهدية ورد الطبيب رداً جميلاً، سيدنا محمد ﷺ والسيرة الحلبية
٨٢ عن أنس في الدرر المنتثرة.
٨٣ مصنف ابن أبي شيبة ، ومجمع الزوائد وجامع المسانيد عن عبد الله بن مسعود

كله!، ليته كان جديداً! .. فساقوا الخبر إلى رسول الله ﷺ ففسر لهم ما سمعوه، فقال صلوات الله وسلامه عليه: إن هذا الرجل كان يأكل رغيفاً فجاءه سائل فقطعه نصفين، أكل نصفاً وأعطى السائل النصف الآخر ... فلما عاين الأجر والثواب في سكرات الموت قال: يا ليته كان كله للسائل، وكان لا يلبس ثوباً جديداً إلا وأعطى القديم للفقير، فلما عاين أجره وثوابه قال يا ليته كان الجديد ...

ونحن كم لنا من جديد في بطون الدواليب تقضي عليه العتّة ويهلك من كثرة الخزن، لا نلبسه ولا نوزعه ثم نشتكي الفقر والحاجة ونقول دُخولنا لا تكفينا، ونسى المرء فينا أن زينته بجمال وجهه، وليس بجمال لبسه، وجمال وجهه لا يكون إلا بعبادة الله وطاعة الله فقد قال ﷺ: { شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ}[٨٤]: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٢٩الفتح)، ليس من الزينة الحسية وإنما من الزينة الإيمانية الروحانية، من تقوى الله، وخوف الله، والعمل بما يحبه الله ﷻ ...

والمصيبة أنه قد يكون عند الإنسان ما يكفيه، ويطلب ما يطغيه، فلا يسع الرزق الذي قدره له الله فيه فيبحث يميناً وشمالاً عما لم يحلّه له الله ليعطي لنفسه ما تشتهيه فيقع فيما قال فيه ﷺ: { عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا } وقد يكون ذا منصب مرموق! ومهام وظيفته تقتضيه العمل ليل نهار! ومع ذلك يريد أن يكون له مزيد من الوجاهة، فيكلف نفسه بأعمال إضافية، وهو لم يقم بالأعمال الأصلية، فيمنع المعروف في هذه الأعمال عن المؤمنين لأنه وكل بها ولم يقم بها وحمل نفسه المسئولية أمام نفسه وقومه وأمام ربِّ العالمين ﷻ لأنه حمل نفسه بأعباء لا يطيقها.

لقد كان عمر بن الخطاب ﷺ عندما تحمل أعباء الرعية لا ينام ليلاً ولا نهاراً إلا غفوة بعد صلاة الصبح يقوم بعدها مسرعاً ويقول: لقد طال نومك يا عمر فيقولون له لِم لَمْ تعطي جسمك حظّه من النوم؟ فيقول ﷺ:{ أنا إن نمت نهاراً ضيعّت رعيتي وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي }[٨٥] فجعل ﷺ النهار لرعيته والليل لربه ﷻ. فكان نهاره في خدمة العباد، وليله في طاعة ربِّ العباد ﷻ. { كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[٨٦].

فقد كلّفنا الله بأولادنا نسعهم بأرزاقنا على قدر ما قدّره المولى ﷻ لنا، لم يكلفنا أن نخرجهم إلى المصايف أو المشاتي إلا إذا وجدت معنا الاستطاعة وأمنا من غشيان المساخر أو

٨٤ رواه الطبراني في الأوسط
٨٥ تاريخ دمشق عن أبي القاسم العلوي.
٨٦ صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر.

المحرمات، لكن لم يكلفنا أن نستدين ونحمل أنفسنا أثقالاً فوق أثقالنا لنخرجهم إلى المصايف أو إلى المشاتي، وإنما علينا أن نطعمهم من الحلال ونوفر لهم العلم والصحة والسكن الذي على قدر وسعنا. قدر الله لنا سكناً على قدر أرزاقنا، لم يكلفنا بأن نستدين آلاف الجنيهات مما نعجز عنه ونرثه ونتركه تركة عاجزة لأبنائنا لنشتري لهم سكناً فوق طاقتهم وطاقتنا، وإنما علينا أن نتحمل ظروف الحياة ونكيّفها بالرضا لنرضى عن الله، فمن لم يرزقه الله الرضا فلن يرضى ولو مَلَك كل مُقدرات البشر في هذه الحياة ...!!

قال ﷺ { مَنْهومانِ لا يَشْبَعانِ طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا }٨٧، لكن الرضا هو الذي يكيف الأمور، ويُصلّح الدهور، ويجعل المرء مستعداً ليوم العرض والنشور لأنه يمشي على قدر ما قدّره له المولى ﷻ، لم يكلفنا الله أن نشتري أثاثاً بالتقسيط، فما لا نملك شرائه الآن فلنصبر حتى يُحضر الله الخير الذي نشتريه به في أوانه ووقته، لم يكلفنا الله أن نقترض بالربا فنحمّل أنفسنا أعباءاً لا طاقة لنا بها، وإنما المسلم يسير على قدر ما أفاض به الله عليه، فتحنا على أنفسنا أبواب التقسيط واستسهلناها، وأبواب القرض بالربا وسهّلناها، فأصبح الرزق موزعاً نصيباً للأقساط، ونصيباً لسداد القروض، ونصيباً للمصائف والمشاتي، ونصيباً لكذا وكذا، ثم يشتكي المرء ويقول: من أين أطعم أولادي؟ ومن أين أسدّ لهم حاجاتهم؟

فإذا سأله امرؤ وعنفّه لَم تأخذ الرشوة؟ فيقول إن رزقي لا يكفيني وأنا في ضرورة وهي مباحة لي، فيفتي نفسه ليوقع نفسه في غضب الله ولا يشعر، لأن المؤمن لا يستدين إلا لضرورة قصوى، عندما لا يوجد في بيته طعام، أو تعرض أحد أولاده لجراحةعاجلة وليس معه ما يسد تكاليفها، أو أمر من هذا القبيل لكن لا يستدين لشراء فيديو، ولا يستدين لشراء ثلاجة، ولا يستدين لفسحة في إيطاليا، ولا يستدين لسهرة هنا أو هناك، فكل هذه أمور لا يبيحها له شرع الله، ولا يستدين أيضاً لعمل حفلة لعيد ميلاد، أو حفلة عيد زواج أو ما شابه ذلك مما ننفق فيه جملة أرزاقنا ثم نشكو إلى الله، ونستبيح المحرمات ونحمل أنفسنا الإثم تلو الإثم لأننا كما قال الله ﷻ لنا في حديثه القدسي: { ابْنَ آدَمَ عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ، ابْنَ آدَمَ لاَ بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلاَ بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ، ابْنَ آدَمَ إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافىً في جَسَدِكَ آمِناً في سِرْبِكَ عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ }٨٨.

قال ﷺ: { اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا }٨٩. أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

٨٧ عن عبد الله بن مسعود رواه البيهقي والبزار والدارمي.
٨٨ عن ابن عمر في جامع الأحاديث رواه الطبراني في الأوسط.
٨٩ عن أبي حميد الساعدي رواه الحاكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا الإيمان، ولهذا الدين وجعلنا من عباده المسلمين. وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ... اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير، وادفع عنا الـشر، ونجنـا، واشفنا، وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. قال ﷺ: { **لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هذهِ الْخِصَالِ: بَيْتٌ يُكِنُّهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ** } ٩٠ فالمؤمن يطلب منه الله أن يستر عورته بالحلال الطيب ولا يزيد على ذلك، فلو كان يكفيـه بـدلتان للـشتاء وبدلتان للصيف فلا يزيد على ذلك إلا إذا وسّع عليه الله من الحلال، لكنه لا يجـوز لـه أن يرتشي أو يغش ليشتري مزيداً من الملابس بحجة أن ذلك يجعله يكون في المـستوى اللائـق بأمثاله في المجتمع، وكذا في كل أمر من أمورنا وأمر أبنائنا وأمر بناتنا وأمر أثاثنـا وفراشـنا وبيوتنا، فلو اتقينا الله في هذا الأمر فإن الخير سيفيض عندنا وسيصير أضعافاً مضاعفة، ولكننا نتبع النفس وأهواءها والشهوات والملاذ ومستحسناتها، فذلك الذي يوبقنا ويفرقنا !!

والذي يتعبنا أكثر إننا ننظر إلى من فوقنا في الأرزاق وقد قـال الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾ (٧١النحـل)، وليست العبرة بالرزق ولكن الكرامة عند الله ﷻ بالتقوى. ما الذي يحفظ المرء؟ الوصية النبوية – احفظوها وعوها – في قوله ﷺ: { **انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ إِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ** }٩١، انظر إلى من هو فوقك في الدين، فنحن نقنع بأقل الأعمال الصالحات ونقنع أنفسنا ونقول نحن خير من فلان وفلان، أنا أصلي وفلان لا يصلي، مع أن المؤمن عنده دائماً طمع في مزيـد من عبادة الله وطاعة الله لأنها نصيبه الذي يأخذه من دنياه وهو خارج منها للقاء الله ..

وفي ذلك يقول لنا الله ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٧٧القصص)، ما النصيب الذي تأخذه معك؟ العمل الصالح والعمل الرافع والعمل المقبول عند الله ﷻ، فينظر الإنسان ما هو دونه وأقل منه في الدنيا، فيرى فضل الله عليه، ونعم الله عليه فيشكر الله فيزيـده الله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم)، وقبل أن تكون الزيادة في الكم تكن الزيادة بركة من الله في الرزق القليل فيقوم مقام الكثير، يبارك الله في بدني ويحفظه من الأمراض فيوفر علـى نفقات الدواء والعلاج، يبارك الله في ولدي فيفقه العلوم فيوفر علي نفقات الدروس، يبـارك

٩٠ رواه الترمذي والحاكم
٩١ رواه الطبراني وابن عساكر عن أبي ذر

الله في طعامي وأولادي فما يكفي الواحد يكفي الجماعة ..!!، وما ننفقه في شهر يكفينا عاماً كاملاً ..!! ، يبارك الله في ملابسي فالذي ينفق في عام يعيش حتى أملَّ منه وأعطيه للفقراء والمساكين والأيتام ..!! لأن الله ﷻ باركه بقدرته ...، وهذا نصيب المؤمن من شكر الله، إذا شكره ﷻ على عطاياه.

أما ما نراه الآن فمجتمع لا يشكر الله لا على قليل ولا كثير كلما جالست أحداً وجدته غير راض عن الله حتى ولو فتح الله له كنوز الحياة، الكل غير راض وغير شاكر! ما النتيجة؟ كما نرى الآن ذهبت البركة وصعدت للسماء، ووكلنا الله إلى أنفسنا ولا نستطيع أن نقوم بأقل أمورنا ولا أبسط همومنا إذا وكلنا الله ﷻ إلى أنفسنا، < ثم الدعاء >>.

الخطبة العاشرة[92]

حكمة المعراج

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنار قلوبنا بنور القرآن، وسنة سيد الأولين والآخرين، وجعل فيهما العصمة والحفظ لنا في الدنيا، والنجاح والفلاح في يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحده مكان، ولا يحيزه زمان، ولا تحيط به أفلاك ولا أكوان، كان قبل خلق الزمان والمكان إله واحد أحد فرد صمد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، فأوجد الزمان والمكان وهو على ما عليه كان، ويفنى الزمان ويذهب المكان ويبقى الرحمن بجلاله وجماله وكماله، لا كفء له ولا ضد له ولا ند له ولا مثيل له وهو المتره في ذاته وصفاته عن جميع ما يخطر بالأوهام والعقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ (سورة الإخلاص).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله،وصفيه من خلقه وخليله، الذي قربه ربه وأدناه، وفتح له أبواب العناية بفضل الله حتى وصل إلى مقام في الكمال لم يصل إليه أحد سواه، ومع ذلك فالله ﷻ في قدرته لا منتهي لكمالاته ولا يصل واصل إلى كنه ذاته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، وتزيل بها الضرر، وتهون بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

---

[92] كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٣٠ من رجب ١٤١٩هـ – ١٩٩٨/١١/٢٠م.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ما أعظم حكم الإسراء والمعراج، وما أكثر مننها على المؤمنين، ولكني أذكركم وأذكر نفسي معكم بمنَّة واحدة، إذا وعيناها وفقهناها نلنا بها رضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

فقد كان من حكمة هذه الرحلة العظمى إظهار كمال توحيد الله، وإنه جل وعلا ليس في زمان ولا مكان، وفوق الطاقة والإمكان، لا يظهره الحدثان الليل والنهار، ولا تلحظه العينان، ولا يخطر ببال أي إنسان شئ ولو قليل من صفات ذاته أو قريب من كمالات نعوته وأسمائه وصفاته، لأنه ﷻ حير الأفكار، ونوع الأقدار، وأقام الأقطار كلها تشهد في صنعتها على بديع صنع الواحد القهار ﷻ.

فقد كان السابقون لنبينا من الأمم غير الأنبياء والمرسلين فهم معصومون ينسبون لذات الله ﷻ مكاناً يظهر فيه وزماناً يتجلى بقدرته فيه، فأخذ الله ﷻ الحبيب ﷺ وذهب به إلى كل عوالم الأكوان، بل كل عوالم أنشأها مكون الأكوان، حتى وصل إلى حيث لا زمان ولا مكان، فالزمان والمكان هنا يحيزهم ويظهرهم تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، أما في عوالم الملكوت العليا فلا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، بل فلك دوار بأمر الواحد القهار، لا يعلم قراره حتى سكانه من الملائكة الأبرار، والكل يُسلم أمره للواحد القهار ﷻ. ليس عندهم سَنَة ولا يوم ولا شهر لأن الذي يحدد ذلك الليل والنهار والشمس والقمر ..

فجاب ﷺ عوالم السماء عالماً بعد عالم حتى وصل إلى سدرة المنتهى وهي التي ينتهي عندها علم الخلائق أجمعين من الجن والإنس والملائكة المقربين وأهل عالين وأهل عليين، فكل أصناف الخلائق ينتهي علمها عند سدرة المنتهى ولا يعلمون ما ورائها من العوالم، ولا من خلفها من عوالم الطهر، والبهاء، والضياء، والجمال، والكمال لأن هذا أمر مخصوص بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. فأوقف الله الرسل في السموات، كل رسول وقف حيث انتهى علمه الذي علمه له الله وأعلاهم قدراً سيدنا إبراهيم خليل الله. وكان يقف مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ورائه ملائكة كل سماء حيث مكانتهم في الطهر والضياء بحسب ما علّمهم آدم عليه السلام كما أنبأ الله من الأسماء ...

وأعلاهم قدراً جبريل الأمين، وقد وقف عند سدرة المنتهى وقال إلى هنا انتهى مقامي قال: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا محمد أنا لو تقدمت قدر أُنملة (مثل طرف الأصبع) احترقت وأنت لو تقدمت لاخترقت، فعلم أن حدود علمه عند هذا المكان والذي قال له الله ﷻ ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء)، اخترق وتجاوز إلى قاب قوسين أو أدنى، ليعلمنا الله ويعلم رسل الله وأنبياء الله

وملائكة الله أن هذا النبي الكريم ﷺ أعلاهم علماً، وأفضلهم مقاماً، وأرفعهم تكريماً ودرجة عند الله، لكن ليس معنى ذلك أن هناك وجه لله ﷻ. فالله ﷻ كما قال لنا أجمعين: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد) ... ولذلك تفضل علينا وعليه بالصلاة حتى نعلم علم اليقين أن القرب بيننا وبين حضرة الله ليس قرب زمان !! ولا تلاشي مسافات ..!! ..ولا إذهاب حدود ولا اتجاه إلى جهات..!! ..، وإنما القرب بينك وبين الله أن تدني قلبك في مناجاتك لحضرة الله ...، وتغلق أمام أذن قلبك ما توسوس به نفسك ... مما رأيته أو شهدته أو سمعته من أقوال.

في حالة المناجاة تجد الله ﷻ معك، وتجد الله ﷻ في قلبك، وتجد الله ﷻ أقرب إليك من كل شئ لك أو في نفسك أو من حولك، أقرب إليك من زوجك التي بجوارك ومن أولادك الذين معك، بل من نفسك التي بين جنبيك لأنه ﷻ أقرب إلى كل شئ من نفس الشئ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (٨٥الواقعة) .. أين الله؟ في قلب كل عبد مؤمن بالله، ليس في السموات وإن خلقها .. وكورها .. وأبدعها .. وصنعها ..، وليس في الأرض وإن كانت لا تخلو ذرة من عوالم الأرض من وجود قدرته، ومن بصمة حكمته، ومن إبداع صنعته، لكن الله ﷻ في قلوب المؤمنين.

قال سيدنا موسى عليه السلام وهو يكلم مولاه: يا ربَّ أين أجدك؟ قال: تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي. في قلوب المؤمنين، وفي إيقان الموقنين، وفي إسلام المسلمين، فعندما يعلم المرء منّا أن عين الله ترعاه، وأذن الله ﷻ تسمع حديثه ونجواه، والله ﷻ مطلع على كل ظاهره وخفاياه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٧طه).

يكون في هذا الحال وليس في هذا الوقت. يكون في هذا الحال مع الله بلا زمان ولا مكان ولا حيطة ولا إمكان ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد)، فإذا اتجه إلى أي جهة وقال يا رب، سمع نداه ولباه وقال: لبيك عبدي لك ما تريد مني ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (١٤٤البقرة). إن كان في البحر أو في البر أو في الجبل أو في مكان محصور أو حتى في بطن الحوت. فقد سُئل رجل من الصالحين عن أقرب ما يكون العبد من ربه قال: أما سمعتم قول رسولكم ﷺ { **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ** }[٩٣] وهو في حالة السجود وقد نسى كل ما أحاط به من شوارد الأفكار ومن نوازع النفس والأهواء، واشتغل بكله بالله ﷻ في حالة الصفاء.

---

٩٣ عن ابن مسعود رواه أبو يعلى في صحيح ابن حيان.

إن يونس عليه السلام عندما ابتلعه الحوت وكان في بطنه، والحوت في قاع البحار والمحيطات، ناجى الله فماذا قال لحضرة الله؟ كأنه في قاب قوسين أو أدنى وهو في حال المناجاة لأنه يقول ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٨٧الأنبياء). ما الدليل على ذلك؟ ردَّ الله عليه حيث قال ﷻ ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٨الأنبياء)، استجاب له وهو في بطن الحوت ليعلمنا ﷻ أنه ليس بينك وبينه مسافات، ولا يفصله عنك حدود ولا حواجز ولا جهات، وإنما الذي بينك وبين الله هو الذنوب والعيوب التي تُغطي على صفحة القلب. فإذا أزلت الذنوب بالتوبة النصوح وأزلت العيوب بكثرة الذكر لله، كشف الله ﷻ حجاب قلبك فكنت من أهل الحضرة العلية فتناجي الله وتسمع تلبية الله لندائك وأنت في المناجاة أو وأنت في الصلاة ...

ولذا في ذلك يقول ﷺ: { **إن العبد إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء على قلبه فإذا توالت الذنوب فذاك الران** (يعني الغطاء أو الستار) **ثم تلى قول الله** ﷻ ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ (١٤-١٥المطففين) ﴾} ٩٤، إذاً من أين الحجاب؟ من العيوب والذنوب يا أحباب !!! وذلك كما أنبأ الله في الكتاب، فإذا محوت الذنوب بالتوبة والندم والاستغفار وأزلت العيوب بكثرة الذكر لله في الليل وفي النهار، ورفعت الحجب والأستار كلما قلت يا رب، لباك ....

وفي هذا يقول سيدي جعفر الصادق رضي الله عنه : { **كلما احتجت إلى شئ قلت يا ربَّ عبدك جعفر يحتاج إلى كذا فما استتم كلامي إلا وأجد هذا الشئ بجواري** }. وقال الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه عندما سألوه كيف حالك مع الله؟ قال: { **إذا دعوت أجابني، وإذا طلبت أعطاني، وإذا سكتُّ افتتحني بالكلام** }. ...

فكانت حكمة الصلاة لنعلم أن الله معنا فالصلاة تليفون محمول لا تدفع له الرسوم وليس له وقت معلوم، تخاطب به في أي زمان ومكان الحي القيوم، وتجده أقرب إليك من كل شئ، نجدة إلهية لمن يستغيث بها في كل بلية.

قال قوم يا رسول الله: { **أربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه ؟** }[95] فنزل في الحال تلكس إلهي من الواحد المتعال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (١٨٦البقرة) . ...

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

٩٤ عن أبي هريرة رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

٩٥ منازل السالكين بين إياك نعبد و إياك نستعين، مجموع فتاوى ابن تيمية

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا إلى هذا الخير، وجعلنا من خيار عباده الموحدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يوالينا بالخير، ويصرف عنا البلاء في كل طرفة عين، وأشـهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، جاءنا بشهادة التوحيد وبالتنزيه الحقيقي للحميد المجيد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، بيت الله المعمور بالله، ونور الله الدال علـى الله، واجعلنا جميعاً من حزبه يوم لقاءك يا الله ... أما بعد..

فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. كان فضل الله علينا بالإسراء عظيماً، فإن من قبلنـا قـد ضلوا الطريق فجعلوا حائطاً للبكاء لمن أراد أن تمحى ذنوبه، ولا تمحى إلا إذا ذهب إلى هـذا الحائط وبكى الدموع، والآخرين جعلوا التوبة مربوطة بقلب رجل يذهبون إليه ويجلسون بين يديه ويعترفون له دون الله بذنوبهم وفي يده محو ذنوبهم أو عدم قبول توبتهم، لكن الله تجلـى لنا فلم يجعل بيننا وبينه مكان ولا زمان ولا حاجز ولا حائط وإنما الله معنا حيثما توجهنا وهو في قبلتنا حينما صلينا، ويسمع نداءنا إذا نادينا على أي حال كنا، وفي أي زمان كنا، أخبرنا ﷺ بأنه لا يحتاج إلى واسطة بيننا وبينه إلا أن نزيل الجفا الذي على القلوب، ونمحو الـستائر التي تحجب القلوب عن حضرات علام الغيوب ... ثم بعد ذلك لا يزال الله منك على بـال تذكره أينما توجهت، ولا يزال لسانك رطباً بذكره فتكون في أي مكان وفي أي زمان وأنت على أي لون وعلى أي شكل وعلى أي حال فقير أم غني لا يهم ...

المهم هو تقوى الله، هي التي تقربك من الله ﷻ. ما الذي يجعلك قريبـاً مـن الله؟ أن تعمر قلبك بالإيمان وتقوى الله لا تحتاج بعد ذلك إلى أحد فلو ملكت التقوى وأنت ها هنـا والله معك حيثما تحدثت ويلبيك فيما أردت، وإذا كان معك مال وذهبت إلى الحرم الشريف وطفت حوله بدل المرة سبعين لكن قلبك مشغول بالدنيا عن الله، وعن الدين فهل يكرمـك الله كما يكرم عباده المتقين؟ لا. لأنه قـال ﷻ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧المائـدة)، وانظر إلى عظمة النبي الكريم إذ يروى سيدنا رَبِيعَةَ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ قال: { كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ؟، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ }[96] فدله على الطريق الصحيح صلوات الله وسلامه عليه ...

فإذا أنت سهوت أو نسيت أو غفلت أو شغلت بالدنيا عنه ﷻ فارجع إليه وتب إليـه وهو ﷻ ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة). .... << ثم الدعاء >>.

---

٩٦ صحيح مسلم

الخطبة الحادية عشرة[٩٧]

حكمة الإسراء إلى بيت المقدس

الحمد لله ربِّ العالمين، الظاهر بنعوت جماله، ومعاني كماله، وعزته وجبروته وقوة بأسه، وواسع جوده وعطفه ورحمته ظهر بذلك قبل خلق الأكوان وهو على ذلك إلى أن ينتهي الزمان والمكان، لأنه كان ولا شئ معه وهو الآن وبعد الآن على ما عليه كان. سبحانه سبحانه قُربه من عبيده وقرب عبيده منه لا بمسافات وأقطار، ولا بحدود وأبصار ولا في ليل أو نهار لأنه ﷻ تعالى تعالى عن الزمان والمكان، وتسامى عن الليل والساعات والنهار والزمان والآوان وإنما يقرب من عباده بنعوت ودّه وبأوصاف قربه وبأنوار حبه ويقرب منهم قرباً معنوياً، لا يوصف بالحروف ولا تُسعف الألفاظ لذكر بعض صفاته فيما يتعلق بالخلق أو بحضرة ذاته، وإنما هو قرب من قريب في علّوه إلى إنسان دان في سُفله بكيفية غيبية لا يعلمها إلا هو لأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يظهر في جهات ولا تلحقه الحركات ولا تستطيع أن تشير إليه الكلمات والعبارات، ولذا عَلِم عجز خلقه عن وصفه، فوصف نفسه بنفسه لهم وقال في قرآنه ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ (سورة الإخلاص).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله إمام المقربين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وخير من عرف مولاه بتعريفه له في كتابه العلي المبين، فهو أعرف العارفين بمولاه، وأعلم الخلق أجمعين بصفات الله، وأول من خلقه الله عابداً له في حضرته، وأعلاهم شأناً في دينه وشريعته وأكبرهم عِظماً وخطراً في شفاعة الخلق بدخول جنته ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على الرحمة العظمى لجميع العالم، سيد ولد آدم ولا فخر، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والكوثر المشهود وصاحب قول الحق ﷻ ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ (٣البروج)، سيدنا محمد كنز الرحمة الإلهية لكل الوجود، وآله أقمار السعود وصحابته المباركين الشهود، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم العرض والورود وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. ربما يتسائل بعض المسلمين لسماعهم كلام بعض المشككين ... لماذا أمر الله ﷻ حبيبه ومصطفاه أن ينتقل من البيت الحرام بمكة – وهو أول

---

٩٧ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/١١/٥م.

بيت أوجده في كون الله وأعلى حرم جعله الله لعبادته في هذه الحياة – إلى بيت المقدس قِبْلَة الأنبياء والمرسلين السابقين؟

وهذا كلام لا مِرْية ولا شك فيه لأن الذي أخبر بذلك هو الله في كتابه الذي لا يتغير ولا يتبدل بحفظ الله ﷻ له حيث قال جلّ شأنه وتبارك اسمه ولا إله غيره ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء) ... كان إسراؤه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لحكم تعالت عن العدّ، وتناهت عن الإحصاء والحدّ، لا يحصيها في جملتها إلا الواحد الأحد، الفرد، الصمد، لكن لابد لنا من ذكر بعضها تأنيساً للقلوب وتثقيفاً للعقول وتطميناً لنا أجمعين لنعلم أن الله ﷻ أعلم بما ينفعنا ويصلحنا أجمعين في الدين والدنيا والآخرة:

فمن جُملة ذلك أن هذا كان إعلاناً لجميع البشرية بحضور جميع الأنبياء والمرسلين أن هذا الدين المتين الذي أنزله الله ﷻ على أمير الأنبياء والمرسلين، هو امتداد لرسالات السماء ووحي الله لعباده من الأنبياء والمرسلين، وهم جميعاً يدعون إلى مكارم الأخلاق، وتوحيد حضرة الخلاق، وليس بينهم في الحقيقة خلاف ولا شقاق، وإنما الخلاف والشقاق جاء من دخول الأهواء في قلوب بعض العلماء، أو دخول شهوات الدنيا في بعض القائمين على الديانات بعد رسل السماء، لكنهم جميعاً كما قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه: { الأَنْبياءُ إِخْوةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهاتُهُمْ شَتَّى }٩٨ فكلهم جاءوا بدعوة واحدة وبمكارم طيبة صافية وهي مكارم الأخلاق، وتوحيد حضرة الخلاق ﷻ.

ولما كان كل رسول يُرسل إلى قومه خاصة فقد كان الله يخصه بالتعليمات التي تناسب زمانه وقومه وعصره فلما جاءت الرسالة الخاتمة الصالحة لكل الأزمان ولكل الأمكنة ولكل القدرات البشرية في شتى مناحي هذه الأرض، أكمل الله رسالته وأسبغ نعمته وأتم ديانته، فظهر فيها تمام مكارم الأخلاق لقوله صلوات الله وسلامه عليه: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ }٩٩. فكل نبي جاء بخلق أو أخلاق تناسب زمانه، ولما جاء صاحب الكمال انتهى إليه جميع الصفات وجميع الجمال وجميع الكمالات فكان كما قال الله ﷻ في شأنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم)، فجعله الله ﷻ وارثاً لنبوات السابقين أجمعين.

وكان من ذلك أيضاً إعلام الله ﷻ للخلق أجمعين أنه لا عصبية بين أصحاب الديانات السماوية، ولا يجب أن يكون بينهم تشاحن ولا تطاحن ولا نزاعات ولا إحن ولا فتن ولا

٩٨ مسند الإمام أحمد، صحيح مسلم.
٩٩ عن أبي هريرة، مالك في الموطأ والطبراني عن حديث جابر وأحمد من حديث معاذ بن جبل.

حروب لأن الله جعلهم جميعاً يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً، وإن كانوا وصفوا دينهم بشئ غير الإسلام فإن ذلك ليس بصحيح ونص على ذلك كتاب الملك العلام ﷻ، فجعل الله ﷻ العصبية منتهية وبذلك قال ﷺ { لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ }[١٠٠].

وبعد ظهور الإسلام زالت العصبية الدينية فمن باب أولى أن تزول العصبيات الخلافية بين الجماعات والفرق الإسلامية، فليس في الإسلام مسلم سُنّي ومسلم بدعي ومسلم شيعي ومسلم وهابي ومسلم صوفي وإنما هم جميعاً مسلمون ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٧٨الحج)، وكلمة مسلم لا يجب أن تحيطها بهالة قبلها ولا بوصف زائف بعدها وإنما نأتنس جميعاً بالإسلام، ولا شئ يعلو على كلام الملك العلام ﷻ ...

فكل من فجَّر نزاعاً بين المسلمين وبعضهم أو بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات السماوية فهو بعيد عن روح الدين، بعيد عن نهج سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه، فقد جمع الله له المرسلين وصافحوه وصلى بهم إماماً واحتفوا به ورحبوا به بكلمات نيرة مشهودة ورحب بهم في كلمة جامعة موجودة، ثم بعد ذلك لما صعد إلى السماء كانوا فى إستقباله وكانوا حريصين عليه وعلى أمته لأنهم جميعاً مأمورين بتعضيده ونصرته فقد قال الله ﷻ لهم في الميثاق الذي أخذه عليهم: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (٨١آل عمران)، أمرهم بنصرته فلم يكن ترديد موسى عليه السلام له في الصلاة كما يقول بعض الزائغين لولاية اليهود على الإسلام، أو وصاية موسى عليه السلام على نبي الإسلام، وإنما كان لأن الله أمره بنصرته وأمره أن يكون نصيحاً له في شريعته وأن يكون رحيماً وشفيقاً معه في أمته، ففعل كل ما أمره به مولاه ليفوز برضاء الله، لأن الله توّعد حتى الأنبياء من أن يخالفوا ما أُخذ عليهم من العهد والميثاق مع الله ﷻ، فالأديان كلها تدعو لكمال الأخلاق ومكارم الخصال، ولذلك كان في إسراءه ﷺ مشاهد جمة لا يتسع الوقت لحصرها أو ذكر بعضها ولكن كلها إذا تدبرنا في أمرها تدعو لمكارم الأخلاق وتدعو إلى حقوق الإنسان.

كم من مشهد يحرم الزنا ويفظّعه ...، إلى مشهد يحرم الربا ويهوّله ...، إلى مشهد يحرم الكذب وتوابعه ... إلى مشهد يحرم الغيبة والنميمة وما شابهها ...، إلى مشهد يوضح للإنسان أهمية محافظته على الصلاة والأهوال التي تنتظره إذا ترك اتصاله بمولاه ...، وكلها مشاهد نورانية تدعو المرء إلى القيام بحقوق الله وحقوق عباد الله التي دعا إليها رسول الله وجميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

[١٠٠] عن جبير بن مطعم في سنن أبي داود، الفتح الكبير رواه أبو داود.

ياإخواني المسلمون إنه لا سمو للبشرية ولا صلاح لحال الإنسانية إلا إذا سادت بين شعوبها تعاليم الأديان السماوية وأخلاقها المرضية، فإنها الوحيدة التي تحارب في هذا الوجود النزعات العدوانية، والشرور النفسية، والأهواء الإبليسية بطريقة حكيمة نورانية لا تستمكن أي طريقة بشرية أو إنسانية من فعل ذلك، ولذلك عندما تركوا الأديان فسدت أخلاقهم وأحوالهم كما هو ظاهر في للعيان ...

فقد قالوا مثلاً في حقوق الإنسان: الإنسان حر في أن يصنع ما يريد فإذا شرب الخمر فلا عليه شئ، وإذا تعامل بالربا فهذا شأنه، ولكن شارب الخمر إن لعب به عقله وذهب عن حسه ونفسه وفعل ما يؤذي الآخرين، ويضر ما حوله من الخلق أجمعين هل هذه حرية؟! وهل هذه هي الأخلاق الإنسانية؟! وهل التزم بحقوق الآخرين كما يطالب بذلك من يقولون بحقوق الإنسان؟ وهل الذي يبتز أخاه الإنسان وينتهز فرصة حاجته ويعطيه المال بالربا أضعافاً مضاعفة ويجعله مهدود الكيان في البناء الاقتصادي لا تقوم له قومة، ولا ينهض له شأن لأنه لا ينتهي من دين حتى يدخل في ديون أخرى ويتحكم في الدائنون، ويوجهون سياسته، ويقومون بتنفيذ ما يطلبون، لأنهم هم الذين يفرجون عنه بإعطائه من الديون ما يفك به معضلاته الاقتصادية[101]. هل هذه حقوق الإنسان؟!

حقوق الإنسان لا تكون إلا مع أخلاق القرآن وأخلاق النبي العدنان وأخلاق الأنبياء والمرسلين التي أرساها الله بهم في هذه الدنيا وفي عالم الأكوان، فكان مجيئه ﷺ إعلاماً بأنه يرث الصالح مما جاء به الأنبياء ويدع الطالح مما زاده هؤلاء وهؤلاء، وكان أيضاً بالإضافة إلى ذلك حفظاً لميراث داود وسليمان، فلو لم يذهب النبي ﷺ إلى بيت المقدس ما حافظ المسلمون على حرمته ولا باعوا النفيس والغالي والأرواح في سبيل نصرته وإنما الذي دفعهم إلى ذلك أنه ثالث الحرمين، ومسرى النبي الأمين، فهذا الذي دفعهم للحفاظ عليه والعمل على إعلاء شأنه لأنه مسجد اتخذه الله لرسله وأنبياءه، ورسولنا ﷺ يحفظ حقوق النبيين والمرسلين أجمعين لأنه هو المرسل رحمة للعالمين.

قال ﷺ: { **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ في الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ** }[102]، أو كما قال ....

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٠١ ولما حدث الإنهيار العالمي وتداعت الإقتصادات العظمى خرج المحللون الماليون الغربيون ليقولوا أن أفضل الحلول البنكية هو جعل فائدة الإيداع أو التوفير تصل إلى الصفر بالمائة ، أى لا ربا بأى شكل من الأشكال.

١٠٢ عن عبد الله بن عمر، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الواحد في علوه، المنزّه في تنزله في خلقه، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، لا تراه العيون، ولا تدركه الآذان وإنما تدركه القلوب بحقائق الإيمان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، النبي العدنان الذي اصطفاه الله وجعله رحمة لجميع بني الإنسان في الدنيا، وشفيعاً لهم يوم العرض على الرحمن في الآخرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. لو كان الله ﷻ أخذ حبيبه ﷺ مــن المــسجد الحرام إلى السموات العلى مباشرة، لما كان هناك رد مقنع على الكافرين لأنه لو أخبرهم أنــه عُرج به إلى السماء، لم يصعدوا إلى السماء وليس معهم سؤال يسألوه ولا دليل به يطلبـــوه، وإنما عندما أخبرهم بأنه أسرى به إلى بيت المقدس وقد علموا بأنه لم يذهب إليه، وهم ذهبـــوا إليه وعرفوه، سألوه عن نعته ووصفه فجلاه الحق ﷻ له فوصفه لهم كما يعرفوه فقالوا أمـــا الوصف فقد صدقت، وهذا دليل على صدقه في هذه الدعوة لكنهم لم يؤمنوا به لأنهم ســبق لهم سوء الخاتمة من الله، ثم طلبوا دلائل حسية أخرى فأخبرهم بقوافلهم التي تسير إلى بيــت المقدس وكيف أنهم مروا بقوم ندَّ لهم بعير (أي ضل) فناداهم وأخبرهم به فحــصلوه، وأنـــه ذهب إلى قوم آخرين وكان ظمآناً من الماء وعندهم إناء مليء بالماء فكشفه وشرب كل ما فيه وغطاه فلما كشفوه لم يجدوا فيه شيئاً ولكنهم لم يزدهم ذلك إلا عناداً!!

ثم طلبوا منه أمراً ظنوا أنه فوق طاقته فقالوا: إن كنت صادقاً فمتى ستأتي هذه القافلة؟ وهذا غيب لا يعلمه إلا الله، لكن الله أيده فقال ستأتي في يوم كذا ساعة العــصر، فـــانتظروا ذلك اليوم وكانت الشمس تكاد تغيب والقافلة لم تأت، فدعا الله تعالى فاصفرت الشمس أو كما قالت الروايات الواردة .. ردّها الله بعد أن كانت قد توارت خلف الجبال والنخيل إلى كبد السماء حتى جاءت القافلة .. وقد كان قال لهم يتقدمها جمل (أورق) يعني مختلط لونـــه بين الأسود والأبيض، عليه غرارتان يعني (قفتان) وكان الأمر كما قال، جـــاءت القافلـــة في ميعادها وكما وصفها لهم، لكنهم كانوا ظالمين وبآيات الله يجحدون.

فكان ذهابه ﷺ إلى بيت المقدس ليثبت عليهم بالحجة والبرهان أن هذه الحادثة أجراها لـــه الرحمن ﷻ. لكنها لو كانت مباشرة من البيت الحرام إلى السماء ماذا كانوا ســيقولون؟ وكيـــف كانوا يطلبون الدليل أو البرهان؟ وهناك حكم كثيرة وأدلة عظيمة، جعلها الله ﷻ في إسراء حبيبه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي نسأل الله ﷻ أن يطهره من اليهود والزائغين وأن

يجعله خالصاً للمسلمين والموحدين. وأن يحيينا حتى نتمتع ونفرح جميعاً بهذا النصر المبين وأن يعيننا ويصحح أجسامنا حتى نصلي فيه صلاة لرب العالمين .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية عشرة[١٠٣]

منح الإسراء للأصفياء

الحمد لله ربِّ العالمين، الأحدي الذات، السرمدي الصفات، الذي لا يدركه أحد على كنه حقيقته ولو جاء بالمعجزات الكريمات لعلوه في عزته وجبروته عن الإدراك بالحيطات، لا تدركه العيون، ولا تصل إلى مكنون سره الظنون فكل ما خطر ببالك فالله تعالى وراء ذلك .. سبحانه سبحانه، تعالى وجهه عن الشريك، وتعالى في قدرته عن المزيد وتعالى في علو شأنه عن النظير وعن الوزير وعن المشير، قيوم لا يفوت علمه شئ، قادر لا يعجز أبداً عن شئ، حليم لا يسفه، واحد أحد فرد صمد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كان ولا شئ معه قبل خلق الزمان وإيجاد الأفلاك والأكوان، وهو الآن وبعد الآن على ما عليه كان، فكما أنه ﷻ ما مسّ التراب ولا حسّه ولا جسّه فهو ﷻ ما مسّ العرش ولا حسّه ولا جسّه، العرش محمول بقدرته ومعمول بحكمته، وهو ﷻ في كنه ملكوته وعظمته يدرك الأشياء ولا يدركه أي شئ من الأشياء، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء لأنه وسع الأشياء ولم يسعه شئ في الأرض ولا في السماء.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اختصه الله ﷻ بحمل الرسالة، وبصفاء أنوار النبوة وبضياء معارج الفتوة وجعله فاتحاً خاتماً أيّده بنوره وأظهر له ما يبهر قدره الكل من نوره، واصطفاه هادياً للخلق في الدنيا وشفيعاً لهم أجمعين يوم الدين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، قطب دائرة الأفلاك والذي رأت عيناه من قدرة الله ما لم صل إلى رؤيته أمة الأملاك، وأعطاه الله ﷻ من العلوم والحكم ما جعله بفضله وقدرته نبياً فريداً وحيداً في أخذه ورسالته وشريعته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. سمعنا من رب العالمين خطاباً وجيزاً في كلماته، حكيماً في ألفاظه وعباراته، معجزاً في معانيه وأسراره وبلاغته، يتحدث عن رحلة أخذ الله

١٠٣ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي محمد أبو عامر بمدينة الزقازيق وم الجمعة الموافق ٢١ من رجب ١٤٢٠هـ – ٢٩/١٠/١٩٩٩م.

فيها حبيبه ومصطفاه من بيته الحرام إلى دار هجرته إلى بيت المقدس حيث صلى بالنبيين أجمعين إماماً ثم عرج به إلى السموات العلى، سماءاً وراء سماء فهو كما قال ﷺ: { بَيْنَ كُلِّ سَماءٍ إلى السَّماءِ الّتي تَليها مَسيرَةُ خَمْسمائةِ سَنَةٍ }[١٠٤] ثم أراه الجنة وما فيها والنار وما أعده للكافرين والمشركين والعاصين فيها، وعوالم العرش، وعوالم الكرسي، وعوالم لا يدريها أحد إلا الله، ورجع بعد ذلك وفراشه ساخن لم يبرد بعد !!!

وأخبر ﷺ عن كل هذه الرحلة بما رأى فيها وما دار أثناءها، ورد على جميع الشاكين والمشككين والمرتابين وأهل الزيغ أجمعين في آية واحدة وعبارة واحدة حوت كل ذلك فكان فيها إيجاز وألغاز وبيان وروح ووضوح وهذا جمال الإعجاز ولا يقدر على ذلك إلا الله. رحلة لو أخذ الإنسان في سرد بعضها لاحتاج إلى ملايين السنين يسوق الله ﷻ أخبارها في آية واحدة يقول في مجملها وفي محكمها وفي موجز هذه الرحلة الإلهية ﷻ ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء).

وهنا أسوق لكم تعليقاً سريعاً على هذا الموجز الرباني، كلمة سبحان الذي أسرى غلقت الأبواب أمام كل متشكك ظهر في الكون أو سيظهر إلى يوم العرض والحساب فمن يقول كيف ذهب ثم عاد وفراشه لم يبرد؟ وكيف رأى ما رأى ولا يستطيع الإنسان مهما قدر أن يرى بعض ما رأى إلا في آلاف السنين!!، لكن ربَّ العالمين أخبر أن هذه المعجزة وهذه الحادثة تولاها الله من البداية إلى النهاية وما دام الأمر أمر الله، وتعلق بقدرة الله، فقدرته لا يعجزها شئ ولا يقف أمامها شئ.

فلو كان الإسراء منسوباً إلى النبي ﷺ لذاته بدون تأييد من مولاه أو كفالة ورعاية من حضرة الله كانوا ربما يخالطهم بعض شك مع أنه نصاً محفوظ في كل أموره بحفظ الله ﷻ فكلامه يقول الله فيه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ (٣-٤النجم) ، وبصره إلى كل منظر ورؤيته إلى كل جوهر وباطن ومظهر يقول الله في شأنها ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) ، كل كلامه صدق وأكيد لأنه وحي من الحميد المجيد ﷻ فالذي أسرى به هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق الأكوان، وخلق الزمان، وخلق كل شئ في الكون أو خارج نطاق الأكوان، والذي بيده القدرة الصالحة لكل ما يعلم الإنسان وما لا يعلمه الإنسان لأنه هو الذي معه القدرة المطلقة وهو

---

١٠٤ المستدرك للحاكم عن العباس .

الرحمن ﷻ، فما دام أخبر أنه أسرى بعبده ومصطفاه فالأمر على اليقين لا يحمل شكاً ولا غياً ولا تردداً من أي مسلم يؤمن بالله ويصدق بكتابه ورسوله ﷺ.

ما نقطة البداية؟ وما نقطة النهاية؟ وما الذي رأى بينهما بعين العناية؟ من المسجد الحرام كانت بدايته، إلى المسجد الأقصى كانت نهايته في رحلة الإسراء، لأن رحلة المعراج في آيات سورة النجم وبينهما رأى بعين أفاضها عليه الله، ما أجمله الله في قوله عز شأنه: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء) لنريه أي أن الله ﷻ هو الذي كشف له، وهو الذي وضح معالم صفاته، وهو الذي أمده بنور من عنده ليرى ما أظهره الله ﷻ له.

فالإنسان وأي إنسان فيه عين ظاهرة ترى الأكوان بشعاع الشمس والقمر، وفيه عين في القلب ترى ملائكة السماء إذا وصل إلى حالة الصفاء بشعاع نوراني سلط على عين قلبه من عين البقاء، ليرى بنور من الله ملائكة الله ﷻ وفي حال هذا وأمثاله يقول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) ، وبعد أن ضرب لنا جميعاً الأمثال فإن الرجل منا في عالم النوم يرى ما لا يستطيع إحصاءه في اليقظة في آلاف السنين فيرى أنه ذهب إلى البيت الحرام وطاف حوله ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم جالس فلاناً من عباد الله وفلاناً من أنبياء الله ورأى فلاناً من ملائكة الله، ويستيقظ في منامه في أقل من لمح البصر فيجد جسمه كما هو على هيئته وعلى فراشه ولم يتحرك من مكانه، كيف ذهب وكيف رأى وكيف علم؟

بعلم من الله، ونور من الله، وقدرة من الله يقول فيها الله ﷻ في حديثه القدسي الذي يرويه الإمام أبو هريرة وأورده الإمام البخاري ومسلم: { ما تقرب إليّ عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ}[١٠٥] .

والذي ينظر بعين الله لا يتقيد بشئ من كائنات هذه الحياة لأنه يرى بفضل الله من عوالم الله ما هيأه وكشفه له مولاه ومن هنا تظهر أنوار هذه الآية القرآنية وجمالاتها في عباداتها القدسية فلم يقل جل شأنه (سبحان الذي أسرى بنبيه أو سبحان الذي أسرى برسوله) لأنه لو قال أسرى بنبيه أو رسوله كان الإسراء قاصراً على حضرته ﷺ، لكن الله فتح الباب لكل الأحباب وجعل الإسراء لكل من وصل إلى مقام العبودية من اتباع النبي المصطفى إلا أن

---

١٠٥ متفق عليه من حديث أبي هريرة

الفارق بينه وبين حبيبه ومصطفاه أنه أسرى بروحه وجسمه لذلك قال الله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ .

وكلمة العبد لا تطلق إلا على الجسم الذي فيه حياة. أما الجسم الذي فارقته الحياة فنقول عنه: قبضت روح فلان أو جثة فلان لكننا لا نقول العبد فلان لأن العبد هو الجسم الذي فيه روح وفيه حياة بأمر الملك السبوح ﷻ، فكانت كلمة العبد إثبات لجميع البشرية أن الله أسرى به روحاً وجسداً حتى لا يتشكك متشكك في ذلك ويقول لقد كانت رؤية منامية وإلا فما إعجازها؟

وأيد الله هذا الكلام بما دار بينه وبين الكفار، فعندما كذبوه قال لهم مررت بعير فلان في موضع كذا وقد شرد لهم بعير أي ضل الطريق ودللتهم عليه، وكنت ظمآناً وكان معهم إناء في هيئة كذا فجذبته وشربت ما به من الماء، فلما رجعوا حكوا لهم ما رواه فصدقوه ﷺ، وهل الروح تشرب من إناء ويصبح الإناء فارغاً؟ .. كلا ولكنه إثبات من حضرة الله وتأييد وبرهان لرسول الله ﷺ على أنه أسرى به روحاً وجسماً. فلا نصدق مشكك في ذلك ولا يتقبل مسلم تشكيك في ذلك بل يقول كما قال الله عن الصالحين من عباد الله ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (٧آل عمران). فجعل الأمر كه لله، فنحن نؤمن به كما ذكره الله وكما بينه حبيبه ومصطفاه ﷺ. وكلمة بعبده بعد ذلك تفتح المجال لأي عبد تصفو روحه ويطهر قلبه، ينام في ساعة الفتح الإلهي التي قدرت له فيكشف الله عن عين باصرته الغطاء ويمتعه بقبس أو شعاع مما رآه سيد الأنبياء ﷺ على قدره لا على قدر رسول الله.

وقد كان ذلك حتى في زمانه فقد قال يوماً لأحد أصحابه وهو سيدنا حارثة ﷺ وقد كان مسرياً به قال: { **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قُلْتُ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ قُلْتُ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى عَرْشِ رَبِي بَارِزاً، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: أَنْتَ امْرُؤٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ** }[١٠٦] فمن نور الله قلبه بالإيمان وصفاه للعمل بالسنة والقرآن وأحيا ليله بين يدي حضرة الرحمن، فتح الله له من عالم الإيمان ما به يزيد إيمانه، ويسطع برهانه ويطلع في حضرة الله إيقانه لأن الله قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ – ثم قال فينا ولمن قبلنا ومن بعدنا – ﴿ وَلِيَكُونَ

١٠٦ رواه الطبراني وأبونعيم

مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) ، أي أن كل من وصل إلى رتبة الإيقان يرى قبساً من نور الله ومن فيض نور الله في عالم الملكوت وفي غيب السموات وفي نـور الأرض ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور).

ومما ورد فى الخبر فى الأثر قوله ﷺ: { **لما دخلت إلى سدرة المنتهى وقف الأمين جبريل وقال: يا محمد تقدم فقلت: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا محمد أنت لو تقدمت لاخترقت وأنا لو تقدمت قيد أنملة احترقت. قال: ثم زجّ بي زجةً فإذا بي في عوالم النور وسقط على لساني قطرة أحلى من العسل وألين من الزُّبد وأبرد من الثلج فقلت: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فسمعته وهو يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فردد حملة العرش وسكان الحظيرة القدسية وقالوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال: ثم أعطاني الله ثلاثة علوم علم أمرني بالإخبار به وعلم أمرني بكتمه وعلم خيرني فيه** } ...أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي وهبنا الهدى والإيقان، وصفاء القلوب للرحمن، وأشهد أن لا إلـه إلا الله، وحده لا شريك له، لا يعطي صفاءه إلا لعباده الأتقياء الأنقياء الأصفياء ... وأشـهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله خلص العرب والأميين أجمعين من الغلظة والجفـاء إلى الرحمـة والنقاء ومن الجهالة إلى العلم والحكمة من كتاب الله ومن وحي السماء ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وزده نوراً وبهاءاً وضياءاً، وأحشرنا معهـم جميعاً يوم اللقاء .... واجعلنا ممن يرث نقطة من مقامه العظيم من الصفاء..... آمين. آمين .. يا أرحم الراحمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. بين الله ﷻ عظمة الإسراء وقال جل شـأنه ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ لم يقل لنريه من آيات الكون أو من آيات السماء لكنه مـن آيـات الله ومن غيوب أسماء الله، وصفات الله، وقدرة الله التي لا ينالها إلا من اصطفاهم الله. أما الأسرار التي حصلها فأشار إليها جل شأنه، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ فأولهـا ألـف البدايـة وآخرها ياء النهاية وبينهما سر لم يكشفه الله لأحد من الأولين والآخرين، إلا لحضرة النبي ﷺ وقد ألمح إلى ذلك فقال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (١٠النجم).

أعطاه الله من خاصة علومه ومن خاصة وحيه ومن لطيف قدرته ومن غرائـب علمـه وصنعته ما لم يعطه لأحد من السابقين واللاحقين لمزيته ورفعة مكانته حتى نوقن جميعاً أنه أعظم

الرسل قدراً، وأعلى النبيين شأناً، وأنه هو الذي حصّل جميع أحـوالهم، وأعطـاه الله جميـع أخلاقهم، وتفضل عليه بجميع علومهم فهو صفوة المرسلين، وكنز النبيين والرحمـة العظمـى للخلق أجمعين، فلنتخلق بأخلاقه ونتمسك بأحكامه، ونطمع جميعاً أن ندخل في رحابـه لأنـه باب فضل الله وكنز كرم الله.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة عشرة[١٠٧]

الإسراء وتحقيق المجتمع الفاضل

الحمد لله الذي تعالى عن الجهات، وتسامى عن المسافات لا يحده شرق ولا غرب، لأنه هو الذي أوجد الشرق والغرب، ولا يوصل إليه بالخطوات، ولا تحيط بأوصافه الكلمـات، ولا تشير إلى كنه ذاته العبارات، جلّ في عظمته وتعالى في قدرته عن أن يحيط به أحـد مـن خلقه إلا بإذنه. سبحانه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم .... وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له جلّ في كماله، وتعالى في جمالـه عـن الـنظير والوزير والمشير، انفرد بجميل النعوت، وكمال الصفات والأخلاق الراقية، كل مـا خطـر ببالك فهو ﷻ بخلاف ذلك فإذا سئلت عنه فقل، هو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كـل عيب ونقص، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اختاره الله ﷻ لإمامة الأنبيـاء والمرسـلين وفتح له أبواب الملكوت وأطلعه على عوالم قدرته، وعلى برازخ حكمته، وعلى حقيقة نـاره وجنته، وبعد ذلك كان قربه من الله وهو على العرش كقربه مـن الله وهـو علـى الثـرى والتراب، لأنه ﷻ لا تدركه الأبصار، ولا تستطيع أن تراه العيون، إلا إذا تجلى بفضله علـى عبده فأعطاه نوراً من نوره ينظر به إليه فيكون ينظر بنور الله إلى الله ... فاللهم صلّ وسـلم وبارك على سيدنا محمد، بيت الله المعمور بالله، ونور الله الدال على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هداه، شفيع المذنبين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. فيا إخواني جماعة المؤمنين.. ونحن في شهر الإسراء والمعراج، أدعـو نفـسي وإخواني من المؤمنين والمؤمنات إلى تصفح هذه الحادثة الجليلة وقراءتها بإمعان وتأنٍّ، فإن فيها

١٠٧ كانت هذه الخطبة بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة يوم الجمعة الموافق ١٩٩٦/١١/٢٢م.

الكثير والكثير مما لا نستطيع أن نحيط به في هذا الوقت القصير. وقد رسم الإسراء والمعراج للمسلمين معالم المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي النبيل الذي ننشده جميعاً ونتمنى أن نعيش فيه ولو أياماً قليلة.

وقد ظن أهل الكفر في عصرنا أن المجتمع الفاضل هو الذي يعمر بالبنايات ويشيد بالمنشآت وتقام أسسه على المال والثراء المادي والعلم العصري، ونسوا أن ذلك كله لا يفيد إذا لم ينصلح الإنسان من داخله فهو الذي يعمر تلك البنايات، وهو الذي يشيد تلك الإنشاءات، وهو الذي يتولى تشغيل جميع هذه الهيئات، فلو لم يبني المجتمع نفسه هذا الإنسان على المكارم العالية التي جاءت بها الأديان، فإنه يفسد في لحظة ما بناه الإنسان في آلاف الأعوام، ما الذي يقيم لنا عمارة لا تتأثر بالزلازل ولا بالكوارث؟ ليس نوع الأسمنت، ولا صنف الحديد ولا الرسم الهندسي إلا إذا صاحبها الضمير النقي عند التنفيذ، لكن لو أحضرنا جميع مستجهزات العصر ولو أحضرنا الذين بنوا ناطحات السحاب بمعداتهم وتجهيزاتهم والمواد التي استخدموها في بنائهم، ولم نستطيع أن نجهز الإنسان بضمير يراقب الديان ﷻ فسيشيد بناءاً واهياً لأنه ينهب ويسرق الأساس والمعدات والتجهيزات، أو لا يتقن العمل، أو يجتهد في الغش وذلك أمر لا تصلحه قوانين الأرض وإنما قوانين خالق السماء والأرض ﷻ.

مهما اجتهدنا في أي ميدان: مدارس، مستشفيات، جامعات، مصانع، هيئات وأقمناها على أحدث طراز عصري من الذي يُشغل الأجهزة؟ ومن الذي يدير الأعمال؟ إنهم هم أفراد هذا المجتمع وفيهم يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١١الرعد) ، لم يقل يغيروا أنفسهم – لأن النفوس لا تتغير – ولكن يغيروا ما بها !!!

ولذلك عندما دعا حبيبه ومصطفاه ليفرض عليه وعلينا الصلاة كان أول شئ أمر به أن أمر ملائكته الكرام أن يوقظوه من النوم ويأخذوه إلى جوار الكعبة ويرقدوه على ظهره ثم شقّوا عن بطنه ويخرجوا قلبه ويضعوه في طست من ذهب ويخرجوا منه حظ الشيطان ويغسلوه بماء زمزم، ثم جاءوا بطست مملوء إيماناً وحكمة وحشو قلبه ﷺ به ثم ردوه إلى حاله، وبدأ بعد ذلك حادث الإسراء ....

وذلكم يا جماعة المؤمنين هو باب تحقيق المجتمع الفاضل. ليس بالصلاة ولكن بتطهير القلوب من حظ الشيطان، وما حظ الشيطان في بني الإنسان؟ الغش والمكر والخداع واللؤم والخيانة، والخسة والنذالة، والتهور، والجبن، والحيل، والنميمة، والغيبة، والمشي بين الناس بالوقيعة، والهمز واللمز والغمز.. كل ذلك وغيره حظ الشيطان الذي دعا إلى تطهير القلب منه الرحمن قبل أن ينضم الإنسان إلى صفوف أهل الإيمان. ماذا قال في ذلك ﷻ؟

اسمعوا واعوا ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر). إذا تم ذلك كيف يكون وصفهم: ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) ...

لا تنفع قوة المؤمنين إذا كانت القلوب مملوءة بالغش والعيون يلوح منها الخيانة، والفم يظهر عليه الابتسامة الخادعة الصفراء، والقلوب تفكر في الحيل للإستيلاء على قلوب الضعفاء، ويصبح شرار المجتمع شوكة في جانب الشرفاء لأنهم يستطيعون إقلاق مضاجعهم بشئ لم يجنوه أو ألم لم يرتكبوه. فإذا منع إنسان شريف إنساناً شريراً من حق ليس له، ما أسرع ما يذهب ليأتي بتقرير طبي مزور يلصقه بالشريف ويقيم عليه تهمة لا يدري لها ولا عنها شيئاً ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه، لأنه تقرير طبي، ولا يستطيع أن يفعل مثل ما فعل لأن ضميره يأبى عليه ذلك.

ماذا دهانا جماعة المؤمنين؟ أصبنا في ضمائرنا بأمراض عضال لا يصلح معها إصلاح القوانين، لكن لا صلاح لها إلا بإصلاح القلوب ومراقبتها لرب العالمين ﷻ. فإذا علم المرء المؤمن الذي يغدر أنه يوم القيامة يكون كما يقول ﷺ { يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَـٰذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ }[١٠٨] يمتنع عن الغدر خوفاً من الله ﷻ، لأنه ليس له هناك حيلة تنجيه ولا شئ يدفع عنه إلا صدقه وعمله الصالح لله ﷻ ، وإذا علم الخائن أن رسول الله ﷺ كان يقول: { اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ }[١٠٩] ويقول في شأنها {لا يزال العبد يخون إخوانه حتى تهبط به في نار جهنم} يمتنع عنها حياءاً من الله، وخوفاً من عقاب الله ﷻ، وإذا سمع أنس بن مالك الصحابي الجليل يقول: كان رسول الله ﷺ لا يتركنا في أي مجلس إلا إذا قال: { لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ }[١١٠] [مرتين] ...

علم أنه لا ينفع الإيمان ولو كان معه صلاة وصيام وزكاة وحج إلا إذا كان معه أمانة، أمانة في العين، وأمانة في الأذن، فلا تطلع العين على العورات، وأمانة في الأذن فلا تغير أو تزيد ما سمعته من كلمات لأهداف خبيثات، وأمانة في اللسان فلا يقول ولا يشهد إلا لما يرضي الرحمن ﷻ وأي شهادة تقولها بلسانك ولو تزكية لعبد من عباد الله، إذا لم يكن يستحق هذه التزكية فتلك شهادة زور تستوجب لصاحبها الخلود في النار يوم النشور. فقد قال ﷺ لرجل يمدح أخاه بما ليس فيه – كما نرى في زماننا من رجوع البعض إلى قاموس الألفاظ القديمة من الباشوية والباكوية وغيرها ... ونقولها لمن يستحقها !! أو لا يستحقها !! – فقال له ﷺ: { وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ }[١١١] ، ثم قال لهم مبيناً ماذا يفعلون لهؤلاء:

---

١٠٨ صحيح مسلم عن ابن عمر
١٠٩ سنن النسائي الصغرى عن أبي هريرة
١١٠ رواه الطبراني في الكبير.
١١١ رواه البخاري وأحمد عن أبي بكرة

{ احثوا التراب في وجوه المداحين }[112] أي الذين يثنون علـى النـاس في أي موضع بقلمهم أو بلسانهم أو بأي أمر من أمورهم وليس فيهم !! فقـد اعتـبرهم ديـن الله وشريعة الله يشهدون شهادة زور يحاسبون عليها يوم يلقى المرء الله ﷻ.

أخلاق الإيمان هي الترجمة العملية لمجتمع المدينة الفاضلة فقد رأى ﷺ بعد هذه الحادثـة – حادثة شق الصدر – الأخلاق التي يحبها الله في صورة طيبة يفرح بها المؤمنون والمؤمنـات، والأخلاق التي يبغضها الله كالزنا وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل أموال الناس بالربا وغيرها في صورة قبيحة منفرة ... لماذا؟ ... حتى نعلم علم اليقين أن صلاح المجتمع بالبعد عن الأخلاق الخبيثة التي رآها ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، والتخلق بالأخلاق الطيبة التي رآهـا ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، فإذا فعلنا ذلك واجتمعنا في بيت الله كما اجتمع ﷺ مع الأنقياء من عباد الله – أنبياء الله ورسل الله وملائكة الله – وتقدم بهم للصلاة فاعلمنا أنه لا تنفع الصلاة إلا إذا اجتمعنا جميعاً في بيت الله كما اجتمع ﷺ مع أنبياء الله ورسل الله وملائكـة الله علـى النقاء والصفاء والطهارة لله ﷻ. قال ﷺ: **{الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، مَنْ أَوْفَى بِهِ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِلْمُطَفِّفِينَ}**[113] وقد قال ﷺ قال الله تعالى في حديثـه القدسـي: **{إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، ولَمْ يَسْتَطِلْ على خَلْقِي، ولَمْ يَبِتْ مُصِرّاً على مَعْصِيَتِي، وقَطَعَ نَهَارَهُ في ذِكْرِي، وَرَحِمَ المِسْكِينَ وابنَ السَّبِيلِ والأرْمَلَةَ، ورَحِمَ المُصَابَ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلأُهُ بِعِزَّتِي وأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي، أَجْعَلُ لَهُ في الظُّلْمَةِ نُوراً، وفي الجِهَالَةِ حُلْماً، ومِثْلُهُ في خَلْقِي كَمَثَلِ الفِرْدَوْسِ في الجَنَّةِ}**[114]... أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشـهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسـلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير، وادفع عنا الـشر، ونجنـا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. إخواني جماعة المؤمنين.. أمر آخر أنبه نفسي وإخواني إليه، إذا كـان الله ﷻ أحيا أرواح الأنبياء والمرسلين وأنزل الملائكة المقربين أجمعين حتى يؤدوا صلاة الجماعـة مـع

---

١١٢ { أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنْ نَحْثُوَ، فِي وَجُوهِ الْمَدَّاحِينَ، التُّرَابَ} (رواه مسلم وأحمد عن أبي معمر)
١١٣ جامع الأحاديث والمراسيل عن سلمان الفارسي.
١١٤ رواه البزار.

رسول الله ﷺ فهذا بيان لنا في أهمية الجماعة في بيت الله، فقد تفشى في زماننا شئ من نفوسنا أو وساوس شيطاننا جعلنا لا نؤدي الجماعة إلا يوم الجمعة أو في رمضان، وبين ذلك نؤديها في بيوتنا مع أن نبيكم ﷺ قال: { **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامُ ثُمَّ آمُرُ رَجُلاً فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ** }١١٥ همّ بأن يحرق بيوت الذين لا يؤدون الصلاة جماعة بغير عذر شرعي في بيت الله ﷻ لماذا؟

لأهميتها لي ولك !! يكفي أنها يقول فيها ﷺ :

{ **صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةِ الْفَذِّ** - والفذ هو الرجل الذي ليس له نظير في عبادة الله ﷻ - **بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**}١١٦: { **قالوا: وما الدرجة يا رسول الله؟ قال الدرجة في الجنة كمابين السماء والأرض** } ١١٧.

ويكفي أن صلاة الجماعة مقبولة على الدوام، فلو صليت بمفردك لا يقبل الله من صلاتك إلا الجزء الذي حضر فيه قلبك وخشع لله فيه قال ﷺ { **أَنَّ الرَّجُل لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ، وَلَعَلَّهُ لا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا إلا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا، أَوْ سُدْسُهَا ولا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها** }١١٨ !!!

وما الحل أيها المسلمون الكرام وكلنا يعلم أن المشاكل لا تكثر إلا وقت الصلاة؟

عليكم بالجماعة فإن الجماعة إذا كان فيهم رجل صالح يقبل الله صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله والجماعة كما ورد فى الأثر إذا وصلت أربعين رجلاً لابد أن يكون فيها رجل صالح يحبه الله عرفناه أو لم نعرفه. فصلاة الجماعة مقبولة على الدوام.

هذا إلى جانب أن الجماعة تستوجب شهادة المؤمنين يوم الزحام فإن المرء إذا تحير في أمره يوم القيامة ينذره الله ﷻ ويقول له: ابحث عمن يشهد لك بالإيمان. من الذي يشهد له؟ سألوا هذا السؤال للرسول ﷺ فقال ﷺ: { **إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ،** [أي يواظب على الصلاة] **فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ** } ١١٩

<< ثم الدعاء >>.

---

١١٥ سنن أبي داوود عن أبي هريرة.
١١٦ صحيح البخارى عن عبدالله بن عمر.
١١٧ رواه مسلم بلفظ { مَا بَيْنَ كُل دَرَجَتَيْن كَمَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض}
١١٨ صحيح ابن حبان وسنن البيهقى الكبرى عن عبدالله بن عنمة
١١٩ رواه أحمد والترمذي والدارمى وابن ماجة عن أبي سعيد.

الباب الرابع

شهر شعبان وليلة الغفران

الفصل الأول : الخطب

الفصل الثاني:

احتفاء أهل الإيمان بليلة النصف من شعبان

- نسخ الآجال و المواليد و الأرزاق.
- رفع وعرض الأعمال.
- الاكثار من الاستغفار.
- معجزة إنشقاق القمر وثبوتها بالقرآن والسنة

الفصل الثالث:

كيفية إحياء ليلة النصف من شعبان.

- آداب الاستعداد لليلة
- إحياء ليلة النصف من شعبان.
- إحياؤها عند السلف الصالح.

أخرج النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة من حديث أسامة قال: ﴿ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ﴾

الفصل الأول

خطب الجـــــمعة

الخطبة الأولى[1]

فضائل شهر شعبان

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحيم بعباده المؤمنين، والرءوف بالخلق أجمعـين، والـشفوق والعطوف على هذه الأمة المحمدية إكراماً لسيد الأولين والآخرين سبحانه. سبحانه هـو أولى بنا من أنفسنا، وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا، وأشفق علينا من أرواحنا وقلوبنا لأنه وحده هو الرءوف الرحيم الحنان المنان. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، إله جل فى صفاته وتعالى في كمالاته، نعصاه فيسترنا ونسيئ فيغفر لنا، ونجهل فيحنو علينا، وننساه فيـذكرنا، ولايتخلف عن الذي تعهد به إلينا لأنه رب الخير على كل شئ قدير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله أرسـله الله رحمـة مهداه، ونعمة مسداة لجميع خلق الله فما ترك رحمة في الأرض أو في السماء إلا وأخبرنا عنها وبين لنا شأنها وفتح لنا أبواب دخولها ﷺ. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد نبي البر ورسول الرحمة وألحقنا به جميعاً في مستقر رحمته، وأجمعنا جميعاً وإياه جميعاً في دار جنته واجعلنا وإياه من الذين ينظرون في الجنة إلى حضرته يا رحمن يا حنان يا منان يا الله.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابى في الله ورسوله ... خصّ نبيكم الكريم هـذا الـشهر العظيم الذي نحن فيه وهو شهر شعبان بأمور لم يخص بها أي شهر آخر من الشهور فقد كـان كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها { **مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إلاَّ رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِي شَعْبَانَ** }[2]

ولما رأوا منه ذلك الحال أرادوا أن يعرفوا السبب فأرسلوا أسامة بن زيد حب رسـول الله ﷺ ليسأله فقال: { **يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَـيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ** }[3]

---

١ كانت هذه الخطبه بمسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الجمعة ٩ من شعبان ١٤١٣هـ ١٩٩٤/١/٢١م.
٢ في الصحيحين عن عائشة.
٣ عن أسامه بن زيد رواه النسائى، الإمام أحمد.

فهو ترفع فيه الأعمال ولنا وقفة قصيرة اختصاراً للوقت مع هذه الفضيلة. هل أعمالنا التي نعملها لا ترفع إلا في شهر شعبان؟ لا يا إخواني. أعمالنا يراها الله في نفس اللحظة التي نعمل فيها العمل لأنه يطلع علينا ويشهد أعمالنا ويرى حركاتنا وسكناتنا لكنه وهو الحكم العدل أبى أن يقيم لنا قضية في الحكمة الإلهية إلا إذا شهد عليها شهود، وقد كلف بي وبك رقباء كرماء، يقول فيهم في كتابه ﷻ ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١١-١٢الإنفطار)، ولم يقل يكتبون بل قال يعلمون علماً مسبقاً ما سيعمله الإنسان. وكثير منا سمع من البعض أن هؤلاء الكرام الذي عن اليمين يسمى (رقيب) والذي عن اليسار يسمى (عتيد)، ولا أعلم من أين جاءوا بهذه التسمية، إن كان من كلام الله فالله يقول واسمعوا واعوا ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ (١٨ق).

رقيب واحد هو الله وهذا الرقيب عتيد يعني متين في مراقبته، فلو كان يقصد الحفظة لقال رقيب وعتيد لكن عتيد صفة لكلمة رقيب، فهو رقيب ﷻ يعلم خفيات السرائر وما بين حنايا الضلوع ونيات القلوب وهو عتيد وشديد ومتين ومحيط في مراقبته ﷻ. أما الذين معنا فقال فيهم نبيكم ﷺ: { يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ. وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ }٤ وليس أثنان فقط فقد عدهم بعض العلماء إلى عشرين ملكاً يحيطون بكل رجل منا، منهم الحفظة كتبة الأعمال عن اليمين وعن الشمال وهم أربعة اثنان منهم معك من الفجر إلى العصر، واثنان من العصر إلى طلوع الفجر، ثم هناك من يمشي أمامك، وهناك من يمشي خلفك، وهناك من يحفظك وأنت نائم فيحفظ عينيك حتى لا تدخل حشرة تؤذيهما وأنت نائم، ويحفظ أذنيك وفمك حتى لا يدخل فيهما شئ مؤذي وأنت نائم ولا تملك لنفسك أمراً ولا نفعاً ولا ضراً، وهناك الموكل بأرزاقك، وهناك الموكل بأنفاسك، وهناك الموكل بارتفاع وصعود أعمالك، وهناك الموكل بإلهامك يلهمك الخير ويحضك عليه.

عشرون ملكاً يعملون مع كل إنسان وظفهم لهم ومن أجلهم الرحمن ﷻ، فإذا انتهت حياتك وأتموا المهمة صعدوا إلى الله وقالوا يا ربنا كلفتنا بالعمل مع فلان وقد قبضته إليك فيقول الله لهم كما روى النبي الكريم ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وُكِلاَ بِهِ: قَدْ مَاتَ فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلاَئِكَتِي يُسَبِّحُونِي فَيَقُولاَنِ: أَفَنُقِيمُ فِي الأَرْضِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونِي، فَيَقُولاَنِ: فَأَيْنَ ؟ فَيَقُولُ: قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبِّحَانِي وَاحْمِدَانِي وَكَبِّرَانِي وَهَلِّلاَنِي وَاكْتُبَا ذَلِكَ لِعَبْدِي إِلَى

٤ عن أبو هريرة أخرجه البخارى ورواه ابن حبان والنسائي (متفق عليه).

يَوْمِ الْقِيَامَةِ}٥ فيعملون لك وأنت في عالم الأموات بأمر الحي الذي لا يموت ﷻ.

هؤلاء الحفظة الذين يقول فيهم الله ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (١١الرعد). عندما تعمل العمل يكتبه صاحب اليمين إذا كان العمل خيراً يثبته في الحال قبل أن ترجع عنه أو تندم على فعله لأنهم كما قال الله كرام لا يتمنون لك الأخطاء ولا الذنوب والأوزار، بل يتمنون لك الخير والطيب والعمل الصالح، وكرام لأنهم يتنزهون عن أماكن الفجور والأماكن التي أوجب الله عليك الستر فيها وبها فإذا دخلت إلى الخلاء لم يدخلاه معك ، وإذا نمت مع زوجتك ذهبوا بعيداً عنك حتى لا يطلعوا على عوراتك، وإذا ذهبت إلى مكان قبيح دعوا الله لك أن يهديك ويرجعك عن هذا الغي وعن هذا القبيح، ثم يسجلان العمل بالصوت والصورة والكلمات، كتصوير الفيديو !!

لا بل يزيد على ذلك بتكنولوجيا التصوير الرباني !!! يزيد على ذلك لأن صورة الفيديو لا تظهر حركات القلوب وإنما تظهر حركات الجوارح فقط !! لكن الصورة التي يلتقطوها بأمر الله معها نواياك ومعها طواياك ومعها خفاياك لأن الله يقول في هذه الصورة يوم الدين﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ تبلى يعني تظهر السرائر التي في القلوب ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾(٩-١٠الطارق). .. هل هذا وفقط ؟ لا !!!

ولكن عندما يصورون ويلتقطون لك العمل يحولونه إلى جهات شتى، وكل جهة لها صورة على هيئة معينة. صورة ترفع في الحال إلى عرش الله ... أنت تصلي الآن تخرج صورة الصلاة التي صليتها على هيئة ملكوتية تتكلم وتسمع وتُبصر وتسبّح الله وتكبر الله ﷻ وتحمل صورتك وهيئتك حتى تعرج بها في عالم الملكوت فإذا خرجت هذه الصورة وكانت الصلاة تقية نقية فتحت لها أبواب السماء. وكل رجل منّا لة بابان في السماء، باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه من الله ﷻ. فتفتح لها أبواب السماء وتخرج كما قال سيد الأنبياء: { إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا، قَالَتْ حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا ضَوْءٌ وَنُورٌ وَفُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ }٦ ثم تمشي سماءاً تلو سماء حتى تصل إلى مستقر عرش الله. ماذا تفعل هناك؟ تدور حول العرش ... وتطوف حوله ... تردد ما قلته بين يدي الله في الصلاة مِنْ ذكر وتسبيح وتلاوة للقرآن ... وتظل على ذلك إلى يوم القيامة! .... ويكتب لك ذلك كله بأمر الله ﷻ !!! أين نجد ذلك؟

---

٥ رواه الديلمي وابن الجوزي عَنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٦ (عق طب) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عنه

اسمعوا رسولكم الكريم وهو يقول: { إِنَّ الَّذِينَ تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وتحْمِيدِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلاَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لاَ يَزَالَ لَهُ عِنْدَ الرَّحْمنِ شَيْءٌ يُذْكَرُ بِهِ }[٧]، كل صلاة صليتها تظل تصلى لك حول العرش إلى يوم القيامة، فإذا كانت على الهيئة الأخرى أي { لِغَيْرِ وَقْتِها ولم يُسْبِغْ لَها وضُوءَهَا ولم يُتِمَّ لها خُشُوعَها ولا رُكُوعَهَا ولا سُجُودَها خَرَجَتْ وهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمةٌ تَقولُ: ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتَنِي، حَتَّى إِذا كَانَتْ حَيْثُ شاءَ الله لُفَّتْ كما يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ ثمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ }[٨] هذه صورة.

صورة ثانية تتحول إلى جنة النعيم بحسب تخصيص حضرة القدير ﷻ لأن الجنة أعطاها لنا الله وجعلها كأرض، ولكل واحد منا فيها نصيب معلوم، غير أن بناء الأرض وتشكيلها وزرعها وبساتينها وحورها يترجم من عملك الصالح الذي ترسله إلى هناك فالذي يريد أن يُبنى له قصر في الجنة ماذا يفعل؟ عليه أن يبني لله مسجداً أو يشارك في بناء مسجد فقد قال ﷺ { مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ- يعني عش طائر - أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ قصراً فِي الْجَنَّةِ مِنْ دُرٍ وَيَاقُوتٍ }[٩]، والذي لا يستطيع، يشارك في بناء المسجد وله هذا الأجر والذي لا يستطيع يصلي عشر ركعات فقد قال ﷺ: { مَنْ رَكَعَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ }[١٠]، والذي يريد الحور يدفع الثمن يدفع المهر. ما مهرهن؟ قال فيهن ﷺ: { إِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِن المساجد مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ }[١١]، أي الذي يساعد على نظافة المساجد ولو بالمكنسة الكهربائية أو ولو أن يتصل بهيئة من الهيئات الإستشارية تأتي لتنظفه من الحشرات وتنظفه من الأوبئة وترشه رشاً جيداً ليكون صالحاً للمسلمين والمسلمات.

أما أشجار الجنة وحدائقها فكيفية زراعتها يقول فيها رسول الله ﷺ { غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُو لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ }[١٢] كيف ذلك يا رسول الله؟ سألوه هذا السؤال فقال: { مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَ لَهُ بِهَا أَلْفُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، أَصْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَفَرْعُهَا دُرٌ، وَطَلْعُهَا كَثَدْيِ الأَبْكَارِ، أَلْيَنُ مِنَ الزُّبَدِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، كُلَّمَا أُخِذَ مِنْهُ شَيْءٌ عَادَ كَمَا كَانَ }[١٣].

---

٧ رواه الطبراني في الأوسط عن حديث أبي الدرداء وغيره.
٨ الترغيب والترهيب، الطبراني فى الأوسط عن أبى هريرة
٩ عن ابن عباس رواه أحمد والبزار.
١٠ ابن نصر عن عبد الكريم بن الحارث
١١ عن أبي قرصافة رواه الطبراني في الكبير.
١٢ عن ابن مسعود، رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
١٣ الحاكم فى التاريخ والديلمي عن أنسٍ رضَي اللَّهُ عنه، جامع المسانيد والمراسيل

ونخل الجنة وزرعها عندما رآه المختار في ليلة الإسراء والمعراج ليس كزرعنا ولكنه يؤتى ثماره في كل لحظة وتجنيه الملائكة في كل لحظة وكلما حصدوا عاد كما كان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكل هذا الخير يجعل لك في صحيفتك حتى أنه يقول ﷺ: { مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ . وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ . إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ }[١٤]. ولذا قال ﷺ ما معناه :{ إذا مر رضوان على ملائكة الجنة فوجدهم قعوداً! يسألهم لم لا تعملون؟ فيقولون حتى يأتينا الزاد } والزاد هو الذي يقول فيه الله: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١٩٧البقرة)، فهم يعملون فى بناء القصور للذاكرين الله كثيرا والذاكرات.. ولبنائهم من ذكر الذاكرين !!!

ولكن إذا كان عملاً سيئاً والعياذ بالله حوِّل إلى النار، وجعل منه عذاب صاحبه فيها فقد ضرب النبي المختار ﷺ مثلاً لذلك فقال: { مَنْ آتاهُ اللَّهُ مالاً فلمْ يُؤَدِّ زَكاتَه، مُثِّلَ له مالُه يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرَعَ له زَبِيبَتان، يُطوِّقُه يومَ القيامةِ، ثمَّ يأخذُ بِلِهزِمَتيه، يعني شِدْقَيه، ثمَّ يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كنزُكَ.. ثمَّ تَلَى ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخلونَ ﴾ (١٨٠ آل عمران) } ١٥

فالقبور ليس فيها حيَّات ولكن الأعمال هي التي تتحول، ويقول لمن امتنع عن أداء زكاته واسمعوا: { مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ إِلاَّ جَعَلَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ – وفى رواية : كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ – حَتَّى يَقْضِيَ الله بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ،، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ فَيُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلا جَلْحَاءُ كُلَّمَا مَضَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ،، وَمَا صَاحِبِ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ فَيُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا كُلَّمَا مَضَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ }١٦ .... ويقال لهم كما قال الله ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٣٥التوبة).

---

١٤ جامع المسانيد والمراسيل عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٥ رواه البخاري
١٦ رواه أحمد وأبي داوود

إذاً العذاب الذي في الجحيم هو العمل الذي تعمله ويتحول لك في صورة عمل يلدغك أو يعاقبك أو يؤذيك في نار جهنم والعياذ بالله ﷻ، ومنه صورة تتوجه إلى عالم البرزخ وهذه الصورة تأتي إليك عندما تكون وحيداً بعد أن ينفض عنك أهلك فإذا كان عملك صالحاً أتاك { **رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثيَابِ، طَيبُ الريحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكِ، هَذا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصّالِحُ، فَيَقُولُ: رَب أَقِمِ السّاعَةَ، رَب أَقِمِ السّاعَةَ، حَتّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.** } وإذا كان من العمل الآخر : { **يَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثيَابِ، مُنْتِنُ الريحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشّرِ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَب لاَ تُقِمِ السّاعَةَ، رَب لاَ تُقِمِ السّاعَةَ** } [17]

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا للإسلام وجعلنا مسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، الشفيع الأعظم لجميع الخلق أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير، وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي ... كما قلت وكما وضحت الملائكة الكرام يسجلون عملنا ثم ينسخون منه صوراً، هذا ما قال فيه الله ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩الجاثية)، نسخة تذهب إلى الله، ونسخة إلى سيدنا ومولانا رسول الله، لأنه المدافع الأعظم لجميع المؤمنين، ولابد أن يطلع على ملفات الجميع حتى يدافع ﷺ كما قال: { **تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللّهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَتُ لَكُمْ** }١٨، ونسخة تذهب إلى العرش وتطوف حوله كما قلت، ونسخه مع الكرام الكاتبين، ونسخة تبقى في الأرض في الموضع الذي عملت فيه العمل حتى إذا كان يوم القيامة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ ﴾(الزلزلة).

---

١٧ جامع المسانيد والمراسيل عن البراء بن عازب ﷺ

١٨ رواه البزار.

ونسخة أخرى تظل مع جوارحك وإن كنا لا نراها إلا أن الله عالم الغيب يراها، وستشهد عليك بذلك يوم الدين ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٢١فصلت)، نسخ كثيرة للأعمال ومن فضل الله علينا أنه جعل أوقاتاً لعرض هذه الأعمال. كل الذي ذكرناه في رفع الأعمال وهناك فرق بين الرفع والعرض لقد قال ﷺ: { تُعْرَضُ الاعْمَالُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الإثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ }١٩، وقال في الحديث الذي ذكرناه (ذاك شهر تعرض فيه الأعمال على الله ﷻ) هناك عرض في ليلة الاثنين، وهناك عرض في ليلة الجمعة، وهناك عرض في ليلة النصف من شعبان تعرض فيه الأعمال على الله.

ما معنى تعرض؟ الكرام الكاتبون يرجعون إلى الله مرة أخرى يستشفعون لي ولك ويقدمون عملي وعملك إلى الله وهم يطلبون من الله أن يعفو عني وعنك عن السيئات والقبائح، وأن يزيد الله ﷻ لي ولك في الخيرات والصالحات والطيبات، فكأن الله يعطينا الفرصة تلو الفرصة ليمحو ما فات من الذنوب والمعاصي والسيئات وليزيد الخيرات والبركات إذا شكرنا الله ﷻ على أن وفقنا فيها للطاعات.

ولذا كان سلفنا الصالح يتحرون هذه الليالي ليلة الاثنين وليلة الجمعة ويقطعونها في طاعة الله وفي ذكر الله وفي الاستغفار لله لأنهم يعلمون أن الملف يعرض في تلك الآونة على الله ﷻ، فيرجون من الله في هذا العرض أن يمحو الذنوب وأن يستر العيوب ومن أجل ذلك كانوا يحيون ليلة النصف من شعبان، يحيونها من بعد غروب الشمس في طاعة الله وفي تلاوة كلام الله وفي الاستغفار لله وفي ذكر الله وفي التسبيح لله وفي التهليل لله، ويستعدون قبل إحيائها بصلة الأرحام ومهادنة ما بينهم وبينهم خصام وإخراج حقوق العباد .

لماذا؟ ... لأن الله كما أنبأ رسولكم الكريم يتجلى في تلك الليلة بعد أن يطلع على ملفات خلقه فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن – يعني بينه وبين أخيه خصام – أو قاطع رحم أو زان أو شارب خمر أو عاق لوالديه أو مصر على معصية هؤلاء لا يكتبون في كشوف العفو الإلهي التي يقول فيها حضرة النبي: { إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا. فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ أَلاَ كَذَا أَلاَ كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ }٢٠.

فالعرض يعني أن العمل يعرض مرة أخرى على الله ومعه شفاعة ملائكة الله وعلى

---

١٩ أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة عن أسامة ولا تعارض مع حديث "تعرض الأعمال يوم الأثنين والخميس" لأن فيه ليلة الجمعة وهى تنسب ليوم الجمعة.
٢٠ عن علي ﷺ رواه ابن ماجة.

الأقل يكون صاحب العمل يقدم إلى الله الاعتذار ويقدم إلى الله الاستغفار ويقدم إلى الله الإنابة. فقد ورد أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه أحيا تلك الليلة تائباً بين يدى الله وفي وقت السحر : { **لما رفع رأسه من صلاته ليلة النصف من شعبان وجد رقعة خضرآء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها هذه برآءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز** }[21] ويروى أنه أمسك بهذه الرقعة وجعلها في خزانته ووصى بنيه أن يجعلوها بين جلده وكفنه حتى تكون له شفاعة عند الله ﷻ .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية[22]

فضل الصلاة على النبي

الحمد لله ربِّ العالمين، خيره لا يحد بأوقات، وفضله لا تحيزه الجهات، وكرمه وخيراته وبركاته تعم جميع البريات لأنه ﷻ واجب الجود، ومفيض الكرم للخلق أجمعين، سبحانه سبحانه لا تنفد خزائنه، ولا تنضب خيراته، وإنما يُنزّل بمقدار لأنه أعلم بمصالح العباد والبلاد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ويقبض ويبسط، لأنه وحده له التصرف في الدنيا والآخرة وله الحكم في الملك والملكوت وإليه ترجعون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أكرمه الله ﷻ برسالته، وجعله رحمته بين خليقته، وجعل الفضل كله والكرم كله في إتباع شريعته، فمن اتبعه سعد في الدنيا، وفاز ونجا في الدار الآخرة، ومن خالف أمره كانت معيشته ضنكاً وناله الخزى والبوار يوم لقاء الله في يوم الدين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، إمام النبيين والمرسلين، والرحمة العظمى للخلائق أجمعين، والشفيع الأعظم عند الهول لجميع المسلمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة تنفعنا بها يوم الدين ونكون بها من الآمنين تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، نحن وإخواننا وأبنائنا والمسلمين أجمعين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ... من فضل الله علينا في هذا اليوم المبارك الميمون أن جمع الله ﷻ الخير في هذا اليوم فهو يوم جمعة: ويوم الجمعة يقول فيه ﷺ: { **فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا مُؤْمِنٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ الله شَيْئاً إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ** }[23]

---

٢١ تفسير حقي وروح البيان وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى

٢٢ كانت هذه الخطبة بمسجد الزاهر بمدينة المنصورة يوم الجمعة الموافق ١٤ من شعبان ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٦/١/٤م.

٢٣ المستدرك للحاكم عن أبي هريرة

ثم هو أيضاً يوم الإجابة وكذلك هو يوم من أيام شهر شعبان المبارك الذي هو شهر الصلاة على النبي ﷺ لأن آية الصلاة عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب)، نزلت في هذا الشهر المبارك، فقد ذكر الحافظ بن حجر عن أبي ذر الهروى أن الأمر في الصلاة على النبي يعني بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ كان في السنة الثانية من الهجرة.

فأقصر طريق يوصّل الإنسان إلى معية النبي العدنان هو الصلاة عليه ﷺ، والسابقون أجمعون وهم الأدلاء والمرشدون الذين هيأهم سيدنا رسول الله ﷺ ليأخذوا بيد السالكين ويوصلوهم إلى محطة الأمان وإلى جودى الفضل على شاطئ سيد الأولين والآخرين أجمعوا على أنه ليس هناك طريق على التحقيق للدخول في معية النبي ﷺ أقصر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ وهذه المعية شاملة من ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ فالله والملائكة ... من فينا لا يريد أن يكون في معية الله ﷻ؟ وفي معية ملائكته عليهم السلام أجمعين؟ ومعية الله أي المعية الجامعة لكل كمالات وجمالات الله ﷻ لأن اسم الله هو الاسم الجامع لجميع الكمالات والجمالات الإلهية (إن الله وملائكته) لم يقل صلوا بل قال (يصلون) بل دائما يصلون كيف؟ هذا شيءليس لنا شأن به (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) كم مرة؟ لم يحدد.

عندما ذهب الصحابي الجليل سيدنا أبي بن كعب عندما نزلت هذه الآية إلى رسول الله وقال له: { يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي. قَالَ: مَا شِئْتَ قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ. قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذاً يُكْفَى هَمُّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ }[٢٤] وفي الرواية الثانية: { قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلاَتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: إِذاً يَكْفِيكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا هَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ }.[٢٥]

حديث يفسر الآخر أي لو شئت جعلت كل وقتك للصلاة عليه بعد الفرائض المكتوبة يقول: يكفيك الله همك ويغفر لك كل ذنبك.

أما كيف يصلي الله؟ وكيف تصلي الملائكة؟ ليس لك شأن بهذا (صلوا عليه وسلموا تسليماً) سلم الأمر إليه وليس لك شأن أنت، وأنت عندما تصلي عليه هل تعرف كيفية الصلاة عليه؟،... واستمع للحديث الذى يروى ...

---

٢٤ . رواه أحمد والترمذي والحاكم
٢٥ رواه أحمد عن أبي بن كعب ﷺ، مجمع الزوائد.

{ يا رَسُولَ اللَّهِ، أَمّا السّلامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا في صَلاتِنَا، صلَّى اللَّهُ عليْكَ؟ قال: فَصَمَتَ حَتّى أَحْبَبْنَا أَنّ الرّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ. قال: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيّ فَقُولُوا: اللّهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ النّبِيّ الأُمّيّ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ، كَما صَلّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، ... }[٢٦] يعنى ماذا؟ ... يعنى قولوا اللهم ... صلّ ... لماذا؟

لأنك لا تعرف أن تصلي فماذا أفعل؟ اعمل توكيل لله ﷻ وهو يصلي قل: اللهم صلّ كيف؟ ليس لك شأن! أنت عليك أن تقول: اللهم صلّ وهو يصلي بما شاء وكيف شاء ﷻ، يعني أنني لا أصلي بل أطلب من الله أن يصلي، (اللهم) يعني (يا الله) صلّ على سيدنا محمد كيف تشاء وبما تشاء لأن هذا أمر غيبي لا يعلمه إلا هو (وسلموا تسليماً) كأنني عندما أصلي على النبي الآن لا تصبح صلاة فقط بل صلاة وذكر لله لأنني قبل أن أصلي أقول (اللهم) وهذا ذكر ثم ماذا؟ صلّ فأصبحت ذكر الله وصلاة على رسول الله ﷺ وأصبحت الدليل العملي على حبي لهذا النبي. قال ﷺ في الحديث: **{ مَنْ أَحَبّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ }**[٢٧]، ولذلك لما ذهب رجل إلى السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها وأرضاها وظل يتكلم عن الدنيا ويطيل فيها فقالت رضي الله عنها وأرضاها: لو لا أنك تحب الدنيا لما ذكرتها قال لماذا؟ قالت: لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

قال سفيان الثوري ﷺ بينما أنا في الطواف إذ رأيت رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً، إلا وهو يصلي على النبي ﷺ فقلت يا هذا إن هذا الموضع للدعاء والذكر والتسبيح وأنت تركت ذلك وتشتغل بالصلاة على النبي فهل عندك في هذا شئ؟ فقال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثوري. فقال: لو لا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام، حتى إذا كان في بعض المنازل مرض والدي فقمت لأعالجه، فبينما أنا عند رأسه إذ مات والدي وأسود وجهه فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت ..... فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهاً، ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً، يرفع قدماً ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه ومر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض. ثم ولى راجعاً فتعلقت بثوبه وقلت: من أنت يرحمك الله؟ فقد من الله بك على والدي في دار الغربة. قال : **{ أو ما تعرفني، أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه، ولكنه كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي، وأنا غياث من أكثر الصلاة علي }**، قال فانتبهت– أى تيقظت من نومى أو غفوتى– فإذا وجهه أبيض.

---

٢٦ صحيح ابن حبان وكثير غيره عن ابن مسعود ﷺ.
٢٧ جامع المسانيد والمراسيل، الديلمى فى مسند الفدوس عن عائشة، وروت قصة رابعة العدوية فى تفسير اليان للبرسوى وغيره

يا من يجيب دعا المضطر في الظلـــم يا كاشف الضر والبلوى مع الـــسقم
شـــفع نبيـــك في ذلي ومـــسكنتي واستر فإنك ذو فـــضل وذو كـــرم
واغفر ذنوبي وسامحني بهـــا كرمـــا تفضلا منك يا ذا الفـــضل والـــنعم
إن لم تغثني بعفو منك يـــا أملـــي واخجلتي وحيـــائي منـــك وانـــدمى
وقد وعدت بأن ندعو تجيب لنـــا وقد دعونا فجـــد بـــالعفو والكـــرم

إخواني اكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم، فإن الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي إلى الصراط المستقيم، وتقي قائلها من عذاب الجحيم، ويحظى في الجنة بالنعيم المقـــيم، وقد قيل في بعض الروايات وورد فى الأثر: إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامـــات: إحداهن صلاة الملك الغفار، الثانية شفاعة النبي المختار، الثالثة الاقتداء بالملائكـــة الأبـــرار، الرابعة مخالفة المنافقين والكفار، الخامسة محو الخطايا والأوزار، الـــسادسة قـــضاء الحـــوائج والأوطار، السابعة تنوير الظواهر والأسرار، الثامنة النجاة من النار، التاســـعة دخـــول دار القرار، العاشرة سلام العزيز الجبار.

وروى أبو طلحة ﷺ قال: { أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ مُسْتَبْشِراً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ اللَّهِ إِنَّكَ لَعَلَى حَالٍ مَا رَأَيْتُكَ عَلَى مِثْلِهَا، قَالَ: وَمَا يمنَعُني؟ أَتَاني جِبْرِيلُ آنِفاً، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ، إِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلاَةً، كُتِبَتْ لَهُ بها عَشْرُ حَسَنَات، وَكُفِرَ عَنْهُ بها عَشْرُ سَيئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بها عَشْرُ دَرَجَات، وَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِهِ، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٨] ....أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، مقيل العثرات، وغافر الزلات، ومبدّل السيئات بحسنات لمـــن وفقه ﷻ للتوبة النصوح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله بر تواب لطيـــف رءوف رحيم بخلقه كما أخبر عن نفسه في كتابه ﴿ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الرحمة المهـــداة والنعمة المسداة لجميع خلق الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا، وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

٢٨ : جامع المسانيد والمراسيل، الطبراني فى الأوسط عن أبي طلحة .

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. روى الإمام ابن ماجة في صحيحه عن الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه أنه قال: قال ﷺ: { إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا }[٢٩] فعلى المؤمن الذي يريد فضل الله ويطمع في رحمة الله ويستمطر عفو الله أن يحيي هذه الليلة من الآن أو من العصر أو من غروب الشمس مع الله ﷻ إما بمفرده وإما مع أهل بيته وإما مع إخوانه المؤمنين لقول الله ﷻ ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢المائدة)، فيجلسون لتلاوة القرآن أو الاستغفار للواحد الحنان المنان أو للدعاء لأن دعاء الجماعة أقرب للإجابة فقد يكون فيهم رجلاً صالحاً يستجيب له الله فيستجيب للجميع من أجله، ولا نضيع في هذا اليوم ولا في هذه الليلة نفساً في غير طاعة الله ثم نتوي الصيام للغد تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ وطمعاً في رحمة الله ﷻ فإنه ﷻ مقبل على المقبلين، ومعرض عن المعرضين.

ولا يفوتكم في هذه الليلة أن تأخذوا بأسباب الإجابة فمن كان قاطعاً لرحمه فليصلهم لأنه لا يُستجاب دعاء من قاطع الرحم، ومَنْ كان عاقاً لوالديه فليبرهما لأنه لا إجابة لعاق لوالديه، ومن كان مصراً على معصية فليتب إلى الله توبة نصوحاً يندم على ما فعل، ويستشعر في قلبه من الله الخوف والخجل ويعزم عزماً أكيداً على أن لا يعود إلى هذا الذنب، ويصمم على فعل الطاعات.

ولذلك كما قال الله ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١النور)، نتوب إلى الله جميعاً فنقول الآن – "قولوا وكرروا بعدى":

تبنـــا إلى الله .... ورجعنـــا إلى الله، ....
وندمنا علـى مـا فعلنـا ....وعلـى مـا قلنـا..............
وعزمنـا علـى أننـا ....لا نعـود إلى ذنـب أبـداً ....
وبرئنا من شـرور أنفسنا ....وسـيئات أقوالنا ....
وقبائـح أعمالنا ....، وكل شئ يخالف دين الإسلام ....
ونعاهد الله ﷻ على طاعته ....وتنفيـذ شـريعته ....
ما استطعنا إلى ذلك سبيلا................، والله على ما نقول شـهيد..............

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

<< ثم الدعاء >>.

٢٩ سنن ابن ماجة عن علي بن أبي طالب

الخطبة الثالثة[٣٠]

شهر شعبان والليلة المباركة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي خلق الليل والنهار، فتتابعت الأيام إثر الأيام، كلها متشابهة، تطلع شمسها وتغيب، ولكن الله اصطفى منها مواسم لرحمته واختار منها أياماً وليالي لنعمه وأفضاله مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٦٨القصص).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مَنْ توكل عليه كفاه، ومن رجع إليه في أمر من الأمور تولاه سبحانه سبحانه هو وحده الذي يشرح الصدور وييسر الأمور فسبحان اللطيف الخبير الذي أنزل لخلقه كل ما فيه نفعهم وشفائهم. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، صلاة تشرح بها صدورنا، وتزيل بها عنّا غمومنا، وتقضي بها حوائجنا، وتحصننا بها من كل شر، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. كان العرب يعظمون رجب تعظيماً حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه وقاتل ابنه، فيخشى أن ينظر إليه نظرة غضب فيهتك حرمة الشهر، وكانوا يسمونه رجب الأصم لأنه كان لا يُسمع فيه قعقعة السلاح، ويسمون شعبان العازل لأنه كان بعد رجب مباشرة، وفيه كانت العرب تعود إلى ما كانت عليه من جاهليتها، ولكن الله جل جلاله جعل رجب شهراً حراماً وجعل شعبان بين رجب ورمضان، الذي عظمه الله بما لا يخفى على مسلم بصريح القرآن فكان شعبان بين شهرين عظيمين.

ومن فضائل شهر شعبان أن رسول الله ﷺ كان يتقرب إلى الله فيه بما لا يتقرب في غيره من الشهور، حتى ورد أنه صامه إلا أقله، فعن أسامة بن زيد ﷺ أنه قال: { قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ }[٣١] وورد عن السيدة عائشة ﷺ قالت: {كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ حَتى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتى نَقُولَ لاَ يَصُومُ وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامُ شَهْرٍ قَطُّ إلاَّ رَمَضَانَ وَمَا رأَيْتُهُ في شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ في شَعْبَانَ}[٣٢]

---

٣٠ الجمعة سجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة – غربية يوم الجمعة الموافق ١٥ من شعبان ١٤١٩هـ –١٢/٤/١٩٩٨م.
٣١ سنن النسائي الصغرى
٣٢ سنن أبي داوود

وقد فسر بعض العلماء قول الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ (٣الدخان) ، بأنها ليلة النصف من شعبان وقالوا إن السفرة الكرام استنسخوا القرآن من أم الكتاب في أربعين يوماً، ابتدءوا في ليلة النصف من شعبان، ثم بعد الأربعين يوماً نزل إلى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً بحسب الأحداث على ثلاث وعشرين سنة وكان نزوله إلى سماء الدنيا من أم الكتاب بعد نسخه في الألواح ليلة القدر بعد مضي الأربعين ليلة وبذلك نجمع بين قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ وبين ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾، فإنزاله الأول إنزاله من أم الكتاب لينسخه السفرة الكرام وهو في ليلة مباركة، التي هي النصف من شعبان، وإنزاله الثاني إلى سماء الدنيا في ليلة القدر كما أخبر الله تعالى.

وقد أجمع المسلمون جميعاً أن الله خص بفضله أفراداً من عباده الصالحين، وأمكنة خاصة وأزمنة خاصة، فجعل في الأسبوع يوماً وهو يوم الجمعة وفي السنة شهراً للصيام وأربعة اشهر حرم، وخص ليلة الإسراء بحبيبه فلا حرج على فضله أن يخص ليلة النصف من شعبان في كل عام بفضيلة استجابة الدعاء وقبول التوبة ممن يتوب والعفو عن كثير من المذنبين والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. لا يمنع هذا الفضل العظيم إنكار من أنكر فقد ذكر فضلها الإمام أبو طالب المكي – وهو من أئمة السلف الصالح الصادقين في الفضل والرواية في كتابه (قوت القلوب) – أن ليلة النصف من شعبان كان يعتني بها أصحاب رسول الله ﷺ ويجتمعون لصلاة النوافل جماعة، إحياء لها والتماساً لخيرها فقد ورد أن فيها تُرفع الأعمال، وتقدر الأرزاق والآجال وقد ورد فيها الدعاء المأثور الذي يلتمس فيه الداعي خفي اللطف في قدر الله، ولله تعالى فيها نظرات إلى خلقه ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ (٣٩الرعد).

كما أورد الإمام أبو طالب المكي أن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يحيون ليلة النصف من شعبان وكانوا يصلون فيها مائة ركعة يأملون فيها الخير، أما اجتماع الناس في ليلة النصف من شعبان في المساجد وقت صلاة المغرب، وما يقومون به من الصلاة وقراءة (يس) والأدعية، فبدعة محدثة لا بأس بها، لأن الدعاء سنة، والاجتماع للصلاة والدعاء مشروع عند المقتضيات كالاستسقاء والخسوف والكسوف.

فإذا اعتقد الناس أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان كما بيّن ذلك بعض المفسرين، فالاجتماع حسن مرغوب فيه، وعلى قول من يقول أن الليلة هي ليلة القدر، فالاجتماع في هذه الليلة يكون لذكر الله. وصيام يوم النصف من شعبان لغير معتاده، إن قصد به التقرب إلى الله تعالى، أو التشبه ببعض الصالحين، فهو مباح وإن نوى به السنة فهو مكروه، اللهم إلا إذا ثبت بطريق صحيح أن رسول الله ﷺ صامه، وللمسلم الخيار في صيام أي يوم إلا يوم الشك ويوم العيدين. من هذا استحسن للمسلمين عامة في كل أنحاء البلاد،

أن يجعلوا لليلة النصف من شعبان قسطاً وافراً من الإقبال على الله والمسارعة لإحيائها، فيصومون نهارها ويقومون ليلها اقتداءاً بهدى السلف الصالح ويكثرون فيه التبتل والتضرع والقنوت لله تعالى.

وعندي أنّ من الخير في هذه الليلة صلة الرحم وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران والعفو عمن آذى، وطلب العفو من المظلوم، والتقرب إلى الله ببذل فضل المال إلى الفقراء، حتى يكون تقرب إلى الله بماله ونفسه، وبذل في سبيل الله ما يبخل به غيره، وبذلك أبشره أنه صار ممن يحبهم الله تعالى بدليل قوله ﷺ: { **لا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. فَإِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي، أَعْطَيْتُهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي، أَعَذْتُهُ** }[٣٣]

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، المتوحد بجلال البهاء، المنفرد بدوام البقاء، المتعالي عن الزوال والفناء، المقدس عن الآباء والأبناء، المتردي برداء العظمة والكبرياء، العليم بجميع الأشياء، الذي جلّ عن الابتداء والانتهاء، العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُعزّ من أطاعه واتبع هداه وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، النبي المفضل، والرسول المبجل صاحب الوصف الأكمل الذي أوتي جوامع الكلم، وخص بالفضل والعلم والعقل والأنفال صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ... الأولى أن نحيي تلك الليلة وأن نحسن الظن بحملة الحديث ورواته ونطمع أن ننال الخير الذي ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: قال رسول الله ﷺ: { **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ** }[٣٤]، وقال ﷺ: { **إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا**}، وقال عليه الصلاة والسلام: {**من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك، ثلاثين يبشرونه بالجنة، وثلاثين يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثين يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان** }[٣٥].

---

٣٣ صحيح البخارى عن أبي هريرة
٣٤ سنن ابن ماجة عن عائشة
٣٥ تفسير الكشاف للزمخشرى.

وعن النبي ﷺ أنه قال: {إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا. فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ أَلاَ كَذَا أَلاَ كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ}[٣٦]

وحكى عن عائشة ؓ قَالَتْ: { قَامَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتَحَرَّكَ فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَفَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَوْ يَا حُمَيْرَاءُ أَظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ خَاسَ بِكِ؟» قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ، فَقَالَ: «أَتَدْرِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ}.[٣٧]

كما روى ابن ماجة في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: { إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ. فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ. إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ } .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الرابعة[٣٨]

ليلة الإجابة

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل للخير أوقاتاً، وللبر آنات، وللفضل مناسبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده وحده كنوز الخيرات وبإذنه تفاض النفحات، سبحانه سبحانه إله انفرد بالعزة والجبروت والعظمة والنعموت، وكل ما سواه من خلقه يفنى ويموت، وهو ﷻ الحي الذي لا يموت، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، هداه الله إلى أنوار حضرته، وبين له طرق القرب الموصلة إلى بحار رحمته ودله على كل سبب يوصل إليه. صلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

---

٣٦ رواه ابن ماجة عن علي بن أبي طالب
٣٧ رواه البيهقي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
٣٨ كانت هذه الخطبة بمسجد الإمام أبو العزائم بمدينة مغاغة -- محافظة المنيا يوم الجمعة الموافق ١١/٤/١٩٨٨م – ١٤ من شعبان.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن في هذا اليوم الكريم، وفي هذا الشهر العظيم، تلوح لنا إجابة الرحمن لسيد ولد عدنان في هذه الليلة التي نحن مقبلون عليها الآن ولا غرو إذ سماها سلفنا الصالح ليلة الإجابة، فقد أجيب فيها رسولكم الكريم من الله مرتين: مرة في مكة المكرمة ومرة في المدينة المنورة.

أما المرة الأولى فعندما قال له أهل مكة: سل ربك أن يُظهر لنا آية نراها بأعيننا حتى نؤمن بما جئت به فتضرع إلى الله، وفوّض أمره كله إلى الله، فلما كانت ليلة النصف من شعبان نزل عليه أمين الوحي جبريل عليه السلام وقال له: قل لهم يا محمد لو اجتمعوا هذه الليلة يروا آية فأعلن ذلك على الملأ للمشركين ودعاهم للاجتماع عند البيت الحرام بعد غروب الشمس وسطوع القمر واجتمعوا عند الصفا وقد طلع القمر، والقمر كما تعلمون يكون في هذه الليلة بدراً كاملاً قد بلغ التمام لأنها ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر على بعض الأقوال وعندما اجتمعوا قالوا: يا محمد أين الآية فأشار إلى القمر بإصبعه الشريف فانشق نصفين، نصف على جبل الصفا ونصف على جبل المروة فلما رأوا الآية بهتوا من شدة ما رأوا ولم يصدقوا أنفسهم فأغمضوا أعينهم ثم فتحوها فوجدوا الأمر كما هو عليه القمر وقد انشق نصفين ظاهرين لكل ذي عينين نصف على الصفا ونصف على المروة، فذهبوا إلى مكة ورجعوا مرة أخرى وهم يقولون ما هذا إلا سحر مستمر. فلما عادوا وجدوا الأمر على ما هو عليه قال العقلاء منهم: إن كان الأمر كما يقول فانتظروا حتى يأتي أهل الآفاق، واسألوهم إن كانوا قد رأوا القمر منشقاً في جهتهم فتلك والله آية وإن كانوا لم يروا القمر منشقاً ولم يظهر إلا في مكة فهذا هو السحر بعينه ولبثوا قليلاً وجاء الأفاقون فسألوهم فصدّقوا وقالوا لقد رأيناه في تلك الليلة منشقاً وفي ذلك يقول أحكم الحاكمين ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝ ﴾ (١- ٣القمر) ، هذه كانت إجابة الله لحبيب الله عندما تحدّى هؤلاء القوم ومع ذلك فإنهم لم تسبق لهم من الله العناية ولم تكتب لهم في سابقة الحسنى الأزلية الهداية، بل ما زادوا إلا عناداً وإصراراً وخيلاء واستكباراً وقالوا إن هذا إلا سحر يؤثر يا محمد، لقد شيبتنا بسحرك.

أما الآية الثانية من آيات الله لرسول الله والتي تمت في هذه الليلة المباركة فقد كانت بعد هجرته للمدينة المنورة صلوات الله وسلامه عليه، فعندما فُرضت عليه الصلاة وهو في مكة كان يتحرى أن يصلي وأمامه البيت الحرام في اتجاه بيت المقدس فيستقبل القبلتين في وقت واحد يقف وأمامه البيت الحرام في الاتجاه الذي يظهر خلف البيت فيه بيت المقدس، فلما هاجر للمدينة المنورة وتعذر عليه أن يجمع بين القبلتين، لأن الشام في اتجاه ومكة في اتجاه

آخر ولابد أن يتجه لقبلة واحدة منهما فقط فاتجه إلى بيت المقدس قبلة الأنبياء ولكنه كان في قلبه يحنّ إلى قبلة الخليل عليه السلام وأخذ يتضرع إلى الله ويقلب قلبه بين يدي الله ويوجه لسانه مستمطراً رحمة الله يرجو من الله أن يوجهه إلى قبلة أبيه الخليل، فلما كان هذا اليوم وهو ما يوافق اليوم الذي نحن فيه الآن ويوافق الوقت الذي نحن فيه الآن، لكنه لم يكن يوم الجمعة وكان في صلاة الظهر وكان يصلي في بني سالم بن عوف لانشغاله في بعض أمورهم، وعندما حان وقت الصلاة صلى بهم وكان ﷺ أينما أدركته الصلاة يصلي، حتى أنه كان في سفر وحان الوقت وليس معه ماء فتيمم وأمر بالآذان للصلاة فقال بعض الحاضرين وكان عالماً بالطريق: يا رسول الله بيننا وبين الماء ميل واحد فانتظر حتى نصل إلى الماء ثم نتوضأ ونصلي، فقال ﷺ معلماً له ولنا: **{وما يدريك لعلّني لا أبلغه}** أي لعلني لا أصل إليه وهذا تعليم لنا جماعة المؤمنين. فإذا كنت في مصلحة أو في عمل وأذن الظهر ماذا نعمل؟ إن أغلبنا يقول انتظر حتى أرجع إلى المنزل واخلع ثيابي ثم أتوضأ وأصلي لكن رسول الله يقول: **{ أينما أدركتكم الصلاة فصلوا }** ٣٩. إذا أدركتك الصلاة في العمل فصلي في العمل وإذا أدركتك في الطريق فصلّ في الطريق فقد جعل الله لكم الأرض مسجداً وتربتها طهورا، فإذا أدركتك حتى ولو كنت في السوق فصل لله ﷻ فإن ذاكر الله في السوق كالشجرة الخضراء في وسط حديقة جافة يابسة.

فلما كان في صلاة الظهر في بني سالم وصلى الركعتين الأوليتين متجهاً إلى بيت المقدس وقام ليصلي الركعة الثالثة فنزل عليه أمر الله ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١٤٤البقرة)، فغير وجهته إلى البيت الحرام وغير أصحابه خلفه وجهتهم إلى البيت الحرام وهذه هي الصلاة الوحيدة في الإسلام التي صلاها المسلمون نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى البيت الحرام إجابة لدعوة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام..

وهذا ما حدا بالعلماء العاملين والأئمة المهتدين أن يحيوا هذه الليلة بالطاعة والدعاء والإلحاح في الدعاء والتوبة الصادقة لأنهم تفرسوا فيها الإجابة من هاتين الحادثتين ومن الحادثة الأخرى التي روتها السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: **{ كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي، فلما كان في جوف الليل، فقدته فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفعت بمرطي، فطلبته في حجر نسائه، فلم أجده فانصرفت إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي**

٣٩ عن عبد الله بن مغفل ي الفتح الكبير وجامع الأحاديث.

وسوادي وآمن بك فؤادي فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدا، فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشر نقيا، لا جافيا ولا شقيا، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته، فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة، هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن.}[40].ولذلك علينا جماعة المسلمين أن نغتنم هذه الفرصة لنتوب إلى الله مما ارتكبناه ونتضرع إليه أن يمحو خطايانا وأن يبدل سيئاتنا بحسنات، ثم ندعوه ﷻ بخير الدعاء وهو التوفيق للأعمال الصالحة حتى الممات، فاستكثروا من الباقيات الصالحات في هذه الليلة وناجوا ربكم بكلامه وتملقوا إليه بإنعامه وأقبلوا عليه بقلوبكم وافعلوا من أنفسكم الخير لعله ﷻ ينظر إلينا نظرة حب وحنان فيبدل ما نحن فيه فهو ﷻ على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

قال ﷺ: **{ يَسِحُّ اللَّهُ ﷻ الْخَيْرَ فِي أَرْبَعِ لَيَالٍ سَحًّا: لَيْلَةَ الأَضْحَى وَالْفِطْرِ، وَلَيْلَةَ النصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يُنْسَخُ فِيهَا الآجَالُ وَالأَرْزَاقُ وَيُكْتَبُ فِيهَا الْحَجُّ، وَفِي لَيْلَةِ عَرَفَةَ إِلَى الأَذَانِ }**٤١ ، وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **{ خَمْسُ لَيَالٍ لاَ تُرَدُّ فِيهِنَّ الدَّعْوَةُ: أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَلَيْلَةُ النصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةُ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةُ النَّحْرِ }**٤٢، وقال ﷺ: **{ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا. فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلاَ مُبْتَلَى فَأُعَافِيَهُ أَلاَ كَذَا أَلاَ كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ أو قاطع رحم أو عاق لوالديه أو مصر على معصية أو شارب خمر أو زان }** ٤٣، أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٠ رواه أبو داود والترمذي والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها.
٤١ الدَّيلمي والبيهقي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
٤٢ ابن عساكر عن أبي أمَامَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ
٤٣ عن علي ﷺ رواه ابن ماجة.

واعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين، أما بعد..
فيا أيها الأخوة المؤمنون.. عليكم بالإكثار من الأعمال الصالحة فإنها والله هي التجارة الرابحة.

ومن المصادفات العجيبة التي تمت في تلك الليلة ما روي في سند توبة مالك بن دينار التابعي الجليل ﷺ وأرضاه فقد كان مشتغلاً باللهو مقبلاً على الملذات، غافلاً عن الطاعات ناسياً لمولاه ولما سأل عن سبب توبته – كما روى ابن الجوزي في كتاب التوابين – قال:

كنت شرطياً، ثم إني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع وولدت مني بنتاً فشغلت بها، فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها! فلما تمت سنتان ماتت فأكمدني حزنها. فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت، ونفخ في الصور وبعثر من في القبور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حساً فالتفت فإذا أنا (بتنين) عظيم أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام، فقلت له: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله ﷻ، فبكى وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني مر وأسرع فلعل الله أن يقيد لك ما ينجيك منه، فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت علي طبقات النيران فكدت أن أقع فيها من فزعي، فصاح صائح أن أرجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع للمسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة وستور معلقة، وعلى كل طاقة مصراعان من الذهب الأحمر، متصلة بالياقوت مكفوفة بالدر، وعلى كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل هرولت إليه والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه، صاح بعض الملائكة الموكلين بالجبل، عليهم السلام: ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع واشرفوا، فلعل لهذا البائس بينكم وديعة تجيره من عدوه، فلما فتحت المصاريع وأشرفوا علي رأيت أطفالاً كالأقمار، وقرب التنين مني فحرت في أمري، فصاح بعض الأطفال ويحكم اشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا، فوجاً بعد فوج، فإذا بابنتي التي قد ماتت نظرت إلي وبكت وقالت: أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمين فتعلقت بها. ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً، ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى على لحيتي وقالت: يا أبت ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ فبكيت وقلت يا بنيتي وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت أخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني، قالت:

ذلك عملك السيئ قويته، فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: والشيخ الذي رأيته، قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم تكن له طاقة بعملك السيئ، فقلت يا بنيتي ما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: أطفال المسلمين قد أسكنوا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم، قال مالك بن دينار: فانتبهت فزعاً مرعوباً فكسرت آلات المخالفة وتركت عنى جميع ذلك وعقدت مع الله توبة نصوحاً فتاب علي ﷻ.[٤٤]

فعليكم جماعة المؤمنين بالإقبال على الصالحات، واغتنموا حياتكم قبل الممات، وشبابكم قبل هرمكم، وصحتكم قبل مرضكم، فإن الإنسان إذا خرج من الدنيا كان كما قال الله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٨-٨٩الشعراء).

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[٤٥]

رفع الأعمال إلى الله ﷻ

الحمد لله ربِّ العالمين، اللهم لك الحمد كما تحب وترضى، لا نحصى ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، عز جارك، وجل سلطانك، ولا إله غيرك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أعطاه الله وقربه وأدناه وما زال يعطيه حتى أنزل في حقه ﷺ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى)،. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن في شهر الحبيب المختار ﷺ شهر شعبان الذي يتشعب ويتفرع فيه الخير لعباد الله المؤمنين وقد أحياه رسولكم الكريم بصنوف الطاعات وأنواع القربات وبين أنه شهر كريم عظيم على الله ﷻ فكان يحييه تارة بالصيام ومرة بالقيام، ومرة بتلاوة القرآن، ومرة بزيارة البقيع، والترحم على موتى المسلمين، ومرة بالتصدق على الفقراء من المسلمين، وعندما سئل ﷺ عن سر اهتمامه بهذا الشهر قال ﷺ:

{ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ

---

[٤٤] كشف الخفاء لإسماعيل العجلوني، وتفسير نور الأذهان وروح البيان وتفسير حقي البروسوي.

[٤٥] كانت هذه الخطبة بقرية أبي حرب مركز مغاغة – محافظة المنيا – يوم الجمعة ١٥ من شعبان ١٤١٠هـ – ١٩٩١م.

إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ } ٤٦.

إذن فهو شهر رفع الأعمال، ورفع الأعمال على صحيح الأقوال يتم في هذه الليلة التي نحتفي بها اليوم في ليلة النصف من شعبان، فإن هذه الليلة يتجلى فيها الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم على اللوح المحفوظ الذي حفظه الحفيظ من التبديل والتغيير فيظهر فيه كل شئ يتعلق بالكائنات إلى مثل هذا الوقت من العام القادم إن شاء الله.

فتتسارع الملائكة كل منهم ينسخ وينقل ما هو مكلف به، ملك الموت ينسخ الأموات وأعمارهم وأوقاتهم وآجالهم والهيئة التي يأخذهم بها ويقبضهم عليها كما حددها العزيز الحكيم ﷻ ولذا يقول سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ : { إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، نَسَخَ المَلَكُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ شَعْبَانَ إِلىٰ شَعْبَانَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَظْلِمُ، وَيَتَّجِرُ وَيَنْكَحُ النسْوَانَ، وَقَدْ نُسِخَ اسْمُهُ مِنَ الأَحْيَاءِ إِلىٰ الأَمْوَاتِ، مَا مِنْ لَيْلَةٍ بَعْدَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَفْضَلُ مِنْهَا } [47]

ملك الأرزاق يأخذ نسخ الأرزاق التي تجلى له بها حضرة الرزاق ....، ويأمر الملائكة الذين يرأسهم أن يوزعوا هذه التعليمات على أصحابها ....فيمشي الإنسان .. ويسعى الإنسان .. ويجدُّ الإنسان .. ولا يحصل إلا على ما قدره له الرزاق الكريم ﷻ.

وروى في الأثر أن ربَّ العزة قال : { **يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني لا ينفد أبداً، يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفد أبداً، يا ابن آدم لا تأنس بغيري، وأنا لك، فإن طلبتني وجدتني، وإن أنست بغيرك فتك وفاتك الخير كله، يا ابن آدم خلقتك لعبادتي، فلا تلعب، وقسمت رزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومن أقل منه فلا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك، وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك فو عزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها إلا ما قد قسمته لك، وكنت عندي مذموماً، يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع، ولم أعي بخلقهن أيعينني رغيف أسوقه لك من غير تعب، يا ابن آدم أنا لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد، فإني لم أنس من عصاني، فكيف من أطاعني وأنا على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط.**} [48]

---

٤٦ عن أسامة بن زيد رواه النسائي، الإمام أحمد.
٤٧ عن عَطَاء بن يَسَارَ ﷺ جامع المسانيد والمراسيل (ابن شاهين في التَّرغيب)
٤٨ المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهي

فالقدير ﷻ يكشف ألوح التقدير في هذه الليلة حتى يحصل أهل الدواوين الإلهية على التكليفات التي يكلفهم بها رب البرية ﷻ. ديوان الأرزاق رئيسه ميكائيل عليه السلام ، وديوان الهواء والأنفاس والصحة رئيسه إسرافيل عليه السلام ، وديوان الآجال والأعمار ورئيسه عزرائيل عليه السلام ، وديوان الإيمان والتقى والإلهام والرؤيات الصالحة والمبشرات المنامية والإلهامات القدسية والعلوم اللدنية ورئيسه جبرائيل عليه السلام ، دواوين ودواوين يقول فيها الحميد المجيد : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣١المدثر).

كل واحد يسارع إلى نقل تكليفه الذي يكلف به خلال العام في هذه الليلة المباركة من العام، ولذا لو كُشف القناع عن عين قلبك لرأيت السموات تعج بالحركة الكثيفة الكثيرة في تلك الليلة، الملائكة من كل صنف ومن كل لون مشغولون في تلك الليلة بنقل أعمالهم وأحوالهم ومهماتهم التي كلفوا بها من العلي القدير ﷻ .

وأيضاً الملائكة الذين يصحبوننا فإننا جميعاً يتعاقب فينا ملائكة بالليل وبالنهار، عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٨ق) ، يتناوبون معنا إثنان منهم معك من الفجر إلى العصر وإثنان آخران معك من العصر إلى العشاء وإثنان آخران معك من العشاء إلى صلاة الفجر، فإذا نمت وقف أحدهم عند رأسك والآخر عند قدميك، وصاحب اليمين رئيس على صاحب الشمال، يحصون حركاتك ويكتبون جميع إشاراتك، إذا كانت حركة بالعين أو حركة باللسان أو حركة باليدين أو حركة بالرجلين أو حركة بعضو الذكورة كل حركاتك وسكناتك يكتبونها ويقيدونها وإن كانوا يتلقونها ويعرفونها أيضاً في ليلة النصف من شعبان ولذا يقول الله في شأنهم ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١١-١٢الانفطار) .

يعلمون مقدماً بتعليم الله لهم الأفعال التي ستفعلونها في هذه الحياة قبل أن يكتبونها، فإذا تمت ختموا عمل هذا اليوم وأحصوا ما فيه من حسنات وما فيه من زلات وهفوات لم نتب منها، لأنهم من كرمهم كما وصفهم الله (كراماً)، إذا عمل الإنسان الطاعة سارعوا في قيدها وتسجيلها قبل أن يندم عليها، وإذا فعل معصية أمهلوه لمدة ست ساعات لعله يتوب أو لعله يرجع أو لعله يندم أو لعله يأسف أو لعله يضرع إلى الله فلا يقيدون عليه هذا الذنب إلا إذا أصر عليه ولم يقدم طلباً إلى الله يرجو فيه أن يتوب عليه من هذا الذنب، ثم يرفعون العمل ويكتبون منه عدة نسخ نسخة تعرض على حضرة الله، ونسخة تعرض على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ولذا يقول ﷺ : { تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ }٤٩.

---

٤٩ رواه البزار.

فلكل مسلم هناك صورة من ملف أعماله عند سيدنا رسول الله، وكل حركة وكل سكنة وكل طاعة وكل عمل تعمله يحرر منه نسخة فورية وتتجمع في ختام اليوم وتذهب إلى خير البرية صلوات الله وسلامه عليه، لأنه الشفيع والمحامي والمدافع الذي يدافع عنك يوم القيامة والمحامي لابد أن يطلع على ملفات القضية كلها حتى يدافع بحق أمام محكمة ملك الملوك ﷻ عني وعنك. وقد قال ﷺ { **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** }[٥٠].

ونسخة ثالثة تذهب إلى ديوان الأعمال وديوان الأعمال تحت عرش ذي الجلال والإكرام في مكان يسمى سدرة المنتهى، لكل واحد منا قسم خاص به في ديوان الأعمال، ولكل واحد منا باب خاص به في السموات يترل منه رزقه ويصعد منه عمله، ولا يغلق هذا الباب إلا إذا خرج النفس الأخير وغادر الدنيا وسافر إلى الدار الآخرة، وانظروا إلى عجائب قدرة الله لتعلموا عظم ملك الله، كيف أنه لكل مخلوق منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة باب خاص به في السموات لا يُفتح إلا إذا وجد، ولا يغلق إلا إذا سافر، ولا يُفتح لغيره لأنه باب خصّه به ملك الملوك ﷻ،وهذا الباب خط بينك وبين ديوان الأرزاق والأعمال، كل ما لك عند الله يأتيك عن طريق هذا الخط، وكل ما تعمله يُرفع إلى الله عن طريق هذا الخط.

ونسخة رابعة من الصالحات فقط يحولونها لك إلى رصيدك في جنات النعيم، فإن كل واحد منا فتح له المولى الكريم حساباً عند الله ﷻ في دار النعيم يُحوّل إليه طاعاته وتُترجم فيه حسناته، وتتحول الطاعات والقربات إلى العملة الباقية في الآخرة وهي الحسنات، وتظل في هذا البند إلى يوم الميقات، ونسخة خامسة بالمخالفات والزلات والمعاصي والكبائر والقبائح وتتحول إلى دار جهنم والعياذ بالله، إلى التحريات الإلهية وإلى النيابة العلوية في هذه الدار.

فإذا تاب العبد حُفظ الملف وحُفظ المحضر الذي حُرر بهذا الذنب وبهذه السيئة، وإذا لم يتب يجمع الملك الموكل به – وكيل النيابة الإلهية الموكل به – يجمع محاضر مخالفاته وجرائمه وسيئاته حتى يعرضها على محكمة ملك الملوك يوم الدين، فإذا خرج وكانت سيئاته أكثر من حسناته، أمرت النيابة الإلهية ملائكة العذاب أن يقبضوا عليه ويضعوه في سجين! في سجون البعد عن رب العالمين إلى حين وقت المحكمة الإلهية، وإذا كانت حسناته أكثر من سيئاته أمر الحرس الجمهوري الإلهي في جنات النعيم أن تخرج إليه تشريفة من جنات النعيم تتلقاه بالتعظيم والتكريم وتجلسه في روضة من رياض النعيم إلى يوم أن يلقى الكريم ليكرمه في يوم التكريم والتعظيم.

---

٥٠ رواه أحمد عن أنس

يفعلون هذا بالسجلات كل ليلة .. فإذا كان يوم الخميس من كل أسبوع جمعوا عمل اليوم وأعادوا الكرّة وكتبوا نسخاً بعدد الأسبوع. فإذا كان ليلة النصف من شعبان فالملائكة الذين معي والذين معك الآن يقومون بالجرد السنوي لأعمالك كلها منذ شعبان الماضي إلى هذا اليوم، يسجلون الطاعات والقربات بأحرف من نور خالق الأرض والسموات، ويسجلون المعاصي والزلات بأحرف ظلمانية من جهنم والعياذ بالله، ثم يرفعوهما في هذه الليلة إلى الله ﷻ، ولذا وصانا النبي الكريم أن نقضي هذا اليوم وهذه الليلة في التوبة إلى الله وفي التضرع إلى الله وفي الاستغفار مما جنيناه حتى تُحفظ ملفات خطايانا وقضايانا ولا يكون لنا إلا ما ادخرناه في بنك مولانا ﷻ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦النحل).

يجلس الإنسان في هذا اليوم ينظر فيما عليه من الديون لله ﷻ وهو كريم وعفو ورحيم، إذا تاب العبد ماذا يفعل؟ يقول الله كما ورد بالأثر : { **بشرى يا ملائكتي فقد اصطلح عبدي معي، افتحوا أبواب السموات لقبول توبته ولدخول أنفاس حضرته فلنفس العبد التائب عندي يا ملائكتي أعزُّ من السموات والأراضين ومن فيهن** }، يفرح التواب على العبد إذا تاب ويسارع العفو للعفو عمن رجع إلى الله بالتوبة وحسن المآب، ويسارع الغفور فيغفر لمن طلب منه المغفرة في هذا اليوم الكريم يوم التوبة والمغفرة بل إن كرمه يتجاوز الحدود فقد قال ﷺ: { **إِنّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ لاَ إِلهَ إلا الله أَتَتْ إِلَى صَحِيفَتِهِ فَلاَ تَمُرُّ عَلَى خَطِيئَةٍ إِلاَّ مَحَتْهَا حَتّى تَجِدَ حَسَنَةً مِثْلَهَا فَتَجْلِسَ إِلَى جَنْبِهَا** }[٥١]، تمحو كل الذنوب والعيوب حتى تصل إلى الحسنة السابقة، إكراماً من علام الغيوب ﷻ...

فسارعوا في هذا اليوم بالتوبة إلى الله والإقبال على الله حتى ترفع أعمالكم إلى الله وقد محيت سيئاتكم وقد تبدلت أوزاركم، وقد تضخمت ونمت وزادت أعمالكم وحسناتكم وقرباتكم فإن الله إذا علم صدق توبة عبده لا يكتفي بغفران الذنوب بل يمحو الذنوب ويضع بفضله مكان كل ذنب حسنة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان) ، حسنة لم تعملها ولم تفعلها ولكن هي تفضل من الكريم لصدقك في التوبة لله ﷻ. قولوا جميعاً: تبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا، وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً، وبرئنا من سيئات نفوسنا، وقبائح أعمالنا، وزلات ألسنتا، وعزمنا على طاعة الله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وعلى الله قصد السبيل والله على ما نقول وكيل، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، قال ﷺ: {**التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**}[٥٢]، أو كما قال ... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

٥١ أخرجه أبو يعلى من حديث أنس.

٥٢ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا، وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. كان من جلال قدرة الله، ومن رأفة الله بعباده المسلمين والمؤمنين في هذه الليلة المباركة التي فيها أكرم رسول الله ﷺ فشق له القمر نصفين وهو في مكة، آية للكافرين ومعجزة للمبعدين، وكان من كرم الله عليه في المدينة أن حوّل له القبلة في هذا اليوم من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأرضاه وقال له: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١٤٤البقرة) ، وأكرمه في هذه الليلة بقبول شفاعته في الأمة كلها صغيرها وكبيرها، صالحها وطالحها، برّها وفاجرها، لأنه ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة لجميع خلق الله، فلله دَرّ رجال تابوا إلى الله وأكثروا من أعمال التائبين، ومن أحوال المنيبين وحَلّوا أنفسهم بحلة الخاشين الخاشعين لله ربِّ العالمين ....

فإذا أتت ليلة النصف من شعبان فهموا الإشارة من تحويل القبلة وهي أن الإنسان إذا كان طوال العام قبلته دنياه أو قبلته حظه وهواه أو قبلته شهواته ومطامعه أو قبلته آماله الفانية الكاسدة أو همُّه كله العلو في الأرض بغير الحق، فبعد نصف شعبان يتجه بالكلية إلى حضرة الديان استعداداً لشهر رمضان لأنه شهر الكرم وشهر الجود وشهر الخيرات لمن استعد له قبله بقليل، والرسول كان يستعد لرمضان من بداية شعبان، وأصحابه أيضاً كانوا كذلك، الخاصة منهم يقول فيهم أنس بن مالك ﷺ وأرضاه: **{ كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا نظروا إلى هلال شهر شعبان أخرجوا زكاة أموالهم ليتقوى بها الفقير والمسكين على صيام شهر رمضان، ونظر الولاة إلى أهل السجن فمن كان عليه حدّ أقاموه وإلا خلّوا سبيله، وأحضر التجار تجاراتهم ليتفرغوا في شهر رمضان لطاعة ربهم ولمتابعة نبيهم، وأقبل الآخرون على المصاحف يتلونها، فإذا نظروا إلى هلال شهر رمضان اغتسلوا واعتكفوا وأكبّوا على العبادة }.**

وقد كان الإمام الشافعي والإمام مالك ﷺ يواصلان الدروس بالليل والنهار، فقد كان الإمام الشافعي يبدأ دروسه مع شروق الشمس فيعطي درساً للتفسير، ثم درساً لأصول الفقه، ثم درساً للحديث، ثم درساً للتجويد وعلوم القراءات، ويظل حتى صلاة الظهر في تدريسه لطوائف الدارسين والتلاميذ والسالكين والمريدين، والإمام مالك كان كذلك، فإذا جاء شهر

رمضان غلقوا كتب العلم وأنهوا حلقات الدرس وأقبلوا على عبادة الله ﷻ فكان الشافعي ﷺ وأرضاه يختم في شهر رمضان ستين ختمة لكتاب الله، ثلاثين ختمة بالنهار، وثلاثين ختمة بالليل، كل نهار يصعد منه لله ختمة، وكل ليلة يصعد منه لله ﷻ ختمة لكتاب الله ﷻ.

كيف يقومون بذلك؟ يستعدون من قبل ذلك. نحن نستعد بتجهيز التمر وتجهيز المأكولات وإحضار المشروبات، وجعلناه شهر المطعومات والمأكولات ونسينا أنه شهر العبادات والطاعات والقربات، فأخطأنا طريق سلفنا الصالح، فإذا جئنا إلى رمضان لا نستطيع أن نصلي القيام من التخمة التي حدثت لبطوننا عند الإفطار، بل إن أخلاقنا تتغير في نهار رمضان لأننا لم نتعود على الصيام في شهر شعبان، فنخرج عن أطوارنا ونفعل ما يغضب ربنا، وإذا عاتبنا أحد تعللنا بأننا صائمين. ما هكذا الحال يا جماعة المؤمنين؟ إن نبيكم الكريم كان يستعد لشهر رمضان بتدريب نفسه على الصيام في شعبان، وتدريب نفسه على القيام في شعبان، استعداداً لصيام وقيام شهر رمضان وما فعل ذلك إلا ليعلمنا وينبهنا على كيفية الاستعداد لشهر رمضان.

فعلينا أن نمرّن أنفسنا من الآن فيقوم الإنسان مثلاً بعد صلاة المغرب من الآن فيصلي ست ركعات لله بدلاً من ركعتين وقد قال ﷺ: { مَنْ صَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ غُفِرَ لَهُ بِهَا ذُنُوبِ خَمْسِينَ سَنَةً }[53] فإذا جاء شهر رمضان كانت صلاة القيام بالنسبة لنا هيّنة لينة ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(البقرة) ، يصوم الإنسان بعض الأيام ويقلل الطعام في الأيام التي ليس فيها صيام ليتدرب على الصيام، فإذا كان شهر رمضان لم تتغير حالته، ولم تتبدل هيئته.

فإذا كان يأكل في الوجبة الآن رغيفين ينقصهم رويداً رويداً، ففي اليوم الأول ينقص ربع رغيف وفي الثاني نصف رغيف وفي الثالث ثلاثة أرباع رغيف، وفي اليوم الرابع يكتفي برغيف واحد ويواظب على ذلك إلى بداية شهر رمضان، وإذا كان يشرب في اليوم خمس مرات مثلاً، فلا يشرب إلا مرتين لأن الشراب يتعلق بكمية الطعام التي تدخل في المعدة، وإذا كان يدخن السجائر أو الشيشة أو يشرب الشاي بكثرة أو غيرها يخفف منه من الآن استعداداً لشهر رمضان، إذا استطاع أن ينتهي منها فبها ونعمت وقد صار من عباد الله الصالحين، وإن لم يستطع ... يخفف قدر استطاعته، إذا كان يدخن في اليوم علبة سجائر يجعلها نصف علبة ثم بعد ذلك في اليوم ثلاث مرات فقط ثم مرة واحدة فقط، ثم يمنعها

[53] ابن نصر عن ابن عمرو رضي اللّه عنه

بالكلية فإنها شرّ وبلية على الجيوب وعلى الأجسام وعلى الإنسان في كل أحواله، ليس منها ولا فيها خير قط لبشر يشربها.

وهكذا يتدرب الإنسان على الاستعداد لشهر رمضان، بالإكثار من صلوات النوافل استعداداً لصلاة القيام، ويتدرب بالصيام والتقليل من الطعام استعداداً للصيام، ويتدرب على الكف عما ألفته النفس من الشهوات والحظوظ والملذات، ليعتاد الصيام والقيام، ويتدرب بعد ذلك على الأهم على تحسين أخلاقه فلا يخرج منه إلا القول المليح، وينهى نفسه عن الغي والقبيح، ذلك هو الاستعداد الحقيقي لشهر رمضان ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة السادسة[٥٤]

الاستعداد لشهر رمضان المبارك

الحمد لله ربِّ العالمين، الشكور العطوف الحنان المنان الرءوف بعباده المؤمنين، وبكل فرد من بني الإنسان. سبحانه سبحانه هو أرحم بنا وأرفق بنا من آبائنا وأمهاتنا وهو أولى بنا من أنفسنا لأنه خالقنا وصانعنا وموفقنا ﷻ، .... فإذا فرض علينا أمراً فمن محض رحمته فرضه، .... وإذا نهانا عن شئ فمن محض حرصه علينا نهانا عنه، لايريد إتعابنا ولا يشق علينا في أي أمر من أمورنا بل الأمر كله كما قال سبحانه ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (١٨٥البقرة)، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له... ، إله تجلى على عباده ببعض رحمته .... وادخر الجملة الكبيرة الجمَّة ليوم لقائه في يوم البعث والنشور....، ونسأله ﷻ أن يغمرنا برحماته المتوالية في الدنيا والآخرة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أكمل الله به علينا النعمة وأتم علينا به المنة، ووضح لنا به ﷺ الطريقة الواضحة اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، صلاة تعيننا بها على حسن إتباعه وتحشرنا بها يوم القيامة تحت لواءه، وتجمعنا بها عليه في مستقر رحمته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا إخواني ويا أحبابي.. استمعنا في هذا اليوم قبل الصلاة إلى البيان الإلهي والتكليف الرباني الذي نزل يحث عباد الله المؤمنين على صيام شهر رمضان وقد نزل هذا البيان في شهر شعبان في السنة الثانية من هجرة النبي ﷺ وفيه كل شئ يتعلق بهذه الفريضة

---

٥٤ كانت هذه الخطبة بمجمع الصفا بمدينة المنصورة يوم الجمعة ٢٧ من شعبان ١٤١٣هـ- ١٩٩٣/٢/١٩م.

وما يجب أن يتعلمه كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة حتى أن هذا البيان مع صغر حجمه ومع قلة كلماته وآياته لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في شأن الصيام إلا ووعاها وأحصاها وبينها، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، ونحن جميعاً ونحن نستعد لشهر رمضان فالواجب الأول علينا وعلى زوجاتنا وعلى أولادنا وعلى بناتنا أن يستعدوا لتلاوة هذه الآية وفهمها واستيعابها كما أمر الله ﷻ قبل تجهيز المأكولات وقبل إعداد المشروبات.

عليهم جميعاً أن يقرأوا هذه النصائح والتوجيهات التي أنزلها الله ﷻ على رسوله ﷺ، وعندما نزلت هذه الآيات جمع رسولكم الكريم ﷺ أصحابه وتلاها عليهم، ثم بين لهم الآداب الواجب عليهم إتباعها فقال في خطبة جامعة: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى صِيَامَهُ فَرِيضَةً وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَى مُذْقَةِ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لاَ يَظْمَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ شَهْرٌ: أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ خَصْلَتَانِ تُرْضُونَ بِهَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَانِ لاَ غِنَىً لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ وَأَمَّا اللَّتَانِ لاَ غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ }**[٥٥].

فالمؤمن استعداده وتجهيزه لشهر رمضان بما ذكرت يطلب من الله التوبة ليتوب إلى الله مما جناه ويدخل على هذا الشهر باراً تقياً لله ﷻ، يقرأ أبواب الصيام ليحكم أمر الصيام فيتقبله الله ﷻ بقبول حسن، ينظر إلى المنهاج النبوي الذي وصفه النبي ﷺ للصائمين وهو قوله ﷺ: **{ الصِّيامُ جُنَّةٌ فَاذَا كان أَحَدُكُمْ يَوْماً صَائِماً }** ماذا عليه؟ **{ فَلا يَجْهَلْ وَلا يَرْفُثْ، فإنِ امْرُؤٌ قاتلهُ أَوْ شَتَمَهُ فَلْيَقُل: إِنِّي صائِمٌ إِنِّي صائمٌ }** [٥٦] هذا هو ما يقوله المسلم و ليس ماذا يوجد للإفطار؟ وماذا يعد للسحور؟ لأن هذا الشهر كما قال فيه الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة) ، حدد الهدف وهو التقوى، وجعل هذا الشهر معسكراً فرضه علينا الله لنحصل في نهايته على شهادة بأننا أنقياء لله، أتقياء لله، مغفوراً لنا ذنوبنا من عند الله، قمنا

---

٥٥ عن سليمان الفارسي رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب.
٥٦ عن معاذ بن جبل أخرجه البخاري عن أبي هريرة (الصيام جنة) رواه مسلم والنسائي والبخاري.

بالأوامر التي فرضها علينا الله وأعطانا إجابة الدعاء التي ذكرها في آخر البيان القرآني فمن صام كما أمر الله فأولئك يقول لهم وفيهم الله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (١٨٦البقرة) ،قريب منه في كل وقت، وفي كل زمن، وفي كل مكان، وأجيب دعوة الداع إذا دعان بليل أو بنهار، في مسجد أو في عمل أو في حقل أو في شارع لأنه استجاب لداع الله وأمر بالصيام كما أمر الله ﷻ.

وإذا كان الإنسان يجد من رفاقه في المنزل تبرماً من الصيام، أو من زملائه في العمل تبرماً من الصيام عليه أن يشرح لهم ما تيسر من الحكم التي من أجلها فرض الله الصيام حتى لا يحرموا من الأجر والثواب فإن من صام وهو متضرر أو متبرم ليس له أجر عند الله ﷻ، مثل الذي يأتي في أول النهار أو في وسطه ويقول لماذا طال هذا اليوم؟ لماذا لم يؤذن المغرب؟ لماذا لم ينتهِ هذا الشهر؟ هذا الكلام نسمعه كثيراً وكل من يقول مثل هذا الكلام فقد نقص عمله وصيامه في شهر رمضان!! ومثل هذا علينا أن نشرح له الحكمة من الصيام.

إذاً فما الحكمة من الصيام؟ الصوم جنَّة ... يعني وقاية ... وقاية من ماذا يا رسول الله؟ العزيز الحكيم الذي خلق فسوى يعلم الذي يصلح هذا الجسد والذي يفسده وجاء بهذا الكتالوج الإلهي القرآن الكريم ليعرفنا كيف نشغل هذا الجسم، فأخبرنا أن في الجسد أعضاء تعمل في الليل وفي النهار، وأعضاء تستريح بالليل كالعين والفم واليد والرجل والفكر والحس ، هذه الأعضاء تستريح ليلاً لكن المعدة والقلب تعملان بالليل وبالنهار فالإنسان يكون نائماً والقلب يعمل والمعدة تتحرك وهذه المعدة من غريب صنع الله أنها لا تهضم الطعام إلا في وجود بعض الطفيليات التي تعيش عليها ... فهي من فضل الله تفرز إنزيمات خاصة تعمل على هضم الطعام ... وكثرتها تتعب المعدة! وقلتها تؤذى المعدة! ولا بد أن تكون بحساب معلوم قرره الحي القيوم ﷻ ... ولأن الإنسان يأكل طوال العام فيزيد معدل تكاثرها فتحتاج إلى الحد منها فكانت فريضة الصيام، يجوع الإنسان فيها بالنهار فتكون فرصة للإقلال من هذه الفطريات والطفيليات التي تعيش فى معدة الإنسان والتي هو محتاج إليها ولكن بقدر معلوم وأنتم جميعاً تعلمون أن أرضنا التي تكثر زراعتها يقل إنتاجها. ما علاجها؟

نريحها عاماً من الزمان ونحرثها ونقلبها ونتركها للشمس حتى تقتل الآفات التي تسكن بها، فإذا زرعناها في العام التالي جاءت بإنتاجها ومحصولها المعتاد، فأيضاً المعدة يتحسن جدارها وتنزوى طفيلياتها وتستريح أعضاءها لكي تستطيع أن تكمل لك المسيرة التي حددها لها الصانع الذي هو الله ﷻ، فكل واحد منا قدر له الصانع زمن معلوم إذا انتهى زمانه رجع إلى ما خلق منه ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٥٥طه)، إذاً الصيام لراحة المعدة وليس لإتخامها آخر النهار بالأكل فهي متخمة طوال العام ... ولذلك عندما

ننظر لأصحاب رسول الله ﷺ الذين فقهوا الحكمة عندما ذهب إليهم الطبيب هدية من المقوقس حاكم مصر ردوه ولم يكن عندهم مستشفى ولا عيادة لماذا؟ لأنهم مشوا على منهاج الله ونفذوا الكتاب والكتالوج الذي أنزله عليهم الله فعاشوا في أمن وعافية من الله في الدنيا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل) ، وفي الآخرة حياتهم طيبة هنيئة ...

فالمجاري التي يجرى فيها الدم الشرايين والأوردة توصل الغذاء وتوصل الدم وتوصل الماء وترجع ثانية الفضلات هذه الأوردة والشرايين لأننا نأكل طوال العام قد تنسد بالدهون التي تترسب فيها وتجعل الإنسان عرضة لتصلب الشرايين أو عرضة للضغط أو عرضة للكوليسترول أو غيرها من الأمراض التي سببها الرئيسي أن مجرى الدم ينسد، فلا بد من فترة راحة حتى يتطهر هذا المجرى...

فالصائم الذي ينام طوال النهار لا يحقق حكمة الصيام، لكن الذي يعمل كالمعتاد عند الظهر ينفذ الزاد فتتحول المعدة إلى المخزون الزائد لتتخلص منه من الخلايا الزائدة والدهون الزائدة فتذيبها وتقوم بتحويلها إلى مواد سهلة الامتصاص يتغذى الفرد عليها، إذاً هذه الفترة لتطهير الشرايين والأوردة والأعضاء كلها من السموم الزائدة، ومن المأكولات الزائدة الموجودة في المخازن التي أوجدها الله ﷻ ليحجز فيها ما زاد عن الإنسان وقت الحاجة، فهناك مخزن تحت الجلد يخزن فيه الدهن الزائد، ومخزن في الكبد يخزن فيه السكر الزائد عن حاجة الإنسان وهذه المخازن تفرغ كل ما فيها في رمضان لأن الزيادة كما تعلمون جميعاً نتيجتها الأمراض التي نراها في عصرنا.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن الغرض الأول من الصيام تصحيح جسمك وتصحيح بدنك ووقاية معدتك ووقاية أعضائك من الأمراض ومن الأعراض التي يشكو منها بني الإنسان ولذلك تنبه أهل الغرب أخيراً إلى هذه الحقيقة وإن لم يؤمنوا بالإسلام، فالمصحات الطبية عندهم اليوم أحسن من المستشفيات عندنا، والعلاج الأساسي في هذه المصحات الصيام كصيام المسلمين لمدة شهر في العام تبدأ من شروق الشمس إلى غروبها، هناك مصحات في روسيا وفي المجر وفي السويد والنرويج كلها لعلاج الإنسان ليس بالأدوية ولا بالعقاقير وإنما بالصيام الذي تفضل به علينا وعليكم العلي القدير ﷻ، عندما يعلم المسلم هذه الحكمة سوف يقبل على الصيام وهو فرح ومسرور.

والحكمة الثانية للصيام أنه وقاية للمجتمع لأن الصيام هو الورشة التي تصلح الضمير وما أحوجنا إلى هذا الضمير في عصرنا يا إخواني فإن كل ما نعاني منه سببه أزمة الضمير، أو كما نقول بلسان الإسلام – لأن الضمير كلمة أجنبية – المراقبة أو { **الإحسَان أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ**

كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[٥٧]، وهذه عبادة الصائم لأنه لا يراقبه في عمله إلا الله، فلو دخل في مكان وأغلق على نفسه وأخطأ فلا يحاسبه أحد إلا الواحد الأحد ﷻ. فالصائم يتمرن على مراقبة الله ﷻ في صيامه فإذا دام على هذه المراقبة راقب الله في صيامه وراقبه في الأكل والشراب، وراقبه كما قلت في الأخلاق فلا يصخب ولا يسب ولا يشتم، ويراقب أعضاءه وإذا أرادت أن تتحفز يقول لها إني امرؤ صائم، يذكر نفسه ويذكر أخاه الذي أمامه، يذكر نفسه حتى لا تتحرك أعضاءه بما يغضب الله، ويذكر زميله أو رفيقه الذي يتناقش معه حتى تخمد أعضاءه وتبرد جوارحه، فلا يفكر في إيذائه فهي مسكن إلهي يسكن غضب النفوس البشرية، وصفه طبيب البشرية الأعظم ﷺ.

فإذا راقب الإنسان ربه وعلم أنه لو أفطر على لقمة حرام فلا فائدة من صيامه وتحرى المطعم الحلال، فلم يغش ولم يقبل الرشوة ولم ينافق ولم يداهن ولم يفعل الأفعال التي يتسم بها أهل الشقاق والنفاق بل يكون كما قال الله في شأن الملائكة الكرام ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم) ، فيخرج من هذا الشهر وقد استقام في مقام المراقبة وهذا هو العبد الذي نحتاجه.

فإصلاح حال المجتمع الذي نحن فيه يتوقف على هذا، فلسنا محتاجين إلى أموال ولسنا محتاجين إلى مبان ولسنا محتاجين إلى مدارس ومستشفيات وإنما نحن محتاجون إلى أفراد امتلأت قلوبهم بمراقبة الله في الغدو والرواح، مثل هؤلاء يكيفون الأشياء ولا تكيفهم الأشياء...

فلو وجد الطبيب يا إخواني الذي يراقب الله ... يستطيع أن يجعل المسجد عيادة ... ويستطيع أن يحول الشارع إلى عيادة ... ويستطيع أن يكشف في أي مكان .... لأنه يراقب الرحمن ﷻ، أما إذا جهزنا المستشفى بالأجهزة الراقية !!ودخلها من لا ضمير ولا دين له!! فإنهم يعطلونها !!! ليفتحوا عياداتهم ..... وهذا ما نعاني منه الآن.

إذا وجد المدرس الذي يراقب الله.... فإنه يستطيع أن يدرس في هذا المكان ... ويستطيع أن يدرس في الحديقة ... ويستطيع أن يدرس علي حافة الطريق كما كان يفعل رسول الله ﷺ .... أما إذا عدم هذه المراقبة! ولم يكن عنده هذه المحاسبة! فإنه عنده الإمكانيات ولا يكلف نفسه ولا يجهد نفسه حتى يوفر صحته وجسمه للعمل الذي يعمله في المنازل !!! ولا يبارك الله في ماله ولا رزقه ولا في بيته ولا في أولاده ولكنه لا يشعر بذلك.

إذا توفرت هذه المراقبة للتجار لم نحتج إلى مباحث للتموين!!! ... بل إننا كلما أعددنا لائحة !! أعدوا المخرج منها قبل صدورها، وكلما جئنا إليهم بمباحث !! احتاجت المباحث

---

٥٧ سنن النسائي الصغرى وكثير غيرها عن أبي ذر

إلى مباحث آخرين وهكذا، فمن أين المخرج إذاً ؟؟؟؟

والله لا مخرج لنا إلا إذا دربنا أنفسنا ... وأمرنا أولادنا .... ودربنا أفراد مجتمعنا على أن يراقبوا الله ويعملوا ابتغاء وجه الله ﷻ وقلنا لهم أن قولوا كما قال الله تعالى ... أو قولوا قول الله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة) .

والسبيل إلى هذا المخرج والذي يقوم بكل هذا العمل يا إخواننا الصيام ... الصيام ... الصيام ..... فالصيام هو الذي يطهر المجتمعات من هذه المفاسد الأخلاقية وهذه الرذائل الاجتماعية التي عمَّت في مجتمعنا ولا نجد لها سبيلاً ولا نستطيع أن نفعل فيها قليلاً أو كثيراً لأننا نبحث عن حلها في غير كتاب الله وفي غير سنة رسول الله ﷺ .

ولذلك تذكرون أن أصحاب رسول الله ﷺ عاشوا وليسوا بينهم محكمة واحدة جزئية أو كلية أو استئنافية أو غيرها ولا نقط للشرطة ولا مصلحة للضرائب ولا مباحث للتموين ولا مباحث لتهريب المخدرات... لماذا؟ لأن كل واحد منهم كان عنده شرطي في داخله يراقبه ويؤنبه ويوبخه إذا أخطأ أو وقع في الخطأ ... وأقسم الله بعزته وجلاله بهذا الجندي فقال ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة)، فمعك النفس اللوامة التي تظهر عند أي شئ يغضب الله أو أي حركة لا توافق شرع الله أو أي أمر ليس على هدى سنة مولانا رسول الله ﷺ.

ولكن والذي ليس معه النفس اللوامة لو أحطته من جميع الجهات بالقوانين والتعليمات واللوائح والتشريعات والجنود والهيئات فإنه بحيلته ومكره ودهائه يستطيع أن يفلت منهم!!

وقارن بين هذا وبين الذي في قلبه النفس اللوامة .... كان يذهب بنفسه إلى رسول الله فيقول زنيت يا رسول الله فيقول: لعلك فاخذت. يقول: زنيت يا رسول الله، فيقول: لعلك قبلت. يقول: زنيت يا رسول الله! يقول هذا وهو يعلم أنه بذلك سيقع تحت طائلة العقاب الذى يحكم به الله !!!، ويذهب الآخر فيقول سرقت! لماذا؟ لماذا ياإخوانى؟؟

حتى يريح نفسه من وخز ضميره ... ومن تأنيب نفسه اللوامة التي تؤلمه وتوبِّخه بالليل والنهار ... ولا يستقر له قرار إلا إذا علم أنه رجع عن هذا العمل ... وعن هذا الإصرار وتاب لله الواحد القهار ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف)، ومن هنا يا إخواني فالصيام وقاية ليس لها نهاية ولا نستطيع أن نتحدث عنها ولا عن بنودها في هذا الوقت القصير ولكن نكتفي بهذا القدر. قال ﷺ: { لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِلسَّموَاتِ وَالأَرْضِ أَنْ يَتَكَلَّمَا، لَبَشَّرَتَا مَنْ صَامَ رَمَضَانَ بِالْجَنَّةِ }٥٨ .

٥٨ (الدَّيلمي (كر) عن أبي هدبة عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ

وقال ﷺ: { أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ بَرَكَةٍ فِيهِ خَيْرٌ يُغَشيكُمُ اللَّهُ فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ وَيَحُطُّ فِيهِ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلاَئِكَتَهُ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ } ٥٩ ...أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي وفقنا لاتباع هذا الدين، ونشكره ﷻ على أن اجتبانا وجعلنا مسلمين ونسأله ﷻ أن يزيدنا تقى وغنى وعفاف وهدى أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله، وصف نفسه بنفسه في كلامه العلي المجيد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا الهالك، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبائي فالصوم وقاية لنا من عذاب النار، وإن الله ﷻ يتجلى لنا في هذا الشهر العظيم فيغفر لنا ذنوبنا ونخرج منه وقد تطهرنا من الخطايا، وقد مسحت صحف سيئاتنا وأبدلها الله ﷻ بحسنات. قال ﷺ: { مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[٦٠]، فالذنوب نوعان: ذنوب في حق الله ﷻ، وذنوب في حق الخلق وهي تسمى حقوق العباد، فأما التي في حق الله فإن الله ﷻ يغفرها ويخرج الإنسان منها بعد شهر رمضان وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

وأما حقوق العباد فلابد فيها من الحساب ولابد فيها من المساءلة ولابد فيها من العفومن صاحب الشأن، ولذا نستعد ويستعد المؤمنون لشهر رمضان بالصفح عمن أساء إليهم وإصلاح ما بينهم وبين إخوانهم وما بينهم وبين جيرانهم وما بينهم وبين ذوي رحمهم، فمن كان في صدره مشاحنة لأحد من المسلمين فليعفو عنه ويصفح عنه ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢٧٣البقرة) ، ويسامحه حتى ولو كان مخطئاً في حقه، فإن من عفا وأصلح فأجره على الله.

ومن كان قاطعاً لرحمه فليواصلهم قبل أن يواصل الله بالصيام فإن الله يتجاوز عن الذنب في حقه، ولكنه أوكل ذنوب العباد وحقوق العباد إلى نفسه، وإذا كان يوم القيامة

---

٥٩ عن أبي هريرة رواه النسائي والبيهقي.
٦٠ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة

يتجلى بفضله ويقول كما ورد فى الحديث الشريف : { **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَبَقِيَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْمَظَالِمُ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، يَا أَهْلَ الْجَمْعِ تَتَارَكُوا الْمَظَالِمَ وَثَوَابُكُمْ عَلَيَّ** }[٦١]

وأخبر الصادق المصدوق فى رواية أخــرى: { **ينادي منادٍ من تحت العرش يومَ القيامة: يَا أُمَةَ مُحَمّدٍ أمّا ما كان لي قِبَلَكم فقد وهبته لكم وَبَقِيَتِ التّبِعَاتُ فتَوَاهَبوها وادْخلوا الجنة برحمتي** }[٦٢]

إذاً لابد من المصالحة والمسامحة بين عباد الله المؤمنين حتى ندخل على شهر رمضان ونحن كما قال الله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) ، يعني لا يكونون إخواناً إلا إذا نزعوا ما في صدورهم لأنها في ترتيب الآية بعد النزع... أى بعد نــزع ما فى الصدور يصبحون إخوة ... ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات)، من هم؟ هم الذين نزعوا ما في صدورهم من الغل ... ومن البغضاء ... ومن الأحقاد لإخوانهم المــؤمنين ..... ذلك هو الاستعداد الأمثل لشهر رمضان. ....<< ثم الدعاء >>.

الفصل الثاني

إحتفاء أهل الإيمان بليلة النصف من شعبان[٦٣]

الحمد لله الذي وفقنا لما يحبه ويرضاه وجعلنا من أهل طاعته ورضاه، وأســأله ﷻ أن يجعلنا دائماً و أبداً ممن يفتح لهم باب المناجاة وينير قلوبهم لذكر الله, ويرزقهم الاســتقامة في كل أنفاسهم إلى يوم لقاء الله ... والصلاه والسلام على بدر التمام ومصباح الظلام ومسك الختام وسيد جميع الأنام والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام سيدنا محمد وآله الكرام وأصحابه العظام ووراث نوره في الدنيا إلى يوم الزحام. آمين.

مشروعية الإحتفال بليلة النصف من شعبان

هذه الليلة يا أخواني اختلف الناس في زماننا فقط في الاحتفال بها، وإن كان في الأزمنة الماضية الفاضلة لم يختلفوا أبداً في إحيائها، وظن البعض الذين منعــوا إحيائهــا، و بعــضهم

٦١ ابن أبي الدُّنَيا (فِيِّ) وابن النجار عن أَنس رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
٦٢ تخريجَ الإحياء للعراقى، روي فى سباعياتُ أبى الأعد القشيرى من حديث أنس ﷺ
٦٣ كانت هذه المحاضرة في الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالزقازيق يوم ١٤ شعبان ١٤١٩هـ – ١٩٩٨/١٢/٣م.

كرّهوه، وبعضهم تجرأ على الله وحرّم الاحتفال بها أن ذلك لأن الاحتفال ليس بسنة ... ماهى السنة ياإخواني ؟ السنة هي بيان رسول الله ﷺ بقوله أو بفعله أو بإقراره. هذه هي السنة: إما أن يقول وإما أن يفعل وإما أن يقرّ من يفعل كل ذلك هو السنة ... أليس كذلك!

و هذه الليلة قد أمر الحبيب ﷺ بقوله بإحيائها وقام بنفسه فيما ثبت من الروايات الصحيحة بإحيائها فأما بقوله ﷺ فقد قال ﷺ :

{ إذا كانت ليلة النصف من شعبان نزل الله ﷻ لغروب شمسها إلى السماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض جميعاً إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم أو مصرّ علي معصية أو شارب خمر أو زان, فإذا كانت هذه الليلة فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا }[٦٤]
هذه هي السنة القولية .. وفي رواية أخرى : **{ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنّ اللهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي، فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ، فَأَرْزُقَهُ، أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ، أَلاَ كَذَا، أَلاَ كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }**[٦٥] فغير الموفقين قالوا هذا الحديث حديث ضعيف ولا يجب أن نأخذ إلا بالحديث القوي! كيف ذلك.

دَأب العلماء الأجلاء جميعاً منذ عصر رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا و من القواعد الأصولية في علم الأصول، أصول الفقه الذي هو مادة التشريع الإسلامي: يؤخذ بالحديث الصحيح المتفق على صحته في الأحكام الفقهية التشريعية التي تهم المسلمين في كل أمور حياتهم في الزواج وفي الطلاق وفي الميراث وفي البيع وفي الشراء، ولا نأخذ إلا بالأحاديث المجمع على صحتها، لكن بالنسبة للاجتهاد في طاعة الله فمبدأهم في علم الحديث (يؤخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال) ... لماذا؟ لأنك لن تسيئ إلى أحد إذا عملت هذا العمل, و لن تضر أحداً باستزادتك من هذا الفعل وإنما هذا فعل خاص لك وفي نفسك ولا يضر أن تعمله في أي وقت ... وخذوا أمثلة على ذلك:

الاجتماع للدعاء! هل هناك مانع شرعي من جمع المسلمين للدعاء في أي وقت وفي أي مكان؟ في أي زمان تنتاب المسلمين شدة يجب عليهم أن يجتمعوا للدعاء ولقوله ﷺ **{ يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ }**٦٦، وفي أي زمان لأن الدعاء ليس له وقت كراهة، بعد صلاة الصبح، بعد العصر، في أي وقت يدعون الله ﷻ، وعلى وضوء أو علي غير وضوء لأن الدعاء لا يشترط

---

٦٤ رواه الإمام أبو داود عن الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه
٦٥ سنن ابن ماجة عن علي بن أبي طالب
٦٦ عن عمر بن الخطاب رواه الطبراني في الأوسط.

له الطهارة الحسية بالوضوء وإنما أساس قبوله الطهارة القلبية لتطهير السر والقلب لله ﷻ .. إذاً ما الذي يمنع من الدعاء في هذه الليلة؟

قراءة سور من القرآن في أي ليلة ما الذي يمنعها؟ وإذا كان بعضهم يمنع قراءة القرآن للآخرين لا أقول للأموات ... كما يقولون ولكن أقول للأحياء والأموات ... فإني يجوز لي أن أقرأ القرآن لرجل حيٍّ وأهبه له، ونفترض أن هذا القرآن ثوابه لم يصل إليه !! فهل لا يصل ثوابه إليّ وأنا الذي أتلوه؟!!!

يحرِّمون قراءة الفاتحة وتكرارها كما كررناها اليوم !! كررنا أم الكتاب لو لم تكن تستجاب فأي شئ يستجاب ؟ فقد قيل للإمام أبي الحسن الشاذلي ﷺ أيقبل الله ﷻ منا قراءة الفاتحة؟ فقال ﷺ : (كيف لا يقبلها وهي كلامه منه خرج وإليه يعود) إن لم يقبل كلامه فأي كلام يقبل؟ فالذين يقولون أن هؤلاء يقرأون الفاتحه خمسين مرة وما في هذا لو كررت الفاتحة خمسين مرة بمفردك أليست تلاوة لكتاب الله؟ ألم يكن رسول الله ﷺ يأخذ الليلة كلها من بدأها إلى ختامها في ترديد آية واحدة من كتاب الله؟ وكل مرة لك الثواب كل حرف بعشر حسنات!! لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف, فأنت طالما تتلوها فأنت تتعبد لله بخير عبادة يقبل عليها الله !! قال فيها ﷺ: {**أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ**} ٦٧. اجتماعنا هذا ماذا يقول فيه الحبيب ﷺ؟ :{ **لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللّهَ تعالى- ولم يحدد زماناً ولا مكاناً - إلا حفَّتْهُمُ الـمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، ونَزلَتْ عَليهِمُ السَّكِينَةُ، وذكَرَهمُ اللّهُ تَعالى فِيمَن عِنْدَهُ** } ٦٨.

من يتألى على الله فيزعم أن هذا الحديث لا ينطبق على مجلسنا أو المجالس المباركة في هذه الليلة ... الحديث واضح وصريح.

اجتهاده ﷺ في ليلة النصف من شعبان

أما عن احتفائه ﷺ بنفسه بهذه الليلة ففيه عدة أمور:

الأمر الأول هو استجابة الله تعالى له ﷺ فيها ، فقد ورد فيه أن الله استجاب له فيها مرتين المرة الأولى مرة بمكة قبل الهجرة، والمرة الثانية بالمدينة.

---

٦٧ أبو النعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس.
٦٨ عن ابن عباس في كتاب سند الدارمي.

أما في مكة فعندما طلب منه أهل مكة آية، وقالوا يا محمد سل ربك أن يترل لنا آية نراها ونؤمن بك أجمعين، فسأل الله تعالى فترل في هذه الليلة الأمين جبريل وقال: يا محمد قل لهم إن يجتمعوا في هذه الليلة يروا آية، فاجتمعوا حول الكعبة، ولم يكن حول البيت بناءاً إلا الكعبة فكانوا يصلون ورءوسهم إلى السماء وموضع الصفا والمروة لم يكن إلا أحجار الجبلين، وكانت خارج البيت، فالبيت كان الجزء من الكعبة إلى زمزم ومكشوف فاجتمعوا والقمر في هذه الليلة بدر كامل فأشار ﷺ إلى القمر بإصبعه فانشق نصفين[69]، نصف على الصفا، ونصف على المروة فأخذوا يغمضون عيوهم ويفتحوها فيجدونه وقد ظل على حالته، فذهبوا إلى بيوهم وجلسوا ردحاً من الزمن ثم رجعوا فوجدوه على هيئته، ومع ذلك ما زادهم إلا تكذيباً وكانوا كما قال الله فيهم ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (٢القمر).

وقالوا شيبتنا يا محمد بسحرك، فقال بعض عقلائهم ننتظر حتى يأتي مَنْ هم مسافرون، فجاءوا بعد حين فسألوهم فقالوا نعم رأينا في هذه الليلة أن القمر قد انشق نصفين، ومع ذلك كذبوا ولم يؤمنوا لأهم لم تسبق لهم من الله ﷻ الهداية والعناية فتلك هى المرة الأولى.

أما المرة الثانية فكانت في المدينة عندما كان يتطلع إلى الله، ويرجو من الله أن يولّه قبلة أبيه إبراهيم ﷺ، وفي هذا اليوم وعند صلاة الظهر وكان قد دعاه إلى وليمة غذاء قوم يسمون بني سالم بن عوف فقال آتيكم بعد صلاة الظهر، قالوا لا، تأتي عندنا وتصلي في منازلنا حتى تحلّ علينا البركة وافترشوا في منازلهم في ساحة أمام المنازل فراشاً وأذن لصلاة الظهر وصلى بهم ﷺ ركعتين تجاه بيت المقدس وعندما كان في التشهد الأوسط نزل عليه الوحي بقول الله ﷻ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وحتى لا نظن أنه خطاب خاص به، عمّنا ببقية الخطاب فقال ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١٤٤البقرة)، فالتفت النبي ﷺ عندما قام إلى الركعة الثالثة تجاه الكعبة وصلى مَنْ خلفه بصلاته، فصلوا هذه الصلاة الفريدة ركعتين تجاه بيت المقدس والأخيرتين تجاه بيت الله الحرام، وروى فى الحديث:

{ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُم آتٍ فَقَالَ: إِنّ رَسُولَ اللّهِ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللّيْلَةَ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا. وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ.}[70]، فهم لم يكملوا الصلاة ولم ينتظروا حتى يستوثقوا منه بل اتجهوا بمجرد سماعهم إلى بيت الله الحرام ... فانظر إلى تعظيم المسلمين لأمر إخوانهم بمجرد أن قال لهم هذا

٦٩ ستأتي نصوص وتخريج الأحاديث الدالة فى هذا الفصل ببحث : إنشقاق القمر وثبوته بالكتاب والسنة بصفحة ٣١٢.
٧٠ عَنِ ابْنِ عُمَرَ صحيح مسلم

القول وهم في الصلاة لم يجادلوه! ولم ينتظروا حتى ينتهوا! بل فوراً اتجهوا وهم في الصلاة إلى بيت الله الحرام تصديقاً لأخيهم المؤمن الذي بلّغهم عن رسول الله ﷺ.

والأمر الثانى هو تعبده ﷺ في هذه الليلة المباركة واجتهاده فى الصلاة و الدعاء ، وفى ذلك ورد فيما رواه الإمام ابن خزيمة في صحيحه أن السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها وكانت ليلتها، إذ جاء النبي ﷺ إليها ونام بجوارها والتحفا معاً بلحاف واحد، ثم قال يا عائشة أتأذنين لي أن أتعبد لربي في تلك الليلة؟ فقالت يا رسول الله إني أحبك ولا أحب فراقك ولكن أؤثر هواك على هواي فاعبد ربك كما تريد، فخرج ﷺ واستبطأته فخرجت تبحث عنه فوجدته في البقيع ساجداً يقول في سجوده:

{ أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَفَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَوْ يَا حُمَيْرَاءُ أَظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ خَاسَ بِكِ؟ قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ، فَقَالَ: أَتَدْرِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هذِهِ؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ }[٧١]

وفى رواية أخرى لعائشة ﵂ فى هذه الليلة :{ فَمَا زَالَ قَائِماً وَقَاعِداً حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، فَأَصْبَحَ وَقَدِ اضْطُهِدَتْ قَدَمَاهُ وَإِنِّي لأَعْمُرُهَا وَأَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَلَيْسَ غَفَرَ اللَّهُ تَعَالىٰ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ! أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً }[٧٢]

إذن هذه الليلة أخبر عنها المصطفى ﷺ وأمرنا بقوله أن نحييها ونصومها ونجتهد فيها فى الدعاء : { إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا }[٧٣] .وأحياها ﷺ بفعله مجتهداً بشدة فى الدعاء والقيام كما أوردنا خبر السيدة التقية النقية السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيه الصديق.

كما استجاب الله ﷻ له فيها في مكة وفي المدينة، فخبرها محقق وما جيئ فيها يقين لا يتذبذب عنده لأى مؤمن قوي الثقة بربه ﷻ، كل ما هنالك أن هذا الاجتماع الذي نحن فيه الآن لم يحدث في زمانه ولم يجتمع ﷺ مع إخوانه في هذه الليلة في هذا الاجتماع، لكن الاجتماع مشروع ما دام لطاعة الله، وعبادة الله في أي ظرف وفي أي مكان.

---

٧١ عن علي بن أبي طالب رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.
٧٢ ابن شاهين في الترغيب، جامع المسانيد والمراسيل
٧٣ سنن ابن ماجة عن علي بن أبي طالب

صيام الأيام البيض

أما الصيام فمن نوى الصيام فإن الليالي التي نصوم فيها هي الليالي البيض، والأيام هي الأيام البيض والأيام البيض هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وصيامها مسنون عن أبينا آدم عليه السلام فقد ورد في فتاوى بن حجر أنه لما خرج من الجنة اسوَّد جسمه، فصام يوم الثالث عشر فابيض ثلث جسمه، فصام يوم الرابع عشر فابيض ثلث جسمه، فصام يوم الخامس عشر فابيض جسمه كله ولذلك تسمى الأيام البيض لأنها بيضت جسم آدم أو لأن القمر بضوءه يبيض فيها وجه الأرض ولذلك فمن صامها فإن الله يبيض قلبه من سواد الدنيا.

كل ما هنالك وما علي أن ألاحظه إذا صمت اليوم الخامس عشر فإن كان يوم جمعة لابد أن يسبقه يوم أو يلحقه يوم لكراهة إفراد الجمعة بمفرده بصيام، وأن لا أنوي فيه الاستنان برسول الله ﷺ لأنه لم يرد خبر صحيح بأنه صامه، أنوي الاقتداء به في صيام الاثنين والخميس لأنه صامهما، فالصيام المسنون هو الذي صامه، والصيام المستحب هو الذي أمر بصيامه ولم يصمه، فصيام عاشوراء مسنون لأن الرسول صامه ﷺ وصيام يوم تاسوعاء مستحب لأنه لم يصمه وإنما قال لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر، لكنه لم يصمه.

إذن صيام يوم الخامس عشر من شعبان مستحب فلا يجوز أن أنوي به الاقتداء برسول الله لأنه لم يصمه أو أن أنوي به صياماً مسنوناً، لكنه صوم مستحب، لكن هل هو من الأيام التي يحرم فيها الصيام؟ الأيام التي يحرم فيها الصيام يوم العيدين ويوم الشك على قول بعض الأئمة، و هل هو من الأيام التي يكره فيها الصيام؟ أبداً ! ... إذاً ما الذي يمنعني أن أصوم أي يوم شئت لله ﷻ؟ (ملاحظة تركنا تخريج أحاديث صيام الأيام البيض لإشتهارها).

حقيقة الدعاء الوارد في ليلة النصف

فمن هنا اتفق الأئمة العلماء الفقهاء على الاحتفال بهذه الليلة، وعلى قيام ليلها بالعبادات، بعضهم كان يتلو سورة يس ويدعو بما تيسر ،والدعاء الذي يقرأ من هذه الكتب المنشورة ليس عن رسول الله ﷺ ،وإن كان وارداً عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ.ونصه الوارد في كتب الحديث هو . { كَانَ إِدْرِيسُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام يَدْعو بِدَعْوَةٍ، كَانَ يَأْمُرُ أَنْ لاَ تُعَلِمُوهَا السُّفَهَاءَ، فَيَدْعُونَ بِهَا، فَكَانَ يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَيَا ذَا الطَّوْلِ وَالإِنْعَامِ، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، ظَهْرَ الاَّجِينَ، وَجَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَأُنْسَ الْخَائِفِينَ، إِني أَسْأَلُكَ، إِنْ كُنْتُ فِي أُم الْكِتَابِ شَقِيّاً، أَنْ تَمْحُوَ مِنْ أُم الْكِتَابِ شَقَائِي، وَتُثْبِتَنِي

عِنْدَكَ سَعِيداً، وَإِنْ كُنْتُ فِي أُم الْكِتَابِ مَحْرُوماً، مُقَتَّراً عَلَيَّ فِي رِزْقِي، أَنْ تَمْحُوَ فِي أُم الْكِتَابِ حِرْمَانِي، وَإِقْتَارَ رِزْقِي، وَاثْبُتْنِي عِنْدَكَ سَعِيداً مُوَفَّقاً لِلْخَيْرِ كله } ٧٤

وما يعترضون عليه فيه هي الجملة التي تقول (اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً فامحو الله شقاوتي) والرد هنا أن هذا ليس بشئ غريب ولا عجيب لأن الله قال في القرآن ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (٣٩الرعد)، لم يقل محا الله وإلا كان انتهى المحو وانتهى الإثبات ولكنه جاء بصيغة المضارع لأن المحو والإثبات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩الرعد)﴾ يعني يغير ويبدل كما يريد ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء).

ونحن نرى المحو والإثبات كل يوم وكل ليلة فكنا هنا بالنهار محي الله النهار وجاء الآن بالليل وسيمحو الآن الليل ويأتي النهار ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (١٢الإسراء)، فالليل والنهار محو وإثبات مستمر، يمحو الله كل ليلة عباداً فيميتهم، ويثبت عباداً فيولدون، فالولادة إثبات والموت محو، يمحو الله المزروعات التي نحصدها، ويثبت المزروعات التي نبذرها، يمحو الله الذنوب التي نستغفر فيها، لو أنكرنا المحو والإثبات فكيف يغفر لنا الله يمحو الذنوب، ويثبت الحسنات ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان)، بل حتى في القضاء فهناك قضاء مبرم، والذي أبرمه لا يعلمه إلا هو! وهناك قضاء معلق لا يعرفه أيضاً إلا هو، فالتقدير بيدي العلي القدير، والمقادير الذي وضعها هو صاحب التقدير وهو ﷻ منه البدء وإليه المآب وإليه المصير، فهذا الدعاء وارد عن سيدنا عبد الله بن مسعود وليس فيه شئ يعترض عليه في دين الله ﷻ الصحيح والمعتدل .

صلاة التسابيح

ومنهم من كان يحييها بصلاة التسابيح لأن النبي ﷺ قال فيما رواه أبو داود والترمذي لعمه العباس ﷺ { يَا عَبَّاسُ يَاعَمَّاهُ أَلاَ أُعْطِيكَ؟ أَلاَ أَمْنَحُكَ؟ أَلاَ أَحْبُوكَ؟ أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ الله لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ عَشْرَ خُصَالٍ أَنْ تُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثم بين له كيفيتها وهيئتها وقال: فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ فَافْعَلْ، فإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فإِنْ لَمْ تَفْعَل فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً }[٧٥].
ولذلك نجد بعض الصالحين يجتمعون لصلاتها كل أسبوع بعد عشاء الخميس باستمرار في

---

٧٤ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جامع الأحاديث والمراسيل، كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا في الدعاء.
٧٥ رواه الترمذي وأبي داوود والبيهقي في سننه الكبرى

جماعة، وبعضهم يصليها في الليالي الفاضلة: ليلة النصف، وليلة السابع عشر من رمضان (ليلة بدر) والليالي الوترية من العشر الأواخر من رمضان: { **فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ** }[٧٦]، وليلتي العيدين لقوله ﷺ { **مَنْ أَحْيَا لَيلةَ الفِطرِ وليلةَ الأضحى لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يومَ تَمُوتُ القُلُوبُ** }[٧٧]، وليلة عرفة، وليلة عاشوراء، وليلة المولد. الليالي الفاضلة التي قال فيها الحبيب ﷺ: { **مَنْ أَحْيَا اللَّيَالِيَ الأَرْبَعَ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ: لَيْلَةَ التَّرْوِيَةِ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ، وَلَيْلَةَ النَّحْرِ، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ** }[٧٨]

والصلاة كلها تسابيح لله ﷻ ولها روايتان، ونحن نصلي كي نأخذ الحسنيين، فنصلي ركعتين على رواية، وركعتين على الرواية الثانية، فالرواية الأولى بعد تكبيرة الإحرام يقول المرء (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) خمس عشرة مرة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة أو ما تيسر من الآيات، ويكرر التسبيح عشر مرات وهو واقف، وفي الركوع عشر، وبعد سمع الله لمن حمده وهو واقف عشر، وفي السجود عشر، وبين السجدتين عشر، وفي السجدة الثانية عشر، فيكون في الركعة خمس وسبعون تسبيحة، أما الرواية الثانية فبعد تكبيرة الإحرام يفتتح الصلاة بقراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن ثم يقول (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) خمس عشرة مرة، ثم يركع فيقول عشراً، ثم يرفع من الركوع فيقول عشراً وهو واقف، وعشراً في السجدة الأولى، وعشراً بين السجدتين، وعشراً في السجدة الثانية فيتبقى عليه عشراً، يقولها قبل قيامه للإتيان بالركعة الثانية، وقبل قراءته للتشهد في الركعة الثانية، فنصلي ركعتين بالرواية الأولى وركعتين بالرواية الثانية لنجمع الحسنيين.

وأوصى الصالحون بالإكثار من الاستغفار في هذه الليلة وخاصة سيد الاستغفار { **اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ** }[٧٩]، وأوصوا بأن يقضيها الإنسان في طاعة الله، لا يشغل أي جزئية من الوقت فيها بسهو أو غفلة، فلا يشاهد فيها تلفازاً ولا يقضيها في قيل وقال أو لهو أو لغو أو لعب، بل يجعل هذه الليلة كلها مع الله ومع أحباب الله ومع طاعة الله ﷻ، أسأل الله ﷻ أن يوفقنا لفعل الخيرات وعمل الطاعات والمحافظة على النوافل والقربات وأن يجعل أوقاتنا كلها في رضاه وأن يحفظنا من الغفلة والسهو النسيان ويجعلنا من أهل الفكر والذكر والحضور، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٧٦ عن ابن عباس في السنن الكبرى للبيهقي ومسند الإمام أحمد.
٧٧ رواه الطبراني في الكبير والأوسط
٧٨ (ابن عساكر) عن معاذ.
٧٩ عن شداد بن أوسي رواه البخاري والنسائي والترمذي.

المحرومون من عفو الله في ليلة النصف من شعبان[80]

الحمد لله الذي أضاء نور أحبابه، وخص عباده بأسمائه وصفاته، وكتر عطائه وهباته سيدنا محمد ﷺ باب فضل الله، وخير خلق الله، باب الاصطفاء لعباد الله، ﷺ وعلى آله الهداة وأصحابه الداعين إلى الله بالله وكل من تبعهم على هذا النهج القويم من رجالات الله، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وعلينا معهم أجمعين.

أما بعد.. فهذه الليلة ليلة النصف من شهر شعبان يقول فيها ﷺ: { **يَسِحُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَيْرَ فِي أَرْبَعِ لَيَالٍ سَحًّا: لَيْلَةَ الأَضْحَى وَالْفِطْرِ، وَلَيْلَةَ النصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يُنْسَخُ فِيهَا الآجَالُ وَالأَرْزَاقُ وَيُكْتَبُ فِيهَا الْحَجُّ، وَفِي لَيْلَةِ عَرَفَةَ إِلى الأَذَانِ**}[81]

ففضل الله يترل في هذه الليلة من الوفرة والكثرة حتى أن الملائكة الكرام لتعجب من كثرة ووفرة ما يترله الله في هذه الليلة من البركة والخير لجميع الأنام، وأعظم ما في هذا الخير – والخير الذي يحتاجه المسلم إما لدنياه وإما لأخراه – فأعظم الخير في الدنيا هو استجابة الدعاء أي أن الله يستجيب لكل مؤمن بما يدعو به مولاه في تلك الليلة ما لم يدع على أحد ظلماً وعدواناً أو يدعو على أحد بأن يقطع رحمه أو يدعو على أحد بأن يرتكب محرماً أو إثماً أومعصية، فهذه دعوة ظالمة.

أما إذا دعا بالتوفيق لنفسه أو لأهله أو لأولاده أو لإخوانه أجابه الله على التحقيق، ولا شك في هذه الإجابة، وإذا دعا بخير في الدنيا أو الآخرة أيضاً لمن ذكرنا استجاب الله تعالى له، أما بالنسبة للآخرة فإن الله بفضله وكرمه ومنه وعفوه يعفو عن أهل الإستقامة وأهل التعرض لنفحات فضله وإن لم يدعوه ويستغفروه لأنه يتفضل بادئ ذي بدء في هذه الليلة فيغفر مغفرة تعم جميع خلقه إلا ستة أصناف لم يشملهم قرار هذا العفو ويقول في ذلك رسول الله ﷺ: {**أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: هذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلِلّهِ فِيهَا عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ، وَلاَ يَنْظُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَى مُشْرِكٍ، وَلاَ إِلَى مُشَاحِنٍ، وَلاَ إِلَى قَاطِعِ رَحِمٍ، وَلاَ إِلَى مُسْبِلٍ، وَلاَ إِلَى عَاقٍّ لِوَالِدَيْهِ، وَلاَ إِلَى مُدْمِنِ خَمْرٍ**}[82]

هؤلاء القوم هم الذين يحرمون من هذا الفضل الإلهي في هذا الحديث يضاف إليهم صنف آخر رواه حديث آخر وبذلك استكمل الموانع في قرار التوبة والأوبة والعفو إلا لهؤلاء السبعة وقد قال ﷺ: {**يَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمومِنِينَ،**

---

٨٠ كانت هذه المحاضرة في الاحتفال بليلة النصف من شعبان بدار الصفا بالجميزة غربية يوم ١٤ من شعبان ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/١١/٢٢م.

٨١ الدَّيلمي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٨٢ رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ [عَائِشَةَ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحَقْدِ لِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوْهُ}٨٣

أي أن الذي في باطنه حقد أو حسد على أحد من المسلمين لا يستجيب الله لـــه، ولا يحقق رجاءه ولا يغفر له في هذه الليلة، والحقد هو أن الإنسان يستكثر الخير على المــؤمنين ويرى أنه أولى به منهم، وإذا كثر الحقد تحول إلى الحسد، والحسد هو تمـــني زوال النعمـــة، فيتمنى من الله أن هذه النعمة تزول عن أخيه، إن كان صحيحاً بأن يمرض، وإن كان غنياً بأن يفتقر، وإن كان أولاده موفقين أن يخذلوا، وهذه الصفة لا توجد بـــالأحرى في أي مـــسلم عادي فضلاً عن المسلمين المستقيمين، فإن أي مسلم لا يتمنى من الله إلا الخير للمـــسلم لأن هذا هو أساس قبول الأعمال عند الله ﷻ بالنسبة لأمة الإسلام أجمعين.

نسخ الآجال و المواليد و الأرزاق

هذه الليلة ورد فيها حديث آخر يبين ميزها قال فيه ﷺ: { **تُقْطَعُ الآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى** }٨٤ فملك الموت ومساعدوه ومعاونوه من ملائكة الموت يتلقون في هذه الليلة كل خطوط سيرهم طوال العام لمن يقبضون أرواحهم في هذا العام إلى الليلة الآتية من العام القـــادم، وفى ذلـــك الحـــديث الشريف أيضاً رواية أخرى أنه ﷺ قال: { **أنه شهر تنزل فيه الآجال وأحب أن ينزل أجلي وأنا في عبادة ربي** }[٨٥]، وفى الحديث المعروف عن عائشة ﵂ أنه ﷺقال لها:{ **هَلْ تَدْرِين مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟**- أى ليلة النصف من شعبان - **قُلْتُ: وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: فِيهَا يُكْتَبُ كُلُ مَوْلُودٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَفِيهَا يُكْتَبُ كُلُ مَيِّتٍ، وَفِيهَا تَنْزِلُ أَرْزَاقُهُمْ، وَفِيهَا تُرْفَعُ أَعْمَالُهُمْ** }[٨٦]

عرض ورفع الأعمال

ولذلك عندما سئل رسول الله ﷺ عن اختصاصه شهر شعبان بإكثـــاره مـــن الـــصيام قال ﷺ مبيناً ذلك في رواية أنه قال: { **وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ** }[٨٧]، فهو شهر ترفع فيه الأعمال، عمل العام كله يرفـــع في هذه الليلة مع إننا نعلم أن العمل يرفع أو يعرض قبل ذلك على ثلاث مرات، العمل يرفع في وقت فعله إلى الله ورسوله ثم يؤخره الله ﷻ بفضله ومنه وكرمه، ويؤخر قبوله إذا كان فيه

---

٨٣ رواه الطبراني عن أبي ثعلبة رضي الله عنه.
٨٤ ابن زنجويه عن سعيد بن الْمُسيب عن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.
٨٥ أخرجه الخطيب فِي التاريخ وأبو يعلي عَن عائشة.
٨٦ ابن شاهين فِي التَرغيب، جامع المسانيد والمراسيل، ومثله فى مشكاة المصابيح.
٨٧ عن أسامة بن زيد رواه النسائي، الإمام أحمد.

سوء أو معصية لعل العبد يتوب إلى الليل ويأمر الحفظة الكرام أن ترفعه أي تعيد عرضه مرة أخرى عند النوم { **تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرّاً اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ** }[88] فإذا كان هناك سوء أو وزر وصاحبه مصرّ عليه أخـرَّ الله هـذا وأمـر الملائكة أن ترفع إليه العمل وتعرضه يومى الأثنين و الخميس وأفهمنا ذلك ﷺ عندما نـصح أصحابه بصيامه هذين اليومين فقال: { **تُعْرَضُ الأعمالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ والخَميسِ فأُحِبُّ أنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وأنا صَائِمٌ** }[89] فمن تـاب تـاب الله عليـه: { **تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ، وَمِنْ تَائِبٍ فَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ بِضَغَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا** }[90] . ثم يمهل الله المؤمنين مرة أخرى ويترك لهم الفرصـة ليتوبـوا ويرجعـوا إلى الله وينيبوا إليه، فيأمر الملائكة أن ترفع العمل عمل العام كله في ليلة النصف من شعبان.

الإكثار من الاستغفار

وهذا ما جعل الأئمة الكرام يحيون هذه الليلة بالتوبـة والاسـتغفار والأنـين إلى الله، يتوبون ويستجيرون، فإن الله يغفر ذنوبهم، ولذلك استحسن الأئمة الكـرام الاكثـار مـن الاستغفار فيها وخاصة سيد الاستغفار والذي يقول فيه ﷺ سيد الاسـتغفار: {**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَاغفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**}[91] ثم قال ﷺ مبيناً فضله: {**فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ مُوقِنا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**}[92].

ولذلك استحسن الأئمة الكرام أن يبدأ الإنسان به بعد صلاة الصبح وأن يبدأ به بعـد صلاة المغرب، ليبدأ به أول النهار ويبدأ به أول الليل فيكون قد ضمن لنفسه دخول الجنة إن مات نهاراً، ودخول الجنة إن مات ليلاً فيكثر فيه من الاستغفار ويقرأ فيه سورة يس كما قرأنا لقوله ﷺ: { **مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يس فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ** }[93] ونثلثها لأن التثليث سـنة عن رسول الله ﷺ، وبعضهم كان يقضي الليلة في الصلاة، لأن الصلاة من أعظم أبواب الخير التي يدخل بها العبد على مولاه ﷻ.

عموماً فأقل الأعمال خفة على اللسان وثقلاً في الميزان هو الاستغفار، فما على المرء في هذه الليلة أن لا يجعل لسانه يبخل عليه بالاستغفار في تلك الليلة جملة، لا يسكن ولا يكـل

---

٨٨ ابن سعد عن بكر بن عبد اللّه مُرسَلاً، جامع المسانيد والمراسيل
٨٩ عن أبي هريرة سنن الترمذي والكثير غيرها
٩٠ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواه الطبراني، ورواته ثقات الترغيب والترهيب
٩١ عن شدَادَ بن أوسي رواه البخاري والنسائي والترمذي.
٩٢ عن شداد بن أوس رواه النسائي والبخاري والترمذي.
٩٣ في صحيح ابن حبان عن جندب ورواه ابن مالك وابن السني وابن حبان في صحيحه.

ولا يمل من ترداد الاستغفار حتى يعمنا الله بمغفرته ويكتب لنا فضله وبره وخيره وجوده وكرمه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

معجزة إنشقاق القمر وثبوتها بالقرآن والسنة

أما ثبوتها بالكتاب فقد أجمع أهل العلم على ذلك من قول الله تعالى :فى سورة القمر: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ ﴾ ، وقد أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع المفسرون وأهل السنة على أن وقوعه قد تمَّ بالفعل وأنه لا خلاف فى ذلك.

وأما ثبوتها بالسنة ، فقد كثرت الروايات فى ذلك وهى أكثر من أن تحصى فى هذا المجال وسنورد القليل منها للتدليل، وعلى راغبى المزيد الرجوع للمراجع والمطولات:

أخرج البخارى عن ابن عباس : { **إنّ القمرَ انشقّ على زمان رسولِ اللّهِ ﷺ** }، وعن ابن مسعود ﷺ قوله: { **انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا** }، وقد كانت هذه الآية بطلب وتعيين من أهل مكة لما جاء فى الحديث : { **أنّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ اللّه ﷺ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهمُ القَمَر شِقَّتَين، حتى رأوا حِراءً بينهما** } .[٩٤]،وفى الرواية الأخرى:{ **انشقّ القمرُ ونحن مع النبيِّ ﷺ بمنى فقال: اشهَدوا، وذَهبت فِرقة نحوَ الجبل** }.٩٥، ولا تعارض بين الروايات بمنى أو بمكة لأن ذلك كان بمكة قبل الهجرة فمن رآها بمكة أخبر، ومن كان بمنى قد رآه وهو بها فأخبر، ومنى من جملة مكة على أية حال.

وأما الروايات التى وردت أنه انشق مرتين فقد أجمع أهل العلم أن الإنشقاق وقع مرة واحدة قبل الهجرة، وحملوا مرتين غتلباً على أن الراوى رأى الآية أولاً ثم عادزا إلى بيوتهم فدخلوا وخرجوا ورأوه ثانية مازال منشقاً، أو رأوه بمنى ثم عاد إلى مكة فرآه فقالوا مرتين.

و رواه عنه مسروق وزاد: { **فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة ! فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر: هل رأوا هذا ؟ فأتوا، فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك** }، و حكى السمرقندي عن الضحاك نحوه، وقال:{ **فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا: أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبرأهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا ـ يعني الكفار: هذا سحر مستمر** } .

---

٩٤ أخرجه الإمام البخاري ﷺ عن عن أنس بن مالكٍ ﷺ
٩٥ أخرجه البخارى عن أبي مَعْمرٍ عن عبدِ ٱللّه بن مسعود رضيَ اللّه عنه

وأخرج أبو نعيم ألصبهاني في دلائل النبوة بلفظ { انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت كفار قريش: هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة، فانظروا إلى السفار، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق، قال: فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك } لفظ هشيم، وعند أبي عوانة { انشق القمر بمكة . نحوه وفيه . فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم }، وفى الدلائل أيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى فى سورة القمر: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾، قال: { اجتمعت المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث ونظراؤهم كثير فقالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقا فشق القمر لنا فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ الله ﷻ أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادي: يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا }.

الفصل الثالث

كيفية إحياء ليلة النصف من شعبان

آداب الاستعداد لليلة.

١- التوبة، ٢- العفو عمن ظلمك، ٣- بر الوالدين وصلة الرحم. ٤- الطهارة الظاهرة والباطنة. ٥- التوسعة على الأهل والأولاد فيها. ٦- الإكثار من قول : يا غفور يا رحيم يا تواب يا كريم يا الله.

إحياء ليلة النصف من شعبان

إذا غربت شمس ليلتها أسرع المسلمون إلى صلاة المغرب وبعدها يصلون ست ركعات يسألون الله تعالى بين كل ركعتين بالدعاء الذي يرد على البال وعقب كل دعاء يقرأون سورة يس لقوله ﷺ { مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يس فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ}٩٦.

---

٩٦ في صحيح ابن حبان عن الحسن بن جندب ورواه ابن مالك وابن السني وابن حبان في صحيحه.

إحياؤها عند السلف الصالح

- صيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، مع التضرع إلى الله عقب كل صلاة في الأيام الثلاثة بهذا الدعاء: {{ اللهم لك الحمد ولك الشكر، كما تحب وترضى، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أسألك أن تصلي وتسلم وتبارك على ذات حبيبك ومصطفاك سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة، والنجاة من النار، لا تدع لي ولا لأحد من إخواني ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها ويسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٢٨٥-٢٨٦البقرة) [١٠ مرات] وفي كل مرة تكرر ﴿ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ مائة مرة ثم يصلي على رسول الله ﷺ.}}.

- صلاة ست ركعات بعد كل مغرب في الأيام الثلاثة والدعاء بين كل ركعتين بهذا الدعاء (لبيك وسعديك والخير كله بيديك لا إله إلا أنت لك الحمد ولك الشكر حتى ترضى أسألك يا منزل القرآن في ليلة الفرقان يا قابل التوب وغافر الذنب يا من سبقت رحمتك غضبك ووسعت كل شيء، أسألك أن تجعلني يا إلهي ممن سبقت لهم حسناك وقدرت لهم عنايتك.إلهي. إلهي. إلهي، اجعلني ممن غفرت لهم ذنوبهم وسترت عيوبهم ووسعت لهم أرزاقهم.إلهي. إلهي. إلهي، اسعدني بإحسانك وفرحني بفضلك ورحمتك واعزني بعنايتك، وفّ يا إلهي ديني واصلح لي ذريتي واجعلني باراً بوالدي وصالاً لرحمي رحمة لإهلي وإخواني وأولادي وجيراني واحفظني يا إلهي من المعصية وأسبابها، ومن الأمراض ومن شر الأشرار ومن كيد الفجار، واهلك أعدائي وادفع عني شرورهم وكن لي ومعي، ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يا حي يا قيوم يا باسط يا ودود يا معطي يا وهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- صلاة التسابيح عقب صلاة العشاء ليلة النصف.
- صلاة مائة ركعة جماعة في جوف ليلة النصف، وقراءة سورة الإخلاص (عشر مرات) في كل ركعة.
- الإكثار من ترديد سيد الإستغفار (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)..

الباب الخامس

شهر رمضان المعظَّم وعيد الفطر المبارك

قال الصادق المصدوق ﷺ فيما أعدَّ اللهُ للصائمين فيما رواه ابن حبان في كتاب الثواب، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما:

﴿ فَإذا بَرَزوا إلى مُصَلاَّهُمْ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل لِلْمَلائِكَةِ: مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إذا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: إلهَنَا وَسَيِّدَنَا جَزَاؤُهُ أَنْ تُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَلائِكَتِي أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ رِضَايَ وَمَغْفِرَتِي ﴾

الخطبة الأولى

نيّة الصائم وثواب عمله[1]

الحمد لله ربِّ العالمين، يحب عباده المؤمنين فيدعوهم إلى التطهر والتوبة في كل وقت وحين، يفتح لهم أبواب العبادات ليرفعهم عنده درجات ويدعوهم إلى الطاعات والنوافل والقربات ليعطيهم بذلك عنده يوم الجزاء منحاً وعطاءات وإكرامات، سبحانه سبحانه، هو الرحيم بعباده اللطيف بخلقه الذي يسعى بهم إليه ويدلهم على العمل الصالح المرضى إليه، ويبين لهم أبواب الخير والبر المقبولة عنده ولديه وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعة الطائعين وإنما الأمر كما قال عن نفسه في قرآنه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، الذي اصطفاه وحباه وقربّه وأدناه وجعله رحمة مهداه ونعمة مسداة لجميع خلق الله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارزقنا جميعاً حسن إتباعه في الدنيا وشفاعته العظمى في الآخرة وجواره في جنات النعيم. آمين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله: نحن نستعد جميعاً الآن لاستقبال شهر رمضان وفريضة الصيام. كيف نستعد؟ وكيف نتجهز لاستقبال شهر الصوم؟

أما العوام فيستعدون بتجهيز المأكولات والمشروبات والمسلّيات والأمور التي يضيعون بها الأوقات فتكون عليهم يوم القيامة حسرات ومصيبات، فالذين يضيعون أوقات رمضان في المسليات والمسلسلات الهابطات سيقولون جميعاً يوم القيامة كما أنبأ الله ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر) ، ولا تنفع الحسرة في ذلك اليوم ولا ينفع التوجع أو التألم في ذلك عندها!!! لأن يوم العمل قد فات ويوم إعطاء الثواب أو العقاب هو الآت.

إذاً كيف يتجهَّز المسلم، وكيف يتجهَّز المؤمن، وكيف يستعد المحسن، والموقن، لشهر رمضان الكريم؟ أولاً يجرد نيته ويحضر سريرته ويُصفّي نفسه وقلبه لله ﷻ ويُحدد لنفسه وجهة يطلبها من مولاه ويبتغي بعمله في شهر الصيام تحقيق ما أمّله من الله والفوز بما يرجوه من كرم الله ﷻ، ..... وأقل المؤمنين عند الله ﷻ شأناً قال فيه ﷺ: {مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ} [2].

---

[1] كانت هذه الخطبة بمسجد الشهيد عبد المنعم رياض بمدينة بنها يوم الجمعة غرة رمضان ١٤١٧هـ/ ١٠ من يناير ١٩٩٧م.

[2] رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة.

وقال البخارى في كتابه الأدب أنَّ النَّبيَّ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ فقـال: {آمينَ آمينَ آمينَ. قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّكَ حينَ صَعِدْتَ المِنْبَرَ، قُلْتَ: آمينَ آمينَ آمينَ، قال: إنَّ جِبْريلَ أتاني فَقالَ: مَنْ أدْرَكَ شَهْرَ رَمَضانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأبْعَدَهُ اللهُ قُلْ: آمين...} وفي رواية: { شقي من أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت: آمين}.

فالذي يدرك شهر رمضان ويوفقه الرحمن ﷻ لحضور أيام شهر رمضان عليه أن يستحضر في نفسه وعليه أن ينوي في قلبه وعليه أن يجهز في سريرته من الآن لماذا يصوم شهر رمضان؟ فإذا كان يصومه للعادة المرعية كما يصوم الناس ولم يحدد لنفسه وجهة عند رب الناس فليس له أجر ولا ثواب عند الله ﷻ لقوله ﷺ: {إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى}[٣] ومن يصومه خوفاً من لوم من حوله ويتمنى في نفسه أن يذهب إلى مكان بعيد فيفطر فيه هذا يقول الرسول الكريم ﷺ فيه: { رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ }[٤] لأنه يصوم عن غير اقتناع وعن غير رضا بأمر الله وعن غير محبة لتنفيذ شرع الله والله ﷻ لا يعطى الثواب إلا لمن عمل العمل خالصاً ابتغاء وجهه ﷻ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف).

إذاً ماذا يفعل المسلم؟ ينوى من الآن أن يصوم شهر رمضان لينال في نهايته شهادة بالغفران من الحنان المنان ﷻ فينوى الصيام لطلب المغفرة وينوى الصيام لمحو ذنوبه وستر عيوبه، وتكفير سيئاته، وزيادة حسناته عند الله ﷻ، وهذا هو الذي أخذ بوجه من قوله سبحانه في بيان حكمة الصيام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ لماذا يارب؟ وما الحكمة يا الله؟ .... ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة).

لكي تأخذ نصيباً من ميراث التقوى وينالك فضل من عطاء الأتقياء من الله ﷻ، وأقل نصيب للأتقياء وأدنى حظ للمسلمين والمؤمنين من عند الكريم ﷻ يقول فيه ﷺ: { فَإذَا بَرَزُوا إلَى مُصَلَّاهُمْ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلائِكَةِ: مَا جَزَاءُ الأجِيرِ إذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: إلهنَا وَسَيِّدَنَا جَزَاؤُهُ أنْ تُوَفِّيَهُ أجْرَهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَلائِكَتِي أنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ رِضَايَ وَمَغْفِرَتِي، وَيَقُولُ: يَا عِبَادِي سَلُونِي فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لا تَسْألُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إلاَّ أعْطَيْتُكُمْ وَلا لِدُنْيَاكُمْ إلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ }[٥] فينصرفون من بين يدى الله ﷻ وقد غفر لهم ذنوبهم وأصبحوا بين يديه كما يحب تائبين طاهرين أنقياء أبرياء كما قال سبحانه في قرآنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

---

٣ متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب.
٤ رواه أحمد والدارمي في مشكاة المصابيح عن أبي هريرة.
٥ رواه ابن حبان في كتاب الثواب والبيهقى عن ابن عباس.

وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة).

والذي يريد المغفرة ماذا يعمل من أجل أن يأخذ المغفرة في شهر رمضان؟ ينظر إلى أبواب المغفرة التي فتحها الله لعباد الله والتي بينها ووضحها سيدنا رسول الله ﷺ فيأخذ بها جميعاً ولا يترك باباً واحداً منها عسى أن ينظر الله ﷻ إليه وهو على هذا العمل فيمن عليه بمغفرته ﷻ ،فعليه أن يصوم إيماناً واحتساباً وكلمة إيماناً يعني عن اقتناع!!!

يعرف حكمة الصيام ويتعلم الأسباب التي من أجلها فرض الله علينا الصيام سواء كانت أسباباً طبية أو أسباباً نفسية أو أسباباً اجتماعية أو أسباباً شرعية وإن لم يستطع أن يحصلها بنفسه يسأل فيها العلماء حتى يصوم عن اقتناع تام لأن الصيام فيه مصلحة عاجلة له في الدنيا في جسمه وفيه منفعة أكيدة له في الدنيا في نفسه وفيه أجر كبير في العقبى عند ربه ﷻ فيصوم كما قال ﷺ في شأن هؤلاء: { لَوْ يَعْلَمُ العِبَادُ مَا فِي رَمضانَ لتمنّتْ أُمّتِي أنْ تَكونَ السَّنَةُ كُلُّها رمضانَ }[٦] فالذي يعلم هذا الخير والذي يعلم هذا البر يتمنى أن يكون هذا الشهر طوال العام لا يتبرم منه ولا يشكو منه ولا يصدر منه في يوم من أيام الصيام كلمات من مثل ما يقوله بعض العوام لماذا طال اليوم هكذا؟ لماذا تأخر المغرب اليوم؟ لماذا طال هذا الشهر؟ كل هذه الكلمات عقوبات وحسرات على من يقولها....

يا إخواني جماعة المؤمنين لأن المؤمن علم الحكمة التي من أجلها فرض الله ﷻ علينا الصوم فهو ﷻ غني عن تعذيب خلقه بالجوع وخيره ﷻ ملء أرضه وملء سمواته وليس في حاجة إلى صيام خلقه ليوفر النفقات أو يدخر الأقوات والأرزاق وإنما لمنافع عاجلة ومنافع آجلة يضيق الوقت بنا عن عدّها وعن شرحها وتحتاج إلى وقت آخر، فالمسلم لابد أن يتعلمها حتى يصوم وهو راض عن أمر الله وهو راض عن شرع الله فيكون من الذين يقول فيهم الله ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ (البينة) .

فإذا صام عن إيمان جعل صيامه احتساباً يعني طلباً لما عند الله لا خوفاً من الخلق ولا إعجاباً من النفس ولا طلباً للشهرة ولا للسمعة وإنما الصيام عمل يدرب المرء على الإخلاص في المعاملة للملك العلام ﷻ فالصوم سر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا الله ولذلك لا يعطي الأجر والثواب عليه إلا الله ﷻ فعندما ترتفع الملائكة الكرام بعمل الصائمين إلى الملك العلام فقد أعطاهم ﷻ وهم الكرام الكاتبون قائمة بأسعار الحسابات الإلهية والأخبار الربانية لعبادات المسلمين في كل وقت وحين، فينظرون إلى الصيام فلا يجدون فيما معهم من صحف

٦ مجمع الزوائد وجامع المسانيد والمراسيل عن ابن مسعود

أجره ولا ثوابه ولا فضله فيرفعون الأمر لله ﷻ فيقول الله ﷻ {كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ ﷻ : إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ}[7] فهو ﷻ الذي يحدد الأجر ويحدد الثواب ويحدد المكافأة على حسب نيَّة المرء عند صومه لله ﷻ .

فمن نوى بعمله المغفرة ... أعطاه الله المغفرة ، ومن نوى بعمله العتق من النيران ... أدرجه الله ﷻ في كشوف العتق من النيران التي تنزل كل ليلة من ساحة الرضوان إلى ملائكة الرحمن مكتوب تحتها هؤلاء عتقاء الله ﷻ في تلك الليلة من النيران، عدد من فى الكشف في كل ليلة سبعون ألفاً وفي ليلة الجمعة مثل باقي الأسبوع، وفي آخر ليلة من شهر رمضان ينزل كشف جامع من عند الرحمن فيه مثل عدد ما أعتق الله في سائر الشهر، فمن نوى بصيامه العتق من النيران أدرجه الرحمن في كشوفه.

ومن نوى بعمله أن يكرمه الكريم في ليلة القدر بدرجة من الدرجات العالية ومنزلة من المنازل الراقية، كأن تسلم عليه الملائكة وتصافحه، أو يحظى بالسلام من الأمين جبريل عليه السلام، أو يتمتع في تلك الليلة برؤية المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أو يحظى في هذه الليلة بسماع السلام بلا كيفية من حضرة السلام ﷻ، يعطيه الله على قدر نيته وعلى قدر سريرته وعلى قدر إخلاصه في قصده لله ﷻ يعطي الله كل واحد على قدر نيته.

قال سيدنا سلمان الفارسي ﷺ وأرضاه خطبنا رسول الله ﷺ يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان فقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ صِيَامَهُ فَرِيضَةً وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّىٰ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّىٰ فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّىٰ سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ لَه مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَىٰ هذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَى مُذْقَةِ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لاَ يَظْمَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ شَهْرٌ: أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ خَصْلَتَانِ تُرْضُونَ بِهَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَانِ لاَ غِنَىً لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لاَ

٧ رواه الدارمي في سننه وأحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة.

إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ وَأَمَّا اللَّتَانِ لاَ غِنىً بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ} [8]. ... أو كما قال { ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة} .

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي من علينا بالهدى والخير واليقين وجعلنا من عباده المسلمين وأشكره ﷻ على أن وفقنا لإتباع أوامر هذا الدين ونسأله ﷻ أن يديم علينا تلك النعمة نعمة التوفيق لشكره وحسن عبادته حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يارب العالمين .. أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ..

استعدوا من الآن لتجهيز نفوسكم وإعدادها لطاعة الله، وتركها لما عنه نهى الله، وتجهيز قلوبكم للإكثار من ذكر الله ولتلاوة كتاب الله، وللإقبال على الأعمال الصالحة التي ترضى عنا الله، واقطعوا أسباب القطيعة التي تجعل المرء إذا سأل لا يلبيه الله !! وإذا أطاع لا يقبل منه الله !!! وأهمها عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام.

فمن عق والديه لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً محقاً كان أو مبطلاً، ومن قطع أرحامه كانت الرحم هي التي تقف له بالمرصاد لأن :{ الرّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرّحْمَنِ } وقد وعدها ربُّ العباد عندما تعلقت بالعرش وقال :{ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ }[9] .

فصلوا أرحامكم وبروا آبائكم وأمهاتكم واطلبوا المغفرة فيمن أسأتم لهم من عباد الله المسلمين، واطلبوا منه أن يسامحكم حتى ندخل على شهر الطاعة وشهر البركة وشهر الخير وليس بيننا وبين الله ﷻ حجاب .... فإن الحجاب الذي يحجب الدعوة الصالحة عن الوصول إلى الله هو ما ذكرناه !!!! إما عقوق لوالديه ... أو قطيعة لأرحامه ... وإما إصراره على معصية ... وعدم رغبته في التخلي عنها ... فإذا تخلص المرء مما ذكرناه لم يكن بينه وبين الله حجاب !إذا سأله أعطاه !وإذا دعاه لباه !...

فهيا بنا جميعاً نتوب توبة نصوحاً إلى الله

<< ثم الدعاء >>.

---

٨ رواه ابن خزيمة في صحيحه وأورده صاحب مشكاة المصابيح عن سلمان الفارسي ﷺ
٩ رواه البخارى وكثير غيره عن عائشة وأبي هريرة والحديث بتمامه : {الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ. قَالَ الله مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ }

الخطبة الثانية[10]

رسالة الصيام

الحمد لله ربِّ العالمين، اللهم لك الحمد ولك الشكر على أن جعلتنا من المسلمين ومننت علينا بهذا الشهر الكريم وتفضلت علينا وجعلت أعمارنا ممدودة حتى أحاطتنا بركة أيامك ونرجو الله ﷻ أن يمن علينا بإتمام الصيام وأيامه وأن يتفضل علينا بجزيل ثوابه وإنعامه فإنه سبحانه رب قدير وهو على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل للطاعات حسنات معدودة وأصولاً محدودة إلا الصيام فقد جعله ﷻ سراً خالصاً بحضرته، وجعل ثوابه لا يعرفه ولا يطلع عليه إلا جناب عظمته فقال جل وعلا { كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ }[11].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ووضح المحجة، فصلاة الله وسلامه على هذا النبي الكريم صلاة ندخل بها في رحاب معيته، ونحشر بها تحت لواء شفاعته ونكون بها من الذين يشربون من حوضه المورود وكوثره المشهود يوم لقاء حضرة المعبود. آمين. آمين يا ربَّ العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على النبي الكريم الرءوف الرحيم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد.. استمعت معكم قبل الصلاة إلى رسالة الصيام التي أنزلها علينا الملك العلام وجعل فيها أحكام الصيام وحكم الصيام وأجر الصيام، وثواب الصائمين من هذه الأمة المرحومة لمن يتدبر كلام الله وخطابه رسالة صغيرة من كلمات معدودة نسمعها في كل وقت وحين ولكن تدبرها يحتاج إلى آلاف السنين لأنها كلام رب العالمين ﷻ ، هذه الرسالة أنت أيها المؤمن مطالب أن تقرأها وأن تفهمها وأن تعرف أحكامها، وأن تعرف حدودها، وأن تعلم أوامرها ونواهيها، وأن تعلمها لأولادك وبناتك، وأن تعلمها لزوجتك، وأن تعلمها لإخوانك المؤمنين، ثم تعمل بعد ذلك بما فيها لتنال رضاء رب العالمين ﷻ .

وهذه الرسالة لأنها خاصة بناجماعة المؤمنين .. فإن القرآن فى حقيقته رسائل الله إلينا منه، رسائل إلى الخلق جميعاً وهي التي تبدأ بقول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أو تبدأ بقول الله ﴿ يَٰبَنِيٓ

---

١٠ كانت هذه الخطبة بقرية ميت العطار محافظة القليوبية يوم الجمعة الثانى من رمضان ١٤٠٩هـ / ٧/ ٤/ ١٩٨٩م.

١١ رواه الدارمي في سننه، وأحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة.

ءَادَمَ ﴾ ومنه رسائل خاصة للمؤمنين وهي التي تبدأ بقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، وقد نطق القرآن بإثنين وثمانين رسالة وجهها لك المرسل ﷻ ، كل رسالة منها يحتاج المؤمن إلى تدبرها وفقهها ومعرفة ما جاء بها من أحكام ودراسة ما فيها من علوم والعمل بما فيها من أومر لينال رضاء الحي القيوم ﷻ ....

ورسالة الصيام يبدأها الله بالنداء على أحبابه فيقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة) ، ويكفينا مقدمة هذه الرسالة إذا تدبرناها في هذا الوقت القصير واستمع معي إلى العلي الكبير وهو يعلمك الأدب مع رسالته فيقول فيما روي عنه ﷻ { **يا عبدي أما تستحي مني!!! يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك! انظر كم فصلت لك فيه من القول! وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه!، ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك؟** } ... هل سمعتم أحنَّ وأجمل من هذا الخطاب !!!!

يا عبد الله! .. كن كما كان أصحاب رسول الله فقد قال قائلهم :{ **إذا سمعت الله يقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فأرعها سمعك، فإنه إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهى عنه** }[12] فاستمع بكلك وقل بلسانك: لبيك اللهم ربنا وسعديك لبيك لبيك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) يعني سمعاً لك بعد سمع ... وطاعة لك بعد طاعة ... وأعلم أنه إذا قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ إما أن يأمرك بخير فسارع إلى التنفيذ فتحصل عليه! وإما أن ينهاك عن شرٍّ فسارع إلى تجنبه لتسلم منه!.

ولذة ما في النداء تزيل عن المؤمن التعب والشقاء والعناء !!! من أنا يا أيها المؤمن !! ومن أنت حتى ينادي علينا الجليل !! ويخاطبنا العلي الكبير؟ أيتوجه إلينا بالنداء الذي له الحكم في الأولى والآخرة وإليه المصير؟ ولكنه كرم من الكريم وإنعام من المنعم ينادي على أحبابه فيقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعني يا عبادي! يا أحبابي! يا أوليائي! يا من آمنتم بكتابي! يا من صدقتم برسلي! يا من أسرعتم إلى طاعتي! يا من بادرتم لرضائي!..ويا ويا... ماذا يا رب؟ ... أناديكم لأقول لكم ... يا أحبابي ... هذا طريق سريع للتوبة ! وهذا باب

١٢ القواعد الحسان في تفسير القرآن، والإتقان في علوم القرآن وغيرها الكثير من التفاسير وكتب علوم التفسير عن عبدالله بن مسعود

سريع للمغفرة وهذا ميدان فسيح لتكثير الأجر والثواب وهذا مكتب تنالون منه شهادة وتدخلون الجنة مع الأحباب وهذا باب تدخلون منه الجنة بغير سؤال ولا حساب.

ما هذا الباب يا رب؟ فقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ لماذا كتب علينا الصيام؟ أللتعب والعناء؟ أم للشدة والشقاء؟ لا هذا ولا ذاك لأن الله غني عن طاعتنا أجمعين فهو ﷻ لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضيره معصية العاصين وإنما الأمر كما قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية).

فرض عليك الصيام ليعطيك المغفرة. وهل هناك شئ في الدنيا والآخرة أجمل من المغفرة؟ لو بحثنا يا أخي ما وجدنا في الوجود كله أجمل من مغفرة الله والحصول على رضاه!! فإن الإنسان لو ملك الدنيا بأسرها وخرج منها ولم يغفر الله له ذنوبه! ولم يستر عليه عيوبه! فهل ينفعه شئ مما ملكه في هذه الحياة؟ بل إن الإنسان لو ملأ الأرض عبادة لله ولكن عبادته فيها علة تمنعها من القبول فلم ينل بها مغفرة الغفار ماذا يفعل يوم يلقى الواحد الغفار ﷻ ؟

إن الكريم تفضل علينا وفتح لنا أبواب كرمه وجوده فجعل من يصوم هذا الشهر إيماناً لله واحتساباً يأخذ في نهاية الشهر شهادة بأنه قد غفرت له ذنوبه وإذا قام الشهر إيماناً واحتساباً ولو بصلاة ركعتين من سنة القيام – فقد قال الإمام مالك ﷺ وأرضاه أقلها ركعتان ولا حد لنهايتها– فإنه ينال في آخر الشهر شهادة بالمغفرة من الغفار ﷻ ، ومن فطر صائماً فقد ينال شهادة بالمغفرة ... هل سمعتم هذا؟ ... أعمال كثيرة يفتحها المولى للصائمين كل عمل منها يستوجب المغفرة من رب العالمين ﷻ وكأن الله ما فرض علينا الصيام وما سن لنا رسول الله ﷺ سنة القيام إلا ليغفر لنا ذنوبنا !!! ولذا يقول ﷺ: {**هذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، بُعْداً لِمَنْ أَدْرَكَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، إِذَا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ فَمَتى؟**}[١٣] فالذي لا ينال المغفرة في رمضان متى ينالها !!

وهو شهر المغفرة وشهر الجود والإحسان وشهر الكرم والامتنان من الحنان المنان ﷻ؟ فما بالكم والعمل فيه يتضاعف؛ فالفريضة بسبعين فريضة فيما سواه من الشهور الأخرى، والسنَّة فيه تعادل فريضة فيما سواه من الشهور، وإذا صامه الإنسان وأحسن صيامه أخذ تذكرة إلهية لدخول الجنة من باب الريَّان الذي لا يدخل منه إلا الصائمون! فإذا دخلوا أغلق ولم يدخل منه أحد،... فما بالكم وفي كل ليلة من لياليه يتفضل المولى ﷻ فيمنُّ على مائة ألف من الصائمين ويطلق القرار الإلهي بعتق رقابهم من النار! وتكريمهم بالنجاة من دار البوار

---

١٣ طس. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وضمان دخولهم الجنة مع الأبرار ... فإذا كانت ليلة الجمعة ويومها فإن مكتب القدرة الإلهي يخرج في كل ساعة صحفاً فيها مائة ألف أعتقهم الله من النار[١٤]، فإذا كانت آخر ليلة من رضان أعتق الله فيها مثل ما يعتق في سائر الشهر !!! ومن عمل فيه عملاً كان أجره مضاعفاً، ومن سكت فيه عن العمل كان سكوته تسبيحاً لله وإذا جاء غروب الشمس قالت له ملائكة الله: ادعُ فإن لك دعوة مستجابة عند الله، قال ﷺ: { نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ }[١٥] !!!!

فما بالكم وفيه ليلةٌ وهي ليلة القدر المباركة ... لو أحياها الإنسان ولو بصلاة الفجر والعشاء في جماعة في العشر الأواخر لقول رسولكم الكريم ﷺ: { مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلِهِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ }[١٦] وقوله ﷺ: {فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ}[١٧] ...فمن صلى العشاء في جماعة والصبح في جماعة في العشر الأواخر من رمضان كان له أجر ليلة القدر !! وما أدراك ما ليلة القدر !! يحرر له الكرام الكاتبون عملاً صالحاً في صحف مكرمة بأيدي سفرة كرام بررة بأعمال مقدارها ثلاثة وثمانون عاماً وأربعة أشهر ... كأنه عبد الله عبادة قيام ليلها، صيام نهارها لمدة ثلاثة وثمانين عاماً وزيادة أربعة أشهر !!

فلو حافظ المؤمن على هذا الحال على صلاة العشاء والفجر في جماعة في العشر الأواخر من رمضان لمدة أربعين أو خمسين عاماً مثلاً كان كأنه عاش أربعة آلاف سنة في عبادة متصلة ليلها قيام ونهارها صيام للملك العلام ﷻ .. أجرٌ كثير وثوابٌ كبير لخصه البشير النذير فقال: { وَهُوَ شَهْرٌ: أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ خَصْلَتَانِ تُرْضُونَ بِهَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَانِ لاَ غِنَىً لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ وَأَمَّا اللَّتَانِ لاَ غِنىً بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ }[١٨] ... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٤ إشارة إلى الحديث { ليلة الجمعة أربع وعشرون ساعة، لله تعالى في كل ساعة منها ست مائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار} كنز العمال

١٥ ورد في الفتح الكبير عن عبد الله بن أبي أوفى.

١٦ رواه مسلم والترمذي وأبو داود عن عثمان وقال حديث حسن صحيح.

١٧ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في سننه عن عائشة.

١٨ رواه ابن خزيمة في صحيحه وصاحب مشكاة المصابيح عن سلمان

وأعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون .... لخص الله ﷻ حكمة الصيام في كلمة واحدة فقال جلَّ وعلا ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فالصوم يقي الإنسان نار الجحيم، والصوم يقي الإنسان من طول الوقوف يوم الكرب العظيم، والصوم يقي الإنسان من مرارة هذا اليوم، والصوم يقي الإنسان من الذنوب، والصوم يقي الإنسان من العيوب ...

والصوم فوق ذلك يقي الإنسان من الأمراض فهو علاج لأمراضنا وأمراض أجسامنا ومن غرائب حكم الله ومن حكمة الله أن أعداء الإسلام يكتشفون في عصرنا هذا حكمة الصيام الإسلامي فها هى مثلاً الشيوعية تلتزم فيها المصحات التي يصومون فيها بالطريقة الإسلامية، ويقولون أن الصيام بهذه الطريقة وهو الامتناع عن الطعام والشراب في يوم كامل لمدة شهر كامل يعمل تحسين على صحة الإنسان، وتصحيح معدته، و سلامة قلبه، و تنظيم ضغطه، ويعمل على تخفيض نسبة السكر في دم الإنسان المريض بالسكر، بل ويعمل على تخفيف أمراض الروماتيزم، وعلى تخفيف أمراض كثيرة وكثيرة ذكروها عندهم لأهلهم ليشجعوهم على الصيام! ليس من أجل طاعة الله، ولكن من أجل صحة الأجسام و الأبدان، ومن أجل سلامة القلوب! فهنيئاً لكم معشر المسلمين بهذا الصيام الكريم الذي جعله الله صحة لأجسامكم وصحة لأبدانكم وصحة لجميع أحوالكم .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة[19]

فضائل شهر رمضان

الحمد لله ربِّ العالمين جعل شهر رمضان موسماً للخير لعباده الصائمين، ومائدة ممتدة بالرحمة والبركة على المؤمنين أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يصب الخير صباً على عباده في شهر رمضان احتفاءاً بنزول كتابه العلي الكبير وهو القرآن.

سبحانه سبحانه! يغلق فيه أبواب النيران ويصفد فيه المردة والشياطين ويفتح فيه أبواب الجنان لأمة سيدنا محمد أجمعين، ينظر إليهم فلا يعذبهم، ويقبل عليهم فيستجيب دعاءهم ويحقق رجاءهم ويغفر ذنوبهم ويخرجهم من هذا الشهر الكريم وقد غفر لهم كل ما تقدم من ذنوبهم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، رسم لنا المنهج القويم والهدى المستقيم الذي به ننال رضاء الله ﷻ في الصيام والقيام، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وكل من تبعهم بخير إلى يوم الدين.

---

[19] كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة – غربية – ٥ رمضان ١٤١٣هـ/ ٢٦/٢/١٩٩٣م.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. مهما تحدثنا ومهما تكلمنا فلن نستطيع أن ننوه بفرائض شهر رمضان علينا لأن الله ﷻ أخفى أجر الصائمين فلا يطلع عليه ولا يعلمه إلا هو ﷻ حتى الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين الذين يسجلون أعمالنا ويكتبون حركاتنا وسكناتنا لا يعلمون أجر الصيام !! فيرفعون الأمر إلى الله ويتساءلون ويفوضون الأمر لحضرة الله ماذا نسجل لعبادك المؤمنين من الثواب؟ فيقول الله ﷻ لهم **{ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ ﷻ : إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ }** [20] يعني سجِّلوا عمله ولا تسجلوا ثواب عمله ! فأنا الذي أحدد بذاتي وبعظمتي وبجمالاتي ثواب أجره على صيامه لأنه يترك شهوته وشرابه وطعامه من أجلي !!!

ولكن حسبنا أيها المسلمون والمسلمات أن نعلم بعض مقتطفات من فضائل هذا الشهر علينا لتزيد هيبة له وتعظيماً وإقبالاً عليه بالطاعات والخيرات رجاءاً في الثواب والفضل من الله ﷻ .... فحسبنا أن السنة فيه تسجل لنا بفريضة فيما سواه، والفريضة فيه تكتب لنا بثواب سبعين فريضة فيما سواه ، .... ويكفينا أن الله ﷻ ينزل من لوحه المحفوظ في كل ليلة كشفاً به ستمائة ألف من الصائمين[21] موقع أسفل الكشف بخاتم رب العالمين [هؤلاء عتقاء الله ﷻ في هذه الليلة من النار] فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان نزل كشف يماثل جميع الكشوف التي نزلت خلال الشهر فضلاً من الله ﷻ وبركة على عباده المؤمنين.

وهذا العمل الكريم وهو العتق من النيران وضمان دخول الجنان بم يناله الرجل منا؟ بشئ يسير يقول فيه النبي الكريم ﷺ: **{ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ }** [22]. إذا فطر الرجل منا عبداً صائماً في رمضان غفر الله له ذنوبه وأعتق رقبته من النار ونزل في كشوف الرضوان التي تنزل من حضرة الرحمن وفيها أسماء عتقاء الله من النيران وكان له مثل أجر هذا الصائم!

وإذا كان بعضنا يتعلل بأنه لا يجد ما يفطر الصائم عليه فقد قالوا مثل ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ فقال: **{ يُعْطِي اللّهُ هذا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ }** فكون الإنسان منا يعطي صائماً تمرة أو يسقيه شربة ماء! يغفر الله له ذنوبه! ويعتق رقبته من النيران! ويكون له مثل أجر الصائم! وأظن هذا أمر يسير علينا وإن كانت النفوس كثر شحها في هذه الأيام !!رغم وفرة الخيرات وكثرة البركات!!

---

٢٠ رواه أحمد والنسائي والبخاري من حديث أبي هريرة.

٢١ إشارة للحديث :{إن لله تعالى عز وجل في كل ليلة من رمضان ست مائة ألف عتيق من النار فإذا كان آخر ليلة أعتق بعدد من مضى.} (هب عن الحسن، مرسلا).كنز العمال

٢٢ رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث سلمان.

وقد كان آباؤنا الذين نعدهم في زماننا جهالاً كانوا علماءاً بالله وبدين الله فقد كانوا يتنافسون في تلك الطاعات ويحاول كل واحد منهم أن يفتح بيته في رمضان للفقراء والمساكين أو لذوي الأرحام حتى تتأتى زيارة الأهل لأهلها فتتوثق عرى المودة وتتجدد المحبة وتذهب الإحن من الصدور هذا لمن يفطر الصائم على تمرة أو على شربة ماء !!!

فما بالكم بمن يشبعه ويجعله يأكل حتى يشبع يقول في ذلك ﷺ: { وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لاَ يَظْمَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ }[٢٣] وأظن الرجل الذي يمر عليه شهر رمضان ولا يشبع فيه صائماً بعد معرفة هذا الثواب العظيم عاجز ومحروم من فضل الله ﷻ لأنه أمر يسير وأجر كبير من العلي الكبير ﷻ ..

ومن هنا يا إخواني وضع لكم نبيكم الكريم نهجاً مباركاً للصائمين ما هذا النهج النبوي الذي نسير على هديه؟ يبدأ الإنسان صيامه بطعام السحور والسنة فيه أن يكون قبل الفجر بوقت قصير فقد كان ﷺ يقول: { لا تَزَالُ أُمَّتِي بخيرٍ ما عَجَّلُوا الإفْطَارَ وأَخَّرُوا السُّحورَ }[٢٤] فنؤخر السحور ولا نتركه ولو على جرعة ماء لقوله ﷺ: { تَسَحَّرُوا، فإِنَّ في السَّحُورِ بَرَكَةً }[٢٥] وكان يقول لأصحابه: { هَلُمُّوا إِلَى الغِذَاءِ الْمُبَارَكِ }[٢٦]، والسنة أن يتسحر الإنسان قبل الفجر بنصف ساعة أو بثلث ساعة ثم يأتي لصلاة الفجر ليأخذ أجر هذه الصلاة العظيمة من الله ﷻ فقد قال ﷺ: { مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْماً صَلاَةَ الْفَجْرِ وَعِشَاءَ الآخِرَةِ فِي جَمَاعَةٍ، أَعْطَاهُ اللَّهُ بَرَاءَتَيْنِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النفَاقِ }[٢٧] ومن هنا أنصح إخواني بأن يديموا على صلاة الفجر في رمضان، فإذا كانت ليلة العيد أخذوا حذرهم أن يحرمهم الشيطان من صلاة الفجر في جماعة في تلك الليلة حتى لا يكتمل العدد أربعين فيأخذون شهادة من رب العالمين بالبراءة من النار والبراءة من النفاق ... فعلى من يقوم لصلاة الفجر الآن أن يواظب على الأقل ليلة العيد وعشر ليال بعدها ليأخذ هذه البراءة العظيمة من النار ومن النفاق .. براءة من الله ﷻ.

وفي أيام شهر رمضان ... علينا في هذه الأيام بالهدي النبوي الذي يقول فيه ﷺ: { إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْماً صَائِماً، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ. فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ. إِنِّي صَائِمٌ }٢٨. ... والرفث هو الكلام المتعلق بالنساء أو الكلام في شأن

---

٢٣ رواه أحمد عن أبي ذر.
٢٤ رواه النسائي من حديث المقدام بن معد يكرب.
٢٥ خرجه مسند الشهاب عن ابن عباس.
٢٦ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي رهم السماعى
٢٧ الخطيب وابن عساكر وابن النَّجَّار عن أَنسٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ
٢٨ رواه البخارى ومسلم

الجماع أو مداعبة النساء، وهذا محرَّم على المسلم في نهار رمضان طوال هذا الشهر الكـــريم، فلا يجب أن يتكلم مع رفاقه في شأن النساء أو عن النساء ولا يجب في نهار رمضان أن يتكلم مع زوجته بكلام في شأن الجماع أو يقترب منها مداعباً حتى لا يقع في مشقة وعنت!!

فالله ﷻ يطلب من المسلم أن يحفظ صيامه بحفظ جوارحه في هذا الشهر الكـــريم، ولا يصخب! والصخب هو رفع الصوت في جدال أو في خصومة أو في حديث! فإذا تكلمنـــا في نهار رمضان فمن أدب الحديث في نهار رمضان أن لا يرفع أحدنا صوته سواءاً كان يتكلم مع أخيه، أو يجادله في أمر، أو يتناوش معه في مشكلة!! فإذا وصل الأمر إلى درجة الغضب فعليه أن يذكر نفسه ويذكر أخيه ويقول (اللهم إني صائم) يذكر نفسه بأنه صائم حتى لا يزيـــد في الغضب فيفعل ما حرمه الله ﷻ ويذكر الذي يجادله أو يحاجه حتى يرجع عن سخطه وعـــن رفع صوته فيتأدب بآداب الله التي سنها لنا رسول الله ﷺ في شهر رمضان.

أما رفع الصوت بالسبِّ أو الشتم أو اللعن فقد قال في ذلـــك ﷺ: { **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ** }[٢٩] وحذرنا في حديث آخر فقال: { **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** }[٣٠] فإذا قلت لأخيك ولو على سبيل المـــزاح أو المداعبة يا كافر أو يا نصراني أو يا يهودي! صعدت إلى السماء فتغلـــق أمامهـــا أبـــواب السماء! فترجع إلى الذي قلتها فيه! فإن كان كافراً كما ذكرت نزلت عليـــه! وإلا رجعـــت عليك!! ولا ترجع إلى الإسلام إلا بعد التوبة، توبة جديدة وتشهد جديد واستحضار جديـــد لله ﷻ !! وكذا إذا قلت له يا نصراني أو يا يهودي ذهبت إلى السماء فتغلق أمامها الأبواب فترجع على صاحبها فإذا كان في الحقيقة نصرانياً أو يهودياً نزلت عليه !! وإذا كان مـــسلماً كما نحن معشر المسلمين يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ! رجعت على الـــذي قالهـــا .. ولذا قال ﷺ :{ **مَنْ قَالَ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا وَمَنْ رَمَى رَجُلا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلا حَارَ عَلَيْهِ** }[٣١] فقول المسلم لأخيه ياكافر أو يا يهودي أو يـــا نصراني يخرج من دينه ولا يرجع إليه إلا وقد سلب منه شئ لا يعود إليه أبداً إلى يوم القيامـــة يعني لا يرجع إيمانه الصحيح الذي كان عليه قبل أن يقول هذه الكلمة أو يتفوه بها لأنه تكلم بكلمة عظيمة نهى عنها الله وحذرنا منها رسول الله ﷺ.

إذاً ما على الصائم في نهار رمضان؟ عليه أن يطبق حديث رسول الله ﷺ الذي يقـــول فيه: { **نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَذَنْبُهُ**

---

٢٩ رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حديث حسن.
٣٠ رواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده عن ابن عمر.
٣١ صحيح مسلم و فتاوى السبكي، وغيرها

مَغْفُورٌ }[٣٢]، فعليه أن يشغل نفسه بالتسبيح لله أو بالاستغفار لله، أو بذكر الله بأي صيغة، أو بتلاوة القرآن إن كان حافظاً أو قارئاً .. فإن كان غير حافظ أو غير قارئ.. يستمع إلى محطة القرآن الكريم فقد قال ﷺ: { **الدَّاعِي وَالْمُؤَمِّنَ شَرِيكَانِ فِي الأَجْرِ، وَالْقَارِىءُ وَالْمُسْتَمِعُ فِي الأَجْرِ شَرِيكَانِ، وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِمُ فِي الأَجْرِ شَرِيكَانِ** }[٣٣]

وإذا كان بمفرده يردِّد ما يحفظه من كتاب الله، ولو سورة الفاتحة فإنها أم القرآن، فلو قرأها الإنسان ورددها في طريقه أو في مجلسه أو في عمله فإنها تكفيه لأنها أم القرآن، أو يقرأ سورة الإخلاص فإنها تعدل ثلث القرآن، فإذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله مرة واحدة، أما إخواننا الذين لايريدون القراءة فيكفيهم حتى سورة (يس) يجوِّدها أو يحسن تلاوتها وينبرأها فقد قال ﷺ: { **مَنْ قَرَأَ يس كَتَبَ الله لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ** }[٣٤]، وإذا كان لا يحسن التلاوة ويجتهد فإن الملائكة تصحح له كلامه قبل أن يصل إلى الله ﷻ وله أجر عظيم يقول فيه الرءوف الرحيم ﷺ: { **المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي تَتَعْتَع فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ**،[يعني يقرأه بمشقة بالغة] **فَلَهُ أَجْرَانِ اثْنَان** }[٣٥]، وهذا شهر القرآن وقد قال الله فيه: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾ (١٨٥البقرة)، لينبهنا على أن هذا الشهر هو الشهر الذي يجب علينا فيه أن نتزود فيه من القرآن وأن نكثر من قراءة القرآن بأي كيفية وبأي طريقة ولا عذر لواحد منا بعد هذا البيان الذي قد بيناه.

وعليه أن يكثر فيه من الصدقة فقد سئل ﷺ ما خير الصدقة؟ فقال ﷺ { **خير الصدقة ما كانت في شهر رمضان** }[٣٦] وقد كان ﷺ في شهر رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، يجود بما عنده لأن هذا الثواب مضاعف عند الله ﷻ ... ثم عليه ألا يشغل نفسه في رمضان بلهو ولا لعب ولا غفلة ولا غيرها من وسائل اللهو أو وسائل التسلية التي تذيعها الإذاعة أو التي يعرضها التليفزيون، فإنها تسوِّد القلوب وتحرمها من فضلٍ وبركات علام الغيوب ﷻ ، يقضي الإنسان نهاره في الطاعة فإذا لم يستطع فعليه أن ينام قليلاً ليستعين بالنوم على قيام الليل، على أن لا يقضي نهاره كله نائماً! فإن من قضى نهاره كله نائماً! فاته أجر الصيام !! لأنه فاتته الحكمة التي من أجلها فرض الصيام على هذه الأمة!

فإذا كان غروب الشمس فعليه أن يعجل الفطر، ويجعل فطره على تمرات مبلولة بالماء، أو على تمرات فقط، أوعلى شربة ماء إن لم يجد! ثم يعجل الصلاة إذا كان أهله يتحملون

---

٣٢ ورد في الفتح الكبير عن عبد الله بن أبي أوفى.
٣٣ رواه ابن ماجة في سننه والطبراني في الكبير عن أبي أمامة.
٣٤ رواه الترمذي والدارمي عن أنس.
٣٥ رواه البخاري من حديث عائشة.
٣٦ رواه الترمذي مرفوعاً.

إنتظاره، أما إذا كان أولاده صغاراً ولا يتحملون الانتظار فعليه أن يفطر معهم وهذا هدى رسول الله ﷺ، على أنه بعد الإفطار مباشرة يسارع إلى الصلاة ولا يريح نفسه ويقول ما زال الوقت بعيداً ممتداً للعشاء! وإنما بعد الفطر مباشرة يسارع إلى الصلاة، ثم ينتظر العشاء.

فإذا صلى العشاء لا تفوته صلاة القيام فعَنْ عَلِيَ ﷺ قَالَ: { **أَنَا حَرَّضْتُ عُمَرَ ﷺ عَلى الْقِيَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً يُقَالُ لَهَا حَظِيرَةُ الْقُدْسِ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرُّوحُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالى فِي النُّزُولِ إِلى الدُّنْيَا، فَيَأْذَنُ لَهُمْ، فَلاَ يَمُرُّونَ بِأَحَدٍ يُصَلِّي أَوْ عَلى الطَّرِيقِ إِلاَّ دَعَوْا لَهُ، فَأَصَابَهُ مِنْهُمْ بَرَكَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ فَتُحَرِّضُ النَّاسَ عَلى الصَّلاَةِ حَتَّى تُصِيبَهُمُ الْبَرَكَةُ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْقِيَامِ** }٣٧

فهؤلاء الملائكة يمسون الذين يصلون صلاة القيام ولا عليك أن تصلي ما استطعت فقد قال الله ﷻ: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ (١٦التغابن) ، فقد روي أن سيدنا عمر جمع أصحابه على صلاة القيام وصلاها بهم أبي بن كعب عشرون ركعة، وهذا أفضلها وهذا خيرها لمن عنده عزيمة، أما المرضى أو الشيوخ أو المسنين أو الضعفاء فيستطيع الواحد منهم أن يصلي ثماني ركعات لما ورد عن السيدة عائشة في قولها: { **مَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً** }[٣٨] ثمان قيام وثلاث الشفع والوتر، ومن لا يستطيع أن يصلي الثمان فلو صلى ركعتين نال أجرهما، ولو صلى أربعاً نال أجرهما، وإن استكثر فقد استكثر من الخير، على أنه يحرص على ألا يفوته هذا البر، وإن لم يستطع أن يصلي كل ليلة يصلي ليلة ويرتاح ليلة، فإن لم يستطيع فعليه أن يواظب في العشر الأواخر على الأخص فهي التي تأكد فيها صلاة القيام، عكس ما يفعله شبابنا فهم يحافظون عليها في أول الشهر فإذا جاء العشر الأواخر تركوها، مع أنها هي الوقت المؤكد لصلاة القيام انتظاراً لليلة القدر...

وعلينا بعد ذلك في هذا الشهر الكريم أن نخرج الأضغان والأحقاد والأحساد من قلوبنا والشحناء والفساد من نفوسنا، وعلينا أن نصل فيه ذوى أرحامنا، وأن نصل فيه من قطعنا، وأن نعفو فيه عمن ظلمنا، وأن نعطي فيه من حرمنا، وأن نكسو فيه العراة من المسلمين، وأن نتفقد فيه الفقراء واليتامى والبائسين، قال ﷺ: { **أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ بَرَكَةٍ فِيهِ خَيْرٌ يُغَشيكُمُ اللّهُ فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ وَيَحُطُّ فِيهِ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ يَنْظُرُ اللّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلاَئِكَتَهُ، فَأَرُوا اللّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً فَإِنَّ الشَّقِيَّ**

٣٧ جامع الأحاديث والمراسيل
٣٨ رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عائشة.

مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ}[٣٩]، وقال ﷺ: { التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }[٤٠]، ... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا للإسلام واصطفانا وأعاننا على الخير ﷻ ونسأله أن يوفقنا لذكره وشكره وحسن عبادته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد فيا إخواني جماعة المسلمين سئل سيدنا رسول الله ﷺ ما أفضل عمل أتقرب به إلى الله ﷻ؟ فقال ﷺ { **عَلَيْكَ بالصَّوْمِ، فإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء** }[٤١] يعني لا تجعل أيام وشهر رمضان كالأيام التي قبل رمضان والأيام التي بعد رمضان! لكن يجب أن يظهر نور الطاعة على وجوه الصائمين وأثر الإقبال على الله على قلوب المسلمين فترى المسلمين فيه من يمسك مصحفاً، ومن يتصدق على مسكين ومن يذكر الله، ومن يستغفر الله، ومن يصل ذوي رحمه، المهم أنه يتقلب في طاعة من الطاعات آناء الليل وأطراف النهار!! فإذا لم يستطع أن يفعل الطاعات فنوم الصائم عبادة! أي ينتظر في بيته ولا يجلس على النواصي والطرقات! حتى لا يكثر في صحيفة سيئاته من الأوزار والسيئات.

وعلينا في هذا الشهر أن نكثر من الصدقات وأن نتحرى بها الفقراء الذين قال فيهم سيدنا رسول الله ﷺ: { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ، الْفَقِيرَ، الْمُتَعَفِّفَ، أَبَا الْعِيَالِ** }[٤٢] فالمسكين الذي عنده مرض ولا يستطيع أن يأتي بثمن علاجه!! ولا يشعر به أحد !! أو المسكين الذي يبني ولا يستطيع أن يكمل بنيانه !! ولا يحس به أحد !! أو المسكين الذي يريد زواج ابنته!! ولا يجد شيئاً يجهزها به!! ولا يعطف عليه أحد !! ...

أما السائلين !!! والطائفين !!! فيكفيهم شئ يسير من الصدقات ... وليس من الزكاة المفروضة ... وعلينا أن نعي جيداً أن لا نذهب إلى مصلى العيد إلا وقد أخرجنا صدقة الفطر كاملة عمن نعولهم ...

<< ثم الدعاء >>.

---

٣٩ رواه الطبراني عن سلمان.
٤٠ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
٤١ رواه ابن حبان في صحيحه والنسائي في سننه وابن خزيمة في صحيحه عن أبي أمامة.
٤٢ رواه ابن ماجة والفتح الكبير عن عمران بن حصين.

الخطبة الرابعة [٤٣]

احتفاء السماء بشهر رمضان

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، اللهم لك الحمد ولك الشكر على أن مننت علينا بالإسلام، وهديتنا إلى الإيمان، ووفقتنا لإحياء شهر رمضان بالصيام والقيام، والذكر وتلاوة القرآن ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن الرءوف بكل بني الإنسان، فرض الطاعات لا لِيَشُقّ بها على عباده، وإنما ليرفع بها درجاتهم، وليكثر بها ثوابهم وليجعلهم في الآخرة من أصحاب الحلل الفاخرة والمقامات الباهرة والوجوه الناضرة التي يقول فيها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة).

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، الطبيب الحاذق الماهر الذي سبق طب الأطباء وحكمة الحكماء وعِلْم العلماء، فجعل لنا قواعد للغذاء احتار فيها العلماء في عصرنا! وبعد أن عجزوا عن فحصها! سلّموا بنتائجها وقالوا وعلقوا في مستشفياتهم صدق رسول الإسلام حيث يقول: { **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع** } فمن أين يأتينا المرض؟! صلوات الله وسلامه على هذا الطبيب الأول الذي أسس أول مصحة في الوجود لصحة الأجساد والنفوس ولطهارة القلوب والأرواح صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ما دام ملك الله وملكوته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. كلنا في كل عام يشاهد مظاهر شهر رمضان، وعلمناها وعرفناها وحفظناها سواء كانت مظاهر للأكل أو مظاهر للشراب أو مظاهر لعادات معينة وثابتة نمشي عليها في هذا الشهر، أو مظاهر للإذاعات أو مظاهر للتليفزيونات أو مظاهر لوسائل الإعلام ، ولكن من مِنّا رأى المظاهر التي تحدث في ملكوت الله وسماواته بمناسبة شهر رمضان.!! ؟؟؟؟؟ من الذي منا شاهد أحوال الجنة وأهلها وكيفية احتفائهم واستقبالهم لشهر رمضان؟ من الذي شاهد عمَّار السموات ومكاتب السياحة الإلهية في كل سماء تفتح أبوابها في شهر رمضان لتسجيل أسماء الملائكة الذين يأخذون تصريحاً من الحنان المنان ليترلوا إلى الأرض للسياحة في شهر رمضان؟

هذه المظاهر السماوية لا نستطيع معرفتها والإحاطة بها إلا إذا أنصتنا جيداً إلى المعلّق الخبير الرءوف الرحيم ﷺ .. فإنه وحده هو الذي أعطاه الله العدسات الكاشفة التي تكشف عالم الغيب، وتكشف عالم الملكوت، ويصفه بعد ذلك للمشاهدين والمستمعين من أتباعه من

---

٤٣ كانت هذه الخطبة بمسجد الحاج علي الأشقر بالمطرية محافظة القاهرة يوم الجمعة ٣ من رمضان ١٤٠٧هـ/ ١/٥/١٩٨٧م.

المؤمنين استمعوا يا معشر المؤمنين إلى رسولكم الكريم وهو يحدثكم عن مظاهر استقبال شهر رمضان في جنة الله وفي ملكوت الله، نحن نعرف ميقات الشهر برؤية الهلال ولكن عالم الملكوت ليس فيه شمس ولا قمر ولا ولا نجوم ولا ليل ولا نهار فكيف يعرفون بداية الشهر؟

استمع إليه ﷺ فيما يرويه ابن عباس ، قال: { **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُنَجَّدُ وَتُزَيَّنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهَا: الْمُثِيرَةُ، تُصَفقُ وَرَقُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، وَحِلَقُ الْمَصَارِيعِ** [يعني مقابض الأبواب] ، **فَيُسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ** [يعني صوت موسيقى روحاني عظيم] **لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَتَبْرُزُ الْحُورُ الْعِينُ، وَيَقِفْنَ بَيْنَ شُرَفِ الْجَنَّةِ فَيَقُلْنَ: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلى اللَّهِ فَيُزَوجَهُ، ثُمَّ يَقُلْنَ: يَا رِضْوَانُ مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ فَيُجِيبُهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ فَيَقُولُ: يَا خَيْرَاتٌ حِسَانٌ هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ لِلصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ فترفع كل واحدة منهن لافتة على صدرها وتقول بلسانها متحدثة بنعمة الله عليها: نحن الخالدات فلا نموت! نحن الناعمات فلا نَبْأس! نحن خيرات حسان! هل من خاطب إلى الله ؟** }[44] .

تلك بداية الشهر تهب ريح طيبة من تحت عرش الرحمن تتعطّر منها أزهار الجنان فيشم أهل الجنان رائحة عطرة لم يشموها من قبل، وتصفق أوراق الأشجار وتحرك مقابض الأبواب فتسمع موسيقى إلهية روحانية لم يسمع أحد بمثيلها، فيتساءل سكان الجنان فيجيبهن مندوب الرحمن بأن هذه أنغام استقبال شهر رمضان، ثم بعد ذلك يجمع الحق رؤساء الملائكة وزعماؤهم ويعقد لهم مؤتمراً عاماً في سدرة المنتهى ... ويكلف كل واحد منهم بتكليف خاص ينفذه في إدارته وهيئته في شهر رمضان ... فيجمع جبريل ، ورضوان خازن الجنان، ومالك خازن النيران، وميكائيل وزير التموين الإلهي، ويعطي لكل واحد منهم تكليفاً اسمعوا إلى أوامر الحق التي ذكرها سيد الخلق ﷺ حيث يقول الله تعالى:

{ **يَا رِضْوَانُ افْتَحْ أَبْوَابَ الْجِنَانِ، يَا مَالِكُ أَغْلِقْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَنِ الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ، يَا جِبْرِيلُ اهْبِطْ إِلى الأَرْضِ فَصَفدْ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ، وَغُلَّهُمْ بِالأَغْلاَلِ، ثُمَّ اقْذِفْ بِهِمْ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ حَتَّى لاَ يُفْسِدُوا عَلى أُمَّةِ حَبِيبِي صِيَامَهُمْ وقيامهم، يا ميكائيل إن هذا الشهر يُزاد فيه في رزق المؤمن** }[45] أن عمِّر بطاقات تموينهم الإلهية بماذا يعمِّرها؟ عمِّرها لهم .. ليس بالأطعمة الحسّية ولكن بالأطعمة الروحانية، فعمِّر بطاقات

---

[44] جامع الأحاديث والمراسيل
[45] رواه ابن حبان في كتاب الثواب والبيهقي عن ابن عباس.

تموينهم بذكر الله أوعمّرها بالصلاة أوعمّرها بالصدقات وعمّرها بفعل الخيرات حتى ينطلقوا إلى الطاعات فيربحون في هذا الموسم الذي أقامه الله سوقاً للخيرات والبركات والطاعات.

هذه الأوامر ما تفصيلها؟ وما فائدها بالنسبة لنا؟ ما الذي نستفيده من فتح أبواب الجنان؟ إنك تشعر بهذا ولكنك لا تستطيع أن تعبر عنه باللسان وإن كنت تشعر به في كل رمضان، يأتي رمضان ونجد المريض والشيخ الكبير والطفل الصغير يصوم، والكل يقول إني أعجب كيف أني لا أشعر بألم الجوع ولا بألم العطش مع أني في غير رمضان لا أستطيع أن أكمل صيام يوم واحد، ونسى أن أنوار الجنان وروائح الجنان أبوابها مفتوحة للمؤمنين تهب على قلوبهم فتعمرها بالإيقان وتملأها بالإيمان، وتجعل الأعضاء سهلة الحركة خفيفة المؤنة في طاعة الحنان المنان!! فلا تشعر بألم ولا وصب ولا تعب ... لماذا؟

للتموين الإلهي النوراني الذي غذيت به من جنة الله !! وإن كنت لا تشعر بهذا الغذاء لأنه غذاء قلبي وغذاء روحاني أيضاً تتغير النوايا والقلوب لأن الذي يدخل الجنة قبل دخولها لابد أن يدخل غرفة العمليات الإلهية على بابها ويرقد على مشرحتها ويشقون صدره وينفذون فيه قول الله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)، وهذا يحدث في شهر رمضان لكنه يحدث لك وأنت لا تشعر فإنك تجد نفسك في رمضان منشرحاً لفعل الخيرات، مسارعاً مستبقاً إلى عمل الطاعات ولا تدري لذلك سبباً، ولا تعرف لذلك سراً، حتى أنك تودُّ أن يصالحك من خاصمته قبل رمضان.

وتودُّ أن تحسن إلى من أساء إليك قبل رمضان، وتود أن تسامح من ظلمك قبل رمضان، وتريد أن تفعل كل أنواع الطاعات، وتقف على كل أبواب الخيرات، ولا تعرف ما هذه العزيمة الغريبة التي جاءتك في لحظة واحدة مع بداية الشهر؟ ... ولكنها هي الروائح الجنانية والنسمات الروحانية التي تهب على قلوب المؤمنين فتعمرها باليقين وتطهرها لحضرة رب العالمين ﷻ .. تلك بعض ملامح هذا الأمر الإلهي لفتح أبواب الجنان!!!

ملمح آخر أن الجنة فيها باب يسمى باب الريان وهو خاص بالصائمين !! فيفتح هذا الباب ليدون في سجلاته الذين قاموا لله في رمضان بالأوامر الإلهية ، ونفذوا فيه الأحكام الشرعية، وتابعوا فيه الوصايا النبوية، لتخرج لهم بطاقة إلهية توضع في سجلات هذا الباب، حتى إذا جاء يوم الحشر أخذوا من القبور إلى القصور ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر) ...ينادي الوهاب أين الصابرون؟ والصوم كما قال الرسول الكريم: { نِصْفُ الصَّبْر }[٤٦] والشهر كما وصفه ... شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة !!

---

٤٦ رواه البيهقي من حديث أبي هريرة.

فيقوم الصائمون فيعرفونهم برائحة أفواههم، فإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك .. فيجتمعون تحت لواء الصبر ثم يأخذهم الملائكة الموكلون بأمر الصبر من أرض المحشر إلى باب الريان!! لا يرون حساباً ولا ينصب لهم ميزاناً ولا يجوزون على صراط ولا يرون أهوالاً ولا نكبات بل يمر عليهم الموقف كما يقول سيد السادات: { **يمر يوم القيامة على المؤمن كصلاة ركعتين خفيفتين** }[47].

فيقفون أمام الباب والباب كما وصفه الرءوف الرحيم عرضه مسيرة أربعين سنة ليس له مفاتيح ولا أقفال وإنما يفتح لأهله بالتصريح والإذن الإلهي الصريح من الفتاح ﷻ فإذا وقفت أمام الباب وكانت لك تذكرة مدونة مع الأحباب فُتح لك الباب ودخلت هذا الرّحاب فقابلتك الملائكة بكوب من حوض الكوثر مكتوب عليه اسمك تشرب منه شربة لا تظمأ بعدها أبداً ويتبدل ما فيك من أمراض ومن هموم ومن غموم ومن تعب ونصب وتصبح كما قال الله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤فاطر) .

تفتح أبواب الجنان للصائمين وتفتح أبواب الجنة للقائمين، وتفتح أبواب الجنة طوال هذا الشهر لتعرض البضاعة فإن هذا الشهر موسم عرض بضاعة الرحمن لأهل الإيمان!!! ليس موسم عرض الكنافة والقطائف ولكنه عرض الحور وعرض القصور وعرض الأنهار، أنهار من ماء غير آسن .. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه .. وأنهار من خمر لذة للشاربين .. وأنهار من عسل مصفى ....، عرض السياج، عرض الحدائق، عرض الكافتريات الإلهية والمطاعم الربانية والجنانية، تزوّق لأهل الإيمان في شهر رمضان .....

هذا العرض أو المعرض في ملكوت الله ولمدة شهر واحد هو شهر رمضان وتذكرة دخول المعرض هي صيام شهر رمضان فمن يصم إيماناً واحتساباً، فإن الحق ﷻ يتفضل عليه في ليلة العرض الكبرى ويرسل الملائكة لتأخذ روحه من الأرض وتعرج بها إلى عالم الملكوت، ثم يدخلون بها إلى جنة الحي الذي لا يموت، فيرون النعيم الذي لا ينفد ويرون الخير الذي لا يكل ولا يبرح، ويكون كما قال رسول الله ﷺ: {**قَالَ اللّهُ ﷻ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**}[48] فيصبح الواحد منهم وقد رأى من عجائب قدرة الله، وقد رأى من باهر أنوار الله، وقد رأى من غرائب صنع الله في جنة الله، ما يجعله يزهد في هذه الدنيا!! ويريد أن يفر إلى حضرة الله !! متذكراً لقول مولاه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥٠الذاريات) .

---

٤٧ رواه أحمد وأبو يعلي وابن حبان والبيهقي ان أبي سعيد.
٤٨ أخرجه السبعة إلا أبي داود.

أيها الأخوة المؤمنون هذه فرصتكم لتشاهدوا جنتكم !! فإن الجنة مفتوحة أبوابها لكم تنادي عليكم من يريد أن يشاهد ملكوت الله؟ ومن يريد أن يتفرج على نعم الله الباقية؟ ومن يريد أن يرى آثار الله ﷻ غير الفانية؟ فعليه أن يصوم الصيام الصحيح ويعلي همته ويعلي روحه ويكثر زاده ويقطع تذكرة سفر مع الأحباب في ليلة السفر الكبرى إلى العلي الوهاب يسافر إلى الله ويرى من نعم الله ما تقرّ به عيناه فلا يمد عينه بعد ذلك إلى شئ من زينة هذه الحياة كما كان أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم...

قال رسول الله ﷺ: { فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالى جِبْرِيلَ فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ إلى الأَرْضِ،وَمَعَهُ لِوَاءٌ أَخْضَرُ فَيُرْكِزُهُ عَلى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، مِنْهَا جَنَاحَانِ لاَ يَنْشُرُهُمَا إلاَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَيَنْشُرُهُمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَيُجَاوِزَانِ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ، وَيَبُثُّ جِبْرِيلُ المَلاَئِكَةَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ، فَيُسَلِّمُونَ عَلى كُلِّ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ، وَيُصَافِحُونَهُمْ وَيُؤَمِّنُونَ عَلى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْفِطْرِ، سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْجَائِزَةِ، فَإِذَا كَانَ غَدَاةُ الْفِطْرِ، يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالى مَلاَئِكَةً فِي كُلِّ الْبِلاَدِ فَيَهْبِطُونَ إلى الأَرْضِ، وَيَقُومُونَ عَلى أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَيُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ إلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، فَيَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ أَحْمَدَ اخْرُجُوا إلى رَبٍّ كَرِيمٍ، يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَغْفِرُ الْعَظِيمَ، فَإِذَا بَرَزُوا فِي مُصَلاَّهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى لِلْمَلاَئِكَةِ: يَا مَلاَئِكَتِي مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: جَزَاؤُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ، رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي، وَيَقُولُ: يَا عِبَادِي سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، فَتَفْرَحُ المَلاَئِكَةُ وَتَسْتَبْشِرُ بِمَا يُعْطِي اللَّهُ تَعَالى هذِهِ الأُمَّةَ إِذَا أَفْطَرُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ }[٤٩].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين،

أما بعد فيا أخواني جماعة المؤمنين ابشروا وبشروا، فإن لكم عند الله فضل عظيم وخير

٤٩ عن ابن عباس في جامع الأحاديث والمراسيل.

كبير لا يعلم حده وقدره إلا الله...

فإن الملائكة الذين معكم والذين وكلهم الله بخدمتكم يسجلون هذا الثواب ويحولونه إلى أرصدتكم الباقية عند ربكم ﷻ إلى الله، فإذا وصلوا إلى الصيام نظروا في القائمة فلم يجدوا له أجراً، معهم فيرجعون إلى الله فيقولون إلهنا وسيدنا ومولانا ماذا نكتب لعبادك الصائمين؟ (شيك الصيام) كم يساوي من القيمة عند الملك العلام؟ فيجيبهم الواحد الأحد الفرد الصمد: { كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصيامَ فَإنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ }[٥٠] إن شيك الصيام يخرج من خزانة ملك الملوك لا يطلع عليه مَلَك فيكتبه ولا شيطان فيفسده !! لماذا يا رب؟ لأن ما فيه لا يستطيع الحاسبون حساب ما فيه من الأجر والثواب! ولا يستطيع حسابه إلا الحسيب الأكبر ﷻ ! وما فيه من الثواب العظيم لا يستطيع أن يعرف مداه إلا حضرة العظيم وما فيه من التكريم لا يليق أن يُعْرفُ إلا في دار النعيم لأنه تكريم حضرة الكريم ﷻ فبشروا وابشروا فإن أجركم في الصيام لا يعلمه إلا الملك العلام !!!!

ولذا اسمعوا إلى رسول الله وهو يقول: { لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِلسَّموَاتِ وَالأَرْضِ أَنْ يَتَكَلَّمَا، لَبَشَّرَتَا مَنْ صَامَ رَمَضَانَ بِالْجَنَّةِ }[٥١] السماوات تقول لك ابشر يا صائم بالجنة، والأرض تقول لك ابشر يا صائم بالجنة، والملائكة تقول لك ابشر يا صائم بالجنة، وأبواب الجنة مفتوحة ترعى الصائمين، وتروح على القائمين، وأبواب النار موصدة لأن هذه البضاعة ليس هذا وقتها وليس هذا أوانها، ولذا من يمت من المؤمنين صائماً فإنه بفضل الله يدخل جنة الله، لأن النار مغلقة الأبواب! ليس له طريق إليها!! وطريق الجنة وحده هو المفتوح فيذهب به الملائكة ويعرجون فيجدون طريق النار مغلق فأين يذهبون؟ يذهبون إلى طريق الجنان حتى ولو كان عمله غير مكتمل فإن هذا يسجل في كشوف العتقاء من النار !!

فإن ديوان ملك الملوك يُخرج في كل ليلة من ليالي هذا الشهرحافظة وكشفاً فيه أسماء مائة ألف من المؤمنين أو ستمائة ألف في رواية أخرى، قد نالوا في هذه الليلة جائزة كبرى من ربِّ العالمين ما هذه الجائزة؟ كل واحد منهم يأخذ شهادة بالعتق من النيران فإذا كان يوم ليلة الجمعة ويومها أخرج ديوان ملك الملوك في كل ساعة كشفاً بمائة ألف عتيق من النار من المؤمنين! فإذا كان آخر ليلة في الشهر أخرجوا كشوفاً بعدد الكشوف التي أخرجت في سائر الشهر! فابشروا جماعة المؤمنين فإن من لم يأخذ علاوة العتق من النار اليوم .. يأخذها غداً .. ومن لم يأخذها غداً .. يأخذها بعد غد ...ومن لم يأخذها هذا العام ...يأخذها العام الذي يليه إنشاء الله !! فابشروا ... أبشروا .... أبشروا ....

---

٥٠ رواه أحمد والبخاري والنسائي من حديث أبي هريرة.
٥١ الدَّيلمي (كر) عن أبي هدبة عن أنس رضي اللَّهُ عنهُ

فإذا أنت أخذت علاوة العتق من النيران .. فماذا ترجو بعد ذلك من هذه الدار دار الهوان؟ إذا أخذت شهادة مغفرة من الغفار ما الذي ينقصك في دار البوار؟! هب أنك ملكت الدنيا بأجمعها لكنك خرجت منها ولم تحصل على شهادة الغفور الغفار ؟؟ هل يُغْني عنك ذلك شيئاً؟! هل يغني عنك سلطانك شيئاً؟!

إن مثل هذا يقول فيه ملك الملوك مصوراً حاله ومصوراً ماله ومصوراً استهزاء الملائكة به تقول له الملائكة أين مالك؟ فيقول: هلك عني ماليه. أين سلطانك؟ فيقول: ما أغني عني سلطانيه، فيناديهم الجبار: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (٣٠ - ٣٢الحاقة)، ثم يقول سبحانه معللاً ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (٣٣ - ٣٤الحاقة)، هذا الذي لم ينفعه ماله! ولا جاهه! فاحرص أشد الحرص على أن تنال شهادة المغفرة وتنال شهادة العتق من النيران إذا أخذها فقد طبق عليك قرار الحنان المنان ... ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ والدنيا بعد ذلك: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (١٨٥آل عمران) ...

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[52]

الهدي النّبويُّ في الصيام وحكمته الصحية

الحمد لله ربِّ العالمين، جمل عباده المؤمنين في شهر الصيام بجمال الملائكة المقربين، فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون وعباد الله المؤمنين يمتنعون عن الطعام والشراب نهاراً ويحيون الليل بصلاة القيام لتحدث المؤانسة بينهم وبين الملائكة الكرام فيتنزلون عليهم في ليلة القدر بالتحية والسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض فرائضه لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو، يكشف البعض بعض أسرارها وتبقى حكم الله ﷻ في فرض العبادات كما هي !! ففرض علينا الصيام ليس لتعذيبنا بالجوع !! ولا لقلة خزائنه ﷻ من الجود والكرم !! وإنما رحمة بأجسامنا ، وعلاجاً لأعضائنا، وسمواً لأرواحنا، وتهذيباً لنفوسنا، وترقيقاً للحجب بيننا وبينه ﷻ ، فإذا تحقق العباد بحقيقة الصيام كان لهم ما قاله الله ﷻ أثناء آيات الصيام ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

52 كانت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨ من رمضان ١٤١٧هـ الموافق ١٧ من يناير ١٩٩٧م بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة.

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦البقرة).

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله الصورة الأكملية لأداء التكاليف الشرعية والتي من اهتدى بهديها في حياته الدنيوية سعد في دنياه وفاز بما يرجوه يوم لقاء الله، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد القدوة الطيبة والأسوة الحسنة والنموذج الأكمل للفضائل الإلهية والأخلاق القرآنية وعلى آله وصحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. فقد مرت علينا أيام ونحن في ضيافة شهر الصيام، تعالوا بنا نفقه سوياً الحكمة التي من أجلها فرض الله علينا فريضة الصيام فقد حدد ذلك في قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة) ...

فهذا الشهر الكريم معسكر رباني، وفصل دراسي إلهي، دورة يدخل فيها المؤمنون والمؤمنات في كل أنحاء الدنيا ليحصلوا عقبها على رتبة من رتب التقوى، فكل واحد من المؤمنين الصائمين يخرج في نهاية شهر رمضان وقد علق المولى ﷻ على صدره وساماً من أوسمة التقوى، أو نيشاناً من نياشين النور الإلهي، أو وشاحاً من أسرار الكتاب القرآني الرباني، وكل على قدره!! بما يشرح الله ﷻ به صدره ... فإن الله ﷻ فضله في هذا الشهر الكريم لا يعدُّ ولا يحدُّ ...!! ولكن من هم الصائمون الذين يحصلون على بعض ما ذكرناه؟ .. هم الذين ساروا على هدى رسول الله ﷺ في الصيام والقيام، وكيف كان هديه الشريف؟

تعالوا نقتطف جزءاً يسيراً على حسب المقام حتى لا نطيل عليكم فقد كان من هديه الشريف ﷺ في رمضان تعجيل الفطر وتأخير السحور ويقول في ذلك ﷺ { **لا تَزَالُ أُمَّتِي بخيرٍ ما عَجَّلُوا الإفْطَارَ وأَخَّرُوا السُّحورَ** }[٥٣]، وكان فطره ﷺ على رطب يعني البلح الطازج، فإن لم يجد فعلى تمرات يعني البلح الجاف، وكان يضعه في الماء حتى يكون له مفعول الرطب، فإن لم يجد فعلى مزقة لبن، فإن لم يجد يتجرع قليلاً من الماء .

وهنا يظهر لنا جماعة المؤمنين حكمة النبي الكريم وأنه كما قال الله ﷻ في شأنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾(النجم) ، فقد بين الدكتور أنور المفتي أسرار الإفطار على التمر أو الرطب أو أي شئ حلو فقال: (إن المعدة تكون آخر النهار خالية من الطعام والأعضاء قد أصابها شئ من الفتور والكسل لنقص إمدادها بالغذاء فإذا

---

٥٣ عن أبي ذر رواه أحمد.

أكل المرء عقب الإفطار مباشرة شيئاً من البروتينات [اللحوم أو الأسماك أو ما شابهها] استغرقت أربع ساعات حتى تهضم وتصل إلى الأعضاء، وإذا أكل شيئاً من الدهون مكث هذا الطعام ست ساعات حتى يتم هضمه وتحويله إلى المادة اللازمة لغذاء الأعضاء، أما التمر والرطب والشئ الحلو فلا يستغرق أكثر من خمس دقائق حتى يصل إلى جميع الأعضاء فينشطها وينبه المعدة لتفرز عصارتها وإنزيماتها حتى تكون جاهزة لاستقبال الطعام) وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (٧الحشر).

ثم كان ﷺ يقوم بعد ذلك لصلاة المغرب وتلك الفترة كافية لتجهيز المعدة والأمعاء والأعضاء لاستقبال الطعام بعد الجوع الطويل، لكن هذا لا يكون لغير القادرين ولا يكون تكليفاً شاقاً على الصغار والكبار، فإذا كان ربَّ الأسرة لا يستطيع أن يفارق أولاده عند الإفطار، فعليه أن يفطر معهم ويصلي المغرب بعد ذلك، أما إذا كان يستطيع ومن معه أن يؤدوا صلاة المغرب ثم يتناولون طعام الإفطار فهو أفضل لأن في ذلك حكمة بالغة .. فإن أداء الصلاة يجعل الأعضاء تنبعث فيها الحياة فإذا قعد المرء بعد ذلك على الطعام لا يأكل بشراهة وبذلك لا يتعب المعدة! ولا يُصاب بالتخمة! ولا ينتابه الكسل والوخم! الذي ينتاب كثيرين من الذين لا يستطيعون إمساك أنفسهم عند طعام الإفطار.

ومن هديه ﷺ في السحور ما روى عنه قيل: { تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاَةِ قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ خَمْسِينَ آيَةً }[٥٤] يعني ما يعادل حوالي ثُلث ساعة أو ما نسميه في عصرنا بمدفع الإمساك، لماذا أخَّر النبي الكريم في كل أحواله طعام السحور إلى ما قبل الفجر؟ ولم يفعل كما نفعل الآن نسهر إلى الواحدة أو الثانية ثم نتناول السحور وننام؟ لحكمة بالغة يعلّمها لنا المصطفى عليه أفضل وأتم الصلاة والسلام: فإن المرء إذا أكل قبل الفجر بثلث ساعة، ثم قام وتوضأ، فالوضوء ينشط الأعضاء والفترة التي يقضيها بعد ذلك في صلاة الفجر تعمل على هضم الطعام، فحركات الصلاة كلها تساعد المعدة والكبد وغيرها على إفراز عصارتها التي تعمل على هضم الطعام، فإذا صلى الفجر حتى ولو كان متعباً، ونام ينام منشرح الصدر نشيط الروح! لا يحسّ بوخم ولا تعب.

أما الذي يأكل في الواحدة أو الثانية وينام فإنه من المؤكد لا يصلي الفجر حاضراً، لأن الطعام بما فيه من وعملية الهضم تسحب الدم فيقل ما يذهب لأعضائه فيصيبها الجمود والخمول ويستغرق بالنوم! فلا يستطيع القيام لصلاة الفجر، ويحرم نفسه من هذا الأجر

---

٥٤ رواه الإمام البخاري عن سيدنا زيد بن ثابت ﷺ

العظيم، ثم بعد ذلك يظل طوال يومه كسول النفس سقيم الصدر يحس بالوخم ويحس بالثقل لأنه أكل ونام ولم يعط لأعضائه فرصة لهضم الطعام !!!

فما بالكم إذا كان الصائم طفلاً صغيراً فإن الأطفال في مرحلة التكوين ويحتاجون في بناء الخلايا إلى بعض البروتينات وأن يكون وقت صيامهم غير طويل لأنه إذا أكل ونام وهضم الطعام في أول النهار واحتاج الجسم إلى غذاء ماذا يفعل؟ تتوقف عملية البناء لحاجة الجسم للغذاء لعدم وجود الطعام فيُصاب الطفل بالضعف وما شابه ذلك ... لكننا إذا أطعمناه قبل صلاة الفجر ونام بعد صلاة الفجر فإن الطعام يمكث في بطنه فترة طويلة، فلا يُصاب بالضعف ولا بالسقم وكلنا نلا حظ هذا على أولادنا عند الذهاب للمدارس فى رمضان .. فلو تسحروا قبل الفجر يعودوا نشيطين من المدرسة ولا يشتكون إلا قليلاً..

ومن هديه ﷺ صلاة القيام، لماذا سن لنا صلاة القيام؟ لهضم الطعام. فلم يكن في زمانه أدوية كالتي عندنا الآن ولا مشروبات تعمل على هضم الطعام فسألوه عن كيفية هضم الطعام للصائمين فقال ﷺ: { أذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ والصّلاةِ، ولا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ لَهُ قُلُوبُكُمْ }[٥٥] فإن الدم يتجمع للمعدة بعد الطعام من أجل الهضم ويقل من بقية أجزاء الجسم مما يجعل المرء يشعر بشئ من الكسل، فإذا صلى .. فعند ركوعه تضغط أعضائه على معدته وعلى كبده فيفرزان العصارات اللازمة للهضم .. فإذا سجد على جبهته نزل الدم إلى رأسه فحرك مخه .. ورد إليه شئ من يقظته .. وبتوالي حركات الصلاة التي نؤديها لله في صلاة القيام .. يتوالى على الجسم عملية هضم الطعام وتمثيله الغذائي بكيفية مريحة للمعدة ومنبهة للأعضاء ... فما أصدق قول الله ﷻ لنا جماعة المؤمنين ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

أيضاً من هديه فيما ذكرناه أنه وأصحابه لم يكونوا يظهرون اهتماماً بالغاً كما نفعل بطعام الفطور، بل كانوا يرون من العيب ومن الذنب أن يفكر الإنسان فيما سيفطر عليه قبل ميعاد الغروب، لأنه بذلك اشتغل عن علام الغيوب ﷻ وكان يحثهم على ضرورة السحور ويقول في ذلك ﷺ لمن لا يستطيع الأكل { تَسَحَّرُوا ولَوْ بِجَرْعَةٍ مِنْ ماءٍ }[٥٦] ويقول لهم: { هَلُمُّوا إلَىٰ الغَدَاءِ الْمُبَارَكِ }[٥٧] ويقول لهم { تَسَحَّرُوا فإنّ في السُّحُورِ بَرَكَةً }[٥٨].

قال ﷺ: {أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ بَرَكَةٍ فِيهِ خَيْرٌ يُغَشيكُمُ اللَّهُ فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ

٥٥ عن عائشة رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب النبوي.
٥٦ عن أنس رواه أبو يعلى.
٥٧ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي رهم السماعى
٥٨ عن أنس رواه أبو يعلى.

وَيَحُطُّ فِيهِ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلائِكَتَهُ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ } [٥٩].

أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين أما بعد..

فيا إخواني ويا أحبابي.. كان من هديه ﷺ ما رواه ابن عباس ﵄: **{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. حين يلقاه جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ الْقُرْآنَ. فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ }** [٦٠] فكان ﷺ يكثر فيه من التصدق على الفقراء والمساكين لأن من أنفق أنفق الله عليه، ومن أعطى جاد في عطائه الكريم الحنان المنان ﷻ. فلنكثر من الإنفاق في شهر رمضان..

ويا حبذا لو انتهجنا السنة الحميدة التي فعلتها بعض الدول الإسلامية فى الأعوام الماضية بأن نرسل جزءاً من زكاة الفطر إلى هيئاتنا الإسلامية التى تجمعها مثل الأزهر وغيرها وأيضاً تبرعات ذوي الخير واليسار فيرسلوها إلى إخواننا المسلمين المحتاجين في البوسنة أو إخواننا المسلمين المحتاجين في الصومال وإخواننا المسلمين المحتاجين في الجمهوريات الإسلامية في روسيا وغيرها فإننا جميعاً في بلدنا والحمد لله لا يوجد إلا أقل من القليل ... الفقير الذي تنطبق عليه الشروط الشرعية للفقير ... وهو الذي ليس في بيته شئ إلا التراب!!

لكن فى هذه البلاد الإسلامية ... هناك يموت الكثيرون منهم من شدة الجوع .. من الكبار والصغار والأطفال والمواليد والنساء .. بل ويموت الكثيرون منهم لعدم وجود الغطاء في هذا البرد القارس الذى يعانون منه والذي لا يصيبنا إلا القليل منه مع ملكنا للغطاء والكساء والمنزل والتدفئة، كما يموت كثيرون منهم أيضاً لعدم استطاعتهم العلاج أو الحصول على الماء النقى مع شدة الأنواء والكوارث والأدواء والحروب والمجاعات التى عافانا الله منها والحمدلله ... << ثم الدعاء >>

---

٥٩ رواه الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت.

٦٠ ابن عباس، صحيح مسلم، وروى مثله عن السيدة عائشة فى البخارى.

. الخطبة السادسة[٦١]

غزوة بدر الكبرى وأسباب النصر فى رمضان

الحمد لله ربِّ العالمين، أنزل القرآن في ليلة الفرقان، للهدى والبيان، والذكر والتبيان، فمن آمن به وصدق حاز الجنان، ومن كذّب به وأشرك لحقه الخزى والذل والخسران ... وأشهد أن لا إله إلا الله يعز من أطاعه، وينصره على من عداه، ويقيم به للحق دولة وللدين قومة، وللإسلام صولة، وللقرآن جولة، وأشهد أن سيدنا محمداً نبي الله ورسوله أقام به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد ضلالة، وعلّم به بعد جهالة، وأعز به بعد ذلة وجمع به بعد فرقة، وأغنى به بعد فاقة.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي فرق الله به بين الحق والباطل فأقام به دولة الحق وهدم به دولة الباطل وكان هو الحق الذي قال فيه الله ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١الإسراء) ، ﷺ وعلى آله الكرام وأصحابه العظام وأتباعه الذين نصرهم الله علي أنفسهم حتى أحيوا في مملكتهم وفي عالمهم دولة الإسلام وشريعة الحق وأصبحوا أنجماً ظاهرة مضيئة في أفق النبوة ﷺ وألحقنا بهم على خير آمين ... أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي ... هناك سؤال يجول بخاطر كثير منا. لماذا كانت الانتصارات الإسلامية الكبرى في شهر رمضان بالذات؟ مثل غزوة بدر وفتح مكة ودخول الأندلس ومعركة عين جالوت، ومعركة العاشر من رمضان!؟

إن سر انتصار المسلمين في أي معركة، وضع الله ﷻ له مفاتيحاً في كتابه أولها: جعل النصر ليس بالقوة ولا بالعدد ولا بالخُطط ولا بالتكتيكات فقط، وإنما كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (١٠الأنفال)، فالنصر في البداية والنهاية من الله ﷻ، ولذلك ورد في أخبار غزوة بدر التى هى محور حديثنا فى هذه الخطبة أن رسول الله ﷺ أخذ بيده حفنة من التراب ورمى بها في وجوه الأعداء قائلاً شاهت الوجوه فأصابت كل مشرك، فما السر فى ذلك ؟ السر فى ذلك فى قوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١٧الأنفال)، ولذا قال للمسلمين لاحقاً لماأخذت بعضهم نشوة النصر فافتخر بقتله لصناديد أهل الكفر قال تعالى لهم مُعلّماً ومؤدباً: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (١٧الأنفال) . فأنتم أمسكتم بالسيوف وضربتم، ولكن الله هو الذي أمدّكم بالقوة، وأوصلها إلى رقاب الأعداء فقتلتهم.

فالنصر بداية من الله ﷻ، ولكن هذا لا ينافى قول الله ﷻ لنا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا

٦١ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة – غربية ٢٠ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨/٥/٦م.

ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٦٠الأنفال)، فكل ما في إمكاناتكم من قوة جهّزوها، وتدربوا عليها، واستعدوا لها، لكن لابد مع القوة من استمداد النصر من عند الله ﷻ، لأن الله ﷻ أسلحة في القتال تحقق النصر لا يعطيها إلا لعباده المؤمنين، وقد أشار إليها مُجْملاً سيدنا عمر بن الخطاب في كتابه الذي أرسله إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص في غزوه لبلاد فارس، وكان مما قاله له فيه: { **مُرْ الجند بطاعة الله ﷻ، فإنا لا ننتصر بعدد ولا عُدد، وإنما ننتصر بالمدد من الله ﷻ، والله ﷻ يمدّ بمدده من أطاعه ونصر شرعه، أما إذا عصى الجند الله، فإنهم يتساوون مع أعدائهم وهم أكثر منّا عَدَداً وعُدداً فتكون النصرة لهم** } وهذا هو المفتاح الكريم الثاني للنصر.

فإذا أقمنا حدود الله وطبقنا شرائعه، جاءنا النصر من عند الله ﷻ، ومن أول ما يأتي به النصر من الله قذف الرعب في قلوب الأعداء وهذا سلاح قال فيه ﷺ: { **نصرت بالرعب مسيرة شهر** }[62] فعندما علم النبى أن ملك الروم جهّز أكثر من خمسمائة ألف، وأعلن أنه سيتوجه لحق هذا النبي، جهّز ﷺ ثلاثين ألفاً، وخرج من المدينة في وقت صيف كان شديد الحرارة، وبمجرد خروجه من المدينة طارت الأنباء إلى قيصر الروم بخروجه ﷺ وبينهما ما يزيد عن الألف كيلومتر، فما كان من قيصر الروم إلا أن ترك بلاد الشام كلها وذهب إلى عاصمة ملكه في القسطنطينية رعباً وفزعاً من رسول الله ﷺ، فسار ﷺ حتى بلغ تبوك في شمال الجزيرة فلم يجد من الروم جنداً ولا جيشاً ولا أحداً في مقابلته فالسلاح الأعظم الذي نصر الله ﷻ به المسلمين في كل حروبهم في شهر رمضان .. ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (٢الحشر) .

إخواني المؤمنين .. ولماذا كان النصر حليف أهل الإيمان في شهر رمضان بالذات؟ لأن شهر رمضان شهر الصبر فقد قال ﷺ: { **الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ** }[63] و { **الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ** }[64] فما شأن الصبر بالنصر؟ يقول الله ﷻ ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا ﴾ (٦٥الأنفال) ، وبفحص هذه الظاهرة علمياً نجد الحق ﷻ ركب طاقات أعضاء الإنسان جميعاً على أن يقوم جزء يسير منها بالعمل في الحياة الطبيعية، وادخر باقي الطاقات حتى تتفجرللمؤمن الصابر في الوقت المناسب، فالعضلات جميعاً تعمل ببعض طاقاتها، وعند الاستثارة تعمل بكل طاقاتها فتقوى عشرة أمثال طاقاتها الأولى، وكذا طاقات الجهاز العصبي تعمل عملها الطبيعي وحتى خلايا الكلية والكبد تعمل بعشر طاقاتها، وعند الطوارئ تراها وقد زاد إنتاجها إلى عشرة أمثالها، فترى المؤمن الصابر

---

٦٢ متفق عليه من حديث أبي هريرة.
٦٣ رواه أحمد في مسنده والدارمي في سننه والسيوطي في الفتح الكبير عن رجل من بني سليم.
٦٤ جامع المسانيد والمراسيل، عن ابن مسعود ﷺ

عند الطوارئ النفسية فرحاً مستبشراً، لأنه بصبره تزداد طاقة إنتاجه والنتيجة ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (٦٥الأنفال).

وقد تم في السنين الأخيرة اكتشاف مادة الأندروفين وهى مادة كيميائية تفرزها خلايا المخ، خاصة القشرة العليا من فصي المخ، وهى مادة تزداد في دم الإنسان كلما زاد صبره على الآلام المختلفة، وكلما زادت إرادته في إنجاز عمل خاص، وهى التى تعين الإنسان على وقف الألم، وعلى زيادة التحمل، وعلى استقرار طاقاته وهو يواجه الصعوبات والمخاطر، ولذا فالمؤمن تكون قوته في وقت الشدة عشرة أضعاف قوته العادية لأنه تدّرع بدرع الصبر، ودرع الصبر لا يكون إلا لأهل الإيمان وهذا حالهم الجلى فى شهر الصبر شهر رمضان.

إخوانى المؤمنين ... ونحن نحتفي هذه الأيام بذكرى غزوة بدر فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان وفتح مكة في العشرين من رمضان ، فهما من الليالي التي اختصها الله ﷻ بالفضل ولذلك فقد حرص سلفنا الصالح على إحيائها في طاعة الله ﷻ لأنها من الليالي النصر والفرح بالنصر والفرح بإعزاز الحق وكذلك لأنهما من الليالي التي تجلى فيها الله لحبيبه ومصطفاه ولأصحابه من المهاجرين والأنصار فأعزهم وأيدهم وأمدهم ووفقهم فأهل التوفيق يحيون هذه الليالي ليحظوا بمدد من التوفيق الإلهي الذي حظى به أصحاب رسول الله ﷺ لأن الله أمدهم عندما استغاثوا بهم فانتصروا على أعدائهم....

ونحن كذلك أيها المؤمنون والمؤمنات معنا عدو ملازم لنا يقول فيه رسول الله ﷺ: { أَعْدَى الأَعْدَاءِ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ }[٦٥] ومن أجل أن ينتصر الإنسان على هذا العدو يحتاج إلى إمداد ومعونة من الله ﷻ فإن لم يمدنا الله بمعونة من عنده أو مدد من لدنه ما استطعنا أن نتغلب على أنفسنا، بل ربما قهرتنا أنفسنا وفي ذلك هلاكنا والعياذ بالله ، فأهل الله السابقون وأئمة المتقون يحيون هذه الليلة ضارعين إلى رب العالمين أن يرزقهم التوفيق وأن يمدهم من بحار النبوة ومن أسرار الفتوة ومن أنوار الألوهية ما به يستطيعون أن ينتصروا في هذه الحياة على أنفسهم بفضل الله وتوفيق الله.

ففي ليلة بدر كان أصحاب رسول الله ﷺ وقد وصلوا إلى ميدان المعركة – وكانوا خارجين لمقابلة التجارة التي كان فيها أبو سفيان وعمرو بن العاص وأربعون رجلاً من قريش وكانت هذه التجارة في طريقها من بلاد الشام وبها مكاسب ومغانم كثيرة، فنزل سيدنا جبريل

٦٥ العسكري عن سعيد بن أبي هلال

ﷺ وأخبر رسول الله وأعلمه أن أبا سفيان وعمرو بن العاص آتين من بلاد الشام ومعهم أربعون رجلاً ومعهم مال وفير فاخرجوا فربما يعوضكم الله عز وجل ويغنمكم هذا المال مقابل المال الذي اغتصبوه منكم في مكة، فخرج الرسول ﷺ ومعه عدد قليل حوالي ثلاث مائة وثلاث عشرة رجلاً، ولم يعرفوا أنهم خرجوا من أجل الحرب ولذلك كانت الأسلحة التي معهم قليلة، ومعهم ثلاثة من الخيول ومن الجمال سبعون جملاً، ولذلك كان كل ثلاثة يتناوبون على جمل واحد حتى رسول الله ﷺ نفسه كان يتناوب مع اثنين من أصحابه وعندما قالوا له يا رسول الله عليك أن تركب ونحن أقوى على المشي فقال ﷺ: { **أعلم أنكم تكفونني ذلك ولكنني لا غنى لي عن الأجر** } يعني أريد الأجر مثلكم فضرب لنا المثل في القدوة وعلمنا كيف يكون قائد الجيش نفسه شريكاً لجنده.

ورغم أن الأسلحة كانت قليلة والعدد كان قليلاً إلا أنه شاءت إرادة الله أن يكون القتال، مع أن جلَّ الذي خرج لا يريد إلا الغنيمة والأموال والأرباح والمكاسب التي بالتجارة، وعندما علم أبو سفيان بخروج المسلمين غيَّر الطريق ونجا بكل من معه، ولكنه كان قد أرسل رسولاً إلى أهل مكة يعلمهم بأن تجارتهم معرضة لسوء ليخرجوا إليه، فخرجوا في تسعمائة وخمسون فارساً ومعهم مائة فرس، ومعهم من الجمال عدد كثير وأموال كثيرة وأسلحة وفيرة، وخرجوا واستعدوا لحماية تجارتهم، وفي نفس الوقت كانوا موتورين لأن الرسول خرج من بينهم ولم يستطيعوا أن يصنعوا معه شيئاً مع أنهم كانوا قد دبروا خطة محكمة لقتله فخرج بإذن الله من بينهم فكانوا يريدون الانتقام.

فالتقى الجيشان عند ماء بدر، وصل الكفار أولاً عند ماء بدر وسمي بدر لأن هناك بئر يسمى بدر ومياهه عذبة فعندما نزل الكفار أولاً نزلوا بجوار البئر وجعلوه خلفهم وحموه حتى لا يشرب منه المسلمون ولا يغتسلون ولا يحصلون منه على ماء، وعندما وصل الرسول ﷺ وأصحابه وكانوا قد قطعوا أربعة أيام في الطريق سيراً على الأقدام وكان الجو حاراً والطريق في الصحراء ونتيجة للتعب الشديد حدثت آيات عظيمة من آيات الله من أجل أن تثبتهم في هذه الليلة، كانوا متعبين ونتيجة للتعب والكفار بجوارهم قسمهم الرسول ﷺ إلى ثلاث مجموعات مجموعة تنام الثلث الأول من الليل ومجموعة تنام الثلث الثاني من الليل ومجموعة تنام الثلث الأخير من الليل منا قسمهم ﷺ.

وبعدما قسم الجيش وقفت المجموعة التي تتولى حراسة الجيش وأقاموا له خيمة صغيرة في مؤخرة الجيش أخذ يصلي فيها لله ﷻ وشاءت إرادة الله للجميع أن يناموا من شدة التعب ومن طول السفر والسير على الأقدام حتى الذين كانوا موكلين بالحراسة ناموا ومعهم سيوفهم وهم واقفون في أماكن حراستهم ولم يقعوا على الأرض بقدرة الله ﷻ ، حتى أن

سيدنا رسول الله نام في سجوده، فغشّاهم الله بالنُّعاس جميعاً وحرستهم ملائكة السماء من عيون الكفار، ومن دوريات الكفار، وهذه كانت أول آية من آيات الله التي ذكرت في سورة الأنفال ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (١١الأنفال).

وفي الصباح وعادة عندما يكون الإنسان متعباً أو ينام في جو بارد يحتلم فأصبح كثير منهم وقد أصابته جنابة فوسوس لهم الشيطان وقال كيف تكونوا أولياء لله وفيكم رسول الله وتحسبون أنكم على الحق ولا تستطيعون الوضوء أو الصلاة؟ وكيف تقابلون أعدائكم بهذه الكيفية والمياه كما قلنا قبل ذلك مع الكفار فحدثت الآية العظيمة الثانية من آيات الله: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (١١الأنفال) . فنزل الماء من أجل هذه الأمور الثلاثة: أولاً: ليتطهروا به فاغتسلوا وتوضأوا وأخذوا منه في قربهم، وقاموا ببناء أحواض فامتلأت بالماء وأصبح عندهم ماءٌ أكثر مما عند الكفار، ثانياً: ليذهب عنكم رجس الشيطان وهي الوسوسة التي وسوس بها الشيطان في نفوسهم والتي ربما كانت تتسبب في ضعف عزيمتهم فذهبت وقوى الإيمان لأنهم علموا أن عناية الله معهم.

وإذا العناية لاحظتك عيونها　　　　نم فالمخاوف كلهن أمان

فطالما معهم عناية الله يطمئنوا، ثالثاً: أن الأرض كانت رملية! والأقدام كانت تغوص في الرمال فنزل المطر وجعل الأرض مُلبّدة لا تغوص فيها الأقدام! وهذه كانت آية من آيات الله في المكان الذي فيه المسلمون .. أما المكان الذي فيه الكفار فقد نزل فيه مطر كثير فأصبحت الأرض طيناً (وَحْلاً) لا يستطيع الواحد منهم أن يتحرك فيها وتغوص أقدامه في الطين، وهذه عناية الله للمؤمنين ... وبدأت المعركة في الصباح....

وقبل المعركة تفقد رسول الله ﷺ ميدان القتال ومعه كبار قادة الجيش وحدد بيده الشريفة الأماكن التي يُقْتل فيها صناديد الكفر فيقول هنا سيقتل أبو جهل!! هنا سيقتل أمية بن خلف، هنا سيقتل فلان وفلان، فحدد الأماكن التي يقتل فيها الكفار وقد كان من عظيم قدرة الله بعد المعركة أن كل مكان حدده رسول الله لقتل رجل وجدوه في نفس المكان كما قال رسول الله ﷺ وعندما اصطفت الصفوف قال رسول الله ﷺ لسيدنا علي: (اعطني حفنة من الحصى من الأرض) فوضعه في كفه ورمى به الكافرين. ماذا تفعل هذه الحفنة من الحصى في هذا العدد الكبير؟ لكن الحصى غطّى التسعمائة والخمسين جميعاً وأصابهم في أعينهم من أجل أن يثبت الله المؤمنين وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١٧الأنفال) ، وبدأت المعركة وفي أثنائها توالت المعجزات النبوية ....

فسيدنا عكاشة وكان من أصحاب رسول الله ظل يحارب حتى كسر سيفه فذهب إلى رسول الله ولم يكن معه احتياطي لأن كل واحد معه سيف فقط ماذا فعل الرسول؟ أحضر عوداً من الحطب وأعطاه له وقال له اضرب بهذا العود فتعجب سيدنا عكاشة وحرك عود الحطب بشدة فوجده سيفاً عظيماً مصقولاً لامعاً وكأنه خارج من المصنع وظل يحارب بهذا السيف طوال عمره حتى مات.

ومُعاذ بن عفراء وهو رجل من الأنصار وهو يحارب ضربه عكرمة بن أبي جهل بالسيف على كتفه فقطع ذراعه فذهب إلى رسول الله ﷺ فأخذ من ريقه الشريف ووضعه على مكان الجُرْح وأعاد الذراع إلى مكانه فشفى في الحال بإذن الله وكأنه لم يصبه ضرر، سبحان الله العظيم لم يحتج رسول الله إلى خياطة ولا بنج ولا أدوية ولا طبيب تخدير ولا طبيب جراح ولا غير ذلك مع أن العظم تكسّر وتقطعت الشرايين والأوردة ولكنه تأييد الله ﷻ لأهل بدر لأنها كانت معركة فاصلة وقد عبر عن ذلك رسول الله في بداية المعركة حيث قال: {**اللهم إن هذه قريش قد أتت بخيلها وخُيلائها تحادك وتكذب رسولك. اللهم نصرك الذي وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعْبد في الأرض بعد اليوم**}.

أي إنه إذا انهزم هؤلاء المؤمنون فسوف ينتهي هذا الدين فكان لابد من النصر والتأييد لهم، وظهرت آيات لا حد لها ولا حصر لها ومن ضمنها أن المسلمين رأوا المشركين عدداً صغيراً جداً مع أنهم تسعمائة وخمسون !! ويحكي عن ذلك سيدنا عبد الله بن مسعود فيقول: كنت أقول لمن بجواري هل هؤلاء سبعون رجلاً؟ قال: لا بل إنهم مائة! وذلك حتى تكون بينهم الثقة واليقين، وكذلك الكفار رأوا أصحاب رسول الله عدد صغير من أجل أن يغتروا وإذا جاء الغرور جاءت الهزيمة وكانت هذه آية من آيات الله ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ (٤٤الأنفال) ، حتى يثبت المسلمون ويغتر الكافرون وهذه أيضاً من أسباب النصر...

وكذلك من إمدادات الله في المعركة نزول الملائكة، لماذا أرسل الله الملائكة؟ لأن في هذه المعركة قام الشيطان بتجنيد كل أعوانه حتى أنه جاء قبل المعركة من أجل تشجيع الكفار في صورة رجل من عظماء العرب اسمه سراقة بن مالك! وكان زعيم قبيلة كبيرة وقال للمشركين أنا معكم وجميع قبيلتي معكم! فعندما رأوا سراقة قالوا لقد جاءت لنا إمدادات من العرب، والمسلمون رأواأن أناساً جاءوا إلي الكفار لمعاونتهم فقالوا لا نقدر طالما أن العرب جاءوا لمساعدة المشركين!! فأرسل الله الملائكة لتمنع الشيطان وأعوانه ولذلك عندما نزلت الملائكة تروي كتب التاريخ أن الشيطان كان موجوداً ويده في يد رجل من زعماء الكفار وكان يتحدث معه وبمجرد نزول الملائكة جرى مسرعاً بعيداً فناداه هذا الرجل فقال له

إبليس اللعين ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٦الحشر) ، ولكنه خاف من الملائكة حتى لا تحرقه فكان نزول الملائكة حماية للمؤمنين من الشيطان وأعوانه هذا أولاً، وثانياً اطمئناناً للمسلمين أي بشرى لهم يبشروهم بنصر الله وبمعونة الله وبتوفيق الله لعباده المؤمنين : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧محمد) .. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله معز لعباده المؤمنين، وناصر لأحبابه المستضعفين وأشهد أن لا إله إلا الله القوي المتين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب اللواء المعقود والنصر المعهود وآله وصحبه الركع السجود وكل من تبعهم بخير إلى يوم الوفود.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. ما أبرز مقومات النصر في كتاب الله لجند الله؟ أولاً: عدم الغرور وذلك لقول الله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (١٢٣آل عمران). ثانياً: الخطة الواضحة في قوله جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الأنفال).

فهذه الخطة أساس النصر بالنسبة للمسلمين مبنية على خمسة أسس: الثبات وعدم الغفلة عن ذكر الله ولذلك شرع الله صلاة الخوف أثناء القتال حتى لا يترك الصلاة قبل المعركة أو أثناءها، ورسول الله سن لنا في هذه المعركة سلاح الدعاء فكان هناك من يحارب بالسلاح وهناك من يحارب بالدعاء وجلس رسول الله يدعو حتى نزلت ملابسه من على أكتافه ويقول له سيدنا أبو بكر يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك. فقال له أبشر يا أبا بكر فإني أرى جبريل ومعه الملائكة وإني أرى مصارع القوم.

وكذلك كان المسلمون بعد ذلك في أي معركة من المعارك المهمة فالمجاهدون يحاربون، والذين يجلسون في المدينة يدعون الله، وكان للأزهر دور كبير في هذا المجال وكان في أي معركة من المعارك يجتمع العلماء في الأزهر يقرأون القرآن وصحيح البخاري من أجل نصر المجاهدين، وعندما يصل القائد يقول لهم لقد انتصرنا بدعائكم وليس بأسلحتنا وقوتنا، والثالث هو طاعة الله ورسوله وإقامة شرعه، والرابعة هي إجتماع الكلمة و عدم النزاع، والخامسة هي الصبر كما سبق و بينا سرّه، فهذه هي الخطة المحكمة والتي كانت بدرٌ مسرحاً متكاملاً لتنفيذها وظهورها << ثم الدعاء >>.

الخطبة السابعة[٦٦]

الصيام وإصلاح الأخلاق واقتراب العيد

الحمد لله ربِّ العالمين، يربي عباده المؤمنين على أخلاق القرآن وصفات الإيمان وأعمال أهل الجنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله شفوق بعباده، لطيف بخلقه بالمؤمنين رءوف رحيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أول من أسس مدرسة الإيمان وشيدها متينة البنيان عالية الأركان، وقسَّم فصولها ووزَّع طلابها ووضَّح مناهجها، ووضع لها شهادات التقدير التي تخرج للمبرزين فيها من العلي القدير، صلوات الله وسلامه على هذا النبي البشير النذير السراج المنير وآله الكرام وأصحابه العظام وعلى كل من سار على نهجه إلى يوم الزحام.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن على وشك الانتهاء من هذه الدورة الإيمانية التي عقدها لنا ربُّ البرية، هذه الدورة التي ليس لها مثيل في دنيا الناس فلا يوجد في العالم كله دورة يشترك فيها ما يزيد عن الألف مليون من البشر رجالاً ونساءاً، شيوخاً وشباناً، أطفالاً وبالغين، الكل يشتركون بأمر ربِّ العالمين في هذه الدورة الإيمانية السنوية لمدة شهر كامل، وهم في بيوتهم وهم في بلدانهم وهم في أماكن عملهم، يشتركون بأرواحهم وقلوبهم في هذه الدورة التي نظمها لهم المولى ﷻ ... فنريد أن نتلمس بعض البواعث التي من أجلها فرض علينا الله هذه الدورة الإيمانية.

إن كل ما وقف عنده الحكماء والأطباء أن هذه الدورة الغرض منها تنقية المعدة وإصلاح شأنها ثم بعد ذلك إصلاح الجسد الحامل لها وهذا شئ عظيم وأمر كريم !!! ولكنه ليس الهدف الأساسي كما بيّن الله في قرار التخصيص فقد قال في قرار إنشاء هذه الدورة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة) .

فكان الهدف من هذه الدورة أن يصل المؤمن إلى مقام التقوى، وأن يتعلق بحبل التقوى وأن ينضم إلى كتيبة الأتقياء، وإلى صفوف الأنقياء، وأن يكون فرداً في جيش سيد الأنبياء يحارب جحافل الظلام ويحارب كتائب الشيطان، ويحارب الضلال في أي مكان، ويحارب الرذيلة أينما توجهت، وينشر الفضيلة أينما حلّ أو ذهب، يسعى بين الناس بالأخلاق، ويزيل من بينهم النفور والخلاف والشقاق، يمشي بعد هذه الدورة في دنيا الناس طبيباً ربانياً معه الأدوية المحمدية والأشفية الربانية، يعالج الناس بها من أمراض النفوس .

---

٦٦ كانت هذه الخطبة بمسجد الإمام أبو العزائم بمغاغة محافظة المنيا يوم الجمعة الأخيرة من رمضان المعظم ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨/٥/١٣م.

ولو بحثنا في الكون ما وجدنا مصحات لعلاج النفوس من أمراض الأخلاق ..،نعم نجد مستشفيات لعلاج الأجسام وما أكثرها وما أوسعها وما أكثر العاملين بها أو للعلاج من الأمراض النفسية التي يدسها الأطباء مثل الفصام والرهاب وغيرها .. ، لكن علاج النفوس من أمراض الأخلاق وسوء الطباع من الغضب ومن الغيظ ومن الحقد ومن الحسد ومن الحرص ومن الطمع ومن الغيرة ومن النفور ومن الشقاق ...، أروني في العالم كله مصحة نفسية تعالج الناس من هذه الأمراض الأخلاقية مع أنها سبب ما نحن فيه من مشكلات وكل ما نحن فيه من خلافات ومنازعات !!!

إن ما بيننا وما يحدث في مجتمعنا من قضايا النصب والاحتيال ومن السرقة والرشوة وغيرها من أنواع المشكلات إنما سببها فساد الأخلاق وسوء الطباع وعدم اهتدائنا بهدى النبي المختار وشمائل أصحابه الأبرار، ولا يوجد مصحة في عالم البشر تعالج هذه الفِطَر إلا المصحة الإيمانية التي خلقها وأوجبها علينا فاطر البشر وخالق القدر، وأوجب علينا جميعاً أن ندخلها بالاحتساب وصدق الإيمان ونتنبّه إلى ما فيها من طوابير أخلاقية بيّنها لنا النبي العدنان ﷺ ... وهذه هي الغاية الكبرى من هذه الدورة ... أن نأتي بنفوسنا وندخلها في ورشة الإصلاح الربانية لتنصلح أخلاقها ... ليذهب شرها وليكمل خيرها وليظهر برها حتى إذا خرجت من هذه الدورة .. سارت النفس طوال العام على هدى من كتاب الله وعلى هدى من سنة رسول الله ﷺ وعلى هدى من أخلاق السلف الصالح ﷺ وأرضاهم أجمعين.

إن النفس في غيبتها عن التقى وغيبتها عن مراقبة الرقيب تفعل أعاجيب الشرور، تسطو على الضعيف وتسرق القوي وتضرب بيد من حديد على الضعفاء والمساكين لخلوها من نوازع الرحمة التي تأتي من مراقبة رب العالمين ﷻ، ولذلك نجد كل يوم صفحات المجلات والجرائد تأتي لنا بالأخبار التي لا تصدق والأحوال الغريبة التي عندما نقرأها نتذكر أننا في غابة من الغابات ! ولسنا في مجتمع إسلامي !أو مجتمع إيماني ..

لأن ما يحدث في هذه المنازعات هو أدنى من أحوال الحيوانات ... بل إن الحيوانات بعضها عنده فضائل تغلب على بني الإنسان فالكلب مثلاً لا يأكل لحم أخيه الكلب الميت أبداً!!، يأكل لحم الميتة ! ويأكل الجيف ويأكل القاذورات لكنه لو وجد أخاه مُلقاً على مزبلة لا يقرب منه ولا يقترب من لحمه ولا يمضغه بأسنانه!! ، فما بالك بالإنسان الذي يأكل لحم أخيه ميتاً يجلس مع أخيه على نهش لحم أخيه، وعلى الكلام في عرض أخيه، وعلى الحديث بما يسوء أخاه، وعلى محاولة جلب الشر لأخيه، وعلى محاولة العمل على إفساد شأن أخيه .. أليس هو في هذا الخلق يتدنى عن مرتبة الكلب. مرتبة آدمية لكنها في الحقيقة أخلاق حيوانية.

إن هذا هو ما يعالجه الصيام، يجعل النفوس تطهر لحضرة القدوس، وتراقب الله وتصل إلى مقام مراقبة الله ﷻ وإلى مقام يعتقد صاحبه أن الله مطلع عليه ويراه وأنه ﷻ يراقبه في الخلوات كما يراقبه في الجلوات، وأنه ﷻ يعلم منه خفيات الصدور وحركات العيون، ويعلم منه ﷻ حتى الخواطر القلبية التي لم تخرج إلى حيز التنفيذ، فإذا علم أن الله مطلع عليه ويراه فإنه يتجه بالعمل إلى الله، يعامل الله في الخلق ويعامل الخلق في الله، فيقوم مراقباً لله يعمل لأن الله يراه ولا ينتظر الأجر في عمله إلا من الله. إذا صنع معروفاً فإنما يصنعه من أجل الله ولا ينتظر الأجر عليه إلا من الله، وإذا امتنع عن شر فلمعرفته لأن الله يراه وهو لا يريد أن يسوء نفسه أو يشوه صورته أمام خالقه وباريه فإنه إذا اطلع عليه وهو في المعصية غضب عليه وإذا غضب عليه حلّ به عذابه وسخطه وهو لا يريد أن يخرج من هذه الحياة إلا بقول الله : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ (٨البينة).

أيها الأخوة المؤمنون إنما عقدت هذه الدورة الإيمانية لإصلاح أخلاق الأمة المحمدية فإذا خرجنا من هذه الدورة وقد أتممناها بنجاح وجاء العيد قد قد عدنا بفضل الله وبركات هذه الدورة الإيمانية ... عُدْنا إلى سيرتنا الأولى وعُدْنا إلى حالتنا الأولى التي كنّا فيها عند الله ﷻ عندما خلقنا قبل هذه الحياة وأجلسنا على بساط الصفاء وخاطبنا بما أخبر به بكلامه: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف)، فيخرج الإنسان من هذا الشهر وقد زال ما في جعبته من الحقد على فلان أو الكره لفلان أو البغض لفلان أو حُبّ الشر لفلان أو الرغبة في الانتقام من فلان أو الحب لغش فلان وفلان ... يُفْرغ ما في جعبته [ما في جعبة النفس] والنفس هي التي فيها هذه الجعبة القذرة تملؤها بالشرور وتغمرها بالآثام وتلقي إليك بما فيها آناء الليل وأطراف النهار عن طريق الوساوس الشيطانية والإذاعة النفسانية... كيف ذلك؟

إنك عندما تختلي بنفسك تجدها توسوس لك بما أحدثه لك فلان وبما فعله معك فلان وما الذي تفعله معه؟ كيف ترد شرفك وكرامتك؟ وكيف تنتقم لشخصك؟ وكيف تعامله بالمثل؟ كل هذا من بضاعة النفس التي تخزنها في مخازنها !! وفي هذا الشهر الكريم يقوم المولى العظيم إذا ألقيت نفسك في ورشة القرآن الكريم .. بإفراغ ما في النفس من هذه الأوحال ومن هذه الخصال ، ويملؤها بخصال الخير .. وبصفات البر، يملؤها بالحب لكل مسلم، ويملؤها بالرحمة لكل مؤمن ويملؤها بالرغبة في صلة الأرحام ويملؤها بالرغبة في بر الوالدين ويملؤها بالرغبة في حبور عباد الله، وإدخال السرور على الفقراء والمساكين منهم في شتى بقاع الأرض، فتخرج النفس وقد امتلأت بحب الخير .. وقد امتلأت خزانتها على مصراعيها بصنوف البر .. فيخرج الإنسان من هذا الشهر الكريم وقد امتلأ من رأسه إلى أخمص قدميه

بتقوى الله وبمراقبة الله وبالرغبة في العمل لما يرضي الله ولما ينال به لشرف بعدما يخرج من هذه الحياة، هذا هو الغرض الأساسي من مدرسة التقوى ....

مدرسة التقوى التي يقول فيها رسول الله ﷺ مبيناً لنا المنهاج فيها: { **إذا صمت ليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك** }[٦٧]، وتقوم المدرسة الإيمانية بالتدريب العملي على هذه الأعمال التقية النقية لمدة شهر كامل تأمرك فيه تعاليم المدرسة: ألا تغضب إذا استغضبت! وألا ترد إذا شتمت! حتى إذا شتمت تقول لك لا ترد بالمثل! بل قل { **إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** }[٦٨] أى إنى طالب فى هذه المدرسة الإيمانية ومشترك فى هذه الدورة الروحانية ومن مواد دراستى التى ألتزم بها وبتطبيقها أننى صائم عن الخطايا وصائم عن الدنايا وصائم عن الأخلاق الفاسدة بالإضافة بالطبع إلى صيام المعدة عن الطعام والشراب .. فإذا خرجت من هذا الشهر وقد طبقت هذا البرنامج التدريبى شهراً كاملاً! كنت كذلك إذا خاطبك إنسان بالقبيح انصرفت عنه ولم تقابله إلا بكل خير ومليح! وكنت كما قال ربُّ العالمين ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان).

ولذا دعونا ننظر إلى رجل واحد من الذين تخرجوا من هذه المدرسة والذي فيه الأسوة لنا أجمعين نأخذ مثالاً واحداً من الصف الأول الذين تخرجوا من هذه المدرسة، والذين نجد أوسمتهم معلقة في صدور الملكوت الأعلى لمن خلفهم ... وهو الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه ... يأتي إليه رجل ويأخذ يسبّه ويشتمه ويزيد عليه وهو لا يلتفت إليه ولا يكلمه حتى إذا وصل إلى الشارع الذي به نزله التفت إليه وقال : يا أخا الإسلام! إن كان عندك شئ آخر فأت به قبل أن يراك أحد من الأولاد فيؤذيك!! فتعجب إنسان كان يراقب الموقف من بعيد ... وقال يا أمير المؤمنين إلى هذا الحد! قال وأكثر من هذا:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مُجيباً
يزيد سفاهة وأزيد حلماً ... كعود زاده الإحراق طيباً

إنه تعلم في مدرسة الصوم ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤آل عمران)، انظروا إلى العالم أجمع من يعلّم هذه التعاليم؟ من يُدرّب عملياً أبنائه وطلابه على هذه الأخلاق العلية وعلى هذه التعاليم الربانية إلا ربّ البرية ونبيه المصطفى خير البرية ﷺ في شهر التقوى والدورة الإيمانية !!!!

---

٦٧ عن جابر في مصنف ابن أبي شيبة.
٦٨ عن أبي هريرة في مسند أبي يعلى.

ثم انظروا إلى موقف آخر في تقواه حتى مع عدو من أعداء الله، هذا كان موقف مع رجل من أهل الإيمان، وهذا موقف مع رجل من أعداء الرحمن ﷺ، التقى مع فارس من فرسان الكفار في معركة حربية وحدث بينهما مبارزة فتقاتلا حتى وقع فرسهما، ثم نزلا وتقاتلا بالسيف حتى تكسر سيفيهما، ثم دخلا في مصارعة وانتهت بأن حمله الإمام علي وأوقعه على ظهره وبرك فوقه وأخرج خنجره ليقتله بعد هذه المعركة الشرسة !! وإذا الرجل يتْفل في وجهه (يبصق)! ماذا فعل الإمام علي؟ قام وترك الرجل !! فتعجب الرجل وقال كيف تركتني بعد أن تمكنت مني؟ اسمعوا إلى خريج مدرسة الإيمان والتقوى ماذا يقول؟ قال: كنت أقاتلك لله ﷻ فلما تفلت في وجهي! خفتُ أن أقتلك انتقاماً لنفسي فأحرم الأجر من ربي ﷻ ، فقال: وهل تراقبون الله في هذه المواطن؟ قال: وفي أدّق منها!.. خرجوا من مدرسة التقوى ومعهم الرقيب ومعهم قول الرجل الصالح:

إذا ما خلوْتَ ، الدّهرَ، يوْماً، فلا تَقُلْ	خَلَوْتُ، ولكِنْ قُلْ عَلَيّ رَقيبُ
ولا تَحسبَنّ اللّهَ يُغْفِلُ ما مضَى	وَلا أنّ ما يَخفَى عَلَيهِ يَغيبُ
فَيا لَيتَ أنّ اللّهَ يَغفِرُ ما مضَى	ويأْذَنُ في تَوْباتِنَا، فنَتُوبُ
فأحْسِنْ جَزاءً ما اجْتَهَدتَ فإنّما	بقَرْضِكَ تُجزَى والقُرُوضُ ضُرُوبُ

ولذا أكرمهم الله وجعل لهم حفل تكريم إلهي في يوم الجائزة وهو يوم الفطر فيستعدون للتكريم ويجلسون بين يدي المولى ﷻ بالخشوع والتعظيم ... فيحضر معهم الملائكة الكرام! ويحفّوهم بأجنحتهم! ويوقظوهم من بيوقم ويخرجون في صبيحة هذا اليوم ويقفون على أبواب الطرقات .. ويقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي الأجر الجزيل ويغفر الذنب العظيم ... وآخرون يجلسون على أبواب المساجد .. ومعهم سجلات التشريفات الإلهية يسجلون فيها كل من حضر إلى ديوان رب البرية ... ليسجل اسمه في القصر الإلهي في بيت الله .. وبيت الله هو المسجد وزواره هم ضيوف الله وهم عمار المساجد ... يسجلون أسمائهم في ديوان التشريفات ...

فإذا دخل الإمام غلقت الصحف وطويت وجفت الأقلام .. وجلسوا معهم يصلون معهم صلاة الشكر لله .. وهي صلاة العيد فما هي إلا شكر لله على نعمة التوفيق للصيام، وعلى نعمة التوفيق للقيام، وعلى نعمة المغفرة للذنوب، وعلى نعمة رفع المقامات عند الحبيب المحبوب، فيشكرونه ! فإذا شكروه استمعوا إلى الواعظ وهو يذكرهم بفضله ﷻ عليهم وبنعمه السابغة عليهم، فإذا انتهوا من هذا المقام وشكروا الله على ما أولاهم وعظموه على ما أعطاهم، استمعوا إليه وهو يقول: { **يَا عِبَادِي سَلُونِي فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي**

الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ انصرفوا مغفوراً لكم لقد أرضيتموني ورضيت عنكم }[٦٩]

أو كما قال **{توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.**

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. هنيئاً لكم بصيام هذا الشهر الكريم، وأبشروا بالأجر العظيم من المولى الكريم فإنه ﷻ قد فتح لكم جميع خزائن فضله وجميع أبواب كرمه ليغدق عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ويدعوكم للتكريم في يوم التكريم، ولذا أمركم النبي الكريم بأن تدخلوا إلى الله وأن تذهبوا للقاء الله بما يليق بعظمة هذا الموقف الكريم.

هذا الموقف الكريم هو صلاة العيد حفل تكريم للمؤمنين يشهده ربُّ العالمين ويشهده الملائكة المقربون ويشهده جميع عباد الله الصالحون في ملك الله وملكوته، فإذا دُعيت لهذا الحفل فأحيي ليلة العيد لقوله ﷺ: **{ مَنْ أَحْيَا ليلةَ الفِطرِ وليلةَ الأضحى لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يومَ تَمُوتُ القُلُوبُ }**[٧٠] لا تحييها بجوار التليفزيون!! أو تحييها بالانهماك في الملذات!! ولكن أحييها بالاستغفار على ما فات!! وأحييها بالشكر على ما هو آت...

فأنت مقبل على حفل تكريم الله على ما صنعت في هذا الشهر الكريم! وأنت في هذا الشهر الكريم ربما قصرت وربما هفوت وربما أذنبت! فتقضي هذه الليلة في التوبة إلى الله ﷻ والاستغفار بين يدي الله على ما حدث منك من ذنوب وسيئات في هذا الشهر! فإذا أصبح الصباح اغتسلت، ولبست أحسن ما عندك من الثياب، وتطيبت وخرجت من بيتك، وأنت تلبي نداء الله وتكرر ما أخبرك به رسول الله، تخرج من البيت وأنت تعظم الله وتقول: **{ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً }** وتكرر هذا الكلام في بيتك وفي طريقك حتى تصل إلى بيت الله، فتجد إخوانك في انتظارك يكررون هذا الكلام ولذا يكون حال المسلمين في تلك الساعة في بيوتهم و في شوارعهم و في مساجدهم الكل يلهجون بالتكبير للعلي الكبير ﷻ.

---

٦٩ عن ابن عباس، رواه الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب والبيهقي.
٧٠ عن أبي الدرداء. رواه البيهقي في السنن الكبرى.

وقبل أن تخرج لأداء هذه الصلاة تتأكد من إخراج الزكاة لأنها حق الفقراء والمساكين وبها يطيب عملك ويُرْفع ديوانك إلى رب العالمين ﷻ فلا تخرج من بيتك إلا وقد تأكدت بأنك قد وفيتها حقها وأخرجتها إلى مستحقها، فإذا صليت مع المسلمين فاجلس لسماع الوعظ من العلماء العاملين فتلك سنة خير المرسلين، وبعد هذه السنة الحميدة تذهب إلى إخوانك المسلمين تصافحهم وتسلّم عليهم.

وعبادة هذا اليوم المخصوصة هي المصافحة ... ليست قراءة القرآن .. وليست الصلوات النّفلية .. وليست أي أنواع أخرى من العبادات ... عبادة يوم العيد هي مصافحة المسلمين .. وتهنئتهم بهذه المناسبة الكريمة والمصافحة نفسها ما أجرها؟ يقول فيها ﷺ: { **إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا** [أي نزلت ذنوبهما] **كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ** }٧١ أى كما يترل ورق الشجر ..!!

والعبادة الثانية هى النظر .. إذا نظر المسلم في وجه أخيه نظرة حب وصفاء ومودة كم في هذه من الأجر استمع إلى الرسول الكريم وهو يقول: { **نظرة في وجه أخ في الله على شوق خير من اعتكاف في مسجدي هذا عاماً** }[٧٢] فعبادتكم في ذلك اليوم النظر في وجوه المسلمين بالبشاشة وبالمحبة والسرور، بالبشر والترحاب، ومصافحة المؤمنين، والتواد بين المؤمنين، وصلة الأرحام، والعطف على الفقراء والمساكين والأيتام ... تلك هي عبادتكم طوال هذا اليوم الكريم فإذا رجعت إلى بيتك ترجع إليه من طريق غير الطريق الذي ذهبت منه إلى المسجد لأداء صلاة العيد.

تلك هي سنن العيد نجملها فيما يلي: إحياء ليلة العيد في طاعة الله، الحلق والتقصير، تقليم الأظافر، الاغتسال ليلة العيد أو في صبيحة العيد، التطيب يعني وضع الرائحة العطرة، التكبير من بعد صلاة الفجر إلى حين رقي الإمام إلى المنبر، مصافحة المسلمين والتوادد والتحابب بين المؤمنين، العطف على الفقراء والمساكين كسنة خير المرسلين فإنه مرّ في يوم العيد فوجد غلاماً منتبذاً [وحيداً] لا يلعب مع بقية الصبيان فقال له: يا غلام لم لا تلعب مع الصبيان؟ قال: لأني يتيم ليس لي أب ولا أم، فأخذه ﷺ وربَّت عليه قائلاً: أما ترضى أن أكون لك أباً وعائشة لك أماً وفاطمة لك أختاً، فأخذه وأبدله بالسرور والحبور وجعله يحس ببهجة العيد وبمعنى العيد كما يحس به جموع المؤمنين، ثم يرجع إلى بيته من طريق آخر، تلك هي سنة العيد فحافظوا عليها وقوموا بها يرحمنا الله وإياكم واعلموا أن الله ﷻ جعل للصائم دعوة لا ترد ... << ثم الدعاء >>.

---

٧١ عن البراء بن عازب، رواه أبو داود في السنن والبيهقي.
٧٢ عن ابن عمرو، رواه السيوطي.

الخطبة الثامنة[٧٣]

الصوم جُنّة

الحمد لله ربِّ العالمين أعز عباده المؤمنين ففرض عليهم الصيام وسنَّ لهم القيام سبحانه سبحانه لا يحتاج إلى عبادة العابدين ولا يضرّه عصيان العاصين وإنما الأمر في ذلك كله يتوقف علينا عند رب العالمين سر قوله سبحانه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية) ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله شفوق عطوف رحيم حنان منان، أشفق بنا من أنفسنا وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا، أوجب علينا الطاعات لما فيها لنا في الدنيا والآخرة من الخيرات والبركات، ونهانا عن الآثام والذنوب لما تجرّه علينا من الويلات في الدنيا والتعاسة يوم الخلود.

سبحانه سبحانه انفرد بعظمته وتوحد في نعوت حكمته وعلا في كبريائه وجلالته وتنزّل من عليائه وكبريائه ليرفع عباده المؤمنين ويجعلهم في أوصاف الملائكة المقربين، فملائكة الله لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون فأمرنا ﷻ أن نتشبه بهم في شهر رمضان ففي نهاره لا نأكل ولا نشرب ولا نجامع النساء، وفي ليله لا ننام بصلاة القيام لله فنتشبه بملائكة الله فإذا كانوا كما قال ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم)، فنحن أيضاً بفضل الله في شهر رمضان لا نعصي الله ونطيع الله وإذا كانوا هم كما وصفهم الله بأنهم عباد الرحمن ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ ﴾ (١٩الزخرف)، فإنَّ من تشبه بهم ومشى على هديهم وسار على دربهم يجعله الله في عباده في قوله ﷻ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٦٣الفرقان)، إلى آخر الآيات الكريمة .. فالملائكة عباد الرحمن ... والمؤمنون أجمعون عباد الرحمن ... فيجمع الله عباد الرحمن في الملأ الأعلى ... مع عباد الرحمن في الأرض في ليلة القدر ... يتعارفون! .. ويتحدثون! .. ويتكلّمون! ... إكراماً من الله ﷻ لعباده المؤمنين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ما ترك خصلة تقربنا إلى الله ﷻ إلا وحبّبها إلينا وما ترك خصلة تباعد بيننا وبين الله ﷻ إلا وحذرنا منها ونهانا عنها. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين .. أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي:

ونحن في شهر الصيام نريد أن نقف وقفة بسيطة عند حديث كريم للنبي الرءوف

٧٣ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي سعد الدين الجباوي بقرية البندرة مركز السنطة – غربية يوم الجمعة الموافق ١٢ من رمضان ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/٣/٥م.

الرحيم ﷺ لتعرفوا معي جميعاً مبلغ إعجاز هذا اللسان الشريف ومبلغ حكمة هذا النبي الكريم الذي قال عنه مولاه ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣، ٤النجم).

كثر الكلام في أيامنا وقبل أيامنا وسيتوالى بعد أيامنا عن الحكمة من فريضة الصيام لماذا أوجبه الله علينا؟ ولماذا قضاه الله علينا؟ وكل واحد من العلماء يتحدث عنه بطريقته فأهل العلم الديني يتكلمون عن حكمته الشرعية، وأهل الوعظ يتكلمون عن حكمته في غفران الذنوب وستر العيوب وفي تقريب الإنسان لحضرة علام الغيوب، وأهل الطب يتكلمون عن حكمته في علاج الأبدان والأجسام، وأهل الأمراض النفسية والعصبية يتكلمون عن حكمته في إزالة التوتر والضغط من نفوس الصائمين وإكسابهم الصحة الروحانية والسعادة النفسية التي لا ينالها الإنسان إلا في مصحة شهر رمضان...

وكل هذه الأمراض وغيرها جمعها رسولكم الكريم في كلمتين نستطيع جميعاً أن نحفظهما بل إن صبياننا يستطيعون حفظهما في يسر وسهولة ماذا قال ﷺ؟ قال: { **الصَّوْمُ جُنَّةٌ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ** }[٧٤] هذان اللفظان جمعا كل أسرار فريضة الصيام التي من أجلها أوجبها علينا الملك العلام ﷻ ... وكلمة جُنَّة يعني وقاية ويعني حفظ ويعني أمان وطمأنينة، فالصوم جُنَّة من الأمراض الجسمانية ، ووقاية من المتاعب النفسية ، وعناية للمجتمعات من المشاكل والخلافات ووقاية للصدور من الأحقاد والأحساد والغل والطمع والبغض مما يجعل الجميع يعيشون في محبة ووئام.

والصوم وقاية للصائم من نار جهنم والصوم صيانة للصائم من عطش يوم القيامة فإن الصائمين يكرمهم رب العالمين فيسقيهم من حوض سيدنا رسول الله الكوثر شربة هنيئة مريئة لا يظمئون بعدها أبداً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والصوم وقاية من نار الله والصوم وقاية للجوارح من الوقوع في غضب الله وفي سخط الله وفي مقت الله وفي عقاب الله ﷻ والصوم وقاية لكثير وكثير من الذي لا نستطيع أن نفصّله في هذا الوقت حتى لا تملّوا ويكفينا أن نشير إلى بعض نقاط منها وهي التي نحن جميعاً في أشد الحاجة إليها فقد قالت السيدة عائشة ﵂:{ **أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع. إن القوم لما شبعت بطونهم؛ جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا** }[٧٥] أى فاستطالوا في معاصي الله ﷻ ...

وفسر هذا الأمر الإمام علي ﵁ وكرم الله وجهه فقال: { **ما ملأ آدمي بطنه إلا همّ بمعصية قالوا ولِمَ؟ قال: لأن العروق والأوداج إذا شبع الإنسان امتلأت بالدم، وعندها**

٧٤ أخرجه البخاري عن معاذ بن جبل.
٧٥ سبل السلام وإحياء علوم الدين.

إن لم يوفقه الله لطاعته فسيفكر في معصيته } ومن هنا كان الصيام وقاية لنا ولكم جميعاً من الذنوب والآثام .

وقد قيل أن الله ﷻ أول ما خلق النفس دعاها وقال لها من أنا؟ ومن أنت؟ فقالت أنت الله الواحد القهار! وأنا النفس، ولكن من الأدب أن لا يرى الإنسان أو النفس أو القلب شيئاً لأنفسهم في حضرة الله! لأنه يوم القيامة سينادي على الجميع ولا يرد أحد عليه من عظمته وهيبته عندما يقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه فيقول ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (١٦غافر)، وعندها حبس الله النفس عن شهواتها وملاذها وعن أهوائها وجوعها ثم أوقفها بين يديه، وسألها: من أنا؟ ومن أنت؟ فقالت: أنت الواحد القهار وأنا لا شئ يا الله في حضرة عظمتك وجبروتك!!! فالإنسان إذا صام تطهر الأعضاء وتسكن عن العصيان، وإذا همَّ فإن القلب يكون يقظاً فيردها بسرعة إلى حضرة الله ﷻ.

فالصيام يقي الإنسان من الذنوب والمعاصي ولذا قال ﷺ **{ إذا كان أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النيران فلم يُفْتَحْ منها بابٌ وفُتِّحَتْ أبوابُ الجنَّةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ }**[76] فأبواب الجنان في الجنة تفتح وأبواب النيران تغلق عن الصائمين، لكن ما بال العصاة والمذنبين لا يرجعون إلى الله وقد صفدت الشياطين وسلسلت الشياطين وأمر الله جبريل وقال له: يا جبريل صفد مردة الشياطين وألق بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم وقيامهم، إذاً الذي يقتل في رمضان والذي يظلم في رمضان والذي يسب ويشتم في رمضان من أين له هذا؟ من نفسه!! وليس من الشيطان !! لأن الشيطان مسجون سَلْسَله الله ﷻ وسجنه في قيعان البحار وإنما من النفس، فإذا وفق الله العبد الصالح للصيام وسجن له نفسه وحفظ له نفسه من لَمَاتها ومن صفاتها السيئة ومن أحقادها الشريرة فإن هذا العبد يفتح الله فيه الأبواب التي تدخله جنة الله ﷻ ويغلق الله ﷻ فيه الأبواب التي تدخله نار جهنم...

أين هذه الأبواب؟ أبواب الجنة فيك وأبواب النار فيك!! فالعين: إذا تلوت بها كتاب الله أو نظرت بها إلى الفقراء والمساكين لتوصل إليهم ما حباك به الله فهي باب لك إلى جنة عرضها السموات والأرض، لكنك إذا نظرت بها إلى النساء في الطرقات أو تحسست بها العورات أو تحسست بها على الآمنين فإنها تفتح لك باباً من أبواب الجحيم، واللسان إذا ذكرت به الله أو سبحت الله أو استغفرت الله أو كبرت الله أو هللت الله أو أمرت به بمعروف أو نهيت به عن منكر أو نصحت به مؤمن أو خففت به عن مصاب فهو باب لك من

٧٦ رواه أحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه والنسائي في سننه والبيهقي في سننه والبخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة.

أبواب الجنة، وإذا سببت به أو شتمت به وعبت إخوانك به وتغامزت به وأوقعت بين الناس بالنميمة به فهو باب من أبواب جهنم قــال ﷺ: { **لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ** }[٧٧]، وكذا الأذن إذا سخرتها في سماع كلام الله أو سماع حديث رسول الله أو دروس العلماء العاملين أو قبول النصيحة من الموحدين فهي باب من أبواب جنــة رب العالمين، وإذا سخرتها في سماع الغيبة والنميمة والكذب والزور دخلــت في قــول الله ﷻ: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ ﴾ (٤٢المائدة)، وتقول لا شأن لي وأنا لا أتكلم ! وقد ورد فى الأثر المشهور: {**السامع والمغتاب في الإثم شريكان**} ... فإذا وظفتــها في هــذه الأعمال صارت باباً إلى النار.

وقس عل ذلك ...! اليد إذا فعلت بها معروفاً أو واسيت بها فقيراً أو قضيت بها حاجة لمؤمن ابتغاء وجه الله أو استخدمتها في الركوع والسجود بين يدي الله أو أطعمت بها جائعــاً أو كسوت بها عارياً ابتغاء فضل الله، أو حتى وضعت بها لقمة في فم زوجتك أو في فم ولدك ابتغاء مرضاة الله فهي باب من أبواب الجنة، أما إذا سرقت بها أو قتلت بها أو ظلمت بها فهي باب من أبواب الجحيم، والرجل إذا مشيت بها إلى بيت الله أو سعيت بها لصلة الأرحــام أو مشيت بها لزيارة الأيتام أو عُدْت بها مريضاً أو شيعت بها جنازة مؤمن أو مشيت بها للــصلح بين المتخاصمين فهي باب من أبواب جنة الله ﷻ. لكن إذا مشيت بهــا إلى مجــالس الــسوء واللهو أو مشيت بها إلى مجالس حذّر منها الله ونهى عنها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فهــي باب من أبواب الجحيم.

وكذا البطن إذا غذّيتها من حلال وأطعمتها اللقمة التي رزقها الله وأمــر بهــا ســيدنا رسول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (١٧٢البقرة) ، ومنعتها عن الشرور والفجور فهي باب من أبواب الجنة إذا أطعمتها من كدّي أو من عملي أو من ميراثي أو من عمل أحلّه الله، طعاماً أباحه لي الله ﷻ، وإذا ألقيت فيها لقمة من الحرام أو ألقيت فيها لقمة من الربا أو لقمة ظلم فقير أو مسكين أو غيرها أو بلقمة غش لأحد من المسلمين في بيع أو شراء أو تجارة أو أودعت فيها ما حرم الله من أصناف المسكرات والمفتــرات كــالبيرة أو الحشيشة أو الأفيونة أو غيرها فهي باب من أبواب الجحيم ...

فأبواب النار فيك وهي العين والأذن واللسان واليد والرجل والفــرج والــبطن إذا استعملتها في معاصي الله ، وهي سبعة .. كما قال الله ﴿ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴾ (٤٤الحجر)، وإذا استعملتها في طاعة الله لا تستطيع فعل ذلك إلا إذا صلح القلــب

٧٧ رواه أبو يعلى في مسنده والبزار والترمذي والدار قطنى عن ابن مسعود.

وانضم إليها وتصرف فيها فأصبح مهيمناً عليها فتصبح ثمانية، بأمر الله وأبواب الجنة ثمانية كما أخبرنا سيدنا رسول الله ﷺ ... قال ﷺ: {إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الصَّائِمُونَ هَلْ لَكُمْ إِلَى الرَّيَّانِ مَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ}[٧٨]، وقال ﷺ: {الصِّيامُ جُنَّةٌ فَاذَا كانَ أحَدُكُمْ يَوْماً صَائِماً فَلا يَجْهَلْ وَلا يَرْفُثْ، فإنِ امْرُؤٌ قاتلهُ أَوْ شَتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صائِمٌ إِنِّي صائمٌ}[٧٩] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُحقّ الحق ويبطل الباطل وهو خير الفاصلين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تجعلنا بها من أهل شفاعته وتسقينا بها شربة هنيئة مريئة من حوض حضرته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد فيا أيها الأخوة المؤمنون.. إذا صام الرجل منا في هذه الدنيا صام كما أمر رسول الله ﷺ { **فليصم سمعك وبصرك** } ولسانك عن الكذب والمعاصي وحفظ جوارحه من الوقوع في الزلات، وأقبل على طعام أحله له الملك العلام، فإن مثل هذا يغفر الله له كل ما تقدم من ذنبه، يحفظ الله له كل المحاضر التي سجلها عليه ملك الشمال، ويضاعف الله له كل الأجور التي أثبتها له وكتبها له صاحب اليمين، لأنه صام الصيام الصحيح لله ﷻ.

أما الذي يصوم عن الأكل والشرب والجماع لكنه يجلس في الشارع والطريق يتكلم عن فلان وعن فلانة بالغيبة أو النميمة !! هذا صائم في نظر نفسه مفطر عند ربه ﷻ لأنكم جميعاً تعلمون قصة المرأتين اللتين جلستا في عصر رسول الله ﷺ يغتابان الناس والغيبة هي الكلام في حق الآخرين بكلام يكرهونه إذا اطلعوا عليه. والنميمة هي الوقيعة بين الناس: { أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا، وَأَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ، وَأُرَاهُ قَالَ: بِالْهَاجِرَةِ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُمَا، وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا؟ قَالَ: ادْعُهُمَا، قَالَ: فَجَاءَتَا. قَالَ: فَجِيءَ بِقَدَحٍ أَوْ عُسٍّ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا: قِيئِي! فَقَاءَتْ قَيْحاً وَدَماً وَصَدِيداً وَلَحْماً حَتَّى مَلأَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى: قِيئِي! فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ

---

٧٨ رواه ابن ماجة في سننه والنسائي في سننه وأحمد في مسنده عن سهل بن سعد.

٧٩ رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده والنسائي في سننه عن أبي هريرة.

عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ } فأخذوه إلى معمل التحليل النبوي فنظر فيه ﷺ بالميكروسكوب الرباني الذي أعطاه الله له ﴿ **قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾ (١٠٨يوسف) ، نظر بالبصيرة النورانية وأخرج نتيجة التحليل وقال: { **إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا** – لأن الأكل حلال والشرب حلال وجماع الرجل لزوجته فى غير الصيام حلال – **وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَىٰ فَجَعَلَتَا تَأْكُلاَنِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ** }٨٠

الغيبة أكلٌ .. أن يأكل لحم أخيه ميتاً .. أكل كما وصفه الله ﷻ ولو ضغط الإنسان على نفسه وصام وأخذ يتطلع إلى الغاديات والرائحات فإنه صائم عند نفسه مفطر عند ربه ﷻ ، فيقول لي هل أمش في الطريق أعمى لا أنظر؟ فأقول له قال رسول الله: { **لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَة** }٨١ النظرة الأولى مباحة لك! لكن الأولى ليست خمس دقائق ولا ربع ساعة! الأولى لمحة تعرف بها من هذه أو زوجة من؟ أو ابنة من؟. لكن النظرة التي تصورها بها من أعلى إلى أسفل هذه هي النظرة المحرمة التي نهانا عنها الله ﷻ !! ولو أمسكت نفسك ومنعتها من هذه النظرة ففي الحال يطعمك الله في فؤادك وقلبك حلاوة ليس لها نظير في دنيا الناس قال ﷺ: { **النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيْمَاناً يَجِدُ لَهُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ** }[٨٢].

ومن أمسك على نفسه طوال النهار صائماً ثم افطر على لقمة حرام هذا يقول فيه رسول الله ﷺ: { **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُ أَرْبَعِينَ يَوْماً** }٨٣ ، فما بالكم بمن ملأ بطنه هذا يقول فيه: { **وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَٱلنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ** }٨٤، هذا هو الذي يقول فيه الله ﴿ **وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ** ﴾ (٦ التحريم).

فإذا أردت أن تكون ولياً لله يستجيب لك إذا سألت .. ويحقق رجاءك إذا رجوت .. ماذا عليك؟ سأل هذا السؤال سيدنا سعد فقال يا رسول الله: ادعوا الله أن يجعلني مستجاب الدعوة! فلم يكلفه ﷺ بعبادات لا بصلاة ولا بتلاوة قرآن ولا بأذكار وإنما كلفه بأمر واحد قال فيه ﷺ: { **يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ** }[٨٥]

<< ثم الدعاء >>.

---

٨٠ رواه أحمد واللفظ له، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى.
٨١ رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وأبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب.
٨٢ رواه الطبراني عن عبدالله بن مسعود
٨٣ رواه الطبراني في الصغير عن ابن عباس.
٨٤ ورد في جامع الأحاديث والمراسيل عن أبي بكر رضي الله عنه.
٨٥ رواه الطبراني في الصغير عن ابن عباس.

الخطبة التاسعة[٨٦]

تكريم الله للصائمين والعشر الأواخر

الحمد لله ربِّ العالمين، اللهم لك الحمد على ما وفقتنا إليه من الصيام والقيام وعلى ما ألهمتنا به من طاعتك سبحانك، وعلى ما حفظتنا به سبحانك من المعاصي ما ظهر منها وما بطن ونسألك اللهم أن تتقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وأن تزكي صيامنا بزكاة فطرنا إنك رب الخير على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعز هذه الأمة بالقرآن واختار لها هذا الكتاب واختار له النبي الأواب واختار له خير أزمان العام ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (١٨٥البقرة)، وأكرم هذه الأمة بالقرآن فجعل الخير يسح عليهم سحاً ببركة القرآن، والفضل يتنزل عليهم من الله بفضل القرآن وجعل عزهم في عملهم بالقرآن، وهوانهم في تباعدهم عن تعاليم القرآن سبحانه. سبحانه. أنزل القرآن مهيمناً على كل شئ وقال في حقه ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف) ، كما نسأله سبحانه أن يوفقنا لتلاوة القرآن وللعمل بالقرآن وأن يتفضل علينا بمنح القرآن في شهر القرآن.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله طهر الله قلبه لتزول كتابه وعلمه من لدنه علماً ليخاطب به أحبابه فصلوات الله وسلامه على النبي الأمي الذي أعجز العلماء، وتسليمات الله ﷻ على الشفيع الأعظم حتى للرسل والأنبياء سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وكل من اهتدى بهداه إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. أوشكت الدورة الرمضانية القرآنية على الانتهاء ومضى ثلثا أيامها ولم يبق إلا ثلثها وهذا الثلث الأخير هو الذي عليه المعول إن شاء الله، هذه الدورة جعلها الله ﷻ لنا معشر المسلمين صحة لأجسامنا وتطهيراً لنفوسنا وعلواً بمكارم أخلاقنا وصفاءاً لأرواحنا وزيادة قرب في مقامات القرب عند حضرة ربنا ﷻ. فالصيام نعمة للأجسام لأنه عمرة يصلح فيها خالق الأجسام ما انتاب هذا الجسم من الأمراض والأسقام فإذا دخل الجسم ورشة الصيام أصلح الملك العلام ما أصابه من خلل في الأنسجة ومن ضعف في الخلايا ومن ضيق في الأوردة والشرايين ويصبح المسلم وقد خرج من شهر الصيام وقد أصبح جسمه كله قوة وبركة من الله ﷻ ثم هو يصلح النفوس فينهاها عن الغي والقبيح ويأمرها بانتهاج سنة رسول الله والعمل بما يرضي الله من الأخلاق الإيمانية ومن الشمائل

٨٦ كانت هذه الخطبة بمسجد الحاج علي الأشقر بالمطرية محافظة القاهرة يوم الجمعة ٢٠ من رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨/٥/٦م.

المحمدية، حتى إذا أرادت أن تستفز صاحبها للغضب أو تجعله يثور لأتفه الأسباب أو يرتكب ما يخالف منهج الله أو ما يجعله لا يتابع منهج رسول الله يعطيها المسكن الذي وصفه رسول الله فيقول: { **اللهم إني امرؤ صائم. اللهم إني امرؤ صائم. اللهم إني امرؤ صائم** }[87].

ولو بحثنا في دنيا الناس لا نجد مدرسة أخلاقية تصبغ طلابها على الأخلاق المرضية وعلى الأحوال العلية وعلى المناهل المحمدية إلا مدرسة الصيام إذا اتبع طلابها منهج المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فيخرج المسلم منه وقد أصلح المعوَّج من أخلاقه ومتن بنيان عاداته وتقاليده على وفق كتاب الله وعلى نهج رسول الله ﷺ فيقبل على قاموس أخلاقه ويمحو منه الغضب ويمحو منه البذاءة ويمحو منه سفاسف الأخلاق ولا يبقى فيه إلا البشاشة والعفو والتواضع والكرم والجود والود والصبر والرحمة وفي ذلك ورد الأثر: { **إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه** } ... ثم الصيام بعد ذلك هو الفرصة التي نرتقي فيها في الدرجات الباقية ونأخذ فيها الأوسمة الدائمة من حضرة الدائم ﷻ فهو شهر تكريم للمؤمنين يتفضل رب العالمين على الصائمين فيمنحهم من القرآن منحاً تختلف بحسب أعمالهم وعلى وفق مجهودهم في طاعة ربهم ﷻ .

ولذا كان رسولكم الكريم ﷺ إذا حضر هذا اليوم وهو اليوم العشرون من شهر رمضان يوقظ أهله ويجد ويشد المئزر ويحيي الليل كله. لماذا؟ ترقباً لليلة القدر وانتظاراً لخالص الأجر ورغبة في التكريم من المولى العظيم ﷻ فإن الله كرم الصائمين لشهررمضان في تكريم عام وفي تكريم خاص. أما التكريم العام فذلك يتم في الحفل العام في يوم العيد ولذا سماه رسولكم الكريم يوم الجائزة فهو اليوم الذي توزع فيه الجوائز على الصائمين وتوزع فيه الأوسمة والنياشين على القائمين والتالين والذاكرين لرب العالمين ﷻ.

وأقل وسام يحصل عليه مسلم من المسلمين صام هذا الشهر الكريم هو وسام المغفرة من الغفار ﷻ فيأخذ وساماً من ملك الملوك أن هذا العبد قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه صغيره وكبيره، سره وعلانيته، عمده وخطأه، ما دام قد التزم بمنهج الله بالصيام في شهر الصيام وتابع خير الأنام ﷺ ولذا حذر نبيكم الكريم الذي لا يحصل على هذه المنزلة، والذي لا ينال هذا الشرف فقال: { **مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ** } ٨٨ فالذي يدرك الشهر ويمر عليه ويحرم من المغفرة من الغفار هو البعيد عن الله ﷻ ويقول محذراً أيضاً {**هذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، بُعْداً لِمَنْ أَدْرَكَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، إِذَا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ فَمَتَى؟**} ٨٩ أي متى

---

٨٧ رواه أحمد والنسائي وأبو يعلى عن أبي هريرة.
٨٨ صحيح ابن حبان
٨٩ رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك.

يغفر له، وهذا شهر الغفران وقد نوع الله فيه أبواب المغفرة، فالصائم يأخذ وسام المغفرة، والقائم يأخذ وسام المغفرة، والذي فطر صائماً ولو على تمرة يأخذ وسام المغفرة، والذي يفعل فيه الخير لعباد الله يأخذ وسام المغفرة، وقد جعل الله أبواب المغفرة في هذا الشهر كثيرة ومتنوعة لأنه يريد أن يكرم عباده المؤمنين لأنه من أجلكم سمى نفسه العزيز الغفار..

فإذا كان يوم العيد ووزع وسام المغفرة على المؤمنين فقال في خطابه العام الذي تنشره وكالة الأنباء النورانية العلوية وبلغنا بما يدور فيه حضرة المصطفى ﷺ فقال: {فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْفِطْرِ، سُمِيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْجَائِزَةِ، فَإِذَا كَانَ غَدَاةُ الْفِطْرِ[يعني صباح يوم العيد]، يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى مَلاَئِكَةً فِي كُلِ الْبِلاَدِ فَيَهْبِطُونَ إِلى لِلأَرْضِ، وَيَقُومُونَ عَلى أَفْوَاهِ السكَكِ فَيُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، فَيَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ أَحْمَدَ اخْرُجُوا إِلى رَبٍ كَرِيمٍ، يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَغْفِرُ الْعَظِيمَ، فَإِذَا بَرَزُوا فِي مُصَلاَّهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى لِلْمَلاَئِكَةِ: يَا مَلاَئِكَتِي مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: جَزَاؤُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: فَإِنِي أُشْهِدُكُمْ أَنِي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ، رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي، وَيَقُولُ: يَا عِبَادِي سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضَيْتُ عَنْكُمْ، فَتَفْرَحُ المَلاَئِكَةُ وَتَسْتَبْشِرُ بِمَا يُعْطِي اللَّهُ تَعَالى هذِهِ الأُمَّةَ إِذَا أَفْطَرُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ}[٩٠] فينصرفون بوسام المغفرة ويوضع لكل فرد منكم وسام المغفرة في ملفه الذي يجهز للدار الآخرة، فإذا برز لربِّ العالمين أخذ كتابه باليمين ويقول على رءوس الخلائق أجمعين: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ فتقول الملائكة: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴾ ويقول المولى ﷻ: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (١٩ - ٢٤الحاقة).

أما أصحاب العزم الأكيد من المؤمنين وأصحاب الهمة العالية من الموحدين وقد قال سيدنا على رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه: { **علو الهمة من الإيمان** }[٩١]، فلم يرضوا بوسام الغفران وقالوا في أنفسهم إذا كان الله قد غفر لنا ما مضى فما الذي يضمن لنا ما بقى؟ لعلنا نفعل كذا، لعلنا نلتفت، لعلنا نغفل، إذاً نريد وساماً أعلى. ما هو؟ وسام العتق من النيران، نريد وساماً مكتوب عليه براءة لفلان بن فلان من النيران، هذا الوسام يمنحه الملك العلام لمائة ألف في كل ليلة من ليالي شهررمضان ... فإذا كانت ليلة الجمعة يمنح فيها أوسمة بالعتق من

٩٠ رواه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس.
٩١ مرقاة المفاتيح لملا على القارى، وتفسير حقى وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى

النيران بعدد ما منح في سائر الأسبوع وأكثر فإن كشوف العتق تصدر كل ساعة من الدواوين الإلهية ..... فإذا كانت ليلة العيد منح فيها أوسمة بالعتق من النيران بعدد ما منح في الكشوف في سائر الشهر قال ﷺ: { **لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الإِفْطَارِ أَلْفُ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ أَعْتَقَ فِي كُل سَاعَةٍ مِنْهَا أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَدَدِ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ** } [92]

والذي يأخذ وسام العتق من النيران قد صدر عليه قول الحنان المنان ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥آل عمران) ، تزحزح عن النار وغلقت أمامه أبواب النار وضمن دخول الجنة مع الأبرار وقد كان هذا الوسام ينزل ظاهراً جلياً حسياً على بعض العباد المقربين فقد كان عمر بن عبد العزيز ﷺ وأرضاه يجتهد في طاعة الله في ليلة من الليالي المباركات ، ولما رفع رأسه من صلاته {**وجد رقعة خضرآء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها هذه برآءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز**}[93] فأمسك بالوريقة ووضعها في صندوق خاص ووصى بنيه بأن يجعلوها في أكفانه يوم يلقى الله ﷻ.. وهذا الوسام يناله كثير من الأنام بشرط أن يخلصوا النية في الصيام وأن يجعلوا عملهم خالصاً للملك العلام ﷻ لا يريدون بذلك رياءاً ولا سمعة ولا يريدون بذلك علواً في الأرض بغير الحق وإنما يمتثلون لقول الحق ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف) ، هذا عن الحفل العام ....

أما المبرَّزين من المؤمنين والمتفوقين من المسلمين والصفوة البررة من المتقين فيقيم لهم رب العالمين حفلاً خاصاً لا يحضره إلا هؤلاء الخواص! أي لا يحضره إلا من جاءته الدعوة من أحكم الحاكمين على يدي الملائكة المقربين! فهم يتزلون في ليلة هذا الحفل يوزعون كروت الدعوة على المطلوبين لتلقى التكريم من رب العالمين ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (٤-٥القدر) ، وهؤلاء القوم قالوا حتى لو أخذنا شهادة البراءة من النار فقد قال الصديق الأكبر: { **لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة** } ماذا تريدون بعد ذلك؟ قالوا نريد البشرى بدخول الجنة من الله إما على يدي ملائكة الله وإما شفاهةً من رسول الله وإما سماعاً من حضرة الله ﷻ لأن هذه البشرى هي الأمان وهي التي يقول فيها الحنان المنان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

---

٩٢ رواه ابن ماجة والبزار عن جابر.
٩٣ تفسير حقي وروح البيان وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى

وقد بشر الرسول الكريم كما تعلمون كثيراً من أصحابه بالجنة، واعلموا علم اليقين أن المبشرين بالجنة ليس الأشخاص الذين بشرهم رسول الله في زمانه فقط، لكن البشرى ممتدة إلى قيام الساعة، ففي كل زمان وفي كل عصر وأوان هناك أناس يبشرهم الله بالجنة، ويكشف لهم عن مقاعدهم في الجنة، فهذا أبو علي الرُّوزْباري ﷺ وكان من الصالحين عندما حانت وفاته التفت إلى أخته بجواره وقال: يا أختاه أرى أبواب السموات وقد فتحت وأرى الجنات وقد زينت وأسمع منادياً يقول (يا أبا علي أبشر فقد بلغناك المنزلة العليا في الجنة وإن لم تكن تريدها) ثم خرجت روحه على الفور للقاء الله ﷻ.

فالتبشير في كل زمان ومكان، والمجتهدون في طاعة الله تبشرهم ملائكة الله وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: { **فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالى جِبْرِيلَ فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلى الأَرْضِ، وَمَعَهُ لِوَاءٌ أَخْضَرُ فَيَرْكِزُهُ عَلى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، مِنْهَا جَنَاحَانِ لاَ يَنْشُرُهُمَا إِلاَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَيَنْشُرُهُمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَيُجَاوِزَانِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَيَبُثُّ جِبْرِيلُ الْمَلاَئِكَةَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ، فَيُسَلِّمُونَ عَلى كُلِّ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ، وَيُصَافِحُونَهُمْ وَيُؤَمِّنُونَ عَلى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ** }[٩٤]

هؤلاء ياإخوني يتلقون البشرى من عمَّال المدرسة الإلهية، من عمال الجنة، من خزنة الجنة، لكن المبرزين أكثر وأكثر يصافحهم ناظر الجنة يصافحهم رسول ربِّ العالمين إما مناماً وإما يقظة وقد قال ﷺ: { **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي** }[٩٥] وقال ﷺ: { **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ** }[٩٦] في هذه الليلة يكرم الله المبرزين من الأمة ويبشرهم لأن الله في خطاب التكليف النبوي قال لــه ﷺ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ ليس في زمانه فقط ولكن المؤمنين في زمانه وبعد زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا** ﴾ (٤٥-٤٧الأحزاب) ، يبشرهم بما لهم عند الله، يبشرهم بمنزلتهم في الجنة ودرجاهم في الآخرة فيعلم الواحد منهم علم اليقين ما جهزه الله له في جنة النعيم وما أعده الله له في حفل التكريم يوم الدين منهم...

فمن يأخذ تذكرة للجلوس على الأرائك ﴿ **عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ** ﴾(المطففين) ....، ومنهم من يأخذ شهادة تقدير يجلس بها على منبر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة!!،

---

٩٤ هب،كر عن ابن عباس

٩٥ رواه أحمد عن أبي هريرة.

٩٦ متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ومنهم من يأخذ تذكرة دخول وجلوس إلى المقصورة الخاصة تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله !!، ومنهم من يأخذ كرتاً من رسول الله بأن يشفع في عدد مخصوص من عباد الله ﷻ، ومنهم من يشفع في سبعين ،ومنهم من يشفع في عشرة ،ومنهم من يزيد على ذلك.

قال ﷺ: **{التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}** [٩٧] .. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي يوفق الطائعين لنعيم مناجاته، ليفتح لهم كنوز فضله وخزائن هباته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له باسط العطاء لأهل الصفاء والاجتباء وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمام الرسل والأنبياء. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وأهلنا للصفاء وامنحنا الاجتباء يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. لقد كان دأب نبيكم ﷺ في هذه العشر على الاعتكاف ومعناه حبس النفس على عبادة الله في بيت الله ﷻ فلا يجوز إلا في مسجد تؤدى به الجمعة والجماعات وهذا شرطه الأول، وشرطه الثاني أن يكون على طهارة وأما وقته فأقله لحظة وأجره يقول ﷺ فيه: **{ من اعتكف قدر فواق ناقة [أي حلب ناقة] كتب له ثواب حجتين تامتين مقبولتين، وعمرتين تامتين مقبولتين }** [٩٨] وأما الشرط الثالث فلا يتكلم ولا ينشغل بشئ غير طاعة الله ﷻ وعبادته، فلا يشغل نفسه أثناء الاعتكاف إلا بشئ يرضي الله ﷻ أو بطاعة الله ﷻ وأظن هذا شئ يسير وأجر كبير من العلي الكبير ﷻ فنستطيع جميعا إذا دخلنا المسجد في كل وقت من الأوقات أن نبادر ولو بدقائق قبل الوقت لنأخذ فضيلة المبادرة إلى الوقت ونأخذ فضيلة أجر الاعتكاف ثم ننوي الاعتكاف وننشغل هذه اللحظات بطاعة الله ﷻ، ما أجمل هذا الدين الذي يسره الله لعباده ولم يجعل عليهم في الدين من حرج.

هذا للأقوياء الذين ليس عندهم هموم تتعلق بالأولاد أو مشاغل حكومية أو وظيفية تتعلق بمصالح العباد ويستطيعون أن يأخذوا إجازة رسمية ويعتكفون في بيت الله بشرط أن يكونوا قد كفوا أبنائهم وأزواجهم كل ما يحتاجون إليه في تلك الفترة فذلك العمل الذي ليس له مثيل وذلك الأجر الكبير من العلي الكبيرعز وجل، أما الذي يزوغ من عمله أو يتعمد الغياب ويترك مصالح الناس معطلة ولايجد من يقوم بها !! ليعتكف بين يدي الله فهذا لا ينفع يا عباد الله، إن أساس هذا الدين هو المطعم الحلال والمطعم الحلال هو الذي يراقب

---

٩٧ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
٩٨ رواه الطبراني والبيهقي عن الحسين بن علي.

صاحبه وقت العمل وطبيعة العمل ويشغل وقت العمل في إرضاء الله ﷻ لا يحسب ملاليم ولا ينظر إلى من حوله وإنما حسبه أن ينال رضاء الله ﷻ بإخلاصه في عمله ابتغاء وجه الله ﷻ وقد قال ﷺ: { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ } [٩٩].

أما أبنائنا الطلبة فخير اعتكاف لهم هو العكوف على كتب العلم للاستذكار وقد قال ﷺ: { لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ، عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ } [١٠٠]، فعليهم أن يجعلوا ليالي رمضان ليالي استذكار وينوون في استذكارهم نفع أنفسهم ونفع الأمة المحمدية بهذا العلم سواء في الطب أو في الهندسة أو في غيرها من المجالات... فنحن جماعة المسلمين نحتاج إلى مجهود الجميع الذين يتحصنون بكتاب الله ويراقبون الله ويخشونه فلا تتركوا هذه السنة الحميدة سنة الاعتكاف وكل على قدره.

واستوصوا بهذه الأيام خيراً ... ولا تضيعوها في لهو ولا لعب ... فإن من ضيع نفساً فيها في غير طاعة الله ... يأتي يوم القيامة ويقول كما قال الله: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر) ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة العاشرة[١٠١]

ليلة القدر

الحمد لله ربِّ العالمين، أضاء قلوب ذوي القدر بنوره الأعظم في ليلة القدر، سبحانه سبحانه! ما عظمه فهو العظيم، وما كرّمه فهو الكريم، وأشهد أن لآ إلـه إلا الله وحده لا شريك له خصّ بساطعة النور عباده المقربين في الدنيا ويوم النشور. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صفوة المقربين، وإمام الأنبياء والمرسلين، ونور سرائر العباد والزاهدين، والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واحشرنا في زمرة حزبه المفلحين وارزقنا فتحه في الدنيا وشفاعته يوم الدين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. ونحن في ليالي القدر ما سر نزولها لنا وتخصيصها بنا؟ ورد في سبب ذلك أن الرسول ﷺ وهو كما وصفه ربه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ

---

[٩٩] رواه أبو يعلى وابن حبان وابن عساكر عن عائشة.
[١٠٠] رواه ابن ماجة بإسناد حسن عن أبي ذر.
[١٠١] خطبة بمسجد سيدي سعد الدين الجيباوي بقرية البندرة مركز السنطة – غربية الجمعة ٢٦ من رمضان ١٤١٣هـ، ١٩/٣/١٩٩٣م.

رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١٢٨التوبة) ، لشدة حرصه علينا كان يريد أن يحضر لنا كل خير من عند الله وكل بر أنزله الله فهو لنا بمثابة الأب الشفوق العطوف ولذا طلب من الله ﷻ أن يطلعه على أعمال السابقين في ديوان الأعمال وهو تحت عرش الله ﷻ مسجل فيه جميع الأعمال التي يعملها العباد بالصوت والصورة والحركات والسكنات ويزيد على ذلك النيات الداخلية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ .

فطلب الرسول ﷺ أن يرى ويطلع على هذه الدواوين يراها بالعين النورانية التي أعطاها له المولى ﷻ فعندما اطلع على الدواوين جلس مع أصحابه ، وقال لهم: رأيت اليوم أربعة من أنبياء بني إسرائيل كل واحد منهم له عمل ثمانين عاماً لم يعص الله فيها طرفة عين وكلها عبادة صالحة لله لا يوجد فيها معصية واحدة، فتعجبوا فقال لهم وجدت رجلاً آخر من بنى إسرائيل جاهد في سبيل الله ألف شهر أي أنه كان كل شهر له غزوة يغزوها في سبيل الله! فتعجب أصحاب رسول الله وأخذوا يبكون ويقولون له ما ذنبنا يا رسول الله إننا في آخر الزمان وأعمارنا قليلة!!، فعندما وجد أصحابه حزنوا حزناً شديداً وهو رءوف ورحيم أرسل برقية عاجلة إلى حضرة الله { يا ربَّ **جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً! وأقلها أعمالاً !**}.

وعندما توجه بهذا الدعاء إلى الله نزل سيدنا جبريل وقال له أبشر وبشر أمتك فالمولى يقول لك: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾ (القدر). هذه الليلة اسمها ليلة القدر ما معنى القدر؟ يعني ليلة الشرف وليلة المكانة وليلة التعظيم عند الله ﷻ لأن الله أنزل فيها القرآن الكريم ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ (١٨٥البقرة) ، نزل القرآن في ليلة القدر فمن أجل ذلك جعل الله لها قدراً الملائكة التي تنزل فيها لها قدر عند الله ولا تنزل إلا بإذن الله تنزل على الذين لهم شرف ومنزلة ومكانة عنده ﷻ من الملائكة حتى أن الملك الذي ينزل عندما يرجع إلى زملائه يقابلونه بالتحيات والبركات والتعظيم والتسليمات لأن الله اختاره لينزل في ليلة القدر ....

كيف ينزلون؟ يأخذون من كل عالم من عوالم الله مجموعة والقائد العام جبريل ؑ وأول نزولهم يكون عند الكعبة ويرفع علماً أخضر على ظهر الكعبة، وعلم أخضر على ظهر مسجد رسول الله، وعلماً أخضر على ظهر مسجد بيت المقدس، وبعد ذلك يجمعهم ويوزعهم على حسب خطوط السير من العلي القدير فيعطي لكل واحد خط السير الخاص به ويقول له أنت تذهب إلى فلان وتبلغه السلام من الله و وتبارك له وأنت لفلان! وهكذا.

قال ﷺ: { **فَيُسَلِّمُونَ عَلى كُلِّ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ، وَيُصَافِحُونَهُمْ وَيُؤَمِّنُونَ عَلى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**}[١٠٢]

هؤلاء الذين لهم قدر عند الله المجتهدين في طاعة الله وفي عبادة الله الذين صفت أنفسهم لأن الله ﷻ رب القلوب ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) ، هذا هو المهم فالكل يتطهر في هذه الليلة من الغل والحقد والكره والشحناء والبغضاء ليتزلوا إليهم ويباركوهم. فمن أجل ذلك سميت ليلة القدر لأن الملائكة التي لها قدر تتزل على المؤمنين الذين لهم قدر في الليلة التي جعل الله لها قدر.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٣القدر) .. ما معنى خير من الف شهر؟ كل من يكرمه الله ﷻ ويحييها يكتب لكل واحد منهم شيك بأنه عبد الله عبادة مقبولة ليلها قيام ونهارها صيام لمدة ألف شهر، يعني ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر، تأخذهم وأنت جالس ومرتاح فضلاً من الله ﷻ ... فأحصل أنا في هذه الليلة أجر ألف شهر وأنا مرتاح! ولو حافظ الواحد منا على هذا الأمر لمدة خمسين سنة مثلاً نذهب لمكتب الصحة لنخرج له شهادة وفاة! فنجد عمره مثلاً سبعون سنة! ويخرجون هم شهادة من مكتب الصحة الإلهية بأن أجل فلان هذا عند الله أربعة آلاف سنة كلها في طاعة الله ﷻ ... من أين أتى هذا العدد؟ من هذه الأعمال ومن ليلة القدر التي يأخذها في كل عام ..!!!

وإذا كانت في بيت الله الحرام فهذا أمر آخر يقول فيه أحد الصالحين (صلاة واحدة في بيت الله الحرام في جماعة خير من عمر نوح في طاعة الله ﷻ) قالوا كيف ذلك؟ احسبوا معي الصلاة الواحدة بسبع وعشرين، والصلاة في البيت الحرام بمائة ألف صلاة فتساوي الصلاة الواحدة في جماعة في بيت الله الحرام اثنين مليون وسبعمائة ألف صلاة أكبر من عمر نوح في الصلاة الواحدة التي يصليها الإنسان في بيت الله الحرام ... ولذلك يحسب العمر عند الله بهذه الطاعات وليس بالأيام أو الشهور لأن هذه الأيام عندنا والله ليس عنده ليل أو نهار ولا شمس ولا قمر وكذلك الملائكة لا يوجد عندهم نهار ولا ليل ولا شمس ولا قمر ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الإنسان) .

إذاً لو حافظت على هذه السنة في كل سنة يزيد عمري ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر في طاعة الله ﷻ ، هذا بالإضافة إلى أن الذي يحيي هذه الليلة قال له الرسول ﷺ: { **من أحيا ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه** }[١٠٣] تغفر له جميع الذنوب من أجل أنه أحيا ليلة القدر

---

١٠٢ رواه ابن حبان في الثواب والبيهقي عن ابن عباس.
١٠٣ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في سننه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة.

إذاً فهو يغفر الذي مضى ويزيد فيما هو آت فضلاً من الله ﷻ ببركة إحياء ليلة القدر.

ما موعد ليلة القدر؟ وفي أي ليلة يا رسول الله؟ قال: {فَالْتَمِسُوها فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ} [١٠٤] يعني الليالي الفردية إحدى وعشرين، ثلاث وعشرين، خمسة وعشرين، سبع وعشرين. احتار أصحاب رسول الله فيها فعقد سيدنا عمر بن الخطاب مؤتمراً عاماً وقال كل الذي سمع أي أمر عن ليلة القدر يحضر فقال سيدنا أبو سعيد الخدري ﷺ قال لي الرسول: { أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا. وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ قَالَ: فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ. فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ . فَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ }١٠٥، ولم يكن لمسجد الرسول سقفٌ ، فذهبت للصلاة معه ليلة إحدى وعشرين ... فأمطرت السماء ... فوجدت على وجه الرسول والمصلين أثر ماء وطين فعلمت أنها ليلة أحدى وعشرون.

ثم قال سيدنا عبد الله بن أنيس ﷺ وأرضاه لرسول الله تعلم أني أسكن بعيداً في الصحراء ولا أستطيع أن آتي كل ليلة للصلاة معك في المسجد فدلني على ليلة آتي فيها وأحيي ليلة القدر فقال له: (تعالَ في ليلة ثلاثة وعشرين) فكان يحضر يوم إثنين وعشرين العصر ويدخل المسجد ويظل في طاعة الله إلى صلاة الفجرثم يرجع مرة ثانية.

ثم قال سيدنا أبي بن كعب أنا أرى أنها ليلة سبع وعشرين قال له ما الدليل؟ قال له عندما تقرأ سورة القدر نجد عدد كلماتها ثلاثين كلمة بعدد أيام الشهر ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ فعندما تأتي عند كلمة هي تجدها رقم سبع وعشرين. الدليل الثاني أن الله كرر كلمة ليلة القدر ثلاث مرات وعدد حروفها تسعة حروف ثلاثة في تسعة بسبع وعشرين، فنظر سيدنا عمر إلى سيدنا عبد الله بن عباس وكان طفلاً صغيراً ولكن الرسول دعا له وقال {اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ} [١٠٦] فقال له لم لا تتكلم يا ابن عباس؟ فقال له يا أمير المؤمنين نظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله فوجدت أن السبع يغلب عليها فالله ﷻ خلق الإنسان من سبع ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾(١٢ - ١٤المؤمنون) ، وهؤلاء سبع، والرسول أمرنا أن نسجد على سبع وقال: { أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ } [١٠٧] اليدين والركبتين

١٠٤ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في سننه عن عائشة.
١٠٥ رواه البخارى ومسلم
١٠٦ رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عباس.
١٠٧ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في سننه وابن ماجة في سننه عن ان عباس.

والقدمين والوجه بما فيه الأنف لأنه لابد أن يصل الأنف إلى الأرض، وقال لحبيبه السموات سبع، والأراضين سبع، والسعي بين الصفا والمروة سبع، والطواف حول البيت سبعا، فأنا أرى أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان فقال سيدنا عمر ﷺ وأرضاه { **ما رأيت فتى وافق فقهه ما سمعت من رسول الله ﷺ إلا هذا الغلام** }، فمن أجل ذلك أجمع الأئمة أن الليلة هي ليلة السابع والعشرون.

فكيف نحييها؟ نحييها أولاً بصلاة العشاء والفجر في جماعة لأن هذا أقل القيام، قال ﷺ: { **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلِهِ، وَمَنْ صَلَّى الْصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ** }[١٠٨] ونحييها بالمحافظة فيها على صلاة القيام لأنه قال: { **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيماناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** }[١٠٩] حتى للذي لم يصل قبل ذلك أو لم يصل القيام طوال الشهر يصلي هذه الليلة وإذا لم يستطع أن يصلي قائماً يصلي قاعداً ولا يفوته في هذه الليلة صلاة القيام من أجل أن يكون ممن أقاموا ليلة القدر لله ﷻ ، ومن لم يستطع فعليه أن يذكر الله في تلك الليلة ويجعل هذه الليلة لله نتقلب من طاعة إلى طاعة لأن اسمها ليلة القدر، ومن معاني القدر الضيق ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (٥البلد) ، يعني يضيق عليه أحد فسميت ليلة الضيق من كثرة نزول الملائكة حتى أن الأرض تضيق بهم.

المساجد ممتلئة عن آخرها من كل جهة بالملائكة، والبيوت والأماكن التي يقرأ فيها القرآن والتي يصلى فيها على النبي مملوءة بالملائكة وأي مكان فيه طاعة أو ذكر لله تزوره الملائكة في هذه الليلة فلا يصح أن تنزل الملائكة ولاتجدنا في طاعة لأنهم يكتبون تقريراً بذلك ويسألهم الله: { **إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، يَمْشُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ الذِّكْرَ، فَإِذَا رَأَوْا أَقْواماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتعَالَى، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلِى حَاجَاتِكُمْ فَيَحُفُّونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ جَلَّ وَعَلا وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ: عِبادِي مَا يَقُولُونَ؟ فَيَقُولُونَ: يا ربِّ يُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ** }١١٠، فلا يصح أن يمروا ويجدوا مسلماً في معصية أو في غفلة. قال ﷺ: { **أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ولا يحرم خيرها إلا الشقي** }[١١١].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٠٨ رواه مسلم والترمذي وأبو داود عن عثمان.
١٠٩ سنن البيهقي الكبرى
١١٠ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة
١١١ رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن حبان في الثواب عن سلمان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وفق عباده المؤمنين لعبادته وطاعته في كل وقت وحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قريب من عباده بقرب هو نعته، وأولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه أعلم بهم منهم يعلم ما تبدون وما تكتمون وما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، صاحب الحوض المورود والكوثر المشهود واللواء المعقود، صلى الله عليه وعلى آله الموفون بالعهود وأصحابه وأتباعه الركع السجود. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد .. إخواني وأحبابي،سمَّى الله هذه الليلة ليلة القدر لأن فيها أنزل الله كلاماً ذا قدر على نبي ذي قدر لأمة ذات قدر، فكل الذي يريد أن يعظمه الله ويقدره الله يوفقه لإحياء هذه الليلة في طاعته، في هذه الليلة يفضل الله عباده الذين أحيوا ليالي الشهر الكريم بالقيام والصيام وأحيوا أوقاته بذكر الملك العلام، وأكثروا فيه من الطاعات والقربات ومن الباقيات الصالحات، وتصدقوا فيه على ذوي الحاجات ووصلوا فيه ذوي الأرحام، وسعوا فيه بالخير بين الأنام، فيريد الله أن يكرمهم في هذه الليلة ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الحادية عشر[112]

وداع شهر رمضان

الحمد لله ربِّ العالمين اللهم لك الحمد ولك الشكر على أن وفقتنا للصيام وللقيام ونسألك سبحانك أن تحسن أيامنا وتختمها بخير على الدوام يا ربَّ العالمين فنخرج من الخير لنعيش دهرنا كله في بر وخير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الزمان وخالق المكان جعل زماناً لطاعته ومكاناً للقرب من حضرته، فإذا انتهى زمان عبادة المؤمنين في رمضان تأهلوا للسفر للحنان المنان في بيت الله الحرام ... سبحانه! سبحانه! ينقل المؤمنين من طاعة إلى طاعة .. ومن قربة إلى قربة .. نوَّع لهم العبادات ليجزل لهم الحسنات والمثوبات والمكافآت ... نوع العبادات ليكثر لهم الشاهدين فالصيام يشهد للصائمين! والقرآن يشهد للتالين! والكعبة تشهد للحاجين والمعتمرين والناظرين !وكل طاعة من الطاعات تشهد للطائعين! فضلاً ومنة من رب العالمين ....

---

١١٢ كانت هذه الخطبة بمسجد الإمام أبي العزائم ﷺ بمغاغة محافظة المنيا يوم الجمعة ٢٨ من رمضان ١٤١١هـ الموافق ١٢/٤/١٩٩١م.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، فتح الله لنا به أبواب الطاعات ونوع الله ﷻ به لنا أنواع القربات وجعله ﷺ مفتاح الجنات، فلا يدخل أحد الجنة قبل حضرته ولا يؤذن لأحد بالشفاعة إلا بإذن من سعادته، ولا يهنأ إنسان بالنجاة من النيران إلا إذا شفع فيه الحبيب العدنان صلوات الله وسلامه عليه في الأولين، وصلوات الله وسلامه عليه في الآخرين، وصلوات الله وسلامه عليه في الدنيا ويوم الدين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وقد صحبناه كل هذه الأيام ماذا وجدنا في صحبته؟ وماذا وجدنا في جواره؟ وماذا وجدنا في ظله؟ لم نجد إلا كل خير وبر، نجد أنفسنا وقد أقبلت على الطاعات بعد طول جفاء، وأجسامنا وقد صحت من الأمراض والأسقام باتباع تعاليم الإسلام وأحكام الصيام، ونجد الجوارح وقد بعدت فيه عن الآثام، ونجد الوقت كله فيه في طاعة الملك العلام ﷻ .

فإذا نمت في رمضان فنومك عبادة، وإذا سكت فيه فسكوتك تسبيح، وإذا دعوت فيه فدعاؤك مستجاب، وإذا عملت فيه عملاً من أعمال البر والخير فعملك مضاعف الأجر والثواب، وإذا وفدت فيه على أهلك وأنفقت عليهم من الخيرات وأنواع المطعومات والمشروبات، فإن المال الذي تنفقه عليهم له من الأجر كأجر المال الذي ينفق في سبيل الله ﷻ كما قال رسول الله ﷺ: **{ نفقة الصائم على أهله كالنفقة في سبيل الله ﷻ الدرهم بمائة ألف درهم }**[113].: وورد أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ:**{ إِذَا حَضَرَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَالنَّفَقَةُ فِيهِ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَعُولُ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، يَعْنِي الدرْهَمَ بِسَبْعِمَائَةٍ }** ١١٤.

عباد الله جماعة المؤمنين إن الإنسان منا لو صاحب رجلاً ولو في مدة سفر ووجد منه حلاوة العشرة وطيب الصحبة وخيرة الرفقة يحزن على فراقه بل ربما يبكي على فصاله، لأنه وجد شخصاً عزيزاً اجتمعت فيه خصال الخير وجرى له على يديه منه أبواب البر فيحزن عليه لأن الزمان لا يجود بالخيرين إلا بالقليل وأقل من القليل، فما بالكم وهذا الذي صحبناه شهراً كاملاً لم نجد منه إلا الخير ولم نر منه إلا البر، جمعنا حتى على موائد الطعام بعد تفرقة، فبعد أن كان هذا يأكل في الصباح وآخر في المساء وواحد في الظهيرة جمع الجميع بل جمع جميع المسلمين شرقاً وغرباً وجعلهم جميعاً يمتنعون عن الطعام في وقت واحد، ويأكلون جميعاً في وقت واحد، إطاعة للواحد ﷻ وكأنه يقول لهم كما جمعتكم على الطعام فاجتمعوا على طاعة الملك العلام! كما جمعتكم على مائدة الخير والبركات، فاجمعوا أنفسكم على مأدبة الله في أرضه وهي كلام الله وتنزيل الله وكتاب الله ﷻ ..

---

١١٣ رواه ابن سعد وذكره في الفتح الكبير عن حمزة.
١١٤ عن ثور بن يزيد سليم الرازي في عَوَاليه

بدَّل النوايا فجعل الإنسان منا يخرج الأضغان والأحقاد والأحساد من قلبه ويملأ فؤاده ولبه بالحب لجميع المسلمين، والرغبة الأكيدة في سعادة جميع المؤمنين، يريد أن يصنع الخير ويريد أن يعمل المعروف، ويريد أن يقوم بالبر لأنه في شهر البر والبر ثوابه الجنة ...

زهَّد النفوس في المعاصي وأمسك منها بالنواصي وجعلها لا تتحرك إلا في طاعة رب العالمين وأرحم الراحمين ﷻ، حتى لو أرادت النفس أن تخرج عن سجيتها وفطرها وتتجاوز حدودها في التعامل مع الآخرين بأن تصل إلى درجة الإيذاء أو السبِّ أو الشتم أو اللعن يسرع بتذكيرها بقول نبيها { إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ }[115].

فتح شهية المؤمنين على البر والخير الذي كانوا عنه معرضين فتجد الإنسان في غير رمضان لا يحن لسماع كتاب الله ولا يفكر في المداومة على تلاوته بل ويعلق المصحف في بيته أو في سيارته أو في محلة عمله للزينة والبركة فقط ويهجر تلاوته، مع أن الرسول أخبرنا فيما أنزل عليه الله أن هذا القرآن يشكو الهاجرين له يوم لقاء الله ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠الفرقان)، فإذا جاء شهركم الكريم انشرحت الصدور لتلاوة هذه السطور المكتوبة بأحرف النور لتنال في النهاية مغفرة الغفور ﷻ ،وتبدلت النفوس بدلاً من أن تحن إلى الغي والقبيح تجدها ترغب في فعل كل شئ جميل ومليح فتريد أن تصل أرحامها، وأن تخرج زكاة مالها وزرعها، وأن تبر فقراءها، وأن تحسن إلى جيرانها ، وأن تراقب ربها في كل أمر صغير أو كبير جليل أو حقير...

وكل هذا ببركة شهركم هذا الكريم فما أعظمه من شهر وما أحسنه من صاحب يبكي لفراق المؤمنين ويحزن لانصرامه الموحدين ويحن إليه المحسنون ويتمنى الموقنون أن يكون في العام كله كما قال سيد الأولين والآخرين: { لَوْ يَعْلَمُ العِبَادُ مَا فِي رَمضانَ لتمنَّتْ أُمَّتِي أَنْ تَكونَ السَّنَةُ كُلُّها رمضانَ }[116] ثم هذا الصاحب الذي لا نستطيع أن نعدَّ فضائله ولا أن نحصي مزاياه لا يتركنا يوم لقاء الله !! فإذا جاء الموقف الأليم وخرجنا من القبور إلى ساحة النشور !! وجدناه في انتظارنا يضع المسك على أفواهنا فنمشي في أرض القيامة وقد علت رءوسنا وفاحت رائحة المسك من أفواهنا حتى تعم أهل الموقف جميعاً فيتساءلون، يتساءل الملائكة الكروبيون ويتساءل النبيون والمرسلون ما هذه الرائحة العطرة؟ فيقول الله: هذه رائحة أفواه عبادي الصائمين لشهر رمضان من أمة حبيبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

فإذا صرنا إلى أرض الموقف وأخذنا فيه مواقعنا والموقف يطول ويطول ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ

---

١١٥ رواه ابن حبان عن أبي هريرة.
١١٦ رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي من طريقه عن أبي مسعود الغفاري.

مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤المعارج)، يوم واحد ولكن طوله قدر خمسين ألف سنة مما نعد، وفي هذا اليوم لا توجد بحار ولا أنهار ولا تنزل السماء أمطار، لأن السماء قد كورت وذهب الليل والنهار، ولا يوجد نور لأن الشمس انمحقت والقمر قد استدار وألقيا بهما في النار!! يبحث الإنسان عن شربة واحدة فلا يجدها! ويبحث عن مكان يأوى إليه من حر هذا اليوم وحرارته فلا يجده لا أشجار ولا أسقف ولا منازل بل الساحة واسعة أرضها من فضة وسماءها صحو مكشوفة وليس فيها ظل إلا مكان واحد ظليل هو ظل عرش الرحمن ﷻ ....

ماذا يفعل عندها رمضان لأحبابه؟ وكيف يكشف الضر عن أصحابه؟ يسقي الصائمين من حوض الكوثر الذي جهزه الله ﷻ لسيد الأولين والآخرين وقال فيه ﷺ: { **حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ، أَكْوَازُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً** }[١١٧] من الذي يشرب منه؟ الذي حجز له في شهر رمضان كوزاً من حوض النبي العدنان وسجل عليه اسمه ووكل به ملكاً يحفظه إلى يوم القيامة يوم الوقت المعلوم فإذا قامت الأرواح تلبية لنداء الحي القيوم ونفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون جاء الملك الموكل بك ومعه الكوز أو الكوب المكتوب عليه اسمك وهنأك بسلامة الوصول وسقاك هذا الماء الذي هو علامة القبول فشربت شربة لا تظمأ بعدها ولا تعطش مع طول الموقف العظيم إكراماً من شهر الخير وشهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، فالذين لا يعطشون ولا يظمئون هم أنتم وحدكم جماعة الصائمين .!!

أما المفطرون والجاحدون والمنكرون والمشركون والكافرون فيصف حالهم سيد الأولين والآخرين فيقول فى معنى الحديث إن ألسنتهم تلهث من شدة العطش كما يلهث الكلب حتى يبلغ طول اللسان من شدة اللهث أن يصل إلى الأرض ويطأه صاحبه بقدمه ولا مغيث ولا مجير لأنه لم يستجب في دنياه للعلي القدير ﷻ !!!!

ثم بعد ذلك لا يتركك الصيام ولا شهر رمضان عند هذا الحد بل يأخذ بيدك ويذهب إلى حضرة الله ويقول { **أيْ رَبِّ مَنَعتُه الطَّعَامَ والشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ** } ١١٨، يطلب أن يشفع فيك من الله ﷻ ويجيبه الله ويأذن له في الشفاعة فإذا شفع فيك الصيام أخذ بيدك من الموقف وأجلسك تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ... فتجلس على الأرائك كما يقول الله: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾(٢٣ - ٢٦المطففين)..

---

١١٧ (طب) عن ابن عبَّاس رضيَ اللَّهُ عنهُمَا

١١٨ رواه البيهقي في شعب الإيمان وأحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر.

تجلس على الأرائك أي على المقاعد اللينة الوثيرة والملائكة يطوفون عليك بالروح والريحان وقد فتحوا لك باباً من الجنان يأتي إليك منه الروح والريحان فلا تحس بطول الموقف ولا تحس بعناء الموقف بل يمر عليك كما قال سيد الأولين والآخرين: { **يمر يوم القيامة على المؤمن كصلاة ركعتين خفيفتين** }[119] !!!

ما أعظم بركة هذا الشهر! ما أعظم بركة الصيام يا جماعة المؤمنين! وهذا الذي جعل سلفنا الصالح يقضون الأيام الباقية منه في الحنين والأنين والتوحش على انتهاء الشهر الكريم، شهر تتفتح فيه بركات الأرض وتنزل فيه خيرات السماء، تنزل فيه الملائكة من السماء إلى الأرض معهم الخيرات ومعهم البركات ومعهم المنشورات بسعادة المؤمنين وتوفيق الموحدين، شهر ينظر الله ﷻ فيه إلى عباده فيرحم ضعفهم ويشفي أمراضهم ويعتق معظمهم من النيران ويبدل حالهم إلى أحسن حال، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

وحتى لا يفوتنا بركة هذا الشهر ونحن لا يسلم حالنا من الذنوب والعيوب أوصانا النبي المحبوب أن نفعل شيئاً يسيراً يطهر الله ﷻ به صيامنا من العيوب ويجعل عملنا مقبولاً عند حضرة علام الغيوب ما هذا الشئ الذي يمحو عيوب الصائمين؟ ويمسح أثقال الصائمين وينقي صومهم كأنه غربال يغربل الأعمال فيخرج منه الغث ولا يبقى إلا الخير لأن الله لا يقبل إلا الخير { **إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً** }[120] هو زكاة الفطر.

تخرج الزكاة فتطهر صومنا من اللغو ومن الرفث ومن الذنوب والعيوب وتهيئ العمل وتزين العمل وتسد ما فيه من خلل وتجعله مملوءاً بالخشوع والانكسار لله والوجل حتى يباهي الله ﷻ بهذا العمل ملائكته ويقول: {**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى لِلْمَلاَئِكَةِ: يَا مَلاَئِكَتِي مَا جِزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: جَزَاؤُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: فَإِنِي أُشْهِدُكُمْ أَنِي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ، رِضَائي وَمَغْفِرَتي**}[121]

ما أسهل هذا العمل وهي زكاة الفطر في مقابل هذا الجزاء العظيم من الرب العظيم الكريم ﷻ ، وتخرج عن الجميع حتى الذي يولد ليلة الفطر تخرج عنه هذه الزكاة وميعاد هذه الزكاة يمتد من وقتنا هذا إلى صلاة العيد، ولابد أن تخرجها قبل صلاة العيد لقول الحميد المجيد ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (١٤، ١٥الأعلى) ، والصلاة هنا هي صلاة العيد .... أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١١٩ رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي في كتاب البعث والنشور عن أبي سعيد الخدري.
١٢٠ رواه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده والدارمي في سننه ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة.
١٢١ رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله واحد أحد يتجلى بالبر في رمضان كما يتجلى بالخير والإحسان بعد رمضان للمديمين على طاعة حضرة الديان ﷻ وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله رسول الرحمة وسر ما نحن فيه من نعمة نحمد الله على أن جعلنا من أمته ونسأله ﷺ أن يجعلنا جميعاً من أهل شفاعته وأن يحشرنا في الآخرة تحت لواء حضرته وأن يسكننا جواره في جنته آمين.

أما بعد فيا جماعة المؤمنين تستعد السماء لليلة الجائزة ويستعد ملائكة السماء وهم الآن في شغل شاغل يجهزون الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير للعلماء العاملين والأولياء والصالحين والمقربين والطائعين من أمة سيد الأولين والاخرين ﷺ. فإذا كان حفل توزيع الجوائز على المتفوقين يأمر رب العالمين جميع المؤمنين أن يحضروا هذا الحفل حتى النساء وحتى الأطفال ليشهدوا فرح الله بعبيده وفرح عبيد الله بنعم وعطايا إلههم وفرح ملائكة الله بطاعة المؤمنين لربهم وفرح الأرض بطاعة المؤمنين على ظهرها وفرح السموات بالأعمال الصالحات التي ترفع إلى أبوابها وفرح الجنان بالأعمال الصالحات التي وصلت إلى قصورها وحورها الكل يفرح بك يا أيها المؤمن في يوم الفرح العظيم يوم العيد.

والذي يذهب للقاء الحميد المجيد يغسل ويغتسل ويلبس أبهى ما عنده من الثياب ويضع الطيب والعطر لأنه ذاهب لمقابلة الكريم الوهاب ﷻ ويصلح شأنه قبل ذلك يأخذ من شعره ويأخذ من أظافره حتى يظهر في أبهى زينة يحبها الكريم ﷻ فإذا أصبح يوم العيد تقف ملائكة الرحمة على أبواب الطرق تنادي عليكم ويقولون: { **يَا أُمَّةَ أَحْمَدَ اخْرُجُوا إِلى رَبٍ كَرِيمٍ، يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَغْفِرُ الْعَظِيمَ** }[١٢٢] ويجلس جماعة آخرين من الملائكة على أبواب المساجد معهم أقلام من ذهب وصحف من فضة يسجلون الآتين للقاء رب العالمين يسجلون الداخلين إلى حرم الله وإلى بيت الله زوار الله { **إن بيوتي في الأرض المساجد وزواري فيها عمارها** } يسجلون الزائرين الأول فالأول ، فإذا دخل الإمام طووا صحفهم وصلوا مع المؤمنين وجلسوا يستمعون الخطبة مع المصلين.

فإذا انتهى الخطيب أصغى كل مقرب وحبيب إلى حضرة الرقيب وهو يقول: { **يَا عِبَادِي سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي**

١٢٢ رواه ابن حبان في كتاب الثواب والبيهقي عن ابن عباس.

وَرَضِيتُ عَنكُمْ}[١٢٣] فيخرجون وقد نالوا المغفرة من الغفار فيهنئون بعضهم بالمغفرة ويصافحون بعضهم مهنئين بغفران الذنوب وبستر العيوب وقبول الأعمال من الله ﷻ ، ولذا دخل بعض المؤمنين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه في يوم العيد فوجده يأكل خبز الشعير الجاف، فقال يا أمير المؤمنين حتى في يوم العيد تأكل خبز الشعير، قال وما العيد؟ اليوم عيد من تقبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه، اليوم لنا عيد وغداً لنا عيد وبعد غد لنا عيد .. وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد ، هذا هو عيد المؤمنين عيد المغفرة وعيد العتق من النيران وعيد الجود والكرم من الحنان المنان وعيد استجابة الدعاء من خالق الأرض والسماء يهنئون بعضهم بهذا العيد ويطلبون المزيد تلو المزيد من كرم الحميد المجيد ويسألون الله أن يعيد عليهم أيام رمضان بخيرها وبرها وفتحها ونصرها وطاعاتها وقرباتها لأنها أيام فلاح ونجاح لجميع المؤمنين.

عباد الله جماعة المؤمنين ودعوا شهركم بالطاعة ولا تغفلوا عن تلك البضاعة فإنما الأعمال بخواتيمها لا تودعوها باللهو والغفلة فتختموا ملفكم ودوسيهكم بعمل غير مقبول بل أغلقوا دوسيه رمضان وملف الصيام بعمل مقبول حتى يتنزل الله ﷻ لكم بالقبول التام والنور العام والجزاء الذي لا يعرف مداه إلا الله ﷻ فإنه يطلع بنفسه على ملفات الصائمين ويحدد الأجر بنفسه على حسب تقوى المؤمنين ويقول ﷻ {كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَم لَهُ إلاَّ الصيامَ فَإنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ}[١٢٤] هو الذي يضع لكل صائم جزاءه، وهو الذي يحدد له مكافآته، وهو الذي يتحفه بوسام من الأوسمة الإلهية على حسب تقواه وطاعته لله في شهر رمضان ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية عشرة[١٢٥]

يوم العفو والإنعام: [خطبة عيد الفطر المبارك]

الله أكبر (تسع مرات) ولله الحمد. الله أكبر ما بشرّ الله الصائمين بالمغفرة والرضوان، الله أكبر ما أكرم الله به هذه الأمة بالعتق من النيران. الله أكبر ما عودهم فيه الكريم بالجود والإحسان، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما وفّقهم القيوم لصلاة القيام. الله أكبر ما أيقظهم الحي والناس نيام، الله أكبر ما بشرهم بالنور التام يوم الظلام، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما أكرم الله المسلمين فيه بالنصر على الكفار، الله أكبر ما أكرم الله حبيبه

١٢٣ البيهقي فى شعب الإيمان عن ابن عباس
١٢٤ متفق عليه.
١٢٥ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة غربية غرة شوال ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨/٥/١٧م.

بالفتح وهو النبي المختار، الله أكبر ما توالى على ذكر الله ﷺ مسلم آناء الليل وأطراف النهار، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما خص المسلمين بليلة القدر، الله أكبر ما جعل هذه الليلة بخير من ثواب ألف شهر، الله أكبر من فاز بها فقد سعد أبد الدهر، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما أوجب رسول الله علينا زكاة الفطر، الله ما أكبر ما سنّها رسول الله لتطهيرنا من الوزر، الله أكبر ما جعلها رَفْعاً للأعمال، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما اجتمع المسلمون لصلاة العيد. الله أكبر ما بشرهم بالغفران الحميد المجيد، الله أكبر ما وعدهم بالجائزة اللطيف الكبير، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله ربِّ العالمين أسبغ علينا نعمته وأكمل علينا منته ووفقنا لاتباع شريعته وجعلنا من الأمة المجتباة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله غني عما سواه تفرد بالعزة والجبروت والقوة والعظمة والنعموت سبحانه سبحانه هو وحده الحي الذي لا يموت كل من سواه من خلقه يفنى ويفوت ويموت وهو وحده سبحانه الحي الذي لا يموت.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بشره الله بالمغفرة وجعله ﷺ رحمة للخلق أجمعين اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وعلى صحابته المباركين وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وعلى كل من سلك هديه واتبع طريقه إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. كل عام وأنتم بخير جميعاً وأبشروا في هذا اليوم الكريم بمغفرة من الله ورضوان ونعمة من الله وإحسان فإنه ﷺ هو الحنان المنان وهو الرءوف الكريم. وهو العطوف الشفوق وعدنا جميعاً في هذا اليوم الكريم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الفضل والإحسان.

أيها الأخوة المؤمنون إن هذا الوقت الذي نحن فيه الآن يحتفل فيه مثلنا جميع مخلوقات الله الكل قد اجتمعوا في أماكنهم الجن في أماكنهم والإنس في مساجدهم والملائكة يحفونهم بأجنحتهم من الأرض إلى السموات العلا، وجميع مخلوقات الله الأخرى من الحيتان في البحار والحيوانات والدواب في القفار، والحشرات والهوام في الفضاء ، الكل يجتمعون والكل يستمعون والكل يحضرون لهذا اللقاء الكريم الذي ليس له مثيل في دنيا الناس .. لأنه يقوم به رب الناس ﷺ لما قام الصائمون بأمر الله وبتوفيق الله بالعمل على طاعة الله طوال شهر كامل حبسوا فيه أنفسهم عن الحرام والحلال، حبسوا أنفسهم عن المفطرات ما ظهر منها وما بطن، وأقبلوا على الله بالطاعات والقربات .....

أراد ربهم أن يكافئهم وأن يهنئهم وأن يجازيهم وأن يحسن إليهم فجعل هذا اليوم وهذه الليلة، هذه الليلة سماها ليلة الجائزة لأن الملائكة تبيت فيها تجهز لكل منكم جائزته التي قدرها له الله ﷻ ، يبيتون في هذه الليلة ومعهم الصحف والأقلام واللوح المحفوظ قد ظهر فيه مراتب العباد، وأجور الزهاد .. ولكل منكم قدر معلوم وأجر مقسوم .. حدَّده الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .. ، فيجتمعون على اللوح المحفوظ ومعهم الأعمال يثبتونها لأصحابها ويحررون الكشوف ...

فإذا كانت صبيحة العيد وهو اليوم السعيد الذي نجتمع فيه للشكر على ما أولانا الله وبالعمل بما أكرمنا الله، فما جعلت هذه الليلة والصلاة إلا شكراً لله على أن وفقنا للصيام، وعلى أن وفقنا للقيام، وعلى أن آتانا بالمغفرة، وعلى أن من علينا بالتوبة، وعلى أن أعتق رقابنا من النار، وعلى أن أعطانا أجر ليلة القدر ... جعلت هذه الصلاة شكراً لله على هذه النعم وغيرها التي قدرها الله على عباد الله المؤمنين الصائمين والصائمات.

فإذا اجتمع المسلمون لصلاة العيد ليؤدوا الشكر للحميد المجيد ، فإن هذه الصلاة ما أشبهها بحفل إلهي لتكريم الصائمين وحفل رباني لتكريم الطائعين وحفل ملكوتي لتكريم عباد الله المؤمنين والمؤمنات ولذلك يأمر الله الملائكة الكرام أن يقفوا على أبواب الطرق ينادون على المؤمنين ويقولون: { **يَا أُمَّةَ أَحْمَدَ اخْرُجُوا إِلى رَبٍّ كَرِيمٍ، يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَغْفِرُ الْعَظِيمَ** }[١٢٦] فتسمعهم جميع الكائنات إلا الثقلين أى الإنس والجن فيدعون المؤمنين إلى الخروج لهذا الحفل الكريم لأخذ الجائزة من الرب العظيم ﷻ هذه طائفة ...

وطائفة أخرى منهم يجلسون على أبواب المساجد ومعهم سجلات نورانية هي سجلات التشريفات الإلهية، وكأن هذا المكان وكل مكان يماثله في الأرض إنما هو قصر جمهوري لاستقبال الزائرين لزيارة ربِّ العالمين كما قال ﷺ: { **الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ زُوَّارُ اللَّهِ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ** } ١٢٧، فيجلسون على أبواب بيوت الله يسجلون في كتاب الأحوال الإلهية وبأقلام الرحمة الربانية أسماء المسلمين الذين جاءوا لزيارة رب العالمين ولأخذ الجائزة من أكرم الأكرمين وأجود الأجودين ﷻ ، فإذا دخل الإمام المسجد طويت الصحف وجلست الملائكة معكم الآن يسمعون ويسجلون ويباركون ويهنئون لجميع المسلمين .....

ثم يتجلى الكريم ﷻ اليوم بأسماء كرمه كلها، وبأسماء إحسانه جميعها، يتجلى باسمه الكريم .. ويتجلى باسمه الوهاب .. ويتجلى باسمه المحسن .. ويتجلى باسمه المعطي .. ويتجلى

---

١٢٦ البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما.
١٢٧ رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود.

باسمه الرزاق .. ويتجلى بجميع صفاته الحسنى .. ويفتح خزائن كرمه بغير حساب وكأنه في هذا اليوم يفتح الكنوز للمؤمنين والمؤمنات !!! ولا تظنوها كنوزاً حسية .. وإنما هي كنوز معنوية .. وكنوز روحانية ملكوتية .. توضع في صحيفة كل منكم ! وفي رصيد كل واحد منكم من المغفرة! ومن الأجر ومن الثواب ومن العمل الصالح! ما لا يستطيع أن يحسبه الحاسبون! ولا يستطيع أن يعدّه العادون! ولا يستطيع أن يعلم كنهه جميع المخلوقين مهما أوتوا من سعة العلم ومن قوة التحمل ومن قدرة الفكر! لكنهم جميعاً عاجزين عن الأمر الكبير الذي سجله الحق ﷻ في صحف الكرام ... الصائمين ... القائمين ... في هذا الشهر الكريم توفية لهم من الرب ﷻ .....

إن ما يعطيه الله لكم وما يصبُّه في صحفكم لو سمعتموه ولو ذقتموه ! لسجدتم في مكانكم إلى أن تخرج أرواحكم من أجسادكم !! شكراً لله على ما أولاكم !! وحمداً له على ما أعطاكم !! ولكنه سبحانه من شدة رحمته بنا وهو يعلم أن قلوبنا ضعيفة وعقولنا قاصرة لا تتحمل هذا الثواب ولا هذا القدر من الأجر الذي أخفاه لنا في هذه الحياة الدنيا ... حتى إذا جاء اليوم المعلوم وأعطيت قوة من قوة الله .. وقدرة من قدرة الله .. ونوراً من نور الله .. وبصراً من بصر الله .. وسمعاً من سمع الله .. أطلعت على ما أعطاك الله .. فطرت من الفرح يوم لقاء الله، وحملت كتابك بأكفك، وصرت في وسط أهل الموقف تهلل وتقول: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ فتقول الملائكة مهنئة ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ثم ينادي الجليل ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾(١٩ – ٢٤الحاقة) ، فإذا سمعتم أن هذا اليوم يوم الجائزة لا تظن الجائزة شئ حسي تأخذه في يدك!! لأن الجائزة الحسية إنما نعطيها لصبياننا جماعة المسلمين، أما رجال المؤمنين الذين أعد لهم ربُّ العالمين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الأجر والثواب والنور والنعيم المقيم والهناء السرمدي... فهؤلاء جائزتهم محفورة بالنور الرباني .. منقوشة في الكتاب الصمداني .. مصورة وموضوع صورة منها عند رب العالمين! وصورة منها في اللوح المحفوظ! وصورة منها في سجلات كنوز الأعمال تحت عرش رب العالمين! وصورة في السجلات التي يكتبها الكرام الكاتبون!! صور شتى من الأجر والثواب والنعيم المقيم الذي يعده لك ويجهزه لك الوهاب ﷻ .

وتعالوا بنا جماعة الصائمين نستعرض بعض الأوسمة والنياشين التي يخلعها ربُّ العالمين على عباده المقربين في هذا اليوم الكريم، فإنه ينعم وهو المنعم على هذه الأصناف التي قال فيها ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء) ...

ينعم على بعضهم بالنياشين الإلهية وعلى صدور بعضهم بالأوسمة الربانية، فمنا من ينعم الله عليه في هذا اليوم بوسام السعادة الأبدية!! وهنيئاً لمن نال هذا الوسام فإنه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، تعرفون كم عدد المُنعم عليهم بهذا الوسام ؟احسبوا إن كنتم من الحاسبين في كل ليلة من ليالي الشهر الكريم يُكتب كشف بمائة ألف من هذه الأمة ينعم عليهم الكريم بوسام السعادة الأبدية .. فإذا كانت ليلة الجمعة أنعم فيها على مثل ما أنعم في سائر الأسبوع! فإذا كانت ليلة العيد أنعم فيها على مثل ما أنعم في سائر الشهر !! فهنيئاً للصائمين الذين فازوا بوسام السعادة الأبدية من رب العالمين والذين يقول فيهم ولهم ومكتوب في وسامهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(الأنبياء) .

فبشرى لأهل هذا الوسام وسام السعادة الأبدية من رب البرية ﷻ .... ومنا من يُنعم عليه الله بوسام الاستقامة ... وما أدراك ما وسام الاستقامة ... إن صاحب هذا الوسام يأخذ هذا الوسام من الكريم ومكتوب فيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت)، أهل وسام الاستقامة لا خوف عليهم في الحياة الدنيا ولا حزن عليهم يوم لقاء الله ... لا خوف عليهم من غضب الله .. ولا خوف عليهم من مقت الله .. ولا خوف عليهم من خروج الروح .. فإنهم آمنون فى تلك الساعة وتخرج أرواحهم كما يريدون وكما يطلبون لأنهم منحوا وسام ﴿ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.

ومن المؤمنين من ينعم عليه في هذا اليوم بوسام الصدق ومكتوب فيه: ﴿ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ (٢٣الأحزاب)، هؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله فصلوا لله وصاموا لله وعملوا الطاعات لله ربِّ العالمين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر).

ومن المؤمنين ومنا جماعة المؤمنين من ينعم عليه في هذا اليوم الكريم بوسام المغفرة ولا يُحرم منه صغير أو كبير، فكلنا بفضل الله وكلنا بتوفيق الله وكلنا بكرم الله نحصل على الأقل على وسام المغفرة .. كل مسلم منا صام هذا الشهر وكل مسلم قام هذا الشهر يحصل على وسام المغفرة الذي يقول فيه رسولكم الكريم { مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[128] فيبدل الله له الذنب فيخرج من هذا الشهر تقياً نقياً طاهراً لله.

---

١٢٨ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في سننه وأبو داود في سننه عن أبي هريرة.

ولذلك يقول رب العالمين وأكرم الأكرمين لكم جميعاً واسمعوا إليه وهو يخاطبكم فيقول { يَا عِبَادِي سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيْتُ عَنْكُمْ }[١٢٩] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الله أكبر (سبع مرات) ولله الحمد. الله أكبر على ما أولانا الله أكبر على ما أعطانا الله أكبر على ما منحنا وآوانا. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر على رحمته بالمؤمنين الله أكبر على إحسانه بالموقنين الله أكبر على جزاءه الكبير للصائمين الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. أكرمنا الكريم جميعاً ﷻ في شهر الصوم فغفر لنا ذنوبنا وستر عيوبنا ونقّانا من كل قبيح وجملنا بكل خير ومليح فأصبحنا والحمد لله كملائكة الله أتقياء أصفياء أوفياء ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾ (٦التحريم).

أيها الأخوة المؤمنون إن من حكمة الصوم العظمى وحكمه لا تُعد ولا تحصى أن كل واحد منا إذا دخل هذا الشهر الكريم يأخذ نفسه ويضعها بين يدي مولاه والنفس هي المخزن الذي يخزن الإنسان فيه طوال العام ما يسيئ وما يضر يخزّن فيها حقده على فلان، ويخزّن فيها حسده على فلان، ويخزّن فيها طمعه في فلان، ويخزّن فيها ظلمه لفلان ما أشبهها بصندوق القمامة أو بسلة المهملات التي يضع فيها الإنسان أقبح شئ عنده ... أما القلب فهو صندوق نوراني وخزينة محكمة يضع الإنسان فيها أثمن شئ عنده ... يضع فيها ذكر الله ويضع فيها التسبيح لله، ويضع فيها الصلاة على رسول الله، ويضع فيها النصح لعباد الله، ويضع فيها الرحمة بجميع خلق الله....

فالنفس مصدر كل شر وقبيح والقلب مصدر كل خير ومليح ومن حكم الصوم العظمى أن الله يأتي على هذه السلّة ويفرغها... فيفرغها من الشرور والآثام ويفرغها من الحقدوالحسد ويفرغها من الكراهية والبغضاء .. ويفرغها من الشحناء ويفرغها من الغل ويفرغها من جميع الصفات الخبيثة ... وفي نفس الوقت يعمِّر الصندوق النوراني بنور الله !! فيهيج صاحبه بذكر الله .. ويفرح في السرور لعباد الله ويشفق ويرحم جميع خلق الله، ولذلك

---

١٢٩ رواه ابن حبان في الثواب والبيهقي عن ابن عباس.

تجدون جميعكم والحمد لله في هذا اليوم الكريم تجدون أنفسكم منشرحين الصدور كل واحد منكم يقابل أخاه بوجه هاش باش .. يريد أن يعتنقه ويريد أن يقبله .. ويريد أن يصافحه ويريد أن يعبر له عن فرحته بكل ما يستطيع لماذا؟ لأنه يصدر من قلب نوراني عمّره الله بأنواره وملأه الله بإحسانه، وملأه الله بطاعته....

فإذا كان هذا اليوم العظيم فاعلموا أن طاعتكم في هذا اليوم لله، وشكركم فى هذا اليوم لله أن تكونوا كما ورد فى الأثر: { **إن الله يحبُّ من خلقه من كان على خلقه** } يحب أن نكون اليوم ولو اليوم فقط على أخلاقه هو عفو، ويريد أن تكون أنت اليوم عفو عمن أساء إليك، وعفو عمن ارتكب في حقك معصية، وعفو عمن ارتكب في ناحيتك شرٌ .. وانظر إلى الله كيف يعامل الكفار؟ ماذا يصنعون في هذه الأرض؟ ولكن العفو لا يعاملهم ببعض ذنوبهم ولا ببعض شرورهم ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٤٥فاطر)، لو يؤاخذهم ببعض ذنوبهم لأهلكهم جميعاً، ولكنه عندما تهم البحار كل صباح وتقول دعنا نغرقهم! وتقول الأرض دعني انشق فأبتلعهم! وتقول السماء دعني أهوى عليهم فأحرقهم! فيقول الله لهم وهو الشفوق الرحيم العطوف!! أنتم خلقتموهم يقولون لا، أنتم ترزقونهم ؟ يقولون لا. فيقول أنا خالقهم وأنا رازقهم وأنا أولى بهم منكم .. لا شأن لكم بهم. هذا هو العفو عمن أساء إليه ... يعفو عمن ارتكب القبائح على أرضه مع أنه يأكل من خيره ويعيش من بره ويتحرك بفضله ولكنه ذو عفوٌ ويريد أن تتحلى كل يوم بصفة العفو وتكون كما قال الله لرسوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)، نريد أن نأخذ العفو اليوم بقلوبنا .. ويظهر على جوارحنا فنعفو عمن أساء إلينا ونصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا فنكون في رضاء ربنا ﷻ .

إن عبادة هذا اليوم هي المصافحة وهي المعانقة لعباد الله المؤمنين ولعلكم تستصغرون أجر هذه العبادة ولكن اسمعوا إلى نبيكم يبين لكم قدرها فيقول: { **إنَّ المُسْلِمَ إذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا** [يعني نزلت ذنوبهما] **كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ** }[١٣٠] .. أي كما يترل ورق الشجر، أي كلما سلمت على مسلم نزلت جميع ذنوبك وجميع ذنوبه ... ربما تقول لي إن ذنوبي تترل مع أول مسلم أسلم عليه فماذا يحدث مع الباقين؟

يكتب لك حسنات قدر الذنوب التي نزلت عنك في أول مرة سلمت فيها على أول فرد من المسلمين هذا للمصافحة .. فما بالك بالنظرة! إذا نظرت في وجه أخيك المؤمن ببشاشة وابتسامة وبسرور ماذا يحدث؟ اسمع إلى رسولك وهو يقول { **نظرة في وجه أخ**

---

١٣٠ رواه ابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب.

في الله على شوق خير من اعتكاف في مسجدي هذا عاماً }[١٣١] أفضل من الاعتكاف في مسجد رسول الله سنة وما أجر الاعتكاف؟ إن الاعتكاف يقول فيه رسول الله **{ من اعتكف قدر فواق** – والفواق هو الوقت بين حلبتين للناقة وهو وقت يسير – **كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل }**[١٣٢] والأجر في مسجد رسول الله يضاعف عشرة آلاف مرة عن هذه البقاع التي نحن فيها .. فإذا عبد الإنسان الله واعتكف في مسجد رسول الله عاماً فله من الأجر ومن الثواب ما يعجز عنه حتى الكرام الكاتبين!!، هذا الأجر كله نأخذه بنظرة في وجه أخيك .. ولكنها نظرة بمحبة ونظرة بحنو ونظرة بشفقة ونظرة بعطف ونظرة بقبول واقبال ... وليست نظرة بحقد ولا حسد وليست نظرة بكراهية وبغضاء.. فانظر كم يحرم نفسه الحاقد في هذا اليوم من الأجر والثواب، ماذا يتعب الإنسان في النظرة التي يحصل منها وبها على هذا الأجر الكبير؟ لا يتعب كل ما في الأمر أن يملأ قلبه بالمحبة لعباد الله في هذا اليوم لكي تكون نظرته نظرة محبة وعطف وشفقة لجميع عباد الله ...

ولو أن مسلماً كان مسيئاً إليك فسامحه اليوم إن لم يكن إكراماً لذاته .. فإكراماً لرسول الله .. فإنك إذا كان لك أبناء وتخاصم بعضهم مع بعض .. وجاء يوم العيد ماذا تريد منهم؟ وماذا تحب منهم؟ هل تحب أن يظلا متخاصمين ذلك اليوم؟ أبداً لكنك تريد منهم أن يكونوا في هذا اليوم على بساط المودة والصفاء.

وكذا يا أيها الأخوة المؤمنون رسولكم الكريم ﷺ نحن جميعاً أبنائه بنص قول الله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ (٦الأحزاب)، وفي رواية فوق السبعة ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ فأبوكم المصطفى ﷺ يريد منكم أيها الأخوة بنص كلام الله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات)، أن تصفحوا الصفح الجميل وأن تكونوا في هذا اليوم إخوة متآلفين متحابين متعاونين إكراماً لسيد المرسلين وإكراماً لرب العالمين من قال في كلامه المتين ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤فصلت).

هذه عبادتنا في ذلك اليوم المصافحة والمعانقة وصلة الأرحام وما أدراك ما صلة الأرحام. إن هذا اليوم الكريم هو يوم صلة الأرحام. يوم صلة الأقارب ويوم بر الوالدين وبالذات بر الوالدين. وبر صديقهما، وبر الناس الذين لا يبرون إلا عن طريقهما فقد كان رسول الله في هذا اليوم الكريم يبر أصدقاء السيدة خديجة بعد وفاتها إكراماً لها ويرسل إليهم الهدايا ويقولون له يا رسول الله لم ترسل إلى فلانة؟ فيقول **{ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ**

---

١٣١ رواه السيوطي في الفتح الكبير عن ابن عمر.

١٣٢ روح البيان وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى.

وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ }[١٣٣] أي كانت تصلها فأحب أن أصلها بعد موتها، فمن تمام بر الوالدين أن تبر صديقهما الذي كان يصادقهما في حياتهما، وأن تبر أهل ودهما، وأن تبر ذوي رحمهما كل ذلك كما جاء بالحديث.

ومن عمل هذا اليوم أيضاً الإنفاق على الفقراء والمساكين والتصدق على ذوي الحاجات لأن هذا اليوم يوم الكرم الإلهي والعمل فيه يضاعف أضعافاً كثيرة ومن تمام هذا اليوم أن نقوم بإدخال البهجة والسرور على أولادنا فقد قال ﷺ: { **للجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلاَّ مفرح الصبيان }**[١٣٤] باب خاص جعله الله ليدخل منه من يدخل الفرح على قلوب الأطفال من البنين والبنات !! ولمن يفرحهم بلعبة أو يفرحهم بنقود أو يفرحهم بفاكهة أو يفرحهم بحلوى.

ولكن علينا في هذا الأمر أن ننظر إلى ما يجب أن نكون عليه وهو أنني إذا أعطيت إلى أولاد أخي أو إلى أولاد أقاربي شيئاً لا أنتظر الرد! ولا أذهب إلى أولادي وأقول لهم كم أعطاكم عمكم فلان وأقول لزوجتي أكتبي ورقة بالذي يعطيهم فلان وفلان واذهب إلى البيت وأرد لهم ما أعطوه.. فإن هذا ليس من عمل الإسلام ولكنه من عمل الجاهلية إنما أنا أعطيهم لله لآخذ الأجر من الله فإذا أعطيت أخي فإنه من باب قول الله: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ** ﴾ (٨٦النساء)، فهو أيضاً يرجو العمل ويرجو الثواب من الله ﷻ.

وأيضاً يكون هذا الأمر في زيارة منازل وبيوت إخواننا. فإذا ذهبت إلى أخيك لزيارته في بيته فلا تنتظر الرد حتى يكون أجرك تاماً من الله فقد قال رسول الله: { **لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِىءِ }**[١٣٥] فالذي يذهب لزيارة أخيه ولا ينتظر الرد إذا ذهب أخاه لزيارته فبها ونعمت، وإذا لم يذهب لم تتغير نفسه! ولا يتغير قلبه لأنه عمل العمل لله ويريد الثواب من الله ويريد الأجر من الله ... وما دام يرجو بعمله وجه الله ! ويريد بثوابه الله لم يحزن من خلق الله؟ ولم يتغير من عباد الله؟

فعلينا في هذا اليوم أن نفعل ما يأتي. أن نصافح بعضنا، وأن ننظر في وجوه بعضنا بالمحبة والرضا، ونطلق الألسنة بالكلمة الطيبة، فالكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، ثم نصل ذوي رحمنا ونعطف على فقرائنا ونشيع البهجة في صغارنا وأولادنا.

أما ما يفعله بعضنا من إشاعة الحزن في ذلك اليوم بالجلوس في المنازل لأن لهم قريب توفى من شهرين أو أكثر أو أقل وهذا أول عيد يمر عليه !! ما للميت وما للعيد؟

---

١٣٣ أخرجه الحاكم في المستدرك والدارمي عن عائشة.
١٣٤ الفردوس عن ابن عباس عمدة القاري
١٣٥ رواه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد عن عبد الله بن عمر.

العيد للأحياء !! هل الأموات في المقابر لهم ليل ونهار مثلنا؟ أو لهم صيام وفطر مثلنـــا؟ إنه إما في جنة عرضها السموات والأرض ... وإما في نار أعدت للعصاة والمذنبين والكافرين ،والجنة والنار ليس فيها ليل أو نهار ولا شهر ولا يوم ولا سنة إنهـــم مقبـــورون بأعمـــالهم وبثوابهم .. فإذا ذهبنا إلى المقابر لقراءة الفاتحة لهم فيها، فبها ونعمت .. وإذا لم نذهب فليس علينا شئ .... أما الجلوس في البيوت لتجديد الحزن في هذا اليوم فلا يجوز. فهذا اليوم يـــوم بهجة ويوم سرور، فإذا ذهبنا لأهل الميت فلأجل أن تشيع بينهم البهجة وتغير ما عندهم مـــن الحزن، وتقلب حالهم إلى حال الفرح، هذه هي سنة الإسلام يا جماعة المسلمين، فنريد إذاً أن نبطل هذه العادة الجاهلية وهي عادة الجلوس في البيوت ويمر الناس على البيـــوت فيقولـــون نأخذ خاطر فلان وخاطر فلان فالعزاء في الإسلام بعد الثلاثة أيام لا يجب على مسلم.

هذه هي أعمالنا التي نقوم بها في يوم العيد ومع القيام بهذه الأعمال يجب أن لا تفوتنا الفرائض في جماعة فقد عهدنا في السنوات الأخيرة أن الناس في يوم العيد يسهون عن صـــلاة الجماعة ويؤدونها بعدها إن هذا اليوم يوم شكر لله والشكر لله يقتضي أن نحافظ على فرائضه في وقتها ثم نسرع بعدها لنؤدي ما كلفنا به الله ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة عشرة[١٣٦]

لباس التقوى: [خطبة عيد الفطر]

الله أكبر (تسع مرات) ولله الحمد. الله أكبر ما كتب الله على المسلمين صـــيام شـــهر رمضان. الله أكبر ما وفق الله فيه الصائمين لطاعة الرحمن. الله أكبر مـــا رزقهـــم الله الهـــدى ووفقهم لاتباع سيد ولد عدنان. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما جعـــل الله هـــذا الشهر شهر خير وبركة. الله أكبر ما جعل هذا الشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتـــق من النار. الله أكبر على فضل الله أكبر. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على رحمـــة الله بعباده المؤمنين. الله أكبر على لطف الله بعباده المسلمين. الله أكبر فقد غسلهم ونقـــاهم مـــن الخطايا أجمعين. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما فرحت ملائكة السموات واستأذنت ربها في النزول إلى الأرض بالتحيات والتسليمات. الله أكبر كما قال سيد السادات { لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْ يَتَكَلَّمَا، لَبَشَّرَتَا مَنْ صَامَ رَمَضَانَ بِالْجَنَّةِ }[١٣٧].

---

١٣٦ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة – غربية غرة شوال ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣/٣/٢٤م.

١٣٧ الدَّيلمي عن أَبي هدبة عن أَنسٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ)

الله أكبر ما فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النيران. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر هذا شهر حياة القلوب. الله أكبر هذا شهر علام الغيوب. الله أكبر هذا شهر تكفير الخطايا والذنوب. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر هذه صلاتنا صلاة العيد يشهدها كل روحاني في ملك الله وملكوته ليهنئ المسلمين بالحال الجديد. الله أكبر على فضل الله ونصر الله لعباده المؤمنين. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله الذي وفقنا جميعاً لطاعته والشكر له ﷻ على أن جعلنا من المسارعين إلى حضور بره ورحمته ونعمته. سبحانه سبحانه شفوق عطوف ورحيم حنان منان بعباده المؤمنين إذا أمرهم فلخيرهم وإذا نهاهم فلمنفعتهم وإذا طلب منهم أمراً فإنما ليكرمهم ويرفع درجاتهم في الموقف العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فضله لا يعد ونعيمه لا يحد لو أن الخلائق أجمعين من أول الدنيا إلى آخرها وقفوا جميعاً في صف واحد فسأله كل واحد ما يريد فأعطى كل واحد منهم ما يطلب ويزيد ما ينقص ذلك من ملك الحميد المجيد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أكرمنا الله ببعثته واصطفانا لاتباعه في شريعته ونسأله ﷻ أن يلحقنا به في مستقر جنته نحن والسامعين أجمعين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي الأغر المبارك الميمون واحفظنا بحفظه من الهواجس والشكوك والظنون واجعلنا بفضله من الذين لهم نصيب عندك في العلم المكنون آمين آمين يا ربَّ العالمين. أما بعد فيا عباد الله جماعة المؤمنين كل عام وأنتم بخير جميعاً بهذا العيد السعيد ونريد أن نتحدث سوياً فنقطف من زهرة النبوة رياضاً يانعة في حكمة هذا العيد السعيد.

وإنه ﷺ لو تتبعنا سنته التي نعرفها في العيد ونستسهلها وربما لا يلقى بعضنا لها بالاً لوجدنا لنا فيها جميعاً أمر رشيد فإنه ﷺ يأمرنا ليلة العيد أن نغتسل ثم نلبس أحسن ما عندنا ثم نخرج في الصباح مهللين مكبرين إلى بيت ربنا ثم نصلي العيد ونستمع الوعظ الرشيد ثم نرجع من طريق غير الذي عدنا منه فلماذا هذه السنن النبوية؟ إنه يشير لنا جميعاً معشر الأمة المحمدية إلى نعم الله الجلية لنا في يوم العيد وليلة العيد وإليكم بعضها على سبيل النذر اليسير أما الاستكثار فليس وقته الآن لأنه يحتاج إلى وقت طويل وكبير.

إن الرجل منا إذا ولد فإن أول خطاب يأتيه يأتيه من الله ﷻ فبمجرد نزوله من بطن الأم يستهل صارخاً وإذا بالملائكة يحولون التحويلة الإلهية على أذنه ويقولون له أصغي جيداً

هذا ربك يخاطبك. فيقول الله ﷻ له كما ورد في الخبر عن بعض العارفين: { **إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام: أحدهما: إذا خرج من بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نظيفاً واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إليّ كيف تلقاني، والثاني: عند خروج روحه يقول: عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء، أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب** }[١٣٨] خلقتك طاهراً نظيفاً ليس من الأوساخ والقاذورات ولكن طاهراً من النفاق وطاهراً من الكذب وطاهراً من الغش وطاهراً من الخيانة وطاهراً من كل هذه الأمراض الباطلة (الباطنة) التي حذرنا الله منها ونهانا الرسول ﷺ عنها. فإذا مشى الإنسان في دنياه كان لابساً على فؤاده ثياب تقوى الله ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف)

هذا اللباس الذي يلبسه المؤمنون لباس التقوى ورداء التقوى هو الذي يجعل الإنسان منا يستحي أن يعصي الله ويحس بالندم وبوخز الضمير وبالتأنيب والتعنيف إذا وقع في جريمة في حق نفسه أو إخوانه أو في حق الله ﷻ هذا اللباس الطيب الذي تفضل الله به على المؤمنين ولم يعطه للكافرين ولو دفع الإنسان منهم ملء الأرض جميعاً ما كان لهم خيطاً واحداً من هذا الثواب ثوب التقى والهدى والغنى والعفاف .. الذي زينكم به الله ﷻ وهذا هو الذي يقول فيه ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٣١الأعراف)، أي خذوا زينتكم التي زينكم بها الله ﷻ في السر والعلانية، وإلا لو لبس رجل منا أحسن ما عنده من الثياب ووضع فوق جسمه قارورة من العطر الطيب، ودخل وقلبه مملوء بالأحقاد أو الأحساد أو الغل أو الحرص أو الغيظ على عباد الله المؤمنين فإنه لن يدخل بالثوب الذي ارتضاه وزينه به رب العالمين ﷻ.

أولى الملابس أن تلقى الحبيب به   يوم الزيارة في الثوب الذي خلع

خلع: خلعه عليك أى ألبسك أياه، فأولى الملابس أن نلقى بها الله في بيت الله الثوب الذي ألبسه لك الله وهو ثوب الإسلام والإيمان والتقى ومراقبة الديان ﷻ.

فالإنسان يسير في دنياه فيتسخ الثوب واتساخه من الذنوب ومن العيوب ومن مخالفة علام الغيوب، وقد قال في ذلك النبي ﷺ { **إنّ العَبْدَ إذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإذَا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُه وَإنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ وهُوَ الرَّانُ الذَّي ذَكَرَ الله [يعني الغطاء] ثم تلا قول الله ﷻ** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (١٤، ١٥المطففين) }١٣٩.

---

١٣٨ إحياء علوم الدين ، وتفسير نظم الدر للبقاعى
١٣٩ رواه الترمذي عن أبي هريرة

هذه الذنوب هي التي تباعد المرء عن طاعة علام الغيوب فتجعله لا يميل إلى استماع كلام الله ولا يحب أن يسمع كلمات الوعظ من العلماء بالله وتجعله يتهافت على المعاصي ويميل إلى الشرور والآثام لأن الذنوب تجعل على قلبه حاجزاً بينه وبين الملك العلام ﷻ.

وهذه الذنوب صنفان ذنوب صغيرة وهذه تزول بسرعة بالصلوات المكتوبات كما قال الله ﷻ ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٣١النساء)، أي بالصلاة ﴿ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ يوم لقاء الله ﷻ وقد قال ﷺ: { أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا }[١٤٠]، فالصلوات الخمس تجدد ثوب القلب وتغسله من المعاصي والذنوب والخطايا الصغيرة .

أما الذنوب الكبيرة .. وأما الخطايا العظيمة فتحتاج إلى غسيل خاص .. وإلى مسحوق للغسيل خاص .. وإلى نظام خاص، فجعل الله لها هذا الشهر الكريم فهذا شهر يتفضل فيه الملك الكريم فيأخذ ثيابنا الداخلية ثيابنا القلبية ويطهرها من الذنوب والآثام ما صغر منها وما كبر، ما ظهر منها وما بطن، ما عظم منها وما قل، وإذا كانت ليلة العيد ألبسك ثوباً تقياً نقياً طاهراً كالثوب الذي كنت تلبسه عند خروجك إلى دار الدنيا عند مولدك.. ولذا أمرك النبي الكريم أن تغتسل إشارة لك إلى أنك اغتسلت من الذنوب كلها باطناً فاغسل نفسك ظاهراً لكي تكون ظاهراً وباطناً طاهراً نظيفاً للقاء الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وأمرك سبحانه أن تلبس الثوب الجديد. ثوب التقى، ثوب النقا ثوب الهدى ثوب الإيمان، ثوب مراقبة الديان ﷻ، وتقلع عما كنت فيه قبل رمضان من الغي ومن القبيح ومن النوايا السيئة ... ومن القصود الفاسدة ... ومن الأهواء المهلكة .. ومن الشهوات المردية .. واعقد العزم مع الله ...... على أنك لن تعود إليها أبداً ... بعدما طهرك الله ونظفك الله ونقاك الله ﷻ وجعلك من عباده المتطهرين.

فإذا جئت إلى بيت الله فأنت تكبر الله كأنك لا ترى شيئاً في عينيك ولا في فؤادك ولا في قلبك أكبر من الله ﷻ ، فقد كنت قبل رمضان يغلب عليك أشياء في الدنيا تسيطر عليك وتغلب عليك وهي أحب إليك من طاعة الله أحياناً! فإذا ناداك الله تكاسلت في الذهاب إلى الصلاة لانشغالك بمباراة! أو لمشاهدتك لمسلسل يغضب الله! أو لحديث في القيل والقال لا يرضي الله!! كل هذه وغيرها تمنعك من المسارعة لنداء الله ﷻ وهو يقول لك حي على

١٤٠ رواه مسلم والإمام مالك في الموطأ وأحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن جابر بن عبد الله.

الصلاة، حي على الفلاح ... يعني أقبل على الفلاح... فإذا كنت في عمل فيقول لك: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩الجمعة) .

فإذا دخلت في الصلاة وقلت الله أكبر أمر الله الملائكة أن تنظر في قلبك فربما وجدت قلبك يغلب عليه حب الدنيا فتقول لك كذبت الدنيا في قلبك أكبر ! وربما وجدت قلبك ينظر إلى فاتنة أو غانية فتقول لك كذبت النساء في قلبك أكبر ! وربما وجدت قلبك كل همه في الحصول على المال والحصول على المادة التي كتبها الله وقدرها الله !! ولن يموت واحد منكم إلا ويقبض بيده ما صرفه له الصراف الأكبر وهو الرزاق الكريم ﷻ ! فتقول لك الملائكة كذبت المال في قلبك أكبر!! لابد عندما تقول في الصلاة الله أكبر أن تخلع من قلبك كل الأنداد وكل الشركاء فلا يكن في قلبك حب يساوي حب الله حتى لنفسك وحتى لزوجك وحتى لولدك فهؤلاء في المرتبة الثانية أو الثالثة بعد حب الله ورسوله.

قال ﷺ: { لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكُونَ أحَبَّ إليه من وَلَدِهِ وَوالِدِهِ ونفسه والناسِ أجْمَعِين }[١٤١] ، واستمع إلى الراوى يحكى عن ذلك الموقف الخالد !! قَالَ: { كُنَّا مَعَ النَّبِي وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺفَقَالَ: أَتُحِبُّنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ: الآنَ يَا عُمَرُ.}١٤٢ فعندما قال له عمر : إلا نفسي التي بين جنبي! كان يصدقه الحديث، فلما فهم من رده ﷺ أنه لم يكمل إيمانه! رجع فى الحال وأصلح حاله القلبى وقال بلسانه عما في قلبه لأنهم لم يكونوا يقولون إلا ما يفعلون ولا يعبرون إلا عما يبطنون لأن الرسول حذرهم بقوله ﷺ { إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ. الَّذِي يَأْتِي هَـٰؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَـٰؤُلاَءِ بِوَجْهٍ }[١٤٣] [يعني يظهر خلاف ما يبطن] فقال ﷺ: والله لأنت الآن أحبُّ إلى من نفسي، قال الآن الآن يا عمر! أى الآن كمل إيمانك.

وما لنا نذهب بعيداً وهذا قول الله محذراً لنا ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ (٢٤التوبة)، إذا كان واحد من هذه الأصناف أحب إليك من الله ورسوله فتربص بنفسك السوء واخش على نفسك المقت من الله والغضب من الله!! لأنك عظمت ما حقَّر الله ولم تعظم ما عظم الله.

---

١٤١ رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس.
١٤٢ جامع المسانيد والمراسيل، وشعب ايمان والمستدرك على الصحيحين عن أبي عقيل عن جده
١٤٣ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وابن حبان في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس.

أما المؤمن فهو الذي يعظِّم الله في وقت الصلاة فقد كان ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: { كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه }[١٤٤]، وعن الأَسْوَدِ بن يَزِيدَ ، قَالَ: { قُلْتُ يَا عَائِشَةُ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ النبيُّ يَصْنَعُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاَةُ قَامَ فَصَلَّى }.، لماذا؟ لانشغاله بالله عن كل شئ سواه فإذا تم للعبد المؤمن هذه الفرحة كان الله في قلبه أكبر من كل شئ فعندما يقف بين يدي الله وقد ترك تجارته أو ترك عمله أو ترك حديثه أو ترك مشاهداته ويقول الله أكبر تقول له الملائكة صدقت الله أكبر في قلبك من كل شئ، فنكبر الله لأننا نعلن بذلك لله ونعلن بذلك للملائكة الله ونعلن بذلك لأرض الله فإن الأرض ستشهد لنا عند الله. قال ﷺ: { إنه لا يَسْمَعُ مدى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ }[١٤٥] .

فأنت إذا كبرت فأنت تؤذن لله ﷻ فكل من يسمعك سيشهد لك عند الله يوم القيامة بأنك كبرت الله وأعليت شأن شريعة الله وصارت في المحل الأعلى من قلبك وصرت من عباد الله الصالحين، فإذا دخلت إلى الصلاة يأمرك رسول الله أن تصحب معك أهلك حتى زوجتك حتى ولو كانت حائضاً لأنه أمرهم أن يصحبوا الحيض ولا يمنعوهن من حضور الخير في ذلك اليوم، فكنَّ الحيض يجلسن على جانب المصلى ليشهدن الخير. لماذا؟ لأن الله يدعوك ليكرمك وليجزيك ليجزل لك الأجر العظيم. وأنت إذا دعاك رجل في الدنيا كريم لتكريمك تصحب من استطعت وتدعو من عرفت ليشهدوا تكريمك وليروا تنصيبك وتعظيمك وفى الحقيقة فإنهن يحضرن تكريمهن أيضا فى هذا اليوم فقد صمن كما صام أزواجهن ويتسلمن أوسمتهم كما يتسلم أزواجهن !! فما بالنا وأكرم الأكرمين يكرمنا جميعاً في هذا اليوم العظيم..

فيأمر سبحانه الملائكة بعد صلاة الفجر أن يقفوا على أبواب الطرق وأفواه السكك ينادون بصوت يسمعه كل من في السموات والأرض إلا الثقلين الجن والإنس ماذا يقولون؟ { يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم }.. فيخرج المؤمنون وعلى أبواب القصر الإلهي بيت الله ﷻ ملائكة مقربون معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يسجلون المكرمين بحسب دخولهم إلى قصور رب العالمين الأول فالأول والآخر فالآخر فإذا دخل الإمام طويت صفحات التكريم وطويت صفحات التعظيم وجلسوا يصلون معكم ويستمعون معكم، وفي هذا الحفل الكريم كل واحد منكم يفوز بفضل العظيم من العظيم فإنه يقول لنا جميعاً {يَا عِبَادِي سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ

---

١٤٤ ورد فى طبقات الشافعيه الكبرى أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلا، كما جاء فى الأزدى فى الضعفاء

١٤٥ صحيح البخارى عن أبي سعيد.

شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لاخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضَيْتُ عَنْكُمْ}[١٤٦] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الله أكبر (سبع مرات) ولله الحمد. الله أكبر على ما وهبنا به وأعطانا. الله أكبر على ما خصنا به ووالانا. الله أكبر على ما شرفنا به مولانا وهدانا. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله وحده والشكر لله ﷻ على جميع نعمه الظاهرة والباطنة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله بالحمد موصوف وبالجود معروف وبحر كرمه بحراً غير مكسوف. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله فتح لنا كنوز الخيرات وفجر لنا عيون البركات وجعلنا في الدنيا والآخرة في حبور ومسرات إذا أطعنا الله في الغدوات والروحات اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أتباع سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فقد أمرنا رسولنا الكريم ﷺ أن نرجع من طريق غير الذي جئنا منه يعني أننا إذا كنا جئنا إلى بيت الله ﷻ وفي قلوبنا ولو بعض الذنوب ولو بعض العيوب ولو بعض الإحن والضغائن أن نرجع من طريق يقول فيه الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر). إذا كنا عندنا بعض النوايا بالشرور نجعلها نوايا في طاعة العزيز الغفور. إذا كان عندنا تكاسل عن الطاعات والقربات نجعل عندنا عزيمة على عمل الصالحات ونحن فى طريق عودتنا .. يجب أن نكون أفضل منا عند ذهابنا وتكوم عزيمتنا أقوى على الإستمرار وهلى أن نكون أهلاً دائما لهذه الأوسمة والنياشين التى عدنا بها....

إذا خرجنا جميعاً من صلاتنا بعد صيامنا بهذه الكيفية فإن ذلك يحل كل المشكلات الاجتماعية فإن الصيام جعله الله ﷻ علاجاً لمشكلاتنا فإن مشكلاتنا التي تؤرقنا مشكلة القوت ومشكلة الغش ومشكلة الكذب ومشكلة الخيانة وكلها مشكلات جعلناها على الهامش من ديننا، أي أن الرجل في زعمه أنه إذا أدى الصلاة وكذب فلا شئ عليه !! وإذا أدى الصلاة وخان فلا شئ عليه !! وإذا صام رمضان وغش فلا شئ عليه !! وكذب وكذبه

---

١٤٦ رواه ابن حبان في الثواب والبيهقي عن ابن عباس.

الله وكذبه رسول الله ﷺ فإن ديننا لا يفرق بين ترك الصلاة والكذب. ولا يفرق بين ترك الصلاة والغش. ولا يفرق بين ترك الصلاة والخديعة. ولا يفرق بين ترك الصلاة وترك الأمانة ولا يفرق بين ترك الصلاة والتهاون بكل هذه الفضائل فقد قيل له ذات مرة: { **إنَّ فُلاَنَةً تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ** }١٤٧، مع صلاتها ومع صيامها لا خير فيها لأنها فرقت بين العبادات وبين الأخلاق والمعاملات التي جاء بها ﷺ.

و{ **سئل النبي ﷺ: هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا. ثم أتبعها نبي الله صلى الله عليه وسلم {إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}** }[١٤٨]، وورد : { **قال أبو الدرداء يا رسول الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من إذا حدَّث كذب.** }[١٤٩] وفي رواية : { **لا. المؤمن ليس بكذّاب. المؤمن ليس بكذّاب. المؤمن ليس بكذّاب** }.

انظر إلى قول الرسول تجد جريمة الكذب أخطر في نظره من القتل ومن السرقة ومن الزنا لأنها أفقدتنا الثقة في بعضنا فلم يعد الواحد منا يأمن أخاه ولا يثق في كلام أخيه حتى ولو حلف له بالله لا يصدقه! بل إنه أحياناً لأنه يعلم ضعف إيمانه لا يرضى له الحلف بربه ويحلفه بزوجه وكأن زوجه أغلى عليه من ربه! ويقول له لا أرضى حتى تحلف بالطلاق. والذي يحلف بالطلاق معناه أن زوجته عنده أغلى من الله ﷻ.

يا قوم ما هذا الذي نحن فيه؟ وما هذا الذي وصلنا إليه؟ إن هذا لأن قوماً زعموا أنهم إذا أدوا الصلاة وحافظوا على الصيام ووقعوا في هذه الذنوب العظام فلا عليهم شئ وهذا يقول فيه الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٤٥العنكبوت) . فالحكمة من الصلاة أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والفحشاء هي الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور وجميع الشرور وجميع الفجور، ولذا يقول ﷺ: { **مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إلاَّ بُعْداً** }[١٥٠] يعني لا صلاة مقبولة له مع أنه يؤديها ولكنه يؤديها حركات يضحك بها على نفسه أو يضحك بها على من حوله: ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩البقرة).

في الصيام دربنا الله على الإخلاص لله فلو دخل واحد منا في حجرة وأغلق عليه الباب وأكل لا يطلع عليه إلا الواحد الأحد الفرد الصمد وكذا درب نفسك على هذا الأمر أنت

---

١٤٧ رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ.
١٤٨ وأخرج الخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن عساكر في تاريخه، عن عبد الله بن جراد، كذا في الدر المنثور.
١٤٩ أخرجه الخطيب في تاريخه، عن عبد الله بن جراد ﷺ.
١٥٠ رواه الطبراني في الكبير

لو كذبت ولم يطلع عليك أحد فسيطلع عليك الواحد الأحد الفرد الصمد الذي سيحاسبك على كل شئ وإذا اغتبت أو سرقت وإذا خنت، وإذا غللت وإذا غششت فأنت خارج هذه الأمة فقد قال ﷺ: {مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا}[١٥١] وإن صلى وإن صام وإن حج البيت الحرام فليس من أمة الإسلام لأنه أباح لنفسه أن يغش أمة سيد الأنام ﷺ سواء كان هذا الغش في نصيحة كأن يستنصحك رجل فتغشه في نصيحة! وما أكثر هذا في أيامنا هذه.

يقول: ما رأيك في هذه التجارة؟ تقول له لا فائدة فيها لتصرفه عنها وتأخذها لنفسك. ما رأيك في هذا العمل؟ تسفهه له وتحرمه عليه وتبيحه لنفسك لأنك تريد أن تستأثر به لنفسك. أو كان الغش في كيل أو كان الغش في وزن أو كان الغش في بيع أو كان الغش في شراء. وإني أعجب ممن يتباهون ويفتخرون بأنه غش فلان وضحك عليه في بيعه كذا وأنه غشَّ فلان وضحك عليه وهؤلاء يقول فيهم ﷺ {كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ}[١٥٢] أي الذين يتباهون بالفضائح وهذه الأعمال القبيحة لا توبة لهم إلا إذا رجعوا إلى الله نادمين أشد الندم وتابوا توبة نصوحة بشروطها ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه.

فلو أننا خرجنا من شهر الصيام وهذه النصيحة الصادقة بالإخلاص لله في السر والعلانية وأن نراقبه في حركاتنا وسكناتنا ونعلم أنه مطلع على أعمالنا وهو وحده الذي سيحاسبنا ويجزينا عليه وكان كل واحد منا في أذنه ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة)، لا نصلح حال مجتمعنا في الحال لأن كل الأدواء التي فيه من نسيان مراقبة الرقيب ومن نسيان أن هناك حساباً شديداً يحاسب فيه المولى على القليل والكثير على النقير والحقير فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون من هذه النوايا وهذه القبائح وقولوا جميعاً تبنا إلى الله ورجعنا إلى الله وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً وبرئنا من كل شئ يخالف دين الإسلام ونعاهد الله على طاعة الله ومراقبة الله في حركاتنا وسكناتنا وأعمالنا وأقوالنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً والله على ما نقول شهيد، بعد هذه التوبة النصوح أبشروا بفضل من الله ورضوان.

وأعلنوا له ﷺ أنكم لن تملوا من الصيام ولكن تريدون استمرار طاعته ﷺ وذلك بصيام أيام من شهر شوال يقول فيها ﷺ: {مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بستٍّ مِنْ شَوَّالَ فكأنما صَامَ الدَّهْرَ}[١٥٣] فضل كبير في عملٍ يسير فإن الحسنة بعشر أمثالها ورمضان ثلاثين يوماً بثلاثمائة يوم وست من شوال بستين يوماً فتوازي (٣٦٠) ثلاثمائة وستين يوماً وهي عدد

---

١٥١ رواه الحاكم في المستدرك ومسلم في صحيحه وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.
١٥٢ رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي قتادة الأنصاري.
١٥٣ رواه الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه وأبو داود في سننه والبزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

أيام السنة الهجرية لأن عددها بين (٣٥٥ – ٣٦٠) فيكون الإنسان منا صائماً طوال عمره وطوال دهره وإن كان مفطراً يأكل أو يشرب ولا عليك أن تصومها متتالية أو تصومها متفرقة. المهم أن تصومها خلال هذا الشهر ....

ولا تنسوا في هذا اليوم الكريم أن تلقوا إخوانكم بوجه هاش باش وخذوا بأعين قلوبكم قول حبيبكم ونبيكم { **تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ والكلمة الطيبة صدقة ولئن تلقى أخاك بوجه هاش باش خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت** }[١٥٤] واعلموا أن هذا البر هو أكبر القربات في هذا اليوم وهنئوا بعضكم في هذا اليوم بمغفرة الله ورضوان الله وبالجزاء الذي أعطاه لنا الله وبالمعين الكريم الذي كرمه لنا الله.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الرابعة عشرة[١٥٥]

يوم الجائزة : [خطبة عيد الفطر المبارك]

الله أكبر (تسع مرات) ولله الحمد. الله أكبر على نعمة الصيام التي أنعم بها علينا الملك العلام. الله أكبر على فريضة القيام التي سنّها لنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. الله أكبر على ليلة القدر ليلة التقدير والإكرام. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر على الأجر العظيم من الله ﷻ للصائمين. الله أكبر على الفضل الكبير الذي بشر به ﷺ القائمين. الله أكبر على هذا الثواب الذي يقول فيه سيد الأولين والآخرين: { **لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْ يَتَكَلَّمَا، لَبَشَّرَتَا مَنْ صَامَ رَمَضَانَ بِالْجَنَّةِ** }[١٥٦].

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على هذا الشهر الكريم الذي طهر الله فيه المسلم من الذنوب العظام. الله أكبر على فضل الله علينا فيه فنخرج منه وقد غفر لنا الخطايا والذنوب والآثام. الله أكبر على فضل الله الذي تحسدنا عليه الملائكة الكرام. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الحمد لله الذي عمنا برحماته وأنزل علينا مواهب فضله وبركاته وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتجلّى لهم

---

١٥٤ رواه البزار والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه والترمذي في سننه عن أبي ذر.

١٥٥ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة مركز السنطة – غربية غرة شوال ١٤١٦هـ الموافق ١/٣/١٩٩٥م.

١٥٦ (الدّيلمي (كر) عن أَبي هدبة عن أَنسٍ رضَيَ اللّهُ عنهُ)

بالمغفرة في هذا الوقت والحين فقد ورد عن رسولكم الكريم ﷺ أن الله ﷻ يرسل الملائكة الكرام يدعون المؤمنين لهذا الفضل الذي نشهده الآن مع الله ﷻ ويأمرهم أن يقفوا على أبواب الطرق وعلى أفواه السكك وينادون قائلين: يا أمة محمد أخرجوا إلى رب العالمين ﷻ فإذا حضروا كما حضرتم وصلوا كما صليتم وجلسوا واستمعوا كما تستمعون يقول الله ﷻ لنا ولهم في نهاية هذا المنسك الكريم { **يَا أُمَّةَ أَحْمَدَ سَلُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، وَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لاَ أُخْزِيكُمْ وَلاَ أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضَيْتُ عَنْكُمْ** }[١٥٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله بالجود معروف وبالكرم موصوف نأتيه بالذنوب والعيوب وننصرف عن حضرته ﷻ وقد محا عنّا كل خطأ وكل عيب وكل ذنب ويخرجنا كما ولدتنا أمهاتنا وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أكرمنا الله ﷻ ببعثته وزاد في إكرامنا فجعلنا من أمته وزاد في فضله فوفقنا لاتباع سنته، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع العالم وأنظمنا جميعاً في عقد معيته واحشرنا جميعاً في الآخرة في زمرته واجعلنا جميعاً من أهل شفاعته وأدخلنا جميعاً الجنة في جوار حضرته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. لماذا فرض الله علينا ﷻ وسنّ لنا رسولنا ﷺ هذا الاحتفال العظيم؟

العيد السعيد شكراً لله ﷻ للأجر الكريم والثواب العظيم الذي تفضل علينا به في شهر رمضان وقد زاد في تكريمنا وجعل هذا الحفل لتشريفنا وأمر ملائكة السموات أجمعين أن يقفوا متأهبين وأن ينظروا مترقبين إلى جموع المسلمين وهي تستبق إلى ساحة البر والخير بين يدي الله رب العالمين ﷻ ويقول لهم كما ورد في الحديث الشريف عن النبي الحبيب ﷺ: { **يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي صاموا من أجلي وقاموا ابتغاء وجهي أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم** } فيسمعنا في هذا الموقف العظيم ويسمع الملائكة أجمعين في مختلف عوالم الملكوت صافين أقدامهم مقبلين عليكم بوجوههم ليشهدوا لنا بالمغفرة من الغفار ﷻ ويقول الله ﷻ: { **يَا مَلاَئِكَتِي مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: جَزَاؤُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: فَإِنِي أُشْهِدُكُمْ أَنِي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ، رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي** }[١٥٨].

---

١٥٧ رواه ابن حبان في الثواب والبيهقي عن ابن عباس.
١٥٨ رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة.

هذا الشهر الكريم يا إخواني لو علم رجل منا ما حصل فيه من الخيرات والفضائل والمبرات لسجد على وجهه شاكراً لله ﷻ إلى أن يأتيه أمر الله شاكراً للنعم العظيمة التي أولاه بها الله ﷻ في هذا الشهر الكريم ولذا يقول ﷺ: { **لَوْ يَعْلَمُ العِبَادُ مَا فِي رَمضانَ لتمنَّتْ أُمّتِي أَنْ تَكونَ السَّنَةُ كُلُّها رمضانَ** }[159].

وقد ورد في هذا المعنى أن رجلين تآخيا في عهد رسول الله ﷺ وكانا يعملان معاً ويمشيان معاً ويعينان بعض على طاعة الله ﷻ فمات أحدهما شهيداً في ميدان القتال ومات الآخر بعده بعام جاءه أجله على فراشه ومات موتة طبيعية فرأى سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ وأرضاه الرجلين في الجنة غير أن الذي مات آخراً وموتته طبيعية أعلى منزلة في الجنة من الذي مات شهيداً في سبيل الله ﷻ فقام من نومه متعجباً لأنه يعلم كما علمه الحبيب أن أعلى درجة في الجنة هي درجة الشهداء والتي يقول فيها النبي ﷺ : { **إنَّ فِي الجنةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا للمجاهدينَ في سبيلهِ، ما بينَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بينَ السماءِ والأرضِ** }[160]

فذهب إلى صلاة الفجر وهو يزيد عجبه من هذا الأمر وبعد انتهاء الصلاة وكان من عادة رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام إذا انتهوا من صلاة الفجر أن يجلس معهم لحظات ويسألهم عما حصلوه في نومهم من عجائب ملكوت الله ومن عوالم فضل الله وكرم الله ﷻ فقد كانوا تنام أبدانهم وتستيقظ أرواحهم لتذهب إلى ملكوت الله ﷻ وتأتي بطرائف الحكمة وغرائب العلم وكثير من فضل الله ﷻ الذي يشهدكم الله إياه في المنام فإذا صلوا الفجر قال لهم ﷺ: {**من منكم رأى الليلة رؤيا؟**} فيقصون عليه رؤياهم فيأولها لهم ويفسرها لهم عليه ﷺ فلما قصّ عليه سيدنا عبد الرحمن بن عوف رؤياه قال ﷺ: { **مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله هَذَا كَانَ أَشَدّ الرّجُلَيْنِ اجْتِهَاداً ثُمّ اسْتُشْهِدَ وَدَخَلَ هَذَا الآخِرُ الْجَنّةَ قَبْلَهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً قَالُوا بَلَى قَالَ وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ وَصَلّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السّنَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمّا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ** }[161] وكأن الفضائل التي يعطيها الله لنا في شهر رمضان لا يعادلها حتى الجهاد في سبيل الله ولا إراقة الدماء بين الصفوف في القتال للأجر العظيم والثواب الكريم الذي كتبه لنا المولى العظيم ﷻ في هذا الشهر.

فمنا من يكرمه الله ﷻ ويكتبه في كشوف العتق من النيران وهي كشوف تظهر في

---

١٥٩ رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي من طريقه عن أبي مسعود الغفاري.

١٦٠ رواه ابن حبان في صحيحه والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.

١٦١ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمنِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله، المسند الجامع، وفى رواية أبى هريرة فى مجمع الزوائد: أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وصَلّى سِتّةَ آلافِ رَكْعَةٍ، وكَذا وكَذا رَكْعَةٍ صَلاةَ سَنَةٍ؟}.

اللوح المحفوظ في كل ليلة. في كل ليلة كشف فيه مائة ألف بأسمائهم وأسماء آباءهم ومقابل كل واحد منهم مكتوب بقلم القدرة الربانية (هذا عتيق الله ﷻ من النار وفي ليلة الجمعة يظهر كشف فيه عدد بعدد ما أعتق الله في سائر الأسبوع وفي الليلة الأخيرة كليلتنا السابقة يظهر كشف كبير فيه عدد كعدد من أعتق الله ﷻ في سائر الشهر كلهم عتقاء الله ﷻ من النار ومن لم يصبه الدور في هذا العام قد يكون أصابه في عام سابق أو يكون قد ادخره الله له في عام لاحق المهم أنه لا يخرج مؤمن من الدنيا إلا وقد فاز بالعتق من النيران إلا من كان غاضباً عليه الرحمن ﷻ .

كيف يسجل اسم الرجل منا في هذا الكشف وما العمل الذي يستوجب به العتق من النيران؟ عمل يسير وأجر كبير يقول فيه البشير النذير ﷺ: **{ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ لَهِ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ }**[١٦٢] من فطّر في هذا الشهر صائماً لله ﷻ كتب اسمه في الحال في كشوف العتق من النيران عند الله ﷻ. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه قال: يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو على مزقة لبن. فالمؤمن الذي لا يفطر صائماً في عمره كله ولو على شربة ماء هو وحده المحروم من هذا المدد النازل من السماء لعباد الله المؤمنين والعقلاء .... وهذا ما كان يفعله السلف الصالح فقد كانوا يتنافسون في إطعام الطعام وفي صلاة القيام في شهر رمضان رغبة في هذا الأجر الكبير ونحن والحمد لله قد كثرت أقواتنا ودرّت السماء بأرزاقنا وأصبحنا نُغْدق على أنفسنا وأولادنا الكثير والكثير ولكن الشيطان والنفس تحرمنا من هذا الأجر الكبير فيبخل الرجل منا على نفسه أن يطعم رجلاً لوجه الله تعالى في رمضان ليكون من عتقاء الله من النار.

فالمؤمن الذي يرجو العتق من النيران يطعم في كل رمضان ولو يوماً واحداً ولو مرة واحدة رجلاً من طعامه مما يسر الله له من الأرزاق ولو على تمرات ولو على شربة ماء حتى يكون من الذين يتفضل الله عليهم ﷻ ويرزقهم العتق من النيران ومنا يا إخواني من تدركه في هذا الشهر عناية الله ﷻ فلا تستطيع الملائكة الكرام أن تسجل أقلامهم أعمالهم الصالحة فتكل أيديهم من الكتابة وتعجز صحفهم عن حمل هذه الحسنات ويتساءلون لله قد انتهت الصحف التي بأيدينا وعجزت الأقلام التي بأيدينا عن تسجيل هذا الأجر فيقول الله ﷻ لهم: اكتبوا عمل عبدي كما هو وضعوه لي وأنا أضع أجره **{ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ ﷻ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ}**[١٦٣] أي أنا الذي أضع أجره وأنا الذي أصنّف ثوابه وأنا الذي أحدد نعيمه وأنا الذي

١٦٢ رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن حبان في الثواب عن سلمان.
١٦٣ رواه الدارمي في سننه وأحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة.

أرفع شأنه لأنه صام ابتغاء وجه الله ﷻ بترك الطعام والشراب من أجل الله .

ومثل هؤلاء لا يطلع على ثواب أعمالهم ملائكة السموات ولا شياطين الأرض وكل عملهم مدخر لهم عند الله يبرز لهم عن خزائنه خزائن القدرة يوم يلقون الله ﷻ فيحسدهم النبيون والمرسلون بل والخلائق أجمعون على العمل الكبير والأجر العظيم الذي خصهم به الله ﷻ في هذا الشهر المبارك الميمون ومنا يا إخواني من يكرمه الله في هذا الشهر فيوفقه لأن يفتح كتاب الله ويتلو منه ما تيسر له كما قال الله ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٢٠المزمل)، فإذا كان في آخر الشهر خرج له كتاب من الله صدق عليه كتاب الله بأن هذا يشفع له كتاب الله يوم يلقى الله ﷻ قال ﷺ: { **الصِّيامُ والقُرآنُ يَشْفَعانِ للعبدِ يومَ القِيامَةِ يقولُ الصِّيامُ: أيْ رَبِّ مَنَعتُه الطَّعَامَ والشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، ويقولُ القرآنُ: مَنَعْتُه النومَ بالليلِ، فشَفِّعْنِي فيه، قال: فَيَشْفَعانِ له** }[١٦٤].

أعمال كثيرة وأجور كبيرة حتى أن الكرام الكاتبين يعجزون عن تسجيل حتى الفرائض المعروفة التي يؤديها المسلمين في شهر رمضان لأن الفريضة فيه بسبعين فريضة فيما سواه والنافلة فيه بفريضة فيما سواه. شهر رمضان شهر كريم يكتب الله ﷻ لنا فيه النوم عبادة ويكتب لنا فيه الصمت تسبيح ويكتب لنا فيه الطعام أجر وثواب ويجعل حركاتنا وسكناتنا كلها فيه بأجر كبير عند الله ﷻ فنحتفل بهذا التكريم وبهذا التعظيم ويبشر بعضنا بعضاً فيه بفضل الله ﷻ وقد كانت هذه هي الحكمة في قول الله ﷻ ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ (٣٧الحج)، فنكبر الله ﷻ لأنه هدانا لأفعال الخير ولعمل البر في شهر رمضان ونصلي العيد لنرجو من الله أن يعيد علينا أعمال الخير وأعمال البر بعد رمضان كما كنا نعملها في رمضان لأن الله ﷻ حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وخزائن عطائه وفضله مفتوحة بعد رمضان كما كانت مفتوحة في رمضان فلا يغلق منها شئ بعده ولا يمنع الله أجراً بعدها ولا يلغي الله ﷻ ثواباً بعده للعاملين بطاعته والراغبين في جنته لكن عنده ﷻ الأجر العظيم والثواب الكريم.

قال ﷺ: { **إن الله ﷻ يتجلى لعباده فيغفر لهم مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه مما يرى من كثرة مغفرة الله ﷻ** }[١٦٥]، وقال ﷺ: { **إن الله يباهي بعباده ويقول لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبادي الصائمين إني فتحت لهم أبواب الجنة وأغلقت أمامهم أبواب الجحيم وأشهدكم يا ملائكتي إني قد غفرت لهم** }، وقال ﷺ: {**التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**}[١٦٦]، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٦٤ رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو.
١٦٥ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان عن حذيفة بن اليمان.
١٦٦ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الخطبة الثانية:

الله أكبر (سبع مرات) الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وأشهد أن لا إله إلا الله عمّنا بعطاياه وأسبغ علينا من فضله ونُعماه ونسأله ﷻ أن يثبتنا على الإيمان وأن يزيدنا من الفضل والإحسان حتى نكون ممن أنعم الله عليهم يوم القيامة وأدخلهم في قوله سبحانه ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء)، نحن والسامعين والحاضرين وإخواننا المسلمين أجمعين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أقام به الله ﷻ الملة العوجاء وهدانا به بعد ضلالة وجمعنا به بعد فرقة وأعزنا به بعد ذلة اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب هذا الفضل العظيم وسر هذا الكرم العميم وآله وصحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين .... أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون..

لماذا كانت عناية الله ﷻ بهذا الشهر الكريم شهر الصيام؟ لأنه شهر تربية الأمة المحمدية فإن الله ﷻ جعل الصيام هو سر سعادتنا فيه فلو أننا وصلنا إلى الحكمة التي من أجلها فرض الله علينا الصيام لسعدنا في دنيانا وفزنا في أخرانا.

فرض الله علينا الصيام ليدربنا على أهم أساس فيه لله وهو مراقبة الله في السر والعلانية في الظاهر وفي الباطن فإن المؤمن يصوم عن الطعام والشراب ولا يراه ولا يطلع عليه إلا رب الأرباب ﷻ يستطيع أن يفطر بينه وبين نفسه ولكنه في هذا الوقت وإن كان لا يراه أحد من الخلق فإنه يكون غاش لنفسه عند الخالق ﷻ فإذا تدرب المؤمن طوال شهر كامل على مراقبة الله في كل حركاته وفي كل سكناته وفي كل أعماله يصبح بعد هذا الشهر وقد رقى إلى مقام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل)، وهذه هي علامة قبول الصيام فالعلامة التي يعرف بها المرء أن الله قد تقبل صيامه أن يخرج من هذا الشهر وقد وجد في داخل قلبه مؤذناً أو منبهاً ينبهه عند الوقوع في أي ذنب فعندما تريد يده أن تمتد إلى حرام أو تريد عينه أن تنظر على آثام يجد في قلبه منبهاً من قبل الملك العلام ينبهه إلى هذا الأمر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف).

إن التاجر الذي تقبل الله صيامه إذا أراد أن يغش في البيع أو يغش في الميزان أو يغش في الثمن يجد منادي من الله في قلبه ويجد منبه الله في ضميره يجذبه من هذا الأمر وينهاه عن هذا الفعل لأنه تفضل عليه الله فتقبل صيامه وعلامة القبول أن الله رزقه نفساً لوامة أقسم بها الله ﷻ في قرآنه فقال: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة) والمعنى هنا يقسم بالتأكيد

بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها عند الشر وتزجره عند المعصية وتنهاه عند الاقتراب من الخطيئة لأن هذا علامة حفظ الله ﷻ لهذا العبد أما العبد الذي غضب عليه مولاه وجعل والعياذ بالله جهنم مثواه فهو الذي طبع الله على قلبه وأخمد الله نور نفسه فجعله لا يتحرك عند المعصية متألماً بل جعله يسر عند المعصية ويعتقد أنه فعل شيئاً عظيماً فعندما يغش مسلماً لينال من وراءه بضع جنيهات يفرح ويباهي بذلك وكأنه عمل عملاً عظيماً لم يفعله سواه يتباهي بذكاءه ويتباهى بذنبه ويتباهي بحيله وهو لا يعلم أنه داخل في قول الله ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩البقرة)، جماعة المؤمنين اعلموا علم اليقين أن من غش الأمة حرم من الدخول في صفوفها يوم الدين فقد قال ﷺ {مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا}[١٦٧]، فإذا أراد أن ينضم إلى صفوفهم يوم القيامة أخذت الملائكة بيده وأبعدته عنهم ويقول يا محمد يا محمد فيقول رسول الله يا ربَّ أصحابي فيقول الله ﷻ { إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقاً فعنكن كنت أدافع }١٦٨ ...

فمن غش نفساً مسلمة واحدة فكأنما غش المسلمين أجمعين من غش مسلماً في بيع بأن خلط اللبن بالماء أو أخفق الميزان عند الوزن أو أعطاه سلعة على أنها جيدة ووجد أنها خبيثة أو أعطاه فاكهة ووجد في أعلاها الطيب وفي أسفلها الخبيث أو غشها بأي فن من الفنون كل هذا يا إخواني دليل على غضب الله ودليل على مقت الله ودليل على أن هذا يمكر به الله ليلقيه في جهنم وبئس المصير فكان شهر رمضان تطهيراً للقلوب التي مالت بالشهوات وللنفوس التي غفلت عن مراقبة خالق الأرض والسماوات فيحيي الله النفوس ويحيي الله القلوب فيخرج المسلمون بعد ذلك وهم يراقبون الله في السر والعلن لو خلا المرء منهم ولم ير أحداً إلا الله يقول لنفسه إذا حدثته بمعصية:

إذا ما خَلوتَ الدّهرَ يوماً فلا تقلْ	خلوتُ ولكن قل عَلَيَّ رقيبُ
فلا تَحسَبَنَّ اللهَ يَغفَلُ ساعةً	ولا أنّ ما يَخْفى عَلَيْه يَغيبُ
فَأحسن وأَجْمل ما استَطعتَ فإنما	بقَرضِك تُجْزَي والقُروضُ ضروبُ
فلا تَكُ مَغروراً تَعَلّلُ بالمُنَى	وقُل إنما أُدْعَى غداً فأُجيبُ
أَ لم تَرَ أَنّ اليومَ أسرعُ ذاهب	وأَنّ غداً للنّاظرين قريبُ

وإذا كان الذي ظلمته لم يعلم بظلمك الآن ولم يستطيع أن يثبت الظلم لأنك أحبكت التبرير وأخفيت كل علامة للجريمة فهناك يوم يقتص فيه الله ﷻ فيه للمظلوم من الظالم يوم لا تخفى عليه فيه خافية ينظر المرء فيه إلى ما قدمت يداه ويعجب من عجيب صنع الله وكيف أنه سجل عليه حتى خلجات نفسه وخواطر فؤاده وحتى الأفكار التي كان يدبرها بعقله ليدبر بها المكر للمؤمنين والشر للمسلمين لأن الله ﷻ يتولى بنفسه أخذ الحقوق للمسلمين والمؤمنين قال ﷺ عندما مر على كبشين

١٦٧ رواه مسلم في صحيحه والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.
١٦٨ رواه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن ابن عباس.

ينتطحان يا أبا ذر تعلم فيم ينتطحان؟ قال: لا. وكان أحدهما له قرون والآخر ليس له قرون يعني أحدهما قوي يستغل قوته والآخر ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. قال: { إِنَّ الْجَمَّاءَ [التي ليس لها قرون] لَتُقَصُّ مِنَ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٦٩] وكان هذا مثل ضربه لأصحابه فإن الله يأخذ للمستضعفين الذين ليس لهم نصير إلا الله ولا ملجأ إلا الله ولا عون إلا من الله من الذين يغترون بقوتهم أو بقوة أولادهم أو بجاههم أو بأموالهم يوم يجردهم الله من كل هذه الأشياء ويدخلون في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٣٤-٣٧عبس)، يحاول كل منهم أن يلصق التهمة بأخيه ويلصق التهمة بأبيه ويقول هو الذي أمرني وهو الذي دفعني وهو الذي حضني فيقول الله تعالى ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢٨، ٢٩ق) ، لأنكم أطعتم الهوى والشيطان ولم تنفذوا أحكام الرحمن ﷻ.

عباد الله جماعة المؤمنين لن تسعد هذه الأمة إلا بما سعد به أولها وقد سعد أولها بمراقبة الله وبطاعة الله ﷻ فكان الرجل منهم يأخذ الكلمة من أخيه قانون سماوي لا يبدل ولا يغير حتى ولو كان بعيداً من القوم فقد مرَّ عروة بن الزبير بعبد الله بن عمر وهو في الطواف وقال: يا عبد الله زوجني ابنتك فلانة، فنظر إليه ولم يجبه، فلما ذهب إلى المدينة وحانت منيته قال: يا بني أئتوني بعروة بن الزبير لأنه طلب مني الزواج من فلانة وقد وعدته بالإجابة وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق فأحشر يوم القيامة مع المنافقين، فجيئ إليه بعروة فقال له إنك لم تعدني، قال: قد سكت والسكوت علامة الرضا ولم أكلمك في هذا الموقف لأننا كنا نترائى ربنا في الطواف، ونادى يا فلان "لكبير أولاده" زوجه فلانة، فإني أخاف أن ألقى الله ﷻ وقد أخلفت مؤمناً موعداً ... فما بالنا ونحن نخلف في كل يوم آلاف المواعيد لإخواننا المؤمنين والطامة الكبرى إننا لا نلقي لهذا الأمر بالاً ولا نحس أن هذا ذنباً أو معصية سيحاسبنا الله ﷻ عليها.

عباد الله لكي يصلح الله حالنا نحن بحاجة إلى صحوة النفوس في مراقبة الملك القدوس ﷻ فنراقب الله في أعمالنا ونراقب الله في أقوالنا ونراقب الله في حركاتنا فإذا تكلم الرجل منا بكلمة يعلم أن الله يسمع ما يتفوه به بلسانه فلا يقول إلا ما يرضي الله وإذا امتدت يده إلى عمل يعلم أن الله يطلع عليه وهو الذي سيحاسبه عليه فلا يعمل إلا ما يرضي الله ﷻ. إذا وصلنا إلى هذا الأمر نظر الله إلينا فبدل حالنا وغير أوضاعنا لأنه يقول في كتابه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١١الرعد)، نسأل الله ﷻ أن يغير حالنا إلى أحسن حال.

<< ثم الدعاء >>

---

١٦٩ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ ، عَنْ عُثْمَانَ، أخرجه عَبْد الله بن أحمد، المسند الجامع

الباب السادس

خطب الحج وعيد الأضحى

الخطبة الأولى: منافع الحج

الخطبة الثانية: الشوق إلى البيت الحرام

الخطبة الثالثة: استجابة الله لدعاء الخليل

الخطبة الرابعة: عناية الخليل بأبنائه

الخطبة الخامسة: آيات البيت الحرام

لخطبة السادسة: أسرار بناء البيت الحرام

الخطبة السابعة: درجات الحج

الخطبة الثامنة: الحج وغفران الذنوب

الخطبة التاسعة: الحج ومشاهد القيامة

الخطبة العاشرة: سر خلة إبراهيم

الخطبة الحادية عشر: فضائل يوم عرفة

من خطب عيد الأضحى المبارك

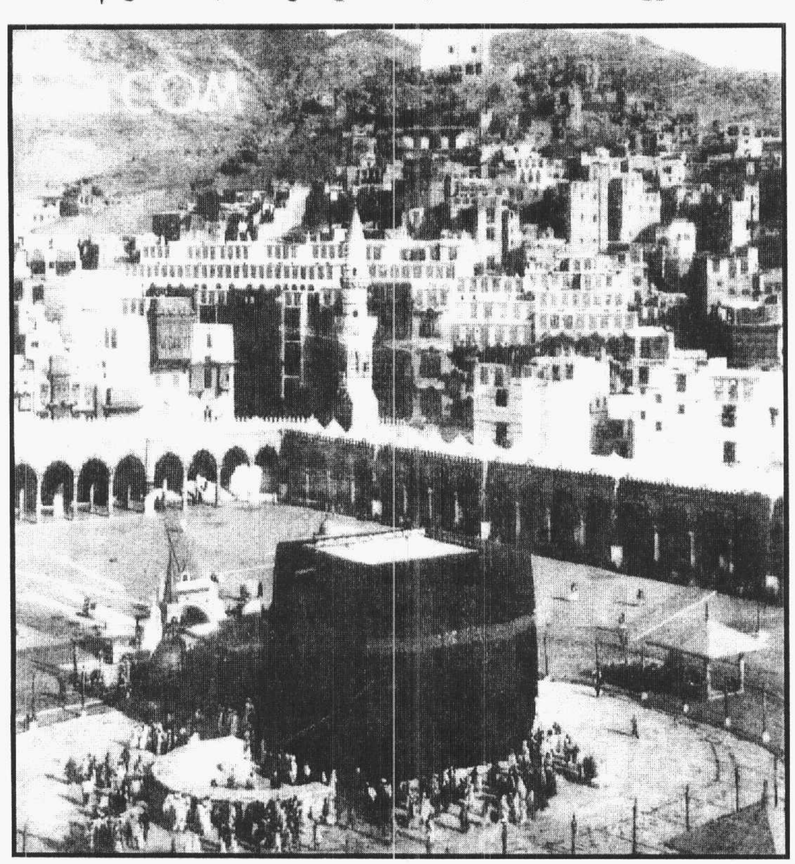
الخطبة الثانية عشرة : يوم المغفرة

الخطبة الثالثة عشرة: حكم الحج

الخطبة الرابعة عشرة: اصطفاء الله للخليل وإسماعيل

الخطبة الخامسة عشرة: قصة الذبيح إسماعيل

صورة قديمة جداً للكعبة المشرفة و المسجد الحرام



الخطبة الأولى[1]

منافع الحج

الحمد لله ربِّ العالمين يعز من ذكره ويزيد من شكره ويجعلهم جميعاً من السفرة الكرام البررة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له وسع الخلق جميعاً بنعماه، وأفاض عليهم ظاهراً وباطناً عطاياه وجدواه، وطلب منهم مقابل ذلك شيئاً واحداً زهيداً يسيراً على ألسنتهم وهو ذكر الله.

سبحانه سبحانه يرضى بالقليل ويثيب على الكثير. يرضى من عباده أن تتحرك شفاههم بذكره، ويعطيهم بذلك من الأجر والثواب ما لا تطلع عليه الأنفس ولا تدركه العقول ولا تتحمله القلوب لأنه عطاء من الحبيب المحبوب لأهل الطاعة والإيمان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله كان لا يجلس إلا على ذكر الله ولا يقوم إلا على ذكر الله، ولا يفعل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا على ذكر الله حتى كان كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان يذكر الله على كل أحيانه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الذاكرين وإمام الشاكرين وخيرة خلق الله من النبيين والمرسلين وآله وأصحابه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين.. آمين.

أما بعد.. إخواني وأحبابي.. استمعنا سوياً قبل الصلاة إلى آيات من كتاب الله ﷻ تتحدث عن الحج إلى بيت الله الحرام وتبين هيئته وكيفيته وتتحدث عن حكمة الحج التي فرضها الله علينا ولأن حكم الحج كثيرة وكثيرة لا نستطيع أن نحيط بها في هذا الوقت القصير فسنقف عند حكمة واحدة جامعة مانعة من أجلها أوجب الله علينا جميع الطاعات وفرض علينا جميع القربات وتجتمع فيها جميع العبادات. فعندما فرض علينا الحج قال لخليله عليه السلام: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧الحج) ، وما الحكمة؟ ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم ﴾ (٢٨الحج)، حكمتين اثنتين:

الحكمة الأولى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ أي جهزها الله لهم في تلك الأماكن وهي منافع عاجلة ومنافع آجلة. أما المنافع العاجلة فهي أن يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم ويردهم كما ولدتهم أمهاتهم. خالصين من الذنوب والخطايا مستورين ومجبورين من الآثام والعيوب

---

[1] كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بكفر الجزار – بنها يوم الجمعة ١٧ من شوال ١٤١٣هـ الموافق ٩/٤/١٩٩٣م.

ويستجيب دعائهم ويصلح أحوالهم ويجيبهم في أحبابهم فقد قـال ﷺ: {يُغْفَرُ لِلْحَاجِ وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُ}[٢] والهدف المشترك بين جميـع العبـادات ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم ﴾ ولم يكتف بأن هذه هي الحكمة العالية والغاية السامية من تلك العبادات الراقية ولم يكتف بالتنبيه عنها وكلها في تلك الآية بل في كل خطوة من خطوات الحاج يذكرهم بتلـك الحكمة. فعندما ينزلوا من عرفات يقول الله لهم جميعاً ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ (١٩٨البقرة) ، فمـرة يقـول: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (٢٠٣البقرة)، ومرة يقول ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ (٢٨الحج) . أي اجعلوا ذكر الله هو الغاية العظمى فالغاية العظمى من الحج في كل خطواته وحركاته وسكناته هي ذكر الله.

وكذلك الصلاة فيقـول فيهـا الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٩الجمعة) . فهو ذكر الله وذكر الله هنا التذكير فهـو في هـذا الموقف التذكير بالوعد والوعيد والجنة والنار في الطاعات والقربات بآيات مـن كتـاب الله وبأحاديث رسول الله من باب فـضل الله ﷻ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥الذاريات) . و ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤طه) .

والصلاة فيها ذكر الله.. فيها التحميد والتكبير والتهليل.. وفيها تـلاوة كتـاب الله وكلها في حركات الصلاة وكل حركة من حركاتها لها ذكر مخصوص يجب أن يسمعه الله من عباده المؤمنين ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٤٥العنكبوت) ، فكلها أحوال ذكر وكذلك الصيام فالهدف منـه ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥البقـرة)، يعني من العبادات الجسمانية الهدف منها آية الذكر .. وقد علمنا ﷺ **أنه ما أقيمت الصلاة وما فرض الصيام ولا نُسك الحاج إلا لذكر الله ﷻ!**، لماذا؟ ليعرفنا أن الدرجة الأولى في حياتنا هو ذكره ﷻ . وليس هناك نهاية لنعم الله ﷻ. فلو حاول الواحد فينـا أن يعـد نعـم الله عليـه في نفـس واحـد مـا اسـتطاع إلى ذلـك سـبيلاً: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١٨النحل).

نعمة واحدة إذا كانت ظاهرة أو باطنة بل نعمة واحدة من نعم الواحد كنعمة البـصر أو السمع أو الكلام أو العقل أو الحركة أو القدرة أوالإرادة أو الحياة أو الرزق. نعم ليس لها نهاية نعمة واحدة منها لا يستطيع الواحد أن يحدها أو يحصرها من معطيهـا ﷻ ولكنـه ﷻ طلب منا أن نذكره على ذلك. وطب منا أن نشكره على ذلك فإذا قمت من نـومي وقـد وهبني الحياة بعدما كنت في نومي كالأموات كما ذكـر الله ﷻ ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ

---

٢ رواه البزار والطبراني في الصغير عن أبي هريرة.

مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (٤٢الزمر)، عندما أقوم من نومي وقد وهب لي الحياة لابد أن أشكره وأذكره وأقول كما علمني الرسول ﷺ: { الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[3] فأشكره على أن وهب لي الحياة وإذا نظرت إلى نعمة الأكل أذكره وأشكره وأقول { الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أطْعَمَني هذا ورَزَقَنيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ منّي ولا قُوَّة }[4]، وإذا أعطاني ماءاً أقول: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانَا عَذْباً فُرَاتاً بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحاً أُجَاجاً بِذُنُوبِنَا}[5] أي نعمة من النعم حتى نعمة الشهوة عندما انتهي منها أقول { الحمد لله الذي جعل من الماء نسباً وصهراً وكان ربك قديراً } لازم الإنسان يشكر الله على نعمائه. هي صحيح كلمات وليست شكراً وافراً ولا شكراً إيجابي لكن الله يقبلها منا ويدخرها لنا، ويعطينا عليها من الأجر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إذاً كل العبادات يا إخواني تهدف إلى ذكر الله ﷻ وليس حلقات الذكر فقط هي الذكر. لكن ذكر الله حسب الحالة التي أوجدني عليها الله وحسب النعمة التي ساقها إلي الله حتى ولو نزل بي غم أو نزلت بي مصيبة وهي في نظري مصيبة لكنها في الحقيقة نعمة من الله ﷻ وبعدها تمر علي أتحدث على أنها نعمة من الله. حتى هذه النعمة علمني رسول الله أن أشكر الله عليها ماذا علمني؟ { كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يُعْجِبُهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْعِمِ الْمُتَفَضِّلِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ مِمَّا يَكْرَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ }[6]، ساعة النعمة أقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وهذا يعني أن النعمة التي جاءت ليست بشطارتي أو بمهارتي أو بذكائي أو بمالي أو بقوتي لكنها تمت بنعمة الله ومعونة الله وتوفيق الله ﷻ وإذا جاءت مصيبة في نظري فهي نعمة لكن لا أعلمها الآن لقوله ﷻ ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٢١٦البقرة).

فبنو إسرائيل لما اعتقدوا أن الموت نقمة وذهبوا إلى سيدنا موسى وألحوا عليه وقالوا له: يا كليم الله اطلب من ربك ﷻ أن يرفع عنا الموت فلا يموت منا أحد وكانوا قوماً شداداً في المكابرة والعناد. فلما ذهب موسى عليه السلام إلى ربه وطلب منه ذلك فرفع عنهم الموت وابتلاهم بالأوجاع والأسقام والفقر وقلة الأقوات. فالمريض يشكو مُرَ الشكوى من الألم ولا يجد من يريحه وليس هناك موت كما طلبوا. واشتد القحط وقلت الأقوات حتى أكلوا القطط والكلاب من قلة الأقوات وبخلت السماء بالماء وبخلت الأرض بالنبات وكانوا يأكلون

[3] رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي ذر، وحذيفة.
[4] رواه صاحب مسند الشاميين عن أنس.
[5] جامع المسانيد والمراسيل عن أبي جعفر مرسلا
[6] رواه ابن ماجة في زوائده، والبيهقي في الدعوات والحاكم في المستدرك عن عائشة وأبو هريرة.

بعضهم من قلة الأقوات والأرزاق ولا يجدون مناصاً ولا مخلصاً لهم.

وبعد خمس سنوات ذهبوا إلى موسى وقالوا له اطلب من الله ﷻ أن يأتينا بالموت لقد اشتقنا إلى الموت. قال يا قوم ألم تطلبوه؟ ألم أنهاكم عنه وأنتم أصررتم على ذلك؟ قالوا ما كنا نعلم بالحكمة العالية التي من أجلها بعثه الله ﷻ فدعا الله ﷻ فاستجاب الله له ووجدوا أن الموت هو المصيبة فيما بينهم ووصفه ربنا على قدرنا أنه مصيبة وقال ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ (١٠٦المائدة)، لأن الموت يريح من اشتكى من السَقم ولا يجد من يريحه من شدة الألم ويفتح للناس الأبواب لكي يأخذ كل واحد منهم دوره في الحياة فلا يتمتع الشيوخ الكبار على حساب الشباب بل لكل واحد منهم قسط معلوم ومصير من الأقوات والأرزاق ونعم الحي القيوم فعلينا أن نقول عند الموت: الحمد لله على نعمه وحتى المرض فهو نقمة على الكافرين لكنه نعمة للمؤمنين. كيف يكون المرض نعمة؟ لأن الله ﷻ يطهر به المسلم من خطاياه ويغسله من ذنوبه وآثامه حتى ورد في الأثر أن: { مرض يوم يكفر ذنوب سنة }.

وهذا إنما هو للمريض الصابر الذي لا يجزع، ولا يشكو الله، ولا يقول: لم خصصتني يا ربَّ بهذا الهم؟ ولم ابتليتني بهذا الغم؟ وأنا أصلي وفلان لا يصلي لأن هذا اختياره بعلم وحكمة، وهذا اختيار العليم الحكيم ﷻ. فالمريض الصابر الذي لا يشكو من مثل هذا كل يوم من أيامه يكفر عنه ذنوب سنة ولذا قال ﷺ: يقول الله في الحديث القدسي: { أَبْتَلِي عَبْدِي الـمُؤْمِنَ، فإذَا لـم يَشْكُ إلـى عُوَّادِهِ ذلِكَ، حَلَلْتُ عنهُ عقْدِي، وأَبْدَلْتُهُ دماً خيراً من دمِهِ، وَلَحْمَا خيراً من لَحْمِهِ ثم قلتُ له: إيتَنِفِ العَمَلَ -استكمل العمل-} ٧.
ومن فضل الله على هذه الأمة المحمدية أن يمرض الرجل منهم قبل موته لما ورد عن رسول الله ﷺ ما معناه أنه إذا أحب الله عبداً أمرضه قبل موته، لماذا؟ ليرحمه ويمحو الذنوب التي عليه ويبدلها بحسنات ومكان الحسنة بعشر حسنات ويزيد الله ويضاعف لمن يشاء على حسب قوة إيمانه وعلى حسب صبره وقدرته على تحمل المرض.

حتى المرض يا إخواني نعمة من نعم الله ﷻ لكن ليس معنى ذلك أن نرضى به ونسلم به ونترك التداوي وقد قال ﷺ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَدَاوَوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالى لَمْ يَخْلُقْ دَاءً إِلاَّ خَلَقَ لَهُ شِفَاءً}٨. علينا أن نأخذ بالأسباب التي أوجدها مسبب الأسباب ﷻ.

إن المؤمن يا إخواني عليه آناء الليل وأطراف النهار أن يذكر الله وعليه أن يشكره وعليه أن يستعين بنعمه وعليه أن يؤدي ما عليه من واجبات ذكره وشكره إذا واجهه ولو

---

٧ رواه السيوطي في الفتح الكبير والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة.
٨ أخرجه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك.

بالقليل من نعمه وفضله ﷻ حتى يدخل في ساحة الرضوان فيمن قال فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١آل عمران) ، أو يدخل في قول الله ﷻ ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور)، فيدخل في هؤلاء القوم الذين سيكرمهم الله، والذين لا يندمون لحظة الخروج من هذه الحياة ولا يندمون يوم لقاء الله، ولا يندمون حتى بعد دخولهم في جنة المأوى وفي رحاب الله ﷻ. والمؤمن لحظة خروج روحه يرى ما له من الثواب العظيم على العمل اليسير فيكشف المولى ما له من الأجر العظيم على عمله في طاعة الله وعلى ذكره في ذكر الله وعلى صبره وعلى حكمته في هذه الحياة فينادي ويقول كما قال الله ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٦ - ٢٧يس).

والذكر ليس له شروط فلا يحتاج إلى وضوء ولا إلى مكان معد ومحدد مثل هذا بل يجوز في الشارع ويجوز في السوق ويجوز في العمل ويصح في البيت ويصح على وضوء وعلى غير وضوء بل يجوز حتى على الجنابة. فالجنب لا يصلي ولا يقرأ كتاب الله ولا يمس المصحف ولكنه يجوز له أن يذكر الله ﷻ. فأين العذر عندما يسألني الله؟ ماذا أقول له؟ كنت مشغولاً بالأرزاق فيقول لي: وما شأنك بذلك؟ ألم أقل لك: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝ ﴾ (طه).

وكذلك في الآخرة فالسابقون في هناء وسرور من الطاعات والقربات والنوافل وعمل الصالحات فقد سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: المستهترون بذكر الله ﷻ. والمستهترون معناها الذين لا يغفلون عن ذكر الله طرفة عين. قال ﷺ: {**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ. سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ. سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ**}[٩]، وقال أيضاً {**سيروا فقد سَبَقَ المُفْرِدُونَ، قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: المُفْرَدُونَ بِذِكْرِ الله وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ، فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافاً**}[١٠]، وورد عن ذى النون: {**إذا أكرم الله عبداً ألهمه ذكره**}.

وقد ورد أن رجلاً من العلماء العاملين هو الشيخ كمال الدين الأخميمي ﷺ، ذهب إلى زيارة الشيخ عبد الرحيم القنائي في بلدته وهم من الصفاء يرون بعضهم ويتحادثون فقال له الشيخ كمال الدين: يا سيدي أوصني. فقال له: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين فأنا كما ترى في عليين ومع ذلك أقول ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر).

وقال ﷺ: {**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي**

٩ رواه الطبراني والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده والنسائي في سننه عن أبي هريرة.
١٠ رواه الطبراني والترمذي ومسلم عن أبي الدرداء وأبي هريرة.

دَرَجَاتِكُمْ، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ومِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ غداً، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، ويَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: ذِكْرُ الله عَزَّ وجلَّ }[11].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسـوله الـصادق الوعد الأمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أستاذ السابقين ومنار السائرين وآله وصحبه أجمعين، أما بعد.. فيا إخواني وأحبابي.. كل العبادات الإسلامية تهدف إلى ذكـر الله، وذكر الله معناها استحضار عظمة الله ومراقبة جلال الله هذا الاستحضار وهذه المراقبة تمـلأ القلوب بالخوف من علام الغيوب ﷻ.

وفي هـذا الـشأن يقـول المـولى ﷻ ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (٢٠٥الأعراف)، فيصير الإنسان عنده عقيدة في الله ﷻ يعلم أنه يطلع عليه ويعلم سره وظاهره ونجواه ويعلم أنه ﷻ يعلم كل حركة من الحركات الباطنة في داخله فإذا سار الإنسان بهـذه النية. انظروا معي ماذا يكون حاله في أرض الله؟ هل ينصب على جاره وهو يعلم أن الله يعلم سره ونجواه ويسمع كلامه؟ هل يغش أحد من خلق الله وهو يعلم في الحقيقة أنه يتعامل مـع حضرة الله وهو الذي سيحاسبه بعد مفارقة هذه الحياة؟ هل يفعل شيئاً بجارحة من جوارحـه يغضب الله وهو يعلـم أن الله يقـول في قرآنـه ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة).

إذا فلا يستطيع أن يعصي الله لأنه يعلم تمام العلم أن الله يراه في حركاته وفي سـكناته ويعلم سره ونجواه ويعلم كل أنفاسه.

متى يسرق السارق؟ إذا نسى مراقبة الله. ومتى يغش الغاش؟ إذا نسى أن الله مطلـع على عمله وسيحاسبه يوم لقائه. متى يغمز الغامز بعينه أو بلسانه أو بشفتيه أو يحـرك يديـه استهزاءاً برجل من رجال الله أو عبد من عبيد الله إذا نسى أن الله يطلع على عملـه ويـراه وسيحاسبه على ذلك ونسى أنه قال: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ﴾ (١١الحجرات) . لقد امـتلأت قلوب المؤمنين بمراقبة الله ﷻ وأصبحوا على أمرين إما رغبة في الله وثواب الله أو خوفاً مـن عقابه وخشية من لقائه يوم لقاء الله فأصبح مجتمعنا مجتمعاً إيمانياً يقول فيـه ﷻ ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى

---

[11] رواه الإمام مالك في الموطأ وابن ماجه في سننه والترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٣٩الفتح) ... والتسبيح ذكر، والتهليل ذكر، وتلاوة القرآن ذكر، والصلاة على حضرة النبي ذكر، واستحضار عظمة الله ذكر وكل هذا يا إخواني ذكر الله ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب) .

إخواني لا تصغروا أنفسكم ولا تسودوا صحائف أعمالكم باللغو وضياع الوقت فقد قال ﷺ: { إِنّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ لاَ إِلهَ إِلا الله أَتَتْ إِلَى صَحِيفَتِهِ فَلاَ تَمُرُّ عَلَى خَطِيئَةٍ إِلاَّ مَحَتْهَا حَتّى تَجِدَ حَسَنَةً مِثْلَهَا فَتَجْلِسَ إِلَى جَنْبِهَا }[١٢]

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية[١٣]

الشوق إلى البيت الحرام

الحمد لله ربِّ العالمين أنعم على عباده المؤمنين أجمعين من أول الدنيا إلى يوم الدين فجعل لهم ساعة للفضل والمغفرة من رب العالمين. سبحانه! سبحانه! وسعت رحمته كل شئ وغمر فضله كل شئ ومع ذلك خص عباده المؤمنين بواسع المغفرة وبواسع الرحمة وبقبول التوبة وبغفران الذنوب وبستر العيوب وباستجابة الدعاء في المكان الذي اختاره سبحانه ساحة اللقاء في الأرض والسماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله لا تحده جهات ولا تلحقه الحركات ولا تتناوله من قريب أو بعيد الإشارات يحيط ولا يحاط به ويسع كل شئ ولا يسعه من خلقه شئ، ويقدر على كل شئ ولا يقدر أحد على شئ دونه إلا بإذنه ﷻ. هذا الإله الكبير المتعالي تجلى على الأحجار فملأها بالأنوار وجعلها مكاناً لهطول رحمات العزيز الغفار ﷻ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله كشف الله ﷻ له البيان عن مناسك الحج فأداها كما أنزلها الله على خليل الله وأبطل ما أبدله أهل الجاهلية وما جعلوه نسكاً وهو عن نسك الله بعيد حتى قال ﷺ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا}[١٤].

---

١٢ أخرجه أبو يعلى من حديث أنس.

١٣ كانت هذه الخطبة بمسجد السبع بنات بقرية دنديط– محافظة الدقهلية في يوم الجمعة ٢١ من ذي القعدة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/٥/٢٠م.

١٤ رواه النسائي في سننه وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في سننه عن جابر.

اللهم صلّ وسلم وبارك على مصدر الرحمات الإلهية وسر التجليات الربانية ومفيض العلوم القدسية سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الشفيع لجميع خلق الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ... أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ....

تهيم القلوب والأرواح في هذه الأيام إلى مهبط الرحمات الذي جهزه لنا الملك العلام فكلنا يود أن يذهب إلى تلك الأماكن ويملأنا الشوق ويعاودنا الحنين حتى أن بعضنا من شدة شوقهم إذا ناموا يرون أنفسهم في تلك البقاع يطوفون أو يسعون أو يقفون لأن الجميع يشتاق إلى بيت الله ﷻ. وقد ذكرني ذلك بقول سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ عندما كان يحج ذات مرة وأخذ يزاحم على الحجر حتى دمي وجهه وحتى تورمت أصداغه فقال له بعض من حوله: يا عبد الله لم هذه المزاحمة وقد أغناك الله عن هذا ونهى رسول الله ﷺ عن شدة المزاحمة؟ ماذا قال ﷺ؟ قال: هويت إليه القلوب فأحببت أن يكون فؤادي معهم. أى هذا المكان اشتاقت إليه القلوب فوددت أن يكون قلبي معهم بين يدي مقلب القلوب ﷻ.

هذا حال المؤمنين ممن اختارهم الله لزيارته كلهم شوق وحنين وحب وأنين خاصة من أسمعه الله نداءه على لسان الخليل فقلبه مملوء بالشوق وفؤاده لا يستقر في مكانه لأنه هائم هيام دائم في بيت الله ﷻ لماذا هذا الحنين؟ ولماذا هذا الشوق؟ هذا لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٩٦ – ٩٧آل عمران) .

إن أول بيت وضع للناس في الأرض هذا البيت. كيف تم ذلك؟ عندما أهبط الله آدم ﷺ ونزل في سرنديب في بلاد الهند ونزلت الجدة حواء في جدة وسميت بهذا الاسم لأنها هبطت بها وأخذ يدعو الله ويستغيث بالله كما تقول إحدى الروايات ثلاثمائة عام وهو يبكي أسفاً على ما فرط في جنب الله وعلى النعيم والمقام الكريم الذي حرم منه بعد أن أهبط إلى الأرض، وفي هذا الندم والأسف نزل عليه الأمين جبريل ووجهه إلى هذا البيت الكريم وقال له يا آدم اذهب إلى البيت وطف حوله يغفر الله لك. فجاء آدم ﷺ من بلاد الهند ماشياً غير أن الله بقدرته كان يطوي له الأرض حتى وصل إلى البيت وكان البيت ليس كهيئته هذه وإنما صخور مرتفعة بناها الملائكة عليهم السلام فطاف حوله. وهو أول من طاف بالبيت من البشر وإن كان البيت لا يخلو من طائف في لحظة من ليل أو نهار فقد ورد في الأثر: { **لا يخلو هذا البيت من ستمائة ألف يطوفون به كل يوم وليلة فإذا لم يتموا العدد من البشر أتمه الله من الملائكة** } هذا المكان منذ أن خلقه الله وهو مكان للرحمات ومهبط للبركات يذهب الخطايا ويأتي بالفضل من الله ﷻ للزائرين وللسائلين وللعاكفين وللركع السجود.

هذا البيت في أي بلد؟ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ (٩٦آل عمران) ، لم لم يقل الله مكة؟ هي مكة وبكة وأم القرى وهي البيت الحرام. وقال الله بكة لأن الله آلى على نفسه أن يبك (يدق) أعناق الجبابرة الذين تسول لهم أنفسهم أن يعتدوا على حرمة البيت. فهي بكة لأنها تبك (تدق) أعناق الجبارين الذين يريدون أن يؤذوا الطائفين والعاكفين ببيت رب العالمين ﷻ.

وإذا كانت الحيوانات والطيور تتأدب مع بيت الله ﷻ كأنها فهمت قول الله ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٩٧آل عمران)، وأخذت على نفسها العهد ألا تؤذي أحد من أجناسها فقبل الإسلام ولم يكن للبيت سور يحيط به ولا أبواب تغلق فكانت الحيوانات المتوحشة يجري بعضها إثر بعض ليقتنص فريسته فإذا جرت الفريسة ودخلت حدود الحرم وقف الوحش بدون حراك كأنه يعلم أن هذا حرم وأن هذا مكان آمن وأنتم تحفظون جميعاً قصة فيل أبرهة عندما كانوا يوجهوه جهة الشام فيمشي وجهة اليمن يمشي أما جهة البيت فيصرخ فيحمو الأسياخ في النار وينخسونه بها فلا يتحرك لأنه يعلم شدة عقاب الله لمن يجترئ على ساحة فضل حرم الله ﷻ ، حتى أن الحيات وهي العدو اللدود للإنسان لا تؤذي إنساناً في الحرم ولا تروع إنساناً في البلد الأمين والطيور كذلك تقف على المصلين وتطير ذات اليمين وذات الشمال ولكنها تطوف كما أمر الله ﷻ المؤمنين بالبيت لو نظرت إليها لا تجد طائراً يعلو البيت الحرام إلا إذا كان به مرض فالحمامة التي تمرض يلهمها الله ﷻ أن شفائها في الوقوف على ظهر البيت للحظات فتصعد على ظهر البيت وتقف عليه للحظات فتشفى بأمر الشافي ﷻ. أما الحمامة السليمة فإنها تطوف حوله كما يفعل المؤمنون وكما تفعل الملائكة وكما فعل النبيون والمرسلون أجمعون والكل ينفذ أمر رب العالمين ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ (٢٩الحج).

لابد أن يطوفوا بهذا البيت ولذا عندما ذهب أسعد الحميري بثلاث مائة ألف من جنده إلى البيت وقد كان سبق له الهداية من رب العالمين. صدَّه الله ﷻ عن البيت مع كثرة عدد جنده فما كان منه إلا أن نطق بالإسلام وطاف بالبيت وكساه الديباج والحرير فكان أول من كسا البيت بعد أن كان زاهداً في هذا البيت لأن الله تعهد ببكة أن تبك كل جبار يحاول أن يعتدي على البيت حتى أن الحجاج عندما حاصر ابن الزبير وأمر جنوده أن يقفوا على جبل أبي قبيس في مواجهة الكعبة ويضربوه بالمنجانيق [وهي آلة كالمدفع إلا إنها تقذف قذائف مصنوعة من القماش وفي وسطها البارود وإذا نزلت تعمل حرائق كبيرة] فأطلق المنجانيق على البيت وأشتعلت النيران وإذا بسحابة تأتي من جهة جدة على قدر البيت فتقف قبالة البيت وتنزل الماء فتطفئ النار التي أشتعلت في كسوة البيت ثم تأتي صاعقة فتخطف الثلاثين رجلاً الذين قذفوا هذا البيت وتنهي حياتهم في لحة.

ولكنه من شدة جبروته جاء بآخرين وقال لهم: لا يهولنكم الأمر أي لا تخافون فإنها أرض صواعق فجاءت سحابة أخرى فاختطفتهم أجمعين فرجع عن كيده للبيت بعد أن يئس منه لأنه علم أن الله ﷻ يحفظه بحفظه ويكلؤه بكلاءته ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٦آل عمران)، ولكي نعرف الفرق بينه وبين المسجد الأقصى عندما تحدث الله عن الأقصى جعل البركة حوله.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (١الإسراء) ، والبركة حوله في الأنبياء الذين كانوا حوله والصالحين الذين كانوا حوله ولكنه عندما تحدث عن هذا البيت، قال ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ هو في ذاته مبارك وهو في ذاته هدى للعالمين لأنه لا يذهب، إليه إنسان إلا وتحيطه بركة الحنان المنان ﷻ فلو ذهب إليه تائب يتوب الله عليه ولو أتاه سائل يجيب الله له كل المسائل ولو ذهب إليه راج يحقق الله له كل رجاءه ولو ذهب إليه عابد يرجع بعبادة لا عد لها ولا حصر لها يكفي أن كل صالحة فيه تعدل مائة ألف فيما سواه، الركعة فيه بمائة ألف ركعة فيما سواه، والتسبيحة فيه بمائة ألف تسبيحة فيما سواه والصدقة فيه بمائة ألف صدقة فيما سواه حتى قال العلماء: لو صلى رجل صلاة واحدة جماعة في بيت الله الحرام كانت أفضل في الأجر والثواب له من أنه لو عاش عمر نوح في بلده يعبد الله ﷻ قيل له: وكيف ذلك؟ قال: الصلاة الواحدة بمائة ألف صلاة وصلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبعة وعشرين درجة فحاصل ضرب المائة ألف في سبعة وعشرين يكون رقم كبير وعمل كثير لا يستطيع الإنسان أن يقضيه هنا ولو أعطاه الله عمر نوح عليه السلام .

هذا البيت يقول فيه ﷺ: {يُنَزِّلُ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حُجَّاجِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ: سِتِّينَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعِينَ لِلْمُصَلِّينَ وَعِشْرِينَ لِلنَّاظِرِينَ}١٥

وقال ﷺ: {مَنْ أَتَى هَـٰذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ}[١٦].

وقال ﷺ: {التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}[١٧] .

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

---

١٥ رواه الحاكم في الكنز وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس.
١٦ رواه الدار قطني في سننه وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
١٧ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أخوة الإيمان.. أما المقام الذي لا نستطيع إلا أن نشير إليه بأقل القليل وهو قول الله ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ (٩٧آل عمران) ، علامات لا عدّ لها ولا حصر لها.. آيات ظاهرة كالحِجْر والحَجَر الأسعد الذي جعله الله يشهد لكل من استلمه. كيف لحجر أن يعرف كل الصالحين من أول آدم إلى يوم الدين ويشهد لهم عند رب العالمين يعرفهم بأسمائهم ويصورهم ويردد الكلمات التي قالوها في مواجهته شهادة لهم عند ربهم وهو حجر لكنه مملوء بنور النور الأكبر ﷻ هذا الحجر فيه قصة للعظة والتفهيم أقصها عليكم ...

عن أَبي سعيدٍ الْخدري ﷺ قَالَ: { حَجَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا دَخَلَ الطَّوَافَ اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ فَقَالَ: إِنِي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ: وَأَيْنَ ذٰلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (١٧٢آل عمران) ، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ وَكَتَبَ ذٰلِكَ فِي رَقٍّ، وَكَانَ لِهٰذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانَانِ، فَقَالَ: افْتَحْ فَاكَ، فَفَتَحَ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ ذٰلِكَ الرَّقَّ، فَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَافَاكَ بِالْمُوَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِقٌ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ، فَهُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتَ فِيهِمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ}.١٨

فما بالكم بالحِجْر وفيه باب للجنة مفتوح أبد الآبدين ودهر الداهرين. فعندما اشتكى إسماعيل إلى ربه من حر مكة قال له: يا إسماعيل اجلس في الحِجْر فإنا سنفتح لك فيه باباً من الجنة يأتيك منه الروح والريحان إلى يوم القيامة. فما بالكم بالميزاب؟ وهو مكتب استجابة الدعوات من حضرة الوهاب فلا يدعو عنده داع إلا ويؤمن عليه الملائكة المكرمون ووظيفتهم أن يقولوا: آمين آمين إلى يوم الدين. كل من يدعو يؤمنون عليه ومن وافق دعائه دعاء الملائكة استجاب الله ﷻ له.

فما بالكم بمقام إبراهيم؟ وما بالكم بزمزم؟ وما بالكم بكذا وكذا.. آيات وآيات تحتاج إلى أيام ودهور حتى نعرف منها بعض الحكم التي من أجلها أمرنا الله أن نتوجه إلى هذا البيت ..... << ثم الدعاء >>.

١٨ الهندي في فَضَائِلِ مَكَّةَ، أَبُو الْحسن الْقَطَّان فِي المطولاتِ، والحاكم فى مستدركه، جامع المسانيد والمراسيل

الخطبة الثالثة[١٩]

استجابة الله لدعاء الخليل

الحمد لله ربِّ العالمين وفق عباده المؤمنين للخروج من بلدهم وأهليهم إلى البلد الأمين طاعة لله ورغبة فيما عند الله وأملاً في تحقيق الثواب الذي أعده وجهزه لهم الله.

سبحانه! سبحانه! لا يحده مكان وليس لظهوره بتجلياته زمان أو أوان لأنه ﷻ فوق حصر الطاقة والإمكان وإنما جعل ﷻ مكاناً للناس ليغفر لهم فيه ذنوبهم ويستجيب لهم فيه دعاءهم ويستر عليهم فيه عيوبهم لأنه كما أخبر عن نفسه في قرآنه ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة).

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قربه من العرش كقربه من الفرش فكما أنه ﷻ ما مس العرش وما حسه فهو ﷻ ما مس التراب ولا حسه لأنه ﷻ تنزه عن التنزيه وتعالى عن العلو ليس له شبيه ولا نظير ولا وزير ولا مشير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفه من خلقه وخليله أحيا به الله ﷻ الملة العوجاء وأقام به الشريعة السمحاء وأنار به كافة الأرجاء حتى وضح للبشرية جميعاً حقيقة رسالة السماء، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام الأنبياء ورسول المرسلين وخاتم النبيين وقائدنا جميعاً يوم الدين إلى جنات النعيم وآله وصحبه وكل من تبعه بخير إلى يوم الدين.. آمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. آية من آيات ربنا ﷻ كلنا نشهدها إما بعين الرأس لمن وصل إلى هنالك وإما في وسائل الإعلام لمن لم يقدم الاستطاعة ويوفقه الموفق للوصول إلى هنالك يذهب الناس من فجاج الأرض يفارقون الأهل وهم فرحون ويفارقون المال والأوطان وهو مغتبطون ومسرورون لا يبكي أحد لفراقهم بل كلنا نهنئهم ونتمنى أن نكون على أثرهم ونلح عليهم أن يدعو الله لنا هنالك أن يكرمنا بالحج كما أكرمهم هذه الآية ما سرها؟

سرها كلمة وقف أمامها الناس كثيراً فقد سُئل الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: يا إمام كم بين السماء والأرض؟ فقال: دعوة مستجابة. ليس الفرق بين السماء والأرض بالكيلومترات ولا بالأميال ولا بسرعة الصوت أو الضوء أو غيرها بل هناك من هو أسرع من ذلك كله وهو الدعوة التي تخرج من قلب العبد المؤمن لله ربِّ العالمين. فإنه لا يكاد يحرك

١٩ كانت هذه الخطبة بمسجد السلام بقرية ديرب نجم البلد- محافظة الشرقية الموافق ١٩٩٧/٣/٢٨م يوم الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤١٧هـ.

بها شفتاه إلا ويستجيب لها الله ﷻ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (٩الأنفال)، بمجرد الاستغاثة أجاب لم ينظر في الأمر ولم يؤجله إلى ميعاد بل استجابة فورية بفاء الفورية لأن الله ﷻ وعد بذلك عباده المؤمنين وخاصة إذا كانت الدعوة تتعلق بأمر من أمور الدين إذا كان الإنسان في ضيق بسبب إتباعه وصدقه لأمر الله أو يتعرض للإيذاء أو الشدات لتطبيقه لأمر الله أو يصبر أمام أعاصير المادة التي تريد أن تقتلع جذور الإيمان من قلوب المؤمنين فهذا هو المثل عندما ضاق بإبراهيم عليه السلام الميدان وفر بأهله وبولده وذهب إلى مكان لا يصدق أي إنسان بالحياة فيه لا زرع ولا ضرع ولا وحش ولا طير ولا خير فيها على الإطلاق لكن تجلت آية الكريم الخلاق لأنه هاجر بهم من أجل دين الله ولإحياء شعائر الله.

دعا الله فقال واسمعوا وعوا إلى ما سمعناه من آيات الله قبل الصلاة ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٣٧إبراهيم) ، هاجر بهم من أجل أن يقيموا الصلاة ويحيوا شعائر الله لأنهم لم يتمكنوا من إقامتها بين القوم الكافرين. ودعا ماذا دعا؟ وماذا كانت إجابة المولى له ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (٣٧إبراهيم) ، وهذا ما نراه منذ زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أفئدة الناس وقلوب الناس وأشواق الناس تزداد إلى زيارة هذه الأماكن وتتمنى أن تطأ هذه المواطن. لماذا؟ هل يحصلون هناك أرزاق؟ هل يحصلون هناك على أوسمة أو نياشين؟ نعم. لكن أرزاق ربانية وأوسمة ونياشين قرآنية وإلهية. لم يهاجروا طلباً للدنيا أو زينتها وإنك ترى العجب عندما ترى الرجل الفقير يجمع القرش على القرش حتى يوفر نفقة الحج فإذا توفرت لديه كانت هذه أكبر فرحة عنده في هذه الحياة لا يضارعها فرحة بمنصب مهما كان عظمه، ولا بمولود مهما كان شأنه، كيف يفرحون وهم من أموالهم ينفقون؟ ولأهلهم وأوطانهم يفارقون؟ ولبلاد لا يعرفونها يذهبون؟ لأنها دعوة إبراهيم عليه السلام التي استجاب لها الله وجعل هذا المكان قبلة لجميع خلق الله من لم يذهب إليه للحج يتجه إليه وهو في مكانه في الصلاة ولا تستوفى الصلاة إلا إذا اتجه إلى البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام استجابة لدعوته ﷻ.

والشق الثاني من الدعوة ﴿ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧إبراهيم)، وهذا أمر والحمد لله رأيناه جميعاً فليس عندهم أنهار ولا أمطار ولا غابات ولا أشجار لكن الله أنبع لهم من الأرض أرزاقاً بغير عمل منهم فتأتي الشركات الأجنبية ويعمل فيها أهل أمريكا وأوروبا الذين لا يتحملون حرارة الصيف يأتون وهم المترفون يعيشون في الصحراء متحملين حرارتها وشظف العيش بها ليحفروا آبار البترول ويستخرجونها وبني إبراهيم والذين سكنوا في الأرض التي دعا فيها إبراهيم جلوس مستريحين لا يتعبون ولا يكدون ولكنهم يقفون على الموانئ ليحاسبون فكل شحنة لهم منها نصيب بلا تعب ولا عناء.

ثم زاد الله ﷻ بعد ذلك في خير هذه الأرض فجعل خير أي بقعة في الكرة الأرضية من فواكهها ونباتها ومصنوعاتها ومشتهياتها يعرض في هذه الأماكن بأسعار أرخص من الأماكن التي تنتج فيها. لأن الله استجاب لإبراهيم عندما قال له ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧إبراهيم)، وعندما خوفهم بعض الكافرين بأن البترول مآله إلى النفاذ إذا بهم يكتشفون جبالاً من الذهب في باطن الأرض فتركوها كما هي للأيام الخالية لأن الله ﷻ شملهم بدعوة إبراهيم فرزقهم من جميع أنواع الثمرات والخيرات وتلك آية لنا جميعاً جماعة المؤمنين.

فيا أخي المؤمن يا من تشكو ضرك للمخلوقين وتشكو مكابدة الحياة وعناء العمل لمن لا يملكون لك ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً ذلك هو الطريق اصلح ما بينك وبين الله ونفذ على نفسك وأهل بيتك ما يحبه الله ويرضاه وخذ بهم وبأيديهم على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله ﷺ ثم اطلب بعد ذلك ما شئت من مولاك يواليك بالعطاء بلا سبب لأن الله يرزق أحبابه بغير حساب كما استجاب لإبراهيم في ذريته وأهله عليهم السلام: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٢، ٣الطلاق) ... كيف تكون مستجاب الدعوة؟ وما الأمر الذي يطلب منك لتنال هذه المكرمة وتكون من أهل تلك المنة؟

إن رسولكم الكريم ﷺ لخص الأمر في كلمتين مجيباً لسعد بن أبي وقاص ﷺ عندما قال: يا رسول الله ادعوا الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. قال: { يا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَة }[٢٠] أي كل من طريق حلال ليس من غش ولا سرقة ولا خداع ولا ربا ولا تطفيف في كيل ولا غش في ميزان ولا تضييع لوقت العمل فيما لا يفيد وإهمال لمصالح المترددين من العبيد تحت دعوة على قدر فلوس الدولة نعطيها لأنك تعاقدت على ذلك وإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه فإذا اتقنت العمل وابتعدت عن مواطن الزلل وحافظت على فرائض الله وكفى فإنه يكون بينك وبين الله خطاً مباشراً وهاتفاً مستعجلاً تدعوه في أي أمر ما لم يكن إثم أو قطيعة رحم. يعجل لك قضاءه في الحال وقد كان على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين والأمثلة في هذا المجال يضيق الوقت عن ذكرها.

قال ﷺ : { الرجُل يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ يا ربِّ يا ربِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وقدْ غُذِيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ }[٢١].

وقال ﷻ ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠غافر) ، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

٢٠ رواه الطبراني في الصغير عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

٢١ رواه البيهقي في سننه ومسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والترمذي في سننه والدارمي عن أبي هريرة ﷺ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا للهدى والإيمان وجعلنا مسلمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. بقى شئ مهم أحب أن الفت نظر إخواني إليه الذين يدعون الله ألا يستبطأ الإجابة ويقول دعوت ودعوت ولم يستجب لي فقد قال ﷺ: { **يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ** }[٢٢] فالأمر يحتاج إلى يقين هاجر وإسماعيل عندما أودعها وطفلها بين الصفا والمروة وقالت له: لمن تتركنا ها هنا يا إبراهيم؟ فلم يجبها فكررت القول ثلاث فلما رأته لم يجبها قالت: ألله أمرك بذلك؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا. ثقة بالله ويقيناً وحسن ظن بالله ﷻ، وقال ﷺ: { **حُسْنُ الظَّنِّ بِالله مِنْ حُسْنِ الْعِبادَةِ** }[٢٣]

فلما أحسنت بالله ظنها فرج الله أمرها فبينما هي تجري مسرعة بين الصفا والمروة بعد نفاذ السقاء الذي كان معها من الماء إذا بها تجد طيوراً عند صغيرها فتسرع إليه خائفة فإذا الماء قد نبع من تحت قدم رضيعها وعلى هذا الماء أمر عجيب في صحراء جرداء لا يرويها نهر ولا يأتيها مطر تروي الملايين والملايين في كل طرفة عين ولا ينفذ ماؤها ولا يتغير طعمها ولا يعطي منها ماء في الأول يخالف الماء في آخر اليوم فكأنها تنبع من الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة وإسماعيل عليه السلام عندما حكى له أباه الرؤيا وقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) ، ولم يعترض على أمر الله ولم يهرب من أبيه بل عاونه وكان نعم العون له وقال له يا أبت لا تخبر أمي بخروجنا وخرجا وتظاهرا أنهما خارجان للسير فلما وصلا إلى منى قال: يا أبت اشحذ المدية (السكين) حتى تقطع بسرعة وانزع قميصي من على جسدي حتى لا يقع عليه الدم فتعرف بذلك أمي فتحزن لأجلي وألقني على وجهي حتى لا تنظر إلى قسمات وجهي فتأخذك رحمة في تنفيذ أمر الله ﷻ فقال له: نعم الولد أنت عوناً لأبيك يا إسماعيل ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١٠٣- ١٠٥الصافات) ، ونزل الملك بفدائه من الجنة بكبش سمين لتكون سنة عملية لمن يحج ولمن لا يحج إلى يوم القيامة تثبت للناس أجمعين.

أن المؤمنين الذين يسلمون لأمر الله ولا يعترضون على قضاء الله الذي ليس في وسعهم

---

٢٢ رواه مسلم في صحيحه وابن ماجة في سننه والإمام مالك في الموطأ وأبي داود في سننه عن أبي هريرة.

٢٣ رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة.

دفعه ولا منعه يحميهم الله بلطفه وينقذهم الله ﷻ ببره لأنه نعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ..... إخواني جماعة المؤمنين عليكم بباب الدعاء ....عليكم بباب الدعاء ...

تعلموا آدابه وألزموا أنفسكم بشروطه وادعوا الله ﷻ في ليلكم ونهاركم في مساجدكم أو في أعمالكم أو في بيوتكم أو في شوارعكم تجدون الله ﷻ أقرب إليكم من كل شئ لكم أو حولكم وأقرب إليك من مالك الذي في البنك ومن زوجتك التي تنام إلى جوارك على الفراش ومن فلذة كبدك الذي أنفقت عليه آلاف الجنيهات وارحم بك من نفسك وارحم عليك من كل هؤلاء. فاستغني بالله يغنيك الله عمن عداه

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الرابعة[٢٤]

عناية الخليل عليه السلام بأبنائه

الحمد لله ربِّ العالمين، يهب عباده المخلصين العمل الصالح المقرب لرب العالمين ويوفق ألسنتهم لذكره ويوفق جوارحهم لطاعته وحسن شكره ويلهمهم الصواب في كل حركة وسكنة في كل وقت وحين....... سبحانه سبحانه ...... إذا أحب عبداً سخره لأفضل الأعمال في أفضل الأوقات وإذا غضب على عبد خذله عن فعل الطاعات وشغله بالدنيا وما فيها من مشاغل وهموم وقربات

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين ومعز المتقين ومتولي عباده المخلصين بكل ما فيه سعادتهم في الدنيا وفلاحهم ونجاحهم في يوم الدين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ملأ الله ﷻ قلبه بمحبته وهداه للعمل بأحكام شريعته وجعل على الإيمان به مدار سعادته ورفع به في الدنيا منار هدايته وجعل تحت لوائه في الآخرة كل من اختاره للدخول في شفاعته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وأدخلنا في زمرة أحبابه واجعلنا يا ربنا في مثل هذه الأيام من الواقفين على أعتابه ومتّع عيوننا جميعاً بالنظر إلى جميل طلعته واجعلنا جميعاً في الآخرة ممن يحظى بشفاعته ويُكرم بجواره مع خالص أحبته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

---

٢٤ كانت هذه الخطبة بمسجد النصر القديم بمدينة ديرب نجم محافظة الشرقية يوم الجمعة ١٩ من ذي القعدة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/٤/٢٩م.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. استمعنا قبل الصلاة إلى آيات من كتاب ربنا ﷻ من سورة إبراهيم عليه السلام وقد جعل الله ﷻ في كل عام أوقاتاً عظيمة نُشرّف فيها أسماعنا بسماع قصة سيدنا إبراهيم ونُمتّع عقولنا بفهم الحكم العظيمة التي من أجلها أوجب الله ﷻ علينا أن نتذكر في هذه المواطن والأيام سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل وزوجه هاجر عليهم السلام أجمعين. لماذا؟ ... حكم كثيرة وعبر عظيمة ومنافع جمّة لا نستطيع أن نحيط بها في هذا الوقت القصير وإنما الأمر كما يقول الإله العلي الكبير ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١١يوسف) . ليست روايات وحواديت نسمعها على سبيل التسلية لكنها عظات عالية وحكم غالية وآنات آلهية راقية علينا أن نتدبرها ونعيها ونفهمها في هذا الوقت يا إخواني حتى يكرمنا الله كما أكرمهم وحتى يعمنا الله ﷻ بالفضل الكبير الذي عمّهم به وبالأجر العظيم الذي وعدهم به وبالثواب الجزيل الذي أدخره لهم المولى ﷻ عنده..

عبرة واحدة أريد أن أفهمها وآخذها لنفسي ويفهمها معي إخواني نحن في هذه الأيام.. كل واحد فينا يحاول أن يعمل لأولاده ما ينفعهم في الدنيا فالذي يسافر ليحضر لهم ريالات أو دولارات والذي يتاجر ليعمل لهم بيوتاً وعمارات والذي يجري هنا وهناك كل هذا لماذا؟ هو لا يريد شيئاً لنفسه لأنه تزوج وسكن وأدى ما عليه ولكنه يريد أن يعمل لأولاده حاجة تنفعهم في الدنيا والكل يعتقد تمام الاعتقاد أنَّ من يفعل ذلك هو الناصح في دنياه الشفوق العطوف على أبنائه وولاياه، السعيد في نظر خلق الله ...

وكلنا لا يشك في هذا الكلام وهذا الكلام الصحيح لكن الأصح منه أن نتأسى بأنبياء الله ورسل الله وعلى رأسهم خليل الله عليه السلام . ماذا أفعل؟ عاش ثمانين عاماً لم يرزقه الله ﷻ فيهم بغلام فلم ييأس من فضل الله ولم يقنط من رحمة مولاه بل كان دائماً وأبداً منتظراً لفرج الله، وانتظار الفرج عبادة كما أخبرنا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، يعني الذي أخرّ الله عنه الإنجاب والولد يترقب الفضل وينتظر الكرم من الله ﷻ وهذا الانتظار عبادة يثيبه عليها العزيز الغفار ﷻ، عبادة ليس فيها عمل ولا تعب ولا إنفاق إلا إنه يحرك قلبه بالحنان والعطف والإشفاق إلى المليك الخلاق يستمطره الرحمات وينتظر منه المكرمات لأنه وحده ﷻ الذي بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شئ قدير.

أكرمه الله بالولد بعد ثمانين عاماً ولم يتركه يفرح به لوقت طويل بل أمره على الفور بأن يلقي به في صحراء ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا فيها حتى وحوش لأن الوحوش لا تسكن إلا المكان الذي فيه قوتهم وفيه شرابهم وهذا مكان ليس فيه قوت لحي ماذا يفعل؟ هل اعترض على أمر الله؟ هل شعر في نفسه بأن هذا الحكم الذي حكم به عليه الله قاس؟ هل ناوأ الله وقال كما نسمع من عباد الله لماذا تفعل معي هذا؟ ولماذا حكمت عليّ بهذا الحكم؟!

ولم خصّصتني وأمرتني بهذا العمل؟ هل مثل هذا الكلام ينفع من العبد مع سيده ومولاه؟ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٦٨القصص)، فإذا قضى أمراً فعلينا بقوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣٦الأحزاب) ، فكل أمر أمر به الله لا يجوز للمؤمن أن يختار بعد أمر الله ولا يجوز للمؤمن أن يعترض على ما قضاه الله ولا يجوز لامؤمن أن يُظهر حتى بقلبه أو بنفسه الجزع أو الهلع أو الضيق في الأمر الذي أبرمه الله ﷻ ولكن عليه أن يرضى بأمر الله وأن يُسلّم لقضاء الله وأن يفوض كل أموره لله ﷻ فإذا لم يرضى ماذا يكون له؟ وإذا رضى ماذا يكون له؟.

قال ﷺ: {مَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ}[٢٥] الذي يرضى عن أمر الله وعن قضاء الله فسيرضيه الله في دنياه ويرضيه الله ﷻ في أخراه والذي يسخط لا يعبأ به الله يمشي في أودية الهموم أو تقتله الهموم والغموم أو يهلك مع الهالكين في الأفكار والشواغل الدنيوية أو تحرمه هذه الأشياء من المتع النورانية، ومن الهناءة الروحانية عندما يناجي معنا الحضرة العلية كل هذه الأمور يا إخواني تحدث له وأكثر ولا يهتم به الله لأنه لم يرض بأمر الله ﷻ لكن المؤمنين ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ (٨البينة) ، لأنهم رضوا عن أمر الله وتقدير الله فكان جزاؤهم أن رضى عنهم الله ﷻ .

هذا الرجل رضى وعلم زوجته الرضا حتى أنه تركها وليس معها إلا جراب بسيط فيه بضع تمرات وآخر بسيط فيه جرعة ماء فنظرت إليه وقالت يا إبراهيم لمن تتركنا ها هنا؟ فلم يجبها وآثر الصمت والسكوت فكررت القول يا إبراهيم لمن تتركنا ها هنا؟ فلم يلتفت ولم يرد فقالت: ألله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. لأنها على يقين أن الرزاق هو الله ﷻ – فالمرأة التي قال لها جيرانها في وداع زوجها مسافراً، لمن يتركك؟ قالت لهم: زوجي مُذْ عرفته أكال والرزاق هو الله يذهب الأكال ويبقى الرزاق ﷻ – لما اطمأنت ورضيت وسلمت لأمر الله ﷻ فرح إبراهيم ودعا لها الجليل وقال كما سمعنا جميعاً في محكم التنزيل:
﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧إبراهيم) .

دعا وهو راض فلباه الله وأجابه الله وزاده الله ﷻ من فضله وكرمه لأنه راض عن أمر الله وعن حكم الله ﷻ. لم يَدع لهم في البداية بالأرزاق والأقوات والخيرات والأموال لأنه يعرف أن هذه الأشياء مضمونة ويعلم أن هذه الأشياء لو جاءت إلى قوم غير مسلمين فستكون وبالاً عليهم في الدنيا وطامة عظمى يوم لقاء رب العالمين. ربما يدعو لهم بالأموال

---
٢٥ رواه الترمذي في سننه وابن ماجة والبزار وصاحب الفتح الكبير عن أنس بن مالك.

فتأتي الأموال لكن لا يوفقون في كيفية الإنفاق التي ترضي الله ولا كيفية تحصيلها بحيث لا يتجنبون غضب وسخط الله فيكون المال في هذا الوقت يميل بهم إلى غضب الله في الدنيا ويميل بهم إلى جهنم وبئس القرار لكن المرء العاقل يفعل كما فعل الخليل عليه السلام يدعو الله ﷻ لهم بإقامة الصلاة ويركز عليها فأول ما بدأ هذا الدعاء قال فيه: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ثم عاد إلى تكراره في آخر الدعاء حيث قال: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ (٤٠إبراهيم) ، فكرر مرة ثانية دعوة الإقامة لماذا؟

لأنه قانون الله الذي حكم به في كتاب الله ﷻ فالذي يخاف على أولاده من بعده ويخشى عليهم أن يتعبوا أو يجوعوا أو لا يجدوا موضعاً يسكنون فيه ولا أموالاً للزواج ولا عمل يتكسبون منه ماذا يفعل يا رب؟ لا يوجد هيئة تأمين ومعاشات والتأمين على الحياة لكن واهب الحياة وصانع الحياة ومدبر أمور الحياة قال للمؤمنين الذين يحرصون على أبنائهم بعد انتقالهم من هذه الحياة: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ماذا يفعلوا يا رب؟ ﴿ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴾ (٩النساء) ، أمرين اثنين ... يتقوا الله ﷻ ويقولوا الأقوال السديدة التي تسدد لهم في خانات حسناتهم وفي صحف إيمانهم حتى تنتفع بها ذرياتهم بعد مماتهم

إذاً الأمر يا إخواني على عكس ما يقول الناس فالذي ينفع الأبناء على التحقيق ليست وديعة البنوك ولكن الوديعة التي ادخرها عند ملك الملوك ﷻ حتى أن الله سخر نبياً من أولي العزم وولياً من كمل الأولياء من أجل بناء الجدار فالولي يبني ومعه المسطرين والنبي يصنع المونة ويناولها له ويناول معها الطوب لهذا الولي مع أن هذه البلدة لم يَدْعهم أحد من أهلها حتى لشربة ماء أو فنجان قهوة أو كوب شاي ولما قال سيدنا موسى كيف نعمل لأناس لم يضيّفنا منهم أحد؟ أجابه نحن مكلفين بهذا العمل من الله لأجل هذين الغلامين ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ (٨٢الكهف) ، أبوهم هذا كان الجد السابع وليس الأب المباشر ولا الذي بعده ولكن الجد السابع كان صالحاً فنفع الله به ذريته من بعده وسخر لهم رسولاً وولياً ليقيما الجدار وليحفظ هذا الكنز حتى يبلغ الصبيان فضلاً من الله ﷻ ونعمة يا جماعة المؤمنين فسيدنا إبراهيم علّمنا هذا الدرس بأننا ندعو لهم بالصلاح ونهتم في أمرهم بأمر الله ونسوقهم إلى الطاعات ونعرفهم التشريعات ونبين لهم أحكام كتاب الله ونوضح لهم سنة سيدنا ومولانا رسول الله ثم نطمئن إلى أن عناية الله لن تتخلف عنهم طرفة عين ولذا ضرب الله لنا مثلاً مع إبراهيم نتحدث عنه في الخطبة الثانية.

فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أكرمنا بالتقوى وزيننا بالعلم وجملنا بالحلم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اختار لنا الإسلام ديناً وفضلنا على جميع خلقه في هذه الدنيا واجتبانا وجعلنا من المسلمين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة للخلائق أجمعين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين، أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي جماعة المؤمنين.. بعضنا يشككه القوم في هذه الأمور ويقولون له كيف تأتي تقوى الله بالأرزاق؟ وكيف تأتي الحسنات بالخيرات مع أن الله ﷻ أبرم هذا الأمر فقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢- ٣الطلاق) . حتى لا يفكر بأن الحسبة التي حسبها أو الرصيد الذي تركه في البنك أو في الأرض أو في التجارة هي التي تنفعه فذلك كله يقول فيه القائل:

ما بين طرفة عين وانتباهتها　　　يبدل الله من حال إلى حال

ولكي يزيدنا الله يقيناً ذكر لنا ما فعله مع الخليل ومع زوجة الخليل وابنها فقد بعث لهم الماء وأرسل لهم الناس وهيئ لهم الجيران الذين يزورونهم ويودونهم من كل أنحاء العالم إلى يوم القيامة وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝ ﴾ (١٣٢طه) ، << ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[٢٦]

آيات البيت الحرام

الحمد لله ربِّ العالمين، أسمع آذان عباده المؤمنين من بدء آذان سيدنا إبراهيم الخليل فلبوا بالأنوار مسرعين طاعة لزيارة الرب المجيد مضحين بالأنفس والأموال في سبيل الواحد المتعال سبحانه! سبحانه جعل هذا البيت مثابة للمؤمنين وأماناً للموحدين وتبصرة وذكرى للمحسنين وجعل فيه هدى ورحمة وآيات مباركة للخلائق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هدى من يشاء من عباده لزيارة هذا البيت الكريم ووفقهم في الدنيا لطاعة الرب الرءوف الرحيم ويسر لهم الأسباب وبلغهم هذه المواطن وبين السعادة في السفر والإياب سر قول النبي ﷺ: { رَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ

---

٢٦ كانت هذه الخطبة بمسجد الشهيد عبد المنعم رياض يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١/٦/٧م بمدينة بنها.

فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ }٢٧.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله وضّح مناسك الحج بعد أن دَرَست بعد إبراهيم الخليل فكشف عنها تعاليم الجاهلية وأظهر حقيقة الملّة الحنيفية وقال لأتباعه جميعاً: {خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِي لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هذَا}[٢٨] ... فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله وارزقنا زيارة روضته الشريفة مع حج البيت يا الله واجعلنا جميعاً ممن نقول مع حجاج بيت الله لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين..

العالم كله من حولنا الكافرين والمشركين والجاحدين والملحدين يتعجبون من الروح الغريبة التي تنتشر في المسلمين في هذه الأيام شوقاً إلى بيت الله الحرام ينظرون إلى وسائل الإعلام فيرون المسلمين الفقراء يضحون بكل شئ ويتبعون كل شئ في سبيل أن يذهبوا لهذه البقاع المباركة ثم ينظرون إلى أحوالهم عند وصولهم إلى هذه الأماكن منهم من يتوفى ومنهم من يبكي ومنهم من يصرخ ومنهم من يفعل كذا وكذا فيزداد عجبهم ويتساءلون لم يفعل المسلمون هذه الأشياء؟

لحجارة في ظنهم وخيالهم وجهلهم كأي حجارة في الأرض لكن تعالوا معي يا عباد الله ننظر إلى المغناطيس الإلهي الذي أودعه الله في بيت الله والذي يجذب المؤمنين القاصين والدانين جميعاً إلى بيت الله ما هو؟ إن الله ﷻ يتحدث عن ذلك فيقول: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٦آل عمران) . ماذا فيه؟:﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ (٩٧آل عمران) ، فيه علامات واضحات، فيه مناهج ودلالات، فيه أنوار ساطعات، فيه إشراقات وفيوضات وتجليات لمن فتح الله عين قلبه ونظر بنظارة الإيمان فيرى حول بيت الله أنوار مكون الأكوان ﷻ، أما هؤلاء الذين عمت بصائرهم فلا يرون هذه الآيات ولا ينكشفون على تلك التجليات لأن الله ﷻ لا يكشف على أسراره للمجرمين والمشركين وإنما يحفظها لعباده المؤمنين ولا يكشفها إلا للصادقين من عباده المؤمنين.

تعالوا معي يا عباد الله جماعة المؤمنين نجلس في بيت الله وننظر إلى الكعبة المشرفة التي أسسها الله على مائدة الله والنظر إليها عبادة فما بالكم بالطواف حولها والصلاة لها إنها

---

٢٧ رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه

٢٨ رواه أبو داود والطبراني في الأوسط والنسائي في سننه عن جابر.

عبادات مباركات لها أجر ثابت حدده سيد السادات ﷺ. أول سؤال يواجهنا ونحن حول هذا البيت لماذا بناه الله؟ ولماذا أمر برفعه الله؟ إن هذا له قصة عجيبة فعندما اختار الله آدم عليه السلام ليكون خليفة في الأرض وجمع الملائكة أجمعين وأمرهم بالسجود لمن اختاره خليفة عن رب العالمين وقال لهم موجهاً لهم الخطاب: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠البقرة) ، فعلموا أنهم أخطأوا في الجواب على حضرة الوهاب وأساءوا الأدب في الحديث مع حضرة الله فخرجوا هائمين إلى البيت المعمور يطوفون حوله يعلنون توبتهم ويقدمون ندمهم لعل الله ﷻ يغفر لهم هذه الذلة !!!

فلما طافوا حول البيت المعمور وهو فوق السماء السابعة تجاه الكعبة تماماً قال لهم الله (اهبطوا إلى الأرض فابنوا لعبادي بيتاً إذا أخطأوا كما أخطأتم وأذنبوا كما أذنبتم يذهبون إليه فيطوفون حوله كما طفتم فاغفر لهم كما غفرت لكم) ونزل آدم عليه السلام من الجنة بأرض الهند وأخذ يبكي على ذنبه لله أربعين عاماً حتى رق عليه الملائكة الكرام فنزل أمين الوحي جبريل وقال يا آدم أين أنت من بيت الله اذهب إليه فطف حوله يغفر لك ذنبك الله ﷻ فجاء من أرض الهند إلى أرض الحجاز ماشياً على أقدامه فطاف بالبيت وهو يقول كما أنبأنا حضرة الرسول: **{اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر سويداء قلبي حتى لا أحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت إنك على كل شئ قدير}**[29]

طاف حوله وهو يردد هذه الكلمات فأوحى الله ﷻ إليه **{ يا آدم قد دعوتنا بدعوات فاستجبناها لك وكل من جاء من بنيك وذريتك إلى هذا البيت ودعا بهذه الدعوات استجبنا له وغفرنا له ذنبه ونزعنا الفقر من بين عينيه وملأنا قلبه بالإيمان وتجرنا له من وراء تجارة كل تاجر }** فهو رمز المغفرة من الغفار وسر التوبة من التواب ورمز القبول من العزيز الوهاب لمن خرج من بيته لا يريد إلا وجه الله ولا يبغى بحجة إلا اتباع سيدنا ومولانا رسول الله وماله حلال واجتهد في جمعه من طريق حلال إذا ذهب إلى هناك وطاف بالبيت وانتهى من الطواف يضع الملائكة الموكلين بالبيت أيديهم على ظهره ويقولون كما قال رسول الله ﷺ: **{قد كفيت ما مضى فاستأنف العمل فيما بقى}** **{مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ}**[30] .

---

٢٩ رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة.
٣٠ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة.

ولم يحدد الصغائر ولا الكبائر، السر ولا العلانية رب العباد فإن الله ﷻ يغفر جميع الذنوب لأنه يرده كالطفل المولود والطفل المولود لا يكتب عليه الكرام الكاتبون سيئات أبداً لا يكتبون له إلا خيرات وحسنات لكن صحيفة سيئاته كما هي مطوية لا تفتح إلا إذا بلغ الحلم فيرجع وليس عليه شاهد بذنب لأن الله ﷻ غفر له جميع ذنبه.

هذا البيت المبارك يا إخواني فيه آيات ظاهرة جلية يراها حتى الكافر والنافر....

بل إن كفار مكة كانوا يعظمون البيت قبل الإسلام ومعهم العرب وهم يعبدون الأصنام لماذا؟ للآيات الحسية التي رأوها في هذا البيت المبارك انظروا معي بيت بني بالأحجار كيف تتأدب معه الحيوانات والأطيار؟ وهي كما نعلم جميعاً ليس معها عقول ولم تتأدب بآداب إن الطيور التي حوله والتي حماها الله وحرم ذبحها لأدبها مع بيت الله ماذا تفعل؟ تطوف حوله كالطائفين ولا تعلو ظاهره أبداً في طيرانها إلا الطائر المريض فإنه يعلو ظاهر البيت ويقف فوق ظهره للحظات فيشفى بإذن الله ﷻ أما الجميع فيطوفون حوله كما يطوف الطائفون ولا يعلون ظهره أبداً أدباً مع بيت ربهم ﷻ .

بل إن الناقة التي ركبها سيدنا رسول الله ﷺ وهو في حجة الوداع وطاف راكباً لها حول البيت وسعى عليها بين الصفا والمروة أمسكت نفسها فلم تخرج بولاً ولا روثاً في بيت الله ﷻ تأدباً مع بيت الله ﷻ مع أن بولها طاهر وروثها طاهر لأن القاعدة الشرعية كل ما أكل لحمه فبوله طاهر وروثه طاهر بل إن الحيوانات المتوحشة كالأسود والنمور والكلاب رؤى عنها مراراً وتكراراً أنها كانت تجري وراء صيد لها مثيل لها فتجري وراء زرافة أو تجري وراء ماعزاً وتجري وراء ضبّ فتدخل الفريسة الحرم فيقف الوحش ويتأدب ولا يستبيح الصيد في داخل الحرم الذي جعله الله ﷻ آمناً فإذا كانت الحيوانات المتوحشة والطيور والحيوانات المستأنسة تتأدب مع هذا البيت فلماذا؟

لأن فيه أسرار وأنوار لا يكشفها الواحد القهار إلا لعباده الأخيار والأطهار بل إن العرب عرفوا به أسرار الأمطار قبل تقدم علم الفلك في العالم أجمع فيجلسون حول البيت في موسم الحج فإذا نزل المطر شرق البيت كان شرق العالم كله في هذا العام في خير وبركة ومطر من الملك العلام وإذا نزل الغيث غرب البيت كان غرب العالم كله في هذا العام مطر وخير من الله ﷻ وإذا نزل المطر حوله من جميع الجهات كان هذا العام عام رخاء على الأرض كلها، فهو الميزان وهو المرصد الذي يحدد الخير النازل من الله إلى جميع عباد الله وشتى أرجاء المعمورة بإذن الله ﷻ .

هذا البيت يا إخواني لا يخلو من الملائكة فحوله سبعون ألفاً من الملائكة الكرام كل

كلماهم آناء الليل وأطراف النهار آمين آمين آمين يؤمنون على دعاء الطائفين والعاكفين والراكعين والساجدين في بيت رب العالمين ﷻ ولذا كان الدعاء فيه مستجاب لا يرد أبداً لأن الله ﷻ جعله موضع إجابة وعندما دعا فيه الخليل إبراهيم رأينا أثر دعوته إلى يومنا هذا فما فيه هؤلاء القوم من خيرات وثمرات وبركات إنما هو استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام .

هذه الآيات وغيرها كثيرات لضيق المقام عن ذكرها جعلت المولى ﷻ لا يدخل بهذا البيت إلا من يحبه من عباده وكل من أراد الله غفران ذنوبه وكل من أراد الله ستر عيوبه وكل من أراد الله تطهيره من الخطايا وكل من أراد الله أن يجعله من التوابين والمتطهرين اسمعه في البدأ دعوة إبراهيم للزائرين فإن إبراهيم عليه السلام هو الذي دعا جميع الزائرين بدون استثناء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فعندما كلفه الله بالبناء وأخذ يبني البيت وإسماعيل يجمع الأحجار ويحملها إليه وبنى حتى وصل البناء إلى قامته ثم تحير كيف يبني بعد ذلك فأنزل الله له حجراً ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٩٧آل عمران)، يقف عليه ويحمله إسماعيل بالأحجار ثم يشير إليه فيرتفع بأمر الواحد القهار حتى يصل إلى مستوى البناء ويظل واقفاً في الهواء حتى ينتهي إبراهيم من البناء فيشير إليه فيرجع مرة أخرى إلى الأرض ولما انتهى من البناء أجمع وقال هو وإسماعيل ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٢٧، ١٢٨البقرة).

قال الله يا إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧الحج)، قال يا ربي وما يبلغ صوتي؟ قال: عليك الأذان وعلينا البلاغ فوقف على الحجر وأوجد الله الآية في الحجر فلان الحجر تحت أقدامه حتى أثرت فيه أصابعه الشريفة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ثم اتجه جهة الشام وقال أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً وكتب عليكم الحج فحجوا ثم اتجه جهة اليمين وقال مثل ذلك وجهة المشرق وقال مثل ذلك وجهة المغرب وقال مثل ذلك فأمر الله الجبال أن تهبط والوديان أن ترتفع وفتح أسماع الأرواح وفتح أسماع الأجنة في بطون أمهاتها وأنطق ألسنة الجميع بأمر ربها فلبت الأرواح وقالت ملبية نداء الخليل لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك..

والملائكة يسجلون فمن قالها مرة كان نصيبه الحج مرة ومن رددها مرتين كان نصيبه الحج مرتين ومن زاد على ذلك فبحساب ذلك وبقى حجر المقام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفيه أقدام الخليل عليه السلام يراه كل من ذهب إلى هذه الأماكن فيعلم صدق رسول الله فيما قال عن الله ويعلم صحة الخبر أن من بنى البيت هو خليل الله وهذه آثار أقدامه وهذا هو الحجر الذي نادى عليه والذي كان يقف عليه بقى إلى ما شاء الله كما هو وفيه آثار قدميه عليه السلام ، فإذا كان في ليلة النصف من شعبان فيكشف الله للملائكة الكرام في اللوح المحفوظ

الذين وقع عليهم الاختيار للذهاب إلى زيارة الله في بيته الذين يـدعوهم لزيارتـه والـذين يؤهلهم للوقوف بين يدي حضرته والذين كتب لهم الطواف حول بيت عظمته والذين هيـأ لهم الوقوف على عرفات معرفته فينقلون أسمائهم ويرسلون لهم دعوة لربهم عن طريق الملـك الذي وكل بقلوبهم وهو ملك الإلهام فقد قال ﷺ فى حديث ما معناه : **{لكل آدمي ملك على قلبه يلهمه بالخير ويحثه عليه وشيطان يوسوس له}** فيرسلون له الدعوة عن طريق ملك الإلهام فيلقى في روعة الشوق إلى بيت الله والحنين إلى هذه الرحاب الـتي باركهـا الله فيقول لمن حوله إني عازم على الحج هذا العام ....

ثم ييسر المولى الكريم الزاد وييسر الطريق وييسر لمن يريـد أن يكـرمهم قـال ﷺ: **{الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وإن شكروا شكرهم}**[31] وقال ﷺ: **{يُغْفَرُ لِلْحَاجِ وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ}**[32].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العلي الكبير، اللطيف الخبير، القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازي لهـا بما عملت، نحمده ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونسأله أن يهـدينا جميعـاً إلى صـراطه المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ألا له الخلق والأمـر تبـارك الله رب العالمين،وأشهد أن سيدنا وشفيعنا محمداً عبده ورسوله، سيد من صلى وصام، وتهجد وقـام، وأحيا الليل والناس نيام .... اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. إن من آيات الله في البيت الحرام الحجر الأسعد الذي يستلمه الساعي من الله ﷻ لما وقف أمامه عمر بن الخطاب ﷺ وقال له: إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. فقال له الإمام علي ﷺ وكـرم الله وجهه: بل إنه ينفع ويضر بإذن الله يا أمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك؟ قال: أما علمـت أن الله عندما أخذ الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين كتب هذا الأمر في رق ثم ألقمه هذا الحجـر فهـو يشهد لكل من استلمه يوم القيامة وقد قال ﷺ: **{يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَلَهُ**

---

٣١ رواه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة، والبزار عن جابر والسيوطي في الفتح الكبير عن ابن عمر.
٣٢ رواه البزار والطبراني في الصغير عن أبي هريرة.

لِسَانٌ ذَلِقٌ يَشْهَدُ لِمَن اسْتَلَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ }[33]

هذا الحجر يسجل كل الذي يمر حوله كل الطائفين وكل المصلين وكل الراكعين والساجدين وكل الناظرين. العدسة النورانية التي أودعها فيه رب العالمين تسجل هيئاتهم وأصواتهم وحركاتهم وسكناتهم ثم تعيد هذا الفيلم أمام الخلائق أجمعين يوم الدين. كيف هذا وهو في نظرنا حجر لكنه فيه سر من فاطر البشر ﷻ حجر ليس كالأحجار حتى في صفاته الحسية وقد ورد أن أبا عبد الله القرمطي والقرامطة كانوا من الخوارج الشاذين عن دين الله نزل هو ورجاله إلى بيت الله الحرام في موسم الحج وقتلوا الحجيج وخلعوا الحجر وحملوه معهم إلى الكوفة وأرادوا أن يصرفوا المسلمين عن بيت الله إلى الحجر الذي وضعوه في مسجد لهم في الكوفة وافض عليكم جزءا من الرواية الواردة فيه:

{ فَمُدَّةُ إِقَامَتِهِ عِنْدَ الْقَرَامِطَةِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَافْتَدَاهُ أَيْ اشْتَرَاهُ مِنْهُمْ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ بِثَلاثِينَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُكَيْمٍ الْمُحَدِّثَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ لِيَتَعَرَّفَهُ وَيَأْتِي بِهِ فَذَهَبَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْقَرَامِطَةِ فَأَحْضَرُوا لَهُمْ حَجَرًا, فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَنَا فِي حَجَرِنَا عَلامَتَانِ لا يَسْخُنُ بِالنَّارِ وَلا يَغُوصُ فِي الْمَاءِ فَأَحْضَرُوا نَارًا وَمَاءً فَأُلْقِيَ فِي الْمَاءِ فَغَاصَ ثُمَّ فِي النَّارِ فَحَمِيَ وَكَادَ يَتَشَقَّقُ, فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا بِحَجَرِنَا ثُمَّ أُتِيَ بِحَجَرٍ مُضَمَّخٍ بِالطِّيبِ فَفَعَلَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ كَذَلِكَ فَجَرَى لَهُ مَا جَرَى لِذَلِكَ فَأُحْضِرَ إِلَيْهِمْ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ فَوُضِعَ فِي الْمَاءِ فَطَفَى وَلَمْ يَغُصْ وَفِي النَّارِ فَلَمْ يَحْمِ فَعَجِبَ أَبُو طَاهِرٍ وَسَأَلَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فَأَسْنَدَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ [الْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ مِنْ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا اسْوَدَّ مِنْ ذُنُوبِ النَّاسِ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ اسْتَلَمَهُ وَقَبَّلَهُ بِالإِيمَانِ وَأَنَّهُ حَجَرٌ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ وَلا يَسْخُنُ بِالنَّارِ إِذَا أُوقِدَتْ عَلَيْهِ] . قَالَ أَبُو طَاهِرٍ هَذَا دِينٌ مَضْبُوطٌ بِالنَّقْلِ وَمِنْ آيَتِهِ أَنْ تَفَسَّخَ تَحْتَهُ (مات تحته) وَهُمْ ذَاهِبُونَ بِهِ قِيلَ أَرْبَعُونَ جَمَلا وَقِيلَ ثَلاثُمِائَةٍ وَقِيلَ خَمْسُمِائَةٍ وَلَمَّا أُعِيدَ لِمَكَّةَ أُعِيدَ عَلَى جَمَلٍ أَعْجَفَ هَزِيلٍ فَسَمِنَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.}[34]

هذا هو قدر الحجر الأسعد فما بالكم بالمطاف الذي لا يسع أكثر من مائة ألف رجل يطوفون في وقت واحد لكنه لو اجتمع فيه كل سكان المعمورة في وقت واحد يسعهم بإذن الله وعلى هذا الحال أيضاً منى فهي مكان ضيق بين جبلين لا تسع إلا بضع آلاف قليلة.

---

٣٣ رواه الدارمي في سننه وابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده وغيره كثيرون عن ابن عباس، وورد بكاملها في خطبة سابقة بالنص المخرج.
٣٤ حاشية الجمل والواف بالوفيات لسليمان بن إبراهيم.

سألوا رسول الله ﷺ يا رسول الله كيف تسع منى الحجيج مع ضيقها؟ فقال ﷺ: { **إن منى تتسع بأهلها كما يتسع رحم الأم بالجنين الذي فيه** }[٣٥] يتسع بطن الأم للجنين فإذا خرج رجعت كحالتها وهكذا منى وسئل ﷺ ما بالنا ومن قبلنا نرمي بالكثير والكثير عند الجمرات ولا نجد له أثراً إلا القليل عند انتهاء المناسك؟ فقال ﷺ: { **ما تُقُبِّل منها رفع، ولولا ذلك لرأيتها أمثال الجبال** }[٣٦].

آيات وآيات كثيرات لا أستطيع أن أحصيها في موقفي هذا ولكن عليكم عباد الله أن تجددوا شوقكم إلى بيت الله فإن الله أمرنا أن نتجه إليه في كل صلاة حتى نحس بالشوق إليه وبالحنين إليه نريد أن نصلي وليس بيننا وبينه جدار وليس بيننا وبينه جبال وليس بيننا وبينه وديان نريد أن نصلي يوماً من الأيام وأمامنا بيت الله الحرام فكلما وقف المصلي بين يدي الله يتحرك فيه الشوق إلى بيت الله الحرام ويريد أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم في هذا المقام.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة السادسة[٣٧]

أسرار بناء البيت الحرام

الحمد لله ربِّ العالمين، يوفق عباده الطائعين لما يحبه ويرضاه، ويدلهم ويعينهم على تحقيق ما به رضاه. سبحانه. سبحانه هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أكمل الله ﷻ به على المؤمنين منته وأتم به عليهم نعمته وجعله نبياً ورسولاً خاتماً لرسالات السماء ووضح على يديه جميع المناسك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والشفيع الأعظم يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.

---

٣٥ رواه الشيخان.
٣٦ سنن الدار قطني.
٣٧ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي سعد الدين الجيباوي بقرية البندرة مركز السنطة غربية يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/٥/٢١م.

ونحن على مشارف شهر ذي الحجة الكريم ويتوافد الحجيج على أرض الله تلبية لنداء سيدنا إبراهيم خليل الله فإن الله ﷻ أمره أن يبني البيت فقال يا ربَّ فكيف اعلم مكان البيت؟ فانزل الله سيدنا جبريل عليه السلام وأعلمه بأن الله سيرسل سحابة ستقف أمامه على مكان البيت وأمره أن يعلم على ظلها فإنه أساس البيت، فلما علم على أساس البيت وكشفه بأمر الله أمره الله أن يبنيه وإسماعيل عليه السلام ثم أرسل لهم الملائكة الكرام يقطعون الأحجار وينقلونها إلى حيث مكان البيت ويضعها إسماعيل لإبراهيم إلى أن تم البناء بأمر الله ﷻ .

فلما تم البناء نادى الله ﷻ إبراهيم وقال كما قال في محكم كلامه القدير ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ (٢٧الحج) . فقال يا ربَّ وما يبلغ صوتيَ؟ قال: يا إبراهيم عليك الآذانَ وعلينا البلاغ فأمر الله الأرواح أن تخرج من مستقرها وأمر الجبال أن هبط من عليائها والوديان أن ترتفع إلى مستوى سطح الأرض وأسمع الجميع آذان إبراهيم عليه السلام فوقف إبراهيم على الجبل المواجه للكعبة (جبل أبي قبيس) واتجه مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال ومرة إلى الجنوب ومرة إلى الشرق وأخرى إلى الغرب وفي كل مرة يقول: (أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً وكتب عليكم الحج فحجوا) فقلنا وقال من قبلنا ومن بعدنا من كتب الله لهم زيارة هذا البيت قلنا جميعاً: لبيك اللهم لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لبيك اللهم لبيك، منا من قالها مرة ومنا من قالها مرتين ومنا من زاد على ذلك وفي ذلك يقول نبيكم الكريم ﷺ: **{من لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن زاد على ذلك فبحساب ذلك}**[٣٨].

فإذا كانت ليلة النصف من شهر شعبان ظهر في اللوح المحفوظ بقلم القدرة من علوم فيض حضرة الديان الحجاج الذين اختارهم الله لأداء هذا المنسك في هذا العام فتنسخ الملائكة أسمائهم ويبلغونه دعوة ربهم منهم من تبلغه الدعوة مناماً ومنهم من تبلغه الدعوة في نفسه يقظة ومنهم من يجد الشعور بالذهاب للزيارة ومنهم من يتحرك فيه الباعث لأداء الفريضة والذي حرك هذه البواعث والذي ألهم تلك النفوس والذي أجج غرام تلك القلوب إنما هو علام الغيوب ﷻ فإذا دعاهم لزيارته يسر لهم الأسباب وبسط لهم الأرزاق وسهل لهم الأمور حتى يذهبوا لأداء المناسك ويتمون الحج لوجه الله ﷻ مصداقاً لقوله سبحانه ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١٩٦البقرة).

يذهب ابتغاء مرضاة الله لا من أجل السمعة ولا من أجل الرياء ولا من أجل اكتساب

---

٣٨ أخرجه ابن اسحق في سيرته والأزرقي في أخبار مكة.

لقب فإن الله ﷻ غني عن تلك الألقاب وغني عن تلكم الأعمال وإنما ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية). فإذا ذهبوا إلى هناك ذهبوا تطبيقاً لأمر الله وتنفيذاً لسنة رسول الله وهمهم أداء الفريضة ابتغاء وجه الله فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم كما قال ﷺ: { مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رجع كيوم ولدته أمه }[٣٩] خالياً من الذنوب والعيوب ... لماذا فرض الله تلك الفريضة؟

إن الله ﷻ لما أخبر ملائكته الكرام وقال لهم ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠البقرة)، فعلموا أنهم أخطأوا لأنهم لم يحسنوا رد الجواب على ربهم فطافوا حول البيت المعمور في السماء السابعة تائبين منيبين فلما أتوا سبعة أشواط قال لهم: بشرى يا ملائكتي فقد غفرت لكم اهبطوا إلى الأرض فابنوا لعبادي بيتاً فإذا أخطأوا كما أخطأتم وأذنبوا كما أذنبتم يذهبون إليه فيطوفون حوله كما طفتم فاغفر لهم كما غفرت لكم فلما وقع آدم في الخطيئة ونزل ببلاد الهند وحواء بجدة بالأراضي الحجازية ومكث ثمانين عاماً يبكي على خطيئته حتى فتح الله له أبواب توبته فنزل جبريل وأمره أن يذهب إلى البيت ليطوف بالبيت حتى يتوب عليه رب البيت ﷻ فجاء من بلاد الهند ماشياً حتى وصل إلى البيت وطاف حوله وقد ورد في ذلك : { **طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت حين نزل، ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم، فقال: اللهم إنك تعلم سريرتي ، وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي، وما عندي فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي، فأعطني سؤلي، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت علي، قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك، ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت غمومه، وهمومه، وكففت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغناء بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة ، وإن كان لا يريدها، قال: فمذ طاف آدم عليه السلام كانت سنة الطواف** } (ورد في أخبار مكة للأزرقي، رواية عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم }.

فمن يذهب بمال حلال ابتغاء رضاء الواحد المتعال فإنه يرجع من هناك كيوم ولدته أمه خالياً من الذنوب والعيوب بالإضافة إلى الثواب الذي لا نستطيع أن نحيط به في هذا الوقت القصير ويكفي أن نلمح إليه في قول الرجل الصالح الذي يقول: (صلاة واحدة في جماعة في بيت الله الحرام خير وأعظم عند الله من عمر نوح في طاعة الله ﷻ) فقالوا له وكيف ذلك؟ قال الصلاة في البيت الحرام بمائة ألف صلاة فإذا كانت في جماعة تزيد سبعاً وعشرين مرة فتصير مليونين وسبعمائة ألف صلاة فإذا قسمناها على خمس صلوات في اليوم كان عمراً أكبر من عمر نوح عليه السلام في طاعة الله ﷻ وليست الصلاة فقط فالتسبيحة بمائة ألف تسبيحة،

---

٣٩ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة.

والصدقة بمائة ألف والختمة للقرآن الكريم بمائة ألف ختمة وصلاة الجمعة بمائة ألف صلاة جمعة وكل عمل صالح هناك بمائة ألف عمل صالح هنا فضلاً من الله ﷻ ونعمة.

قال ﷺ: **{الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وإن شفعوا شفعوا}** [٤٠].

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله, اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ما بال المؤمنون الذين لم يكتب الله لهم أداء هذه الفريضة يحرمون من هذا الأجر والثواب نقول لهم ولنا إن الله ﷻ يعطي من هنا مثل أجر من هناك بشروط ومواصفات وضعها رسولكم الكريم ﷺ. يردد الناس – وهذا من جهلهم بدينهم – أن المقبول هو الذي فتح له الباب وسافر بالطائرة أو بالباخرة أو في الأتوبيس ويعيرون من أخذ بالأسباب ولم يكتب له السفر ويقولون له لو كنت مقبولاً هيأ الله لك السفر، وكذبوا على الله ﷻ فإن كثيراً ممن يسافر إذا قال لبيك اللهم وسعديك تقول له الملائكة لا لبيك ولا سعديك وحجك هذا مردود عليك ... لماذا؟

لأنه حج من مال حرام وبعضهم خرج للرياء والسمعة حتى إذا رجع يقولون الحاج فلان ذهب والحاج فلان رجع ومثل هذا ليس له من الأجر إلا سمعته وإلا تشريفه بهذا اللقب وإذا كان الأمر أمر السفر فإن نبيكم الكريم ﷺ رأى في المنام أنه ذهب لأداء الحج وبشر أصحابه وذهبوا وأحرموا وساقوا الهدى ومنعهم الكفار من دخول البيت مع أن الله قال لهم: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (٢٧الفتح) ، الكفار والمشركين يطوفون بالبيت والرسول الكريم يمنع من دخول البلد الحرام هل كان هذا دليلاً على قبول الكفار وعلى رد الرسول المختار ﷺ ؟ أم أن تلك الأقدار تفعل بإرادة الواحد القهار ﷻ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣٠الإنسان).

أنت تريد والله يريد ولا يكون إلا إرادة الحميد المجيد ﷻ. أما الذي نوى الحج وأخذ

---

٤٠ رواه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة، والبزار عن جابر.

بالأسباب ولم تتيسر له أسباب السفر فقد كتب له حجة مقبولة طوافها وسعيها ووقوفها ورميها ونفقاتها وهي في ميزان حسناته عند الله يوم القيامة وأنا ضمين بذلك عند الله لأن الذي قال ذلك رسولكم الكريم ﷺ. لكن الذي يريد الحج ولم تتيسر له النفقات وليس معه مال ولكنه مشتاق للزيارة ويعيش هذه الأيام القادمة أيام العشر مع الحجيج يعيش معهم في طوافهم ومعهم في سعيهم ومعهم في تلبيتهم يكتب له أجر الحج بنيته وبصدق إرادته وقد قال ﷺ: { **إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لكل امْرِىءٍ ما نَوَى** }[41] ولم يقل لكل امرء ما عمل.

وقد سافر أصحابه إلى تبوك في بلاد الشام وكان سفراً طويلاً وشاقاً فلما وصلوا إلى هنالك قال ﷺ لمن معه: { **إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَقَوْماً، مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً، إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ. حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ** }[42] منعهم العذر وهو ضيق ذات اليد وقلة النفقة من أن يكونوا معهم والله يثيب المؤمنين على قدر نياتهم فالمؤمن ينوي كل عام حج بيت الله الحرام فإن تيسر له الأمر فبها ونعمت وإن لم يتيسر له الأمر أخذ أجر الحجيج المقبولين وثوابهم عند الله على قدر نيته وعلى قدر صدق إرادته لأن الأعمال بالنيات عند الله ﷻ.

قال ﷺ: { **مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غَفَرَ اللّهُ لَهُ سَنَتَيْنِ: سَنَةً أَمَامَهُ، وَسَنَةً خَلْفَهُ** }[43] وهذا كما يحدث للحجيج، وقال ﷺ: { **يَا فَاطِمَةُ قُومِي إلى أُضْحِيَتِكِ فَاشْهَدِيهَا، فَإِنَّ لَكِ بِكُل قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكِ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكِ** }[44]. فالحاج هناك يطوف ويسعى والذي هنا يصوم تلك الأيام الفاضلة التي يقول فيها رسولكم الكريم: { **مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللّهِ تَعَالَى أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فإذا كان يوم عرفة فإن الله يغفر بصيامه ذنوب سنتين** }[45].

وإذا كان الحاج يذبح الهدي فالذي هنا يذبح الأضحية وله نفس الأجر وإذا كان الحاج يلبي فالذي هنا يكبر من يوم الوقفة ويوم العيد وأيام التشريق عقب كل صلاة ليكون الذي هنا يكبر والذي هناك يكبر ويلبي والذي هناك في عرفات والذي هنا بروحه مع الله في استجابة الدعوات فيثيب الله الجميع ويوزع الأجر على الجميع، << ثم الدعاء >>.

---

٤١ متفق عليه عن عمر بن الخطاب.
٤٢ رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه وابن حبان في صحيحه وصاحب الفتح الكبير عن أنس.
٤٣ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري.
٤٤ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما والبيهقي في سننه عن البراء بن عازب.
٤٥ رواه ابن ماجة في سننه وابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس.

الخطبة السابعة[٤٦]

درجات الحج

الحمد لله ربِّ العالمين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وجبار القلوب على فطرقما فالشقي من أبعده وأشقاه، والسعيد من ملأ قلبه بالتقوى والعمل بما يرضي الله.

سبحانه! سبحانه! عفو كريم يحب العفو عن عباده فيدعوهم إلى التوبة ويكرر لهم النداء لطلب الغفران يدعوهم مرة كل ليلة فينادي من ثلث الليل الآخر من السماء الدنيا فيقول: {هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتى يَطْلُعَ الْفَجْرُ}٤٧

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين ونوراً للأولين والآخرين وجعل على يديه غفران الذنوب وستر العيوب ودخول الجنة للمؤمنين والمؤمنات بغير تعب أو لغوب.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تبلغنا بها مراضيك ومراضيه وتوفقنا بها للعمل بما تحبه وتبتغيه وترفعنا بها إلى درجة أتباعه الصادقين وذويه آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. في هذا اليوم الكريم اجتمعت من كل بقاع الأرض في حرم الله وفي بيت الله وفي أرض الله أفواج الحجيج يرجون غفران الله ورحمة الله ﷻ. ذهبوا وقد أعطوا أعز ما يملكون فجمعوا أموالهم للنفقات وتركوا أعز ما يخلفون وهم الأهل والأولاد. لماذا ذهبوا إلى هناك؟

إن هذا أمر يطول شرحه وسنتكلم فيه باختصار شديد على حسب المناسبة إن شاء الله فإن هذا البيت لبناءه غاية من أجلها أمر الله ﷻ الملائكة ببنائه ثم أمر بعد ذلك الخليل إبراهيم بتجديد بنائه وهي أن الله ﷻ أوحى إلى الملائكة بعد أن تقبل توبتهم وغفر لهم زلتهم أن اهبطوا إلى الأرض فابنوا لعبادي هناك بيتاً. إذا أخطأوا كما أخطأتم يذهبون إليه فيطوفون حوله كما طفتم فاغفر لهم كما غفرت لكم.

فإذا أراد الله ﷻ أن يكرم قوماً بالغفران أظهر لهم التبيان ووفقهم للعمل بأركان الحج

---

٤٦ كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة قها- محافظة القليوبية في يوم ٥/٥/١٩٩٥م الموافق ٦ ذو الحجة ١٤١٥هـ.
٤٧ (حم، بز، ع، عن جبير بن مُطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

التي يحبها الديان وإذا غضب الله ﷻ على قوم أخفاه عنهم أو أخفى عنهم تعاليم الحج وشعائر الحج حتى يفعلوها على وفق أهوائهم فلا تنالهم الرحمة ولا التوبة من رهم ﷻ ولذلك عندما جاء طوفان نوح عليه السلام أغرق الله هذا البيت وحملت الملائكة منه الحجر الأسعد وجعلوه أمانة ووديعة عند جبل أبي قبيس المطل على الكعبة حتى لا يعرف الناس مكانه ولا يذهب الناس إليه طلباً للغفران فلما جاءت إرادة السماء أن يعلن الله ﷻ برفع هذا البناء أذهب إليه إبراهيم وإسماعيل. فجاء جبريل ومعه البراق وقال يا إبراهيم: إن الله يأمرك أن تذهب إلى مكة لأنه سيخرج من صلب هذا الولد نبي يدعو الناس جميعاً إلى الله ﷻ فأركبه البراق وأخذ إسماعيل بين يديه وأركب هاجر خلفه وكلما مر بأرض بها زرع وماء قال: أنترل هنا يا جبريل؟ يقول: لا. حتى وصل إلى مكان البيت فقال: انزل ها هنا فوجدها كما قال الله: ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ (٣٧إبراهيم) ....

أي لا زرع ولا ضرع فيها فقال: يا جبريل لا زرع هنا ولا ماء قال: هكذا أمر الله ﷻ وذلك حتى يكون الذاهب إلى هذا المكان لا طالباً للمجد أو للمال أو للجاه أو للكساء ولا طالباً للشهرة أو المترلة بين الناس وإنما يذهب وهمه الخالص رضاء الله ﷻ ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١٩٦البقرة)، فيكون هدفه رضاء الله وسفره طلباً لغفران الله وهمه كله الإقبال على الله ﷻ ....

فلو جعله في مكان هواؤه نظيف وماؤه عذب غدير وزرعه نضير لكان الناس يذهبون إليه للسياحة وبجانبها زيارة البيت لكن الله جعل البيت في مكان قفر لا زرع فيه ولا ماء فيه ولا جو تستحسنه الأجسام فيه لكي يتحمل الناس كل هذه المشقات فينالوا الغفران وارتفاع الدرجات عند الله ﷻ فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت ثم أمره الله ﷻ أن ينادي على الناس بالحج للبيت فقال: يا ربِّ وما يبلغ صوتي. قال: عليك الآذان وعلينا البلاغ: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (٢٧، ٢٨الحج).

فوقف سيدنا إبراهيم عليه السلام على جبل أبي قبيس وأمر الله ﷻ الأرواح أن تخرج من مستقرها وأمر الجبال أن قمبط والوديان أن ترتفع وأمر الهواء أن يوصل صوته إلى الناس جميعاً. فنادى إبراهيم مرة جهة المشرق ومرة جهة المغرب ومرة جهة الشمال ومرة جهة الجنوب وفي كل مرة يقول: أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً وأمركم بالحج فحجوا فلبى الناس في زمانه ولبت الأرواح من عصره إلى يوم الدين وقالوا جميعاً: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك.

منهم من رددها مرة ومنهم من رددها مرتين ومنهم من زاد على مرتين والملائكة يسجلون قال ﷺ: **{فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن زاد على ذلك فبحساب ذلك}**[٤٨] فإذا كانت ليلة النصف من شعبان يظهر في اللوح المحفوظ أسماء حجاج بيت الرحمن في هذا العام فتحمل الملائكة النبأ إلى قلوبهم وإلى أرواحهم فيحسون بالشوق إلى بيت الله وبالحنين إلى حج بيت الله ويهيئ الله ﷻ الأسباب وهو ﷻ يرزق من يشاء بغير حساب منهم من يوفقه الله ﷻ ويأتيه ملك في المنام يبشره بحج بيت الله الحرام ومنهم من يوفقه الموفق فيأتيه الحبيب المختار ﷺ فيدعوه بذاته الشريفة للحج وللزيارة وناهيك بهذا الشرف العظيم.

فعندما جاء ﷺ إلى هارون الرشيد يدعوه قام من نومه مستبشراً وأقسم أن يحج ماشياً على قدميه من بغداد حتى يؤدي المناسك لماذا؟ لأن الذي بشره ودعاه هو حبيب الله ومصطفاه ﷺ ...

وهذه امرأة من الجزائر جاءها ﷺ فدعاها للحج وللزيارة فقامت من نومها فرحة مستبشرة وأقسمت أن تذهب إلى البيت على عينيها وبعد القسم احتارت في كيفية التنفيذ فذهبت وأرسلت إلى العلماءلتستفتيهم فأفتوها أن تصلي ركعتين عند كل خطوة تخطوها في طريقها إلى بيت الله ﷻ فذهبت بهذه الطريقة في ثلاث سنوات حتى وصلت إلى بيت الله الحرام لتوفي بالوعد الذي أقسمت عليه لله ﷻ.

ومنهم من يرى في منامه أنه يطوف مع الطائفين ومنهم من يرى نفسه واقفاً على عرفات مع الحجيج ومنهم من يرى أنه يسعى بين الصفا والمروة ومنهم من يرى أنه في الروضة النبوية الشريفة تأتيهم الدعوات بأي كيفية من الله ﷻ .

ومنهم من يخبره ملك الإلهام الموجود على قلبه فيهيئ له الشوق الحار لزيارة الله في بيته والظمأ الشديد لأداء المناسك فيعلن إلى من حوله أنه ذاهب إلى بيت الله فلا يذهب إلى هناك على الحقيقة رجل ماله حلال إلا إذا سبق له التوفيق من الموفق ﷻ أما الذي يذهب وماله حرام فليس لنا شأن به ومثلما راح سيعود ولن يناله إلا التعب والمشقة وقد قال ﷺ في مثله: **{ مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَقَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُ: لاَ لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ وَحَجُّكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ }**٤٩.

---

٤٨ أخرجه ابن اسحاق في سيرته والأزرقي في أخبار مكة.
٤٩ رواه الطبراني في الأوسط والأصبهاني والبزار عن أبي هريرة.

أما لماذا يذهبون؟ بعضهم ينال النصيب الأوفر فيأخذ حظه من حديث رسول الله ﷺ: { مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أُمُّه }[٥٠].

وبعضهم ينال نصيب أكبر من هذا ويكون داخلاً في قوله ﷺ: { الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّةِ }[٥١] فالذي عليه ذنوب يرجع وقد طهره الله من الذنوب والعيوب والذي يحج وليس عليه ذنوب ولا له ذنوب يأخذ كارت ضمان من علام الغيوب بدخولــه الجنــة والأمان يوم الموقف العظيم ويدخل في قول الرحمن الرحيم ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٩٧آل عمران) . آمناً من عذاب الله وآمناً من غضب الجبار، وآمناً من شرار الناس في هــذه الحيــاة الدنيا، وآمناً من فزع يوم القيامــة لأنــه يــدخل في قــول الله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٣الأحقاف) . ودرجات لا نستطيع عدها في هذا الوقت.

قال ﷺ: { إن الله وعد من حج البيت أن يرده إلى بيته غانماً سالماً مغفوراً له ذنبه وإن توفاه عنده أن يقيض له ملكاً يحج عنه ويلبي عنه إلى يوم القيامة }[٥٢]، وقال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }[٥٣]

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا للإيمان وجعلنا مسلمين ونسأله ﷻ أن يثبتنا علــى هذا حتى يتوفانا مسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشــهد أن ســيدنا محمداً عبده ورسوله.، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخــير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ما هذه المغفرة التي ينالها حجاج بيت الله؟ ومــن ينالونها هل يتبقى عليهم شئ بعدها أم يغفر الله ﷻ لهم جميع ذلك؟ إن الله ﷻ يغفر لهم مغفرة عامة شاملة لكل ما قالوه أو فعلوه أو اقترفوه أو جنوه يقول فيها ﷺ:

{ إِذَا أَفَاضَ الْقَوْمُ مِنْ عَرَفَاتٍ أَتَوْا جَمْعاً فَوَقَفُوا، قَالَ اللهُ تعالى: انْظُرُوا يَا مَلاَئِكَتِي إِلَى عِبَادِي عَاوَدُونِي فِي الْمَسْأَلَةِ، أُشْهِدُكُمْ أَني قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُمْ، وَشَفعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنَهُمْ جَمِيع مَا سَأَلَ، وَتَحَمَّلْتُ عَنْهُم

٥٠ رواه الدار قطني في سننه وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
٥١ رواه أحمد في مسنده والبيهقي في سننه ومسلم في صحيحه والطبراني والحاكم عن جابر.
٥٢ رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة.
٥٣ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

التَّبِعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ } ٥٤ .....

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثامنة[٥٥]

الحج وغفران الذنوب

الحمد لله ربِّ العالمين، أسمع آذان القلوب عباده المؤمنين آذان إبراهيم الخليل، فلبـوا مسرعين مجيبين للتلبية بزيارته ﷻ في بيته الجليل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تتزه عن الزمان والمكان والعلو والحيطة والإمكان، لا يشغله مكان ولا يحيط به مكان لأنه ﷻ رب الزمان وخالق المكان، سبحانه، سبحانه كل ما سواه يفوت ويموت وهو سبحانه في عظمته وجلاله وكبريائه وحده الحي الذي لا يموت، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أنزله الله رحمة للعالمين وهدية وبشرى للمؤمنين وقال في حقه { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (١٢٨التوبة).

اللهم صلِّ وسلم وباركْ على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وعلى صحابته المباركين وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ما أجمل وجود المؤمنين وقد استعدوا اليوم وبدأوا يتجهزون، يغتسلون ويتطيبون ويحرمون ويخرجون للوقوف في ساحة الفضل والجود والكرم الإلهي للمثول في ساحة الإكرام الرباني، الإكرام الذي ليس بعده إكرام، والإنعام الذي ليس بعده إنعام لو قيل للواحد منا بماذا تشترى المغفرة؟ لقال أشتريها بكل ما أملك من مال ومن ممتلكات ومن مقتنيات فإن المغفرة إذا حصلها الإنسان وخرج للقاء الديان فقد فاز فوزاً مبيناً، ولو ملك الإنسان الدنيا بأكملها وكانت كلها في قبضة يده ولكنه خرج منها بدون الحصول على المغفرة ماذا أخذ؟ وماذا فعل؟

إنه يخرج منها بحسرة يموت منها الأولون والآخرون لو يعرفونها لأنه ملكها كلها وتركها كلها ويحاسب عليها كلها ويبوء بخزيها والندامة عليها جميعها، ولم يحصل على ثمرة

---

٥٤ الخطيب في المتفق والمفترق عن أنس رضيَ اللّهُ عنهُ.

٥٥ كانت هذه الخطبة بمسجد الحريري بمدينة الزقازيق ٨ من ذي الحجة ١٤٠٨هـ الموافق ٢٢/٧/١٩٨٨م.

المغفرة التي هي كل ما يبغيه الإنسان في دنياه وكل ما يطلبه لينال به السعادة في أخراه.

إخواني وأحبابي: إن الأمر الصريح من رب العالمين لنا هو أن نسارع ونتسارع ونجري ونتنافس في ماذا يا ربَّ العالمين؟ في الدنيا؟ كلا، في الأموال؟ كلا وألف كلا، في المناصب والدرجات الدنيوية؟ كلا، في ماذا نتنافس يا رب؟ ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين) ، نتنافس في منابر الأبرار ونتنافس في مقامات الصالحين ونتنافس في منازل جنات النعيم ونتنافس في النعيم المقيم ونتنافس في البعد عن الجحيم وما أدراك ما الجحيم، ونتنافس في البعد عن الخزى والندامة يوم الحسرة يوم القيامة، ونتنافس في الجلوس على الآرائك وما أدراك ما الآرائك ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٢٣: ٢٦المطففين).

نتنافس في الصالحات ونتنافس في الطاعات، ونتنافس في القربات، ونتنافس في كل ما يوصلنا إلى الله ويقربنا إلى معية رسول الله ﷺ هذا هو تنافس المؤمنين وهذا هو تسابق المؤمنين وهذا هو صراع الموحدين، فليس صراعهم على شئ يبلى لأنهم علموا أن كل ما على الدنيا يفنى ولا يبقى مع الإنسان إلا ما عبر عنه الديان وقال: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف).

عرفوا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم :{ أَيُكُمْ مالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، قالُوا: ما مِنّا أَحَدٌ إلاّ مالُهُ أَحَبُّ إليهِ مِنْ مَالِ وارِثِهِ، قالَ ﷺ: إعْلَمُوا أنهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلاّ ومالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إليهِ من مالِه، مالُكَ ما قَدّمْتَ، ومالُ وارِثِكَ ما أَخّرْتَ } [٥٦]. إن الذي خلفته إنما هو لورثتك ولكن الذي قدمته هو العمل الذي فيه سعادتك والخير الذي فيه رفع درجتك والبر الذي فيه رفعة شأنك في الميعاد والوصول إلى مقام يقول فيه رب العزة ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٤، ٥٥القمر).

فالمؤمن يتنافس في الحصول على المغفرة، شهادة محو الأمية أصبحت هي الأساس في التعيينات الحكومية وغير الحكومية ولله المثل الأعلى، وشهادة المغفرة هي أدنى الدرجات التي لابد لك من الحصول عليها عند الخروج من هذه الحياة حتى تدخل على الأقل في قوله ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥آل عمران)، حتى نتزحزح عن النار وندخل الجنة مع الأبرار، وإذا لم تخرج من هذه الحياة ومعك شهادة من العزيز الغفار بأنه قد غفر لك ذنوبك وستر عليك عيوبك فبماذا خرجت؟

---

٥٦ رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ وغيرِهِ عن أبي معاويةَ. وأخرجه البخاري من وجهٍ آخرَ عن الأعمش، سنن الكبرى للبيهقي

لكنك إذا خرجت من الدنيا ومعك شهادة بالمغفرة وليس معك إلا حسنة واحدة فقد فزت وسعدت لأنه ليس عليك أوزار، وليس عليك ذنوب تثقل كفة السيئات، وليس عليك ذنوب تجعلك تزل في المشي على الصراط وليس معك ذنوب تجعلك تتناول كتابك بشمالك وليس معك ذنوب تجعلك تمشي على وجهك، وليس معك ذنوب تجعلك تجلس في أرض القيامة والمؤمنون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، شهادة المغفرة هي ذخيرة المؤمنين وهي ركيزة الموحدين لأنها هي السعادة العظمى مع رب العالمين ﷻ .

ولذلك يقيم المولى ﷻ للمؤمنين مواسم لحصول على هذه الشهادة والمواسم تلو المواسم فإذا صاموا رمضان سلم للصائمين شهادة بالمغفرة، وإذا قاموا رمضان سلم القائمين شهادة بالمغفرة، وإذا حافظوا على الصلوات الخمس في جماعة من الجمعة إلى الجمعة سلم المحافظين على الفرائض في أوقاتها من الجمعة إلى الجمعة شهادة بالمغفرة، والمحافظ على صلاة الفجر أربعين يوماً في جماعة أعطاه الله شهادة بالمغفرة، ولو ترك الأهل والأموال والأولاد وخرج من بيته مهاجراً لزيارة رب العباد في بيته المحرم، في بيته المعظم، في بيته المكرم وقد حصل المال بطريق حلال – لأن هذا شرط القبول – فإذا كان المال من طريق حلال وقال لبيك اللهم لبيك قالت الملائكة له لبيك وسعديك والخير كله لك وبين يديك، أما إذا كان المال من طريق حرام أو من طريق الشبهات وقال لبيك اللهم لبيك تقول الملائكة لا لبيك ولا سعديك وحجك هذا مردود عليك.

فإذا حج من نفقة حلال وخرج يبغي وجه الله لا يريد شهرة بين الناس أي لم يخرج حتى إذا رجع يقولون له الحج فلان فإن عمر حج وأبو بكر حج وأصحاب رسول الله ﷺ جميعاً حجوا ولم نسمع من يقول الحاج أبو بكر أو الحاج عمر أو الحاج عثمان وإلا فإن الصلاة أعظم من الحج، هل يجوز أن نقول المصلي فلان أو المزكي فلان أو الصائم فلان إن هي إلا ألقاب سميناها ما أنزل الله بها من سلطان، فإذا حج فليخلص النية ولينوي بحجه هذا الحصول على مغفرة من الله ورضوان يوم الحصول على الفوائد التي أعدها الله لمن يقوم بأداء هذه الفريضة وينوي مشاهدة البقاع المقدسة التي شاهدت نزول الوحي الإلهي والتي شاهدت الأنبياء عليهم السلام وهم يمشون يبلغون رسالات السماء ويتعرضون للأذى من هنا ومن هناك لا يخافون في الله لومة لائم حتى أعزهم ونصرهم ونشر دينهم وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

فإذا خرج الحاج بنفقة حلال ويبغي رضاء ذي الجلال، لا يرفع قدماً ولا يضعها إلا وكتب له حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فإذا وصل إلى هناك وطاف حول البيت كان كما يقول رسول الله ﷺ: **{كمن يخوض في رحمة الله}** أي كمن يسبح أو يخوض

في رحمة الله وأنتم تعلمون أن من يسبح في المياه هل يخرج وعليه أوساخ؟

هل يخرج وعليه أوزار؟ فما بالك بمن يخوض في رحمة الله هل يخرج وعليه ذنب أو خطيئة؟ هل يخرج وعليه عقوبة؟ إنه يخرج برحمة الله والملائكة يقولون لمن يدخلون جنة الله برحمة الله هم فيها خالدون يدخلون في الجنة برحمة الله التي يقول فيها رسول الله ﷺ: { **لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ** }[57] فإذا وقفوا على عرفات فهذا يوم المغفرة الأعظم يوم الغفران يوم تجلي الغفور يوم تجلي التواب يوم تجلي العفو عن المذنبين وعن المسيئين وعن الخطائين لأنه يقول في حديثه القدسي: { **يا عِبَادِي إِنَّكُمُ الَّذِيْنَ تُخْطِئونَ بالليلِ والنهارِ وأنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذنوبَ ولا أُبَالِي فاسْتَغْفِرُونـي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي لو لقيتموني بقراب الأرض خطايا [يعني بملء الأرض ذنوب] ثم لقيتموني لا تشركون بي شيئاً غفرت لكم ما كان منكم ولا أبالي** }[58]

إنه هو الغفور الرحيم، إنه يحب التوابين ويحب المتطهرين فإذا وقفوا بين يديه ملبين وقد وضعوا ذنوبهم بين أيديهم وتضرعوا بألسنتهم وقلوبهم إلى خالقهم وبارئهم يرجون رحمته ويطلبون مغفرته يقول الكريم لعباده الملائكة: { **يا ملائكتي انظروا إلى عِبَادِي جَاءُونَا شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُلِ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ جَنَّتِي، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ عَدَدَ الرَّمْلِ أَوْ كَقَطْرِ المَطَرِ أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُوراً لَكُمْ وَلِمَنْ شَفِعْتُمْ لَهُ** }[59]

بل إن الله يتفضل عليهم فيستجيب لهم الدعاء ويتحمل عنهم الحقوق ويباعد بينهم وبين المعاصي ويباعد بينهم وبين الشياطين ولذلك يقول سيد المرسلين ﷺ: { **مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْماً هُوَ أَصْغَرُ وَلاَ أَحْقَرُ وَلاَ أَدْحَرُ وَلاَ أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ** }[60].

لماذا؟ لما يرى من مغفرة الله لعباد الله فيندم على ما فعل لأنه وسوس لهم طول الأعوام وزين لهم الأعمال السيئة طول الأعوام ثم يغفرها الغفور ﷻ في نفس وأقل لأنهم وقفوا بين يديه خاشعين ووقفوا بين يديه ضارعين وقد عبروا عن ذلك في حالهم عندما لبسوا أكفانهم وتجردوا من أفعالهم وتجردوا من دنياهم ووقفوا بين يديه كما يقفون بين يديه في أخراهم، ليس عليهم إلا الملابس البيضاء والكل يتساوى أمام رب الأرض والسماء ...

---

٥٧ رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة.
٥٨ رواه مسلم والحاكم في المستدرك عن أبي ذر.
٥٩ البزار عن ابن عمر.
٦٠ رواه الإمام مالك في الموطأ والبيهقي من طريقه وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله.

لا فرق بين غني ولا فقير ولا رئيس ولا وضيع الكل متساوون أمام الله لا يظهر الفارق إلا بالتقوى وتلك في صدورهم لا يراها إلا الله ولا يطلع عليها إلا الله فإذا وقفوا بين يديه هكذا خاشعين متذكرين لذنوبهم تائبين من أوزارهم غفر الله ﷻ لهم بل يقول ﷺ: {يَغْفِرُ الله للحَاجِّ ولِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ الحَاجُّ}[61]، ويقول ﷺ: {إِذَا أَفَاضَ الْقَوْمُ مِنْ عَرَفَاتٍ أَتَوْا جَمْعاً فَوَقَفُوا، قَالَ: انْظُرُوا يَا مَلاَئِكَتِي إِلَى عِبَادِي، عَاوَدُونِي فِي الْمَسْأَلَةِ، أُشْهِدُكُمْ أَني قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُمْ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنَهُمْ جَمِيع مَا سَأَلَ، وَتَحَمَّلْتُ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ}٦٢

ونحن أيضاً في هذه البلاد وإن كنا لم نوفق للمثول بين يدي الله في هذه الأماكن المباركة إلا أن الله لم يحرمنا من هذا الفضل بل جعلنا شركاء لهم في الأجر إذا وفقنا للعمل بهدي رسول الله والمتابعة لسنته ﷺ فإذا دققنا في إتباع السنة في ذلك اليوم والسنة هي صيام ذلك اليوم وفيه يقول الحبيب ﷺ: { صوم يوم عَرَفَةَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والبَاقِيَةَ } ٦٣ .

ويقول ﷺ: { مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[64]، ويقول ﷺ: { مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هذِهِ الأَيَّامِ، قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ ؟ قَالَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ حَتَّى يُهْرَاقَ دَمُهُ فلم يرجع من ذلك بشئ }[65]

فإذا صمنا في هذا اليوم لله وعشنا في هذا اليوم بأرواحنا وأجسادنا بين يدي الله مستقبلين عظمة الله ومستحضرين توبة الله ومستحضرين أن الله ﷻ تنزه عن المكان ورحمته وسعت كل شئ فستسع جميع بني الإنسان والذين يقفون بين يديه في هذا الزمان يلبون ويضرعون ويصرخون ويستجيرون لأنه ﷻ يغفر الذنوب جميعاً إذا وقفنا بين يدي الله في هذا اليوم على هذه الشاكلة جبر الله كسر قلوبنا وغفر ذنبنا وكنا مشاركين لأهل عرفات في مغفرة الله ﷻ وإن تفاوت الأجر والثواب ولكن حسبنا المغفرة من العلي الوهاب ﷻ .

عباد الله اعلموا أن هذا اليوم يوم عرفة يوم بر ويوم كرم والله ﷻ هو الرب الكريم الذي ليس لكرمه حدود وهو الوهاب الذي ليس لهباته نهاية وهو المنان الذي يعطي ولا يمن

---

٦١ رواه البزار والطبراني في الصغير عن أبي هريرة.
٦٢ الخطيب في المتفق والمفترق عن أنس رضيَ اللَّهُ عنهُ.
٦٣ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري.
٦٤ (ت هـ) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضَي اللَّهُ عنهُ
٦٥ رواه ابن ماجة في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس.

على عباده يعطي بلا حدود ويشمل بعطائه الجميع بشرط أن يكون الجميع في مقام التضرع والخشوع في مقام الإنابة والتوبة لله في مقام السجود بين يدي الله في مقام الرجاء في كرم الله في مقام الخوف من قهر الله وعظمة الله فإذا كنا كذلك شملنا الله برحمته ووسعنا بمغفرته.

قال ﷺ: **{التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}**[٦٦].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. علينا أيضاً في هذه الأيام المباركة عبادات خاصة سنها لنا رسول الله ﷺ من هذه العبادات التكبير لله عقب الصلوات منذ فجر يوم عرفة إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد علينا أن نكبر عقب كل صلاة وألفاظ التكبير: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، إذا صلينا في جماعة نكبر جميعاً وإذا فاتتنا الجماعة فصلينا مفردين علينا أن نكبر أيضاً وإذا صلينا نافلة منفصلة عن الجماعات كبرنا أيضاً ونعلم ذلك لنسائنا ولصبياننا ولكن نعلم نسائنا أن يكبرن بصوت خافت لا يسمعن إلا أنفسهن. أما الرجال فيكبروا بصوت جهوري لأنها أيام تكبير يقول فيها ﷺ **{زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بالتَّكْبِيرِلله}**[٦٧].

فالتكبير هو زينة العيد ليست زينة العيد فيما نفعله من أضواءوفيما نفعله من زينات ولكن كما قال الله ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥البقرة).

أيضاً علينا في هذه الأيام بالأضحية لأنه فيها أجر لا يعلمه إلا الله بين بعضه رسول الله ﷺ حينما قال لابنته فاطمة: **{يَا فَاطِمَةُ قُومِي فاشْهَدِي أُضْحِيَتَكِ فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ، أَمَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا تُوضَعُ فِي مِيزَانِكِ سَبْعِينَ ضِعْفاً. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هذَا لآِلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً، فَإِنَّهُمْ أَهْلٌ لِمَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: لآِلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً}** ٦٨

وقال ﷺ: **{مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ،**

---

٦٦ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
٦٧ رواه الطبراني في الصغير والأوسط والسيوطي في الفتح الكبير عن أبي هريرة.
٦٨ (رواه البزار)

إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً }٦٩

وفى رواية: { قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الأَضَاحِي؟ قَالَ: سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، قَالُوا: مَا لَنَا مِنْهَا؟ قَالَ: بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ، قَالُوا: فَالصُّوفُ؟ قَالَ: بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ }[٧٠] هذا الأجر والثواب لمن يضحي كما كان يضحي رسول الله ﷺ بالشروط التي وضحها رسول الله ﷺ.. فما هي؟

أن يضحي بعد صلاة العيد لقول الحميد المجيد ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٢الكوثر)، ولقول رسول الله ﷺ: { أَوَّل ما نبدأ يومنا هذا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ ننحر، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ، فَقَدْ أَصابَ سُنَّتَنا، وَمَنْ تَعَجَّلَ، فَإِنَّما هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلِهِ }٧١

فلابد أن يكون الذبح بعد الصلاة لمن يريد أن ينال هذا الثواب من الله وأن تكون الأضحية مستوفية للشروط الشرعية لقول الله ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران)، ثم يخرج منها شيئاً للفقراء وشيئاً للأهل والأصحاب على هيئة هدية ويستحسن أن نقسمها إلى ثلاثة (ثلث لأهلك وثلث للفقراء وثلث للأهل والأقارب) وإذا كنت محتاجاً فلا عليك أن تأكلها كلها وأيضاً لك الأجر لأنك فقير ومحتاج.

هذه الأضحية هي سنة عن أبيكم إبراهيم عليه السلام عندما ضحى عن إسماعيل عليه السلام عندما رأى في رؤياه أنه يذبح فتاه ورؤيا الأنبياء وحي من الله ولذلك عندما قال لفتاه ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ وكان الابن يعلم أن رؤيا الأنبياء أمر ووحي من الله فقال ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات)، ثم أخذه بعيداً وقال يا أبتاه انزع قميصي حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي فتحزن على ذلك واجعل وجهي إلى الأرض حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الشفقة فتتردد في تنفيذ أمر الله واشحذ السكين حتى تذبح بسرعة حتى لا أتألم من آلام الذبح فأراد أن ينفذ قضاء الله ووضع ابنه ووحيده بين يديه وقد شحذ السكين وأراد أن يقطع فإذا بالسكين لا تقطع !! وعجب الخليل من ذلك!! وإذا بأمين الوحي جبريل ينزل من السماء بكبش من الجنة .. وبخطاب من ربِّ الأرض والسماء ... بتلغراف عاجل من الله، بعد أن بكت ملائكة الله وقالت يا ربنا كيف تطلب من الخليل أن يذبح وحيده إسماعيل!!! وهو أعلم بما قدر فى سابق علمه!!

---

٦٩ الترمذى وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى اللهُ عنهَا.
٧٠ رواه أحمد وابن ماجه، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
٧١ رواه البخاري ومسلم والبيهقي في سننه عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾ وفداه الله بذبح عظيم فتلك هي سنة إبراهيم ولذلك جعلها رسول الله سنة سارية إلى يوم الدين.

وقد ضحى ﷺ بكبشين أملحين وذبحهما بيده فقد ورد في الحديث الشريف: {كَانَ إِذَا ضَحَّى اشْتَرَى كَبْشَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَإِذَا صَلَّى وَخَطَبَ أُتِيَ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ فِي مَصَلاَّهُ فَذَبَحَهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعاً مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَشَهِدَ لِي بِالْبَلاَغِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالآخَرِ فَيَذْبَحُهُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَنْ آلِ مُحَمَّدٍ فَيُطْعِمُهُمَا جَمِيعاً الْمَسَاكِينَ وَيَأْكُلُ هُوَ وَأَهْلُهُ مِنْهُمَا } [٧٢] فهو ﷺ قد ضحى عن فقراء الأمة حتى لا يحزنوا وحتى لا يجزعوا لقد ضحى عنهم النبي الشفيع ﷺ.

ويسن أيضاً أن نجعل رأسها تجاه القبلة وأن نسقيها قبل الذبح وأن نريحها وأن نشحذ السكين ولا تشحذها أمامها وأن تقول عند الأضحية: (اللهم هذا عن فلان وأهل بيته.. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).

تلك يا أخوة الإيمان بعض أحكام الهدي التي أوجبها الله على المستطيع وعطف رسول الله بالفقراء والمساكين بذبحه عنهم سنة أبينا إبراهيم عليه السلام وما جعله الله إلا للمغفرة أي إلا لننال بها المغفرة والأجر الكريم من الله.

ولا يفوتنا في هذه الأيام المباركة أن نصل أرحامنا وأن نزور أقاربنا لقول رسولكم الكريم {لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا} [٧٣]

وحتى لا يتحجج أحد منا ويقول أنا أحسن إلى أقربائي ولكنهم لايقابلون الإحسان بمثله .. فهل تحسن إليهم أولاً ليحسنوا إليك؟ أم تحسن إليهم إقتداء بسيد الأنبياء ﷺ ورغبة في مرضاة الله؟ هذه واحدة، والثانية فقد أَتَى رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ وقالَ: {يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ} [٧٤] يعني كأنما تطعمهم الجمر الذي يتبقى بعد النار.

فعلينا بصلة ذوي الأرحام لأنها العبادة التي ترضي الملك العلام في هذا اليوم الكريم.

<< ثم الدعاء >>.

---

٧٢ أحمد في مسنده عن أَبي رافعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرها جامع المسانيد والمراسيل
٧٣ رواه أحمد في مسنده والبيهقي في سننه والبخاري في صحيحه وأبو داود عن عبد الله بن عمرو.
٧٤ رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة

الخطبة التاسعة[٧٥]

الحج ومشاهد القيامة

الحمد لله ربِّ العالمين، أكمل على عباده المسلمين المنة وأتم عليهم النعمة وفرض عليهم الحج إلى بيته المكرم. سبحانه، سبحانه جعل هذه الأيام أيام المغفرة من الغفار لجميع المسلمين والمسلمات فمن حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن لم يستطع الحج فليضحي على حسب الشريعة المطهرة فقد قال ﷺ { **يَا فَاطِمَةُ قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَتَكِ، فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ** }[٧٦] فيغفر لمن سافر ويغفر لمن قام ويعم بمغفرته جميع الأنام، فنسأله ﷻ أن نكون ممن تشملهم مغفرته في هذه الأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم في فعاله الكريم في خصاله الذي لا يأمر عباده إلا بما فيه نفعهم في الدنيا وسعادتهم يوم لقائه ﷻ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أظهر ﷻ به مناسك الإسلام وأتم به وعلى يديه نزول الأحكام وجعله ﷺ فارقاً بين الأنام فمن اتبعه واهتدى بهداه سعد في الدنيا ويوم الزحام ومن خالف أمره ولم يمشي على هداه خسر في الدنيا وكان من التعساء يوم لقاء الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا جميعاً العمل بشريعته والموافقة في أعمالنا بسنته واحفظنا جميعاً بلواء حضرته يوم الدين حتى نكون أجمعين من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين نحن وإخواننا وأوالدنا أجمعين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنين.. نحن هنا والحمد لله بأجسامنا بينكم وأرواحنا في هذا الوقت وهذا الحين في بلد الله الحرام مع حجاج بيت الله نتابع خروجهم اليوم من مساكنهم في مكة إلى منى ليصلوا هناك اليوم الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبعد صلاتهم الصبح في يوم الغد يتوجهون جميعاً إلى عرفات الله ﷻ ماذا يستحضرون في أعمالهم؟ إن الشريعة المطهرة أمرت المؤمن والمؤمنة أن يستحضر في كل عمل يعمله بأعضائه وحركات جسمه مشهداً قلبياً يشهد فيه سراً من أسرار حكمة ربه ﷻ.

وسنسوق على حسب المقام بعض ما يشهده حجاج بيت الله الحرام في أداء مناسكهم رغبة في رضا الرحمن ﷻ، في صباح هذا اليوم يغتسلون ويتذكرون بهذا الغسل آخر غسل

---

٧٥ كانت هذه الخطبة بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة يوم الجمعة ٨ من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦/٤/٢٦م.

٧٦ رواه البزار وابن حبان في كتاب الضحايا والأصبهاني عن أبي سعيد.

لهم بعد وفاتهم للقاء ربهم ﷻ ثم يخلعون ملابسهم ويلبسون ملابس الإحرام ويتذكرون بها الأكفان التي يلبسونها يوم يدعوهم الديان ﷻ فإذا خرجوا من ديارهم تذكروا صيحة الله ﷻ عندما ينادي (يا أيتها العظام النخرة ويا أيتها الأعضاء المتقطعة ويا أيتها الشعور المتهالكة اجتمعوا واخرجوا ليوم الجمع) فيتذكروا هذا النداء فيقولون ملبين لله (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك).

وكلمة لبيك يعني جئت إليك مسرعاً طائعاً يا ربَّ العالمين فهي تعني سرعة الإجابة وسرعة التلبية لله ﷻ فإذا وصلوا إلى عرفات تذكروا يوم الميقات ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٢٥آل عمران) ، وقد تسارع الجميع لا شهرة لغني ولا ظهور لفقير ولا مكان مخصص لأمير أو وزير بل الكل سواسية أمام العلي الكبير ﷻ، ملابس واحدة وفي مكان واحد وألسنة مختلفة وأصوات متنوعة ووجوه متباينة كأنه يوم الحشر فيضرع الإنسان إلى الله إذا تذكر يوم العرض على الله وعلم أن هذا هو اليوم الذي سيحاسبه فيه مولاه على ما قدمت يداه فيسارع إلى التوبة ويبكي بدموع الندم على الذنوب ويضرع إلى الله ﷻ أن يتغمده بغفرانه وأن يشمله بعفوه ورضوانه.

ولذا قال ﷺ: { **أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن إن الله لم يغفر له** }[٧٧]، ثم يدعوهم الله ﷻ بعد خروجهم واعترافهم على عرفات بذنوبهم للقاء حضرته، فيتذكر الحاج بالذي يقطعه على الله والذي يباعد بينه وبين طريق الله وهو إبليس اللعين فيرجم الجمرات كأنه يعلن البراءة من وسوسة إبليس ومن تلبيس إبليس ويتذكر أن النفس تعوقه في مهمته فيسارع إلى إراقة الدماء وكأنه يقول يا ربَّ إن لم يكن يرضيك إلا قتل نفسي في سبيل مرضاتك فها أنا ساعي في مرضاتك بكل ما أستطيع ثم يذهبون إلى بيت الله الحرام والله ﷻ لايحده بيت ولا يحيط به مكان ولكنه مثال جعله الله لنتذكر به يوم العرض على الله ﷻ، فيتذكر وقوفه بين يدي مولاه عندما يطوف ببيت الله ﷻ وكيف يكون موقفه وكيف يكون شأنه في يوم يقول فيه سيد الأولين والآخرين ﷺ: { **إن الوجوه لتتهدل حتى لا يكون عليها مزعة لحم من شدة الخجل والحياء من الله ﷻ** } هذا للمسرفين والعصاة والمذنبين أما المؤمنون الصالحون ففيهم يقول رب العالمين جل وعلا فى محكم التنزيل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ (٢٢، ٢٣القيامة).

ثم يطوف ويمشي بين الصفا والمروة ويتذكر مشيه بين كفتي الميزان فالصفا إشارة إلى

---

٧٧ قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، كشف الخفاء

كفة الحسنات والمروة إشارة إلى كفة السيئات وهو يمشي بينهم يتهادى تارة ويسرع أخرى ويتعشم أن تثقل كفة حسناته ولو بحسنة واحدة حتى يكون فيمن قال فيهم الله ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥آل عمران).

هذه باختصار شديد بعض المعاني التي يستحضرها الحجيج لكي يغفر الله لهم ويقول لهم انصرفوا لقد غفرت لكم وقد أكرم الله ﷻ المسلمين أجمعين في هذا اليوم ووعدهم بالمغفرة وقد قال ﷺ: {خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ}٧٨ لم يقل دعاء المؤمن على أرض عرفة لكنه جعل دعاء يوم عرفة لمن هناك ولمن هنا على أن يشاركهم في حالهم ويهيئ نفسه لاستحضار أحوالهم ولذلك دعا النبي ﷺ المؤمنين والمؤمنات إلى صيام هذا اليوم وقال في شأنه: { صومِ يومِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضيَةَ والبَاقِيَةَ }٧٩

لأن الصيام يقوي الاستحضار ويقوي الناحية الروحانية فيعيش المؤمن في هذا اليوم في أي زمان وفي أي مكان وكأنه على عرفات الله ﷻ مع الحاج يدعو الله أو يتلو كتاب الله أو يستغفر الله أو يبتهل ضارعاً إلى الله المهم ألا يشغل نفسه في هذا اليوم إلا بطاعة الله ﷻ فإذا أكرم الله الحجيج بإجابة الدعوات كان دعاؤه معهم وإذا أكرمهم الله بغفران الذنوب غفر الله ﷻ له معهم وإذا تفضل عليهم بشئ من الرحمات عمته الرحمة معهم لأنه شاركهم بنفسه وبروحه وإن لم يستطع أن يشاركهم بجسمه.

ويشهد لذلك قول رسولكم الكريم ﷺ فيما يرويه الإمام البخاري عندما توجه بجيشه إلى تبوك ببلاد الشام ووقف هناك وقال لمن حوله: { إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَقَوْماً، مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً، إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ. حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ }٨٠ ولأن العذر حبسهم فقد شاركوا إخوانهم في أجورهم وفي مكافآتهم وفي كل أحوالهم.

هكذا الأمر يا جماعة المؤمنين لمن حبسهم العذر عن الذهاب إلى بيت الله لكنه عاش في هذه الأيام بروحه وبنفسه وبعقله وبقلبه وبكله في هذه البقاع المباركة حتى أنه عندما ينام من شدة شوقه لهذه الأماكن قد يجد نفسه يطوف بالبيت أو يسعى بين الصفا والمروة أو يقف على عرفات لشدة شوقه إلى هذه الأماكن المباركات فدعانا النبي ﷺ إلى أن نصوم هذا اليوم وإلى أن نكبر الله ﷻ من صبح الغد وهو يوم عرفة إلى عصر يوم الرابع من أيام العيد.

---

٧٨ رواه الترمذي في سننه عن عمر بن شعيب ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمرو ﷺ.
٧٩ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ.
٨٠ رواه البخارى وأحمد عن أنس ﷺ

نكبر الله بعد كل صلاة سواء صلينا في جماعة أو صلينا فرادى الرجال والنساء وإن كانت النساء تكبر بصوت خافت والرجال بصوت عالي لكن الكل يكبر الله عقب كل صلاة سواء كانت فريضة أو سنة فمن صلى ركعتي الضحى عليه أن يكبر في هذه الأيام حتى لو حضرتنا جنازة في هذه الأيام علينا بعد الانتهاء من صلاة الجنازة أن نكبر الله ﷻ: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥البقرة).

قال ﷺ: { مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمَاً هُوَ أَصْغَرُ وَلاَ أَحْقَرُ وَلاَ أَدْحَرُ وَلاَ أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ }[٨١]، وقال: { ما مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلَ اللهُ تَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَلَمْ يُرَ يَوْمُ أَكْثَرُ عِتْقاً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ }[٨٢]، وقال ﷺ ايضاً: { صوم يوم عَرَفةَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والبَاقِيَة }٨٣.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي هدانا لهذا الفضل ولهذا البر وجعلنا من عباده المؤمنين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كرمه لا يحد ونعمه لا تعد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله إمام الهدى ونبي المتقين وقائد الغر المحجلين يوم لقاء رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا ايها الأخوة المؤمنون.

يكرم الله ﷻ عباده المؤمنين في هذه الأيام بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالمؤمن الذي يقتدي بنبي الله إبراهيم ونبي الله إسماعيل يشتري أضحية بشروطها الشرعية إن كانت من الماعز يشترط أن يكون مرّ عليها عامين وإن كانت من الأغنام يشترط أن يكون مرّ عليها ستة أشهر وإن كانت من الأبقار يشترط أن يكون قد مرّ عليها سنتين وإن كانت من الجمال يشترط أن يكون قد مر عليها خمس سنوات ... وألا تكون بها عيوب ... لا عوراء ..ولا جرباء .. ولا هزيلة .. ولا مريضة .. ولا مشقوقة الأذن ولا مكسورة القرن .. لأن المؤمن لا ينال البر حتى يعطي أفضل ما يحب لله ﷻ .....

---

٨١ رواه الإمام مالك في الموطأ والبيهقي من طريقه وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه.
٨٢ صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه.
٨٣ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

وأن يكون ذلك بعد صلاة العيد وسماع الخطبة لقوله ﷻ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٢الكوثر)، ويجوز أن نذبحها في أول يوم أو ثاني يوم أو ثالث يوم على أن يذبح بالنهار ويكره الذبح بالليل وأيضاً لا يعطي الجزار شيئاً منها على سبيل الأجرة كما يفعل الكثير منا يحضر الجزار فيذبح الأضحية ثم يحمل الجلد على كتفه ويخرج على أنه أجرته ..هذا ممنوع.

فقد قال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه: { **أَمَرَنِي رَسُولُ اللّهِ أَنْ أَقُومَ عَلَىٰ بُدْنِهِ. وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا. وَأَنْ لاَ أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا. قَالَ: نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا** }٨٤

ماذا نفعل بالجلد؟ يمكن أن نبيعه ونتبرع بثمنه لأي مشروع من مشروعات الخير أو عمل من أعمال البر فإذا وفى المسلم بهذه الشروط خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وليس هذا فقط بل قال ﷺ: { **لصاحبها بكلِّ شعرةٍ حسنةٌ، ويُرْوَى بِقُرُونِها** }٨٥

من يستطيع أن يعد؟ { **ولكم بكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان بقرونها وأظفارها ولحومها ودمائها فطيبوا بها نفساً وأبشروا** }.

ثم ماذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: { **إسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِرَاطِ** } ٨٦ أى هي الركوبة التي تكرها على الصراط يوم القيامة إن شاء الله.

فالأضحية سنة على الموسر يفعلها في عمره كله ولو مرة لكن لا يجب في سبيلها أن تحدث المشكلات في البيوت كأن نريد أن نضحي حتى لا نكون أقل من الجيران !!! ولا يجب أن يستدين المرء ليضحي لله ﷻ !! فالذي معه سعة عليه أن يضحي خوفاً من قول رسول الله ﷺ: { **مَنْ وَجَدَ سَعَةً لأَنْ يُضَحيَ فَلَمْ يُضَح فَلاَ يَحْضُرْ مُصَلاَّنَا** }٨٧ لكن الذي ليس معه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لأن المؤمن لا يعمل العمل إلا لله فإذا ضحى فإنما يضحي طمعاً في ثواب الله ورغبة في رضاء الله لا سمعةً بين جيرانه ولا شهرةً بين أقرانه.

و قد يحدث في البيوت ما لا تحمد عقباه من هذا أن الزوجة قد تصرّ على الأضحية ولو شكى لها الزوج ألف عذر لا ترحمه لأنها تقول له كيف أقابل الجيران وأتحدث مع الإخوان وليس عندنا أضحية؟ وهذا لا يرضي الرحمن ﷻ، فالمؤمن لا يعمل إلا لله ولا يعمل إلا ابتغاء ثواب الله وطلباً لرضوان الله ﷻ .

---

٨٤ صحيح مسلم
٨٥ رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن زيد بن أرقم
٨٦ رواه السيوطي في الكبير والديلمي عن أبي هريرة
٨٧ رواه ابن ماجة في سننه وروواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة.

لكن المؤمن الذي ليس معه سعة عليه أن يحاول أن يضحي ولو مرة واحدة في عمره كله وهذا ليس بالصعب العسير ليحصل على هذا الثواب يغفر الله له ولأهل بيته وتوضع بكل ما فيها في كفة حسناته ويكون له ركوبة يركبها على الصراط يوم لقاء الله هذا فضلاً عن متابعته لسنة سيد الأنبياء وإمام الأنبياء سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا إبراهيم عليه السلام.

فإذا ضحى فإن الأضحية يصلح شأنها ويرفع ثوابها أن يعطي المرء منها للفقراء والمساكين وعليه أن يتحرى في ذلك فإن كثيراً منا يعطي السائلين وكثيراً منهم ليسوا محتاجين وإنما يستكثرون من هذا الخير لعلمهم أن الناس يعطون من سألهم لكن المؤمن يتحرى موضع صدقته وخير موضع يضعها فيه الموظف الذي عنده أولاد ودخله لا يكفيه.

كيف يعطيها له؟ إن هذا أمر لو هدى الله ﷻ العبد له لألهمه بالطريقة السليمة الرشيدة التي يستطيع بها أن يضع صدقته في موضعها لقد قال ﷺ: { **لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ. وَلاَ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ. إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ أبا العيال** }[88].

وقال الله ﷻ واصفاً الفقراء الذين يبحث عنهم الأغنياء ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لا يقدر أن يمد يده لأحد ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة) ، لا يشكو فقره إلا إلى ربه ﷻ ...

مثل هذا يجب علينا أن نغنيه في هذا اليوم فإن السائل الذي يمد يده إلي وإليك تعلمون جميعاً أنه يملأ ثلاجات العمارة كلها بما تسوله من اللحوم. أما الفقير المتعفف فقد لا يستطيع إحضار كيلو واحد من اللحم لأولاده في هذا الوقت ولا يستطيع أن يمد يده ولا تطاوعه نفسه أن يسأل لأنه رجل عفوف النفس قوي الإيمان وهذا الذي يجب علينا أن نبحث عنه جميعاً أيها المؤمنون.

وإياك أخي المسلم .. أن تقول أنه ليس بموجود أو أنه أصبح مفقوداً بل موجود وكثير، ولا يغرك المظهر ولا يغرك الشأن العام ولكن ابحث في جوهر الناس وتحسس في طلبات الناس بلا تجسس والتماس عورات ولكن ابحث عن الفقير المتعفف ذو العيال الذى اغلق بابه وكف لسانه وسأل ربه وليسوا الذين سدوا ابواب الطرقات وغصت بهم باحات المساجد وإن أغلبهم لتجار كما نهر عمر رضي الله عنه أحدهم لما رآه يسأل المرة تلو المرة فقال له إنك لتاجر.... فلنبحث عن المتعففين المحتاجين لنضع الصدقة في موضعها الحقيقي. << ثم الدعاء >>.

---

٨٨ رواه ابن ماجة في السنن والسيوطي في الكبير عن عمران بن حصين.

الخطبة العاشرة[٨٩]

ســـــرُّ خلَّة أبينا إبراهيم عليه السلام

الحمد لله ربِّ العالمين يكرم عباده المتقين ويعز عباده الصالحين ويمنحهم ما فيه عزهم في الدنيا والسعادة في يوم الدين.

سبحانه، سبحانه! قرن العطاء بالابتلاء فيبتلي أحبابه ليعطيهم ويجزل لهم العطاء ويمتحنهم ليرفع قدرهم ويظلهم تحت ظل عرشه يوم اللقاء سر قول خاتم الأنبياء ﷺ: {إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً ابْتَلاَهُ، وَإِذَا أَحَبَّهُ الْحُبَّ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ}٩٠.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين والآخرة إلا لمن أحب، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذي صب عليه مولاه البلاء صباً ثم قال له ﷺ ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل)، ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٣٥الأحقاف)، يعني لابد أن يكون صبرك وحدك مثل صبر أولي العزم جميعاً من الرسل والأنبياء.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم الدين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. ونحن في يوم من أيام خليل الله عليه السلام وقد كان هذا اليوم يوم استجابة من الله ﷻ لخليله إبراهيم حيث طلب من الله ﷻ أن يجعل له لسان صدق في الآخرين يعني يذكرونه ويشرحون سيرته ويتعظون بمسيرته ويتأسون بسنته إلى يوم الدين فما من نبي إلا ونذكره سنة وننساه سنين أو نذكره وقتاً قد يطول وقد يقصر إلا نبي الله إبراهيم فلابد أن نذكره كل عام ولابد أن نحكي قصته كل عيد أضحى. لماذا؟ استجابة لقول الله ﷻ ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ (٨٤الشعراء) . هذا النبي الكريم اسمه خليل الله. لماذا سمي بهذا الاسم؟ روى البخاري ومسلم أن خليل الله إبراهيم عليه السلام خرج كعادته يوماً يبحث عن الضيفان وكان لا يأكل إلا مع ضيف ويمكث يوماً بل أيام بدون أكل حتى يعثر على ضيف ليأكل معه وكان يمشي الأميال باحثاً ذات اليمين وذات الشمال عن الضيف لما علمه من أجر إكرام الضيف عند الكريم ﷻ. فذهب يوماً وعاد ولم يجد أحداً ثم دخل المنزل

---

٨٩ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة – مركز السنطة – غربية يوم الجمعة ١١ من ذي الحجة ١٤١٢هـ الموافق ١٢/٦/١٩٩٢م.

٩٠ رواه الطبراني في الكبير عن أبي عتبة الخولاني.

فوجد رجلاً جالساً في منزله فقال له: لم دخلت المنزل بدون إذن سيده؟ قال: قد أذن لي رب الدار. قال: من أنت؟ قال: أنا ملك أرسلني الله ﷻ ليبشر رجلاً من عباده بأنه خليل الله ﷻ. قال: دلني على هذا الرجل فوالله لو دللتني عليه ثم كان في أقصى بقاع الأرض لذهبت إليه وعشت معه حتى ألقى الله ﷻ. قال: إنه أنت، قال: أنا. أنا وأخذ يكررها مبهوراً متعجباً فرحاً مستبشراً. قال: ولم؟

قال: لأنك تعطي لله ولا تسأل الناس شيئاً وانتهى الملك من بشارته. وإذا بملك الملوك ﷻ يفتح بابه لإبراهيم ويوحي إليه يا إبراهيم تعلم لم اتخذتك خليلاً؟ قال: لا يا رب. قال: لأنك جعلت جسدك للنيران، وولدك للقربان، ومالك للضيفان، وقلبك للرحمن ﷻ.

فلم يأخذها بالفهلوة ولم يأخذها بالنصب والاحتيال ولم يأخذها بطريق مفروش بالورود ولكنه طريق صعب طويل في سبيل الدعوة إلى الملك الجليل ﷻ. بدأ هذا الطريق مع أبيه أولاً حيث كان أبوه هو الذي يصنع الآلهة ويبيعها للناس ليعبدوها من دون رب الناس ﷻ. فطلب منه أن يذهب إلى السوق ليبيع هذه الآلهة فنفذ الأمر وذهب إلى السوق وأخذ ينادي عليها ساخراً متهكماً ويقول: الإله الذي لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر بكذا !! فنقل الناس الخبر إلى أبيه فجاء إليه مسرعاً وقال: ماذا تفعل؟ - لأنه يحارب دين أباه - فقال: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (٤٢مريم)، فلما اعترض على موقفه طرده من بيته فخرج غير نادم على ما حدث لأنه نذر نفسه لله ﷻ وقال كما قال الله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ (١٦٢، ١٦٣الأنعام) .

ثم أخذ يدعو قومه بالحكمة تارة وباللين تارة وبالجدال تارة فيذهب إلى من يعبدون النجوم وهم كثير في بلده الأولى العراق ويسمون الصابئة وجلس معهم ليلة طويلة عريضة وقال لهم: ماذا تعبدون؟ قالوا: هذا. وأشاروا إلى نجم فانتظر حتى أفل النجم، وقال: إني لا أحب الآفلين. ثم أشاروا إلى القمر فجلس معهم حتى طلع الصباح وكسف ضوء القمر فقال أيضاً: إني لا أحب الآفلين ثم طلعت الشمس فقال متهكماً: أظن أن هذا إله أكبر فنورها أسطع وحجمها أكبر وإشراقها أوسع ثم جاورهم حتى غابت الشمس وأقام عليهم الحجة بأن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر وإنما الإله الحق هو رب العالمين ﷻ .

فما كان منهم إلا أن أخذوه إلى النمروذ ملكهم وكان قد طغى وبغى وأدعى الألوهية. قال: يا إبراهيم هل علمت لك من إله غيري؟ ألك رب سواي؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت ولم يعبأ بسلطانه ولم يهتز لصولجانه ولم يهب من كثرة جنوده مع أنه من الملوك المعدودين

الذين ملكوا أكثر البسيطة الأرضية إلا أن الإيمان ثبت قلبه وقوى فؤاده. فقال النمروذ: أنا أحيي وأميت. قال: كيف؟ فجاء برجلين حكم عليهما بالقتل وأشار إلى حاشيته وقال: اقتلوا هذا. ثم أشار إلى الآخر وقال: أنا عفوت عن هذا أنا أحييته وأعطيته حياة جديدة.

وظن أنه كسب الجولة فإذا بإبراهيم الذي علمه العليم الحكيم يأتيه بقاصمة الظهر ويقول له ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ (٢٥٨البقرة)، واحتار في الأمر وتروى وتدبر ثم أطلق سراحه بعد أن أمر الجميع أن لا يكلموه ولا يحدثوه ولا يستمعوا إليه ولكنه أصر على أن يكمل رسالته مع الله ﷻ. فخرجوا في يوم عيدهم وأرادوا أن يخرج معهم، فقال: إني سقيم أي إني مريض من كفركم وشرككم بالله ﷻ وصمم على أن يأتي لهم بمصيبة جديدة تلفت نظرهم إلى الله فجعلهم يتوجهون إلى حضرة الله فخرجوا وتركوه وحيداً عند بيوتهم.

فخرج إلى الأصنام وحطمها جميعاً ثم وضع الفأس على رأس كبيرهم. فلما رجعوا ووجدوا ما حدث ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥٩الأنبياء)، قالوا: ومن يكون إلا إبراهيم لأنه الوحيد الذي يعيب علينا عبادة هذه الآلهة ويسخر بها ويستهزأ بها فجاءوا به وقالوا: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (٦٢، ٦٣الأنبياء)، وأشار إلى أصبعه الأكبر (يعني أن يده هذه هي التي فعلت) وأشار بيده إلى الصنم الأكبر لأن الأنبياء لا يكذبون في مزاح ولا في لهو ولا في شئ لأن الله ﷻ ثبتهم على الحق. فقال: بل فعله كبيرهم هذا وهو يقصد إصبعه الأكبر وهم يظنون أنه يقصد الصنم الأكبر ثم أخذ يجادلهم، وبعد ذلك علموا أنه على الحق وإنهم على الباطل ومع ذلك أخذتهم العزة بالإثم فدبر النمروذ أمره بأن يلقيه في النار ... وبدأو التجهيزات لذلك...

وأخذوا يجمعون الحطب واستمروا في جمعها لمدة ستة أشهر حتى أن المرأة التي كانت تتعسر في وضعها كانت تنذر أنها إذا وضعت تحضر حطباً لإحراق إبراهيم والتي مرض ولدها تنذر أنه إذا شفى تجمع الحطب لحرق إبراهيم حتى جمعوا حطباً يحرق مدينة من الناس وليس رجلاً وإن كان سماه الله أمة ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (١٢٠النحل).

ثم أوقدوا النار وأشعلوها وبعد اشتعالها لم يستطيعوا أن يقتربوا من النار لشدة حرارتها وقالوا كيف نلقيه فيها ونحن لا نستطيع أن نقترب منها وإذا بإبليس اللعين ينزل في صورة آدمية ويرشدهم لعمل المنجنيق وهي آلة كالمقلاع تقذف الأشياء لأماكن بعيدة ووضح لهم كيف يضعوه فيها بأن يصعدوا على قمة جبل ومعهم المنجنيق ثم يضعوا فيه إبراهيم بعد تكتيفه بالحبال ويقذفونه في وسط النيران.

وهنا ضجت ملائكة السموات يقولون: (يا ربنا عبدك إبراهيم لا يعبدك في الأرض سواه فما كان من الجليل إلا أن قال لهم: إذا كان قد استعان بكم فأعينوه أي فهل استغاث بكم؟ فقال سيدنا إسرافيل: يا ربَّ مرني أن انزل الأمطار على النار لتطفأها على الخليل. فقال الجليل ﷻ: إذا استغاث بك فاغثه.

وقال الأمين جبريل: يا ربَّ عبدك إبراهيم. قال: انزل فإذا سألك حاجة فاعطها له. فترل جبريل على إبراهيم وقال يا خليل الله ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: إذا كانت إلى الله فاطلبها من الله أبلغها إلى الله. فقال: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

فوضع جبريل إصبعه في الأرض فنبعت عين ماء ومد يده في الجنة فجاء بشجرة تفاح ووضعها بجوار الماء وجاء بأريكة من الجنة وفرشها بجوار الماء تحت الشجرة وكان في النار كما قال لها الواحد القهار ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٦٩الأنبياء) .

فلم تحرق النار إلا أحباله وقيوده التى قيدوه بها حراً فريداً يجلس على الأريكة في ظل الشجرة يأكل التفاح ويشرب الماء ويذكر الله ﷻ لمدة شهرين كاملين في هذه النار حتى اطفأت فقد استمرت موقدة لمدة شهرين كاملين .

ولكن القوم عندما رأوه تعجبواو قال النمروذ في جبروته وعتوه: من تعبد يا إبراهيم؟ قال: أعبد الله ﷻ. قال: إنه إله كريم يستحق أن اذبح له مائة بدنة فنحر مائة بقرة لله ولكن الله لم يتقبلها منه لأنه لم يؤمن بالله ﷻ. قال الخليل: إن الله لا يريد بدناتك ولكن يريد أن توحده ويريد أن تعبده ويريد أن تعرفه وهو غني عنك وعن بدناتك جميعاً واستمر يدعو الله ويدعو هؤلاء القوم إلى عبادة الله ﷻ ولكنه في النهاية زاد غرورهم وعتوهم بل إنهم في النهاية أصدروا أمراً بطرده من البلاد فقال ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (٩٩الصافات) .

هذا الخليل ألقى جسمه في النيران وقدم ولده قرباناً لحضرة الرحمن وكان ماله كله للضيفان حتى أن الرحمن يحكي لنا أنه جاءه رجلان فماذا فعل؟ اثنين يكفيهما نصف دجاجة لكنه كما قال الله ﴿ جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦٩هـود)، جاء بعجل سمين. جاء بعجل حنيذ يعني مشوي شواه لهم لأنه كان كريماً مع الله ﷻ. فقالوا له: يا إبراهيم لا نأكل طعامك إلا إذا دفعنا الثمن. قال: الثمن الذي أطلبه منكم أن تذكروا الله أوله وتحمدوه في آخره. فقالوا: صدق من سماك الخليل.

بل أنه مشى ذات يوم وقد تعجبت ملائكة الله من أحواله. فاختار الله منهم نفراً وأمرهم أن يترلوا لاختباره بعد أن نما ماله وكان كثير وكثير فترلوا وذكر واحد منهم الله بصوت شجي يطرب السامعين فقال الخليل: أعد علي ذكر الله الذي ذكرته آنفاً. قال: لا

أعيد حتى تعطيني ما أريد. قال: وماذا تريد؟ قال: تعطيني وادياً مملوءاً بالغنم من أغنامك وكان له وديان كثيرة مليئة بالأغنام لأنه أبو الضيفان كما سماه الرحمن ﷻ.

فماذا قال للملك؟ قال: اسمعني ذكر ربك ولك كل ما ملكت من أودية مملوءة بالجمال أو الأبقار أو الأغنام فضجت الملائكة في السموات وقالوا: صدق الله إذ سماك الخليل، لأنه مع أن الله أعطاه المال الكثير إلا إنه لم ينشغل به عن ذكر العلي الكبير ﷻ.

اختبره الله بعدم الإنجاب فلم ينجب إلا بعد ثمانين عاماً مضت من عمره ولم يتغير ولم يتبدل. اختبره الله في زوجه حيث سلط عليها فرعون مصر ولكنه لم يتغير قلبه. اختبره الله بعد أن أعطاه الولد بعد هذا العمر الطويل وأمره بأن يبعده ويضعه في مكان قفر لا زرع فيه ولا ضرع فيه ولا ماء فيه ولا أنيس فيه وهو في كل ذلك لا يتغير قلبه طرفة عين عن خالقه وبارئه ﷻ فما كان من الله بعد أن نجح في كل هذه الابتلاءات ونجا من كل هذه الامتحانات إلا أن جعله أباً لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا ووفقه الله لأعمال الفطرة التي لم تظهر إلا على يديه.

كيف ذلك؟كان أول من اختتن من الرجال، واختتن وهو ابن مائة وعشرون عاماً بقادوم بعد أن أمره الله بالاختتان. والاختتان يعني الطهارة وكان أول من نظف فاه.

وكان أول من استنشق بالماء وأول من لبس السراويل يعني ساتر العورة والبنطلونات حتى لا تظهر عورته وأول من ظهر الشيب في رأسه فقال: ما هذا يا رب؟ قال: هذا وقار يا إبراهيم. قال: يا ربَّ زدني وقاراً. قال: يا إبراهيم إني استحي من رجل شاب في الإسلام أن أعذبه بالنار، وكان عليه السلام أول هذه الأمة في حج بيت الله الحرام كما أمر الملك العلام فهو الذي بنى البيت وهو الذى نسك مناسك البيت.

وكلما طاف الحجيج بالبيت وكلما سعوا بين الصفا والمروة وكلما وقفوا على عرفات وكلما رموا الجمرات وكلما شربوا من زمزم تذكروا بذلك إبراهيم الخليل وولده إسماعيل وزوجته هاجر وذلك كله تكريماً لإبراهيم عليه السلام لأن الله ﷻ اختاره واصطفاه.

قال ﷺ عندما قيل له أنت أكرم الخلق على الله قال: { **ذاك إبراهيم عليه السلام إنَّ الكَرِيمَ ابْنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بنِ إسْحَاقَ بنِ إبراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمنِ عَزَّ وَجَلَّ** }[٩١]

وقال ﷺ: { **أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبْطِيَّتَيْنِ، ثُمَّ يُكْسَى**

---

[٩١] رواه البخاري وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والترمذي في سننه والنسائي في سننه عن ابن عمر.

مُحَمَّدٌ حُلَّةً خَيِرَةً وَهُوَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ }٩٢

وقال ﷺ: {التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}[٩٣].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. لقد كان لكم في إبراهيم خليل الله أسوة حسنة وفي محمد ﷺ أسوة كريمة فإن الله ﷻ اختارنا للإسلام والإيمان وجعلنا جميعاً عباد الرحمن وقد قال ﷺ: { **قال الله ﷻ للدنيا يا دنيا مري ولا تحلولي لعبادي الصالحين حتى لا ينشغلوا بك عني** }[٩٤] فإن الله ﷻ عندما يغلي علينا الأسعار أو يصيبنا ببعض الأمراض أو ياتي لنا ببعض الهموم ويعفي من ذلك الفجار والكفار !!!! فإن ذلك شأن عجيب؟

فهم كما ترون ينعمون بالمال وينعمون بالخيرات وينعمون بالحياة الدنيا لأن الأمر كما قال ﷺ: { **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ** }[٩٥] ﴿ **أولئك عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا** ﴾ أما أنتم معشر المؤمنين فإن الله يريد أن يرفع درجاتكم ويريد أن يغفر زلاتكم ويريد أن يستر عيوبكم ويريد أن يطهر قلوبكم.

فكلما أسرف العبد منا على نفسه في الخطايا جاءه الله ببلاء قريب ويعينه عليه ليغفر له به هذه الذنوب فإذا أصيب بمرض فصبر عليه ولم يشكو ورد فى الأثر: { **مرض يوم يكفر ذنوب سنة** }، وقال الله ﷻ في حديثه القدسي: { **أَبْتَلِي عَبْدِي الْمُؤْمِنَ، فإذَا لم يَشْكُ إلى عُوَّادِهِ ذلِكَ، حَلَلْتُ عنهُ عِقْدِي، وأَبْدَلْتُهُ دماً خيراً من دمِهِ، وَلَحْمَا خيراً من لَحْمِهِ ثم قلتُ له: إئتنِفِ العَمَلَ** }٩٦.

فإذا أصابه هذا المرض كان تكفيراً لخطاياه أو رفعة لدرجته عند الله فإن لم يصبه بالمرض أصابه بهم المعاش أو أصابه بهم الأولاد أو أصابه بنكد من الزوجة أو يصاب بأي شيء من

---

٩٢ رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده عن ابن عباس.
٩٣ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
٩٤ رواه صاحب مسند الشهاب عن ابن مسعود.
٩٥ رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة
٩٦ سنن البيهقى الكبرى عن أبي هريرة

أشياء الدنيا وكل هذه الأشياء يقول فيها نبيكم الكريم ﷺ: {لا يُصيبُ المرءَ المؤمنَ مَنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍ ولا حُزْنٍ ولا غَمٍ ولا أذىً حتى الشوكةُ يُشاكُها إلا كَفَّرَ اللهُ عنهُ بها خَطايَاهُ}[97] كل هذه تكفير لنا يا عباد الله.

ولذلك أمرنا الله أن نقول ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ (٥١التوبة).

لم يقل إلا ما كتب الله علينا لأن الذي كتبه الله لنا الأجر والثواب والخير والفضل الكثير لكن لو قال إلا ما كتبه الله علينا فالذي يكتبه علينا الأوزار والذنوب والعيوب والمخالفات فكل من ابتلاه الله فإنما يبتليه ليرفع شأنه وليقيمه في مقام الصالحين وليلحقه بالنبيين. فقد ورد:

{ عن مُصْعَبِ بنِ سعد عن أبيه، قالَ: يا رسولَ اللَّهِ، مَنْ أشدُّ الناسِ بَلاءً؟ قالَ: «الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ فالأمثلُ، يُبْتَلَى العبدُ على حَسَبِ دينِهِ، فما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعبدِ حتى يَدَعَهُ يَمْشي على الأَرْضِ وما عليهِ خَطيئةٌ }[98] وورد أيضاً أنه:

{ دَخَلَ سعيدٍ الخُدْرِيُّ عَلَى رسولِ الله وهو مَوْعُوْكٌ عليه قَطِيْفَةٌ، فَوَضَعَ يَدَهُ عليهِ فَوَجَدَ حَرَارَتَهَا فوقَ القَطِيْفَةِ، فقالَ أبو سعيدٍ: ما أَشَدَّ حَرَّ حُمَّاكَ يا رسولَ الله، فقالَ رسولُ الله: إنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا البلاءُ، ويُضَاعَفُ لنا الأَجْرُ، ثم قالَ: يا رسولَ الله مَنْ أَشَدُّ الناسِ بلاءً، قالَ: الأنبياءُ، قالَ ثم مَنْ، قالَ: ثم العُلَمَاءُ، قالَ ثُمَّ مَنْ قالَ: ثم الصَّالِحُونَ، كان أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بالفَقْرِ حتَّى ما يَجِدُ إلاَّ العباءَةَ يَلْبَسُهَا، ويُبْتَلَى بالقَمْلِ حتَّى يَقْتُلَهُ، ولأَحَدُهُمْ أَشَدُّ فرحاً بالبلاءِ من أَحَدِكُمْ بالعطاءِ }[99]

لماذا؟ لأن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة لله ﷻ.

والإنسان كما أخبر الديان ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾ (٦- ٧العلق) ، عندما يرى جسمه صحيحاً وماله كثيراً وولده حوله يغتر بل ربما يطغى بل ربما يفسد في الأرض فمن رحمة الله بعباده المؤمنين أن يكدرهم بهذه الآلام ويفكرهم بهذه المصائب حتى لا ينسوا فضل الله وحتى لا يغفلوا عن طاعة الله وحتى يظلوا طوال عمرهم معتمدين أولاً وآخراً على جميل فضل الله وعلى كريم صنع الله ويعلموا بأن الأمر في الأولى والآخرة متوقف على جناب الله وعلى عطف الله فيشكرون الله ﷻ ... << ثم الدعاء >>.

---

٩٧ رواه البخاري وابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة.
٩٨ صحيح ابن حبان
٩٩ سنن البيهقي الكبرى

الخطبة الحادية عشرة[100]

فضائل يوم عرفة

الحمد لله ربِّ العالمين أكمل على عباده المؤمنين المنة وجعل لهم عيدين في يوم واحد ليشملهم جميعاً بكرمه ومغفرته وجوده وإكرامه.

سبحانه، سبحانه يعطي لا من قلة، ويغفر وليس لعلة وإنما يعطي عطاءاً لا ينفد ويغفر للقريب وللمبعد لأنه ﷻ غفار الذنوب وستار العيوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله بالجود معروف وبالكرم موصوف. لو وقف الخلق جميعاً على حياض حضرته فسألوه من خيره وبره وفضله وكرامته فأعطى كل سائل مسألته ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا وضع في البحر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله اختاره الله ﷻ لكمال رسالته ولإتمام شريعته وجعل له عيدين لتحتفل العوالم كلها معه ﷺ بتمام الدين وأنزل عليه في هذا اليوم الأغر الميمون ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣المائدة).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي بلغ عن الله فأحسن البلاغ وأدى عن الله فأحسن الأداء، واجزه يا الله عنا خير الجزاء واحشرنا في زمرته يوم اللقاء واجعلنا تحت لواء شفاعته أجمعين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله ... تفضل الله ﷻ على المؤمنين أجمعين سواء الحجاج أو المعتمرين أو المقيمين في بلدانهم مثلنا تفضل الله على الجميع بهذا اليوم فجعل يوم عرفة يوافق يوم الجمعة وقد قالت اليهود لعمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه لقد نزلت عليكم آيه لو نزلت علينا لجعلنا يومها عيداً. قال: وما تلك الآية؟ قالوا: قول الله ﷻ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣المائدة) ، فقال ﷺ وأرضاه: أشهد أنها نزلت في يوم عيدين اثنين. نزلت في يوم عرفة وكان يوم جمعة.

فيوم عرفة يوم عيد ويوم الجمعة يوم عيد. يوم عرفة يوم عيد لحجاج بيت الله فإن الله ﷻ يتنزل لصباح هذا اليوم إلى السماء الدنيا ويأمر الملائكة أجمعين أن يتنزلوا ليشاهدوا هذا

---

[100] كانت هذه الخطبة يوم وقفة عرفة ٩ من ذي الحجة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/٥/٢٠م بمسجد سيدي سعد الدين الجيباوي بقرية البندرة – مركز السنطة – غربية.

الحفل العظيم حتى أن الملائكة الموكلين بالأعمال يعطيهم إذناً أن ينتهوا ويتركوا الأعمال ليشهدوا حجاج بيت الله وهم واقفين ضارعين متبتلين مخبتين بين يدي الله ﷻ فإذا شهدوهم أو رأوهم قال الله ﷻ لهم مباهياً بعباده المؤمنين للملائكة المقربين: **{ يَا مَلائِكَتِي انْظُرُوا إلى عِبَادِي شُعْثاً غُبْراً، أَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ إلَيَّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَجَبْتُ دُعَاءَهُمْ وَشَفَعْتُ رَغِبَّتَهُمْ وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنِيهِمْ جَمِيعَ مَا سألوني }**١٠١

فيتجلى عليهم الغفار فيغفر لهم جميع الذنوب والأوزار ما داموا قد تحروا المال الحلال والزاد الحلال والنفقة الحلال وهم متوجهين لله ﷻ ، ولذا قال الصادق المصدوق ﷺ : **{ أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن إن الله لم يغفر له }**[١٠٢].

وهل يغفر الله لهم ما بينه وبينهم فقط؟ أو يتجلى ويغفر لهم جميع الذنوب. إن الله ﷻ على الحقيقة يا إخواني يغفر لهم جميع الذنوب ما ظهر منها وما بطن ما صغر منها وما كبر ما كان بينهم وبين الله وما كان بينهم وبين أحد من خلق الله وإليكم الدليل على ذلك من حديث سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فقد ورد عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

{ أَنّ رَسُولَ اللّهِ دَعَا لأُمّتِهِ عَشِيّةَ عَرَفَةَ، فَأُجِيبَ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الْمَظَالِمَ، فَإِنِّي آخِذٌ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ إنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ الْجَنّةَ، وَغفَرْتَ لِلْظَّالِمِ، فَلَمْ يُجَبْ عَشِيّةَ عَرَفَةَ، فَلَمّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ، فَأُجِيبَ إلَى مَا سَأَلَ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ، أَوْ قَالَ تَبَسّمَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﵄ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي إنّ هذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الّذِي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ اللّهُ سِنّكَ. قَالَ: إنّ عَدُوّ اللّهِ إبْلِيسَ لَمّا عَلِمَ أَنّ اللّهَ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِي، وَغَفَرَ لأُمّتِي أَخَذَ التّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثّبُورِ فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ} [١٠٣]، ومن أجل ذلك قال ﷺ: **{ إذَا أَفَاضَ الْقَوْمُ مِنْ عَرَفَاتٍ أَتَوْا جَمْعاً فَوَقَفُوا، قَالَ: انْظُرُوا يَا مَلاَئِكَتِي إلَى عِبَادِي عَاوَدُونِي فِي الْمَسْأَلَةِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِي قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُمْ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنَهُمْ جَمِيع مَا سَأَلَ، وَتَحَمّلْتُ عَنْهُمُ التّبِعَاتِ الّتِي بَيْنَهُمْ }** ١٠٤

---

١٠١ رواه أبو يعلى في مسنده والخطيب في المتفق والمفترق على أنس.
١٠٢ قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وجدنا ذلك في كشف الخفاء .
١٠٣ رواه ابن ماجه عن عبد اللّه بن كنانة بن عباس بن مرداس أن أباه أخبره عن أبيه.، الترغيب والترهيب وغيره.
١٠٤ رواه صاحب الترغيب والترهيب عن أنس.

وقال ﷺ: { **إن الله يتجلى لأهل عرفة فيغفر لهم الذنوب جميعاً** }[١٠٥] فقال سيدنا عمر: يا رسول الله أهذا لنا خاصة أم لنا ولمن بعدنا؟ فأخبرهم ﷺ أن هذا لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة ،{ **إذا كان يوم عرفة نزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا ونظر إلى خلقه فغفر لهم جميعاً. فقالوا: يا رسول الله أهذا لنا خاصة فقال ﷺ: بل هذا لكم وللناس من بعدي** }[١٠٦] فأخذ سيدنا عمر ﷺ يحجل من شدة الفرح ويقول قد فاض خير ربنا وطاب قد فاض وطاب.

فذلك اليوم يا إخواني يوم غفران الذنوب وستر العيوب بل إن الله ﷻ من فضله وكرمه لا يغفر للحاج في نفسه فقط بل كما يقول الصادق الأمين ﷺ: { **يَغْفِرُ الله للحَاجِّ ولمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ الحَاجُّ** }[١٠٧] فإذا استغفر الحاج لرجل هنا أو امرأة هنا فإن الله من فضله وجوده وكرمه يقبل هذه المغفرة ويغفر لأهله وذويه الذين يستغفر لهم على بساط رب العالمين ﷻ فإذا غفر لهم الذنوب وضمن لهم التبعات وغفر لهم ذنوب ذويهم وأحبابهم قال لهم: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠غافر)، فينظر إلى دعائهم فيستجيب لهم الدعاء ويحقق لهم الرجاء ويلبي لهم المطالب ... لماذا ؟

لأنهم جاءوا إلى الله ﷻ وقد خرجوا من حولهم وطولهم ولبسوا في إحرامهم أكفانهم عند موقم ووقفوا بين يدي رهم وهم يستحضرون يوم الجمع على الله فالجميع سواسية أمام الله ليس هناك أمير أو حقير ولا وزير ولا خفير وليس هناك غني أو فقير ولا ذا طول وضعيف بل الكل بين يدي الله يلبسون الأكفان البيضاء وقد تجردوا من الحول وقد تجردوا من الطول وقد تركوا خلفهم مناصبهم وعشائرهم وأولادهم وبلادهم وأموالهم وكل شئ يتباهون به في هذه الحياة ووقفوا بين يدي الله وقدموا بين أيديهم ذنوبهم ومعاصيهم وقبائحهم يرجون من الله أن يغفرها لهم فالرحمن الرحيم يرحمهم ويرحم ضعفهم ويرحم فقرهم ويرحم ذلهم فيغفر لهم ويستجيب لهم ويردهم كما ولدهم أمهاهم.

كما قال النبي الكريم: { **مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أُمُّه** }[١٠٨] هذا اليوم الكريم يا إخواني في السنوات العادية فما بالكم إذا وافق هذا اليوم يوم الجمعة وهو اليوم الذي احتفل به الله مع نبي الله ومع أصحاب رسول الله ومع ملائكة الله بتمام نزول شرع الله وبإتمام دين الله الذي اختاره الله ﷻ ديناً قيماً يملأ حياة الناس بالإيمان والمحبة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

١٠٥ رواه أبو يعلى في مسنده والخطيب في المتفق والمفترق عن أنس.
١٠٦ رواه مسلم والنسائي وابن ماجة عن عائشة.
١٠٧ رواه البزار والطبراني في الصغير عن أبي هريرة.
١٠٨ رواه الدار قطني في سننه، وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.

فإذا وافق يوم الجمعة فقد وافق حجة النبي ﷺ في حجة الوداع ﷺ ويوافق اليوم الذي سنقوم فيه للقيامة فقد قال ﷺ:

{ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ }[١٠٩].

فهؤلاء القوم في هذا اليوم كأنهم يستحضرون يوم القيامة ويوم القيامة سيكون يوم جمعة وسنخرج فيه جميعاً من قبورنا ومن لحودنا عرايا كما ولدتنا أمهاتنا ليس لنا لباس يواري سوءاتنا إلا من له تقى عند الله وعمل صالح قدمه إلى الله ومن هنا قال القائل:

إذا المرءُ لم يلبسْ ثياباً من التُّقى	تقلّب عرياناً وإن كان كاسياً
وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربه	ولا خيرَ فيمن كان لله عاصياً

نقوم جميعاً في هذا اليوم وليس معنا مدخراتنا وليس معنا دفاتر شيكاتنا وليس معنا ما نحتفظ به من صنوف أموالنا لأننا نخرج إلى الله ويجول في آذاننا قول الله: **﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾** (٩٤الأنعام).

فلا يستطيع أن يباهي في ذلك اليوم ببنيه ولا بأخيه ولا بذويه ولا بفصيلته التي تأويه بل إن الإنسان في هذا اليوم العظيم لا ينفعه إلا ما قدمت يداه. فما أكرم هذا اليوم على الله فلا تشغلوا أنفسكم يا عباد الله ولو من هذه اللحظة إلى غروب الشمس إلا بطاعة الله أو بذكر الله أو بالاستغفار لله أو بالندم على ما ارتكبناه حتى يتفضل علينا الله مع حجاج بيت الله فيعمنا جميعاً بغفرانه ويحفنا جميعاً برضوانه ويغفر لنا معهم ويستجيب لنا الدعاء معهم لأننا نشاركهم في الإنابة ونشاركهم في التوبة ونشاركهم في الاستغفار ونشاركهم في الدعاء.

قال ﷺ: **{ صومِ يومِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والبَاقِيَةَ }**[١١٠]، وقال ﷺ: **{ التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }**[١١١].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

---

١٠٩ رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه والحاكم في المستدرك وأبي داود في سننه والترمذي والنسائي وأحمد وأبي يعلى عن أبي هريرة.
١١٠ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري.
١١١ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

الحمد لله ربِّ العالمين. الحمد لله الذي هدانا لكتابه وجعلنا من أمة خير أحبابه ونسأله ﷻ أن يهدينا لطريق صوابه وأن يحفظنا من المخالفة لجنابه آمين آمين يا ربَّ العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله غفار للذنوب وستار للعيوب وفراج للكروب وكاشف لكل الهموم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله هدانا للصراط المستقيم وهدانا للحجة وأظهر لنا المحجة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله.. نذكر في عجالة سريعة ما يجب علينا جميعاً أن نتبعه في هذا اليوم وفي هذه الأيام التالية إن شاء الله. فأول ما يجب علينا في هذا اليوم وفيما بعده أن نكبر الله ﷻ عقب كل صلاة وهذا التكبير سنة يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ: **{ زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بالتَّكْبِيرِ }**[112].

ووقته يبدأ من صلاة الفجر في هذا اليوم في يوم عرفة إلى عصر اليوم الرابع من ايام العيد إن شاء الله نكبر جميعاً ونحن نكبر إذا صلينا في بيت الله في جماعة لكن يجب أن نعلم أن التكبير لكل مصل ولو صلى بمفرده فلو جئت بعد الجماعة فعليك أن تكبر عقب الصلاة حتى الذي يصلي نوافل زائدة أو من يصلي الضحى أو من يصلي قيام الليل عليه بعد هذه النوافل أن يكبر لله ﷻ حتى لو حضرنا جنازة في هذه الأيام فعلينا أن نكبر عقب صلاة الجنازة تأسياً بسيدنا رسول الله ﷺوعلينا أن نأمر نسائنا وبناتنا أن يكبرن في البيوت وإن كن يكبرن بصوت خافت لكن عليهن أيضاً أن يكبرن عقب كل صلاة لله ﷻ في هذه الأيام المباركة.

ثم علينا بعد ذلك أن نشغل هذا الوقت كما يعمل حجاج بيت الله بطاعة الله إلى آذان المغرب نقوم جميعاً بين يدي الله مخبتين منيبين تائبين مسبحين مهللين مكبرين تالين لكتاب الله ﷻ إلى هذا الوقت والحين ثم علينا بعد ذلك أن نتجهز لصلاة العيد فنقلم أظافرنا ونحلق شعورنا إلا من كان عنده أضحية فالسنة في حقه هي قول رسول الله ﷺ: **{ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَدَخَلَتْ أَيَّامُ الْعِشْرِ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ أَظْفَارِهِ حتى يذبح أضحيته }**[113]

يعني لا يحلق حتى لصلاة العيد لأن الأضحية لا تنفع ولا يكون لها ثوابها إلا بعد أداء صلاة العيد فالذي عنده أضحية لا يحلق شعره ولا يقصر ظفره حتى يصلي العيد ويذبح

---

١١٢ رواه الطبراني في الصغير والأوسط والسيوطي في الكبير عن أبي هريرة.
١١٣ رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك ومسلم والبيهقي في سننه عن أم سلمة.

أضحيته وذلك لكمال تشبهه بحجاج بيت الله الحرام فإنهم لا يقصرون ولا يقلمون إلا بعد أن يرمون جمرة العقبة ويذبحون الهدى لله ثم يحلقون شعورهم ويقلمون أظافرهم فعلينا أن نحلق شعورنا لغير المضحي ونقلم أظافرنا ثم نغتسل لبلة العيد أو صباح العيد ونقول (نويت الاغتسال غسل العيد سنة عن رسول الله ﷺ لله تعالى) أو نستحضر هذه المعاني بقلوبنا فالنية محلها القلب فإذا أصبح الغد وهو يوم العيد ....

نلبس خير ما عندنا ويستحسن أن تكون الثياب جديدة فإذا لم يكن عندنا جديد فنلبس خير ما عندنا فإذا لم يوجد نلبس الثياب البيضاء ونضع العطر ونخرج من البيت ومعنا أولادنا نكبر الله ﷻ من لحظة الخروج من البيت في بيتنا وفي شوارعنا بصوت عال حتى ندخل إلى بيت الله ﷻ لنكبر مع المكبرين.

فعلينا أن نفرح بيوتنا ونفرح طرقاتنا ونفرح شوارعنا بالتكبير فيها ونحن سائرون فيها فإذا صلينا العيد جلسنا لسماع الخطبة من الإمام ثم بعدها نصافح إخواننا المؤمنين ونترع الغل والشح والحقد والكره من الصدور ونرجع من طريق آخر حتى نكثر من السلام على المؤمنين. فنسلم على قوم آخرين في طريقنا غير الذين سلمنا عليهم في مجيئنا.

<< ثم الدعاء >>.

خطب عيد الأضحى المبارك

الخطبة الثانية عشرة[١١٤]

خطبة عيد الأضحى : اليوم يوم المغفرة

الله أكبر [تسع مرات].

الله أكبر ما لبى ملبٍّ على عرفات. الله أكبر ما تعرضوا فيه للرحمات. الله أكبر ما حفت بهم ملائكة السموات. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما غفر لهم كل ذنب فعلوه. الله أكبر ما تجاوز الله ﷻ عن سيآتهم والعيوب. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر في يوم استجابة الدعاء. الله أكبر هذا يوم تحقيق الرجاء. الله أكبر هذا خير يوم في الأرض وفي السماء. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما نزلوا في ليلة العيد إلى المزدلفة.

١١٤ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة – مركز السنطة – غربية ١٠ من ذي الحجة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

الله أكبر ما جمعوا من المزدلفة الجمرات. الله أكبر ما وقفوا في تلك الساعة يرمون الشياطين بالجمرات. الله أكبر ما حل عليهم رضوان الله والبركات. الله أكبر ما غمرهم الله بالرحمات. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما ضحى مضحٍ لله وكبر. الله أكبر ما قصر مؤمن لله ﷻ شعره وبالجنة بشر.

الله أكبر ما رمى المسلمون في كل مكان وزمان أحجار الشيطان والذل والهوان. الله أكبر ما أعزهم الرحمن فجعلهم عباداً له بنص القرآن. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما وصل مؤمن إلى ساحة البيت. الله أكبر ما طاف مؤمن بالبيت إلا وغفر له رب البيت. الله أكبر من وصل إلى هذا الحمى فقد نال المنى. الله أكبر من خرج حاجاً أو معتمراً رجع كيوم ولدته أمه. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله الذي من على عباده المؤمنين بهذه الفريضة العظيمة والغنيمة الكبيرة التي ليس لها مثيل في الدنيا ولا الآخرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ما طلبهم عند بيته إلا ليكرمهم ويغفر لهم ذنوبهم ويستجيب لهم دعاءهم ويحقق لهم رجاءهم ويردهم موفورين سالمين بالأجر والغنيمة سبحانه سبحانه يعطي بلا علة ويمنح لا لسبب من الأسباب لأنه ﷻ هو الكريم المعطي الوهاب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أكرمنا الله بنبوته وجعلنا جميعاً في الدنيا من أهل نصرته وفي الآخرة من أهل شفاعته وأجلسنا وإياكم جميعاً على موائد فضله وبركته وجعلنا وإياكم جميعاً من المحيطين به في جنته آمين آمين يا ربَّ العالمين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذه الرحمة العظمى والمنة الكبرى لجميع الأنام سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه وأتباعه وكل من والاه إلى يوم لقاء الله آمين.

أما بعد.. أيها الأخوة المؤمنون..

نحتفل في هذا اليوم جميعاً وأنتم والمسلمون جميعاً بخير منسك خصنا به الله ﷻ هذا المنسك العظيم لو علمنا ما فيه من الخير والتكريم من المولى الكريم لباع كل واحد منا ما ملكت يداه وسارع متجرداً لزيارة الله في بيت الله.

فإن الذي يذهب إلى هذه الأماكن لا يذهب من قبل نفسه وإنما بدعوة من ربه ﷻ فإن الخليل لما أمره الجليل أن يبني هذا البيت فأعانه وبناه قال يا إبراهيم:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ (٢٧ - ٢٩الحج). قال: يا ربَّ وما يبلغ صوتي؟ قال: يا إبراهيم عليك الآذان وعلينا البلاغ. فأمر الله ﷻ الجبال أن تهبط والسهول والوديان أن ترتفع والأرواح التي لم يئن ميعاد خروجها إلى الدنيا أن تخرج وأسمع الجميع نداء الخليل فوقف الخليل على جبل أبي قبيس المواجه للكعبة واتجه مرة جهة المشرق ومرة جهة المغرب ومرة جهة الشمال ومرة جهة الجنوب وفي كل مرة يقول: { **أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً وأمركم بالحج فحجوا** }.

فقال الناس فى أصلاب أبائهم وأرحام أمهاتهم وقلنا نحن مع الناس: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك. منا من قالها مرة فقيد له الملائكة أن يزور البيت مرة، ومنا من وفقه الموفق فرددها مرتين فكتب له حجتين ومنا من زاد على ذلك فقد ورد فى الأثر: { **فَمَنْ أَجَابَ مِنْهُمْ مَرَّةً حَجَّ مَرَّةً وَمَنْ أَجَابَ مَرَّتَيْنِ حَجَّ مَرَّتَيْنِ وَعَلَى هَذَا يَحُجُّونَ بِعَدَدِ مَا أَجَابُوا وَمَنْ لَمْ يُجِبْ لَمْ يَحُجَّ** }[115]

فلا يذهب إلى هناك إلا من لبى نداء الخليل ووفقه الجليل فذهب لزيارته ﷻ لأنه لا يزار ﷻ إلا بإذنه ولا يذهب إليه ذاهب إلا بتوفيقه ولا يبلغ هذا المراد إلا من أراد الله ﷻ سعادته في الدنيا والآخرة هؤلاء الذاهبون ماذا يطلبون وماذا يبغون؟ وما لهم عند الله ﷻ؟ لم يسافروا رغبة في دنيا يريدونها. أو في رياسة يتنافسون في الحصول عليها أو لأي متعة من متع الدنيا الفانية وإنما ذهبوا يحدوهم داعي المغفرة يطلبون غفران الذنوب ويطلبون ستر العيوب ويطلبون استجابة الدعاء ويطلبون الأمان من النار ويطلبون ضمان دخول الجنة مع الأبرار ويطلبون أن يكتبوا في كشوف الشفاعة عند النبي المختار ويطلبون أن يكونوا من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ما أعظم ما يطلبون! إن كل مطلب من هذه المطالب لو تدبرناه لو أنفق الإنسان فيه كل ما ملكت يداه كان قليلاً جداً جداً في جانب ما يحصل عليه من الله ﷻ. وبالله ربكم خبروني الذي يأخذ وسام المغفرة من الغفار ويغفر الله له كل ما في صحيفته من الذنوب والأوزار الصغار منها والكبار ماذا يساوي ذلك في عالم اليوم؟

لو كان يملك الدنيا بأجمعها ما استطاع أن يدفعها في ثمن هذه المغفرة لأن الله أنبأ عن

---

١١٥ حاشية الجمل، مراح لبيد للنووى الحاوى ، كنز الدقائق لعبد الله أحمد النسفى عن مجاهد.

قوم ملكهم الدنيا ليغرهم ويضرهم بها أنهم إذا كانوا يوم القيامة يود الواحد منهم: ﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾(١١ – ١٣المعارج)، ولكن الله ﷻ لا ينجيه لأنه خرج كافراً بالله ﷻ أما هؤلاء القوم فيتفضل عليهم الغفار بالمغفرة قال ﷺ: {مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أمُّه}[116]

وقد ورد { أَنّ رَسُولَ اللّهِ دَعَا لأُمّتِهِ عَشِيّةَ عَرَفَةَ، فَأُجِيبَ أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الْمَظَالِمَ، فَإِنّي آخِذٌ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ. قَالَ: أَيْ رَبّ إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ الْجَنّةَ، وَغَفَرْتَ لِلظّالِمِ، فَلَمْ يُجَبْ عَشِيّةَ عَرَفَةَ، فَلَمّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ، فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ، أَوْ قَالَ تَبَسّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﵄: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي إِنّ هذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الّذِي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ اللّهُ سِنّكَ. قَالَ: إِنّ عَدُوّ اللّهِ إِبْلِيسَ لَمّا عَلِمَ أَنّ اللّهَ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِي، وَغَفَرَ لأُمّتِي أَخَذَ التّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثّبُورِ فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ}[117]، فرسولكم الكريم ﷺ عندما أصبح بالمزدلفة بشرنا جميعاً وقال:

{ قال الله تعالى أَني قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُمْ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنَهُمْ جَمِيع مَا سَأَلَ، وَتَحَمَّلْتُ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ }[118]

هذا في المغفرة ... أما في الأمان من النار فقد وعد بذلك العزيز الغفار فقال في محكم القرآن: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (٩٦ – ٩٧آل عمران).

من دخل هذا المكان وهذه الساحة من ساحات الفضل والرضوان كان آمناً من النيران وكان آمناً من سوء الخاتمة لحظة لقاءه بالديان إذا قبل الله حجه ... فعلامة قبول الحج أن يؤمن الله صاحبه من دخول النيران ومن سوء الخاتمة لحظة مفارقته لهذه الأكوان وإقباله على حضرة الديان ولعلكم تعجبون كيف يضمن الله له حسن الخاتمة ويضمن له الأمان من النار مع إنه يرجع إلى أهله ويعيش سنين قد تطول وقد تقصر!!

إن من تقبل الله حجه اتفق العلماء على أن الله ﷻ يحفظه في بقية عمره من المعاصي والذنوب وخاصة الكبائر فعندما يريد أن يفعل ذنب أو يهم بكبيرة تلحقه عناية الله ويدركه توفيق الله وينطبق عليه قول الله:

---

١١٦ رواه الدار قطني في سننه وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
١١٧ رواه ابن ماجه عن عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس أن أباه أخبره عن أبيه.، الترغيب والترهيب وغيره.
١١٨ الخطيب في المتفق والمفترق عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) . فلا يقع في الذنب ولا يفعل المنكر حتى إذا جاء ميعاده للقاء الله وفقه الله في أوقاته الأخيرة لطاعة الله وللعمل الصالح المقرب إلى الله فيخرج من الدنيا في أبهى حلل الشوق إلى الله والرغبة في لقاء الله فيتحقق فيه وله وعد الله ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٩٧آل عمران) ... أما الذي يرجع من الحج على غير الصراط المستقيم والهدى القويم فهذا والعياذ بالله ممن لم يتقبل الله ﷻ حجه لأنه خرج للرياء أو للسمعة أو ماله فيه شبهة لأن العبد إذا خرج بمال فيه شبهة أو حرام فقال:

{مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَقَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: لاَ لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ وَحَجُّكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ}[119]

فمن حج بنفقة حلال وطلب رضاء ذي الجلال وكان عمله خالصاً للواحد المتعال تقبل الله حجه ووفقه في جميع عمره حتى يلقى الله ﷻ وهو آمناً مطمئناً ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (٢٧إبراهيم).

وعلامات هذا الحج المقبول أن يخرج صاحبه من هنا وهو على يقين من أنه مسافر إلى الدار الآخرة وعلى أنه خارج لا يعود فعندما يخرج من بيته يودع أهله الوداع الأخير ويتذكر بركوبه حمله في نعشه، وبوقوفه على عرفات وجوده في عرصات القيامة، وبسعيه بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان. قال ﷺ: {مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أُمُّه}. أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الله أكبر [سبع مرات] الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله الذي أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة على عباده المؤمنين أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واسع الفضل والجود، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله كنز العطاء وفاتح خزائن الفتح والكرم الرباني لمن يشاء.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد نور الله الدال على الله وشمس الحق المشرقة بنور هداه شفيع المذنبين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ابشروا جميعاً بفضل الله فإن الله ﷻ لن يحرم

---

١١٩ الشيرازي في الألقاب ، أبو مطيع في أماليه عن عمر رضي اللهُ عنهُ.

المشتاقين أمثالكم من هذا الفضل الذي تحدثنا عنه فقد ورد في الأثر: {**إذا كان يوم القيامة تقول الكعبة وقد حشرت كالعروس المزفوفة يا رسول الله أما من حجني وأما من اشتاق إلي فلم يستطع وأما من مات في طريق زيارتي فلا عليك بهم فإني سأشفع لهم عند الله ﷻ فابحث عن غيرهم لتشفع لهم**}.

فسارت الكعبة بين الذي ذهب إلى هناك والذي اشتاق للذهاب ولم يسعفه المال أو لم يهيئ له جسمه بسبب مرضه الذهاب أو منعه مانع شديد فوق طاقته من الذهاب إلى هناك وتشفع لهم ، وأما من نوى وسافر ومات في الطريق فيقول عنه النبي الشفيق: { **مَنْ خَرَجَ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ غَازِياً ثُمَّ مَاتَ فِي طَرِيقِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْغَازِي وَالْحَاجِ وَالْمُعْتَمِرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** }[١٢٠] يبعث الله في كل عام ملكاً على هيئته وفي صورته يلبي عنه ويحج عنه ويجعل ذلك كله في ثوابه يوم القيامة.

فابشروا بهذا الفضل العظيم والخير الكريم من المولى ﷻ وعجل الله لنا هنا أعمالاً تسوينا بمن هناك فمن كان عنده خير ويستطيع أن يشتري أضحية ليتأسى بالخليل عليه السلام فإن الله ﷻ أمره أن يذبح ولده في المنام ورأى ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة فتروى في أمره وظن أن ذلك حلم من الشيطان، فرأى الرؤيا مرة أخرى في ليلة التاسع فاستخار الله ﷻ حتى عرف حقيقة الرؤيا فسمى اليوم الثامن يوم التروية، واليوم التاسع يوم عرفة لأنه عرف أنه فضل الله ﷻ عليه وإن كان هناك أقوال أخرى لا داعي لسردها الآن في ذلك.

فلما كانت ليلة العيد رأى الرؤيا للمرة الثالثة فدعا ولده في الصباح وقال: يا بني: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ (١٠٢الصافات) . ماذا قال الغلام الذي تربى في حجر النبوة؟ ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) ، فاحتضنه وقبله ودعا له وقال له: نعم الولد أنت يا ولدي فقد كنت عوناً لأبيك، ثم أعطاه الحبل وأعطاه السكين وقال: تظاهر أمام أمك أنك خارج للصيد وسأتبعك بعد قليل والموعد شعاب منى.

فخرج الغلام وجاء الشيطان يزين للغلام بأنه سوف يقتل لأنه قال كما قال الله: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وهنا أبين لكم لمحة صغيرة من كلام رب العالمين موسى عليه السلام لما مشى مع العبد الصالح قال ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾ (٦٩الكهف)...

فما استطاع أن يصبر ولكن إسماعيل تواضع لله وطلب أن يكون مع الصابرين فصبره

١٢٠ رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.

الله ﷻ وأعانه على هذا العمل وكأن الله يضرب لنا المثل بأن من يتواضع لله ويدخل نفسه في عداد عباد الله يرفعه الله ﷻ ولذا كان أنبياء الله يقولون ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف)، ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣الشعراء) ..يكون من الصالحين مع أنهم أنبياء ومع أنهم مرسلون ... لكن هذا أدب رب العالمين مع الأنبياء والمرسلين والصالحين أجمعين ..

وجاء الغلام وجاء أباه فقال: يا أبت انزع عني قميصي حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي والقني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الرحمة في تنفيذ أمر الله ﷻ واشحذ السكين لتكون اسرع في القطع حتى لا يصيبك وهن في تطبيق أمر الله ﷻ فنزع عنه قميصه وألقاه على وجهه وشحذ السكين وأخذ يمر بها على رقبته بشدة وقوة وسرعة ولكنها لم تقطع!! فقال لها: خيبك الله وقبحك الله من سكين لم لا تقطعين؟

فانطقها الله ﷻ وقالت يا خليل الله أنا بين أمرين الجليل يقول لي لا تقطعي والخليل يقول لي اقطعي وأنا من قبل الجليل ولست من قبل الخليل وكيف يقطع عنق إسماعيل وفي وجهه نور محمد ﷺ فقال: يا ربَّ اعن عبدك إبراهيم على تنفيذ أمرك. فنزل جبريل عليه السلام بالكبش الذي تقبله الملك العلام من هابيل بن آدم عليه السلام عندما قرب قربانه فنزلت الملائكة وحملته ووضعته في ربوع الجنة وظل يرعى فيها ثم نزل ليفدي به الله إسماعيل نبي الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وظلت تلك السنة إلى يوم القيامة على الموسرين وعلى أهل القدرة من المؤمنين فقد قال ﷺ: { مَنْ وَجَدَ سَعَةً لأَنْ يُضَحيَ فَلَمْ يُضَح فَلاَ يَحْضُرْ مُصَلاَّنَا }[١٢١] من كان عنده سعة ولم يضحي منع رسول الله أن يصلي معهم لأن الأضحية إحياء لذكرى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماذا في الأضحية؟

من ضحى بشروط الأضحية وهي أن تكون بعد صلاة العيد ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (٢الكوثر)، وأن تكون كبشاً مر عليه ستة أشهر أو ماعز مر عليه عام عن واحد وعائلته أو بقرة عن سبع بيوت أو جمل عن سبع بيوت على أن تكون ليس فيها عيب لا عوراء ولا عضباء ولا منزوعة القرن ولا جرباء ولا مشقوقة الأذن ولا مريضة ماذا له من الأجر؟ اسمعوا إلى نبيكم الكريم يوصي ابنته فاطمة فيقول: {يَا فَاطِمَةُ قُومِي فا شْهَدِي أُضْحِيَتَكِ، فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ}[١٢٢] .

---

١٢١ رواه ابن ماجة في سننه وأحمد والحاكم عن أبي هريرةز
١٢٢ رواه البزار

كأن الأضحية تشبه الحج فالحاج يرجع كيوم ولدته أمه والذي يضحي بهذه الطريقة يخرج من أضحيته كيوم ولدته أمه ... ولذلك كانت هذه السنة قائمة بيننا مع أن أبائنا وأمهاتنا كانوا جهلاء ليسوا متعلمين مثلنا وليس معهم من الخير كما معنا الآن لماذا؟ لهذا الفضل الذي عملوه أضحية قليلة بثمن يسير تجعل الرجل وزوجته وأولاده جميعاً كأنهم حجوا بيت الله الحرام لأن الله يغفر لهم كل ذنب فعلوه.

أما الثواب فقد قال ﷺ عندما سأله أصحابه: مالنا في أضحياتنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: **{مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً}**[123] من منا يستطيع أن يعد الصوف أو شعر الماعز؟! ثم الثالثة قال ﷺ: **{إِسْتَفْرِهُوا [استسمنوا] ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصرَاطِ}**[124] الركائب التي نركبها على الصراط هي هذه الضحايا فمنا من يمر على أضحيته كالبرق الخاطف ومنا من يمر كلمح البصر ومنا من يمر كالريح المسرعة فعليكم معشر المؤمنين أن تضحوا ولو مرة في العمر كله تكتبوا في ديوان المضحين ولا تحرموا من هذا الثواب العظيم عند رب العالمين ﷻ والثمن كثير ونحن نصرف الكثير والكثير ولكن الشيطان يأتي عند الخير فيحضر للأنفس شحها ويزين لها بخلها حتى يحرمها من ثواب ربها ﷻ .

والذبح يكون بعد العيد في يوم العيد مدة أيام العيد يجوز في اليوم الأول والثاني والثالث والرابع على أنه يستحسن أن يكون الذبح نهاراً وكره الأئمة أن يذبح الإنسان ليلاً ويوزع الإنسان جزءاً منها للفقراء ويعطي جزءاً كهدايا للأقرباء ويأكل منها كما أمر الله ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (٢٨الحج).

فإذا أمرنا الله بهذا الفضل وأعطانا هذا الأجر فلا غرو أن نكبر نحن لله كما يكبر الحجيج لله ونقول نحن هنا ويقولون هناك ونقول جميعاً الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. ولذا أمركم رسولكم الكريم ﷺ بالتكبير وقال ﷺ: **{زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ}**[125].

والتكبير يبدأ من صبح يوم عرفة (يوم الوقفة) إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد على الكبير والصغير وعلى الرجال والنساء على المصلي في جماعة والمصلي بمفرده فمن فاتته صلاة الجماعة وصلى بمفرده يجب عليه أن يكبر بعد الصلاة بصوت مرتفع كما أمر رسول الله ﷺ:

---

١٢٣ رواه البزار وابن حبان في كتاب الضحايا والأصبهاني عن أبي سعيد.
١٢٤ رواه السيوطي في الفتح الكبير والديلمي عن أبي هريرة.
١٢٥ رواه الطبراني في الصغير والأوسط والسيوطي في الكبير عن أبي هريرة.

بل إنه يستحب دبر صلاة النوافل فمن صلى الضحى فليكبر بعدها ومن صلى التهجد فليكبر بعده بل استحسن الإمام الشافعي إذا كانت هناك جنازة في أيام العيد وصلينا عليها صلاة الجنازة أن نكبر بعدها لأن التكبير سنة الله وهدى رسول الله وفرحة ملائكة الله وزينة العيد التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ فعلينا أن نكبر عقب، كل صلاة فرادى أو جماعات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد وعلينا أن نطلب من زوجاتنا وبناتنا أن يكبرن في بيوتهن بعد كل صلاة لأن التكبير سنة رسول الله ﷺ

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥البقرة).

<< ثم الدعاء >>.

خطبة عيد الأضحى المبارك[١٢٦]

الخطبة الثالثة عشر: حكم الحج

الله أكبر [تسع مرات] ولله الحمد.

الله أكبر ما وقف الحجيج على جبل عرفات، الله أكبر ما نظر الله ﷻ إليهم وأنزل عليهم الرحمات. الله أكبر ما غفر لهم الذنوب والسيئات الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما أفاضوا من عرفات إلى المزدلفة، الله أكبر ما جمعوا في المزدلفة حصى الجمرات، الله أكبر ما وصلوا في هذه الساعة إلى منى ليرموا الجمرات، الله أكبر ما طرح عنهم السيئات وملأ صحفهم بالمغفرة والحسنات. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما لبى ملبي نداء الله، الله أكبر ما سمع مؤمن نداء خليل الله فلباه، الله أكبر ما ذهب الحجيج للطواف ببيت الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، .

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أتم على المسلمين أجمعين المنة وأكمل عليهم النعمة فجعل فريقاً منهم يذهبون إلى بيت الله الحرام ليؤدوا مناسك الحج كما فعلها المصطفى عليه أفضل

١٢٦ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة – مركز السنطة – غربية ١٠ من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦/٤/٢٨م.

الصلاة وأتم السلام ثم جعل من يبقى في دياره ويعيش معهم بسره وروحه وحاله يشاركهم في الأجر ويكون له مثل ما لهم في الفضل فضلاً من الله ﷻ ومنة والله عزيز حكيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فضله لا يُعد وجوده لا يُحد ومدده لا ينفد لأنه ﷻ بيده الملك وبيده الملكوت وبيده الخير كله وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أظهر الله ﷻ به شرائع الإسلام وأحيا به مناسك الحج بعد اندثارها بعد إبراهيم عليه السلام وكان ﷺ للناس في الدنيا إماماً وفي الآخرة هو الشفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد نور الله الدال على الله بالله وشمس الحق المشرقة بنور هداه شفيع المذنبين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. إن الله ﷻ جلت حكمته وتعالت مكانته وتسامت عزته لم يفرض علينا شيئاً إلا لحكمة عالية ولأسرار راقية يعرفها من وفقه الله لسلوك طريقه المستقيم ولمن هداه ﷻ إلى نهج نبيه القويم فأما فريضة الحج فقد فرضها الله ﷻ على المؤمنين والمؤمنات لحكم كثيرة نكتفي بواحدة منها في موقفنا هذا تكون لنا إن شاء الله عظة وعبرة فقد جعل الله ﷻ الحج للمؤمنين والمؤمنات تذكرة للسفرة إلى الدار الآخرة للعرض على الله ﷻ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ (٩آل عمران).

فإذا خرج الحاج من بيته فإنه يغتسل قبل لبس ملابس إحرامه ويتذكر بهذا الغسل [الغسل الذي يغسله به رفاقه لكي يودعون دنياه ويزفونه إلى مولاه إذا دعاه ﷻ] ثم يلبس ملابس الإحرام وهي بيضاء ولا يوجد بينها وبين الجسم أشياء ليذكر نفسه ويتذكر من حوله لبس الأكفان إذا دعى للقاء الواحد الديان ﷻ فإذا أتم ملابس الأكفان يلبس ملابس الإحرام تذكر نداء الله يوم ينادي منادي الله لجميع الخلائق في حضرة الله فيقول كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: { **يا أيتها العظام النخرة يا أيتها الأجساد البالية يا أيتها الشعور المتقطعة اجتمعوا وائتلفوا فإن الله ﷻ يدعوكم ليوم عظيم** }[١٢٧] فيتذكر هذا النداء فيلبي قائلاً لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك وكلمة لبيك تعني نأتي إليك مسرعين جئنا إليك طائعين جئنا إليك بالتلبية يا أحكم الحاكمين ولم نتوانى عن إجابة دعوتك طرفة عين ولا أقل.

فإذا وصل إلى ساحة عرفات تذكر ساحة العرض العظيم حيث يقف الخلائق أجمعين في

١٢٧ رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن.

مساواة كاملة في الظاهر بين يدي رب العالمين { **لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيَ عَلَي أَعْجَمِيَ وَلاَ أَعْجَمِيَ عَلَى عَرَبِيَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَىٰ والعمل الصالح** }[١٢٨] فالجميع يتساوى أمام الله يلبسون ملابس واحدة ويقفون في بقعة واحدة لا فرق بين غني ولا فقير ولا أمير ولا حقير لأنه لا يسمح للوزير أن يعلق نيشاناً على صدره أو يعلق شيئاً على كتفه وإنما يتساوى الجميع ولا فرق بينهم إلا في الزفرات والحرقات والتسبيحات والدعوات التي تخرج من صدورهم وقلوبهم إلى ربهم ....

فمنهم من يقال له لا لبيك ولا سعديك وحجك هذا مردود عليك ومنهم من يقال له لبيك وسعديك حجك مغفور وزادك موفور وسعيك مشكور فيقولون كما قال الله يوم يجمع الناس للقاء الله ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٧الشورى). أما من يقبل الله عليه ويتقبل دعواه فهو من أهل الجنة إن شاء الله وإما من ترد الملائكة دعواه وتعلم أن تلبيته مردودة من قبل الله فهو من فريق السعير والعياذ بالله ﷻ.

فإذا وقفوا على عرفات وأقروا لله بذنوبهم واعترفوا بين يديه بمساويهم وأخطائهم غفر الله عزوجل لهم ولا يبالي ولذا يقول الرسول الكريم ﷺ { **أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن إن الله لم يغفر له** }[١٢٩]،

وقد ورد أن الإمام محمد بن المنكدر ﷺ وأرضاه وكان قد حج خمسين مرة لله ﷻ في يوم من أيام عرفة ألقى عليه النوم فرأى ملائكة تنزل من عند الله ﷻ ويتساءلون فيما بينهم فقال بعضهم للبعض يا عبد الله تدري كم حج بيت ربنا هذا العام؟ قال: لا. قال: ستمائة ألف. قال: تدري كم قبل الله ﷻ منهم؟ قال: لا. قال: ستة أنفس. قال: فقمت من نومي مهموماً مغموماً وقلت إذا كان الله ﷻ لم يقبل من هؤلاء إلا ستة أنفس فأين أكون منهم؟

فلما وصلت إلى المزدلفة وصليت المغرب والعشاء قصراً وجمعاً فألقى الله ﷻ عليّ النوم فإذا بهذا النفر من الملائكة وقد جاءوا وتساءلوا فيما بينهم فقال بعضهم لبعض: يا عبد الله تدري كم حج بيت ربنا هذا العام؟ قال: نعم ستمائة ألف. قال: تدري ماذا فعل الله ﷻ بهم؟ قال: نعم قبل منهم ستة أنفس ورد الباقين. قال: تدري ماذا حكم ربك في هذا اليوم؟ قال: لا. قال: وهب لكل واحد من الستة .. مائة ألف فشفعهم جميعاً في بعضهم وانصرفوا جميعاً مغفوراً لهم.

---

١٢٨ رواه البيهقي وأحمد في مسنده عن جابر.
١٢٩ قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء للإما الغزالى : رواه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، كشف الخفاء

قال ﷺ: { إن الله ينظر إلى أهل عرفات ويباهي بكُمُ المَلاَئِكَةَ يَقُولُ: عِبَادِي جَاءُونا شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُل فَجَ عَمِيقٍ يَرْجُونَ جَنَّتِي، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ عَدَدَ الرَّمْلِ أَوْ كَقَطْرِ المَطَرِ أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُوراً لَكُمْ وَلِمَنْ شَفِعْتُمْ لَهُ }[130]

وقد قال ﷺ: { إِذَا أَفَاضَ الْقَوْمُ مِنْ عَرَفَاتٍ أَتَوْا جَمْعاً فَوَقَفُوا، قَالَ: انْظُرُوا يَا مَلاَئِكَتِي إِلَى عِبَادِي عَاوَدُونِي فِي المَسْأَلَةِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِي قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُمْ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنَهُمْ جَمِيعَ مَا سَأَلَ، وَتَحَمَّلْتُ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ }١٣١ .

وأقص عليكم قصة هذا الحديث ومناسبته بالمعنى (أوردنا نص الحديث بالخطب السابقة):

فقد كان ﷺ بالمزدلفة وحوله أبو بكر وعمر ﷺ فإذا به يضحك فقال سيدنا أبو بكر: يا رسول الله ما أضحكك؟ أضحك الله سنك. قال ﷺ: إني لما كنت على عرفات عشية عرفة دعوت الله ﷻ لأهل الموقف أن يغفر الله ذنوبهم ويستجيب دعاءهم ويضمن عنهم التبعات فأجابني الله في اثنتين ولم يجبني في الآخرة وهي أن يضمن عنهم التبعات والتبعات هي حقوق العباد التي بينهم وبين غيرهم من العباد. قال ﷺ: فلما جئت إلى هنا دعوت الله ﷻ بما دعوت به على عرفات فقال الله ﷻ قد استجبنا لك فيما دعوت. فلما رأى إبليس ذلك ولّى وله ولولة وضراط فهذا هو الذي أضحكني (صلوات الله وسلامه عليه).

فإذا نزلوا إلى منى وتذكروا ما يباعد بينهم وبين الله والسبب الذي يجعلهم يقعون في عصيان الله وهو إبليس اللعين فيجمعون الأحجار ويرمونه ليعلنون البراءة منه قبل أن يتبرأ منهم يوم القيامة، فقد ورد في آيات القرآن أنه سيتبرأ ممن تبعه أمام الديان ﷻ فيعلن المؤمن البراءة من إبليس ووسوسته ويرجمه بالأحجار ويعلن بذلك أنه برئ من إبليس وقوله.

ثم يتذكر الذي يعين إبليس على الوسوسة ويزين للمرء المعصية وهي النفس الخبيثة التي يقول فيها الله ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ (٥٣يوسف).

فيذبح هديه ويقول: يا ربَّ إن لم ترض عني إلا بذبح نفسي ذبحتها لرضاك فإني أطمع في عفوك وأرجو مغفرتك وكل شئ يباعد بيني وبينك قدمته إرضاء لحضرتك فقد تركت الأهل والولد وقد قربت المال وها أنا أقرب نفسي وأعلن البراءة من الشيطان وحزبه لترضى عني يا ربَّ العالمين.

---

١٣٠ البزار عن ابن عمر

١٣١ الخطيب في المتفق والمفترق عن أنس رضيَ اللّهُ عنهُ

فليتك تحلو والحياة مريــــرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خــــراب

ثم يحلق شعره ويتذكر أخلاقه الذميمة التي تباعد بينه وبين الله فـإن الله كمـا ورد ف الأثر: {**إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه**}، فيسارع في التخلص من الأخــلاق التي لا يحبها الله مثل الغيبة والنميمة والشح والطمع والجحود والعصيان والعقــوق وقطيعــة الأرحام وغيرها من الصفات التي يبغضها الله والتي حذرنا منها رسول الله ﷺ تصديقاً لقولــه ﷻ ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (١٩٧البقرة).

ثم يزين نفسه بالأخلاق الكريمة بسعة الأخلاق والحلم والعفو والصفح والأدب بـين يدي الله ليذهب إلى بيت الله وهو يتذكر عرضه على الله وهو هناك إما أن يكون ممن يقــول فيهم الله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة)، وإما أن يكون والعياذ بالله ممن لا يؤذن لهم بالكلام مع الله ولا بالنظر إلى بهاء الله وهم الكافرون والجاحدون والعــصاة من المؤمنين الذين لم يتوبوا قبل الموت وقبل لقاء رب العالمين ﷻ فيتذكر هذه الساعة وكيف يقابل الله وقد قال ﷺ في ذلك ما معناه: { **إن من الناس من يضئ حسنه لأهل الموقف كما تضئ الشمس لأهل الدنيا** }، وقال في الطائفة الأخرى ما معنــاه :{ **إن من الناس لمن يتمزع وجهه ولحمه ويتهدل من شدة الخجل والحياء من الله ﷻ** }

فيطوف حول بيت الله تائباً منيباً لله يعاهد الله عند الحجر وهو يمين الله في الأرض أن لا يعود إلى المعاصي وأن لا يرجع إلى ذنب أبداً ثم يذهب إلى الصفا والمــروة يــسعى بينــهما ويتذكر السعي في يوم الموقف العظيم بين كفة حسناته وكفة سيئاته فهو يمشي بينــهما تــارة ويهرول بينهما أخرى لينظر أيهما هي التي تكون الراجحة فيكون فيها الفلاح وهو يــود أن يكون ممن قال فيهم الله ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥آل عمران).

ثم يتوجه إلى الرسول الكريم يرجو شفاعته ويطلب منه أن يكون في زمرته لأنه لم يدخل أحد الجنة إلا بشفاعته وإلا ببركته ﷺ. هذه بعض مشاهد الحجيج وقد أكرم الله ﷻ الأمــة الإسلامية فجعل من المؤمنين والمؤمنات من إذا عاش بروحه في هذه الأماكن الطــاهرات في تلك الأيام المباركات يكون له من الأجر مثل من وقف على عرفات تماماً بتمام على أن يكون في هذه الأيام جسمه هنا وقلبه وروحه هناك ولذا حبب النبي الكريم في صوم يــوم عرفــات وقال فيه ﷺ: { **صوم يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين** }[١٣٢]

---

١٣٢ رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أبي قتادة الأنصاري.

لأن الصيام يقوي الروحانية ويضعف الجسمانية ويجعل أحوال المرء قريبة من أحوال الملائكة الكرام فإذا وقف الإنسان في يوم عرفات وفي صبيحة هذا اليوم يوم العيد بين يدي الله يدعو الله ويضرع إلى الله ويتوب إلى الله فقد قال ﷺ: { **خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ** }[١٣٣] ومن رحمته ﷺ أنه لم يقل خير الدعاء دعاء عرفة فلو قال خير الدعاء دعاء عرفة كان الفضل لمن وقف هناك فقط. أما قوله ﷺ: { **خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ** } فهو يشمل كل من يدعو في هذا اليوم في أي فج من الأرض وفي أي موقع من البسيطة لأن الله ﷻ ينظر إلى عباده جميعاً. فقد قال ﷺ: { **خير يوم في الأرض يوم عرفة وَمَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمَاً هُوَ أَصْغَرُ وَلاَ أَحْقَرُ وَلاَ أَدْحَرُ وَلاَ أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ** }[١٣٤] .

ودعا الإسلام في سبيل ذلك القائمين هنا إلى أعمال تشبه أعمال الحجيج فالحجيج يلبون لله ﷻ ونحن لنا التكبير لله ﷻ قال ﷺ: { **زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بالتَّكْبِيرِ** }[١٣٥] نكبر عقب كل صلاة سواء فريضة أو سنة مؤكدة فمن صلى صلاة الضحى يكبر بعدها لله ﷻ، ومن صلى صلاة التهجد يكبر بعدها لله ﷻ وإذا حضرت جنازة في تلك الأيام وصلينا عليها نكبر لله ﷻ من صلى في جماعة يكبر، ومن صلى مفرداً في المسجد أو في بيته يكبر الرجل يكبر بصوت مرتفع والمرأة تكبر بصوت خافت وإذا سرنا في الطرقات لا نستحي أن نكبر الله بصوت عال فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين يمشون في يوم العيد في طرقات المدينة وهم يكبرون بصوت مرتفع ليخزون الشيطان ويعلنون التكبير للملك العلام ﷻ فالحجاج يلبون ونحن نكبر لله ﷻ وهم يقومون اليوم برجم إبليس ونحن في هذا اليوم نصلي صلاة العيد لله ﷻ وهم ليس عليهم صلاة عيد.

والحجاج ينحرون هديهم ونحن نذبح أضحيتنا لله فإذا فعل المرء المؤمن بعض هذه الأمور واستحضر هذه الشعائر والمناسك أكرمه الله ﷻ بما أكرم به حجاج بيته الحرام لقوله ﷺ فيما رواه الإمام البخاري ﷺ وأرضاه عندما كان سيدنا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك نظر إلى من معه وقال: { **إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَقَوْماً، مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً، إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ. حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**}[١٣٦] فكل من حبسه العذر الشرعي من مرض أو قلة ذات اليد عن لذهاب إلى بيت الله وفعل ما ذكرناه جعل الله ﷻ له حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً لأنه ﷺ قال:

---

١٣٣ رواه الترمذي عن ابن عمرو.
١٣٤ رواه الإمام مالك في الموطأ والبيهقي من طريقه وغيرهما عن طلحة بن عبد الله بن كريز.
١٣٥ رواه الطبراني في الصغير والأوسط والسيوطي في الكبير عن أبي هريرة.
١٣٦ رواه البخارى وأحمد عن أنس

{ إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّما لِكُلِّ امْرِيءٍ ما نَوَى }[١٣٧]. أما من كان معه الاستطاعة ولم يذهب لأداء هذا النسك فهذا نحذره من قول المصطفى ﷺ: { مَنْ لَمْ يَحْبِسْهُ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ مَشَقَّةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ سُلْطانٌ جَائِرٌ فَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إنْ شَاءَ يَهُودِيّاً وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِياً }[١٣٨]

ومن يقل إني معي مال إما أن أزوج به الولد وإما أن أحج فقد افتى العلماء أجمعون أن زواج الولد ليس فرض علي. إن علي أن أربيه وأن أنميه وليس علي في شريعة الله أن أزوجه ولكن علي فرضاً لله أن أحج بيت الله ﷻ فعلي أن أبدأ بالحج ومال الحج مخلوف ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٣٩سبأ).

قال ﷺ: { الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وإن شفعوا شفعوا }[١٣٩]، أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الله أكبر [سبع مرات] ولله الحمد.

الله أكبر ما دعا داع للإيمان. الله أكبر على أن وفقنا الله ﷻ لطاعته في كل وقت وآن. الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحنان المنان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب لواء الأمان والشفيع الأعظم للخلائق يوم العرض على حضرة الديان وعلى آله وصحبه وكل من والاه.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ماذا علينا في هذا اليوم السعيد لله ﷻ؟ علينا في هذا اليوم أول عمل نعمله بعد الصلاة هو قوله ﷺ: { مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ }[١٤٠] فأفضل عبادة لله ﷻ في هذا اليوم هي إراقة دماء الأضاحي وليس إراقة دم المسلمين والمسلمات كما ظن بعض الجاهلين والجاهلات.

وهذه الأضاحي جعلها الله ﷻ لنا ثواباً معجلاً ففيها لنا باختصار شديد فوائد شتى نذكر بعضها على سبيل القصد أول فائدة منها أنها تغسل المرء من الذنوب هو وأهل بيته أجمعين فيكون كمن حج بيت الله ﷻ وفي ذلك يقول ﷺ: { يَا فَاطِمَةُ قُومِي فاشْهَدِي

١٣٧ متفق عليه عن عمر بن الخطاب.
١٣٨ رواه أحمد وأبويعلى والبيهقي عن أبي إمامة
١٣٩ رواه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة، والبزار والسيوطي عن جابر.
١٤٠ ت هـ ك عن عائشة رضي اللهُ عنهَا.

أُضْحِيَتَكِ، فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ }[١٤١] فأول قطرة تنزل من دمها يغفر لصاحبها ولزوجه ولأهل منزله أجمعين فيكون كما قال فيه ﷺ: **{ مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أمُّه }**[١٤٢] وكذلك من ضحى لله لا يبغي رياء ولا سمعة ولا شهرة فإن الله يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

أما الفضل الثاني فقوله ﷺ: **{ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً }**[١٤٣]...

من يستطيع منكم عدَّ صوفها ... من أيها الحضور الكرام؟ ومن يستطيع حساب قطرات دمها ... أنه أجر عظيم لا يعلمه إلا المولى الكريم ﷻ.

أما الأجر الثالث فقوله ﷺ: **{ إِسْتَفْرِهُوا [استسمنوا] ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ }**[١٤٤] هذا الصراط الذي يمتد على جسور جهنم وهي سبعة جسور كل جسر منها يقول ورد فيها من الأثر: **{ ألف عام صعوداً وألف عام استواءاً وألف عام هبوطاً لمن يمشي عليه }** فهذه السبعة جسور ما الذي نركبه لنمر عليها؟ هي أضحيتنا التي نذبحها لله ﷻ وهذا ما حدى بسلفنا الصالح أن يوطنوا أنفسهم على أن يذبحوا ولو في العمر مرة ليكون له ركوبة يركبها على الصراط يوم لقاء الله ﷻ على أن تتوافر فيها الشروط الشرعية.

وما الشروط الشلاعية هذه؟ أن يكون ذبحها بعد صلاة العيد وخطبة العيد في اليوم الأول أو الثاني أو الثالث من أيام العيد على أن يكون الذبح بالنهار لنهيه ﷺ عن الذبح بالليل، وعلى أن تكون إذا كانت من الماعز يكون مر عليها عام، وإذا كانت من الضأن يكون مر عليها ستة أشهر، وإذا كانت من البقر يكون مر عليها عامان، وإذا كانت من الجمال يكون قد مر عليها خمسة أعوام، وأن تكون غير معيبة لا عوراء ولا مقطوعة القرن ولا مشقوقة الأذن ولا عرجاء ولا مريضة ولا هزيلة وإنما تكون صحيحة وسليمة وسمينة لأنه يقدمها لله ﷻ وأن لا يبيع شيئاً منها ولو كان للجزار.

فقد ورد **{ عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللّهِ أَنْ أَقُومَ عَلَىٰ بُدْنِهِ. وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا. وَأَنْ لاَ أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا. قَالَ: نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا }** [١٤٥] **هكذا أمره ﷺ ألا تعطه** جلدها مقابل ثمن ذبحها وإنما نعطيه الأجر من عندنا.

---

١٤١ رواه البزار وابن حبان في كتاب الضحايا والأصبهاني عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه.
١٤٢ رواه الدار قطني في سننه، وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٤٣ الترمذى وابن ماجه والمستدرك في مسنده عن عائشة رضَيَ اللّهُ عنهَا.
١٤٤ رواه السيوطي في الفتح الكبير والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٤٥ صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه.

ولا نبع شيئاً من لحومها وإنما نوزع بعضها للفقراء وبعضها للأهل والأصدقاء وإذا كنا من بيت فقير نأكلها جميعاً ويكفينا أننا فعلنا سنة أبينا إبراهيم ونسك نبينا ﷺ.

فيا إخواني جماعة المؤمنين وطنوا أنفسكم على أن تصنعوا هذا العمل في عمركم كله ولو مرة واحدة نذبح فيها أضحية لله نرجو بها وجه الله ونطمع في ثواب الله ونحدد فيها الشروط التي بينها رسول الله ﷺ كي ننال هذا الثواب من الله ﷻ فإذا فعلنا ذلك كان علينا بعد ذلك في هذا اليوم أن نصل أرحامنا وأن نود أقاربنا وأصدقائنا وإخواننا المسلمين والمسلمات وأن نتصافى ونتصالح مع خصمائنا لوجه الله ﷻ في هذا اليوم وأن نكثر فيه من الصدقات على الفقراء والمساكين.

وليس الفقراء والمساكين الذين يمدون أيديهم ويمرون على الدور وإنما هم الذين يقول فيهم ﷺ: { لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ. وَلاَ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ. إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ أبا العيال }[١٤٦]، فإن المسلم الذي يقول ليس علي شيء إذا أعطيت الصدقة لمن يطلبها نقول له: لا. إن الله ﷻ أمرك أن تتفقد إخوانك المسلمين وتخص بصدقتك الفقراء والمساكين الذين يقول فيهم رب العالمين ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة)، علينا أن نبحث عنهم ونعطيهم حتى لا ندخل في قوله ﷺ: { لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الّذي يَبِيتُ شَبْعاناً وَجَارُهُ جائِعٌ إِلى جَنْبِهِ }١٤٧، كم بيت في المسلمين اليوم أهله في ظاهرهم مستورين .. ويلبسون ملابس حسنة ولكنهم ليس عندهم لأولادهم قطعة لحم .. لأنهم يستحيون من الطلب ولا يمدون أيديهم إلى الناس وهؤلاء هم المحتاجون الذين عناهم ربُّ الناس .... والذين كان يخصهم سيِّد الناس ﷺ بعطاءه وإنفاقه ﷺ.

وعلينا أن نترك لأبنائنا في هذا اليوم بعض اللعب المباح، على أن لا يكون فيه مخالفة لتعاليم السماء ولا يكون فيه لعب للقمار، فاللعب بالنقود بأي طريقة من الطرق [نوع من القمار] ولا يكون فيه شرب البيرة أو المخدرات أو المسكرات بحجة أن هذا يوم يبيح الله ﷻ فيه للمؤمنين ما لا يبيحه في سواه. فالقوم الذين يجلسون في هذه الليالي على أنغام الموسيقى الشجية في الليل ويشربون المخدرات والمسكرات، آثمون. وهم في فعلهم ذلك خارجون عن طاعة الله ﷻ وواقعون في الإثم الصريح بقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ (٩٠المائدة).

---

١٤٦ رواه ابن ماجة في السنن والسيوطي في الكبير عن عمران بن حصين.
١٤٧ (خد طب ك هق) عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُمَا

فاللهو المباح في هذا اليوم ما لم يكن فيه إثم وما لم يكن فيه مغرم. وما لم يكن فيه تعريض سلامة أولادنا لأي شئ كالمراجيح البلدية التي تعرضهم للكسور والتشوهات فمثل هذه الأعمال يجب أن نتعاون جميعاً على إلغائها لنكون ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢المائدة)، وكذلك من يخرجون بعد صلاة العصر بصورة منكرة من شبابنا ويدعون أن ذلك موكب للصوفية فإن مواكب الصوفية فيها ذكر لله وفيها إنشاد القصائد بطريقة حسنة، أما الذين يرقصون ويحجلون ويفعلون تلك المنكرات ويتطلعون إلى الغاديات والرائحات في مقدمة هذا الموكب ... يجب علينا أن نأخذ على أيديهم جميعاً وإلا نلغي هذا الموكب حتى لا يكون وصمة عار على جبين الصوفية وفي جبين الإسلام فإن هذا ليس من الإسلام في شئ يا جماعة المؤمنين والمؤمنات.

المباح في هذا اليوم الذي لا يخالف الدين ولا يخالف سنة سيد الأولين والآخرين ﷺ أما ما يفعله البعض في يومنا هذا من الجلوس في بيوهم لتقبل العزاء في أقاربهم وإخوانهم وقد مضى على موقم أيام وشهور فهذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ من أن العزاء ثلاثة ايام ١٤٨، وقال ﷺ:{ لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجِهَا }١٤٩، لا يجب أن نزيد على ذلك فلا يجب أن نجدد الأحزان في عيدنا ولا نفتح البيوت لتقبل العزاء بل نعلن الفرحة بأن الله غفر لنا ذنوبنا وشكر لنا سعينا وأعاننا على طاعته.<< ثم الدعاء >>.

خطبة عيد الأضحى المبارك: الخطبة الرابعة عشرة[١٥٠]

اصطفاء الله للخليل وإسماعيل عليهما السلام

الله أكبر [تسع مرات] ولله الحمد.

الله أكبر ما لبى المؤمنون لله مرات ومرات، الله أكبر ما وقف الحجيج على جبل عرفات، الله أكبر ما لبوا الله العظيم سبحانه بالتسبيح والدعوات، الله أكبر ما أحاطت بهم ملائكة الأرض والسموات، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما تجلى إليهم الكريم ﷻ بالبركات والنفحات، الله أكبر ما فتح لهم أبواب القبول للعبادات والصلوات، الله أكبر ما تنزل لهم بالرحمات، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

---

١٤٨ إشارة إلى معنى الحديث المتفق عليه والمروي عن أم حبيبة وزينب بنت جحش ؓ.

١٤٩ رواه البخارى ومسلم عن عائشة ؓ

١٥٠ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بقرية الجميزة – مركز السنطة – محافظة الغربية في يوم ١٩٩٩/٣/٢٧م الموافق ١٠ من ذي الحجة ١٤٢٠هـ.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله ربِّ العالمين الذي مد في أعمارنا أجمعين حتى شهدنا بالأمس أعظم يوم في الدنيا فإن يوم عرفة إذا كان يوم جمعة كان أعظم أيام الدنيا كلها وهو اليوم الذي حج فيه الحبيب ﷺ حجة الوداع ونزل عليه فيه تمام الخير للأمة والدين وخطب فيه الخطبة الجامعة التي هي قاموس لكل ما يحتاجه المسلم في دنياه وفي آخرته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الزمان والمكان وهو عز شأنه منفرد بالربوبية ومتوحد بالألوهية قبل خلق كل زمان ومكان، وأشهد ان سيدنا محمداً عبد الله ورسوله أظهر الله به تعاليم الدين الحنيف وأسس به مناسك الحج على منهج إبراهيم خليل الرحمن وبين المناسك قائلاً لهم ولمن بعدهم إلى يوم الدين {**خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ**}[١٥١].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد واهدنا بهداه وارزقنا جميعاً رضاه واجعلنا جميعاً تحت لواء شفاعته يوم الدين يا الله.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. كان من فضل الله ﷻ علينا أجمعين هذا اليوم المبارك يوم عرفة. وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال في شأنه: { **إذا كان يوم عرفة نزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا ونظر إلى خلقه فغفر لهم جميعاً. فقالوا: يا رسول الله أهذا لنا خاصة فقال ﷺ: بل هذا لكم وللناس من بعدي** }[١٥٢].

فمن وقف على عرفات غفر الله له الذنوب والزلات واستجاب له الدعوات وأحاطه بالرحمات ومن صام هذا اليوم وهو هنا غفر الله ﷻ له ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية. أما من أكرمه الله ﷻ فذبح أضحية فإن الله ﷻ يجعله كالواقف على عرفات في المغفرة والستر فإن الله يغفر له كل ذنب فعله عند أول قطرة تنزل من دمها ولذا فإن رسول الله ﷺ قال لابنته السيدة فاطمة: { **يَا فَاطِمَةُ قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَّتَكِ، فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ** }[١٥٣] فهو يوم المغفرة لنا وللمسلمين أجمعين نحمد الله على عطاياه ونشكره على نعمه وجدواه ونسألأه ﷻ المزيد من جوده وكرمه ونفحات رياه حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

---

١٥١ رواه أبو داود والطبراني في الأوسط والنسائي في سننه عن جابر.
١٥٢ رواه مسلم والنسائي وابن ماجة عن عائشة.
١٥٣ رواه البزار وابن حبان في كتاب الضحايا والأصبهاني عن أبي سعيد.

إخوة الإيمان والإسلام إن هذا اليوم الكريم جعله الله ﷻ عبرة لكل مسلم وقدوة لكل مؤمن ونبراساً لكل محسن فإن بعض المؤمنين ينتابهم الشك إذا تواردت عليهم بعض كوارث الزمن أو بعض نكبات الدنيا وربما يتقزز من ذلك !! وربما يعلن السخط والتمرد على ذلك فيرفع شكواه !! وربما وهذا هو الأشر يشكو إلى الملأ مولاه ﷻ فيقول: لم يصنع الله بي كذا وأنا مسلم أصلي وأصوم لله؟ ولم يبتليني الله بكذا وأنا موحد ومؤمن بالله؟!!

ألا يعلم أن ذلك كله سنة الله على أنبيائه ورسله يبتليهم ليرفع درجاتهم وليعلي شأنهم عنده ﷻ فكلنا أعلنا الإسلام وكلنا أعلنا الإيمان ولابد لذلك من دليل وبرهان يراه ويطلع عليه الرحمن ﷻ ومن هنا جاءت حكمة الابتلاء فلو كان الابتلاء سخطاً وغضباً من الله كما تصور بعض المسلمين لما ابتلى الله ﷻ رسله وأنبيائه أجمعين لكنه كما قال في شأنه سيد الأولين والآخرين ﷺ: {**عن مُصْعَبِ بنِ سعد عن أبيه، قالَ: يا رسولَ اللَّهِ، مَنْ أشدُّ الناسِ بَلاءً؟ قالَ: الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ فالأمثلُ**} ١٥٤

ومن هنا كانت قصة الابتلاء لإبراهيم عليه السلام لزيادة الإيمان وقوة الإسلام لعباد الرحمن ﷻ. فانظروا معي إلى خليل الله عندما كان وحيداً في بلاد العراق وليس هناك مؤمن معه إلا ابن أخيه لوط وأخته سارة عليهم سلام الله أجمعين والكل جاحد ومشرك بأنعم الله ويعبدون الأصنام وفي ليلة العيد يتوجهون إليها بالعبادة فأخذ فأسه وكسرها جميعاً ثم وضع الفأس على كبيرها فلما ذهبوا في صبيحة العيد إلى الأصنام وجدوها كلها منكسة على رؤوسها وقد تهدمت أجزاؤها فقالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ لا يوجد إلا إبراهيم وجاءوا به وسألوه ولكن الله ﷻ جعل له من عنده مخرجاً فقصة إبراهيم تتلخص في قول مولانا العظيم ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ (٢- ٣الطلاق) ...

من يتق الله لو ضاقت به الحياة أو أحاط به جميع خلق الله يكيدون له كيداً فإن الله ينجيه بفضله من بينهم ويكشف عنه كل ضرر ينجيه من كل ضيق لأن الله تولى بعنايته ورحمته كل من يتقيه من خلقه وبريته.

فجمعوا قومهم أجمعين وعلى رأسهم النمروذ ملكهم وقال له زعمائهم جميعاً: من فعل هذا بآلهتنا؟ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فرد عليهم وقال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ويقصد بقوله إصبعه الأكبر الذي أشار به إلى الأصنام وظنوا أنه يقصد الصنم الأكبر – فلم يكذب ﷺ – وإنما استخدم المعاريض التي يقول فيها ﷺ :

---

١٥٤ الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه عن سعد وفاطمة وأبي سعيد.

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً }[155] يعني مخرج من كل ضيق ينجي به الله أسلافنا على خلق ودين، فقال لهم إنما فعله كبيرهم وهو يشير بيده إلى الأصنام ويقصد أصبعه الكبير فلا يكذب في قوله، وهم قد فهموا أنه يعني كبير الأصنام الذي علق الفأس على كتفه!!

وهم طبعا يعلمون أن الأصنام لا تحرك ساكناً فعلما أن إبراهيم قد فعلها .. فما كان منهم إلا أن جمعوا الحطب وأخذوا في جمعه مدة ستة أشهر وبعد تلك المدة أضرموا فيه النار لإلقائه فيها بشدة وهجها وقد كانت تحرق كل من يقرب منها لشدة لهيبها وسعيرها فترل إبليس اللعين ودلهم على صنع المنجانيق وهو صورة مصغرة من المدفع بلغة عصرنا فجعلوا خشبتين على أعلى جبل وبينهما خشبة متحركة وأجلسوه عليها بعد أن قيدوه بالحبال ثم حركوه عدة مرات وفي النهاية قذفوا به في هذه النار.

ماذا كان المخرج؟ عندما كان في أعلى السماء وسيترل لا محالة في النار ضجت الأرض والسماوات وملائكة الأرض وملائكة السماوات، وقالوا: إلهنا وسيدنا خليلك يحرق بالنار وليس في الأرض من يعبدك سواه! فقال الله ﷻ: هو خليلي وأنا أعلم به هل استغاث بكم؟ أو طلب النجدة منكم؟ إن كان قد استغاث بكم فأغيثوه أو طلب النجدة منكم فانقذوه فلما اشتد طلبهم واستغاثتهم لله !! أمر جبريل عليه السلام أن يترل عليه فترل عليه وهو محلق في السماء وقال له: ألك حاجة؟ فقال عليه السلام أما إليك فلا. قال: فلله ﷻ؟ قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي. فترل في النار ففوجئ الملائكة الأطهار بأن الله ﷻ يقول لها: ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ (٦٩الأنبياء)، فلم تحرق النار منه إلا حباله التي أوثقوه وقيدوه بها ثم وجدوا بجواره عين ماء نبعت من جوف النار يشرب منها ويتوضأ منها وشجرة بجواره يستظل بها ويأكل من ثمارها وجلس يعبد الله في خلوة مع هؤلاء لمدة شهرين كاملين هما المدة التي لبثتا النار مشتعلة حتى أطفئت بأمر الواحد القهار ﷻ وهذا أول دليل جعله الله ﷻ لكل مؤمن وثق في الله وتوكل على مولاه ولم يفوض أمره إلا إلى الله ﷻ.

فهذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هو سيدنا أبو إدريس الخولاني أرسله رسول الله ﷺ إلى الأسود العنسي رجل أدعى النبوة وزعم أنه يترل عليه القرآن في زمن رسول الله ﷺ فذهب إليه فقال له بعد أن سمعه أتؤمن أني نبي الله؟ قال: لا أسمع. قال: أتؤمن أن محمداً رسول الله؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فكررها عليه عدة مرات وكلما قال له أتؤمن بي؟ قال: لا أسمع. فإذا قال له أتؤمن بمحمد رسول الله كرر الشهادتين. فجمع له الحطب وألقوه في النار ولكنه بفضل الله حدث له ما حدث مع إبراهيم الخليل فقد

---

١٥٥ رواه البيهقي في سننه والنسائي في سننه والطبراني وابن السني عن عمران بن حصين.

خرج من النار ولم تضره بشئ ولم تحرق إلا حباله حتى ثيابه لم تحرقها النار فقال له قومه – قوم الأسود له – : إن أبقيت هذا الرجل بين ظهرانينا فتن به قومك فأخرجه من هنا فخرج إلى المدينة وكان رسول الله ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى لكنه كان قد أنبأ اصحابه بذلك فخرج سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر لاستقباله وأحاطوا به واعتنقوه.

وقال سيدنا عمر ﷺ: { **الحمد لله الذي أحياني حتى شهدت شبيه الخليل إبراهيم ﷺ في أمة محمد ﷺ** } فكل مؤمن يذكر الله ويتوكل على مولاه فله نصيب وافر من معونة الله وتوفيق الله في كل أمر ينتابه في هذه الحياة لأن الله قال في كتابه عز شأنه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٢- ٣الطلاق) . أي كافيه ... يكفيه كل هم وكل عناء وكل بلاء وكان بعد ذلك هذا الأمر مع كل بلاء.

فإن الله ﷻ ابتلاه بعدم الإنجاب وهو خليل الله وصفي الله حتى وصل سن الثمانين وهنا هيأ الله له الإنجاب من السيدة هاجر عليها السلام فأنجبت منه سيدنا إسماعيل فابتلاه الله ﷻ وأمره أن يأخذ هاجر وابنها إلى المكان الذي هيأه الله ليبني فيه بيتاً لله.

وهنا أوصى إخواني جميعاً بألا يستمعوا إلى الروايات اليهودية والإسرائيلية في هذه القصة فقد قيل في ذلك ولا نزال نسمع ذلك أن السيدة سارة عليها السلام غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل فقطعت أذنها وأمرته أن يأخذها وابنها ويلقيها في الصحراء. كيف ذلك؟ وقد بشرها الله على لسان ملائكة الله بأنها ستلد اسحق وإنها ستعيش حتى تشاهد من اسحق ويعقوب ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝ ﴾ (٧١هود)، وهي صديقة لله ﷻ وقد أجرى الله على أيديها المعجزات عندما دخلت مصر مع إبراهيم وأخذوها إلى قصر الملك وكانت بارعة الجمال، وكلما أراد أن يمد يده إليها شلت يده في الحال، فيستعطفها ويعدها ألا يعود إلى مسِّها فتدعو له الله فيفك الله ﷻ يده في الحال فإذا هم بمسها شلت يده مرة ثانية وكرر هذا الأمر ثلاث مرات حتى قال فرعون: إنها شيطانة اخرجوها من أمامي واعطوها كذا وكذا من الجواري، وكذا وكذا من الأغنام، وكذا وكذا من المال، ومن جملة ما أعطاها كانت السيدة هاجر أم إسماعيل ﷺ .

كيف لهذه المرأة التقية النقية أن تغار من زوجة زوجها وهي التي زوجتها وإنما الأمر كما قال الله على لسان خليل الله عندما أخذ ابنه وولده ووضعه في هذه الصحراء ولم يكن فيها ماء ولا زرع ولا ضرع ماذا قال في الدعاء؟ ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٣٧إبراهيم)، ولم يكن هناك في هذا الوقت بيت لكنه يعلم علم اليقين أن إسماعيل هو الذي سيعاونه في بناء البيت.

وقد قالت السيدة هاجر: لمن تتركنا ها هنا يا إبراهيم؟ فسكت. قالت: آالله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لن يضيعنا. إذاً هناك أمر من الله يتم تنفيذه على يد خليل الله إبراهيم وابنه وهو بناء بيت الله ودعوة الخلائق أجمعين للحج إلى بيت الله ﷻ إذا كان إبراهيم عندما أخذ إسماعيل إلى البيت ينفذ أمر الله وكان الله ﷻ هو الذي أمره ولذلك تولاه فكان هذا الغلام الرضيع يرقد على الأرض ولما نفد ما كان معه من الماء والزاد وأخذت تذهب مرات إلى الصفا مرة وتصعد وتتطلع هل من قادم .. وكذا على المروة مرة ... فإذا بها تجد طيوراً بجوار ابنها فذهبت إليهم مسرعة خائفة عليه !! فوجدت الماء قد نبع من تحت قدميه ... فأخذت تضم الماء ... وتقول زمي زمي ... لأن هذا الماء كان واسعاً وخافت أن يخرج منه طوفان المنطقة كلها، ولذا قال رسول الله ﷺ :{ **يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْلاَ أَنَّهَا عَجِلَتْ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً** }١٥٦

فأمرهم الله ﷻ بالسكن هناك وأرسل لهم الساكنين وهيأ لهم سبيلهم لأنهم ذهبوا طاعة لأمر الله وتنفيذاً لمشيئة الله، قال ﷺ: { **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً ابْتَلاَهُ، وَإِذَا أَحَبَّهُ الْحُبَّ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ** }١٥٧. ... أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الله أكبر [سبع مرات] ولله الحمد، الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. كانت في هذا اليوم المبارك الميمون قصة الفداء فإسماعيل عندما بلغ أشده أمر الله ﷻ إبراهيم خليل الرحمن أن يذبحه فأخذ بيد ابنه وقال له يا بني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ فما كان من هذا الابن الذي ملأ الله قلبه بالإيمان إلا أن قال له ﴿ **يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ (١٠٢الصافات) . فقال له: لا تعلم أمي بهذا النبأ ونتوجه سوياً إلى حيث منى.

فقال له: يا أبت اوثقني بالحبال جيداً حتى لا تأخذني نفسي فاتحرك وألقني على وجهي حتى لا تنظر إلي فتأخذك رأفة في تنفيذ أمر الله واشحذ السكين حتى يقطع بسرعة ﴿ **فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ** ﴾(١٠٣- ١٠٥الصافات)، ثم جعل الله هذا الأمر لجميع المؤمنين إلى يوم الدين فقال عزَّ شأنه ﴿ **إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾

---

١٥٦ رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن ابن عباس.
١٥٧ رواه الطبراني في الكبير عن أبي عتبة الخولاني.

(١٠٥الصافات)، فكل محسن كريم له أسوة بـ إبراهيم خليل الله ففداه الله ﷻ بذبح عظيم.

ومن هنا جعل لنا نبينا ﷺ هذا النسك، وجعل فيه ﷺ للمسلم فضائل كثيرة فإذا ذبحه المؤمن على هدى شريعة الله بعد صلاة العيد والخطبة لقوله ﷺ { **إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثم نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذلكَ فقد أصابَ سُنَّتَنَا** }١٥٨

أى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٢الكوثر).. فإذا كان الذبح بعد الصلاة ، وكانت من الإبل أو البقر يشترك فيه عدد لا يزيد عن سبعة، والخروف أو الماعز عن رجل واحد، وشرطها أن يكون قد مرَّ عليها زمن استسمن فيه لحمها وليس فيها عيب من العيوب التي تعيب الأضحية وتجعل هذه الهدية غير مقبولة عند رب العالمين ﷻ، فلا يقبل الله الجرباء ولا العوراء ولا العمياء ولا المريضة ولا الهزيلة وإنما يقبل السليمة الصحيحة غفر الله ﷻ لصاحب هذه الهدية فإذا أشرك أهله معه كما قال ﷺ في أضحيته { **اللهم هذه عن محمد وعن آل محمد** } غفر الله لأهله جميعاً معه وأهله هنا هم زوجه وولده الذي لم يتزوج.

أما الذي تزوج فأصبح له بيتاً لوحده فيجب أن يفعل هذا الصنيع عن نفسه لأن هذا دين الله وشرع الله ﷻ ثم ماذا بعد ذلك؟ يزيد فضل الله في قول حبيب الله ومصطفاه عندما سأله أصحابه بعدما ذبحوا ما هذه الأضاحي؟ قال ﷺ: (سنة أبيكم إبراهيم عليه السلام فقالوا: يا رسول الله ما لنا فيها؟ قال ﷺ: { **إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً** }١٥٩.

ثم زاد هذا الفضل فجعلها المطايا التي نركبها على الصراط يوم الدين هذا الصراط الذي يمر على جسور جهنم ونمر عليه أجمعون وهذا ما قال في شأنه ﷺ: { **إِسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ** }[١٦٠] ومن هنا فقد أوجبها نبينا ﷺ على الموسر والواجد سعة وقال محذراً لهم { **مَنْ وَجَدَ سَعَةً لأَنْ يُضَحيَ فَلَمْ يُضَح فَلاَ يَحْضُرْ مُصَلاَّنَا** }[١٦١] تحذيراً لهم من ترك هذه السنة.

أما الفقير فلم يكلفه الله ﷻ ولكن علينا أن نعمل بقول الرجل الصالح ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه حيث يقول: { **إذا علمت شيئاً من البر فاعمل به ولو مرة واحدة تكتب من أهله** } فعلى المسلم أن يضحي ولو مرة في حياته كلها لكي يكون له برهان على اتباعه لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

١٥٨ رواه البخاري في صحيحه وابن حبان والنسائي والبيهقي عن البراء بن عازب.
١٥٩ت هـ ك عن عائشة رضي الله عنها.
١٦٠ رواه السيوطي في الكبير والديلمي عن أبي هريرة.
١٦١ رواه ابن ماجة في سننه وأحمد والحاكم عن أبي هريرة.

ثم بعد ذلك فعلينا في هذا اليوم وبقية أيام العيد حتى عصر اليوم الرابع أن نكبر لله عقب كل صلاة سواء صلينا في جماعة أو صلينا فرادى فمن حضر الجماعة كبر معها فإن لم يلحق الجماعة لتأخره في دخولها كبر بعد انتهاء الصلاة.

ومن فاتته الجماعة وصلى بمفرده عليه ... أن يكبر الله بصوت مسموع لا يكبر في سره، فإن الذي يكبر في سره ويسمع نفسه ولا يسمع من حوله إنما هن النساء، وعلينا أن نأمر النساء أن يكبرن في بيوتهن عقب كل صلاة سواءاً فريضة أو نافلة، فمن صلى ركعتي الضحى كبر بعدهما لله، ومن صلى قيام الليل كبر بعدها لله، وإن كانت هناك صلاة جنازة كبرنا بعدها لله، لأن صلاة النافلة نكبر بعدها، وهذا مذهب إمامنا الشافعي ، أما الإمام أبو حنيفة فقد أوجب التكبير بعد الفرائض ولم يوجبه بعد النوافل والسنن، قال ﷺ : { **زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بالتَّكْبِيرِ** } (مرَّ تخريجه).

وعلينا بعد ذلك أن نتجنب ما يفعله البعض من الجلوس في البيت لتجديد الأحزان وتلقي العزاء لأن هذا ليس من دين الله في شئ ولأن هذا يوم عيد ويوم فرح نفرح فيه الفقراء والمساكين ونفرح فيه الأطفال لقوله ﷺ: { **للجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلاَّ مفرح الصبيان** }(الفردوس عن ابن عباس)، ثم بعد ذلك نصل فيه أرحامنا ونود فيه إخواننا ونجعل هذا الأمر وهو المودة والصلة عبادة هذا اليوم فأعظم أعمالنا هي إدخال البر والسرور على المسلم وصلة الأرحام وتواصل الأنام .... << ثم الدعاء >>.

خطبة عيد الأضحى المبارك

الخطبة الخامسة عشرة[١٦٢]: قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام

الله أكبر [تسع مرات] ولله الحمد، الله أكبر ما وقف الحجيج على عرفات، الله أكبر ما توجهوا إلى المولى ﷻ بخالص الدعوات، الله أكبر ما تنزلت عليهم من الله الخالق الرحمات، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما فتح الرحمن لعباده أبواب السموات، الله أكبر ما قال في علو شأنه يا عبادي انصرفوا مغفوراً لكم، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ما تبع الحجيج آذان خليل الله إبراهيم، الله أكبر ما يسر الميسر لهم كل عسير حتى وقفوا بين يديه فغفر لهم القليل والكثير. الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

---

١٦٢ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي عيسى الشهاوي بالجميزة – مركز السنطة – غربية ١٠ من ذي الحجة ١٤٢٠هـ ١٦/٣/٢٠٠٠م.

الله أكبر ما طاف طائف حول البيت ولبى مولاه، الله أكبر ما دعا لسان فاستجاب لـه الله، الله أكبر ما حط الخطايا وتقبل الأعمال بفضله الله، الله أكـبر الله أكـبر الله أكـبر ولله الحمد، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أنعم علينا بصنوف المغفرة وعمنا جميعاً بفيض فضله وكرمه وخالص رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغدق على عباده المؤمنين في هذا اليوم من الفضل الكبير والخير الكثير ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علـى قلـب بشر، .. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أقام به الله تعـالى الملة العوجاء والشريعة السمحاء وهدى به بعد ضلالة وجمع به بعد فرقة وأعز به بعـد ذلـة وجعلنا به حكماء وفقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع العالم والخير القائم أبد الآبدين لكل مؤمن ومحسن والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون..

هذا اليوم العظيم يوم الحج الأكبر، هو يوم تفضل الله به على جميع المسلمين من لـدن آدم إلى ختام الأنبياء والمرسلين فجعله الله يوماً للمغفرة ويوماً للرحمة ويوماً للعبـادة ويومـاً لتنزل السكينة في قلوب المؤمنين ويوماً يعرف فضله الأولين والآخرين والإنس والجن وكـل من شهد بالوحدانية لله ربِّ العالمين وقد كان بدء هذا اليوم مع آدم عليه السلام عندما خرج بـأمر ربه وهو في الجنة وأكل هو وزوجه من الشجرة التي نهاهما عنها الله فبدت لهما سوآتهما فعلم أن الله غضب على فعلتهما فمشى آدم في الجنة كسيف البال فقال الله تعالى له: أفراراً مني يا آدم؟ قال: بل حياءاً منك يا ربِّ فهبط آدم بأمر الله ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (١٢٣طه)، وكان نزوله على قمة جبل سرنديب جنوب الهند وأهبطت حواء إلى جدة ببلاد الحجاز.

ومكث آدم يبكي على ذنبه ثلاث مائة عام حتى كان أول شهر ذي الحجة فتنزل عليه أمين الوحي جبريل وقال يا آدم اذهب إلى بيت الله وطف حوله واضرع لربك يغفر الله ﷻ ذنبك، فجاء آدم من بلاد الهند ماشياً حتى وصل إلى بيت الله الحرام فكان وصوله في صباح هذا اليوم الذي نحن فيه الآن يوم العاشر من شهر ذي الحجـة: **{قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلى الأَرْضِ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعَاً، وَصَلَّى خَلْفَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِي وَعَلاَنِيَّتِي فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي فَأَعْطِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ مَا**

عِنْدِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، أَسْأَلُكَ إِيماناً يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِيناً صَادِقاً حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُنِي إِلاَّ مَا كُتِبَ لِي، وَرَضِّنِي بِقَضَائِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ إِنَّكَ قَدْ دَعَوْتَنِي بِدُعَاءٍ أَسْتَجِيبُ لَكَ بِهِ، وَغَفَرْتُ ذُنُوبَكَ، وَفَرَّجْتُ هُمُومَكَ وَغُمُومَكَ، وَلَنْ يَدْعُوَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ إِلاَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ، وَنَزَعْتُ فَقْرَهُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ، وَاتَّجَرْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، وَإِنْ لَمْ يُرِدْهَا إِلاَّ رِزْقاً}١٦٣ .

كان هذا اليوم يوم المغفرة فما من عبد مؤمن يعينه الله ويمده بالأسباب التي توصله إلى بيت الله من المال الحلال، والزاد الطيب إلا دخل في قوله ﷺ : { **مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَعَ كما ولَدَتْهُ أمُّه** }[١٦٤] فيرجع وقد طويت صحف سيئاته وزاد الله فضلاً في حسناته فإن الله ﷻ جعل هذا البيت العمل حوله مضاعفاً أضعافاً كثيرة لا يستطيع أحد حصرها ولكن بحسبنا أن نلمح ألى بعض فضلها ...

فقد قال فيه رجل من الصالحين صلاة واحدة في جماعة في بيت الله الحرام أكثر من عمر نوح في عبادة الله ﷻ فقال له الحاضرون كيف يكون ذلك قال لأن النبي ﷺ قال في حديثه:{**الصَّلاَةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ**}١٦٥، والصلاة التي فرضها علينا الله تكتبها الملائكة عشر صلوات فإذا ضربنا المائة ألف في عشرة كانت مليون صلاة وصلاة الجماعة تزيد عن صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة فتصير مليونين وسبعمائة ألف صلاة لكل صلاة واحدة فإذا قسمتها على خمس صلوات في اليوم كانت أعماراً طويلة وسنين كثيرة هي في مجملها فوق قدر عمر نوح.

كثير وكثير من فضل الله الذي لا يعدُّ ولا يحدُّ ولم يجعل الله الصلاة فقط بمائة ألف بل كل تسبيحة بمائة ألف وكل صدقة بمائة ألف وكل عمل صالح فيه بمائة ألف عمل صالح عند الله لأنه بيت الله وزائره زائر لمولاه ﷻ فأول ما يرجع به الحجيج أن يرجعوا وقد غفر لهم ذنوبهم وقد ستر الله لهم عيوبهم وقد محا الله عنهم أخطائهم وقد جعل الله ﷻ هذا الفضل العظيم لعباده المؤمنين أجمعين من لدن آدم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها ولم يحرمنا الله ﷻ نحن جماعة المؤمنين المقيمين من هذا الفضل فجعل لنا بعمل يسير إن عملناه أن يغفر لنا ذنوبنا وذنوب أهل بيتنا ما تقدم منها وما تأخر إذا تأسينا بسنة الخليل إبراهيم عليه السلام .

الحج في مجمله خطوات الأنبياء فالطواف عمل آدم عليه السلام ، والسعي بين الصفا والمروة عمل هاجر أم إسماعيل عليهما السلام عندما أمره الله أن يحمل ولده وأمه ويضعهما بجوار

---

١٦٣ طس، عن بريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٦٤ رواه الدار قطني في سننه وأحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة.
١٦٥ رواه ابن ماجة في زوائده، وابن حبان في الثواب والسيوطي في الفتح الكبير عن أنس.

البيت فالتفتت إليه وقالت يا إبراهيم لمن تتركنا في هذا المكان الذي لا ماء فيه ولا إنس ولا حيوان فلم يجبها. فقالت: يا إبراهيم لمن تتركنا ها هنا؟ فلم يجبها. فقالت:آالله أمرك بذلك؟ قال: نعم. قالت: إذاً لن يضيعنا.

فلما نفذ الماء القليل الذي معها وأحس ابنها بالجوع وكان رضيعاً يرضع من ثديها اللبن وفتشت عن اللبن في صدرها فلم تجد، فأخذت تبحث عن الماء لتشرب منه فصعدت إلى جبل الصفا لتنظر خلفه هل تجد ماء فلما لم تجد نزلت إلى بطن الوادي ثم هرولت مسرعة كما يفعل الحجيج بين الميلين الأخضرين ثم نزلت حتى وصلت إلى جبل المروة تنظر خلفه هل تجد ماءاً وكررت هذا العمل سبع مرات وهو السعي بين الصفا والمروة لحجاج بيت الله الحرام وبعد أن أتمت المرة السابعة، نظرت فوجدت طيوراً حول ابنها فخافت عليه وأسرعت إليه فوجدت الماء وقد نبع من تحت قدميه ماء كثير يفور وأخذت تزمه بالتراب وتقول زمي زمي فسمي زمزم. قال الحبيب ﷺ { **يَرْحَمُ الله أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْلاَ أَنَّهَا عَجِلَتْ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً** }[١٦٦] فكان ماء زمزم من نبع قدم إسماعيل عليه السلام، وفيه الشفاء وفيه الدواء وفيه الخير ويكفي فيه قول الحبيب ﷺ: { **مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ** }[١٦٧] فيه طعام طعم وفيه شفاء سقم ، فهو الماء الوحيد الذي يطعم الجائع ويروي الظامئ ويشفي المريض من أي داء إذا صدق النية وأخلص الطوية في شربه لربِّ البرية عز وجل .

فلما بلغ الولد ثلاثة عشر عاماً أمر الله عزوجل أبيه إبراهيم ليلة الثامن من ذي الحجة في المنام أن يذبح ابنه إسماعيل، فلما أبطأ في اليوم الثامن وتروى في هذا الأمر وفكر فيه وظن أنه ربما يكون من الشيطان فسمي يوم التروية لأنه تروى في أمره فلم يسارع في تنفيذ أمر ربه عز وجل ، فلما جاءت ليلة التاسع رأى في المنام مرة أخرى أنه يذبح ابنه فعرف أن ذلك وحي من الله وأن هذه الرؤيا رؤيا حق من الله فسمي يوم عرفة لأنه عرف أن رؤياه حق، ولأن آدم وحواء تعارفا فيه على جبل عرفات فسمي المكان بعرفات لأنهما تعارفا عليه، وعرف إبراهيم فيه أن رؤياه حق من الله عز وجل فعرض رؤياه على ابنه فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات).

فلما أصبح في هذا اليوم وفي هذا الصباح أمر ابنه أن يأخذ المدية يعني (السكين) ويأخذ الحبل، ويذهب إلى منى ليوهم أمه أنهما ذهبا ليحتطبا منها وليجمعا منها الحطب، فذهبا إلى منى في هذا اليوم وفي مثل هذه الساعة فظهر لهما الشيطان عند جمرة العقبة فقذفه

---

١٦٦ رواه البخارى عن ابن عباس

١٦٧ رواه الحاكم والدار قطني والبيهقي والديلمي عن ابن عباس.

بسبع حصيات فصارت سنة عنه إلى يوم الدين، ثم ذهب لهما الشيطان مرة أخرى عند الجمرة الوسطى فقذفه بسبع حصيات فصارت سنة إلى يوم الدين، فظهر له مرة ثالثة عند الجمرة الصغرى فقذفه بسبع حصيات وتلك سنن اليوم كلها عن أبيكم إبراهيم ونبي الله إسماعيل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فلما وصلا إلى المنحر بمنى وهو مكان الذبح وموضع النحر قال إسماعيل لأبيه يوصيه يا أبتي أشدد وثاقي جيداً حتى لا اضطرب فتأخذك الرحمة في تنفيذ أمر الله ﷻ وانزع قميصي حتى لا ينزل عليه دم فتراه أمي فتحزن واجعل وجهي إلى الأرض حتى لا تنظر إلي فتأخذك الشفقة في تنفيذ أمر الله ﷻ وأشحذ المدية (السكين) حتى تقطع بسرعة فأوثقه بالحبال جيداً ثم ألقاه على وجهه فلما همَّ بذبحه، قال يا أبتي فك يدي وقدمي حتى لا يقال بأنه كان يوجد رباط في يدي ورجلي خوفاً من تنفيذ أمر الله ﷻ ، فأطلق يديه وقدميه ووضع السكين على رقبته وأمرها بسرعة فإذا هي لا تقطع فخاطبها وقال لها مالك يا سكين لا تقطعي عنق إسماعيل، فأنطقها الله وقالت ولماذا النار لم تحرق جسمك يا إبراهيم؟

فإن الله الذي أمر النار أن تكون برداً وسلاماً فلم تحرق إلا الحبال والقيود من إبراهيم هو الذي أمر السكين أن لا تقطع رقبة إسماعيل فتدارك إبراهيم ... وبينما يلتفت إلى وراءه وجد أمين الوحي جبريل ومعه ذبح عظيم ... هذا الذبح هو الذي قدمه هابيل إلى الله عندما تنازع وأخوه قابيل على الزواج بأخت قابيل فطلب منهما الله أن يقدما قرباناً فقدم قابيل من عمله وهو الزراعة زروعاً رديئة ... وقدم هابيل من عمله وهو الرعي كبشاً ثميناً فارعاً ... فتقبله الله ونزلت سحابة فحملته وظل يرعى في أرجاء الجنة حتى أنزله الله ليفدي به إسماعيل على يدي خليل الله عليه السلام .

قال ﷺ: { مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلاً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ. وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلاَفِهَا وَأَشْعَارِهَا. وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ. فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً وأبشروا }[١٦٨]، وقال ﷺ: {إِسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ}[١٦٩]، وقال ﷺ لابنته فاطمة { يَا فَاطِمَةُ قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَتَكِ، فَإِنَّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ }[١٧٠].

أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٦٨ رواه الترمذي والبيهقي وابن ماجة عن عائشة
١٦٩ رواه السيوطي في الفتح الكبير والديلمي عن أبي هريرة.
١٧٠ رواه البزار وابن حبان في كتاب الضحايا والأصبهاني عن أبي سعيد.

الخطبة الثانية:

الله أكبر [سبع مرات] ولله الحمد، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا. الحمد لله الذي أنزل علينا الخير فضلاً ومنة وسح علينا الرحمات سحاً وجعلنا أهـلاً لفضله وكرمه في هذا اليوم الكريم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبـده ورسـوله، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنـا الـشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين ....

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. علينا في هذا اليوم الكريم أربعة أعمال كلفنا بها الله وسنَّها لنا حبيب الله ومصطفاه ﷺ :

فأول عمل في يومنا هذا هو صلاة العيد وقد صليناها والحمد لله ﷻ .

ثم ثاني عمل أن نذبح أضحياتنا فمن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ومـن ذبح بعد الصلاة فقد أصاب السنة هذه الأضحية فيها ما فيها من الفضل العظيم فإذا أنزلـت قطرات دمها غفر الله لأهل البيت أجمعين كل ذنب عملوه، وجعل الله بعدد قطـرات دمهـا حسنات، وبكل شعر صوفها حسنات وجعلها الله كلها حتى بشعورها وأظافرها توضـع في ميزان حسناتهم يوم القيامة، ويجعلها الله وسيلة يركبونها على متن الصراط والصراط كما ورد في الأثر سبع جسور على متن جهنم كل جسر منها ألف عام صعوداً وألف عـام اسـتواءاً وألف عام هبوطاً، فجملتها يمشيها المرء في إحدى وعشرين ألف عام!!! يمر عليهـا المـؤمن كالبرق الخاطف أو كالريح الشديدة أو كالخيل السريعة كما ورد ..هذا إذا كان له أضـحية ضحى بها لله، فهي المركوب الذي يركبه ليمر به من على الصراط، كما بين رسول الله ﷺ .

هذه الأضحية شرطها لينال المرء هذا الثواب أن تذبح بعد صلاة العيد ،وأن تذبح عن رجل واحد إذا كانت ماعزاً مرَّ عليه سنة أو خروفاً مر عليه ستة أشهر ويحمل لحماً والـذكر كالأنثى في هذين الصنفين كلاهما يجوز، أو كانت بقرة أو جملاً يشترك فيه سـبعة، علـى أن تكون خالية من العيوب وسليمة من الأمراض فلا تكون عوراء ولا جلحاء يعني بغير قـرون إلا إذا كانت سلالتها كذلك فلا بأس بها ولا تكون عرجاء ولا مريضة ولا يأخذ الجزار منها شيئاً على سبيل الأجرة وإنما يجوز أن يأخذ منها صدقة أو هدية لقوله ﷺ للإمام علي عنـدما كلفه أن يذبح هديه: { أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ. وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا. وَأَنْ لاَ أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا. قَالَ: «نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا} [171].

---

[171] صحيح مسلم عن على بن أبي طالب ﷺ

ثم بعد ذلك يجعل منها نصيباً للفقراء ونصيباً للأصدقاء والأهل والأقرباء والأعزاء ونصيباً لنفسه وأهله ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (٢٨الحج).

أما العمل الثالث في هذا اليوم الذي أمرنا به الله وبينه لنا حبيب الله ومصطفاه هو أن نحرص كل الحرص على أداء فرائض الله في بيت الله في وقتها وفي جماعة، وأن نكبر الله عقب كل صلاة إن كانت سنة أو فريضة إن كنت في جماعة أو كنت بمفردك، إن صليت في بيت الله أو صليت في بيتك أو في أي مكان تكبر الله عقب كل صلاة حتى عصر اليوم الرابع من أيام العيد فلو صليت سنة الضحى تكبر الله ﷻ ، ولو حضرت صلاة الجنازة تكبر الله بعدها.

ونعلم نسائنا وبناتنا أن يكبرن الله بعدكل صلاة وإن صلينا في المترل وأقل التكبير أن يقول المرء الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد فإن زاد ما نقوله فقد أحسن وإن اكتفى بذلك فقد أجزأ المهم أن نكبر الله عقب كل صلاة.

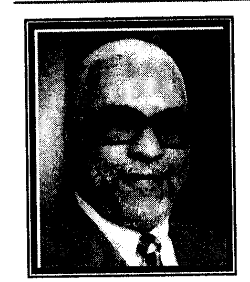
أما العمل الرابع والهام في هذا اليوم العظيم بعد أداء الفرائض فيقول فيه الحبيب ﷺ: {تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ}١٧٢ ويقول فيه ﷺ {إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ اخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ وَإِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ}١٧٣

يأمر الله المسلمين أن تكون عبادهم في هذا اليوم مصافحة المسلمين ... والبسمة في وجوه المؤمنين ... والشفقة ...والعطف على اليتامى والمحرومين ...وصلة الأرحام التي لا توصل إلا في هذه الأيام ...

<< تم الدعاء >>.

تم بحمد الله تعالى

١٧٢ رواه البزار والطبراني وابن حبان والترمذي عن أبي ذر.
١٧٣ رواه البزاروالطبراني عن أبي هريرة وسلمان.



نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

۞ تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – الغربية

۞المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية سابقاً.

۞النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ،ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع أرجاء الجمهورية، وفى الأقطار العربية والإسلامية وغيرها؛ لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.، ٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت: **WWW.Fawzyabuzeid.com**، وسيتم إفتتاح الموقع فى ثوبه الجديد بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١، ليشمل التراث الوافى للشيخ تباعا من صوتيات ومرئيات وكتب وغيرها.

۞ دعــوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه وسلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)

٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.

٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى.

٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى.

ثانيا : الدين والحياة :

٥- زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

٦-٧- نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢

٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم.

٩- نور الجواب على أسئلة الشباب.

١٠- فتاوى جامعة للشباب.

١١- مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية).

١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية).

١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.

١٤- كيف يحبُّك الله (تحت الترجمة للأندونيسية).

١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية).

١٦- المؤمنات القانتات.

١٧- فتاوى جامعة للنســـــاء.

١٨- قضايا الشـــــباب المعاصر.

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات (طبعتان الأولى مجزأة والثانية مجلد واحد)

١٩- ج١: المولد النبـــوى.

٢٠- ج٢: الإسراء و المعراج.

٢١- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران.

٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك.

٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك.

٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات).

٢٦- الرحمة المهداة.

٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط).

٢٨- إشراقات الإســـــراء (ج٢).

٢٩- الكمالات المحمـــــــدية.

٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية).

٣٢- أذكـــــــــار الأبرار.

٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة.

٣٤- علامات التوفيق لأهل التحقيق.

٣٥- رســــــــالة الصالحين.

٣٦- مراقى الصــــــــالحين.

٣٧- طريق المحبوبين و أذواقـــــهم.

٣٨- كيف تكون داعياً على بصـــــــيرة.

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة.

٤٠- الصفاء والأصفيـــــــاء.

٤١- أبواب القرب و منازل التقريب.

٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية).

٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية.

٤٤- الولايـــة والأوليـــاء.

٤٥- موازين الصادقين.

٤٦- الفتح العرفـــانى.

٤٧- النفـــس وصفها وتزكيتها.

سادساً: سلسلة شـفاء الصدور

٤٨- مختصر مفاتح الفرج (٢ط).

٤٩- أذكـــار الأبرار (٢ط).

٥٠- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).

٥١- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).

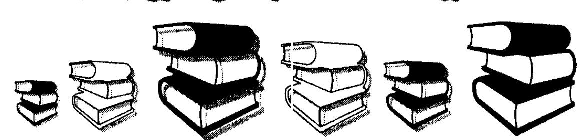
٥٢- بشـــائر المؤمن عند الموت.

٥٣- أسرار العبد الصالح وموســـى عليه السلام.

٥٤- مختصر زاد الحـــاج والمعتمر.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسة	إسم الكتاب
١- من أعلام الصـــوفية :	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه
٢- دراسات صـوفية معاصرة :	حقائق التصوف النقيّ
٣- :	ســـياحة العارفين
٤- الحقيقة المحمديـــة :	الصلوات الإلهاميّـــة
٦- الطريـــق إلى الله :	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)
٧- :	الحكم الإلهاميّة
٨- شــــفاء الصدور :	مختصر مفاتح الفرج (الطبعة الثالثة)



محتويات الكتاب

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان، عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفر، الدراسة
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
مكتبة النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد- الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – ش نور الدين
		الإسكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد

معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقاليم
كشك عبدالحافظ	----------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم
مكتبة الإيمان	----------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	----------	السويس ش الشهداء،ح حسن خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج ش عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا أمام مسجد سيدي القناوى
دار الأحمدي للنشر	٠٦٨-٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت www.askzad.com كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

=========== تمّ بحمد الله وتوفيقه ===========

لملاحظات القراء الكرام بارك الله فيهم أجمعين

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.